

الغَيْثُ الْمُسَجَّمُ فِي شَرْحِ لَامِيَّةِ الْعَجَمِ

لصالح الدين خليل بن أبيك الصَّفدي

المجلد الأول

قدّم له وضبطه وشرحه ووضع فهارسه
الدكتور صالح الدين الهوّاري



شركة أبناء شريف الأضرعي
للطباعة والنشر والتوزيع
صيدا - بيروت - لبنان

• المكتبة العصرية •

الخدق الغميق - ص.ب: 11/8355

تلفاكس: 655015 - 632673 - 659875 00961 1

بيروت - لبنان

• الكاز الشموخ •

بوليفار د. نزيه البزري - ص.ب: 221

تلفاكس: 720624 - 729259 - 729261 00961 7

صيدا - لبنان

• المطبعة العصرية •

كفر جرة - طريق عام صيدا جزين

07 230195 - 00961 7 230841

تلفاكس: 655015 - 632673 - 659875 00961 1

صيدا - لبنان

الطبعة الأولى

هـ 1437 - 2016

Copyright© all rights reserved

جميع الحقوق محفوظة للناس

لا يجوز نشر أي جزء من هذا الكتاب، أو اختزان مادته بطريقة الاسترجاع أو نقله على أي نحو، أو بأي طريقة، سواء كانت الكترونية، أو بالتصوير، أو التسجيل، أو خلاف ذلك، إلا بموافقة كتابية من الناشر مقدما.

alassrya@terra.net.lb

E. Mail alassrya@cyberia.net.lb

info@alassrya.com

موقعنا على الإنترنت

www.alassrya.com

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

عُني الأدباء والكتّاب العرب على مرّ العصور بدراسة نفائس التراث العربي، وشرح ذخائره الشعرية والنثرية، أو اختصارها والتعليق عليها، فإذا المكتبات تغطّصت بآلاف الشروحات والدراسات والمختصرات، لمصنفاتٍ وُضعت في شتّى صنوف المعرفة العربية، كالشعر، واللغة، والنحو، والبلاغة والصرف والتفسير والتاريخ وغيرها.

وكتاب «الغيث المسجّم في شرح لامية العجم» لصالح الدين الصفدي، واحد من أهم كتب الشروحات الشعرية في العصر المملوكي، عُني فيه الشارح بقصيدة الطغرائي الموسومة بـ«لامية العجم» فأشبعها شرحاً، ودراسة، وتحليلاً، وإعراباً، وأحاطها بآلاف الشواهد الشعرية، والروايات، والقصص، التي تغني الشرح، وتزيده تألقاً، وسعةً، وقيمةً، وفائدةً؛ يقول الصفدي موضعاً منهج كتابه، ومحدداً دوافع تأليفه: «وقد أحببت أن أضع عليها (اللامية) شرحاً يزيد جيدها فرائد، وقصيدها فوائد، مما سمعت فوعيت، وجمعت فأوعيت، ولا أغادر فيها لغةً ولا إعراباً، ولا إيضاح معني ولا إغراباً، ولا ما يضمُّه إليها سلك أو يدخل معها جراباً، إلا نبّهت عليه، وأشرت بحسب الإمكان إليه».

وكأنني بالمؤلف قد فطن إلى سعة استطراده، وغزارة شواهد، فقال شارحاً مُعللاً: «هذا إلى ما يستطرد إليه الكلام من نكتة، وتعرض جملة ذكره بغتة، وببيده الضمير على لسان القلم، وكم لِّلسان فلتة، ويثبت التعمُّد إذا علمت أن لجيد الاطلاع إليه لفته، ليكون هذا الشرح أنموذج الأدب، وعنواناً يدلُّ على الفضيلة التي امتاز بها لسان العرب»^(١).

وعن منهجه في اختيار الشواهد، وانتقاء الفرائد، واقتناص الشوارد، يقول: «فلهذا لا تجدني في الشرح واقفاً مع ضيق المقام، ولا فاراً من مشق القواضب ولا رشق السهام، بل أشرف على كل مكان فأسقط، وأتوخى الحب من الدرر الكبار

(١) الغيث المسجّم: ١٠.

فألْقَط، فمهما استطرد الكلام إليه وَفَيْتَهُ حَقَّهُ، ومهما تعلّق به ملكته رِقَّهُ، فمن عَوَّرَ إلى نَجْد، ومن ربوة إلى وَهْد، ومن ظهر أرض إلى بطن مهد، ومن اقتناص بصقرٍ إلى اصطياد بفهد، ومن سنام واخدة شمالال إلى صهوة كميّت نَهْد^(١).

وعن أهدافه من هذا الشرح وما اشتمل عليه من دُرر المعاني، وجواهر الألفاظ يقول المؤلف: «ولم أقصد بما أوردته غير صلة العائد من الفائدة، وبعث النفوس التي هي في قبور الفتور هامة سامدة، فإن المطالعة تستروح إليها النفوس، وتجد في مراجعتها ما تجده في معاطاة الكؤوس، فالكتاب خير جليس، ونعم أنيس، لا يملُ من محادثته الأنيس، وأسمح كريم لا يبخل إلا على الغبي بما عنده من الدرّ النفيس»^(٢).

ولا يرى المؤلف - بالرغم من إطالته وسعة استطراده - أنه قد أطال أو تزيّد مما لا فائدة فيه «نعم، خشيت الإطالة، واجتنبت العثرة خوفاً من عدم الإقالة، وفرت من الزيادة حتى لا تكون ضغثاً على إباله، وقلت: مع ضوء الشمس لا يظهر فضل الذبالة، ومع الظفر بالصيد لا فكرة في الحباله، ومع الحصول على متاع البيت لا يلتفت إلى الزبالة»^(٣).

ولما كان الكتاب قائماً على شرح القصيدة المعروفة بـ«لامية العجم»، فقد عمد المؤلف بعد المقدمة إلى التعريف بصاحبها مؤيد الدين الحسين بن علي الطغرائي، فذكر تاريخ مولده ووفاته، وسبب قتله، ثم ذكر شيئاً من شعره، وتحدّث عن عروض القصيدة وقافيتها، وما يتعلّق بهما من مباحث، حتى إذا فرغ من هذا كلّه، بدأ بشرح القصيدة بيتاً بيتاً، مع حرصه على إحاطتها بهذا الفيض الغزير من الشواهد الشعرية والنثرية، الذي يُبرّر الاسم الذي خلعه على كتابه: «الغيث المسجّم في شرح لامية العجم».

وإذا كان لنا من كلمة في هذا الكتاب ومنهجه وصاحبه، فنقول:

- إن الاستطراد الذي دافع عنه المؤلف، وزيّنه، وبرّر سعيه، وحرص على تعداد فوائده، قد بلغ في بعض المواطن حدوداً تُنسي القارئ ما هو فيه من محاولة فهم القصيدة معنًى ولفظاً ولغةً ونحواً وبلاغةً وعروضاً وقافيةً. ولو اقتصر المؤلف على هذه المحاور، مع بعض الشواهد في شرحه، لأزال المسافة

(١) الغيث المسجّم: ١١.

(٢) الغيث المسجّم: ١٢.

(٣) الغيث المسجّم: ١٣.

البعيدة بين القارئ والقصيدة، وكفاه الإحساسَ بالسَّأم والضجر، ووضع بين يديه السلافة والصفوة. لكنه لم يستطع أن يتخلَّص من منهج المؤلفين السابقين، كالجاحظ، وأبي الفرج الأصفهاني، والشعالبي، القائم على التوسع والاستطراد، وحشو الكتاب بكلِّ ما هو سائد من علوم ومعارف، وكل ما تستدعيه الخواطر من شواهد وروايات.

- إن القارئ لا يستطيع أن يغفل عن ما تعمَّده المؤلف من إقحام نفسه وشعره في كل شاردة وواردة من كتابه، فهو لا يكاد يذكر معنى أو مسألة أو شاهداً، حتى يأتي بالعديد من أشعاره المصحوبة بشيء من التباهي والادّعاء، ما يُنفّر القارئ، ويبعده عن تذوّق محاسن الكتاب، ويقلل من تقديره للجهد المبذول في جمعه وتأليفه. ولو رضي بالقليل لما باعد وأسأم وأضجر.

- لقد وُفق المؤلف في التقديم لكتابه، بما صدره به من تحديدٍ لمنهجه، وتعريفٍ بصاحب «اللامية»، ودراسةٍ لعروضها وقافيتها، لكنه أخفق في الخاتمة، حيث جاءت باردة فاترة، لا تشدُّ القارئ، ولا تبقي في ذهنه أثراً للقصيدة المشروحة، اللهم إلّا قوله في السطر الأخير: «هذا آخر كتاب غيث الأدب المسجّم في شرح لامية العجم».

فما ضرَّه لو ختم شرحه بسطور قليلة، يُقيّم فيها القصيدة، ويعيد ذكرها إلى الأذهان، بعد هذا الفيض من الشواهد والأشعار.

- ما يلفت الانتباه أن المؤلف كان في كتابه منسجماً مع نظرية الفن للفن، وهذا ما جعله يورد الكثير من الروايات والأشعار الإباحية التي نتحرّج من استخدامها في مصنفاتنا المعاصرة.

ويقوم عملنا في هذا الكتاب وفقاً للآتي:

- تصدير الكتاب بمقدمة تشتمل على حياة المؤلف صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، ومنزلته، وآثاره، ومنهجه في تأليف الكتاب.

- ضبط أسماء الأعلام والأماكن والبلدان.

- شرح الشواهد الشعرية، وضبطها، وتعيين بحورها، وتوثيقها وفقاً لورودها في مصادرها الأصلية.

- ضبط الآيات القرآنية وتوثيقها وفقاً لورودها في القرآن الكريم.

- التعريف بالأعلام الواردة في الكتاب ما أمكن، والإحالة إلى أهم المصادر التي ترجمت لهم.

- تزويد الكتاب بمجموعة من الفهارس الفنية التي تساعد القارئ، وتمكنه من الرجوع إلى مواد الكتاب بسهولة ويُسر .
واللّٰه سبحانه وتعالى نسأل أن يجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم ، وأن يلهمنا السداد والرشاد في الفكر والقول والعمل ، إنه على كلّ شيء قدير ، وبالإجابة جدير .

٢٩ رجب ١٤٢٩هـ

٢ آب ٢٠٠٨م

صلاح الدين الهوّاري

ترجمة المؤلف

حياته وأخباره:

هو أبو الصّفاء، صلاح الدين، خليل بن أيبك بن عبد الله السّيفيّ، الصّفديّ، الشّافعيّ: أديبٌ، مؤرّخٌ، شاعرٌ، ناثرٌ، لغويٌّ. وُلد في صَفَد (فلسطين) سنة ٦٩٦هـ/ ١٢٩٦م^(١)، وتنقّل في البلاد طالباً للعلم والعمل، فأخذ الأدب عن شهاب الدين محمود بن فهد الدمشقي^(٢) (ت ٧٢٥هـ / ١٣٢٥م)، ولازمه مدّةً، وعن ابن نُباتة المصري^(٣) (ت ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م).

وأخذ النحو عن أبي حيّان الغرناطي^(٤) (ت ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م)، وسمع الحديث والفقه من عددٍ من العلماء والفقهاء والمُحدّثين، منهم: بدر الدين بن جماعة^(٥) (ت ٧٣٣هـ / ١٣٣٣م)، وأبو الفتح، محمد بن سيّد الناس^(٦) (ت ٧٣٤هـ /

(١) معجم المؤلفين، كحالة: ١١٤/٤؛ الأعلام، الزركلي: ٣/ ٣١٥، تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٧٨٩/٣.

(٢) هو أبو الثناء، شهاب الدين، محمود بن سلّمان بن فهد الدمشقي: فقيه، أديبٌ، نحويٌّ، شاعر، ناثر. ولد بدمشق، وتوفي فيها. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٣/ ٧٣٥).

(٣) هو أبو بكر، جمال الدين، محمد بن محمد بن الحسن بن نُباتة الفارقي، الحذاقي، المصري: شاعرٌ، راجزٌ، وشّاح، ناثرٌ، مترسّل. من آثاره: «رسالة المفخرة بين السيف والقلم»، و«شرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون»، و«سجع المطوق»، وغيرها. (شذرات الذهب، ابن العماد الحنبلي: ٢١٢/٦؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٣/ ٧٩٤).

(٤) هو أبو حيّان، أثير الدين، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيّان الغرناطي، الأندلسي: من كبار العلماء بالعربية، والتفسير، والحديث، والتراجم، واللغات. من آثاره: «البحر المحيط»، و«طبقات نحاة الأندلس»، و«تحفة الأريب»، وغيرها. (الدرر الكامنة، ابن حجر: ٤/ ٣٠٢؛ شذرات الذهب: ٦/ ١٤٥).

(٥) هو أبو عبد الله، بدر الدين، محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني، الحموي، الشافعي: قاضٍ من العلماء بالحديث وسائر علوم الدين. من آثاره: «المنهل الروي في الحديث النبوي»، و«تذكرة السامع والمتكلم في آداب العالم والمتعلم». (البداية والنهاية، ابن كثير: ١٤/ ١٧١؛ الأعلام: ٥/ ٩٧).

(٦) هو أبو الفتح، فتح الدين، محمد بن محمد بن أحمد بن سيد الناس البيعري، الربعي، الإشبيلي، الأندلسي: عالم باللغة، والأدب، والتاريخ، والفقه. من آثاره: =

(١٣٣٤م)، وأبو الحجاج المزّي^(١) (ت ٧٤٢هـ / ١٣٤١م)، والحافظ أبو عبد الله الذهبي^(٢) (ت ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م) وشيخ الإسلام تقي الدين السبكي^(٣) (ت ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م)، وغيرهم.

وكان أول ما تولاه الصفدي من وظائف إدارية: كتابة الدرج في بلده صفد. ثم تنقل في الأمصار، فباشر الكتابة في حلب، ودمشق، والقاهرة. ثم عُهدت إليه كتابة السرّ في الرحبة (على الفرات الأوسط)، التي تركها بعد حين ليتولى وكالة بيت المال بدمشق، ويبقى ملازماً لها حتى أواخر أيامه. وكان في أثناء ذلك كله يمارس التأليف والتصنيف، ويتصدّر للتدريس في حلب، ودمشق، وغيرهما من الأماكن والبلدان.

وكانت وفاة الصفدي بدمشق، ليلة الأحد، في العاشر من شوال سنة ٧٦٤هـ / ١٣٦٣م، وهي السنة التي اشتدّ فيها الوباء والطاعون في البلاد الشامية، وصُلّي عليه صبيحة الأحد، ودُفن بمقابر الصوفية^(٤).

آثاره:

ترك أبو الصفاء الصفدي حوالي مائتي مُصنّف في التاريخ، والتراجم، والسّير، والأدب، والنقد، والبلاغة، واللغة، وغير ذلك. منها ما طبع في غير بلد - عربي وأجنبي - ومنها ما ضاع بفعل الأحداث السياسية والعسكرية التي عصفت بالبلاد العربية والإسلامية. ومنها ما لا يزال محفوظاً في بعض المكتبات العربية والأجنبية، ينتظر جهود المحققين والدارسين.

وهذه طائفة من مصنفاته التي ورد ذكرها في كتب التراجم والأدب^(٥):

= «عيون الأثر في فنون المغازي والشمال والسّير». (الدرر الكامنة، العسقلاني: ٢٠٨/٤؛ النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: ٣٠٣/٩).

(١) هو أبو الحجاج، يوسف بن عبد الرحمن بن يوسف القضاعي، الكلبي، المزّي: محدث الديار الشامية في عصره. نشأ بالمزة، وتوفي بدمشق. من آثاره: «تهذيب الكمال في أسماء الرجال». (الدرر الكامنة: ٤٥٧/٤؛ النجوم الزاهرة: ٧٦/١٠).

(٢) هو أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن أحمد بن عثمان بن قايماز الذهبي: حافظ، مؤرخ، من أهل ميفارقين. ولد وتوفي بدمشق. من آثاره: «دول الإسلام»، و«تذكرة الحفاظ». (شذرات الذهب: ١٥٣/٦؛ الأعلام: ٣٢٦/٥).

(٣) هو أبو الحسن، تقي الدين، علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي، الأنصاري، الخزرجي: شيخ الإسلام في عصره، حافظ، مُفسّر، مُناظر. ولد في «سبك»، وتوفي بالقاهرة. من آثاره: «التمهيد في ما يجب فيه التجديد»، و«السيف الصقيل». (الدرر الكامنة: ٦٣/٣).

(٤) شذرات الذهب: ٢٠٠/٦؛ البداية والنهاية: ٣١٨/١٤؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٧٨٩/٣.

(٥) رجعنا في رصد هذه المصنفات إلى كتاب: تاريخ آداب اللغة العربية، زيدان: ١٧١/٢؛ الأعلام: ٣١٥/٣؛ معجم المؤلفين: ١١٤/٤؛ هدية العارفين، البغدادي: ٣٥١/١.

- الوافي بالوفيات: معجم للتراجم، يقع في نحو خمسين مجلّداً، جمع فيه الصفدي تراجم الأعيان، ونجباء الزمان ممّن وقع عليه اختياره، فلم يغادر أحداً من أعيان الصحابة والتابعين، والملوك، والأمراء، والقضاة، والقراء، والمحدثين، والفقهاء، والنحاة، والأدباء، والشعراء، والأطباء، والحكماء، وأصحاب النحل والبدع والآراء.

- تشنيف السمع في انسكاب الدمع: جمع فيه ما قاله الشعراء في الدمع ووصفه، بدءاً بامرئ القيس في الجاهلية، وانتهاءً بشعراء عصره.

- أعيان العصر وأعوان النصر: ترجم فيه لمشاهير القرن الثامن للهجرة من رجال ونساء.

- التذكرة الصلاحية: مُصنّف ضخم في الأدب والشعر، يقع في ثلاثين مجلّداً، ويشتمل على فوائد تاريخية وأدبية، واجتماعية.

- نصرة الثائر على المثل السائر: فيه نقد لكتاب ابن الأثير، واستدراك لأشياء فاتته.

- نكت الهميان ونكت العميان: ضمّنه أخبار مشاهير العميان وبعض أقوالهم وطرائفهم.

- ألحان السواجع بين البوادي والمراجع: يشتمل على مكاتباته مع معاصريه من الكتّاب والأعيان مرتّبة على حروف الهجاء، وفقاً لأسمائهم.

- تصحيح التصحيف وتحريير التحريف: في اللغة.

- الشعور بالعمور: في تراجم العمور وأخبارهم.

- تمام المتون في شرح رسالة ابن زيدون: يتضمن ترجمة لابن زيدون، مع نوادر تاريخية، وانتقادات شعرية، وشرح مطوّل للرسالة.

وقد أشار الزركلي إلى أنها غير الرسالة التهكمية التي شرحها ابن نباتة.

- دمعة الباكي ولوعة الشاكي: يشتمل على أخبار أهل العشق والغرام، وأقوالهم، وطرائفهم.

- فض الختام عن وجه التورية والاستخدام: في علم البيان.

- الروض الناسم والثغر الباسم: في الأدب.

- رشف الرحيق في وصف الحريق: مقامة.

- رشف الزلال في وصف الهلال: مجموع أشعار في وصف الهلال.

- تحفة ذوي الألباب في من حكم دمشق من الخلفاء والملوك والنوّاب: أرجوزة تشتمل على أسمائهم.
- نفوذ السهم في ما وقع فيه الجوهرى من الوهم: فيه نقد لمعجم الصحاح، وإصلاح ما فيه.
- الكشف والتنبيه على الوصف والتشبيه: مجموعة أمثلة.
- الحسن الصريح في مائة مליح: مجموعة أشعار في الغلمان.
- صرف العين عن حرف العين: في الأدب.
- كشف الحال في وصف الخال: يتضمن الكثير من الجنس المصحّف.
- كشف السّرّ المبهّم في لزوم ما لا يلزم.
- جلوة المذاكرة في خلوة المحاضرة: في الأدب.
- ديوان الفصحاء وترجمان البلغاء: مجموعة نصوص نثرية وشعرية جمعها للملك الأشرف.
- قهر الوجوه العابسة بذكر نسب الجراكسة.
- المجازاة والمجازاة.
- منشآت الصفدي: مجموعة مقالات، ورسائل، وتواقيع، وتقارير، ومناشير، ونحو ذلك.
- قصائد ومقطوعات وموشحات.
- الغيث المسجّم في شرح لامية العجم: وهو الكتاب الذي نُعنى بدراسته وشرحه.

منزله وأقوال النقاد والمؤرخين فيه:

أجاد الصفدي في مجالات الشعر والأدب، وأكثر من التأليف والتصنيف، وبرّز في ميادين التدريس والوظائف الحكومية، ما جعل النقاد والمؤرخين يثنون عليه، ويرفعون منزلته، ويشيدون بفضله؛ قال ابن العماد الحنبلي^(١) في ترجمته: «مهر في فنّ الأدب، وكتب الخطّ المليح، وقال النظم الرائق، وألّف المؤلفات الفائقة، وباشر كتابة الإنشاء بمصر ودمشق، ثم ولي كتابة السّرّ بحلب، ثم وكالة

(١) هو أبو الفلاح، عبد الحي بن أحمد بن محمد بن العماد العكري الحنبلي: مؤرخ، فقيه، عالم بالأدب. ولد في صالحيّة دمشق، وأقام في القاهرة، وتوفي بمكة سنة ١٠٨٩هـ/١٦٧٩م. (الأعلام: ٢٩٠/٣).

بيت المال بالشام، وتصدّى للإفادة بالجامع الأموي، وحدث بدمشق وغيرها^(١).
وقال نقلاً عن شيخه الذهبي: «الإمام العالم، الأديب البليغ الأكمل، طلب العلم، وشارك في الفضائل، وساد في علم الرسائل، وقرأ الحديث، وكتب المنسوب، وجمع وصنّف، واللّه يمدّه بتوفيقه. سمع مني، وسمعت منه، وله تأليف وكتب وبلاغة»^(٢).

وأثنى عليه ابن كثير الدمشقي^(٣) فقال: «كتب الكثير من التاريخ واللغة والأدب، وله الأشعار الفائقة، والفنون المتنوعة، وجمع وصنّف، وألف وكتب ما يقارب مائتين من المجلدات»^(٤).

ولحظ المحدثون من المؤرخين وأصحاب التراجم نشاط الصفدي، وما خلفه من مصنفات جليلة، فرفعوا قدره، وأثنوا عليه بما هو أهله، قال جرجي زيدان^(٥) وقد ذكر عدداً كبيراً من مؤلفاته: «هو من أعظم كتّاب العصر المغولي، ومن أوسعهم علماً، وأكثرهم عملاً. ألف في موضوعات شتى، وعلى أساليب حسنة، وغلبت عليه التراجم التاريخية»^(٦).

وأشار الزركلي إلى مثل ما تقدّم، وأضاف للصفدي فناً جديداً حين قال: «أديب، مؤرخ، كثير التصانيف الممتعة. تعلّم في دمشق، فعانى صناعة الرسم، فمهر فيها، ثم ولع بالأدب، وتراجم الأعيان»^(٧).

واكتفى عمر فروخ بالقول: «كان الصفدي أديباً، وشاعراً، ومؤرخاً، ومصنفاً مُكثراً»^(٨). وزاد عليه عمر كحالة حين أشار إلى براعة الصفدي باللغة العربية فقال: «مؤرخ، أديب، ناثر، ناظم، لغوي»^(٩).

(١) شذرات الذهب: ٦/ ٢٠٠.

(٢) المصدر نفسه: ٦/ ٢٠٠.

(٣) هو أبو الفداء، عماد الدين، إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، البصري، الدمشقي: حافظ، مؤرخ، فقيه. توفي بدمشق سنة ٧٧٤هـ/ ١٣٧٣م. (المنهل الصافي، ابن تغري بردي: ٢/ ٤١٤).

(٤) البداية والنهاية: ١٤/ ٣١٨.

(٥) هو جرجي بن حبيب زيدان: منشئ مجلة الهلال بمصر، وصاحب التصانيف الكثيرة. ولد وتعلم ببيروت، ورحل إلى مصر، وتوفي فيها سنة ١٣٣٢هـ/ ١٩١٤م. (الأعلام: ٢/ ١١٧).

(٦) تاريخ آداب اللغة، زيدان: ٢/ ١٧٠.

(٧) الأعلام: ٢/ ٣١٥.

(٨) تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٣/ ٧٨٩.

(٩) معجم المؤلفين، عمر كحالة: ٤/ ١١٤.

ولا يسعنا بعد استعراضنا الموجز لحياة الصفدي، وآثاره، وأقوال المؤرخين فيه إلا أن نشني عليه وقد أمضى عمره، وأنفق أيامه ولياليه، في عمل متواصل دؤوب، بين وظائف إدارية، وتدرّيس، وإملاء، وكتابة، وبحث، وتصنيف، حتى ترك للناس من ثمار جهده ما يُفتخر به على مرّ الأجيال والدهور.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الذي شرح صدر من تأدّب، ورفع قدر من تأهل للعلم وتأهّب، وجمّل من تدرّع^(١) لباس الفضل وتدرّب، وكمل من ترقّى إلى غاية ما ترقّب، أحمده على نعمه التي جعلت العلوم بالأدب رَوْضاً مثمراً، وأعلت همّة من يرى له قلماً قد اتّخذ الأنامل منبراً، وأعلت قيمة جواهره فكانت ثمناً تُباع به القلوب وتُشتري، وأوجدت من كرام أهله من ينحر البدر التّضار لمن قرى^(٢). وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له شهادة تسجّع بها حمائم الخطباء على غُصون المنابر، وتُنجّي الذين نصبوا لها جسور الأقلام على معابر المحابر، وتنضّد^(٣) حليها على عرائس السطور في منصات^(٤) الدفاتر، وتنبت بايقاظ نسيمها مقل الزهر الفواتر. وأشهد أن سيدنا مُحَمَّدًا عبده ورسوله أفصح ناطقٍ صرف عِنان لَفْظِهِ، وأبلغ صادق أرهف^(٥) سِنانٍ وَعَظِهِ، وأشرف زاهدٍ ثَنَى عن زهرة الدنيا عند الحياة سَوَامٍ لَحْظِهِ، وأعرف ناقدٍ بنى في حضرة العلياء بعد الممات مقام حَظِّهِ، صَلَّى الله عليه وعلى آله وصحبه الذين تمسكوا بأدابه، وسبقوا إلى مدى لم يطمع أحد من بعدهم في عادية سكابه، ونصروا أقواله ولسان السيف لم يتلمّظ^(٦) في فم قِرابه، وهزموا حزب الكفر بنُصْل كُنائته ونُصّ كتابه، صلاة تطول لهم بها القصور، وتُحيط بهم بركاتها إحاطة الهالات بالبدور، ما خَفَقَتْ أقلام الطروس على مواكب السطور، وأودعت نفائس الكلام في خزائن الصدور، وسلّم، ومجّد وكرّم. وبعد:

فإن القصيدة الموسومة بلامية العجم رحم الله ناظم عقدها، وراقم بُردها، مما تعاطى الناس مُدام أكوابه، وتجاوزوا هُدّاب أهدايه، وتداولوا ضرب مثله الذي علا عن أضرابه، واقتطفوا ثمر معانيه متشابهاً وغير متشابه: [من البسيط]

أهانتِ الدرّ حتّى ماله ثمنٌ وأرخصتِ قيمة الأمثالِ والخُطَبَا

(١) تدرّع: لبس.

(٢) قرى الضيف قرى، وقرأء: أكرمه وأضافه.

(٣) تنضّد الشيء: تراصف مُتناسقاً.

(٤) المنصات: جمع المنصة: كرسي مرتفع يُعدُّ للعروس لِتُجَلّى، استعارها للدفاتر.

(٥) أرهف السنان: رَفَّقه وحَدَّه.

(٦) تلمّظ الشيء: ذاقه بطرف لسانه. وتلمّظ الصبي: أدار لسانه في فمه.

أمّا فصاحة لفظها: فيسبق السمع إلى حفظها، وأمّا انسجامها: فيطوف منه بخمر الأنس جامها^(١)، وأمّا معانيها: فنزهة معانيها، وأمّا قوافيها: فتذهب القوى فيها، وأمّا شكواها: فترضُ الأكباد^(٢) في الأجسام، وأمّا إغراؤها: فيوجب الوثوب على الآساد في الآجام، وأمّا غزلها: فما تذكر معه نغمات الأوتار، وأمّا مثلها: فما هي إلّا كالمصاييح في المساجد ذات الأنوار، كأنّ ناظمها غاصّ في البحر فأتى بالدّرر منضودة، أو ارتقى إلى السماء فجاء بالدّراري^(٣) من الأفق مصفودة^(٤): [من البسيط]

فما لها في الوري مثل يناظرها وكم لها سار بين الناس من مثل^(٥)
أقمارها في تمام النظم قد طلعت تسير في أوج معناها ولم تفل^(٦)
وزهرها لم تزل تندی غزارته لأنّ منبته في روضها الخصل^(٧)
يرتاح سامعها حتى يهزل لها من التعجب عطف الشارب الثمل^(٨)
فلا تعر غيرها سمعاً ولا بصراً في طلعة الشمس ما يغنيك عن زحل

وقد أحببت أن أضع عليها شرحاً يزيد جيدها فرائد، وقصيدها فوائد، مما سمعت فوعيت وجمعت فأوعيت^(٩)، ولا أغادر فيها لغة ولا إعراباً، ولا إيضاح معنى ولا إغراباً، ولا ما يضمه إليها سلك أو يدخل معها جراباً، إلّا نبّهت عليه وأشرت بحسب الإمكان إليه. هذا إلى ما يستطرد إليه الكلام من نكتة، وتعرض جملة ذكره بغتة، ويديه الضمير على لسان القلم وكم للسان فلتة، ويثبته التعمّد إذا علمت أن لجيد الإطلاع إليه لفظة، ليكون هذا الشرح أنموذج الأدب وعنواناً يدل على الفضيلة التي امتاز بها لسان العرب، فقد أودعت فيه فوائد جمّة، وقواعد مهمّة، وشواهد هي لجامحات المعاني أزمنة، ودلائل تبرهن كل علم فلا يكن أمركم

(١) الجأ: قدح الشراب، وهو في الأصل: إناء من فضة للطعام والشراب.

(٢) رض الشيء رَضاً: دَقّه جريشاً، أو كسره.

(٣) الدّراري: الكواكب المتلألئة.

(٤) مصفودة: وُضعت عليها الأصفاد: الأغلال: القيود.

(٥) يناظرها: يُباريها.

(٦) لم تفل: لم تغب.

(٧) الغُزارَةُ: النعمة، أو السعة. الخُصل: النَّدي المُبتل.

(٨) عطف الرجل: جانبه من لدن رأسه إلى وركه، وهما عطفان. الشارب: أي شارب الخمر.

الثمل: الذي أخذ فيه الشراب.

(٩) أوعى الشيء: جمعه في وعاء، وحفظه.

عليكم غَمَّةً، فما شامت^(١) عيونه برق علم إلا انتجعت قطره الصيّب، وصبرت على ثمره الرديء حتى رأيت الطيّب، ولا تطلعت أعناقَه إلى مرعى بحثٍ إلا أَسْمَتَه سعدانه، وأنقلت بالفوائد إذا انصرف من مَأْدَبَتِه أَرْدَانَه^(٢)، ولا قرمت شهواته إلى نكت بديع إلا أنزلته بمن يمنحه العطا ويمنعه العطب، وتتبع لقرّاه ذوائب النيران التي وقودها المندل^(٣) الرطب لا الحطب.

فقد روي عن ابن عبّاس^(٤) رضي الله عنهما أنه قال: منهومان لا يشبعان: طالب دنيا وطالب علم. وقال عبد الله بن قتيبة^(٥): من أراد أن يكون عالماً فليطلب فتناً واحداً، ومن أراد أن يكون أديباً فليوسع في العلوم، فلهذا لا تجدني في هذا الشرح واقفاً مع ضيق المقام، ولا فارّاً من مشق القواضب^(٦) ولا رشق السهام، بل أشرف على كل مكان فأسقط، وأتوخى الحب من الدُرر الكبار فألقط، فمهما استطرد الكلام إليه وفيته حقّه، ومهما تعلّق به ملكته رِقّه، فمن غَوْرٍ إلى نَجْدٍ^(٧)، ومن ربوةٍ إلى وَهْدٍ^(٨)، ومن ظهر أرضٍ إلى بطن مَهْدٍ^(٩)، ومن اقتناص بصقَرٍ إلى اصطِيادٍ بَفْهْدٍ، ومن سنامٍ واخذةٍ شمالاً^(١٠) إلى صَهْوَةٍ كُمَيْتٍ نَهْدٍ^(١١): [من البسيط] طَوْرًا يَمَانٍ إِذَا لَاقَيْتُ ذَا يَمَنِ وَإِنْ لَقَيْتُ مُعَدِّيًّا فَعَدْنَانِي

(١) شام البرق: نظر إليه يتحقّق أين يكون مطره.

(٢) الأردن: الأكمام، الواحد: ردن.

(٣) المندل: العود الطيب الرائحة.

(٤) هو أبو العباس، عبد الله بن عباس بن عبد المطلب القرشي الهاشمي: حبر الأمة، الصحابي الجليل. ولد بمكة، ونشأ في عهد النبوة، فلازم رسول الله ﷺ، وروى عنه الأحاديث الصحيحة، توفي بالطائف سنة ٦٨هـ/٦٨٧م. (الأعلام: ٩٥/٤).

(٥) هو أبو محمد، عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري: إمام في الأدب، مصنفٌ مُكثَر. ولد ببغداد، وسكن الكوفة، وتوفي ببغداد سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م. من آثاره: «الشعر والشعراء»، و«أدب الكاتب».

(وفيات الأعيان: ٤٢/٣).

(٦) القواضب: القواطع، والمراد: السيوف. ومشق القواضب: ضَرْبُهَا، أو سَلُّهَا من أَعْمَادِهَا.

(٧) الغور: المنخفض من الأرض؛ والنجد: المرتفع منها.

(٨) الرَبْوَة: الرابية: ما ارتفع من الأرض. الوَهْدُ: الأرض المنخفضة.

(٩) المَهْدُ: الأرض السهلة المستوية.

(١٠) الواخذة: الناقعة السريعة الواسعة الخطو. الشمال: السريعة الخفيفة.

(١١) صَهْوَة كُلِّ شَيْءٍ: أعلاه. الكُمَيْت من الخيل: ما كان لونه بين الأسود والأحمر، وهو تصغير أُمْتُ تَرْخِيمًا. النَّهْدُ: القويُّ الضخم.

فقد يتسلسل الاستطراد والقلم معه، ويتشعب الكلام فلا أدعه يجد دعة،
فأترك كثيراً مما طلب، وأتطلب ما يحق له الفرار والهرب، وأتذكر بالصدّ غيره عند
الرجوع والمُنقلب، وأعطف على نظائره فأفوز بالغلب. فكنت كما قيل: [من الطويل]
جُنَيْناً بَلَيْلَى وَهِيَ جُنْتُ بِغَيْرِنَا وَأُخْرَى بِنَا مَجْنُونَةٌ لَا نُرِيدُهَا
ولا أقول^(١): [من البسيط]

عُلِّقْتُهَا عَرْضاً وَعُلِّقْتُ رَجُلًا غَيْرِي وَعُلِّقْتُ أُخْرَى ذَلِكَ الرَّجُلُ^(٢)
بل أقول: [من الطويل]

أحبُّ الذي هَامَ الحبيبُ بحبِّه أَلَا فَاعْجَبُوا مِنْ ذَا الغرامِ المُسَلَّسِلِ^(٣)
ولا بدع فالمعاني بعضها ببعض مشتبك، والمباحث لا يزال نافرها في شرك
الذهن يرتبك. وما أليق هذا المقام بقول ابن عُمَيْرَةَ لَمَّا جعل البرق سميره: [من الطويل]
تَعَرَّضَ مُجْتَازاً وَكَانَ مُذْكَراً بَعْدَ اللَّوَى وَالشَّيْءُ بِالشَّيْءِ يُذْكَرُ^(٤)
ومن وقف على كتاب الحيوان للجاحظ^(٥)، وغالب تصانيفه، ورأى تلك
الاستطرادات التي يستطردها، والانتقالات التي ينتقل إليها، والجمل التي يعترض
بها في غصون كلامه، ويدرجها في أثناء عباراته بأدنى ملايسة، وأيسر مشابهة، علم
ما يلزم الأديب وما يتعين عليه من مشاركة المعارف: [من الخفيف]
هَكَذَا هَكَذَا وَإِلَّا فَلَا لَا طُرُقُ الْجَدِّ غَيْرُ طُرُقِ الْمَزَاحِ
ولم أقصد بما أوردته غير صلة العائد من الفائدة، وبعث النفوس التي هي في
قبور الفتور هامة سامدة^(٦)، فإن المطالعة تستروح إليها النفوس، وتجد في
مراجعتها ما تجده في معاطاة الكؤوس، فالكتاب خير جليس ونعم أنيس، لا يمل
من محادثته الأنيس، وأسمح كريم لا يبخل إلا على الغبي بما عنده من الدرّ
النفيس: [من البسيط]

(١) البيت للأعشى ميمون بن قيس، وهوفي ديوانه: ٣٠٣.

(٢) عُلِّقْتُهَا: أحببتها. عَرْضاً: على غير تَعَمُّد.

(٣) المُسَلَّسِلُ: المتتابع.

(٤) تَعَرَّضَ: تصدّى. مجتازاً: من اجتاز المكان: قطعه.

(٥) هو أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكنانى الليثى، المعروف بالجاحظ: كبير أئمة الأدب.
ولد بالبصرة، وتوفي فيها سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م.

من آثاره: «الحيوان»؛ و«البيان والتبيين». (معجم الأدباء: ٥٢/٦).

(٦) هامة: يابسة مجدبة، أو مُتَعَفِّنة، أو ميتة. سامدة: غافلة، أو ساهية، أو حائرة.

لَمْ يَبْقَ شَيْءٌ مِنَ الدُّنْيَا يُسَرِّبُهُ إِلَّا الدَّفَاتِرُ فِيهَا الشُّعْرُ وَالسَّمَرُ
قال شيخ قرأت عليه مآثر غطفان من كتاب: ذهبت المكارم إلا من الكتب،
والخروج من فنٍ إلى فنٍ أقدر على البحث وأسلط، والانتقال من نوع إلى نوع أنشط
للمطالعة وأبسط، والمشاركة أقوى على الظفر بالصواب وأقوم وأقسط: [من البسيط]
لا يُصْلِحُ النَّفْسَ إِذْ كَانَتْ مُدْبِرَةً إِلَّا التَّنْقُلُ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ
ولأن فيما أوردته ما يتسلط به الواقف على الانتقاء والانتقاد، ويتوصل به إلى
حسن الارتباء والارتداد.

قال الجاحظ: طلبت علم الشعر عند الأصمعي^(١) فوجدته لا يعرف إلا غريبه،
فرجعت إلى الأخفش^(٢) فوجدته لا يتقن إلا إعرابه، فعطفت على أبي عبيدة^(٣) فرأيت
لا ينقل إلا فيما اتصل بالأخبار، وتعلّق بالأنساب والأيام، فلم أظفر بما أردت إلا
عند أدباء الكتاب كالحسن بن وهب^(٤) ومحمد بن عبد الملك^(٥).
قال مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ الْحَمَادِي: حضرت مجلس عبيد الله بن عبد الله بن طاهر^(٦)

(١) هو أبو سعيد، عبد الملك بن قُرَيْب بن علي بن أصمع الباهلي، الأصمعي: راوية العرب،
وأحد أئمة العلم باللغة والشعر والبلدان. توفي سنة ٢١٦هـ/٨٣١م. من آثاره: «الإبل»، و«خلق
الإنسان»، و«الأضداد»، وغيرها.
(تاريخ بغداد: ١٠/٤١٠).

(٢) لُقِّبَ بـ«الأخفش» ثلاثة علماء في اللغة والنحو. ولعله أراد الأخفش الأوسط سعيد مسعدة
البصري، المتوفى سنة ٢١٥هـ/٨٣٠م، لقرب عهد الجاحظ به.

(٣) هو أبو عبيدة، مَعْمَرُ بْنُ الْمُثَنَّى التِّيمِيُّ بِالْوَلَاءِ، البصري: من أئمة العلم بالأدب واللغة. ولد
بالبصرة، وتوفي فيها سنة ٢٠٩هـ/٨٢٤م. من آثاره: «الخيّل»، و«الإنسان»، و«مجاز القرآن»،
وغیرها.

(بغية الوعاة: ٣٩٥؛ تاريخ بغداد: ١/٢٥٢).

(٤) هو أبو علي، الحسن بن وهب بن سعيد الحارثي: كاتب، من الشعراء. استكتبه الخلفاء، وتوفي
سنة ٢٥٠هـ/٨٦٥م.
(الأعلام: ٢/٢٢٦).

(٥) هو أبو جعفر، محمد بن عبد الملك بن أبان، المعروف بابن الزيّات: عالم باللغة والأدب، من
بلغاء الكتاب والشعراء. توفي سنة ٢٣٣هـ/٨٤٧م.
(وفيات الأعيان: ٥/٩٤).

(٦) هو أبو أحمد، عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي: أمير من الأدباء الشعراء.
انتهت إليه رئاسة أسرته. ولي شرطة بغداد، وتوفي فيها سنة ٣٠٠هـ/٩١٣م. (تاريخ بغداد:
٣٤٠/١٠).

وقد حضره البحثري^(١)، فقال: يا أبا عبادة أمسلم أشعر أم أبو نواس؟^(٢) فقال: بل أبو نواس، لأنه يتصرف في كل فن، ويتنوع في كل مذهب، إن شاء جدّ وإن شاء هزل، ومسلم يلزم طريقاً واحداً لا يتعداه، ويتحقق بمذهب لا يتخطاه. فقال له عبيد الله: إن أحمد بن يحيى المعروف بثعلب^(٣) لا يوافقك على هذا. فقال: أيها الأمير ليس هذا من علم ثعلب وأضرابه ممّن يحفظ الشعر ولا يقوله، وإنما يعرف الشعر من دفع إلى مضائقه. فقال: ورثت بك زنادي يا أبا عبادة، وإنّ حكمك في عمّيك أبي نواس ومُسلم وافق حكم أبي نواس في عمّيه جرير والفرزدق^(٤)، فإنه سئل عنهما ففُضِّل جريراً فقليل له: إن أبا عبيدة لا يوافقك على هذا. فقال: ليس هذا من علم أبي عبيدة، وإنما يعرفه من دفع إلى مضائق الشعر، على أنني لم أدعُ الجفلى إلى هذه المأدبة^(٥)، ولا رضىتُ طفيليّ الكلام أن يتصدّر في هذه المرتبة، فكم توقّف القلم في الإذن على ما حصل فيه أدنى لبس، وكم ضاق بواحد من غسّان ولم يسع جميع بني عبّس، وكم دفع عن صدر كثير من المحاسن، وأعرض عن منهل كان ماؤه العذب غير آسن^(٦): [من البسيط]

وهَلْ يُبَاعِدُ عَذْبَ الْمَاءِ ذُو غَصَصٍ أَوْ يَنْشُنِي عَنْ لَذِيذِ الزَّادِ مَنْهُومٌ^(٧)

(١) هو أبو عبادة، الوليد بن عبيد بن يحيى الطائي البحثري: شاعر، أديب، فصيح. ولد بمنج من أعمال حلب، وأقام ببغداد زمناً طويلاً، واختصّ بالمتوكل العباسي. توفي بمنج سنة ٢٨٤هـ/ ٨٩٨م. (طبقات الشعراء، ابن المعتز: ٣٥٨).

(٢) هو أبو نواس، الحسن بن هانئ بن عبد الأول بن صباح الحكمي بالولاء: شاعر العراق في عصره. توفي سنة ١٩٨هـ/ ٨١٤م. (الشعر والشعراء: ٢/ ٦٨٠؛ طبقات الشعراء، ابن المعتز: ١٧٥).

(٣) هو أبو العباس، أحمد بن يحيى بن زيد بن سيّار الشيباني بالولاء، المعروف بثعلب: إمام الكوفيين في اللغة والنحو، محدّث، راوية. ولد ببغداد، وتوفي فيها سنة ٢٩١هـ/ ٩٠٤م. من آثاره: «الفصيح»، و«مجالس ثعلب»، و«قواعد الشعر». (تاريخ بغداد: ٢٠٤/ ٥).

(٤) جرير: هو أبو حذرة، جرير بن عطية بن الخطمي الكلبّي، اليربوعي، التميمي: شاعر أموي فحل. ولد باليمامة، وتوفي فيها سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م. (طبقات الشعراء، ابن سلام: ٣٧٤؛ الأغاني: ٣/ ٨).

الفرزدق: هو أبو فراس، همام بن غالب بن صعصعة بن مجاشع الدارمي التميمي: شاعر أموي، من الطبقة الأولى، من أهل البصرة. توفي سنة ١١٠هـ/ ٧٢٨م. (الشعر والشعراء: ١/ ٣٨١؛ الأغاني: ٢١/ ٢٩٩).

(٥) الجفلى: أن تدعو الناس عامةً إلى طعامك؛ قال طرفة بن العبد:

نَحْنُ فِي الْمَشْتَاةِ نَدْعُو الْجَفْلَى لَا تَرَى الْآدَبَ فِينَا يَنْتَقِرُ

(ديوانه: ٥٥).

(٦) الماء الآسن: المُنْبَتُّ، المُتَغَيَّرُ طَعِماً وَلَوْناً وَرَائِحَةً.

(٧) الغَصَصُ: يقال: غَصَّ بالماء غَصّاً، وَغَصَصاً: وقف في حلقه فلم يكد يُسيغه. المنهوم: المُولعُ بالشيء، أو الرّغيب الذي يمتلئ بطنه ولا تنتهي نفسه.

نعم، خشيت الإطالة، واجتنبت العثرة خوفاً من عدم الإقالة^(١)، وفررت من الزيادة حتى لا يكون ضغثاً^(٢) على إباله^(٣)، وقلتُ مع ضوء الشمس لا يظهر فضل الذُّبالة^(٤)، ومع الظفر بالصيد لا فكرة في الجِبالة؟^(٥)، ومع الحصول على متاع البيت لا يُلْتَفَت إلى الزُّبالة^(٦)، فأضربت عن التجمل بالأثيل الأثير^(٧)، وعلمت أن من الناس من يقرأ لِنافع^(٨) ولا يقرأ لابن كثير^(٩)، فاقتصرت على الزبد واختصرت، وملت في المباحث إلى قول المتأخرين وانتصرت، اللهم إلا فيما ندر، وخان هذا الشرط وغدر.

قال بعضهم: الأديب من يكتب أحسن ما يسمع، ويحفظ أحسن ما يكتب، ويورد أحسن ما يحفظ. ومثل هذا قول عبد الرحمن بن مهدي: إذا لقي الرجل الرجل فوفقه في العلم كان يوم غنيمته، وإذا لقي من هو مثله كان يوم دراسته، وإذا لقي من هو دونه تواضع له وعلمه، ولا يكون إماماً في العلم من حدّث بكل ما سمع، ولا يكون إماماً من حدّث عن كل أحد، ولا يكون إماماً من حدّث بالشاذ، فلهذا عرضت نخب فكري وانتقيت، وعلوت عن التعرّض للرّذّل وارتقيت، ولم أنتق له إلا ما كان أدبه غُضّاً، ولم أختر منه إلا ما كان نفعه نَضّاً^(١٠)، مما راق جنّي، ولاق سنّي^(١١)، ووجد المعنى فيه بريئاً من العنا، وحمّته من الأوراق بيض الطُّبّا^(١٢)، ومن الأقلام سمر القنا، لئلا يكون هذا القول الشارح محمود المَقْدَم مذموم التالي، وحتى لا ينظر السائل حسنه بعين السالي، فتصبح آماليه بعد القائل

(١) الإقالة: يقال: أقال الله عثرته: صفح عنه وتجاوز، واستقاله: سأله أن يصفح عنه.

(٢) الضغث: قبضة حشيش يختلط فيها الأبيض باليابس.

(٣) الإباله: الأعواد ونحوها، وقيل: الحزمة من الحطب. وضغث على إباله: بلية على أخرى. (مجمع الأمثال، الميداني: ٤١٩/٢).

(٤) الذُّبالة: الفتيلة.

(٥) الجِبالة: الشَّرْكُ، أو الفَخُّ.

(٦) الزُّبالة: القُمَامَة، ويقال: ما في الإناء زُبالة: شيء.

(٧) الأثيل: الأصيل. الأثير: المُفَضَّل على غيره.

(٨) نافع: هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي المدني: أحد القراء السبعة المشهورين. اشتهر في المدينة، وانتهت إليه رئاسة القراءة فيها. توفي سنة ١٦٩هـ/٧٨٥م. (الأعلام: ٥/٨).

(٩) هو أبو معبد، عبد الله بن كثير الداري المكي: أحد القراء السبعة، كان قاضي الجماعة بمكة، وكان يحترف العطارة. توفي سنة ١٢٠هـ/٧٣٨م. (الأعلام: ١١٥/٤).

(١٠) النَّضُّ: الإظهار، أو الحاصل، أو المُيسَّر؛ ويقال: نَضَّ الماء نَضّاً: سال.

(١١) لاق الشيء: وافق وناسب.

(١٢) الطُّبّا: جمع الطبّة: حدّ السيف.

عند القالي^(١)، وقد علّقت هذا الشرح وأنا في هموم قد علم الله ترادف بعوثها، وانسكاب غمائم غمومها وغيوثها، وافتراس فوارسها، وأذهلني الجنس عن ذكر ليوثها، قد لهجت في نهج الكناية بكيت، أو التصغير بالثريا عن الكميت، وامتنعت الراحة مني امتناع الفاء من الدخول على خبر لعل وليت: [من الطويل]

وإلا فَمَا بالي وَلَمْ أَشْهَدِ الوَعَى أَبَيْتُ كَأَنِّي مُثَخَّنٌ بِجِرَاحٍ^(٢)

أتجرع كؤوساً علق بها العلقم، وأساور^(٣) على الأرق منها ما هو أنفث سمّاً من الأرقم^(٤)، وأتلقى بصدري كل صدع قد يئس من الجبر^(٥)، وألتزم بحملها التزام واصل بن عطاء^(٦) بالقدر أو جهم بن صفوان^(٧) بالجبر، وأعالج منها كل جراحة بعد غورها عن السبر^(٨)، وأتطلب رضى الأيام وهي عليّ أشدّ حقداً من سلامة بنت سعدٍ على عاصم حمي الدبر، وألقى جيوش الخطوب وأنا عارٍ. نعم ذكرت بالسجع أن لي درعاً من الصبر، وأعدّ في الأحياء وأنا من الأموات ولكن ما ضمتني جوانح القبر: [من الكامل]

فالأَرْضُ تَعْلَمُ أَنَّنِي مُتَصَرِّفٌ مِنْ فَوْقِهَا وَكَأَنَّنِي مِنْ تَحْتِهَا فكيف يتألق مع هذا الحال برقُ فكر، وكيف يترقق ودق^(٩) ذكر، وكيف تعلق يد الذهن بذيل مسألة، وكيف يتعقل بحثاً وقد غمّه غمه وله وله، وكيف يعرف الكلمة الأولى من الثانية ولا أقول الأوّلة، وكيف وكيف وكيف، وأني

(١) القالي: المُبغض، والقالي: هو أبو علي القالي، إسماعيل بن القاسم، الأديب المشهور، صاحب كتاب «الأمالى»، المتوفى سنة ٣٥٦هـ.

(٢) الوعى: الحرب. مُثَخَّنٌ بِجِرَاحٍ: يقال: أثخن الأمر فلاناً: تكاثر عليه وغلبه، وأثخن فلاناً في الأمر: بالغ فيه.

(٣) أساور: أوأثب.

(٤) نفثت الحية السمّ: رمت به من فيها. الأرقم: ذكر الحيات، أو أخبثها.

(٥) الجبر: يقال: جبر العظم الكسير جبراً: أصلحه.

(٦) هو أبو حذيفة، واصل بن عطاء الغزالي: رأس المعتزلة، ومن أئمة البلغاء المتكلمين، سمي أصحابه بالمعتزلة لاعتزالهم حلقة الحسن البصري بالمسجد. توفي سنة ١٣١هـ/٧٤٨م. (وفيات الأعيان: ٧/٦).

(٧) هو أبو محرز، جهم بن صفوان السمرقندي: رأس الجهمية، من المبدعين الضالين. قُتل سنة ١٢٨هـ/٧٤٥م. (الأعلام: ١٤١/٢).

(٨) السبر: يقال: سبر الجرح سبراً: قاس غوره بالمسبار.

(٩) الودق: المطر، وترقق الودق: تحرك واضطرب، أو جرى جرياً سهلاً وتسلسل، ومنه: ترقيق السراب ونحوه: لمع وتلاّأ.

كمن يتردد بين جناس الحتف والخيف والحيف^(١): [من الطويل]
 وَمَا مِثْلُ هَذَا الْأَمْرِ تَحْمِلُ مُضْغَةً وَلَكِنْ قَلْبِي فِي الرَّدَى مَقْلُوبٌ
 وَلَكِنْ قَدْ يَلِفْتُ الْحِطُّ الْأَعِنَّةَ، وَيَثُورُ كَمِي اللَّطْفِ^(٢) الْخَفِيِّ لِهَذَا الْخُمُولِ
 وَتَشْرَعُ الْأَسِنَّةُ، وَتَضَعُ الْأَيَّامُ حِمْلَهَا فَإِنَّ الْأَمَالَ فِي بَطُونِهَا أَجِنَّةً، وَلَيْسَ إِلَّا حَسَنَ
 الظَّنِّ بِاللَّهِ فَإِنَّهُ ثَمَنُ الْجَنَّةِ: [من السريع]

إِنْ خَتَمَ اللَّهُ بِعُفْرَانِهِ فَكُلُّ مَا لَاقَيْتُهُ سَهْلٌ
 اعترضت بهذا الفصل، وقطعت به لذة ذلك الوصل، ليعذر الواقف على
 الخطأ، ويتحقق السبب في عدم نوم القطا، لأن هذه الأوراق ما فيها غير هذه
 القصيدة ثمر، ولو عاين الطغرائي رحمه الله هذا الشرح لقال: أراني السُّها لما أريته
 القمر. وما أولاني بقول العماد الكاتب^(٣): [من الخفيف]

هِيَ كُتْبِي فَلَيْسَ تَصْلُحُ مِنْ بَعْدِ دِي لَغَيْرِ الْعَطَارِ وَالْإِسْكَافِ
 هِيَ إِمَّا مَزَاوِدٌ لِلْعَقَاقِي رِوَامًا بِطَائِنٍ لِلْخَفَافِ^(٤)
 وقول مجير الدين محمد بن تميم الأسعدي^(٥): [من الطويل]

عَرَضْتُ كِتَابِي كَيْ يُبَاعَ بِدَرَاهِمٍ عَلَى مُشْتَرٍ عِنْدَ الْوَفَاءِ شَحِيحٍ^(٦)
 رَأَى خَطُّهُ ذَا عِلَّةٍ فَأَعَادَهُ وَمَنْ يَشْتَرِي ذَا عِلَّةٍ بِصَحِيحٍ
 ومن هنا أشرع في ذكر الطغرائي رحمه الله، وتاريخ مولده ووفاته وسبب
 قتله، وما اتفق له في ذلك. ثم أتلوه بشيء من شعره المقاطيع التي له، ثم أتكلم

(١) الْحَتْفُ: الهلاك. الْخَيْفُ: الناحية، أو ما انحدر من غِلَظِ الجبل وارتفع عن مسيل الماء. الْخَيْفُ: الجور والظلم.

(٢) الْكَمِينُ: المُسْتَخْفِي، من كمن في المكان كُمُونًا: تَوَارَى أو استخفى. اللَّطْفُ (من قبل الله تعالى): التوفيق والعصمة، واللُّطْفُ بالشَّيء: الرَّفْقُ به.

(٣) هو أبو عبد الله، عماد الدين، محمد بن صفى الدين الأصبهاني: مؤرخ، من أكابر الكتاب. ولد في أصفهان، وتوفي بدمشق سنة ٥٩٧هـ/١٢٠١م. (وفيات الأعيان: ٥/١٤٧).

(٤) المزاود: جمع المَزَوْد: وعاء الزَّاد. الْخِفَافُ: جمع الْخَفْ: ما يُلبَس في الرَّجُل من جِلْدٍ رقيق.

(٥) هو أبو عبد الله، مجير الدين، محمد بن يعقوب بن علي بن تميم الحموي الأسعدي: شاعر من أمراء الجند، من أهل دمشق. استوطن حماة، وخدم صاحبها الملك المنصور، وتوفي سنة ٦٨٤هـ/١٢٨٥م. (شذرات الذهب، ابن العماد: ٥/٣٨٩؛ الأدب في العصر المملوكي، زغلول سلام: ٢/١٩١).

(٦) الشَّحِيحُ: الشَّدِيدُ الْبُخْل.

فيما بعد على عروض القصيدة وقافيتها، وما يتعلق بذلك. وإذا انتهى الأمر إلى ذلك أجمع، سردت القصيدة بيتاً فبيتاً، ولا أذكر الثاني حتى أفرغ من الأول، وأسوق فيه ما له به علاقة لا يستغني الأديب عنها. ومن الله أستمد الإعانة على الإبانة، وأسأله التوفيق إلى التحقيق، لا هُدًى إلا بنوره، ولا بياناً لمتكلمٍ إن لم يُورهِ، عليه توكلت وإليه أُنيب.

ذكر مولد الطغرائي ووفاته (رحمه الله)

هو العميد مؤيد الدين فخر الكتاب أبو إسماعيل الحسين بن علي بن محمد بن عبد الصمد الأصبهاني المنشئي المعروف بالطغرائي بضم الطاء المهملة وسكون الغين المعجمة وفتح الراء، وهذه نسبة إلى من يكتب الطغرى وهي الطرة التي تُكتب في أعلى الكتب فوق البسملة بالقلم الجلي، تتضمن نعوت الملك وألقابه، وهي لفظة أعجمية.

قال قاضي القضاة شمس الدين أحمد بن خلّكان^(١): «كان غزير الفضل، لطيف الطبع، فاق أهل عصره بصنعة النظم والنثر». وذكره السمعاني^(٢) في كتاب الأنساب وأثنى عليه، وأورد له قطعة من شعره في وصف الشمعة، وذكر أنه قُتل في سنة خمس عشرة وخمسائة. وللطغرائي المذكور ديوان شعر جيد، ومن محاسن شعره قصيدته المعروفة بلامية العجم، وكان عملاً ببغداد سنة خمس وخمسائة، يصف فيها حاله، ويشكو زمانه، ولم يذكر القصيدة مستوفاة، وأتبعها بمقاطع من شعره، ثم قال: وذكره أبو المعالي الخطيري^(٣) في كتاب «زينة الدهر»، وذكر له مقاطيع. وذكره أبو البركات^(٤)، ابن المستوفي في «تاريخ إربل»، وقال: إنه وُلِّي مقاطيع.

(١) هو أبو العباس، شمس الدين، أحمد بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن خلّكان البرمكي الإربلي: مؤرخ حجة، وأديب ماهر. عمل في القضاء، والتدريس. توفي بدمشق سنة ٦٨١هـ/ ١٢٨٢م. (النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: ٣٥٣/٧).

(٢) هو أبو سعد، عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني: مؤرخ، رحالة، من حفاظ الحديث. وُلد بمرو، وتوفي فيها سنة ٥٦٢هـ/ ١١٦٧م. من آثاره: «الأنساب»، و«أدب الإملاء والاستملاء». (النجوم الزاهرة: ٥٦٣/٥).

(٣) هو أبو المعالي، سعد بن علي بن القاسم بن علي بن القاسم الأنصاري، الخزرجي الخطيري، المعروف بالورّاق: أديب، شاعر. توفي ببغداد سنة ٥٦٨هـ/ ١١٧٢م. (كشف الظنون: ٢/ ٩٧٢؛ معجم المؤلفين، كحالة: ٢١٢/٤).

(٤) هو أبو البركات، المبارك بن أحمد بن المبارك اللخمي، الإربلي، المعروف بابن المستوفي: عالم، أديب، شاعر، ناثر، مُشارك في أنواع من العلوم. وُلد بقلعة إربل، وتوفي بالموصل سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م. (كشف الظنون: ٢٨١/١؛ معجم المؤلفين: ١٧٠/٨).

الوزارة بمدينة إربل^(١) مدّة. وذكر العماد الكاتب في كتاب «نصرة الفطرة وعصرة القطرة»^(٢) وهو تاريخ الدولة السلجوقية أنّ الطغرائي كان ينعى بالأستاذ، وكان وزير السلطان مسعود بن محمد السلجوقي بالموصل، وأنه لما جرى بينه وبين أخيه السلطان محمود المصافى بالقرب من همدان والريّ، وكانت النصرة لمحمود، فأول من أخذ الأستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود، فأخبر به وزير محمود، وهو الكمال نظام الدين أبو طالب عليّ بن أحمد بن حرب السّميري، فقال الشهاب أسعد وكان طغرائياً في ذلك الوقت نيابة عن النصر الكاتب: هذا الرجل مُلحد (يعني الأستاذ). فقال وزير محمود: من يكن مُلحداً يُقتل. فقتل ظلماً. وقد كانوا خافوا منه لفضله فاعتمدوا قتله بهذه الحجّة، وكانت الواقعة سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وقيل: سنة أربع عشرة، وقيل: ثماني عشرة، وقد جاوز ستين سنة. وفي شعره ما يدل على أنه بلغ سبعاً وخمسين سنة لأنه قال وقد جاءه ولد: [من البسيط]

هذا الصغير الذي وافى على كبرٍ أقرّ عيني ولكن زاد في فكري
سبع وخمسون لو مرّت على حجرٍ لبان تأثيرها في ذلك الحجر
والله أعلم بما عاش بعد ذلك. وقتل السّميري المذكور يوم الثلاثاء سلخ صفر سنة ست عشرة وخمسمائة في السوق ببغداد عند المدرسة النظامية. قيل: قتله عبد أسود كان للطغرائي لأنه قتل أستاذه.

وقال عز الدين بن الأثير^(٣) في «الكامل» في ترجمة سنة أربع عشرة وخمسمائة: واتصل الأستاذ أبو إسماعيل الحسين بن علي الأصهباني الطغرائي بالملك مسعود، وكان ولده أبو المؤيد محمد بن إسماعيل يكتب الطغرى مع الملك مسعود. فلما وصل والده استوزره الملك مسعود بعد أن عزل أبا علي بن عمّار صاحب طرابلس سنة ثلاث عشرة وخمسمائة بباب خوما، فحسن ما كان دبّيس

(١) إربل: قلعة حصينة، ومدينة كبيرة، في فضاء من الأرض واسع بسيط. ولقلعتها خندق عميق. وسور المدينة ينقطع في نصفها، وفي هذه القلعة أسواق ومنازل للرعية، وجامع للصلاة، وهي شبيهة بقلعة حلب. وقد بنى مدينة إربل الأمير مظفر الدين كوكبري، وأقام بها. (معجم البلدان: ١/١٣٧).

(٢) في كشف الظنون (٢/١٩٥٦): «نصرة الفترة وعصرة القطرة».

(٣) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، الجزري، عز الدين: مؤرخ، إمام، عالم بالأدب والأنساب.

ولد ونشأ في جزيرة ابن عمر، وتوفي بالموصل سنة ٦٣٠هـ/١٢٣٣م. (وفيات الأعيان: ٣/٣٤٨).

يكاتب به من مخالفة السلطان محمود والخروج عن طاعته وظهور ما هم عليه. فبلغ السلطان محمود الخبر، فكتب إليهم يخوّفهم إن خالفوه، ويعدّهم الإحسان إن أقاموا على طاعته وموافقته. فلم يصغوا إلى قوله وأظهروا ما كانوا عليه. ثم قال ابن الأثير بعد أسطر قلائل: فانهزم عسكر الملك مسعود آخر النهار، وأسر منهم جماعة كثيرة من أعيانهم، وأسر الأستاذ أبو إسماعيل وزير مسعود، فأمر السلطان محمود بقتله. وقال: قد ثبت عندي فساد دينه واعتقاده. وكانت وزارته سنةً وشهراً وقد جاوز ستين سنة. وكان حسن الكتابة والشعر يميل إلى صناعة الكيمياء، وله فيها تصانيف قد ضيعت من الناس أموالاً لا تُحصى.

وذكره العماد الكاتب في «الخريدة» فقال: الطغرائي خدّم السلطان العادل ملك شاه بن آلب رسلان. وكان منشي السلطان مُحمّد مدّة مملكته، متولي ديوان الطغرى، ومالك قلم الإنشاء، تشرفت به الدولة السلجوقية، وتشوقت إليه المملكة الأيوبية، وتنقّل في مراقبي المناصب، وتوقّل^(١) في مراقب المراتب، وتولّى الاستيفاء، وترشّح للوزارة، واستبدّ بالحكم، وتوشّح بالكفاية، ولم يكن للدولتين السلجوقية والإمامية من يُضاهيه في الترسل والإنشاء سوى أمين الملك أبي نصر حفص من أهل أصفهان^(٢)، المنشي في عهد نظام الملك والفضل له لتقدمه، ولكن برز هذا في فنون العلم وحسن الاستعارة في النثر والنظم، ورأى في العلوم العربية المصعب فأصبح، وسلك المذهب المذهب، وأبدع المعنى المهذب، وله معجز البلاغة المعجب، وصاحب البيان المغرب، فأما شعره فعبّر الشعرى العبور^(٣) علوّ عبارة، وسموّ استعارة، وسموّ راية، وشروق آية، وتناسق مقصد وغاية، وتناسب بداية ونهاية، وأما نثره فنثر الدراري والدُرر، ومنثور الزهر، وأما خلائقه فمفطورة على الكرم، موقورة بحسن الشيم، متأرجة بعرف العرف^(٤)، متموجة بماء اللطف، متبلّجة بنور الظرف، متوهّجة بنار الحسن، مبهجة بنور اليمن. حدّثني الإمام مُحمّد بن الهيثم بأصفهان عنه وهو الذي سمعت شعره منه أنه كشف بذكائه سرّ

(١) توقّل في المراتب: صعد فيها.

(٢) أصفهان: مدينة عظيمة مشهورة، من نواحي الجبل، في آخر الإقليم الرابع. طولها ست وثمانون درجة، وعرضها ست وثلاثون. وكانت معروفة بطبيب هوائها، وخلوها من الهوام. (معجم البلدان: ٢٠٦/١).

(٣) الشعرى: كوكب نيرٍ يطلع عند شدة الحرّ؛ قال تعالى: ﴿وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَى﴾ [النجم: ٤٩]. وهما شعريان: الشعرى العبور، والشعرى الغميضاء.

(٤) العرف: الرائحة مطلقاً، وأكثر ما يُستعمل في الطيبة منها. العرف: المعروف، وهو خلاف المنكر.

الكيمياء المرموز، واستخرج من مُعَمَّاه المكنوز، لم يزل في مدّة حياته مُصدِّراً في الدسوت، مُوقِّراً بالنعوت، حليفاً بل جليساً أنيساً للسلّاطين والملوك، مُحبِّراً بنظمه ونشره الموشى المحبوك، فلمّا انتهت الأيام الغياثية المحمدية واستوفت مدتها، استأنفت الدولة المغيثة المحمودية جدّتها، واستقر الشهاب أسعد في مكانه، وانتصب في منصب ديوانه، وكان السلطان مسعود بن مُحمّد حينئذٍ ملكاً صغيراً فاستوزر أبا إسماعيل ورؤّض به رؤّض مُلكه المحيل، وأصبح بالمؤيد مؤيداً ويسداده مُسدّداً، حتى اتّفقت بينه وبين أخيه السلطان محمود الحرب التي أودعت أهل الفضل الحَرَب، وَقَلَّتْ^(١) العلم والأدب. ولما مسّ عود مسعود العجم^(٢) انكسر، وأحجم مُقدّم جيوشه جوشك، وألقى قناع الهزيمة فانحسر، وأدرك الأستاذ رحمه الله فأسر، وطغى رأي الطُّغرائي في حقّه، فسعى في حتفه خوفاً على منصبه فأجال في نَصَبه، وأعطى الرضى بغضبه، وفتك به وقت أسره، بل قُدِّم سراً، وقُتل صبراً، قبل أن ينبّه بأمره، وينوّه بقدره. وأزر الطُّغرائي الوزير، وعانده التقدير، ففاز بالشهادة، وخُتم له بالسعادة، وذلك في سنة خمس عشرة وخمسائة. فهذا من جملة من قَتَلَهُ فَضْلُهُ، ورماه بِبُئْلِ الدهر نبْلُهُ، وألحفه رداء الردى علمه، وسامه الأدب فهام به في حيرة التّيه فهمه، وحّده الدهر فاغتاله، وقلّص بعد السبوغ ظلاله، بل غار الزمان على مثله من بين الجُهل فاستردّه، وأخلق من الابتهاج بفضله ما استجدّه.

اقتصرت هنا على ما ذكره العماد الكاتب. قلت: فعلى ما ذكره ابن خلكان عن مستوفي إربل، وابن الأثير أيضاً يكون مولد الطُّغرائي في عشر السنين بعد الأربعمئة تقريباً، والخلاف في وفاته مبني على الخلاف في الواقعة التي كانت بين الملك مسعود وأخيه السلطان محمود كما مرّ في كلام مستوفي إربل. وأخبرني العالم العلامة شمس الدين مُحمّد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري بالقاهرة المحروسة أن الطُّغرائي لمّا عزم أخو مخدومه على قتله أمر به أن يُشدّ إلى شجرة وأن يقف تجاهه جماعة ليرموه بالسهم ففعل به ذلك، وأوقف إنساناً خلف الشجرة من غير أن يشعر به الطُّغرائي، وأمره أن يسمع ما يقول، وقال لأرباب السهم: لا ترموه إلّا إذا أشرت إليكم. فوقفوا والسهم في أيديهم مفوكة^(٣)

(١) قَلَّتْ الشّيءُ: فَسَدَ، وَقَلَّتْ فلان: تَعَرَّضَ للهلاك.

(٢) عَجَمَ العود عَجْماً وعُجُوماً: عَضَّه ليعلم صلابته من رخاوته، ومنه يقال: عجم فلاناً، وعجم عوده: امتحنه واختبره.

(٣) فَوْقَ السَّهْمِ: عمل له فَوْقاً، والفَوْقُ من السَّهْمِ: حيث يثبت الوتر منه.

لرميه، فأُشِد الطُّغرائي في تلك الحالة: [من الكامل]

وَلَقَدْ أَقُولُ لِمَنْ يُسَدُّ سَهْمُهُ نَحْوِي وَأَطْرَافُ الْمَنِيَةِ شُرْعٌ^(١)
وَالْمَوْتُ فِي لِحَظَاتِ أَحْوَرِ طَرْفِهِ دُونِي وَقَلْبِي دُونَهُ يَتَقَطَّعُ^(٢)
بِاللَّهِ فَتَشَّ عَنْ فُؤَادِي هَلْ يُرَى فِيهِ لَغَيْرِ هَوَى الْأَحَبَّةِ مَوْضِعُ
أَهْوُنَ بِهِ لَوْلَمْ يَكُنْ فِي طِيَّهِ عَهْدُ الْحَبِيبِ وَسِرُّهُ الْمُسْتَوْدَعُ^(٣)

فَرَّقَ لَهُ وَأَمَرَ بِإِطْلَاقِهِ فِي ذَلِكَ الْوَقْتِ، ثُمَّ إِنَّ الْوَزِيرَ عَمَلَ عَلَى قَتْلِهِ فِيمَا بَعْدَ وَقُتْلِهِ. قُلْتُ: مَا هَذَا إِلَّا ثَبَاتٌ جَنَانٍ^(٤) بَلْ ثَبُوتٌ جُنُونٍ. لَقَدْ أَرَبَى هَذَا فِي الثَّبَاتِ وَالشَّجَاعَةِ وَعَدَمِ الْإِتْفَاتِ إِلَى الْحَيَاةِ وَنَفَادِهَا وَالْوَفَاءِ بِشَرَطِ الْمَحَبَّةِ وَالذِّكْرِ لِمُحِبِّهِ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ عَلَى عَنَتَرَةِ الْعَبْسِيِّ^(٥) وَغَيْرِهِ مِمَّنْ تَبِعَهُ مِنَ الشُّعْرَاءِ فِي قَوْلِهِ: «وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ»^(٦). وَالْأَبْيَاتُ فِي هَذَا الْمَعْنَى مَشْهُورَةٌ، وَلَوْلَا خَوْفُ الْإِطَالَةِ هَاهُنَا لَذَكَرْتُهَا. وَلَعَلَّهَا تَرَدَّدَتْ فِيمَا بَعْدَ فِي أَثْنَاءِ هَذِهِ الْأَوْرَاقِ.

وَأَمَّا حُلُّهُ رَمُوزَ الْكِيمِيَاءِ فَإِنَّ لَهُ فِيهَا تَصَانِيفَ، وَهِيَ مَعْتَبَرَةٌ عِنْدَ أَرْبَابِهَا، مِنْهَا: كِتَابُ «مِفْتَاحِ الرَّحْمَةِ وَمَصَابِيحِ الْحِكْمَةِ»، وَمِنْهَا «جَامِعُ الْأَسْرَارِ»، وَكِتَابُ «تَرَكَيبِ الْأَنْوَارِ»، وَرِسَالَةٌ وَسَمَّاهَا «بَذَاتُ الْفَوَائِدِ»، وَكِتَابُ «حَقَائِقِ الْإِسْتِشْهَادَاتِ»، بَيَّنَّ فِيهِ إِثْبَاتَ صِنَاعَةِ الْكِيمِيَا وَالرَّدَّ عَلَى ابْنِ سِينَا^(٧) فِي إِبْطَالِهَا بِمَقْدَمَاتٍ مِنْ كِتَابِ «الشِّفَاءِ»، وَلَهُ مَقَاطِيعُ شِعْرِ فِي الصَّنْعَةِ، وَلَهُ دِيْوَانُ شِعْرِ عَلَى عَادَةِ الشُّعْرَاءِ، وَمِنْ شِعْرِهِ قَوْلُهُ: [من الكامل]

أَمَّا الْعُلُومُ فَقَدْ ظَفَرْتُ بِبُغْيَتِي مِنْهَا فَمَا أَحْتَاجُ أَنْ أَعْلَمَ مَا

(١) شُرْعٌ: مِنْ شَرَعَ الشَّيْءُ: أَعْلَاهُ وَأَظْهَرُهُ.

(٢) طَرْفٌ أَحْوَرٌ: فِيهِ حَوَرٌ، وَهُوَ شِدَّةُ بَيَاضِ بَيَاضِ الْعَيْنِ مَعَ شِدَّةِ سَوَادِ سَوَادِهَا.

(٣) الْمُسْتَوْدَعُ: الْمُسْتَحْفَظُ، يُقَالُ: اسْتَوْدَعْتُ فُلَانًا وَدِيعَةً: اسْتَحْفَظْتُهُ إِيَّاهَا.

(٤) الْجَنَانُ: الْقَلْبُ.

(٥) هُوَ عَنَتَرَةُ بْنُ شَدَادَ بْنِ عَمْرٍو بْنِ مَعَاوِيَةَ الْعَبْسِيِّ: شَاعِرٌ مِنْ فُرْسَانَ الْعَرَبِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ. تَوَفَّى نَحْوَ ٢٢ ق. هـ/ نَحْوَ ٦٠٠ م.

(طَبَقَاتُ الشُّعْرَاءِ، ابْنُ سَلَامٍ: ١٥٢؛ الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ، ابْنُ قَتَيْبَةَ: ١/ ١٧١).

(٦) يَرِيدُ قَوْلَ عَنَتَرَةَ بْنِ شَدَادَ:

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالرَّمَاخُ نَوَاهِلُ مَتْنِي وَبَيْضُ الْهِنْدِ تَقْطُرُ مِنْ دَمِي
فَوَدِدْتُ تَقْبِيلَ السُّيُوفِ لِأَنَّهَا لَمَعَتْ كِبَارِقُ ثَعْرِكَ الْمُتَبَسِّمِ

(شرح المعلقات العشر: ٢٧١).

(٧) هُوَ أَبُو عَلِيٍّ، الْحَسَنِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ سِينَا، شَرَفَ الْمَلِكُ: الْفِيلَسُوفُ الرَّئِيسُ، صَاحِبُ التَّصَانِيفِ فِي الطَّبِّ وَالْمَنْطِقِ وَالطَّبِيعِيَّاتِ وَالْإِلَهِيَّاتِ. أَصْلُهُ مِنْ بَلْخِ، وَنَشَأَ وَتَعَلَّمَ فِي بُخَارَى، وَتَوَفَّى بِهَمْدَانَ سَنَةَ ٤٢٨ هـ/ ١٠٣٧ م. (وَفَيَاتُ الْأَعْيَانِ: ٢/ ١٥٧).

وَعَرَفْتُ أَسْرَارَ الْخَلِيقَةِ كُلِّهَا عَلِمًا أَنَارَ لِي الْبَهِيمَ الْمُظْلَمًا^(١)
وَوَرِثْتُ هِرْمَسَ سِرِّ حِكْمَتِهِ الَّذِي مَا زَالَ ظَنًّا فِي الْغُيُوبِ مُتَرْجِمًا
وَمَلَكْتُ مِفْتَاحَ الْكُنُوزِ بِفُطْنَةٍ كَشَفْتُ لِي السِّرَّ الْخَفِيَّ الْمُبْهَمًا^(٢)
لَوْلَا الثَّقِيَّةُ كُنْتُ أَظْهَرُ مُعْجَزًا مِنْ حِكْمَتِي يَشْفِي الْقُلُوبَ مِنَ الْعَمَى^(٣)
أَهْوَى التَّكْرُمَ وَالتَّظَاهَرَ بِالَّذِي عَلَّمْتَهُ وَالْعَقْلُ يَنْهَى عَنْهُمَا
وَأَرِيدُ لَا أَلْقَى غَبِيًّا مُوسِرًا فِي الْعَالَمِينَ وَلَا لَبِيبًا مُعَدَمًا^(٤)
وَالنَّاسُ إِمَّا ظَالِمٌ أَوْ جَاهِلٌ فَمَتَى أَطِيقُ تَكْرُمًا وَتَكَلُّمًا

قلت: يقال إن طلب الكيمياء أول ما ظهر في جبابرة قوم هود وتعاطوا ذلك وبنوا مدينةً من ذهبٍ وفضةٍ لم يُخلَقْ مثلها في البلاد، وهذه اللفظة معربة من اللفظ العبراني وأصله من كَيْمَ يَهْ معناه أنه من الله، والأشبه أنها فارسيّة، فمعنى كَيْمٍ مِيا متى تجيء على الاستبعاد. وكان الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية^(٥) ينكر ثبوتها وصنّف رسالة في إنكارها وردّ عليه فيها نجم الدين بن أبي الدرّ البغدادي وزيّف ما قاله. وأما الإمام فخر الدين الرازي^(٦) فإنه في المباحث المشرقية عقد فصلاً في بيان إمكانها فقال: سلم إمكان صبغ النحاس بصبغ الفضة، والفضة بصبغ الذهب، وإن يزال عن الرصاص أكثر ما فيه من النقص فإما أن يكون الفصل المنوع يُسلب أو يُكتسب. قال: فلم يظهر لي إمكانه بعد. إذ هذه الأمور المحسوسة يشبه أن لا تكون هي الفصول التي تصير بها هذه الأجساد أنواعاً بل هي أعراض، ولوازم فصولها مجهولة، وإذا كان الشيء مجهولاً كيف يمكن أن يقصد قصد إيجاده أو إفنائه. ثم إن الإمام ذكر حججاً أخرى للفلاسفة على امتناعها، وأبطل بعد ذلك ما قاله الشيخ وغيره، وقرار إمكانها. واستدلّ الإمام أيضاً في الملخص على إمكانها، فقال:

- (١) الْبَهِيمُ: الأسود، وليل بهيم: لا ضَوْءَ فيه إلى الصباح.
- (٢) الْمُبْهَمُ: الغامض، أو ما يصعب على الحاسة أو الفهم إدراكه.
- (٣) الثَّقِيَّةُ: الخشبية والخوف، أو إخفاء الحقّ ومصانعة الناس في غير دولتهم تحرّزاً من التآلف.
- (٤) الْمُسِيرُ: الغني. اللَّيْبُ: العاقل.
- (٥) هو أبو العباس، أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحرّاني، الدمشقي، الحنبلي، تقي الدين، المعروف بابن تيمية: شيخ الإسلام، الإمام. ولد في حرّان، وتوفي معتقلاً بقلعة دمشق سنة ٧٢٨هـ/١٣٢٨م. (البداية والنهاية، ابن كثير: ١٤/١٤١).
- (٦) هو أبو عبد الله، محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، البكري، فخر الدين الرازي: الإمام المُفسّر، أوحّد زمانه في المعقول والمنقول وعلم الأوائل. ولد، في الريّ، وتوفي في هراة سنة ٦٠٦هـ/١٢١٠م. (البداية والنهاية: ١٣/٦٠).

الإمكان العقلي ثابت لأن الأجسام مشتركة في الجسمية، فوجب أن يصح على كل واحدٍ منها ما يصح على الكلّ على ما ثبت. وأما الوقوع فلأن انفصال الذهب عن غيره باللّون والرزانة، وكل واحدٍ منهما يمكن اكتسابه، ولا منافاة، نعم الطريق إليه عسر.

وحكى أبو بكر بن الصّائغ المعروف بابن باجّه الأندلسي^(١) في بعض تعاليقه عن الشيخ أبي نصر الفارابي^(٢) أنه قال: قد بين أرسطوطاليس^(٣) في كتبه في المعادن أن صناعة الكيمياء داخلة تحت الإمكان إلا أنها من الممكن الذي يعسر وجوده بالفعل اللهم إلا أن تتفق قرائن يسهل بها الوجود، وذلك أنه فحص عنها أولاً على طريق الجدل، فأثبتها بقياس، وأبطلها بقياس، على عادته فيما يكثّر عناده من الأوضاع، ثم أثبتّها آخرًا بقياس ألفه من مقدّمتين بينهما في أوّل الكتاب، وهما: أن الفلزات واحدة بالنوع والاختلاف الذي بينها ليس في ماهياتها وإنما هو في أعراضها. فبعضه في أعراضها الذاتية وبعضه في أعراضها العرضية، والثانية أنّ كل شيئين تحت نوع واحدٍ اختلفا بعرض، فإنه يمكن انتقال كل واحدٍ منهما إلى الآخر، فإن كان العرض ذاتيًا عسر الانتقال، وإن كان مفارقاً سهل الانتقال، والعسر في هذه الصناعة إنما هو لاختلاف أكثر هذه الجواهر في أعراضها الذاتية. ويشبه أن يكون الاختلاف الذي بين الذهب والفضة يسيراً جداً.

والمراد بالفلزات: الجواهر التي لا تحرقها النار عند الملاقاة بل تذيبها، فإذا فارقتها النار عادت إلى حالتها الأولى، وهي هذه المتطرقات السبع: الذهب، والفضة، والنحاس، والحديد، والقصدير، والرصاص، والخارصيني، وهو المعروف في زماننا بالحديد الصيني الذي تأتي منه القدور من بلاد الصين وتُكسر، ويُعمل في أكاريخ البارود.

قال الشيخ العلامة شمس الدين مُحَمَّد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري: أمّا إن

(١) هو أبو بكر، محمد بن يحيى بن باجّه التجيبي، الأندلسي، السرقسطي، المعروف بابن الصائغ: فيلسوف يُنسب إلى التعطيل ومذهب الحكماء. ولد في سرقسطة، وتوفي بفاس سنة ٥٣٣هـ/ ١١٣٩. (معجم المؤلفين: ١٢/١٠٣؛ تاريخ الفكر الأندلسي، أنخل بلانشيا: ٣٣٥).

(٢) هو أبو نصر، محمد بن محمد بن طرخان بن أوزلغ الفارابي، المعروف بالمعلم الثاني: فيلسوف تركي الأصل، مستعرب. وُلد في فاراب، وتوفي بدمشق سنة ٣٣٩هـ/ ٩٥٠م. (وفيات الأعيان: ١٥٣/٥).

(٣) أرسطوطاليس (٣٨٤-٣٢٢ ق.م): فيلسوف وعالم موسوعي، ومؤسس علم المنطق. مؤلفاته كثيرة منها: «المقولات»، و«في النفس»، و«الأغالب»، وغيرها. (الملل والنحل، الشهرستاني: ١٤٥/٢؛ الموسوعة الفلسفية: ١٧).

أراد المدبّر أن يصنع ذهباً نظير ما صنعتها الطبيعة من الزئبق والكبريت الطائرين، فيحتاج إلى معرفة أربعة أشياء، كمّيّة كل واحد من ذينك الجزأين، وكيفيته ومقدار الحرارة الفاعلة للطبخ وزمانه، وكل واحد منها عسر التحصيل. وأما إن أراد ذلك بأن يدبّر دواءً، وهو المعبّر عنه بالإكسير مثلاً ويلقيه على الفضة ليمتزج بها، ويستقر خالداً فيها ويكسبها لون الذهب ورزانه، فاستخراج ذلك بالتجربة يحتاج إلى استقراء حال جميع المعدنيّات وخواصها، وإن استخرجه بالقياس فمقدّماته مجهولة، ولا خفاء في عسر ذلك ومشقّته.

قلت: زعم الطبيعيون في علّة كون الذهب في المعدن أنّ الزئبق لمّا كمل نضجه جذبّه إليه كبريت المعدن فأجنّته في جوفه لئلا يسيل سيلان الرطوبات. فلمّا اختلطا واتّحدا وذابت الحرارة في طبخهما ونضجهما انعقد عند ذلك منهما ضروب المعادن، فإن كان الزئبق صافياً والكبريت نقيّاً واختلطت أجزاءهما على النسبة، وكانت حرارة المعدن معتدلة لم يعرض لها عارض من البرد واليبس، ولا من الملوّحات والمرارات والحموضات، انعقد من ذلك على طول الزمان الذهب الإبريز، وهذا المعدن لا يتكوّن إلّا في البراري الرّملة، والأحجار الرّخوة، فتبارك الله الفعّال لما يريد. ومراعاة الإنسان النار في عمل الذهب بيده على مثل هذا النظام مما يشق معرفة الطريق إليه والوصول إلى غايته، وعمل الزجاج ومعامل الفراريج بالديار المصرية مما يطمع العقول في عمل الذهب: [من الطويل]

فيا دارها بالخيف إنّ مزارها قريبٌ ولكنّ دُونَ ذلك أهوالٌ وليعقوب الكندي^(١) رسالة في إبطال دعوى الذين يدّعون صنعة الذهب والفضة، جعلها مقاليتين يذكر فيهما تعدّر فعل الناس لما انفردت الطبيعة بفعله، وخدع أهل هذه الصناعة وجهلهم، وردّ عليه أبو بكر مُحمّد بن زكريا الرّازي^(٢) ردّاً غير طائل. قلت: قال المنكروّن لذلك: لو كان الذهب الصناعي مثلاً للذهب الطبيعي، لكان ما بالصناعة مثلاً لما بالطبيعة، ولو جاز ذلك لجاز أن يكون ما بالطبيعة مثلاً لما بالصناعة، فكنا نجد سيفاً أو سريراً أو خاتماً بالطبيعة وذلك باطل.

(١) هو أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق بن الصباح الكندي: فيلسوف العرب في زمانه، وأحد أبناء الملوك من كندة. نشأ في البصرة، ثم انتقل إلى بغداد، وأصاب عند المأمون والمعتصم منزلة عظيمة. توفي سنة ٢٦٠هـ/٨٧٣م. من آثاره: «رسالة في التنجيم»، و«القول في النفس». (الأعلام: ٨/١٩٥).

(٢) هو أبو بكر، محمد بن زكريا الرّازي: فيلسوف، من الأئمة في صناعة الطّب، من أهل الريّ. توفي ببغداد سنة ٣١٣هـ/٩٢٥م. (الأعلام: ٦/١٣٠).

وقالوا أيضاً: الجواهر الصابغة إما أن تكون أصبر على النار من المصبوغ أو يكون المصبوغ أصبر أو يتساويان، فإن كان الصابغ أصبر وجب أن يفنى المصبوغ قبل الصابغ، وإن كان المصبوغ أصبر وجب أن يفنى الصابغ ويبقى المصبوغ على الحالة الأولى عُرياً عن الصبغ، وإن تساويا في الصبر على النار فهما من جنس واحد لاستوائهما في المصابرة على النار فلا يكون أحدهما صابغاً ولا مصبوغاً، وهذه الحجة الثانية من أقوى حجج المنكرين. والجواب من المثبتين عن الأولى أننا نجد النار تحصل بالقُدْح واصطكاك الأجرام والريح يحصل بالمراوح وأكواز الفقّاع، والنوشادر قد يتخذ من الشعير، وكذلك كثير من المزاجات. ثم بتقدير أن لا يوجد بالطبيعة ما يوجد بالصناعة لا يلزمنا الجزم بنفي ذلك ولا يلزمنا من إمكان حصول الأمر الطبيعي بالصناعة إمكان العكس بل الأمر موقوف على الدليل. وعن الثانية أنه لا يلزم من استواء الصابغ والمصبوغ في الصبر على النار استوائهما في الماهية لما عرفت أن المختلفين قد يشتركان في بعض الصفات، وفي هذا الجواب نظر. وحكى لي بعض من أنفق عمره في الطلب بأن الطغرائي ألقى المثلث على الإكسير أولاً على ستين ألفاً ذهباً ثم إنه ألقى آخر المثلث على ثلثمائة ألف. وحكى لي أيضاً أن مريانس الراهب معلم خالد بن يزيد ألقى المثلث على ألف ألف ومائتي ألف مثقال. وقال لي أيضاً: قالت مارية القبطية: واللّه لولا اللّه لقلت: إنّ المثلث يملأ ما بين الخافقين، فما كان له عندي جواب إلا أن أنشدته قول أبي إسحاق إبراهيم الغزي:

[من المنسرح]

كَجَوْهَرِ الْكِيمِيَاءِ لَيْسَ يُرَى مَنْ نَالَهُ وَالْأَنَامُ فِي طَلَبِهِ
والذي ظَهر لي من حال الطغرائي أنه لم يدبر شيئاً البتّة لأنه قال: [من الطويل]
وَلَوْلَا وُلاَةُ الْجَوْرِ أَصْبَحْتُ وَالْحَصَى بِكَفِّي أُنَى شَيْءٍ دُرٌّ وَيَأْقُوتُ
وسياتي تمام هذا الشعر في موضعه عند قوله: «أريد بسطة كف». وصاحب الشذور من جلة أئمة هذا الفن، صرح بأن نهاية الصبغ إلقاء الواحد على الألف في قوله في القصيدة الفائية: [من الطويل]
فَعَادَ بِلُطْفِ الْحَلِّ وَالْعَقْدِ جَوْهَرًا يُطَاوَعُ فِي النِّيرَانِ وَاحِدَهُ الْأَلْفُ
وفي قوله في القصيدة القافية: [من الطويل]

فَذَانِ هُمَا الْبَدْرَانِ فَاغْنِ بِعِلْمِنَا تَنَلُ بِهِمَا مَا يَصْبِغُ الْأَلْفَ دَانِقُهُ^(١)

(١) الدائق: سُدُسُ الدرهم.

وأنشدتُ بعض المولّعين بها قول القائل: [من البسيط]

أعْيِ الفلاسفةَ الماضينَ في الحُقُبِ أنْ يَصْنَعُوا ذهباً إلّا منَ الذَّهَبِ^(١)
أو يَصْنَعُوا فِضَّةً بيضاءَ خالصةً إلّا منَ الفِضَّةِ المعروفةِ النَّسَبِ
فَقُلْ لِطالِبِهَا مِنْ غيرِ مَعْدِنِهَا أضَعْتَ نَفْسَكَ بِالتَّنْكِيدِ والتَّعَبِ

فقال لي: صدق لو لم يكن الذي يدبره الصانع في أصله ذهباً بالقوة لما صار ذهباً بالفعل، فقلت له: هذا من باب التأويل وإخراج اللفظ الظاهر عن الصريح إلى ما لا يفهم منه إلّا بالاحتمال، والصريح لا يعارض بالمتوّل، ولو أراد الإنسان أن يجعل مُعلّقة امرئ القيس^(٢) مرثيةً في قِطٍ أو غزلاً في فيلٍ لما أعجزه ذلك.

حكى لي بعض الفضلاء أن الشيخ تقي الدين بن تيمية كان كثير الحطّ على الشيخ مُحبي الدين بن عربي^(٣)، فقليل له يوماً: إن هنا إنساناً يُخرّج جميع ما تنكره عليه ويردّه بالتأويل إلى ما يوافق ظاهر الشريعة، فطلبه فلم يحضر إليه، فلما كان بعد مدّة اتّفق اجتماعهما في مكانٍ واحدٍ فقليل له: هذا الذي وصفناه لك. فقال له: ما الذي تفهم من قول مُحبي الدين بن عربي: دخلت لجةً بحر الأنبياء وقوفٍ بساحله؟ فقال له: صدّق لأن الأنبياء يقفون على الساحل بصدد من يغرق فينقذونه من الغرق. فقال: هذا بعيد في الاحتمال. فقال: أليس أنه يحتمل ما قلته خلافاً لغرضك وحظ نفسك؟ فلم يُجِبْه. وكان شمس الدين مُحمّد شيخ الربوة، المعروف بابن أبي طالب يقول: زعم بعضهم أن المقامات^(٤)، وكليلة ودمنة^(٥) رموز في

(١) أَعْيَى: أتعّب وأعجز. الحُقُبُ: المدة الطويلة من الدهر، ثمانون سنة فما فوق.

(٢) امرؤ القيس: هو امرؤ القيس بن حجر الكندي، الشاعر الجاهلي المشهور، المتوفى نحو سنة ٨٠ق.هـ/ ٥٤٥م. (طبقات الشعراء، ابن سلام: ٥٢؛ الشعر والشعراء: ١/ ٥٠). ومعلّقه هي القصيدة التي مطلعها:

قفا نبك من ذكرى حبيبٍ ومنزلٍ بسقط اللوى بين الدخولِ وحوملٍ

(ديوان امرئ القيس: ١٩).

(٣) هو أبو بكر، محمد بن علي بن محمد الحاتمي، الطائي، الأندلسي، محبي الدين، المعروف بابن عربي: فيلسوف، من أئمة المتكلمين في كلّ علم. ولد في مرسية، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٨هـ/ ١٢٤٠م. من آثاره: «الفتوحات المكية»، و«فصوص الحکم»، و«التعريفات»، وغيرها. (الصلة في تاريخ علماء الأندلس، ابن بشكوال: ٤٥٩؛ بغية الملتمس، الضبي: ٨٢).

(٤) المقامات: كتاب ألفه بديع الزمان الهمذاني، المتوفى سنة ٣٩٨هـ/ ١٠٠٨م، في النقد الاجتماعي.

(٥) كليلة ودمنة: كتاب ألفه عبد الله بن المقفع المتوفى سنة ١٤٢هـ/ ٧٥٩م، في النقد السياسي والاجتماعي.

الكيمياء، سمعته يقول ذلك غير مرة. ويزعمون أيضاً أن الصناعة مرموزة في صورة البرابي، وكل ذلك من شغفهم وكلفهم بحبها، نسأل الله السلامة. ووجدت بعض من جرّب وتعب فأقلقه الوجد وظنّ أن جدّها لعب قد كتب على بعض مصنّفات جابر بن حيّان تلميذ جعفر الصادق: [من مجزوء الكامل]

هَذَا الَّذِي بِمَقَالِهِ غَرَّ الْأَوَائِلَ وَالْأَوَاخِرَ
مَا أَنْتَ إِلَّا كَاسِرٌ كَذَبَ الَّذِي سَمَّاكَ جَابِرٌ^(١)

وبعض الناس ينكر وجود جابر هذا وهو محال، لأن له تصانيف كثيرة، وهي مشهورة بين القوم.

وقال صاحب الأغاني^(٢) في ترجمة خالد بن يزيد بن معاوية^(٣): وكان من رجالات فريش سخاءً وعارضةً وفصاحةً وكان قد شغل نفسه بطلب الكيمياء فأفنى بذلك عمره وأسقط نفسه. وحدثني من أثق به ممّن كان يطلع على أحوال الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد^(٤) أنه كان بها مغرّياً، وأنفق فيها مالا وعُمراً، وقيل: إن إمام الحرمين مات وهو يفكّ وصلاً من أوصالها، خرج إليه منه لسان نار فقتله. وقد صحّت كيمياء العشق مع كمال الدين عليّ بن النبيه^(٥) حيث يقول: [من الطويل]

تَعَلَّمْتُ عِلْمَ الْكِيمِيَاءِ بِحُبِّهِ غَزَالَ بِجِسْمِي مَا بَعَيْنِيهِ مِنْ سُقْمٍ
فَصَعَّدْتُ أَنْفَاسِي وَقَطَّرْتُ أذْمُعِي فَصَحَّ مِنَ التَّدْبِيرِ تَصْفِيرُهُ جِسْمِي^(٦)

وقال أيضاً: [من الخفيف]

صَنَعْتُهُ الْكِيمِيَاءَ صَحَّتْ لِعَيْنِي حِينَ يَزْدَادُ إِذْ يَرَانِي أَحْمَرَارَا
فَإِذَا مَا أَلْقَيْتُ أَكْسِيرَ لِحْظِي فِي لُجَيْنِ الْخُدُودِ عَادَ نُضَارَا^(٧)

(١) غَرَّ النَّاسَ: خدعهم وأطمعهم بالباطل.

(٢) جابر: من جَبَرَ العظم جَبَرًا: أصلحه بعد كَسَرٍ؛ وجابر: اسم الرجل.

(٣) صاحب الأغاني: أبو الفرج، علي بن الحسين الأموي، القرشي، الأصفهاني، المتوفى سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م.

(٤) الترجمة في الأغاني: ٢٥٨/١٧؛ وكانت وفاة خالد بن يزيد سنة ٩٠هـ/٧٠٨م بدمشق.

(٥) هو تقي الدين، أبو الفتح، محمد بن علي القشيري، المنفلوطي، القوصي، المعروف بابن دقيق العيد: قاضٍ، فقيه، أديب، شاعر. توفي سنة ٧٠٢هـ/١٣٠٢م. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٦٩٥/٣).

(٦) هو كمال الدين، أبو الحسن، علي بن محمد بن يوسف بن النبيه المصري: شاعر، كاتب. توفي سنة ٦١٩هـ/١٢٢٢م. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٤٧٣/٣).

(٧) صَفَّرَ جِسْمَهُ تَصْفِيرًا: جعله أصفر اللون.

(٨) اللُّجَيْن: الفضة. النُّضَار: الذهب الخالص.

وقال ابن حمّديس الصّقلي^(١): [من البسيط]

وَمَغْرِبٍ طَعْنَتْهُ غَيْرُ نَائِيَةٍ أَسِنَّةٌ هُنَّ إِنْ حَقَّقَتْهَا شُهْبُ
وَمَشْرِقٍ كِيَمِيَاءِ الشَّمْسِ فِي يَدِهِ فَفِضَّةُ الْمَاءِ مِنْ إِقَائِهَا ذَهَبُ

وما أحلى قول عبد الملك التميمي المعروف بالدركار المغربي: [من الخفيف]

فُمٌ إِلَى كِيَمِيَاءِ شَرَبٍ كِرَامٍ لَا تَرَى فِيهِمْ نَدِيمًا خَسِيسًا^(٢)
خُذْ بُدُورَ الْكُؤُوسِ الْقِ عَلَيْهَِا مِنْ أَكَاسِيرِهَا تُعِدُّهَا شُمُوسَا

ما أحسن هذا وأوقعه في النفس لأن أرباب الكيمياء يرمزون الفضة بالقمر والذهب بالشمس، وقد أقام الخمر مقام الأكسير الذي يصبغ الجسم. وقد حام الشيخ صدر الدين بن الوكيل^(٣) في قصيدته على هذا المعنى فقال: [من البسيط]

وَلَيْسَتْ الْكِيَمِيَا فِي غَيْرِهَا وَجَدَتْ وَكُلُّ مَا قِيلَ فِي أَبْوَابِهَا كَذِبُ
قِيرَاطُ خَمْرٍ عَلَى الْقِنْطَارِ مِنْ حَزَنِ يُعِيدُ ذَلِكَ أَفْرَاحًا وَيَنْقَلِبُ

ولكنه لم يكن على تراكيب كلامه تلك الخفة ولا ذلك الإنسجام. وأما قول بكر بن النّطّاح^(٤) في أبي دُلف^(٥): [من الكامل]

يَا طَالِبَ الْكِيَمِيَاءِ وَعِلْمِهِ مَدْحُ ابْنِ عَيْسَى الْكِيَمِيَاءِ الْأَعْظَمُ
لَوْ لَمْ يَكُنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا دِزْهُمُ وَمَدَحَتَهُ لِأَتَاكَ ذَاكَ الدِّزْهُمُ

(١) هو أبو محمد، عبد الجبار بن أبي بكر بن محمد بن حمديس الأزدي، الصّقلي: شاعر مجيد، ولد بصقلية، وتوفي بجزيرة ميورقة سنة ٥٢٧هـ / ١١٣٣م. (الأعلام: ٣/ ٢٧٤).

(٢) الْخَسِيسُ: الوضيعُ الدّنيء.

(٣) هو صدر الدين، أبو عبد الله، محمد بن عمر بن مكّي بن عبد الصمد، المعروف بمصر بابن المُرَحَّل، وفي الشام بابن الوكيل: أديب، شاعر، بارع في العلوم العقلية، والأصول، والفقه. توفي سنة ٧١٦هـ / ١٣١٧م. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٣٠/ ٧٢٤؛ شذرات الذهب: ٦/ ٤٠).

(٤) هو أبو وائل، بكر بن النطّاح بن أبي حمار الحنفي: شاعرٌ بصريٌّ غَزَل. نزل بغداد في زمن الرشيد، واتصل بأبي دلف العجلي، فجعل له رزقاً دائماً عاش به، وكفّ عن الصعلكة. توفي سنة ١٩٢هـ / ٨٠٨م. (طبقات الشعراء، ابن المعتز: ١٩٨).

(٥) هو أبو دُلف، القاسم بن عيسى بن إدريس بن معقل العجلي: أمير الكرخ، وسيد قومه، وأحد الأمراء الأجواد الشعراء. عمل للرشيد، والمأمون، وتوفي سنة ٢٢٦هـ / ٨٤٠م. (الأعلام: ٢/ ١٧٩).

فليس هذا من صناعة الكيمياء في شيء، بل هذا من باب الرقى والعزائم.
وكذا قول ابن قلاّيس الإسكندري^(١): [من الكامل]

مَا صَحَّ عِلْمُ الْكِيمِيَاءِ لِعَيْرِمَ دَاحِ الْإِمَامِ الْأَرْيَحِيِّ الْحَافِظِ^(٢)
يُعْطِيهِمُ الْأَمْوَالَ إِذْ يُعْطُونَهُ لَفْظًا وَمَا مِقْدَارُ لَفْظِ اللَّافِظِ

وكذا قول القائل في حق الشعراء يخاطب ممدوحه: [من الكامل]

مَا صَحَّ عِلْمُ الْكِيمِيَاءِ لِعَيْرِهِمْ فِيمَا رَأَيْنَا مِنْ جَمِيعِ النَّاسِ
تُعْطِيهِمُ الْبَدَرَ النَّضَارَ إِذَا هُمْ رَفَعُوا إِلَيْكَ الشَّعْرَ فِي قِرْطَاسِ

وهذا كله من فساد التخيل أو من الجهل بماهيّة الكيمياء. وقد ظرّف شيطان
العراق في قصيدته التائيّة حيث قال: [من الهزج]

وَمَا صَنَّفَهُ جَابِرٌ مِنْ الصَّنْعَةِ جَرَّبْتُ
فَكَمْ لِلطَّيْنِ حَمَلْتُ وَلِلْأَمْوَالِ وَصَلْتُ
وَفَوْقَ الشَّبِّ وَالْكَبِيرِ تِلْكَ لِلزَّرْنِيخِ صَعَّدْتُ
وَكَمْ رَكَبْتُ أَنْبِيَاءَ عَلَى النَّارِ وَقَطَّرْتُ
وَلِلْأَجْسَادِ لَيَّيْنْتُ وَلِلْأَرْوَاحِ لَطْفَنْتُ
وَلِلزَّهْرَةِ نَقَّيْتُ وَكَمْ لِلشَّمْسِ كَلَّسْتُ
وَكَمْ فِي بُرُوطٍ بَرَبُوطِ مِنَ الرَّاسِخَةِ نَزَّلْتُ
وَبِالْمَاشِكِ كَمْ كَوَّيْتُ تُوً فِي كَفِّي وَحَرَّقْتُ
وَمَا صَحَّ لِيَ التَّدْبِيرِ رُلْ لِكِنِّي أَذْبَرْتُ

وملحّ البوصيري^(٣) حيث قال يهجو جماعة^(٤): [من المنسرح]

إِكْسِيرُ نَحْسٍ كُلِّ بِمُفْرَدِهِ مُرْكَبٌ مِنْ مَدْبَرٍ فَاسِدِ

(١) هو أبو الفتوح، نصر بن عبد الله بن عبد القويّ اللخمي، المعروف بابن قلاّيس الإسكندري الأزهرى: شاعر، من كبار الكتّاب المُتَرْسِّلِينَ. توفي سنة ٥٦٧هـ / ١١٧٢م. (الأعلام: ٨/ ٢٤).

(٢) الأريحيّ: الواسع الخلق النشيط إلى المعروف المرتاح للندى.

(٣) هو شرف الدين، أبو عبد الله، محمد بن سعيد بن حمّاد البوصيري: إمام، صوفيّ، شاعر. ولد في بهشيم، وأصله من قلعة حمّاد بالمغرب. توفي بالإسكندرية سنة ٦٩٤هـ / ١٢٩٥م. (فوات الوفيات، ابن شاکر الكتبي: ٣/ ٣٦٢؛ الأدب في العصر المملوكي، زغلول سلام: ١/ ٢٦٥).

(٤) لم يرد البيتان في ديوان البوصيري.

إِنْ شِئْتَ أَنْ تَجْعَلَ الْوَرَى سَفَلًا أَلِقِ عَلَى الْأَلْفِ مِنْهُمْ وَاحِدًا
وكتب الظهير البارزي إلى من رُزق توأمين ذَكَراً وَأُنْثَى من جارية سوداء أبياتاً
من جملتها: [من الطويل]

وَخَصَّكَ رَبُّ الْعَرْشِ مِنْهَا بِتَوَامٍ وَمَنْ ظَلَمَاتِ الْبَحْرِ تُسْتَخْرِجُ الدَّرَرَ
وَأَيْرُكَ أَضْحَى وَارِثاً عِلْمَ جَابِرٍ فَأَعْطَاكَ مِنْ إِقَائِهِ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ
وأما هذه القصيدة اللامية، فإنما سَمَّيْتُ لامية العجم تشبيهاً لها بلامية العرب
لأنها تضاهيها في حكمها وأمثالها. ولامية العرب هي التي قالها الشنفرى^(١) وأولها:
[من الطويل]

أَقِيمُوا بَنِي أُمِّي صُدُورَ مَطْيِكُمْ فَإِنِّي إِلَى قَوْمِ سِوَاكُمْ لَأَمِيلُ^(٢)
وقد رُوي عن أمير المؤمنين عُمر بن الخطاب رضي الله عنه أَنَّهُ قَالَ: عَلِّمُوا
أَوْلَادَكُمْ لَامِيَةَ الْعَرَبِ فَإِنَّهَا تَعْلَمُهُمْ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ. ورأيت لها شرحاً حسناً تامَّ
المقاصد كثير الفوائد وهو مجلّد جيّد، وحسبك أن الناس قالوا في هذه القصيدة إِنَّهَا
لامية العجم في نظير تلك، بمعنى: إن كان للعرب قصيدة لامية مشهورة بالأدب
والأمثال والحكم فإن للعجم لامية مثلها تناظرها، وإضافة الشيء إلى شيء مشهور
أو عظيم يدلُّ على شرف المضاف. ألا ترى قوله تعالى^(٣): ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ
وَمَلَائِكَتِهِ﴾ [البقرة: ٩٨] أشرف لهم من قوله: والملائكة، لإضافتهم إليه. وزعم
بعضهم أن بعض الشعراء غيّر قوافي هذه القصيدة من اللام إلى حرف العين، وهذا
عندي يتعذر لأن ألفاظ هذه القصيدة في غاية الفصاحة وتراكيب كلماتها كلّها
منسجمة عذبة غير قلقة ولا نافرة، ومعانيها بليغة غير ركيكة، وقوافيها في غاية
التمكّن فهي كما قال ابن عُنين^(٤): [من البسيط]

مَعْنَى بَدِيعٍ وَأَلْفَاظٌ مُنْقَحَةٌ غَرِيبَةٌ وَقَوَافٍ كُلُّهَا نُحَبُّ

(١) الشنفرى: هو عمرو بن مالك الأزدي، القحطاني، اليماني، المعروف بالشنفرى: شاعر جاهلي،
من فُتَاك العرب وعدائهم. توفي نحو ٧٠ق.هـ/ نحو ٥٢٥م. (الأغاني: ٢١/٢٠١، لامية
العرب، د. صلاح الدين الهواري: (دراسة كاملة).

(٢) بنو أمي: قومي. أقيموا صدور مطيكم: ارفعوها من مباركتها تهيئاً للرحيل. المطي: جمع المطية:
الناقة التي يركب مطاها، أي: ظهرها.

(٣) والآية بتمامها، قال سبحانه وتعالى: ﴿مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ، فَإِنَّ
اللَّهَ عَدُوٌّ لِلْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٨].

(٤) هو شرف الدين، أبو المحاسن، محمد بن نصر بن الحسين، المعروف بابن عُنين: شاعر مُقلِّد،
ولد بدمشق، وتوفي فيها سنة ٦٣٠هـ/ ١٢٣٣م. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٣/٥١٤).

والقافية المتمكنة، هي التي يُبنى البيت من أوله إلى آخره عليها، فإذا ختم البيت بها نزلت في مكانها ثابتة فيه متمكنة في محلّها قد رسخت في قرارها ودفعت إلى مركزها فهي لا تتزعزع ولا تتغير منه، بخلاف القافية القلقة التي اجتلبت وجيء بها لتمام الوزن، وهي أجنبية منه، غريبة من تركيبه، عارية من الالتحاف به والالتحاق بحسبه، ومتى غيرت القافية المتمكنة بغيرها جاءت نافرة عن الطباع في غاية الركة، وليت شعري بماذا يغير قوله: [من البسيط]

لو أنّ في شرف المأوى بلوغُ منى لم تبحر الشمس يوماً دارة الحمل
وقوله أيضاً:

وإنّ علاني منْ دُوني فلا عجبٌ لي أسوةٌ بانحطاطِ الشمسِ عن زحل

إلى غير ذلك من بقية القوافي المتمكنة التي هي في البيت بمثابة القاعدة التي إذا زُحزحت أو نُقلت تهدم البيت وخرب، وذهب حسنه، وزال رونق تركيبه. وإذا غيّر مثل هاتين القافيتين فقد زال طرازها، وذهب شمسها وقمرها، ومُحيّت آية حسننها. نعم قد يتفق للشاعر نفسه إذا أراد بناء قصيدته على قافيتين أو أكثر لأنه يُراعي ذلك في أصل التركيب، ويوفق بين ذلك من أول العمل، كما فعل سيف الدين بن المشد^(١) في قصيدته التي مدح بها السلطان نجم الدين أيوب وهي مشهورة أولها: [من الخفيف]

إسقني الرَّاحَ قد تجلّى النهار الظلام وتغنّى على الأراك الهزارُ الحَمَامُ
وبدا الروضُ في ثيابٍ من الزَّهْدِ رِ سَداها بَنفسجٍ وعَرارٍ وِثْمَامُ
فأسقنيها مثل الخُدودِ احمراراً وكثُغِرِ الحبيبِ فيه افترارُ ابتسَامُ
قهوةٌ مُرَّةٌ رَحيقُ شمولٍ قَرَقَفَ لَذَّةُ سَلَفِ عُقارِ مُدَامُ
مِنْ يَدَي أوطفِ الجفونِ غريرٍ زانه الخَصِرُ واللّمي والعِذارُ والقَوامُ^(٢)
بَدْرٌ تَمَّ يلوخُ في زِيّ ظبي قَصُرَتْ عَنْ صفاته الأفكارُ والأفهامُ
ثم إنه سار على هذا الأنموذج إلى تمام أحدٍ وعشرين بيتاً. ولا يخفى ما في

(١) هو الأمير سيف الدين الدين المُشيد، أبو الحسن علي بن عمر بن قزل التركماني، الياورقي، المصري: شاعرٌ، مُترسِّلٌ، ولد بمصر، وتوفي بدمشق سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٥٧٨/٣).

(٢) وَطَفَ فلان وَطَفاً: كثر شعر حاجبيه وأهدابه مع استرخاءٍ وطول. اللَّمَى: سُمرةٌ في الشفة تُستحسنُ.

هذه الأبيات من الانحلال والانحطاط، وما فيها من الإيراد لمن يروم النقد عليه. وكما فعل الأمير مؤيد الدولة أسامة بن منقذ^(١) في ثلاثة أبيات أنشأها وهي: [من السريع]

كُتِمْتُ بِثِّي غَيْرَ إِنْ لَمْ أُطَقْ^(٢)
 كُتِمَانٌ فَيُضِرُّ المَدْمَعِ الهَامِلِ
 وَلَيْسَ يَدْرِي لِقْدَى جَائِلِ
 فِي العَيْنِ فَاضَتْ أَمْ هَوَى دَاخِلِ
 كَالوُرْقِ لَا يَدْرِي عَلَى هَالِكِ
 نَاحَتْ أَمْ ارْتَاخَتْ إِلَى رَاحِلِ
 نَازِحِ غَائِبِ هَاجِرِ

وقال ابن الزروي: والذي حملني على نظم ذات القوافي، علي بن الرومي^(٤)، إذ قال في كلمة له^(٥): [من الطويل]

لَمَّا تَوَذَّنَ الدُّنْيَا بِهِ مِنْ ضُرُوفِهَا
 يَكُونُ بَكَاءُ الطِّفْلِ سَاعَةً يُوَلَّدُ
 وَإِلَّا فَمَا يُبْكِيهِ مِنْهَا وَإِنَّهَا
 لَأَفْسَحُ مِمَّا كَانَ فِيهِ وَأَرْغَدُ
 إِذَا أَبْصَرَ الدُّنْيَا اسْتَهْلَ كَأَنَّهُ
 بِمَا سَوْفَ يَلْقَى مِنْ أَذَاهَا يُهْدَدُ

وقال في كلمة أخرى نظير هذه الأبيات إلا أنه أبدل في البيت الأول يولد بقوله يوضع وأبدل أرغد بقوله أوسع وأبدل يهدد بقوله يقرع. ونظم ابن الزروي قصيدته التي أولها: [من الطويل]

نَوَى أَطْلَعْتُ مِنْهَا الْقِفَارُ الْبَسَابِسُ
 بِخَيْلٍ مَطِيٍّ طَلَعُهَا أَوَانِسُ^(٦)

(١) هو أبو المظفر، أسامة بن مرشد بن علي بن منقذ الكناني، الكلبي، الشيزري، مؤيد الدولة: أمير، من أكابر بني منقذ أصحاب قلعة شيزر (بالقرب من حماة)، ومن العلماء الشجعان. توفي سنة ٥٨٤هـ / ١١٨٨م. من آثاره: «الباب الآداب»، و«البديع في نقد الشعر». (الأعلام: ١/ ٢٩١).

(٢) الْبُتُّ: الْحُزْنُ الشَّدِيدُ.

(٣) الْهَامِلُ: السَّائِلُ بِالدَّمْعِ. السَّافِحُ: مَنْ سَفَحَ الدَّمْعَ أَوْ الْمَاءَ: صَبَّهُ.

(٤) هو أبو الحسن، علي بن العباس بن جريج، المعروف بابن الرومي: شاعر كبير مطبوع. ولد ونشأ ببغداد، وتوفي فيها مسموماً سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م. (تاريخ بغداد، الخطيب البغدادي: ١٢/ ٢٣؛ وفيات الأعيان: ٣/ ٣٥٨).

(٥) ديوان ابن الرومي: ١١٣/ ٢.

(٦) الْبَسَابِسُ: جَمْعُ الْبَسْبَسِ: الْقَفَرُ الْخَالِي. الْأَوَانِسُ: جَمْعُ الْآنَسَةِ: الْفَتَاةُ الَّتِي يُؤْنَسُ بِحَدِيثِهَا وَمَلَاظَمَتِهَا.

وهي تزيد على العشرين بيتاً جعل لكل بيت أربعاً وعشرين قافية، وهذه القصيدة تنشد أربعاً وعشرين قصيدة، وهذا في غاية القدرة. وإنما سهل هذا معه وانقاد له ما أراد لأنه هو الذي بنى كل بيت في الأصل على ما يريد ختمه به من القوافي المتعددة، ولو أخذ قصيدة لغيره وأراد تغيير قوافيها، لتقاعس المعنى عليه ولم ينقذ له. وأنت ترى قافية ابن الرومي الدالية كيف لفظة أرغد فيها قلق يسير، وكيف أوسع أحسن منها، وكيف لفظة يهدد أليق من يقرع، هذا أمر يشهد به الذوق. وصنع أبو القاسم علي بن منجب المعروف بابن الصيرفي^(١) بيتين وهما:

[من البسيط]

لَمَّا عَدَوْتُ مَلِيكَ الْأَرْضِ أَفْضَلَ مَنْ جَلَّتْ مَفَاخِرُهُ عَنْ كُلِّ إِطْرَاءٍ
تَغَايَرَتْ أَدَوَاتُ النُّطْقِ فِيكَ عَلَى مَا يَصْنَعُ النَّاسُ مِنْ نَظْمٍ وَإِنْشَاءٍ
ثم إنه غيّر روي البيتين على جميع حروف المعجم. ومن وقف على كلام^(٢)
أبي العلاء المعري^(٣) في «رسالة الغفران» في ذينك البيتين اللذين للنمر بن تولب^(٤)
وهما: [من الوافر]

أَلَمْ بِصُحْبَتِي وَهَمَّ هَجُوعٌ خَيَالٌ طَارِقٌ مِنْ أُمِّ حِصْنٍ^(٥)
لَهَا مَا تَشْتَهِي عَسَلٌ مُصَفًّى مَتَى شَاءَتْ وَحُوَّارَى بِسَمْنٍ^(٦)
وكيف غيّر القوافي منها، ونزلها على سائر حروف المعجم، خلا حرف الطاء
على تمكن أبي العلاء من الأدب واطلاعه على اللغة. وحكاية خلف الأحمر^(٧) مع

(١) هو أبو القاسم، تاج الرياسة، علي بن منجب بن سليمان، المعروف بابن الصيرفي: منشيء، مؤرخ، من أعيان المصريين، توفي سنة ٥٤٢هـ / ١١٤٧م. (النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: ١٢٤/٥).

(٢) هو أبو العلاء، أحمد بن عبد الله بن سليمان التنوخي، المعري: شاعر، فيلسوف، ولد في مَعْرَةَ النعمان، وتوفي سنة ٤٤٩هـ / ١٠٥٧م. من آثاره: «الأيك والغصون»، و«سقط الزند»، و«رسالة الغفران»، وغيرها. (تاريخ بغداد: ٤/ ٢٤٠؛ تاريخ آداب اللغة، زيدان: ١/ ٥٦٩).

(٣) هو النمر بن تولب بن زهير بن أقيش العكلي: شاعرٌ مُقِلٌّ مخضرم، من الأجواد الفرسان. توفي نحو ١٤هـ / ٦٣٥م. (طبقات الشعراء، ابن سلام: ١٦٠؛ الشعر والشعراء: ١/ ٢٢٧).

(٤) ديوان النمر بن تولب: ١٣٢.

(٥) طارق: آتٍ أو نازلٌ بِلَيْلٍ. في الديوان: «وهم هجود»، هجود، وهجوع: نيام.

(٦) الحُوَّارَى: الدقيق الأبيض، وهو لباب الدقيق. في الديوان: «إذا شاءت».

(٧) هو أبو محرز، خلف بن حيان، المعروف بالأحمر: راوية، عالم بالأدب، شاعر، من أهل البصرة. توفي نحو ١٨٠هـ / نحو ٧٩٦م. (الشعر والشعراء: ٢/ ٦٧٣).

أصحابه، ومعناها أنه لو قال أم حفص ماذا كان يقول في تمام البيت الثاني؟! فسكتوا. فقال: بِلَمْص^(١). وأما اتفاق الشاعرين في الأبيات وتخالّفهما في القافية فكثير، فمنه قول النابغة^(٢): [من الكامل]

لَوْ أَنَّهَا عُرِضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ عَبْدَ إِلَهِ صَرُورَةٍ مُتَعَبِّدٍ^(٣)
لَرْنَا لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا وَنَخَاهُ رَشْدًا وَإِنْ لَمْ يَرْشُدِ^(٤)

وقول ربيعة بن مَقْرُوم الضَّبِّي^(٥): [من الكامل]

لَوْ أَنَّهَا عُرِضَتْ لِأَشْمَطَ رَاهِبٍ عَبْدَ إِلَهِ صَرُورَةٍ مُتَبَتِّلٍ^(٦)
لَرْنَا لِبَهْجَتِهَا وَحُسْنِ حَدِيثِهَا وَلَهُمْ مِنْ تَأْمُورِهِ بِتَنْزُلٍ^(٧)

وقول الإفشين العجلي: [من الوافر]

جَرَيْتُ مَعَ الصَّبَا طَلَقَ الْعَتِيقِ وَهَانَ عَلَيَّ مَأْثُورُ الْفُسُوقِ
وَجَدْتُ أَلْدَعَارِيَةَ اللَّيَالِي قِرَانَ النَّعْمِ بِالْوَتْرِ الْخَفُوقِ
وَمُسْمِعَةً مَتَى مَا شِئْتَ عَنَّتْ مَتَى نَزَلَ الْأَحْبَةُ بِالْعَقِيقِ
تَمَتَّعَ مِنْ شَبَابٍ لَيْسَ يَبْقَى وَصِلَ بِعُرَى الصَّبُوحِ عُرَى الْعُبُوقِ^(٨)

وقول أبي نُوَاس^(٩): [من الوافر]

جَرَيْتُ مَعَ الْهَوَى طَلَقَ الْجُمُوحِ وَهَانَ عَلَيَّ مَأْثُورُ الْقَبِيحِ^(١٠)

(١) اللَّمْصُ: الفالودج، أو شيء يُشْبِهُهُ.

(٢) هو أبو أمامة، زياد بن معاوية بن ضباب بن سعد بن ذبيان، المعروف بالنابغة الذبياني: شاعر جاهلي، من الطبقة الأولى. توفي نحو ١٨ ق. هـ / ٦٠٤ م. (طبقات الشعراء، ابن سلام: ٥٦، الشعر والشعراء: ٩٢/١). والبيتان في ديوانه: ٤١.

(٣) الْأَشْمَطُ: الذي خالط سواد شعره بياض. الصرورة: الذي لم يتزوَّج.

(٤) رنا: أدام النظر في سكون طرف. وفي الديوان: «وَلَخَالَهُ رُشْدًا».

(٥) شاعر مخضرم، أدرك الإسلام، وأسلم، وشهد القادسية، وجلولاء. توفي بعد ١٦ هـ / بعد ٦٢٧. (الشعر والشعراء: ٢٣٦/١؛ الأغاني: ٨٧/٢٢).

(٦) الْمُتَبَتِّلُ: المنقطع لعبادة الله.

(٧) التأمور: صومعة الراهب.

(٨) الصَّبُوحُ: شراب الصباح. العُبُوقُ: شراب المساء.

(٩) ديوان أبي نواس: ٧١.

(١٠) طَلِقَ: ذو حِدَّة. الجموح: من جمح الفرس جموحاً: عتا عن أمر صاحبه حتى غلبه. المأثور: المختار.

وَجَدْتُ أَلَدَّ عَارِيَّةَ اللَّيَالِي قِرَانَ النَّعْمِ بِالْوَتَرِ الْفَصِيحِ
وَمُسْمِعَةً مَتَى مَا شِئْتَ عَنَّتْ مَتَى كَانَ الْخِيَامُ بِذِي طُلُوحِ^(١)
تَمَتَّعَ مِنْ شَبَابٍ لَيْسَ يَبْقَى وَصِلَ بِعُرَى الْعَبُوقِ عُرَى الصَّبُوحِ^(٢)
وهذا من أبي نؤاس في غاية الحسن لمن تأمله . وقول امرئ القيس^(٣) : [من الطويل]
وَقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَمَّلِ^(٤)
وقول طرفة بن العبد بعده^(٥) : [من الطويل]
وَقُوفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَطِيَّهِمْ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكْ أَسَى وَتَجَلَّدِ^(٦)
وقول امرئ القيس أيضاً^(٧) : [من الطويل]
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا انْجَلِ بِصُبْحٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَمَثَلِ^(٨)
وقول الطرمّاح بعده^(٩) : [من الطويل]
أَلَا أَيُّهَا اللَّيْلُ الطَّوِيلُ أَلَا اصْبَحِ بِيَوْمٍ وَمَا الْإِصْبَاحُ مِنْكَ بِأَرْوَحِ
وقول عليّ بن الخليل : [من السريع]
لَا أَظْلَمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي أَنَّ نَجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَزُولُ
لَيْلِي كَمَا شَاءَتْ قَصِيرٌ إِذَا جَادَتْ وَإِنْ ضَنْتَ فَلَيْلِي طَوِيلٌ^(١٠)

(١) ذو طلوح : موضع . وفي الديوان : «إِذَا مَا شِئْتُ عَنَّتْ» .

(٢) العُرَى : جمع العروة : مقبض الدلو أو الكوز .

(٣) ديوان امرئ القيس : ٢٠ .

(٤) الصَّحْبُ : الرفقاء ، والعشراء ، والأصدقاء . المَطِيّ : المراكب ، الواحدة : مطية ، وسميت الناقة مطية لأنه يُركب مطاها ، أو لأنها يُمطى بها ، أي يُمدُّ بها في السَّيْرِ . الأَسَى : الحزن . التَّجَمَّلُ : التَّصَبُّرُ .

(٥) شاعر جاهلي ، من أصحاب المعلقات . ولد في بادية البحرين ، وقُتِل وهو في السادسة والعشرين من عمره ، نحو ٥٦٤ م . (طبقات الشعراء ، ابن سلام : ١٣٨/١ ؛ الشعر والشعراء : ١١٧/١) .
والبيت في ديوانه : ١٩ .

(٦) تَجَلَّدَ : تَقَوَّى وَتَصَبَّرَ .

(٧) ديوان امرئ القيس : ٣٠ .

(٨) الانجلاء : الانكشاف . الأمثل : الأفضل .

(٩) هو أبو ضبينة ، الطرمّاح بن حكيم بن جحدر الطائي : شاعر إسلامي فحل . ولد ونشأ بالشام ، واعتنق مذهب الشراة الأزارقة . توفي نحو ١٢٥ هـ / نحو ٧٤٣ م . (الأغاني : ٣١/١٢ ؛ المؤلفات والمختلَف ، الأمدي : ٢١٩) .

(١٠) جَادَتْ : سَخَتْ وَتَكَرَّمَتْ . ضَنْتَ : بَخِلْتَ .

وقول ابن بسّام بعده^(١): [من السريع]

لا أَظْلَمُ اللَّيْلَ وَلَا أَدْعِي أَنْ نَجُومَ اللَّيْلِ لَيْسَتْ تَعُورُ^(٢)
لَيْلِي كَمَا شَاءَتْ فَإِنْ لَمْ تَجِدْ طَالَ وَإِنْ جَادَتْ فَلَيْلِي قَصِيرُ

وقول الأمير أبي الفضل الميكالي^(٣): [من الوافر]

أَقُولُ لِشَادِنٍ فِي الْحُسْنِ أَضْحَى يَصِيدُ بِلَحْظِهِ قَلْبَ الْكَمِيِّ^(٤)
مَلَكَتِ الْحُسْنَ أَجْمَعَ فِي نِصَابِ فَأَذْكَاءَ مَنْظَرِكَ الْبَهِيِّ^(٥)
وَذَلِكَ أَنْ تَجُودَ لِمُسْتَهَامِ بِرَشْفٍ مِنْ مَقْبَلِكَ الشَّهِيِّ^(٦)
فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ لِي إِمَامٌ يَرَى أَنْ لَا زَكَاةَ عَلَى الصَّبِيِّ^(٧)

وقد رواها بعضهم على غير هذه القافية فأنشدها^(٨): [من الوافر]

أَقُولُ لِشَادِنٍ فِي الْحُسْنِ فَرْدٍ يَصِيدُ بِلَحْظِهِ قَلْبَ الْجَلِيدِ^(٩)
مَلَكَتِ الْحُسْنَ أَجْمَعَ فِي قِوَامِ فَلَا تَمْنَعُ وَجُوباً عَنْ وَجُودِ
وَذَلِكَ أَنْ تَجُودَ لِمُسْتَهَامِ بِرَشْفٍ مِنْ مُقْبَلِكَ الْبَرُودِ^(١٠)
فَقَالَ أَبُو حَنِيفَةَ لِي إِمَامٌ يَرَى أَنْ لَا زَكَاةَ عَلَى الْوَلِيدِ^(١١)

وقول سليمان بن دَبَاكِلِ الخزاعي: [من الكامل]

يَا بِنْتَ خَنْسَاءَ الَّتِي أَتَجَنَّبُ ذَهَبَ الزَّمَانُ وَحُبُّهَا لَا يَذْهَبُ

(١) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن نصر بن بسّام، المعروف بالشاعر البسّامي: شاعر لَسِينِ مطبوع. نشأ في بيت كُتَابِيَّة، وكان عالماً بالأدب والأخبار. توفي سنة ٣٠٢هـ/٩١٤م. (تاريخ بغداد: ٦٣/١٢؛ وفيات الأعيان: ٣/٣٦٣).

(٢) تغور: تغيب.

(٣) هو أبو الفضل، عبيد الله بن أحمد بن علي بن إسماعيل بن عبد الله بن محمد بن ميكال الميكالي: أديب شاعر أمير، من أهل نيسابور. توفي سنة ٤٣٦هـ/١٠٤٤م. (معجم المؤلفين: ٢٣٧/٦). والأبيات في زهر الآداب، الحصري: ١٠٧/٢.

(٤) الشادن: ولد الطيبة إذا قوي واشتد ومشى مع أمّه. الكومي: البطل التأم السلاح.

(٥) في زهر الآداب: «في قوام».

(٦) في زهر الآداب: «بريق من مقبلتك».

(٧) في زهر الآداب: «فعندي لا زكاة».

(٨) زهر الآداب: ١٠٧/٢.

(٩) الجليد: القوي، الشديد، الصابر على المكروه.

(١٠) في زهر الآداب: «برشف رُضابك العذب البرود».

(١١) في زهر الآداب: «فعندي لا زكاة».

إني لأَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وإِنّني قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لِأَخْبَبُ
وقول الأَخْوَصِ^(١): [من الكامل]

يَا بِنْتَ عَاتِكَةَ الَّتِي أَتَعَزَّلُ حَذَرَ الْعِدَى وَبِهَا الْفُؤَادُ مُوَكَّلُ^(٢)
إني لأَمْنَحُكَ الصُّدُودَ وإِنّني قَسَمًا إِلَيْكَ مَعَ الصُّدُودِ لِأَمِيلُ

وقد اشتهر قول الأَخْوَصِ وشاع وذاع وملاً الأفواه والأسماع، واستشهد الناس به قديماً وحديثاً في حكايات مشهورة عند أرباب الأدب.

وعن مُحَمَّد بن كَعْب القُرْظِي قال^(٣): بينما عُمَر بن الخطّاب جالساً ومعه أصحابه إذ مرَّ به رجل فسلم عليه، فقال رجل من القوم: يا أمير المؤمنين أتعرف هذا المسلم؟ قال: لا، قال: هو سواد بن قارب الذي [يسره] رثيه من الجنّ بظهور رسول الله ﷺ، فدعاه عُمَر فقال له: أنت سواد بن قارب؟ قال: نعم. قال: أنت على ما كنت عليه من كهانتك؟ فغضب الرجل غضباً شديداً وقال: ما استقبلني أحد منذ أسلمت بهذا. فقال عُمَر: ما كنّا عليه من الشرك أعظم مما كنت عليه من كهانتك، فاخبرني بالذي أنبأك به رثيك من ظهور رسول الله ﷺ؟ قال: نعم بينا أنا بين نائم ويقظان، إذ أتاني رثيي وضربني برجله وقال: قُم يا سواد بن قارب وافهم واعقل، إنه قد بعث رسول من لؤي بن غالب، يدعو إلى الله تعالى، ثم أنشأ الجنّي يقول بحيثُ أسمع: [من السريع]

عَجِبْتُ لِلْجَنِّ وَأَخْبَارِهَا وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَكْوَارِهَا^(٤)
تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا مُؤْمِنُ الْجِنِّ كَكُفَّارِهَا^(٥)
فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ بَيْنَ رَوَابِيهَا وَأَحْجَارِهَا

فقلت: دعني أنام فقد أمسيتُ ناعساً. فلما كانت الليلة الثانية أتاني فضربني برجله وقال: قُم يا سواد بن قارب وافهم واعقل إن كنت تعقل، قد بعث رسول من

(١) هو أبو محمد، عبد الله بن محمد بن عبد الله بن عاصم الأنصاري: شاعر أموي ماجن، لُقّب بالأخوص لخصوص في عينه. توفي سنة ١١٠هـ / ٧٢٨م. (المؤتلف والمختلف: ٥٩؛ خزنة الأدب: ٢٣١/١).

(٢) تَعَزَّلَ الشيء، وعنه: اعتزله: بَعَدَ عنه وتَنَحَّى.

(٣) ورد الخبر كاملاً في جمهرة أشعار العرب: ٧٣/١.

(٤) في الجمهرة: «عجبت للجنّ وتَبَكَارِها». العيس: الإبل الكرام، أو التي يخالط بياضها شُقرة.

الأكوار: جمع الكور: الرّحل.

(٥) في الجمهرة: «ما مؤمنو الجنّ».

لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ الجثي يقول: [من السريع]
 عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَطْرَابِهَا وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَفْتَابِهَا^(١)
 تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا صَادِقُ الْجِنِّ كَكَذَابِهَا^(٢)
 فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ فَلَيْسَ قُدَامَاهَا كَأَذْنَابِهَا^(٣)

فقلت: دعني أنام فقد أمسيت ناعساً. فلما كانت الليلة الثالثة أتاني فضربني
 برجله وقال: قُمْ يا سواد بن قارب وافهم واعقل إن كنت تعقل، قد بعث رسول من
 لؤي بن غالب يدعو إلى الله وإلى عبادته، ثم أنشأ الجثي يقول: [من السريع]

عَجِبْتُ لِلْجِنِّ وَتَجَسَّاسِهَا وَشَدَّهَا الْعِيسَ بِأَخْلَاسِهَا^(٤)
 تَهْوِي إِلَى مَكَّةَ تَبْغِي الْهُدَى مَا خَيْرُ الْجِنِّ كَأَنْجَاسِهَا^(٥)
 فَارْحَلْ إِلَى الصَّفْوَةِ مِنْ هَاشِمٍ وَاسْمُ بَعَيْنِيكَ إِلَى رَأْسِهَا

فلما أصبحت شددت على ناقتي رحلها وسرت إلى مكة، فقبل لي: قد سار إلى
 المدينة، فأتيت المدينة فسرت إلى المسجد، فعقلت ناقتي، وإذا رسول الله ﷺ في
 جماعة من أصحابه، فلما نظر إليّ قال: هات يا سواد بن قارب فقلت: [من الطويل]

أَتَانِي رِئِي بَعْدَ هَذِهِ وَرَقْدَةٍ وَلَمْ أَكُ فِيمَا قَدْ بَلَوْتُ بِكَاذِبِ^(٦)
 ثَلَاثَ لَيَالٍ قَوْلُهُ كُلَّ لَيْلَةٍ أَتَاكَ رَسُولٌ مِنْ لُؤَيِّ بْنِ غَالِبِ
 فَشَمَّرْتُ مِنْ ذَيْلِي الْإِزَارَ وَوَسَّطْتُ بِي الدَّعْلِبِ الْوَجْنَاءَ بَيْنَ السَّبَاسِبِ^(٧)
 وَأَشْهَدُ أَنَّ اللَّهَ لَا رَبَّ غَيْرُهُ وَأَنْتَ أَعْلَى الْمُرْسَلِينَ وَسِيلُهُ
 إِلَى اللَّهِ يَا ابْنَ الْأَكْرَمِينَ الْأَطَائِبِ

(١) في الجمهرة: «عجبت للجن وتطرابها».

(٢) في الجمهرة: «ما مؤمنو الجن».

(٣) القادم من الإنسان: رأسه، ومن الرحل: أوله، والقادمة: إحدى ريشات في مقدم جناح الطائر.

(٤) في الجمهرة: «وإيجاسها».

(٥) في الجمهرة: «ما مؤمنو الجن كأرجاسها».

(٦) في الجمهرة: «أتاني نجّي»، و«ولم يك فيما قد عهدت بكاذب». بلوت: اختبرت وامتحن.

(٧) في الجمهرة:

فَشَمَّرْتُ عَنْ ذَيْلِي الْإِزَارَ وَأَرْقَلْتُ بِي الدَّعْلِبِ الْوَجْنَاءَ عَبْرَ السَّبَاسِبِ
 شَمَّرْتُ: رفعت، أي: تهيأت للسَّير. أرقلت: أسرع. الدعلب: الناقة الضخمة
 السريعة. الوجناء: الناقة الشديدة القوة. السَّبَاسِب: جمع السَّبَسَب: الأرض المستوية
 البعيدة.

فَمُرْنَا بِمَا يَأْتِيكَ يَا خَيْرَ مَنْ مَشَى وَإِنْ كَانَ فِيمَا جَاءَ شَيْبُ الذَّوَائِبِ^(١)
وَكُنْ لِي شَفِيعاً يَوْمَ لَا ذَوْ شَفَاعَةٍ سِوَاكَه بِمُغْنٍ عَنْ سُوَادِ بْنِ قَارِبٍ
قال: ففرح به رسول الله ﷺ وأصحابه فرحاً شديداً، فقام إليه عُمر فالتزمه
وقبله بين عينيه وقال: لقد كنت أحبُّ أن أسمع هذا الخبر منك، فأخبرني هل
يأتيك رثيك اليوم؟ قال: أما منذ قرأت كتاب الله فلا، ونعم العوض كتاب الله
من الجنّ. وحكى صاحب «الجليس والأنيس» قال: كان الأصمعي يُعادي
عَبَّاسَ بن الأحنف^(٢)، فقال يوماً وهو بين يدي الرشيد^(٣)، والأصمعي حاضر:
[من الهزج]

إِذَا أَحْبَبْتَ أَنْ تَعْمَلَ شَيْئاً يُعْجِبُ النَّاسَا
فَصَوِّرْهَا هُنَا قِرْداً وَصَوِّرْ ثُمَّ عَبَّاسَا
وَبَيْنَهُمَا فَدَعْ فِتْراً فَإِنْ زِدْتَ فَلَا بَاسَا^(٤)
فَإِنْ لَمْ يَدْنُوا حَتَّى تَرَى رَأْسَيْهِمَا رَاسَا
فَكَذِّبْهَا بِمَا قَاسَتْ وَكَذِّبْهُ بِمَا قَاسَا

فقال الرشيد: ما سمعتُ معنى أحسن من هذا. فقال الأصمعي: قد سبقه إلى
هذا المعنى رجل من العرب ورجل من النبط. فقال: ما قال العربي؟ قال: كان
رجل يقال له عُمر يحبّ جارية يقال لها قمر فقال: [من الهزج]

إِذَا أَحْبَبْتَ أَنْ تَعْمَلَ شَيْئاً يُعْجِبُ الْبَشَرَا
فَصَوِّرْهَا هُنَا قَمِراً وَصَوِّرْ هَاهُنَا عَمَراً
فَإِنْ لَمْ يَدْنُوا حَتَّى تَرَى بَشَرَيْهِمَا بَشَرَا^(٥)
فَكَذِّبْهَا بِمَا ذَكَرَتْ وَكَذِّبْهُ بِمَا ذَكَرَا

(١) في الجمهرة:

«فَمُرَّنِي بِمَا أَحْبَبْتَ يَا خَيْرَ مُرْسَلٍ وَإِنْ كَانَ فِيمَا قُلْتُ»

(٢) هو أبو الفضل، العباس بن الأحنف بن الأسود بن قدامة، من بني حنيفة: شاعر مجيد مطبوع.

توفي سنة ١٩٢هـ / ٨٠٨م. (طبقات الشعراء، ابن المعتز: ٢٣٢؛ الأغاني: ٨ / ٣٥٤).

(٣) الرشيد: هو هارون الرشيد، خامس خلفاء الدولة العباسية في العراق، وأشهرهم. توفي سنة ١٩٣هـ / ٨٠٩م.

(٤) الفتر: ما بين طرف الإبهام وطرف السبابة إذا فتحتهما.

(٥) البشَر: جمع البشرة: ظاهر الجلد.

قال الرشيد: فما قال النبطي؟ قال: كان رجل يقال له روز يحب جارية يقال لها فلق فقال: [من الهزج]

إِذَا أَحْبَبْتَ أَنْ تَعْمَلَ شَيْئاً يُعْجِبُ الْخَلْقَا
وَتَسْمَعَ صَوْتَ مَعْشُوقَيْ نِ لِقَافِي الْهُوَى رَنْقَا^(١)
فَصَوِّرْ هَاهُنَا رُوزاً وَصَوِّرْ هَاهُنَا فَلَاقَا
فَإِنْ لَمْ يَدْنُوكَا حَتَّى تَرَى خَلْقَيْهِمَا خَلْقَا
فَكَذَّبْهَا بِمَا لَاقَتْ وَكَذَّبْهُ بِمَا يَلْقَى

وتغيير قوافي هذه اللامية أراه متعذراً إلا أن يتهدّم جانب جيد من كل بيت، ومع ذلك فلا يكون لغير قوافيها ديباجة استأثر بها الطُغرائي. وأنشدني لنفسه من لفظه المولى نور الدين عليّ بن مُحَمَّد بن فَرْحُون المالكي اليعْمُرِيّ المدني^(٢) بدمشق المحروسة في سنة إحدى وأربعين وسبعمئة هذه اللامية، وقد ركب على كل صدرٍ عجزاً، وعلى كل عجزٍ صدرًا، فناسبها، وهذا قصد ظريف. ومما أنشدني قوله: [من البسيط]

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطْلِ وَسُرْعَةُ الْحَزْمِ ذَادَتْنِي عَنِ الْمَذْلِ^(٣)
وَحُلَّةُ الْعِلْمِ أَغْنَتْنِي مَلَابِسُهَا وَحِلْيَةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطْلِ^(٤)
مَجْدِي أَخِيرًا وَمَجْدِي أَوَّلًا شَرَعُ وَسُودْدِي ذَاعَ فِي حِلٍّ وَمُرتَحِلِ
وَهَمَّتِي فِي الْغِنَى وَالْفَقْرِ وَاحِدَةٌ وَالشَّمْسُ رَأَدَ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطُّفْلِ^(٥)
فِيمَ الْإِقَامَةِ بِالزُّورَاءِ لَا سَكْنِي ذَانٍ وَلَا أَنَا فِي عَيْشٍ بِهَا خَضِلِ
وَلَيْسَ لِي أَرْبٌ فِيهَا وَلَا خَوْلِي بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي^(٦)

وتغيير القوافي في البيت والبيتين أمر يهون، كما أنشد بعضهم البيتين المشهورين في الشيب وهما: [من المتقارب]

- (١) الرُّنْقُ: الماء الكدير، أو القذى، أو الكذب.
(٢) أديب تونسي الأصل. ولد في المدينة، وتوفي فيها سنة ٧٤٦هـ / ١٣٤٥م. (هدية العارفين: ١/ ٧٠٩).
(٣) الْخَطْلُ: المنطق الفاسد، أو الخُمُقُ، أو الخطأ والفُحْش. الْمَذْلُ: إفشاء السرّ.
(٤) الْعَطْلُ: الخُلُو من الحلي؛ يقال: عطلت المرأة عَطْلًا، وعطولاً: خلت من الحليّ.
(٥) رَأَدَ الضُّحَى: انبساط شمسهِ وارتفاع نهاره. الطُّفْلُ: المَغِيْبُ؛ يقال: طفلت الشمس طَفْلًا، وَطُفُولًا: مالت للمغيب، أو دنت للطلوع، أو صارت فِي الطُّفْلِ: الوقت قبل غروب الشمس، أو يُعَيَّدُ طلوعها.
(٦) الأرب: الحاجة. الْخَوْلُ: الأتباع، والحشم، والعبيد.

وَحَوْدُ دَعْتَنِي إِلَى وَضْلِهَا وَعَصْرُ الشَّيْبَةِ مَتَّى ذَهَبُ^(١)
فَقُلْتُ مَشِيبِي مَا يَنْطَلِي فَقَالَتْ بَلَى يَنْطَلِي بِالذَّهَبِ

وكان في المجلس بعض ظرفاء الأدباء حاضراً فقال: ما أعرف القافية في هذين البيتين إلا حرف الراء. فقال له المنشد: كيف قال؟ فقال: قال: وعصر الشيبية مني سري. فقال: فكيف تصنع بالثاني بعد قوله مشيبي ما ينطلي؟ فقال: فقالت: بلى ينطلي بالخرا. فأطرق المنشد خجلاً. وأما أنا فاتفق لي يوماً مثل هذه الواقعة في بعض مجالس المذاكرة في محفل فيه رؤساء وأكابر من الكتاب وفيهم من يتعاطى الأدب وهو شاب فيه مغمز ومطمع فأنشد قول ابن العفيف التلمساني^(٢):
[من الكامل]

وَلَقَدْ عَتَبْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ مُمَدَّدٌ وَالْأَيْرُ فِي أَحْشَائِهِ مَدْسُوسُ^(٣)
أَوْمَى بِمَبْعَرِهِ وَقَالَ بِنَفْرَةٍ مِنْ هَا هُنَا يَتَعَوَّجُ الْفَقُّوسُ^(٤)

فقلت وقد أشار بيده عند نصف البيت الثاني مثل مولانا يغيّر القافية إنما هو من هـ هنا يتعوج اليقطين فاستحي. فقال بعض الحاضرين: كيف تعمل في القافية الأولى؟ فقلت بسرعة: عوض مدسوس مدفون. والتنديب^(٥) يغتفر فيه ويسامح بما لا يسامح في غيره لسرعة الجواب. ألا ترى ما أحلى جواب بعض الوعاظ وهو على المنبر لما سئل عن أشياء ما الأصل فيها فقال: إذا كان الله عز وجل قال: ﴿يَكَايُهَا الذِّبْنَ أَمْنُوا لَا تَسْخَرُوا عَنْ أَشْيَاءَ﴾ [المائدة: ١٠١]، فكيف تسألون أنتم عنها؟ فاستحسن هذا الجواب منه لسرعته وإن كان قد غلط ولكن لما عجز عن الجواب مال إلى هذا الجواب الإقناعي لأن أرباب التصريف لهم فيها كلام طويل، منهم من يقول أصل أشياء فعلاء، ومنهم من يقول فعلاً والكلام في ذلك يطول. ويقال: إن أبا الحسين بن السّمّاك كان يتكلم على رؤوس الناس بجامع المدينة، وكان لا يحسن شيئاً من العلوم إلا ما شاء الله، وكان مطبوعاً بالتكلم على مذاهب الصّوفيّة، فرفعت

(١) الحَوْدُ: الفتاة الجميلة الناعمة.

(٢) هو شمس الدين، محمد بن عفيف الدين التلمساني، المعروف بالشاب الظريف، ويا بن العفيف: شاعر ولد بالقاهرة، وتوفي بدمشق سنة ٦٨٨هـ / ١٢٨٩م. (شذرات الذهب: ٤٠٥/٥؛ البداية والنهاية: ١٣/٣٣٤). والبيتان في ديوانه: ١٨٤.

(٣) مَدْسُوسٌ: من دَسَّ الشيء: أدخله في غيره بقهرٍ وقوّة.

(٤) الإيماء: الإشارة بالأعضاء كالرأس واليد والعين والحاجب. المَبْعَرُ: مكان البعر من كلّ ذي أربع، استعاره للرجل. الفقوس: نوع من الخضار مُعَوَّجُ الشكل.

(٥) التنديب: الخفة في قضاء الحاجة.

إليه رقعة فيها: ما تقول السادة الفقهاء في رجل مات وخلف كذا وكذا؟ فلمّا فتحها ورأى ما فيها من الفرائض رماها من يده وقال: أنا أتكلّم على مذاهب أقوام إذا ماتوا لم يخلّفوا شيئاً، فعجب الحاضرون من سرعة جوابه. وكذا التنديب في البيتين الأولين الأصل فيهما أكمل لأنّ الطلاء دائماً بالذهب مع ما في القافيتين من الجناس التام، وكذا قولِي، اليقطين، فإن فيه تغييراً للمثل المتداول بين الناس، وهو من ها هنا يتعوجّ الفقوس ولكن لما كانت تلك الحالة لائقة باليقطين عند إشارته بيده حسن ذلك وخفّ على السمع وراج على القلب. وأنشدت يوماً بعض الأفاضل قول البحري من قصيدته المشهورة^(١): [من البسيط]

وَأَزْرَقُ الصُّبْحِ يَبْدُو قَبْلَ أَبْيَضِهِ وَأَوَّلُ الْغَيْثِ قَطْرٌ ثُمَّ يَنْسَكِبُ^(٢)

فقال: بدل ينسكب ينهمر. فقلت: كيف تصنع في الأول وهو قوله:

هَذي مَخَالِيلُ بَرْقٍ خَلَفَهُ مَطَرٌ جَوْدٌ وَوَرِيٌّ زَنَادٍ خَلَفَهُ لَهَبٌ^(٣)

فقال: بدل لهب شرر. فقلت: هذه القصيدة بائنة أولها:

نَحْنُ الْفِدَاءُ فَمَا جَوْدٌ وَمُرْتَقَبٌ يَنْوِبُ عَنْكَ إِذَا هَمَّتْ بِكَ الثُّوبُ^(٤)

فلم يحز جواباً لكنني اعترفت له بالإحسان لسرعة الجواب في الثاني.

إيراد شيء من نظم الطغرائي:

قال قصيدة خائيّة عارض بها محمد بن هانئ المغربي^(٥) في قصيدته التي

أولها: [من الطويل]

سَرَى وَجَنَاحُ اللَّيْلِ أَقْتَمُ أَفْتَحُ مِهَادَ ضَجِيعٍ بِالْعَبِيرِ مُضْمَخٌ^(٦)

(١) ديوان البحري: ٣٤٤/٢.

(٢) في الديوان:

وَأَزْرَقُ الْفَجْرِ يَأْتِي قَبْلَ أَبْيَضِهِ وَأَوَّلُ الْغَيْثِ طَلٌّ ثُمَّ يَنْسَكِبُ
الطَّلُّ: المطر الخفيف.

(٣) مطرٌ جَوْدٌ: غزير لا مَطَرٌ قَوْفَهُ.

(٤) في الديوان: «فَمَا خُوذٌ وَمُرْتَقَبٌ». الثُّوبُ: المصائب.

(٥) هو أبو القاسم، محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي: من كبار شعراء المغرب. ولد بإشبيلية، وقُتل غيلةً في «برقة» سنة ٣٦٢هـ/ ٩٧٣م. (شذرات الذهب: ٤١/٣).

(٦) سَرَى: سار ليلاً. الأَقْتَمُ: الأغبر الضارب إلى سواد أو حمرة. أَفْتَحُ: من فتح الشيء فتخاً: لان وانثنى، ومنه: الفتحاء: العقاب اللينة الجناحين. المِهَادُ: الفراش. الضَجِيعُ: المضاجع: الذي يكون معك في فراش واحد. الْمُضْمَخُ: المُلَطَّخُ.

ومدَح الطغرائي بها السلطان محمود بن محمد أيام سلطنة أبيه سنة أربع وخمسمائة وهي: [من الطويل]

هِيَ الْعَيْسُ قوداً فِي الْأَزْمَةِ تَنْفُخُ تَمْطَى لَهَا مِنْ عُجْمَةِ اللَّيْلِ بَرْزُخٌ^(١)
ومنها:

وَيَا نَارَ قَلْبِي مَا لِحَمْرُكَ كُلَّمَا وَيَا صَادِحَاتِ الْوُرُقِ فِي الْأَيْكَ أَقْصِرِي
نَضَحْتُ عَلَيْهِ الْمَاءَ لَا يَتَبَوَّخُ^(٢) فَمَالِي إِذْ أَشْكُو وَلَا لَكَ مَصْرُخُ^(٣)
وَيَا جِيرَةً شَطَّتْ بِهِمْ غُرْبَةُ النَّوَى وَلَا عَهْدُهُمْ يُنْسَى وَلَا الْوُدُّ يُفْسَخُ^(٤)
لَكُمْ فِي جَنُوبِ الْأَرْضِ مَسْرَى وَمَسْرُخُ^(٥) وَلِلْحُبِّ فِي جَنْبِي مَرْسَى وَمَرْسَخُ^(٥)
ومنها:

وَحَظِّي مِنَ الْأَيَّامِ مُلْكٌ بَعَزَهُ يَتَوَقُّ إِلَيْهِ الْمُلْكُ وَهُوَ لَهُ أَبُ
تُقَامُ مَوَاقِيتُ الْعُلَا وَتُورَخُ وَيَصْبُو إِلَيْهِ التَّاجُ وَهُوَ لَهُ أَخُ
يُرَبِّي الْعِدَا أَبْنَاءَهُمْ لِحُسَامِهِ وَلِلصَّقْرِ مَا أَضْحَى الْبُغَاثُ يُفْرَخُ^(٦)
ومنها:

خَدَمْتُكُمْ وَالْعُمُرُ غُضُنٌ جَمِيمُهُ نَدٍ وَأَهَاضِيبُ الشَّبِيبةِ تَنْضَخُ^(٧)

(١) العيس: جمع الأعيس: البعير الذي يخالط بياضه شُقرة. القود: جمع الأقود: الطويل العنق والظهر من الإبل والخيول والناس. تَمْطَى: امتدَّ وطال. عُجْمَةُ اللَّيْلِ: شِدَّةُ سَوَادِهِ. الْبَرْزُخُ: الْحَاجِزُ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ.

(٢) نَضَحَ الْمَاءَ: فَارَأَوْ رَشَحًا، وَنَضَحَ الشَّيْءُ: رَشَّهَ بِمَاءٍ أَوْ طِيبٍ. تَبَوَّخَ: سَكَنَ وَفَتَرَ؛ يُقَالُ: بَاخَتِ النَّارُ، وَبَاخَ الْحَرُّ، وَبَاخَ الْقَلْبُ.

(٣) الصَادِحَاتِ: الْمُغْنِيَّاتِ، الْمَغْرَدَاتِ. الْوُرُقُ: الْحَمَائِمُ. الْأَيْكَ: جَمْعُ الْأَيْكَةِ: الشَّجَرِ الْكَثِيرِ الْمُتَلَفِ. الْمَصْرُخُ: الْمُسْتَعَاثُ، يُقَالُ: صَرَخَ فُلَانٌ، وَاصْطَرَخَ، وَاسْتَصْرَخَ: اسْتَعَاثَ.

(٤) الْجِيرَةُ: الْمَجَاوِرُونَ فِي السَّكَنِ. شَطَّتْ: بَعَدَتْ. النَّوَى: النَّاحِيَةُ يُذْهَبُ إِلَيْهَا، أَوِ الْبُعْدُ.

(٥) الْمَسْرَى: الْمَوْضِعُ الَّذِي يُسْرَى مِنْهُ أَوْ فِيهِ؛ يُقَالُ: سَرَى اللَّيْلُ، وَبِهِ: قَطْعُهُ بِالسَّيْرِ. الْمَسْرُخُ: مَرَعَى السَّرْحِ: الْمَاشِيَةِ. الْمَرْسَى: مَكَانُ الرُّسُوِّ: مَحْطُ السَّفِينَةِ بِالسَّاحِلِ؛ وَمِنْهُ: رَسَا الشَّيْءُ رُسُوءًا، وَرُسُوءًا: ثَبَتَ وَاسْتَقَرَّ. الْمَرْسَخُ: مَوْضِعُ الرُّسُوحِ: الثَّبَاتُ، يُقَالُ: رَسَخَ الشَّيْءُ رُسُوحًا: ثَبَتَ فِي مَوْضِعِهِ.

(٦) حُسَامُهُ: سَيْفُهُ. الْبُغَاثُ: طَائِرُ أَبْغَثِ اللَّوْنِ أَصْغَرُ مِنَ الرَّخَمِ بَطِيءُ الطَّيْرَانِ، يُضْرَبُ بِهِ الْمِثْلُ فَيُقَالُ: «إِنَّ الْبُغَاثَ فِي أَرْضِنَا يَسْتَنْسِرُ»، يُضْرَبُ لِلضَّعِيفِ يَصِيرُ قَوِيًّا، وَلِلذَّلِيلِ يَعْزُزُ بَعْدَ ذُلِّهِ. (مَجْمَعُ الْأَمْثَالِ: ١٠/١).

(٧) جَمِيمُهُ: كَثِيرُهُ، الْجَمِيمُ: النَّبْتُ الْكَثِيرُ، أَوِ النَّاهِضُ الْمُنْتَشِرُ. نَدٍ: مُبْتَلًى. أَهَاضِيبُ: جَمْعُ أَهْضُوبَةٍ: الْمَطَرَةُ الشَّدِيدَةُ. تَنْضَخُ: يَشْتَدُّ فَوْرَانُ مَائِهَا.

ومنها:

أَسَيِّرُ فِي أَيَّامِكُمْ مِنْ شَوَارِدِي غَلَالَةَ سِفْرِ حِينَ تَمْتَدُّ سَرَبِخُ^(١)
وَأَحْمِلُ مِنْ أَسْرَارِكُمْ كُلَّ نَاهِضٍ يَضِيقُ بِهِ صَدْرُ الْكُتُومِ فَيَنْضَحُ^(٢)
وَأَنْشُرُ فِي الشُّورَى صَحَائِفَ طَيِّهَا نَوَافِثُ سِحْرِ لِلْعَزَائِمِ تَنْسَخُ
وَأَنْصَحُكُمْ فِي حَلِّ كُلِّ مُتَرْجِمٍ بِهِ يُضْبِطُ الْأَمْرُ الشَّعَاعَ فَيَرْسَخُ
أَحِينَ أَنْى أَنْ أَجْتَنِي ثَمَرَ الرِّضَا أَرَدَ إِلَى نَزْرِ مِنَ الْعَيْشِ يَرْضَخُ^(٣)
أَعُوذُ بِكُمْ مِنْ كَبُورَةِ الْجَدِّ إِنَّهَا دَهَتْنِي وَلَا ذَنْبَ بِهِ أَتَلَطَّخُ

قلت: كان الطُّغْرَائِي يَتَمَنَّى عُلُوَّ شَأْنِهِ وَيُؤْمَلُ إِقْبَالُ زَمَانِهِ فِي أَيَّامِ هَذَا الْمَمْدُوحِ إِذَا آلَ أَمْرُ السُّلْطَنَةِ إِلَيْهِ فَكَانَ فِيهَا حَتْفُهُ. وَقَدْ رُويَ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَالَ: لَا تَتَمَتَّوْا الدُّوْلَ فَتُحَرِّمُوْهَا. وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ الْقَائِلِ: [مَنْ الْوَافِر]

سَأَلْتُ اللَّهَ أَنْ تَعْلُوَ مَحَلًّا كَعَرَضِ الْأَرْضِ فِي طُولِ السَّمَاءِ
فَلَمَّا أَنْ عَلَوْتَ عَلَوْتَ عَنِّي فَكَانَ إِذْنٌ عَلَى نَفْسِي دُعَائِي

وقال ابن دُرَيْد^(٤): [مَنْ الْبَسِيط]

إِذَا رَأَيْتَ امْرَأً فِي حَالِ عُسْرَتِهِ مُصَافِيًا لَكَ مَا فِي وَدِّهِ دَخَلُ^(٥)
فَلَا تُرَجِّ لَهْ أَنْ يَسْتَفِيدَ غِنًى فَإِنَّهُ بِانْتِقَالِ الْحَالِ يَنْتَقِلُ

وقال مُحَمَّدُ بْنُ سَبْطِ التَّعَاوِيزِيِّ^(٦): [مَنْ الْمُتَقَارِبُ]

أَخْرَجْتُ دَوْلَتَكُمْ بَعْدَ مَا رَكِبْتُ الْأَمَانِي وَأَنْضَيْتُهَا^(٧)

(١) الشَّوَارِدُ: الْقَصَائِدُ السَّائِرَةُ فِي الْبِلَادِ. السَّفَرُ: الْكَتَابُ. السَّرَبِخُ: الْأَرْضُ الْوَاسِعَةُ، أَوْ الْبَعِيدَةُ.

(٢) نَضَحَ السَّرُّ: أَذَاعَهُ وَنَشَرَهُ.

(٣) التُّزْرُ: الْقَلِيلُ. رَضَخَ لَهُ مِنْ مَالِهِ: أَعْطَاهُ قَلِيلًا، وَرَضَخَ الشَّيْءَ الْيَابِسَ: رَضَّاهُ وَكَسَرَهُ. أَنْى الْأَمْرُ: حَانَ.

(٤) هُوَ أَبُو بَكْرٍ، مُحَمَّدُ بْنُ الْحَسَنِ بْنِ دُرَيْدِ الْأَزْدِيِّ: مِنْ أَثَمَةِ اللُّغَةِ وَالْأَدَبِ. قِيلَ فِيهِ: ابْنُ دُرَيْدٍ أَشْعَرُ الْعُلَمَاءِ، وَأَعْلَمُ الشُّعْرَاءِ. تَوَفَّى سَنَةَ ٣٢١هـ/ ٩٣٣م. مِنْ آثَارِهِ: «الاشْتِقَاقُ»، وَ«الْمَقْصُورُ وَالْمَمْدُودُ»، وَ«الْجُمْهُرَةُ»، وَغَيْرُهَا. (تَارِيخُ بَغْدَادَ: ١٩٥/٢).

(٥) الدَّخْلُ: الْفَسَادُ.

(٦) هُوَ أَبُو الْفَتْحِ، مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ، الْمَعْرُوفُ بِسَبْطِ ابْنِ التَّعَاوِيزِيِّ: شَاعِرُ الْعِرَاقِ فِي عَصْرِهِ، مِنْ أَهْلِ بَغْدَادَ، وَلِيَ الْكِتَابَةَ بِهَا فِي دِيْوَانِ الْمَقَاطَعَاتِ. تَوَفَّى سَنَةَ ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م. (النُّجُومُ الزَّاهِرَةُ: ١٠٥/٦).

(٧) أَنْضَى الدَّابَّةَ: أَتَعَبَهَا وَأَهْزَلَهَا.

وَمَالِي ذَنْبٌ سِوَى أَنَّنِي رَجَوْتُكُمْ وَتَمَنَّيْتُهَا
وقال أحمد بن أبي بكر الكاتب: [من الطويل]

إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْمَرْءِ فِي دَوْلَةٍ أَمْرٌ نَصِيبٌ وَلَا حِظٌّ تَمَنَّى زَوَالَهَا
وَمَا ذَاكَ عَنْ بُغْضٍ لَهَا غَيْرَ أَنَّهُ يُرَجِّي سِوَاهَا فَهُوَ يَهْوَى انْتِقَالَهَا
وقال جريج المُقِلّ: [من الرمل]

رُبَّمَا يَرْجُو الْفَتَى نَفْعَ فَتَى خَوْفُهُ أَوْلَى بِهِ مِنْ أَمَلِهِ
رُبَّ مَنْ تَرْجُو بِهِ دَفْعَ الْأَذَى سَوْفَ يَأْتِيكَ الْأَذَى مِنْ قَبْلِهِ
وقال ابن عُنَيْنٍ فِي ابْنِ الْمَجَاور: [من الطويل]

سِوَاءَ عَلَيْنَا نَلَتْ مَا نَلَتْ مِنْ عَلَاءٍ إِذَا لَمْ تَنْلُ أَوْ كُنْتَ مَا كُنْتَ مِنْ قَبْلُ
وَمَا نَافِعِي أَنْ يَبْلُغَ الْعَرْشَ صَاحِبِي وَيَنْحَطُّ قَدْرِي عِنْدَهُ عِنْدَمَا يَغْلُو
أَنشَدَ الزُّكِّيَّ عَبْدَ الرَّحْمَنِ الْقُوصِي^(١) الْمَلِكُ الْمُظْفَر^(٢) قَبْلَ أَنْ يَمْلِكَ حِمَاةَ:
[من البسيط]

مَتَى أَرَاكَ وَمَنْ تَهْوَى وَأَنْتَ كَمَا تَهْوَى عَلَى رُغْمِهِمْ رُوحَيْنِ فِي بَدَنِ
هُنَاكَ أَنْشِدُ وَالْأَمَالَ حَاضِرَةً هُنَّتَ بِالْمُلُكِ وَالْأَحْبَابِ وَالْوَطَنِ
فَوَعْدَهُ إِذَا مَلَكَ حِمَاةً أَنْ يَعْطِيَهُ أَلْفَ دِينَارٍ . فَلَمَّا مَلَكَهَا أَنْشَدَهُ: [من السريع]
مَوْلَايَ هَذَا الْمَلِكُ قَدْ نَلَتْهُ بِرُغْمٍ مَخْلُوقٍ مِنَ الْخَالِقِ
وَالدَّهْرُ مُنْقَادٌ لِمَا شِئْتَهُ وَذَا أَوَانُ الْمَوْعِدِ الصَّادِقِ
فَدَفَعَ إِلَيْهِ الْأَلْفَ وَأَقَامَ مَعَهُ وَلَزِمَهُ فِي أَسْفَارِ أَنْفَقٍ فِيهَا الْمَالُ الَّذِي أَعْطَاهُ، وَلَمْ
يَحْصُلْ بِيَدِهِ زِيَادَةٌ عَلَيْهِ فَقَالَ: [من السريع]

ذَاكَ الَّذِي أَعْطَوهُ لِي جُمْلَةً قَدْ اسْتَرْدُوهُ قَلِيلًا قَلِيلًا
فَلَيْتَ لَمْ يُعْطُوا وَلَمْ يَأْخُذُوا وَحَسْبِيَ اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ
فَبَلَغَ ذَلِكَ الْمُظْفَرُ فَأَخْرَجَهُ مِنْ دَارٍ كَانَ أَنْزَلَهُ بِهَا فَقَالَ: [من الطويل]

أَتَخْرَجَنِي مِنْ كِسْرِ بَيْتٍ مُهْدَمٍ وَلِي فِيكَ مِنْ حُسْنِ الثَّنَاءِ بُيُوتُ

(١) هو أبو القاسم، عبد الرحمن بن عبد الوهاب، المعروف بالزكّي القوصي: شاعر من أهل «قوص» بمصر. قُتِلَ فِي حَبْسِهِ سَنَةَ ٦٣١هـ/ ١٢٣٤م. (الأعلام: ٣/ ٣١٥).

(٢) هو محمود بن محمد، تقي الدين، الملك المظفر، ملك حماة، المتوفى سنة ٦٤٢هـ/ ١٢٤٤م. (الأعلام: ٧/ ١٨٢).

فَإِنْ عِشْتُ لَمْ أَعْدَمْ مَكَاناً يَضُمُّنِي وَأَنْتَ سَتَذَرِي ذِكْرَ مَنْ سَيَمُوتُ

فحبسه المظفر . فقال : ما ذنبي إليك ؟ فقال : وحسبي الله ونعم الوكيل . ثم أمر بخنقه فلما أحسّ بالهلاك قال : [من البسيط]

أَعْطَيْتَنِي الْأَلْفَ تَعْظِيماً وَتَكْرِماً يَا لَيْتَ شِعْرِي أَمْ أَعْطَيْتَنِي دِيَتِي

قلت : لو كنت حاضر الزكّي عبد الرحمن لأنشدته قول القائل : [من البسيط]
وَكُنْتُ كَالْمُتَمَتِّي أَنْ يَرَى فَلَقاً مِنْ الصَّبَاحِ فَلَمَّا أَنْ رَأَى عَمِي

وما أحسن قول أبي الطيب^(١) ، وهو مما رواه تاج الدين الكندي عنه ، ولم يكن في ديوانه : [من الكامل]

أَبْعَيْنِ مُفْتَقِرٍ إِلَيْكَ نَظَرْتَنِي وَأَهْنُتَنِي وَقَذَفْتَنِي مِنْ حَالِقِ^(٢)

لَسْتُ الْمَلُومَ أَنَا الْمَلُومُ لِأَنِّي أَنْزَلْتُ آمَالِي بِغَيْرِ الْخَالِقِ

ومما ينخرط في هذا السلك قول القائل : [من السريع]

لَمَّا بَدَا الْعَارِضُ فِي خَدِّهِ بَشَّرْتُ قَلْبِي بِالنَّعِيمِ الْمَقِيمِ

وَقُلْتُ هَذَا عَارِضٌ مُمَطَّرٌ فَجَاءَنِي مِنْهُ الْعَذَابُ الْأَلِيمِ

وقال الطّغرائي يصف خيلاً : [من الكامل]

سَبَقَتْ حَوَافِرُهَا النُّوَاطِرَ فَاسْتَوَى سَبَقَ إِلَى غَايَاتِهَا وَسَفُونُ^(٣)

لَوْلَا تَرَامِي الْعَايَتِينَ لِأَفْسَمَ الرَّائُونَ أَنَّ حِرَاكَهَا تَسْكِينُ

وَتَكَادُ تُشَبِّهُهَا الْبُرُوقُ لِأَنَّهَا لَمْ تَعْتَقِلْهَا أَعْيُنٌ وَظُنُونُ

هذه مبالغة في السرعة ، والأول مأخوذ من قول أبي الطيب^(٤) : [من المنسرّح]

يُقْبِلُهُمْ وَجْهَهُ كُلِّ سَابِحَةٍ أَرْبَعُهَا قَبْلَ طَرْفِهَا تَصِلُ^(٥)

(١) هو أبو الطيب ، أحمد بن الحسين الجعفي ، الكندي ، المعروف بالمتنبي : شاعر العربية الأكبر . ولد بالكوفة ، ونشأ بالشام ، وأكثر المقام في البادية ، وقُتِلَ بالقرب من النعمانية سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م . (يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر ، الثعالبي : ١ / ١٣٩ ؛ تاريخ بغداد : ٤ / ١٠٢) .

(٢) الحالق : الجبل المرتفع .

(٣) السّفُون : الريح التي تهبّ على وجه الأرض .

(٤) ديوانه : ٢٧٤ / ١ .

(٥) أقبلته الشيء : جعلته قبالة . السابحة : الفرس . أربعها : أي قوائمها الأربع . الطرف : البصر . أي : يستقبلهم بوجه كلّ فرس تضع قوائمها وراء منتهى بصرها ، وهو حدّ المبالغة في السرعة .

قيل: إِنَّ أبا الحرّ الثعلبي قال عندما سمع هذا البيت: هذه كانت عينها في استنها. وذكرت بهذه واقعة اتفقت لبعض أكابر أهل العصر، وهو أنه كان له غلام حسن الوجه، فحضر يوماً عنده بعض أصحابه وأخذ يصف ذلك الغلام ويلاحظه في دخوله وخروجه لا يفتّر عن ذلك. فقال له: ما لك قد أطلت النظر إلى هذا الغلام؟ فقال: أعجبنني حسنه. فقال: عينك في استك. فقال: لا والله بل عيني في استه.

وقد فسّر بعض المتعصبين على أبي الطيّب قوله^(١): [من المنسرح]
تَبَلَّ خَدَّيْ كُلِّمَا ابْتَسَمْتُ مِنْ مَطَرٍ بَرَقَتْهُ ثَنَائِيهَا^(٢)
فقال: كانت تبصق في وجهه. وكذلك قوله^(٣): [من البسيط]

كَفَى بِجِسْمِي نُحُولاً أَنَّنِي رَجُلٌ لَوْلَا مُخَاطَبَتِي إِيَّاكَ لَمْ تَرْنِي^(٤)
فقال: هو إِذْنُ ضَرْطَةٍ يُسْمَعُ وَلَا يُرَى. وبالع ابن حجّاج^(٥) في مرثية فرس له
فقال: [من السريع]

قَالَ لَهُ الْبَرْقُ وَقَالَتْ لَهُ الرِّيحُ جَمِيعاً وَهُمَا مَا هُمَا
أَأَنْتَ تَجْرِي مَعَنَا؟ قَالَ لَا
هَذَا ارْتِدَادُ الطَّرْفِ قَدْ فُتُّهُ
إِلَى الْمَدَى سَبَقاً فَمَنْ أَنْتُمْ^(٦)

(١) ديوانه: ٣٦٧/٢.

(٢) الثنايا: جمع ثنية: السُّنُّ في مُقَدِّمِ الفم. أي: كلما ابتسمت فلمعت ثناياها كالبرق، بكيت فجرى دمعي كالمطر، فكان هذا المطر من ذلك البرق.

(٣) ديوان المتنبي: ١١٧/١.

(٤) يقول: كفاني من فعل النحول بي أنني قد خفيت عن أعين الناظرين حتى إني لو لم أكلّمك لم تعلم بمكاني، ولم يقع عليّ بَصْرُكَ.

وقال ابن حجة مُعلّقاً على هذا البيت: «لا يمتنع عقلاً أن ينحل الشخص حتى يصير مثل الخلال، ولا يُستدل عليه إلا بالكلام، إذ الشيء الدقيق إذا كان بعيداً لا يُرى، بخلاف الصوت. ولكن صيرورة الشخص في النحول، إلى مثل هذه الحال ممتنعة عادة. ولعمري إن الشيخ شرف الدين بن الفارض ضمَّ خَصْرَ هذا المعنى الرقيق، ورشّحه بنفائس العقود، حيث قال:

كَأَنِّي هَالِكُ الشَّكِّ لَوْلَا تَأْوِيهِ خَفِيتُ فَلَمْ تُهْدِ الْعُيُونُ لِرُؤْيَتِي

(خزانة الأدب، الحموي: ١٥/١).

(٥) هو أبو عبد الله، حسين بن أحمد بن محمد بن الحجّاج النيلي، البغدادي: شاعر فحل، من كُتّاب العصر البويهّي. غلب عليه الهزل، وفي شعره عدوبة وسلامة من التكلف. توفي سنة ٣٩١هـ/ ١٠٠١م. (تاريخ بغداد: ١٤/٨).

(٦) فُتُّهُ: سَبَقَتْهُ.

وقال أبو العلاء المعري^(١): [من الوافر]

وَلَمَّا لَمْ يُسَابِقْهُنَّ شَيْءٌ مِنْ الْحَيَوَانِ سَابِقْنَ الظُّلَالَا

وقال ابن خفاجة الأندلسي^(٢): [من الطويل]

وَأَبْلَقَ خَوَّارَ الْعِنَانِ مُطَهَّمٌ طَوِيلَ الشَّوَى وَالسَّاقِ أَقْوَدَ أَتْلَعَا^(٣)

جَرَى وَجَرَى الْبَرْقُ الْيَمَانِي عَشِيَّةً فَأَبْطَأَ عَنْهُ الْبَرْقُ عَجْزاً وَأَسْرَعَا

وَحَسِبُ الْأَعَادِي مِنْهُ إِنْ يَزْجِرُونَهُ مُغِيرًا غُرَابًا صَبَحَ الْحَيَّ أَبْقَعَا^(٤)

هذا المعنى في غاية الحسن. ومن هنا اختلس هذا المعنى النفيس، أحمد بن

عبد العزيز المالكي حيث قال: [من الخفيف]

حَبَّذَا لَيْلَةً رَأَيْتُ دُجَاهَا زَاهِيًا عَظْفُهُ بِحُلَّةٍ فَخْرٍ

بَشَّرْتُ بِاللِّقَاءِ وَهِيَ غُرَابٌ وَنَعَى الْفَجْرُ حُسْنَهَا وَهُوَ قُمْرِي

وقرأت على الشيخ الإمام القاضي شهاب الدين أبي الثناء مَحْمُود^(٥) الكاتب

كتاباً أنشأه في وصف الخيل جاء منه: لا يستنّ داحس في مضماره، ولا تطمع

الغبراء في شق غباره، ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آثاره، تسابق يده مرامي

طرّفه، ويدرك شوارد البروق ثانياً من عطفه، وقد اشتهر هذا المعنى في سبق الحافر

الناظر، قال بعضهم: [من الكامل]

كَمْ سَابَحَ أَعْدَدْتُهُ فَوَجَدْتُهُ عِنْدَ الْكَرِيهَةِ وَهُوَ نَسْرٌ طَائِرٌ^(٦)

لَمْ يَزِمَ قَطُّ بِطَرْفِهِ فِي غَايَةٍ إِلَّا وَسَابَقَهُ إِلَيْهَا الْحَافِرُ

(١) سقط الزند، أبو العلاء المعري: ٦١.

(٢) هو إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله بن خفاجة الهواري الأندلسي: شاعر غزل، من الكتاب

البلغاء، من أهل جزيرة شقر، من أعمال بلنسية، في شرقي الأندلس. توفي سنة ٥٣٣هـ/

١١٣٨م. (بغية الملتبس، الضبي: ١٩٨).

(٣) الأبلق: الفرس في لونه سوادٌ وبياض. خَوَّارُ العنان: سهل، كثير الجري، سريع. الْمُطَهَّمُ:

الضَّامِر، النحيل. الشَّوَى: أطراف الجسم، وقيل: الرجلان وسائر الأطراف، وفرس طويل

الشوى: طويل القوائم. أقود: ذلول مُنْقَاد. الأتلع: الطويل العُنُق.

(٤) الأبقع: الفرس الذي خالط لونه لونٌ آخر.

(٥) هو شهاب الدين، أبو الثناء، محمود بن سلمان بن فهد بن محمود الحنبلي، الحلبي، ثم

الدمشقي: أديب كبير، من كتاب الإنشاء في دواوين مصر والشام. توفي سنة ٧٢٥هـ/ ١٣٢٥م.

(الدرر الكامنة: ٤/ ٣٢٤؛ فوات الوفيات: ٢/ ٢٨٦).

(٦) السابح: الفرس يمدُّ يديه في الجَرْي. الكريهة: الحَرْب.

ما أحسن ما أنشدني لنفسه من لفظه المولى صفى الدين عبد العزيز بن سرايا
الحلي^(١) بالباب وبزاعة من بلاد حلب سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة: [من الكامل]
وَأَعْرُتُ بَرِيَّ الْإِهَابِ مُوَرَّدٌ سَبَطُ الْأَدِيمِ مُحَجَّلٌ بِبَيَاضِ^(٢)
أَخْشَى عَلَيْهِ أَنْ يُصَابَ بِأَسْهُمِي مِمَّا يُسَابِقُهَا إِلَى الْأَغْرَاضِ
وأنشدني لنفسه أيضاً: [من البسيط]

وَأَذْهَمَ يَقْقُ التَّحْجِيلِ ذِي مَرَحٍ يَمِيسُ مِنْ عُجْبِهِ كَالشَّارِبِ الثَّمَلِ^(٣)
مُضَمَّرٌ مُشْرِفٌ الْأَذْنَيْنِ تَحْسَبُهُ مُوَكَّلًا بِاسْتِرَاقِ السَّمْعِ عَنْ رُحْلِ^(٤)
رَكِبْتُ مِنْهُ مَطَالِيلَ تَسِيرُ بِهِ كَوَاكِبُ تُلْحِقُ الْمَحْمُولَ بِالْحَمَلِ^(٥)
إِذَا رَمَيْتُ سِهَامِي فَوْقَ صَهْوَتِهِ مَرَّتْ بِهَادِيهِ وَانْحَطَّتْ عَنِ الْكَفْلِ^(٦)

قلت: الثاني من الأول والرابع من الثاني في غاية الحسن، وهما من المبالغات
المليحة، وما أحسن ما أنشدني لنفسه من لفظه المولى جمال الدين محمد بن
محمد بن نباتة^(٧) بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة: [من البسيط]

وَرَدَّ مَعَ الْعُرْبِ مَنْسُوبٌ فَلَا قَطْعَتْ أَيْدِي الْحَوَادِثِ مِنْ أَنْسَابِهِ شَجَرَهُ
إِذَا امْتَطَى ظَهْرَهُ رَامِي السَّهَامِ مَضَى وَالسَّهْمُ حَذَوًا فَلَوْلَا سَبْقُهُ عَقْرَهُ^(٨)

(١) من شعراء العصر المملوكي الكبار، ولد في الحلة، وزار مصر والحجاز والشام، وأقام بماردين
في بلاط بني أرتق، يمدحهم ويخلص لهم النصيحة والود. توفي سنة ٧٥٠هـ / ١٣٤٩م. (فوات
الوفيات: ٣٣٥/٦؛ الدرر الكامنة: ٣٦٩/٢؛ صفى الدين الحلي، إبراهيم حور: دراسة كاملة).

(٢) أَعْرُتُ: واضح الجبين. تَبْرِيٌّ: نسبة إلى التَّبَرُّ: الذَّهَبُ. الْإِهَابُ: الجِلْدُ. السَّبَطُ: الحسن.
الأديم: الجلد، ومن كل شيء: ظاهره؛ يقال: فلان سبط الجسم: حسن القد، وامرأة سبطة
الخلق: رخصة ليئة. التَّحْجِيلُ: بياض في قوائم الفرس.

(٣) الأدهم: الفرس الأسود اللون. اليَقْقُ: شدة البياض. ذو مَرَحٍ: ذو نشاط. يَمِيسُ: يتمایل
متبخرأ. العُجْبُ: التيه والزهو. الشارب الثمل: الشديد السكر.

(٤) مُضَمَّرٌ: مَرُوضٌ، مُدَلَّلٌ.

(٥) مَطَا كُلُّ شَيْءٍ: ظَهَرَهُ.

(٦) صَهْوَةُ الْجَوَادِ: أعلاه. الهادي: العُنُق. الْكَفْلُ: الْعَجْزُ لِلْإِنْسَانِ وَالِدَابَةِ.

(٧) هو أبو بكر، محمد بن محمد الجذامي، الفارقي، المصري، جمال الدين، المعروف بابن نباتة:
شاعر عصره، وأحد الكتّاب المترسلين، العلماء بالأدب. توفي سنة ٧٦٨هـ / ١٣٦٦م. (تاريخ
الأدب العربي، فروخ: ٤٩٤/٣؛ الدرر الكامنة: ٢١٦/٤).

(٨) حَذَوًا: من حاذى الشيء محاذاةً وحذاءً: صار بحذاءه ووازا. عَقَرَ الْبَعِيرَ ونحوه: قطع إحدى
قوائمه ليسقط ويتمكن من ذبحه، وعقر الحيوان: ذبحه، وعقر السَّرجُ الظَّهْرَ: جَرَحَهُ.

عَجِبْتُ حِينَ يُسَمَّى سَابِحاً وَلَهُ وَثُبُّ لَوِ الْبَحْرِ أَرْسَى دُونَهُ طَفَرَهُ^(١)
 فَتَخَاءُ فِي هَضْبَاتِ الْحَزْنِ صَاعِدَةً أَوْ لَا فَصَاعِقَةً فِي السَّهْلِ مُنَحْدِرَةً^(٢)
 لَمَّا تَرَفَّعَ عَنْ نَدٍّ يُسَابِقُهُ أَضْحَى يُسَابِقُ فِي مَيْدَانِهِ نَظْرَهُ^(٣)

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف بن سليمان بن أبي الحسن
 الصوفي بدمشق في جمادى الأولى سنة إحدى وثلاثين وسبعمئة: [من البسيط]

وَأَذْهَمَ اللَّوْنُ فَاتَ الْبَرْقَ وَانْتَظَرَهُ فَغَارَتِ الرِّيحُ حَتَّى غَيَّبَتْ أَثَرَهُ
 فَوَاضِعٌ رِجْلُهُ حَيْثُ انْتَهَتْ يَدُهُ وَوَاضِعٌ يَدُهُ أَنْى رَمَى بَصَرَهُ
 شَهْمٌ تَرَاهُ يُحَاكِي السَّهْمَ مُنْطَلِقاً وَمَا لَهُ عَرَضٌ مُسْتَوْقِفٌ خَبَرَهُ
 وَيَعْقُرُ الْوَحْشَ فِي الْبَيْدَاءِ فَارِسُهُ وَيَنْثَنِي وَإِدْعَاءُ لَمْ يَلْتَحِفْ غَبَرَهُ

ومما اتفق لي نظمه في فرس أشقر: [من السريع]

يَا حُسْنَهُ مِنْ أَشْقَرٍ قَصَّرتُ عَنْهُ بُرُوقُ الْجَوِّ فِي الرِّكْضِ
 لَا تَسْتَطِيعُ الشَّمْسُ مِنْ جَرِيهِ تَرْسُومُهُ ظِلًّا عَلَى الْأَرْضِ

وقال الطغرائي يصف الصبح: [من الطويل]

وَرَدْنَا سُحَيْرًا بَيْنَ يَوْمٍ وَلَيْلَةٍ وَقَدْ عُلِّقَتْ بِالْغَرْبِ أَيْدِي الرِّكَّابِ
 عَلَى حِينٍ عَرَى مِنْكَبِ الشَّرْقِ جَذْبُهُ مِنْ الصُّبْحِ وَاسْتَرْخَى عِنَانُ الْغِيَاهِبِ^(٤)

ما أحسن هذه الاستعارة في عَرَى منكب الشرق، وفي استرخاء عِنان الليل،
 يعني أن الصبح ظهر وانكشف، والليل أسرع ذاهباً. والاستعارة الأولى من قول ذي
 الرِّمَّة^(٥): [من الطويل]

وَقَدْ لَاحَ لِلْسَّارِي الَّذِي كَمَّلَ السُّرَى عَلَى أَخْرِيَاتِ اللَّيْلِ فَتَقَّ مُشَهَّرُ
 كَمِثْلِ الْحَصَانِ الْأَنْبُطِ الْبَطْنِ قَائِماً تَمَائِلَ عَنْهُ الْجَلُّ وَاللَّوْنُ أَشْقَرُ^(٦)

(١) الْوُثْبُ: الْقَفْزُ. الطَّفَرُ: وَثُوبٌ فِي ارْتِفَاعٍ.

(٢) فَتَخَاءُ: عُقَابُ لَيْلَةِ الْجَنَاحِينَ. الْحَزْنُ: الْأَرْضُ الْغَلِيظَةُ الصَّلْبَةُ فِيهَا حِجَارَةٌ.

(٣) النَّدُّ: الْمِثْلُ وَالنَّظِيرُ.

(٤) الْغِيَاهِبُ: الظُّلُمَاتُ، الْمَفْرَدُ: غَيْهَبٌ.

(٥) ذُو الرِّمَّةِ: هُوَ أَبُو الْحَارِثِ، غِيلَانُ بْنُ عَقْبَةَ بْنِ بَهْشِي، الْمَعْرُوفُ بِذِي الرِّمَّةِ: شَاعِرٌ مِنْ عَشَاقِ الْعَرَبِ الْمَشْهُورِينَ، وَصَاحِبَتُهُ مَيَّةُ بِنْتُ فُلَانِ بْنِ طَلْبَةَ، قِيلَ فِيهِ: خُتِمَ الشَّعْرُ بِذِي الرِّمَّةِ. تُوْفِيَ سَنَةَ ١١١٧هـ/ ٧٣٥م. (طَبَقَاتُ الشُّعْرَاءِ، ابْنُ سَلَامٍ: ٥٤٩؛ الشُّعْرُ وَالشُّعْرَاءُ: ٤٣٧/٢).

(٦) الْأَنْبُطُ مِنَ الْخَيْلِ: مَا فِيهِ بَيَاضٌ تَحْتَ إِبْطِهِ أَوْ بَطْنِهِ. الْجَلُّ: مَا تُعْطَى بِهِ الدَّابَّةُ لِتُصَانَ.

فأخذه ابن المعتز^(١) فقال^(٢): [من الوافر]

وَسَاقٍ يَجْعَلُ الْمِنْدِيلَ مِنْهُ مَكَانَ حَمَائِلِ السَّيْفِ الطُّوَالِ
عَدَا وَالصُّبْحُ تَحْتَ اللَّيْلِ بَادٍ كَطَرْفِ أَشْقَرٍ مُلْقِي الْجَلَالِ^(٣)

ونقله ابن المعتز إلى النار فقال^(٤): [من الطويل]

مُشْهَرَّةٌ لَا يَحْجُبُ الْبَخْلُ ضَوْءَهَا كَأَنَّ سُيُوفاً بَيْنَ عِيدَانِهَا تُجَلَّى^(٥)
يُفَرِّجُ أَغْصَانَ الْوُقُودِ اضْطِرَامُّهَا كَمَا شَقَّتِ الشَّقَرَاءُ عَنْ مَتْنِهَا جَلًّا^(٦)

والاستعارة الثانية تشبه قول ابن عمار الأندلسي^(٧): [من الكامل]

أَدْرِ الزُّجَاجَةَ فَالْنَسِيمُ قَدْ انْبَرَى وَاللَّيْلُ قَدْ صَرَفَ الْعِنَانَ عَنِ السَّرَى^(٨)

لكن ابن عمار كتبه عن ذهاب الليل بصرف العنان. والطُّغْرَانِي كتبه عن ذهابه بإرخاء العنان، كأنه أسرع وولّى هارباً. واستعمله ابن قلاقس في البرق فقال: [من السريع]

نَعَمْ هُوَ الْبَرْقُ عَلَى الْأَنْعَمِ فَاشْقَ بِهِ إِنْ شِئْتَ أَوْ فَاَنْعَمِ
لَا حَ بَأْغَلَى هَضْبَةٍ خَافَقَا خَفَقَ لِوَاءِ الْبَطْلِ الْمُعْلَمِ
وَزَالَ عَنْ صَهْوَةِ طَرْفِ الدُّجَى سَقَطَ جَلُّ الْفَرَسِ الْأَدْهَمِ

(١) ابن المعتز: هو أبو العباس، عبد الله بن محمد المعتز بالله العباسي: الشاعر المبدع، خليفة اليوم واللييلة. ولد في بغداد، وقُتِلَ فيها سنة ٢٩٦هـ/ ٩٠٩م. من آثاره: «طبقات الشعراء»، و«البديع»، و«ديوان شعر»، وغيرها. (تاريخ بغداد: ٩٥/١٠).

(٢) ديوان ابن المعتز: ٥٧٠.

(٣) في الديوان: «كَطَرْفِ أْبْلَقِي». الطَّرْفُ: الكريم من الخيل. الأَبْلَقُ: الذي يجمع لونه بين السَّوَادِ والْبَيَاضِ.

(٤) ديوانه: ٥٨١.

(٥) مُشْهَرَّةٌ: مرتفعة.

(٦) في الديوان: «تُفَرِّجُ أَغْصَانَ الْوُقُودِ إِذَا التَّقَّتْ». تُفَرِّجُ: الشَّقَرَاءُ: الفرس الشقراء.

(٧) هو أبو بكر، محمد بن عمار بن الحسين بن عمار المهري، الأندلسي، ذو الوزارتين: شاعرٌ هَجَاءٌ. اختصَّ بالمعتمد بن عباد، ثم انقلب عليه، فذبحه المعتمد صَبْرًا، سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م. (المعجب في تلخيص أخبار المغرب، المراكشي: ٨٥؛ المطرب من أشعار المغرب، ابن دحية: ١٤٧).

(٨) البيت في المطرب من أشعار المغرب: ١٤٨، وهو مطلع قصيدة قالها في مدح المعتضد بالله أبي عمرو عباد بن مُحَمَّد. انبرى: عرض. العنان: سير اللجام الذي تُمسك به الدابة، استعاره للنجم. وَصَرَفَ الشَّيْءَ صَرْفًا: رَدَّهُ عَنْ وَجْهِهِ. السَّرَى: السَّيْرُ فِي اللَّيْلِ.

وقال الطغرائي من أبيات : [من الطويل]

وَنَفْسٍ بِأَعْقَابِ الْأُمُورِ بَصِيرَةٍ لَهَا مِنْ طِلَاعِ الْعَيْبِ حَادٍ وَقَائِدٌ^(١)
وَتَأْنَفُ أَنْ يَشْفِيَ الزُّلَالُ غَلِيلَهَا إِذَا هِيَ لَمْ تَشْتَقْ إِلَيْهَا الْمَوَارِدُ

يشير إلى قول أبي العلاء المَعَرِّي مع أنه هدم القافية^(٢) : [من الطويل]

إِذَا اشْتَاكَتِ الْخَيْلُ الْمَنَاهِلَ أَعْرَضْتُ عَنْ الْمَاءِ فَاشْتَاكَتْ إِلَيْهَا الْمَنَاهِلُ

وهو مأخوذ من قول البحتري^(٣) : [من الكامل]

لَوْ أَنَّ مُشْتَاكَاتٍ تَكَلَّفَ فَوْقَ مَا فِي وَسْعِهِ لَسَعَى إِلَيْكَ الْمُنْبَرُ

ومن هذا المعنى أخذ المتنبي قوله^(٤) : [من الكامل]

لَوْ تَعَقَّلُ الشَّجَرُ الَّتِي قَابَلَتْهَا مَدَّتْ مُحَيِّيةً إِلَيْكَ الْأَغْصَنَا

ولكنّ ديباجة البحتري أحسن وأمكن وأمتن . قال ميمون بن هاران : رأيت أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البلاذري المؤرخ يقول : كنت من جلساء المستعين ، فقصدته الشعراء ، فقال لست أقبل إلا مَنْ قال مثل قول البحتري في المتوكل «لو أن مشتاقاً» . فرجعت إلى داري وصنعت بيتين وأتيتته فقلت : قلت فيك أحسن مما قال البُحتري . فقال هاته فأنشدته : [من الطويل]

وَلَوْ أَنَّ بُرْدَ الْمُصْطَفَى إِذْ لَبِسَتْهُ يَظُنُّ لَظَنَّ الْبُرْدُ أَنَّكَ صَاحِبُهُ
وَقَالَ وَقَدْ أُعْطِيَتْهُ وَلَبِسَتْهُ نَعَمْ هَذِهِ أَعْطَاؤُهُ وَمَنَاكِبُهُ

فقال : إرجع إلى منزلك وافعل ما أمرك به . فرجعت فبعث لي بسبعة آلاف دينار وقال : ادّخر هذه للحوادث بعدي ولك عليّ الجراية والكفاية ما دمت حيّاً . وقال الطغرائي : [من الكامل]

إِنِّي لِأَذْكُرْكُمْ وَقَدْ بَلَغَ الظَّمَا مِنِّي فَأَشْرَقَ بِالزُّلَالِ الْبَارِدِ^(٥)
وَأَقُولُ لَيْتَ أَحَبَّتِي عَايَنْتُهُمْ قَبْلَ الْمَمَاتِ وَلَوْ بِيَوْمٍ وَاحِدٍ

وقال أيضاً : [من الكامل]

مَرَضَ النَّسِيمُ وَصَحَّ وَالِدَاءُ الَّذِي أَشْكُوهُ لَا يُرْجَى لَهُ إِفْرَاقُ^(٦)

(١) الحادي : السائق .

(٢) ديوان أبي العلاء (سقط الزند) : ١٨٣ .

(٣) ديوان البحتري : ٢٤ .

(٤) ديوان المتنبي : ٢٩٦ / ١ .

(٥) أشرق : أغص .

(٦) الإفراق : البرء .

وَهَذَا خُفُوقُ الْبَرْقِ وَالْقَلْبُ الَّذِي ضَمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحِي خَفَّاقُ
وما أحسن قول ابن التعاويذي وأرقّه: [من البسيط]

إِرْحَمْ ضَنْيَ جَسَدٍ أَوْدَى السَّقَامُ بِهِ أَتْلَفْتُهُ فَيْكَ وَأَنْظُرْ فِي تَلَافِيهِ^(١)
وَاسْأَلْ خَيَالَكَ عَنْ هَمِّ أَكَابِدِهِ لَيْلِي الطَّوِيلِ وَعَنْ وَجْدِ أَعَانِيهِ^(٢)
تَصَرَّمْتُ فَيْكَ أَيَّامِي وَقَصَّرَ عُدَّالِي وَقَلْبِي الْمُعْنَى فِي تَمَادِيهِ^(٣)
وقال الطغرائي: [من البسيط]

تَاللَّهِ مَا اسْتَحْسَنْتُ مِنْ بَعْدِ فُرْقَتِكُمْ عَيْنِي سِوَاكُمْ وَلَا اسْتَمْتَعْتُ بِالنَّظَرِ
إِنْ كَانَ فِي الْأَرْضِ شَيْءٌ غَيْرَكُمْ حَسَنًا فَإِنَّ حُبَّكُمْ غَطَّى عَلَى بَصْرِي
وقول أبي الطيّب^(٤): [من البسيط]

يُقْضَى عَلَى الْمَرءِ فِي أَيَّامٍ مِحنَتِهِ حَتَّى يَرَى حَسَنًا مَا لَيْسَ بِالْحَسَنِ
هذا من قول العباس بن الأحنف فيما أظن: [من البسيط]

قَالَتْ وَأُبْثِثْتُهَا سِرِّي فَبُحْتُ بِهِ قَدْ كُنْتَ عِنْدِي مُحِبَّ السَّتْرِ فَاسْتَتِرْ
أَلَسْتُ تُبْصِرُ مَنْ حَوْلِي فَقُلْتُ لَهَا غَطَّى هَوَاكَ وَمَا أَلْقَى عَلَى بَصْرِي
وما أحسن ما ضمّنه مُجير الدين محمد بن تميم وسيأتي: [من البسيط]

لَمَّا رَحَلْتُمْ بِقَلْبِي فِي حُمُولِكُمْ فَطَلْتُ حَيْرَانَ بَيْنَ الْهَمِّ وَالْفِكْرِ
سَلَطْتُ دَمْعِي عَلَى عَيْنِي وَقَبْلِكُمْ قَدْ كُنْتُ أَشْفَقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصْرِي
وقال الطغرائي: [من الخفيف]

خَبَّرُوهَا أَنِّي مَرِضْتُ فَقَالَتْ أَصْنَى طَارِفًا شَكَى أُمَ تَلِيدِ^(٥)
وَأَشَارُوا بِأَنْ تَعُودَ وَسَادِي قَابَتْ وَهِيَ تَشْتَهِي أَنْ تَعُودَ^(٦)
وَأَتَشْنِي فِي خِيفَةٍ وَهِيَ تَشْكُو أَلَمَ الْوَجْدِ وَالْمَزَارَ الْبَعِيدِ
وَرَأَتْنِي كَذَا فَلَمْ تَتَمَالِكْ أَنْ أَمَالَتْ عَلَيَّ عِطْفًا وَجِيدًا^(٧)

(١) الضَّنَى: المرض الشديد. أودى به: أهلكه. أتلفتته: أهلكته، أفنيته.

(٢) أكابده: أفاسيه.

(٣) تَصَرَّمْتُ: تَقَطَّعْتُ. الْمُعْنَى: الْمُتَعَبُ. التَمَادِي: تجاوز الحد في الشيء.

(٤) لم يرد هذا البيت في ديوانه.

(٥) الضَّنَى: المرض الشديد. الطارف: الحديث. التليد: القديم.

(٦) تعود: تزور، أو ترجع.

(٧) العطف: جانب الجسد من الرأس إلى الورك، وهما عطفان. الجيد: العنق.

قلت: هذه الأبيات يرشفها السمع مُداماً، ويفضّلها السامع على العقود نظاماً،
ويظن الناظر ألفاتها غصوناً، والهمزات عليها حمّاماً، وما أحسن قول الأستاذ شمس
الدين بن العفيف في الزيارة^(١): [من الخفيف]

وَمَلِيحٍ كَالْبَدْرِ زَارَ بَلِيلٍ فَجَلَا حُسْنُهُ الدُّجَى إِذْ تَجَلَّى^(٢)
مَا دَرَى مَنَزَلِي وَلَكِنَّ قَلْبِي بِلَهَيْبِ الْجَوَى هَدَاهُ وَوَلَّى^(٣)
وَعَجِيبٌ مِنْهُ فَقِيهٌ ذَكِيٌّ بِمَحَلِّ النِّزَاعِ كَيْفَ اسْتَدَلَّ
وفي قوله بمحل النزاع مسامحة يسيرة تغتفر لما فيها من التورية، وأما العيادة
فيعجبني فيها قول السراج الوراق^(٤) ومن خطه نقلت: [من المجتث]

مَرَضْتُ لِلَّهِ قَوْمٌ مَا فِيهِمْ مَنْ جَفَانِي
عَادُوا وَعَادُوا وَعَادُوا عَلَى اخْتِلَافِ الْمَعَانِي

وقد أنشدتهما لجماعة من العصريين فلم يفسروا كيفية اختلاف المعاني في عادوا
بل الفاضل منهم يقول: الأول من العيادة والثاني من العود. قلت: والثالث من قولهم
اللَّهُمَّ عُدْ عَلَيْنَا بِفَضْلِكَ. ونقلت من خط السراج الوراق له أيضاً: [من مخلع البسيط]

قَالَ صَدِيقِي وَلَمْ يَعُدْنِي وَعَارِضُ السُّقْمِ فِيَّ أَثَّرُ
لَقَدْ تَغَيَّرَ يَا صَدِيقِي وَيَعْلَمُ اللَّهُ مَنْ تَغَيَّرَ
وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة: [من الكامل]

وَمَلُولَةٍ فِي الْحَبِّ لَمَّا أَنْ رَأَتْ أَثَرَ السَّقَامِ بِعَظْمِي الْمُهْتَاضِ^(٥)
قَالَتْ تَغَيَّرْنَا فَقُلْتُ لَهَا نَعَمْ أَنَا بِالسَّقَامِ وَأَنْتِ بِالْإِعْرَاضِ
والثاني بديع، وفي الأول نظر من وجهين. وقال ناصر الدين بن النقيب
الفقيسي^(٦) رحمه الله تعالى: [من الطويل]

(١) ديوان الشاب الظريف: ٢٦٢.

(٢) في الديوان: «وفقيه»، و«فَجَلَا نُورُهُ». الدُّجَى: الظلمة. جلا الظلمة: كشفها.

(٣) في الديوان:

«مَا دَرَى مَوْضِعِي بِضَرَامِ الْحَشَا هَدَاهُ وَوَلَّى»

(٤) هو سراج الدين، أبو حفص، عمر بن محمد بن حسن الوراق المصري الفائزي: شاعر مجيد،
ولد بمصر، وتكسّب بنسخ الكتب وتجليدها وبيعها، واتّصل ببعض أعيان عصره ومدحهم. توفي
سنة ٦٩٥هـ/ ١٢٩٦م. (فوات الوفيات: ٣/ ١٤٠؛ النجوم الزاهرة: ٨/ ٨٣).

(٥) الْمُهْتَاضُ: المكسور.

(٦) هو ناصر الدين، الحسن بن شاوور بن طرخان بن الحسن، المعروف بابن النقيب: من شعراء =

سَمِعْتُ بِمَا تَشْكُو وَمَا أَنْتَ وَاجِدٌ فَظَلَّتْ دُمُوعُ الْعَيْنِ فِي الْخَدِّ تَسْفَحُ
وَأُرْسِلْتُ خَطِي فِي الْعِيَادَةِ نَائِبًا وَمَا كُلُّ خَطٍّ لِلزِّيَارَةِ يَصْلَحُ

وقال الطغرائي في البان: [من المتقارب]

عُصُونُ الْخِلَافِ اكْتَسَتْ فَنَابَرَتْ لَهَا الطَّيْرُ دَارِسَةً شَجُوهَا^(١)
مُقَدِّمَةٌ لَوُرُودِ الرَّبِّبِ عِشَّةٌ تَشْخُصُ أَبْصَارُنَا نَحْوَهَا
أَحْسَتْ بِرَحْلَةِ فَضْلِ الشِّتَا فَجَاءَتْ وَقَدْ قَلَبَتْ فَرْوَهَا

قلت: لا بدّ من المسامحة في هذا الثالث، وقد قلده الآخر فقال: [من السريع]
قَدْ أَقْبَلَ الصَّيْفُ وَوَلَّى الشِّتَا وَعَنْ قَلِيلٍ نَشْتَكِي الْحَرَّ
أَمَا تَرَى الْبَانَ بِأَغْصَانِهِ قَدْ قَلَبَ الْفَرْوَ إِلَى بَرٍّ

وأسلم منهما قول القائل: [من الكامل]

أَوْ مَا تَرَى الْبَانَ الَّذِي يَزْهَوُ عَلَى كُلِّ الْعُصُونِ بِقَدِّهِ الْمَيَّاسِ^(٢)
وَأَفَى بِشِيرٍ بِالرَّبِيعِ وَقُرْبِهِ يَخْتَالُ فِي السَّنَجَابِ وَالْبِرْطَاسِ

وما أحلى قول محيي الدين بن قُرْنَصٍ: [من الرجز]

وَالْبَانَ مُذْ وَلَّى الشِّتَا أَقْبَلَ فِي زِيٍّ عَجَبُ
يَخْلَعُ سَنَجَابًا مِنْ أَلِ فَرْوٍ وَيَبْدُو فِي غَبَبُ

قلت: تشبيه البان بالسنجاب والبرطاس واقع في موضعه. حُكي أن شهاب الدين بن جلنك كتب ورقةً إلى بعض الحكام يسأله فيها شيئاً فوقع له برطلين من خبز، فتوجّه إلى بستان للحاكم وكتب على حائطه رحمه الله تعالى: [من الكامل]

لَلَّهِ بَسْتَانٌ حَلَلْنَا دَوْحَهُ فِي جَنَّةٍ قَدْ فَتَّحَتْ أَبْوَابَهَا
وَالْبَانَ تَحْسِبُهُ سَنَانِيرًا رَأَتْ قَاضِيَ الْقَضَاةِ فَنَفَّشَتْ أَذْنَابَهَا

قيل: إن الشيخ بدر الدين بن مالك أملى عليهما كراسة في البديع ولم أرها، وقال الطغرائي في الشمعة من أبيات: [من الكامل]

يَحْيَى بِمَا يَفْنَى بِهِ جِسْمُهُ فَحَيَّاهُ مَرْهُونَةٌ بِفَنَائِهِ^(٣)

= القاهرة المعدودين في العصر المملوكي. توفي سنة ٦٨٠هـ / ١٢٨٠م. (فوات الوفيات: ١ / ٣٢٤؛ النجوم الزاهرة: ٣٨٦/٧).

(١) انبرت: عَرَضَتْ. (٢) الميَّاسُ: المتبختر المختال.

(٣) في صدر البيت خلل عروضي.

سَاوَيْتُهُ فِي لَوْنِهِ وَنُحُولِهِ وَفَضَّلْتُهُ فِي بُؤْسِهِ وَشَقَائِهِ
هَبْ أَنَّهُ مِثْلِي بِحُرْقَةٍ قَلْبِهِ وَسُهَادِهِ طُولَ الدُّجَى وَبُكَائِهِ
أَفْوَادُ طُولِ النَّهَارِ مُرَّقَهُ كَمُعَذِّبٍ بِصَبَاحِهِ وَمَسَائِهِ^(١)

وما تركت قصيدة الأرجاني^(٢) الهائية التي له في الشمعة رأساً يرفعه شاعر ولا بيتاً في غيرها يعدُّ من البديع النادر، بل أخذت بمجامع الحسن، وفاقت على المقاول اللسن، ولشهرتها لم أثبتها هنا، وقال الطغرائي فيها أيضاً من أبيات:

أَعْدَى إِلَيْهِ لَظَى فُؤَادِي فَالْتَقَى نَاراً تُحَدِّثُ عَنْ لَظَى بُرْحَائِهِ^(٣)
أَمُعَذِّبٍ وَالنَّارُ فِي عَذْبَاتِهِ كَمُعَذِّبٍ وَالنَّارُ فِي أَحْشَائِهِ
وما أحلى قول مجير الدين مُحَمَّد بن تميم وقد اجتاز ليلةً بدار صاحب له ومعه شمعة، وقد طفئت فأوقدها من داره، ومن خطه نقلت: [من الكامل]

لَمَّا أَرَزْتُكَ شَمْعَتِي لِتُنِيرَهَا جَاءَتْ تُحَدِّثُ عَنْ سِرَاجِكَ بِالْعَجَبِ
وَأَفْتُهُ حَاسِرَةً فَقَبَّلَ رَأْسَهَا وَأَعَادَهَا نَحْوِي بَتَاجٍ مِنْ ذَهَبٍ

وله في مליح في يده شمعة: [من الكامل]

عَجِباً لَهُ أَنِّي يَزُورُ بِشَمْعَةٍ وَضِيَاؤُهُ يُثْنِي الظَّلَامَ نَهَاراً
وَأَظْنُهَا لَمَّا تَلَّهَبَ قَلْبُهَا حَسِداً أَسَالَتْ دَمْعَهَا مِذْرَاراً
وَعَدَّتْ لِفَرْطِ الْغَيْظِ تُعْطِي كُلَّ مَنْ وَافَى لِيَقْطَعَ رَأْسَهَا دِينَاراً

وما أحسن قول القائل: [من الطويل]

وَبَاكِيةٍ مِنْ غَيْرِ حُزْنٍ بِأَدْمَعٍ تَذُوبُ بِهَا أَحْشَاؤُهَا حِينَ تَنْهَمِلُ
دُمُوعٌ إِذَا رُدَّتْ إِلَيْهَا بَكَتْ بِهَا وَلَمْ أَرْ دَمْعاً غَيْرَهُ رُدَّ فِي الْمُقْلِ

وقول الآخر: [من المتقارب]

إِذَا مَرَضْتُ طَالَ مِنْهَا اللِّسَانُ وَمَدَّ الْمُدَاوِي إِلَيْهَا يَدَا
وَيَقْطِفُ مِنْ رَأْسِهَا الْجُلُنَّارَ فَيَرْجِعُ أَهْلِيلِجاً أَسْوَدَا^(٤)

(١) الوادع: الساكن، الهادئ.

(٢) هو أبو بكر، ناصح الدين، أحمد بن محمد الأرجاني: شاعر، في شعره رقةً وحكمة. توفي سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م. (الأعلام: ١/ ٢١٥).

(٣) البرحاء: الشدة، أو العذاب الشديد.

(٤) الجُلُنَّارُ: زهر الرمان. الإهليلج: شجر ثمره على هيئة حب الصنوبر الكبار.

وقال الطغرائي من أبيات في الروض والنهر: [من السريع]

يَشَقُّهَا فِي وَسْطِهَا جَدُولٌ مِيَاهُهُ الْعَذْبَةُ مَثْلُوجَةٌ^(١)
لَهُ سَوَاقٍ طَفَحَتْ وَالتَّوْتُ تَلَوَّى الْحَيَّاتِ مَشْجُوجَةٌ^(٢)
فَهِيَ رِمَاحٌ أَشْرَعَتْ نَحْوَهَا تَطْعَنُهَا سَلَكَى وَمَخْلُوجَةٌ

قلت: عجز البيت الثالث صدر بيت امرئ القيس وهو^(٣): [من السريع]

نَطْعَنُهُمْ سَلَكَى وَمَخْلُوجَةٌ كَكَرٌّ لَأَمِينٍ عَلَى بَابِلِ
السَّلَكَى الطعنة المستقيمة التي تكون حيال الوجه، والمخلوجة التي تأتي عن
اليمين وعن الشمال. وقال ابن حمديس الصّقلي وأحسن: [من الطويل]

وَمُطَّرِدُ الْأَجْزَاءِ تَصْقُلُ مَتْنُهُ صَبَاً أَعْلَنْتُ لِلْعَيْنِ مَا فِي ضَمِيرِهِ^(٤)
جَرِيحٌ بِأَطْرَافِ الْحَصَا كُلَّمَا جَرَى عَلَيْهِ شَكَى أَوْجَاعُهُ بِخَرِيرِهِ
كَأَنَّ حُبَاباً رِيْعَ تَحْتَ جَنَابِهِ فَأَقْبَلَ يُلْقِي نَفْسَهُ فِي غَدِيرِهِ^(٥)

وقال الطغرائي يصف كوكب الرجم: [من المتقارب]

وَلَيْلٍ تَرَى الشَّهْبَ مُنْقَضَةً بِهَا نَحْوُ مُسْتَرَقٍ سَمْعُهُ
كَمَا مَدَّ مِنْ ذَهَبٍ مَدَّةً عَلَى لَازَوْزْدِيَّةِ الرَّقْعَةِ

وما أحسن قول بعضهم فيه: [من البسيط]

وَكَوْكَبٍ أَبْصَرَ الْعَفْرِيْتُ مُسْتَرَقاً لِلْسَّمْعِ فَاَنْقَضَ يُذَكِّي إِثْرَهُ لَهَبَهُ
كَفَارِسٍ حَلٍّ مِنْ تِيهِ عَمَامَتُهُ وَجَرَّهَا كُلُّهَا مِنْ خَلْفِهِ عَذْبَهُ

وقال الطغرائي يصف الهلال والثريا: [من الكامل]

وَتَرَى الثَّرِيَا وَالْهَلَالَ مُظَاهِراً لِْمُعَنْبِرِ مِنْ حَلِيهِ وَمُجْعِدِ
كَالْحَبِّ فُصِّلَ فِي وَشَاحٍ خَرِيدَةٍ حَسَنَاءَ تَطْلُعُ فِي لِثَامٍ أَسْوَدِ^(٦)

(١) مثلوجة: باردة كالثلج.

(٢) طفحت: امتلأت وفاضت. مشجوجة: شجج رأسها: شق.

(٣) ديوان امرئ القيس: ١١٧؛ وفيه:

نَطْعَنُهُمْ سَلَكَى وَمَخْلُوجَةٌ كَرَكَ لَأَمِينٍ عَلَى نَابِلِ

(٤) تَصْقُلُ متنه: تجلوه وتكشفه.

(٥) الحُبَابُ: الحَيَّة. رِيْعٌ: أَفْرَعٌ.

(٦) الخريدة: الفتاة العذراء.

فَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّهَا فِي جَنْبِهِ عَنْقُودَةٌ فِي زَوْرَقٍ مِنْ عَسْجَدٍ

قلت: وقول ابن طَبَّاطِبَا العلوي^(١) أحسن ما قيل في هذا الباب: [من الطويل]

أَمَّا والثريا والهلال جَلَّتَهُمَا لِي الشَّمْسُ إِذْ وَدَّعْتُ كَرْهًا نَهَارَهَا
كَأَسْمَاءَ إِذْ زَارَتْ عِشَاءً وَغَادَرَتْ ذَلَالًا لَدَيْنَا قِرْطَهَا وَسَوَارَهَا

وتشبيه ابن المعتز أكمل من ثالث الطُّغْرَائِي حيث قال^(٢): [من المشرح]

قَدْ انْقَضَتْ دَوْلَةُ الصِّيَامِ وَقَدْ بَشَّرَ سُقْمُ الْهَيْلَالِ بِالْعِيدِ
يَتَلَوُ الثُّرَيَّا كَفَاغِرِ شَرِّهِ يَفْتَحُ فَاهُ لِأَكْلِ عَنْقُودِ^(٣)

وقال ابن المعتز أيضاً^(٤): [من الخفيف]

زَارَنِي وَالذُّجَى أَحْمُ الْحَوَاشِي وَالثُّرَيَّا فِي الْغَرْبِ كَالْعُنْقُودِ^(٥)
وَهَيْلَالُ السَّمَاءِ طَوْقُ عَرُوسٍ بَاتَ يُجَلَّى عَلَى غَلَائِلِ سُودٍ

وشبَّهها ابن قلاقس تشبيهاً حسناً فقال: [من الرجز]

يَا رَبِّ لَيْلٍ أَشْتَهِي لِبَاسَهُ قَدْ عَطَّرَ الْوَصْلُ لَنَا أَنْفَاسَهُ
دَعِ امْرَأَ الْقَيْسِ وَدَعِ أَمْرَاسَهُ فَتَرَى الْهَيْلَالَ سُرْعَةً قَدْ قَاسَهُ^(٦)

مُنْكَسًا نَحْوَ الثُّرَيَّا رَأْسَهُ هَلْ تَعْرِفُ الْعُرْجُونَ وَالْكَبَاسَةَ^(٧)

ولمحمد بن الخياط الدمشقي^(٨) في تشبيه الهلال قريباً من كوكبين: [من الكامل]

لَاخَ الْهَيْلَالِ كَمَا تَعُوجُ مُرْهَفَاً وَالْكُوكَبَانِ فَأَعْجَبَا بَلَّ أَطْرَفَا^(٩)

(١) هو أبو الحسن، محمد بن أحمد بن محمد العلوي، المعروف بابن طباطبا: عالم، أديب، شاعر. ولد بأصبهان، وتوفي فيها سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م. (معجم الشعراء، المرزباني: ٤٢٧؛ معجم المؤلفين: ٨ / ٣١٢).

(٢) ديوان ابن المعتز: ٢٤٣.

(٣) فَاغَرَّ: من فَعَرَ قَمَهُ: فتحه. الشَّرُّ: الشديد. الاشتهااء للطعام. وقد سقط هذا البيت من الديوان، وفيه قبل البيت السابق:

أَهْلًا وَسَهْلًا بِالنَّايِ وَالْعُودِ وَكَأْسٍ سَاقٍ كَالْغَصْنِ مَقْدُودِ

(٤) لم يرد هذان البيتان في ديوانه. (٥) أَحْمُ: شديد السَّوَادِ.

(٦) الْأَمْرَاسُ: الجِبَالُ.

(٧) نَكَسَ رَأْسَهُ: خَفَضَهُ، أماله إلى أسفل. العرجون: أصل الكباسة، سُمِّيَ بذلك لانعراجِهِ وانعطافِهِ. والكباسة: القُتُو التام من النخل بمشاريخه وبسره.

(٨) هو شمس الدين، محمد بن يوسف بن عبد الله الدمشقي، ابن الخياط، ويقال له: الضفدع: شاعر مجيد مكثر. ولد بدمشق، وتوفي فيها سنة ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م. (الدرر الكامنة: ٤ / ٣٠٠).

(٩) لاح: بدا وظهر. المُرْهَفُ: الدقيق. أَطْرَفَ فلان: أتى بطرفة: الشيء الحديث العجيب، ومنه: أطرفه بالشيء: أتحفه به.

مُتَتَابِعِينَ تَتَابَعَ الْكَعْبَيْنِ فِي رُمَحٍ أَقِيمَ الصَّدْرُ مِنْهُ وَثُقْفَا^(١)

فَكَأَنَّهُ وَقَدْ اسْتَقَامَا فَوْقَهُ كَفَّ يُخَالِفُ أَكْرَتَيْنِ تُلْقُفَا^(٢)

ولآخر في تشبيهه مع الزهرة: [من السريع]

أَمَّا رَأَيْتَ الْأَفْقَ لِمَا غَدَا هِلَالُهُ مُلْتَقِمَ الزُّهْرَةِ^(٣)

كَعَاشِقٍ قَبْلَ مَعْشُوقَةٍ فَالْتَقِمْتُ مِنْ فَمِهِ دُرَّةً

ولآخر في تشبيهه مع انقضاخ النجوم: [من المنسرح]

كَأَنَّمَا اللَّيْلُ وَالْهَلَالُ وَقَدْ وَافَتْ نُجُومَ السَّمَاءِ مُنْقِضَةً

رَامٍ مِنَ الزَّنَجِ قَوْسُهُ ذَهَبٌ تَنْدُرُ مِنْهُ بَنَادِقُ الْفِضَّةِ^(٤)

أنشدني: من لفظه لنفسه الشهاب أبو الثناء محمود بدمشق سنة ثلاث وعشرين

وسبعمائة في تشبيه الثريا والهلال والدّارة: [من الطويل]

كَأَنَّ الثَّرِيَا وَالْهِلَالَ وَدَارَةً حَوْتُهُ وَقَدْ زَانَ الثَّرِيَا التَّائِمَهَا

حَبَابٌ طَفَا مِنْ حَوْلِ زَوْرَقِ فِضَّةٍ بِكَفِّ فَتَاةٍ طَافَ بِالرَّاحِ جَائِمَهَا^(٥)

وقال الطغرائي في تقابل الشمس والقمر: [من الكامل]

وَكَأَنَّمَا الشَّمْسُ الْمَنِيرَةُ إِذْ بَدَتْ وَالْبَدْرُ يَجْنَحُ لِلْغُرُوبِ وَمَا غَرَبَ

مُتَحَارِبَانِ لِذَا مَجَنُّ صَاغُهُ مِنْ فِضَّةٍ وَلِذَا مَجَنُّ مِنْ ذَهَبٍ^(٦)

قلت: وقال الشريف دفتر خوان: [من الطويل]

تَأَمَّلْ إِذَا مَا قَابَلَ الْبَدْرُ شَمْسَهُ صَبَاحاً وَكُلُّ يَمَالٍ الْأَفْقَ أَنْوَارَا

كَأَنَّ الَّذِي أَلْقَى إِلَى الْغَرْبِ دِرْهَمًا لِحَاجَتِهِ أَلْقَى إِلَى الشَّرْقِ دِينَارًا

وقال الطغرائي في الهلال: [من السريع]

قُومُوا إِلَى لَذَاتِكُمْ يَا نِيَامَ وَنَبَّهُوا الْعُودَ وَصَفُّوا الْمُدَامَ

هَذَا هِلَالَ الْفِطْرِ قَدْ جَاءَنَا بِمَنْجَلٍ يَحْصُدُ شَهْرَ الصَّيَامِ

(١) ثُقِفَ الرُّمَحُ: قُومَ.

(٢) الْأَكْرَةُ: الْكَرَّةُ.

(٣) مُلْتَقِمٌ: مَنْ التَقَمَ الشَّيْءَ: بَلَعَهُ.

(٤) تَنْدُرُ: تَسْقُطُ.

(٥) الْعَاجُ: إِنَاءٌ لِلشَّرَابِ وَالطَّعَامِ، مِنْ فِضَّةٍ أَوْ نَحْوِهَا.

(٦) الْمَجَنُّ: الثَّرْسُ.

قلت: وأحسن منه قول ابن المعتز^(١): [من السريع]

أَنْظُرْ إِلَى حُسْنِ هِلَالٍ بَدَا يَهْتِكُ مِنْ أَنْوَارِهِ الْجِنْدَسَا^(٢)
كَمْ نَجَلٍ قَدْ صِيغَ مِنْ عَسْجَدٍ يَحْصِدُ مِنْ زَهْرِ الدُّجَى نَرْجَسَا^(٣)

ومن أحسن ما قيل في وصف الهلال قول علاء الدين النابلسي: [من البسيط]
هَلَالٌ شَوَّالٌ مَا زَالَتْ مَطَالَعُهُ يَرْنُو إِلَيْهَا الْوَرَى مِنْ شِدَّةِ الْفَرَحِ
كَإِصْبَعِي كَفٌّ نَدَمَانِ أَشَارَ إِلَى سَاقٍ لَطِيفٍ يَرُومُ الْأَخْذَ لِلْقَدَحِ

وقول أبي الحسين الجزار^(٤): [من السريع]

إِنَّ هِلَالَ الْفِطْرِ لَمَّا بَدَا مُسْتَحْسَنًا فِي أَعْيُنِ النَّاسِ
وَدَذْتُ أَنْ أَلْثَمَهُ عِنْدَمَا رَاحَ يُحَاكِي شَفَّةَ الْكَاسِ

وقول ناصر الدين حسن بن النقيب: [من الكامل]

أَعْمَلْتُ فِكْرِي فِي السَّمَاءِ وَقَدْ بَدَا فِيهَا هِلَالٌ جِسْمُهُ مَنُهَوُكُ^(٥)
فَكَأَنَّمَا هِيَ شِقَّةٌ مَمْدُودَةٌ وَكَأَنَّهُ مِنْ فَوْقِهَا مَكُوكُ

وقلت أنا وفيه تشبيهان باستعارتين: [من السريع]

حَكَى هِلَالَ الْأَفْقِ لِمَا مَضَتْ لَهُ ثَلَاثٌ وَاعْتَلَى وَاسْتَنَارَ
مِرَاةً خَدَّ بَعْضُهَا ظَاهِرٌ وَالْبَعْضُ مِنْهَا فِي غِلَافِ الْعِذَارِ

وقد جمع بعض الأفاضل، في وصف الهلال ما يقارب السبعين، وأنا أذكر الآن هنا ما يمكن من تشبيهه، ولم أذكر الشاهد عليه خوفاً من الإطالة فأقول: المقدم على ذلك كله تشبيه القرآن العظيم بالعرجون^(٦)، وشبهه بحاجب النوبي الشائب، وبقلامة الظفر، وبضلع ملقاة في فلاة، وبالصدع في الزجاج، وبالزورق،

(١) ديوان ابن المعتز: ٤١٥.

(٢) الجندس: الظلمة.

(٣) في الديوان: «قَدْ صِيغَ مِنْ فِضَّةٍ».

(٤) هو أبو الحسين، جمال الدين، يحيى بن عبد العظيم بن يحيى بن محمد بن علي، الشاعر المصري، المعروف بالجزار: ولد بالفسطاط، ونشأ في دكان أبيه بين الساطور والوضم، فورث عنه حرفته. توفي سنة ٦٧٩هـ / ١٢٨٠م. (فوات الوفيات: ٢٧٧/٤؛ البداية والنهاية: ١٣/٣١٠؛ الشذرات: ٣٦٤/٥).

(٥) منهوك: مُجْهِدٌ، مُتْعَبٌ.

(٦) العرجون: ما يحمل التمر، أو العذق، وهو من النخل كالعنقود من العنب.

وبحرف النون، وبشفرة السّكين، وبالنّوي^(١)، وبالسرج، وبمخلب الطائر، وبناب الفيل، وبالخلخال، وبالسوار، وبالدملج، وبطوق عروس، وبوقف^(٢) من عاج، وبالقوس، وبمليحة انتقبت، وبأثر الظفر في تفاحة، وبزباني عقرب من فضة، وبمقبضتي سرطان من ذهب، وبراعع منحني، وبخشكنانة، وبعين المليحة، وبقراضة دينار، وبالفخ، وبالمنجل، وبطرف الصدغ، وبالمكوك، وبشفة الكأس، وبوجه مسافر رفع العمامة عن جبينه، وبجانب مرآة انكشف عنها الغلاف، وبإكليل ملك، وبأثر الحافر، وبنعل الحافر، وبالعذار الشائب، وبالسنان المنعطف، وبعطفة اللّام، وبصوّلجان، وبطيّلسان مُقوّر، وبنصف زردة، وقد ذكرت الشواهد على هذه التشبيهات في مقتضب لي مسمى «بالتنبية على التشبيه»، وقال الطغرائي رحمه الله: [من الطويل]

سَأَحْجُبُ عَنِّي أَسْرَتِي عِنْدَ عُسْرَتِي وَأَبْرَزُ فِيهِمْ إِنْ أَصَبْتُ ثَرَاءَ
وَلِي أَسْوَةَ بِالْبَدْرِ يَنْفُقُ نُورُهُ فَيَحْفَى إِلَى أَنْ يَسْتَجِدَّ ضِيَاءَ^(٣)
قلت: أخذه من قول أبي بكر الخوارزمي^(٤): [من الطويل]

رَأَيْتُكَ إِنْ أُيْسِرْتَ خَيِّمْتَ عِنْدَنَا لِزَامًا وَإِنْ أَعْسَرْتَ زُرْتَ لِمَامَا
فَمَا أَنْتَ إِلَّا الْبَدْرُ إِنْ قَلَّ نُورُهُ أَغْبَى، وَإِنْ زَادَ الضِّيَاءُ أَقَامَا^(٥)
والأصل في هذا المعنى قول عبد الله بن معاوية بن جعفر بن أبي طالب^(٦)
حيث قال: [من الطويل]

إِذَا افْتَقَرْتُ نَفْسِي قَصَرْتُ افْتِقَارَهَا عَلَيْنَهَا فَلَمْ يَظْهَرْ لَهَا أَبَدًا فَقُرِي
وَإِنْ أَلْتَقِي فِي الدَّهْرِ مَنْدُوحَةَ الْغَنَى يَكُنْ لِأَخْلَائِي التَّوَسُّعُ فِي الْعُسْرِ^(٧)
فَلَا الْعُسْرُ يُزِرُّ بِي إِذَا هُوَ نَالَنِي وَلَا الْيُسْرُ يَوْمًا إِنْ ظَفَرْتُ بِهِ فَخَرِي

(١) النّوي: حفير حول الخيمة، يمنع دخول الماء إليها.

(٢) الوقف: السوار من عاج.

(٣) نفق الشيء نفقاً: نفد، وفني، أو قل.

(٤) هو أبو بكر، محمد بن العباس الخوارزمي: من أئمة الكتّاب، وأحد الشعراء العلماء. كان ثقة في اللغة ومعرفة الأنساب. توفي سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م. (بغية الوعاة: ٥١؛ شذرات الذهب: ٣/ ١٠٥).

(٥) أغب القوم: جاءهم يوماً وتركهم يوماً، وأغب عند فلان: بات.

(٦) من أجواد الطالبين، وشعرائهم، وشجعانهم. كان فتاكاً، سيئ الحاشية، متهماً بالزندقة. قُتل خنقاً سنة ١٢٩هـ / ٧٤٦م. (الأعلام: ٤/ ١٣٩).

(٧) المندوحة: المسحة، أو السعة.

على أن الخوارزمي أخذ المعنى من قول إبراهيم بن العباس الصولي^(١) في
مُحمّد بن عبد الملك الزيّات: [من الرمل]

أَسَدٌ ضَارٍ إِذَا مَانَعَتْهُ وَأَبٌّ بَرٌّ إِذَا مَا قَدَرَا
يَعْرِفُ الْأَبْعَدَ إِنْ أَثَرَى وَلَا يَعْرِفُ الْأَدْنَى إِذَا مَا افْتَقَرَا

ولكن الخوارزمي أراد أن يضرب لهذه الحالة مثلاً في الخارج فلم يجده إلا
في القمر فزاد ذلك حُسناً، وعكس الوراق الخطيري^(٢) هذا المعنى، أعني قول
الطغرائي فقال: [من الكامل]

قَدْ كَانَ يَجْمَعُ صَحْبَهُ فِي فَقْرِهِ فَتَفَرَّقُوا عَنْهُ لِطُولِ ثَرَائِهِ
مِثْلَ الْهَلَالِ تَرَى الْكَوَاكِبَ حَوْلَهُ فَإِذَا اسْتَمَّ تَغَيَّبُوا لِضِيَائِهِ

الكلام فيما يتعلق بالقصيدة من العروض والقافية: العروض مؤنثة لأنّها مشتقة
إما من الناحية والمراد بذلك الناحية التي قصدها العرب، قال الأخنس بن
شهاب^(٣): [من الطويل]

لِكُلِّ أَنَاسٍ مِنْ مَعَدٍّ عَمَارَةٌ عَرُوضٌ إِلَيْهَا يُلْجَأُونَ وَجَانِبُ

وإما من قولهم ناقة عروض أي صعبة، والمراد بذلك أنها يراض بها الصعب حتى
يدخل الوزن، وهذا أحسن من قول من قال مأخوذ من العرض، لأن الشعر يعرض على
هذه الأوزان فما وافق كان صحيحاً وما خالف كان سقيماً، إذ الصحيح أنّه معروض
عليه، اللهم إلا أن يُقال: مفعول بمعنى فعول، وليس بشيء. وعلى هذا تكون العروض
مذكّرة. وإما من العروض أي الطريق التي في الجبل، والمراد الطريقة المسلوكة التي
تسلكها العرب، وقيل: لما شبهوا البيت من الشعر ببيت من الشعر شبهوا العروض التي
تقيم وزنه بالعروض، وهي الخشبة المعترضة في سقف البيت، كما شبهوا الأسباب
بالأسباب، والأوتاد بالأوتاد، والفواصل بالفواصل. والعروض اسم لآخر الجزء الذي
هو نصف البيت الأول. وإنما سمي عروضاً لكثرة دوره، كما سمي علم الموايظ
فرائض لكثرة قولهم فرض الزوج كذا، فرض الأم كذا. وأمّا حدّ علم العروض

(١) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن العباس بن محمد بن صول: كاتب العراق في عصره. أصله من
خراسان، ونشأ في بغداد، فكان كاتباً للخلفاء: المعتصم، والواثق، والمتوكل. توفي سنة
٢٤٣هـ / ٨٥٧م. (تاريخ بغداد: ٦/ ١١٧).

(٢) وردت ترجمته في مكان سابق.

(٣) هو الأخنس بن شهاب بن ثمامة بن أرقم التغلبي: شاعر جاهلي، من أشرف تغلب وشجعانها.
توفي نحو ٧٠هـ / نحو ٥٥٥م. (المؤتلف والمختلف: ٢٧).

اصطلاحاً فإنه علم بمعرفة أوزان شعر العرب. وقال الجاحظ: العروض ميزان الشعر ومعيّاره وبه يعرف الصحيح من السقيم والمعتلّ من السليم، وعليه مدار القريض من الشعر وبه يسلم من الأود والكسر. قلت: هذا أليق بالوصف من الحدّ. وقال الجوهري^(١): العروض ميزان الشعر، وهي ترجمة عن ذوق الطباع السليمة. وقال علي بن عبد الرحمن: علم يدرك به معرفة ما تعتقده العرب من كلامهم شعراً. وأقول أنا: العروض آلة قانونية تعصم مراعاتها الإنسان عن أن يضلّ في وزن شعر العرب. وهذا الاحتراز الأخير أتيت به لأن اللغة اليونانية فيها شعر، ولهذا نسمعهم يقولون: سولون الشاعر. وقال أرسطو حكيم اليونان وخطيبهم وشاعرهم، وليس الشعر عندهم ما يكون ذا وزن وقافية، ولا ذلك ركن فيه بل الركن في ذلك إيراد المقدمات المخيلة فحسب، فإن كانت المقدمة التي ترد في القياس الشعري مخيلة فقط، تمحض القياس شعرياً. وإن انضمّ إلى المقدمة قول إقناعي تركبت المقدمة من معيّنين: شعري وإقناعي. قال أرباب المنطق: القياس الشعري قول مؤلف من مقدمات مخيلة تؤثر في النفس تأثيراً عجيباً من قبض أو بسط كقول القائل: مح البيضة عذرة، والخمر ياقوت سيّال. فالأول يؤثر في النفس انقباضاً، والثاني انبساطاً. وذكر لي العالم العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري^(٢) أن الشعر اليوناني له وزن مخصوص، ولليونان عروض لبحور الشعر، والتفاعيل عندهم تسمى الأيدي والأرجل، قال: ولا يبعد أن يكون وصل إلى الخليل بن أحمد^(٣) شيء من ذلك فأعانه على إبراز العروض إلى الوجود.

والحاجة ماسّة وداعية إلى معرفة الوزن، وما يجوز من الزحاف في كلّ بحرٍ وما لا يجوز، فقد وقع في ذلك جماعة من كبار العرب كالمرقش^(٤)،

(١) هو أبو نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري: لغوي، من الأئمة، خطّاط. توفي حين حاول الطيران سنة ٣٩٣هـ/ ١٠٠٣م. من آثاره: «الصحاح». (معجم الأدباء: ٢/ ٤٣٠).

(٢) هو أبو عبد الله، شمس الدين، محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، السنجاري، المعروف بابن الأكفاني: طبيب، باحث، عالم بالحكمة والرياضيات. وُلد ونشأ بسنجار، وسكن القاهرة، وتوفي فيها سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م. (الدرر الكامنة: ٣/ ٢٧٩).

(٣) هو أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي، الأزدي، اليماني: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض. توفي سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م. (إنباه الرواة: ١/ ٣٤١؛ وفيات الأعيان: ٢/ ٢٤٤).

(٤) المرقش: هو عوف، وقيل: عمرو بن سعد بن مالك بن ضبيعة، من بني بكر بن وائل، والمرقش لقب غلب عليه: شاعر جاهلي، ولد باليمن، ونشأ بالعراق. وهو أحد العشاق المتيّمين. توفي نحو سنة ٥٥٥م. (الشعر والشعراء: ١/ ١٣٨؛ الأغاني: ١٦/ ١٢١).

ومهلّهل^(١)، وعلقمة بن عبدة^(٢)، وعبيد بن الأبرص^(٣)، وغيرهم، وجماعة من كبار المحدثين كأبي العتاهية^(٤)، والبحري، وأبي الطيب^(٥)، وحسبك بوقوع مثل هؤلاء الفحول في الخروج عن الوزن. وإذا اتفق مثل هذا لمثل هؤلاء فما الظنّ بغيرهم. وقال قوم: لا حاجة إلى العروض لأنّ كل من نظم بالعروض شق ذلك عليه، وأتى به متكلفاً، ولا يتأتى له وزن البيت الواحد بل الكلمة الواحدة يدخلها الوزن وينظر في حركاتها، وهل هي من سببين وفاصلة صغرى أولاً، إلى غير ذلك من التفصيل إلا بعد مكابدة مشقّة عظيمة، وإلى أن ينظم الناظم بالعروض بيتاً نظم صاحب الطبع السليم قصيدة. وما أحسن قول أبي فراس بن حمدان^(٦): [من مخلع البسيط]

تَناهُضُ النَّاسُ لِلْمَعَالِي لَمَّا رَأَوْا نَحْوَهَا نُهَوِضِي
تَكَلَّفُوا الْمَكْرَمَاتِ كَدًّا تَكَلَّفَ النَّظْمُ بِالْعَرُوضِ^(٧)

وقول ابن حجّاج^(٨): [من مخلع البسيط]

مُسْتَفْعَلُنْ فاعِلُنْ فَعُولُ مَسَائِلُ كُلِّهَا فَضُولُ
قَدْ كَانَ شَعْرُ الْوَرَى صَاحِحًا مِنْ قَبْلُ أَنْ يُخْلَقَ الْخَلِيلُ

(١) المَهْلَهْلُ: هو عَدِيّ، وقيل: امرؤ القيس بن ربيعة بن مرّة بن هبيرة، من بني جُشم بن بكر، من بني تغلب: شاعر من أبطال العرب في الجاهلية. توفي نحو سنة ٥٢٥م. (الشعر والشعراء: ١/ ٢١٥؛ المؤلف والمختلف: ٧).

(٢) هو علقمة بن عبدة بن النعمان، من بني تميم: شاعر جاهلي من الطبقة الأولى، ولُقّب بالفحل، تميّزاً له عن علقمة بن سهل الحَصْبِيّ. توفي نحو ٢٠ق.هـ/ ٦٠٣م. (طبقات الشعراء، ابن سلام: ١٤٩؛ الأغاني: ٢١/ ٢٢٤).

(٣) هو أبو زياد، عبيد بن الأبرص بن جُشم بن عامر بن مالك الأسدي: شاعر جاهلي فحل. توفي نحو ٢٥ق.هـ/ نحو ٦٠٠م. (الشعر والشعراء: ١/ ١٨٧؛ شعراء النصرانية: ١/ ٥٩٧).

(٤) هو أبو إسحاق، إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزى بالولاء، الشهير بأبي العتاهية: شاعر مكثّر مطبوع. نشأ في الكوفة، وسكن بغداد، وتوفي سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م. (تاريخ بغداد: ٦/ ٢٥٠؛ طبقات ابن المعتز: ٢٠٨).

(٥) وردت ترجمة البحري، وأبي الطيب في موضعين سابقين.

(٦) هو أبو فراس، الحارث بن سعيد بن حمدان الحمداني: شاعر، أمير، فارس. تقلّد «منبج»، و«حرّان»، وأعمالهما.

توفي سنة ٣٥٧هـ/ ٩٦٨م. (يتيمة الدهر: ١/ ٥٧؛ شذرات الذهب: ٣/ ٢٤).

(٧) الكَدُّ: الشدّة في العمل، أو الإلحاح في طلب الشيء.

(٨) وردت ترجمته سابقاً.

قلت: هذا الوزن يعرف بمخلع البسيط، ولا بدّ للبأغي من مصرع، فإنّ ابن الحجاج بغى على الخليل فأورده بغية مصرعاً فظيعاً، وأوقعه الله في زحاف هذا الوزن بعينه، لأنه قال أول قصيدته البائية: [من مخلع البسيط]

النَّيْكَ عِنْدِي أَحْلَى وَأَطْيَبُ مِنْ عَنَبٍ أَصْفَرٍ مُزَبَّبٍ
فإنّ وزنه مستفعلن فاعلن فعولن فهو كما ترى غير فاعلن بمفعولن فزاد سبباً خفيفاً في قوله عندي أحلى. وقال ابن نفادة يهجو: [من الكامل]

أَعْبِيدُ مَنْ سَمَّاكَ إِنْسَاءً كَاذِبٌ مَا لِلْوَحَاشَةِ عَنْ خِلَالِكَ مَعْدِلُ
وَأَقَمْتَ مِيزَانَ الْعُرُوضِ وَقَدْ عَدَا تَقْطِيعُ كَامِلِهَا بِوَصْفِكَ يَكْمَلُ
مُسْتَصْفَعٌ مُسْتَقْوَدٌ مُسْتَجْهَلٌ مُسْتَحْمَقٌ مُسْتَبْرَدٌ مُسْتَثْقَلُ
مُسْتَفْعَلُنْ مُسْتَفْعَلُنْ مُسْتَفْعَلُ مُسْتَفْعَلُنْ مُسْتَفْعَلُنْ مُسْتَفْعَلُ

ولقائل أن يورد على العروض ما أورد على المنطق وعلم المعاني فيقول: إن كان هذا العلم من النظريات فليستغن عن تعلمه، وإلا افتقر إلى علم آخر، ودار أو تسلسل، ولأن إصابة الإنسان في الإتيان بما ينظمه من بحور الشعر على اختلاف أوزانها من غير مراعاة هذا العلم تنفي الحاجة إليه. وقال الجاحظ: العروض علم مُستبرّد، ومذهب مرفوض، وكلام مجهول، يستكذّ العقول بمستفعلن ومفعول من غير فائدة ولا محصول.

يحكى أن أبا جعفر أحمد بن النحاس المصري النحوي^(١) كان جالساً على درج المقياس في سنة لم يزد فيها النيل، والناس من أمره في شدة، وهو إذ ذاك يقطع في بيت شعر، فمرّ به اثنان فسمعاه يتكلم بكلام غير معقول المعنى، فتوهما فيه أنه يسحر النيل، فدفعاه إلى البحر فغرق. ويحكى أن بعض الأكابر مرّ بامرأة من بعض أحياء العرب فقال لها: ممّن المرأة؟ قالت: من بني فلان. فأراد العبث بها فقال لها: أتكتنون؟ فقالت: نعم نكتني. فقال لها: معاذ الله ولو فعلته لاغتسلت، فأجابته على الفور، وقالت له: دع ذا أتعرف العروض؟ قال: نعم، قالت: قطع لي قول الشاعر: [من المديد]

حَوَّلُوا عَنَّا كَنِيستَكُم يَا بَنِي حَمَّالَةِ الحَطَبِ

(١) هو أبو جعفر، أحمد بن محمد بن إسماعيل المرادي المصري، المعروف بابن النحاس: مفسر، نحوي، أديب؛ مصري المولد والنشأة والوفاة. توفي سنة ٣٣٨هـ / ٩٥٠م. (النجوم الزاهرة: ٣/ ٣٠٠؛ إنباه الرواة: ١/ ١٠١).

فلما أخذ يقطّعه وقال: حوّلوا عَنْ نا كَنِي، فقالت: من هو؟ فتعجب وقال: الله أكبر إنَّ للباغي مصرعاً. وقد روى صاحب العقد^(١) وغيره هذه الحكاية واختلفوا فيها وزادوها بيتاً آخر. والذي أعتقده أنها موضوعة. وعلى الجملة فلا بأس بمعرفة ما أمكن من العروض، وأحسن ما فيه معرفة فكّ الدوائر، وبمعرفة ذلك يعرف قدر واضعه الذي استنبطه، فإنه كان ذا ذهن متوقّد، وعقل صحيح، وفطرة سليمة. قيل: إنه قال: أريد أن أضع قاعدة في الحساب إذا توجهت الجارية بها إلى البقال ومعه درهم لا يكاد يظلمها في فلس واحد، ثم أخذ يفكر فيها وهو في المسجد ذاهباً وراجعاً، فبينما هو مشغول عن نفسه لطمته السارية فمات منها. ومن فوائد علم العروض فصل القضية فيما يتنازع فيه، هل هو شعر عربي أم لا. وقد رأيت للشيخ جمال الدين بن واصل كلاماً على قول البهاء زهير^(٢):

يَا مَنْ لَعِبَتْ بِهِ شَمُولُ مَا أَلْطَفَ هَذِهِ الشَّمَائِلُ
فقال فيها إنها غير داخلية في أبحر العروض. وتابعه جماعة، والصحيح أنها من بحر الوافر إلا أنه دخل فيه العقص وهو اجتماع الخرم بالراء والنقص فيخلفه مفعول بتحريك اللام وشاهده:

لَوْ لَا مَلِكٌ رَوَّفٌ رَحِيمٌ تَدَارَكُنِي بِرَحْمَتِهِ هَلَكْتُ
تقطيع بيت البهاء زهير وتفعيله:

يَا مَنْ لَعِبَتْ بِهِ شَمُولُ مَا أَلْطَفَ هَذِهِ الشَّمَائِلُ
مفعول مفاعِلُنْ فعولُنْ مفعول مفاعِلُنْ فعولُنْ

ورأيت قصيدة أظنها لأبي الحسين الجزار مطلعها: [من البسيط]
يَا عَاذِلِي هَجَرَ الْمَحْبُوبِ أَوْ وَصَلَا أَنَا الَّذِي لَا أَرَى فِي حُبِّهِ بَدَلَا
هذا البيت من البسيط ويخرج منه وزن آخر من المديد وهو:

هَجَرَ الْمَحْبُوبِ أَوْ وَصَلَا لَا أَرَى فِي حُبِّهِ بَدَلَا

وأما عروض قصيدة الطغرائي هذه فإنها من الضرب الأول من البسيط،

(١) صاحب العقد: أي صاحب العقد الفريد، وهو أبو عمر، أحمد بن محمد بن عبد ربّه الأندلسي: أديب، شاعر، من أهل قرطبة. توفي سنة ٣٣٨هـ / ٩٤٠م. (تاريخ علماء الأندلس، ابن الفرضي: ٤٨؛ بغية الملتبس، الضبي: ١٣٩).

(٢) هو بهاء الدين، زهير بن محمد بن علي المهلب العتكي: شاعر، كاتب. ولد بمكة، ونشأ بقوص، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م. (وفيات الأعيان: ٢ / ٣٣٨).

والبسيط نفسه مركب من مستفعلن فاعلن أربع مرات وعروضه الأولى مخبونة والضرب مثلها. ولم يأت عن العرب سالماً لا العروض ولا الضرب. ولا يحسن ذوقهما في السمع إلا مزاحفين وهو أمر غير معقول المعنى. والخبين هو حذف الثاني الساكن فيرجع مستفعلن إلى مفاعلن وفاعلن إلى فعلن، وإنما سُمّي البسيط بسيطاً لانبساط السببين على الوجد في أول جزء وهو مستفعلن، لأنها مركبة من سببين خفيفين ووجد مجموع، وقيل: لأنه بسطت أسبابه من أسباب الطويل، لأنه فك منه، فإن عيلن مفا هو مستفعلن، وقيل: لأنه كانت عروضه فاعلن وضربه كذلك فصار فاعلن فانبسطت الحركات في قاعدته، لأن الألف كانت فاصلة ومانعة من انبساط الأولى إلى الثانية. فهو فعيل بمعنى مفعول، وهذا أحسن ما علل به. والبيت مقفًى لأنه في العروض بحرف الروي، وهو اللام استعجلاً لبيان القافية للسامع، ثم في التقفية لم يلتزم ذلك، وليس بمصرّع، لأن من شرط التصريع تغيير العروض عن زنتها إلى زنة الضرب، وهاهنا لم يتغير للعروض وزن، والتصريع أخص من التقفية، لأن كل مصرّع مقفًى من غير عكس.

ذكرت هنا لغزاً أنشدنيه بعض الأصحاب لشمس الدين الصائغ الحنفي^(١):

[من المديد]

ياعروضيأله فطنُ بحرُها بالفكر يضطربُ
أيما اسم وضعه وتدُّ وهو إن صَحَّفته سببُ
ويُرى في الوزنِ فاصلةً ساكنٌ تحريكه عجبُ

وهذا لغز ظاهره مشكل إذ الوجد غير السبب والسبب غير الفاصلة عند العروض، واللغز هو في جبل، وأراد بالوجد قوله تعالى: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْدَادًا﴾ [النبا: ٧]. وهو في تصحيفه جبل وهو السبب لغة، ووزنه فاصلة صغرى لأن جبلاً ثلاثة أحرف متحركة بعدها ساكن. وقد جمع مثال السببين والوجدتين والفاصلتين في قول القائل: لم أر على ظهر جبل سمكة. ونقلت من خط السراج الوراق له: [من الرجز]

أنا الذي مَرَضْتُ شَهراً كاملاً فما رأيتُ عائدًا ولا صلَهُ
لولا الوزيرُ الصَّاحِبُ البدرُ الذي نُعماءه لي مع الزَّمانِ واصلَهُ
شَارَفَ قَلْعاً وَتَدِي وَخَافَ قَطْعاً سببي فقلتُ هذي الفاصلَهُ

(١) هو شمس الدين، محمد بن عبد الرحمن بن علي الزمردّي، المعروف بابن الصائغ الحنفي: أديب، لغوي، شاعر. توفي سنة ٧٧٧هـ / ١٣٥٥م. (بدائع الزهور، ابن إياس: ١٥٨/٢).

ومن شعره أيضاً: [من الكامل]

قَالَتْ جَمَعْتَ لِفَاقَةٍ كَسَالاً فَأَنْهَضُ وَقُمْ وَادَابُ لِهَمِّ الْعَائِلَةِ
فَأَجِبْتُ هَلْ تَذَرِينِ لِي سَبَباً قَالَتْ وَلَا وَتَدَا وَهَذَا الْفَاصِلَةُ

ونقلت من خطه أيضاً له: [من الكامل]

مَالِي وَنَظْمُ الشَّعْرِ بَاتَتْ صَبُوتِي وَالنَّاسُ قَدْ رَغَبُوا عَنِ الْآدَابِ
أَقُولُهُ عَبَثاً بَلَا سَبَبٍ لَهُ وَالشَّعْرُ مَبْنِيٌّ عَلَى الْأَسْبَابِ

أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد نباتة: [من المجتث]

مَنْ مُنْصِيفِي مَنْ أَنْاسٍ فِيهِمْ تَحْيِيرُ ذَهْنِي
لَا دِرْهَمَ مِائاً وَزَنْوَهُ وَحَاوَلُوا الشَّعْرَ مَنِّي
وَهَلْ سَمِعْتُمْ بِشَعْرِ يَأْتِي عَلَى غَيْرِ وَزْنِ

وما أحسن قول الغزي: [من الكامل]

قَالُوا هَجَرْتَ الشَّعْرَ قُلْتُ لَهُمْ نَعَمْ بَابُ الدَّوَاعِي وَالْبَوَاعِثِ مُغْلَقُ
خَلَّتِ الدِّيَارُ فَلَا كَرِيمٌ يُرْتَجَى مِنْهُ النَّوَالُ وَلَا مَلِيحٌ يُعْشَقُ
وَمِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّهُ لَا يُشْتَرَى وَيُخَانُ فِيهِ مَعَ الْكَسَادِ وَيُسْرَقُ

والبسيط من الدائرة الأولى وهي دائرة المختلف، وإنما سميت بذلك لاختلاف أجزائها، وهذه الدائرة تجمع ثلاثة أبحر، وهي الطويل والمديد والبسيط. أنشدني بعض الأصحاب لغزاً حسناً وهو: [من مجزوء الكامل]

يَا أَيُّهَا الْحَبْرُ الَّذِي عَلِمَ الْعُرُوضَ بِهِ امْتَزَجَ
أَبْنُ لَنَا دَائِرَةً فِيهَا بَسِيطٌ وَهَزَجٌ

ثم قال: إنَّ العالم العلامة نجم الدين أبا الحسين علي بن داود القحفيري أنشده لبعض الطلبة في حلقة ففكر ساعة طويلة ثم قال: هذا في الساقية، فقال له الشيخ: أصبت إلا أنك دُرْتَ فيها زماناً طويلاً حتى وقفت على المقصود. قلت: وهذا من الشيخ أحسن من فكِّ اللُّغز، فإنه ظرف في التندير. واللُّغز ظاهره مشكل لأنه ليس في دوائر العروض ما يجمع البسيط والهزج، لأن البسيط من دائرة المختلف، والهزج من المجتلب. وأوهم بالبسيط وهو يريد الماء لأنه أحد البسائط، وأوهم بالهزج وهو يريد الصوت اللّذيذ المسموع من الساقية حال الدوران. ومن أبيات المعاياة في العروض قول الشاعر:

يَا أَيُّهَا الْقَوْمُ يَرْتَنِي الْخَطُوبُ وَخَيَالٌ إِذَا رَجَعْتُ يَوْمًا يَوْوُبُ

فإنه يخرج من ثلاثة أبحر: الأول من الضرب الثالث من الطويل إلا أن أول النصف الأول مخروم بالراء المهملة أي ناقص حرفاً، وأول النصف الثاني مخروم بالزاي المعجمة أي زائد حرفاً، والثاني من الضرب الأول من المديد إلا أنه مخروم الأول بالزاي أي زائد حرفين ومخروم أول النصف الثاني بزيادة أربعة أحرف، والثالث من الضرب الأول من السريع، وذلك إذا سكنت الباء وجعلت القافية مردوفة، لكن في أول النصف الثاني خرم بزيادة حرفين، ويمكن عليه أن يخرج أيضاً من الضرب الثاني من المديد؛ وتقطيع البيت:

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطْلِ وَحَلِيَّةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطْلِ
مَفَاعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعَلُنْ فَعَلُنْ مَفَاعِلُنْ فَاعِلُنْ مُسْتَفْعَلُنْ فَعَلُنْ
وأما القافية فإنها من المتراكب، وأقول: القافية لغة تطلق على القصيدة. قالت الخنساء^(١): [من المتقارب]

وَقَافِيَةٍ مِثْلُ حَدِّ السِّنَا نِ تَبَقَّى وَيَذْهَبُ مَنْ قَالَهَا
واشتقاقها من قفوت أثره إذا تَبَعَتْهُ، كأنَّ الشاعر يتبَّعُ الكلم التي تناسب ما بنى قصيدته عليه فحينئذ تكون فاعلة بمعنى مفعولة، أي مقفوة، كقوله تعالى: ﴿عِشَّةٌ رَاضِيَةٌ﴾ [الحاقة: ٢١] أي مرضية، وقوله: ﴿مِنْ مَكَاوِدَاقٍ﴾ [الطارق: ٦] أي مدفوق، أو كأن كل قافية تقفو صدر البيت الأول. وما أحسن قول أبي تمام الطائي: [من الطويل]

وَتَقْفُو لِي الْجَدَوَى بِجَدَوَى وَإِنَّمَا يَرَوْقُكَ بَيْتُ الشُّعْرِ حِينَ يُصْرَعُ
والقافية اصطلاحاً اختلفوا فيها اختلافاً كثيراً، وأصح الأقوال ما ذهب إليه الخليل بن أحمد من أنها من آخر حرف في البيت إلى أول ساكن يليه مع حركة الحرف الذي قبله، لأنك ترى هذا القول منتظماً بجميع العوارض في القافية من حروف وحركات تراعى أحكامها، ومتى اختل شيء مما شرطه فسدت القافية. وإنما أنشأوا القافية مع كون الحرف أو الروي مذكراً لأن حروف المعجم كلها مؤنثة، تقول هذه ألف مستقيمة، وجيم حسنة. والمتراكب من القوافي ما كان في آخر البيت فاصلة صغرى وهي ثلاث حركات بعدها ساكن، وكذلك الخطل الخاء والطاء واللام متحركات والياء ساكنة، وسمي هذا النوع مُتْرَاكِباً لتراكب حركاته، وهو دون

(١) هي تماضر بنت عمرو بن الحارث بن الشريد الرياحية، السلمية: أشعر نساء العرب في الجاهلية والإسلام؛ وكان أجود شعرها في رثاء أخويها: صخر، ومعاوية. توفيت سنة ٢٤هـ / ٦٤٥م. (طبقات الشعراء، ابن سلام: ٢١٠؛ خزنة الأدب: ٤٣٣/١).

المتكاوس، لأن التكاوس هو الاضطراب، والمتكاوس أربع متحركات. والاضطراب أشد من التراكب، فالروي في هذه القصيدة هو اللّام لأنها الحرف الذي بنيت القصيدة عليه، والرويّ في اللّغة هو الجمع والاتصال والضم، ومن ذلك الرواء وهو الحبل الذي يشد به المتاع والأحمال، قال الرّاجز: [من الرجز]

إني إذا ما القوم كانوا أنجيه واضطرب القوم اضطراب الأرشية^(١)
وشدّ فوق بعضهم بالأزوية هناك توصيني ولا توصي بيّه^(٢)

وقيل للماء الكثير رويّ لاجتماع الناس إليه فكأن هذا الحرف يربط القصيدة ويجمعها. والياء التي بعد اللّام في القصيدة هي الوصل، وسمي الوصل بذلك لأنه وصل حركة المجرى وهي حركة الرّويّ، قلت قول الشاعر: [من المنسرح]

يوشك من فر من مزيته في بعض غراته يوافقها

هذه القافية وأمثالها نهاية ما يمكن أن يجتمع في قافية. وذلك لأنه اجتمع فيها خمسة أحرف وهي التأسيس والدخيل والرّويّ والصّلة والخروج وكل واحد من هذه يلزم تكراره إلا الدخيل. واجتمع قبله أربع حركات وهي: الرسّ والإشباع والإطلاق والنّفاد، فهذه تسعة أشياء اجتمعت في قافية واحدة كما ترى، فالألف في الكلمة تأسيس، وحركة الواو التي قبلها رسّ، والفاء دخيل وحركتها إشباع، والقاف رويّ وحركتها إطلاق ومجرى إن شئت، والهاء صلة وحركتها إنفاد، والألف خروج. ذكرت هنا ما كتب به بعض أدباء الأندلس إلى الفقيه أبي عبد الله المازري^(٣) بالمهدية وهو: [من الخفيف]

رُبّما عالج القوافي رجّال تلتوي تارة لهم وتلين
طاوعتهم عين وعين وعين وعصتهم نون ونون ونون

فأبن لي ما طاوعهم وما عصاهم؟ فأجاب: طاوعهم العجمة والعي والعجز، وعصاهم اللّسان والجنان والبيان. قلت: ما أجب بشيء ومال عن الجدّ إلى الهزل، وماناسب بين الأول والثاني، وكان ينبغي أن يقول عوض الثلاثة الأخيرة التي ذكرها النحو والنقل والنظم، أو يقول طاوعهم الهلع والجزع والطبع، وعصاهم اللسان

(١) أنجية: جمع نجّي: اسم فاعل من ناجاه مُناجاةً، ونجاء: سارّه. الأرشية: جمع الرّشاء: الحبل، أو حبل الدلو ونحوها.

(٢) الأروية: جمع الرّواء: حبل يُشدّ به الحمل والمتاع على البعير.

(٣) هو أبو عبد الله، محمد بن علي بن عمر التميمي المازري: محدث، من فقهاء المالكية. نسبته إلى «مازر» بجزيرة صقلية، وتوفي بالمهدية سنة ٥٣٦هـ/ ١١٤١. (وفيات الأعيان: ٤/ ٢٨٥).

والجنان والبيان، لتكون أوائل الكلمات من القسمين متناسبة، وكذلك الأواخر منهما، ومثل هذا الجواب ما حكاه ضياء الدين بن الأثير^(١) في المثل السائر بعدما ساق لغزاً في الخلخال وهو: [من مجزوء الوافر]

وَمَضْرُوبٌ بِلا جُرْمٍ مَلِيحُ اللَّوْنِ مَعْشُوقِ
لَهُ شَكْلُ الْهَلَالِ عَلَى مَلِيحُ الْقَدِّ مَمْشُوقِ
وَأَكْثَرُ مَا يُرَى أَبَدًا عَلَى الْأَمْشَاطِ فِي السُّوقِ

قال: وبلغني أنّ بعض الناس سمع هذه الأبيات فقال: دخلت السوق فلم أرَ على الأمشاط شيئاً. قلت: ولو قال: دخلت فلم أرَ على الأمشاط في السوق غير الكتان لكان أغرب. وقد أوهم بالأمشاط التي يرسل بها الشعر وهو يريد أمشاط الأقدام، والسوق جمع ساق. ومما اتفق لي نظمه في الخلخال: [من الطويل]

أَيَا عَجَبًا مِنْ صَابِرٍ صَامِتٍ وَلَمْ يَفْهَمْ بِكَلَامٍ قَطَّ فِي سَاعَةِ الضَّرْبِ
أَقَامَ وَلَمْ يَبْرَحْ مَكَانًا ثَوَى بِهِ عَلَى أَنَّهُ أَضْحَى يَدُورُ عَلَى الْكَعْبِ
وَاتَّفَقَ لِي فِيهِ أَيْضًا: [من السريع]

مَا أَصْفَرُ دَارَ عَلَى أَبْيَضٍ لِأَنَّ وَلَكِنْ قَلْبُهُ قَاسِي
وَرَبَّ سَاقٍ غَصَّ مِنْهُ وَمَا أَحْسَنَ هَذَا الْوَصْفَ فِي النَّاسِ

وأما الجواب عن البيتين المتقدمين في ذكر القوافي فهو ما وقفت عليه بالقاهرة المعزية بخط الفقيه كمال الدين أبي العباس أحمد بن سليمان بن إبراهيم الطوخي الشافعي صهر الشيخ جمال الدين أبي عمرو بن الحاحب وصورته: أنشدني الشيخ جمال الدين بن الحاحب ما ذكره بعض أصحاب التاريخ في المعميات وذكر البيتين، ثم قال: كُتِبَ هذان البيتان إلى حاذقٍ بإخراج المعميات، فأقام ستة أشهر ينظر فيهما إلى أن كشفهما ثم حلف بأيمانٍ مُغلظةٍ أنه لا ينظر في معميٍّ أبداً، ولم يذكر تفسيرهما أصلاً. قال الشيخ جمال الدين: فأضربت عن النظر فيهما لما تبين من عسرهما من سياق الحكاية. ثم بعد أربعين سنة خطراً لي بالليل فأفكرت فيهما فظهر لي أمرهما، وأنه إنما أراد بقوله طَاوَعَتْهُمُ عَيْنٌ وَعَيْنٌ يَعْنِي نَحْوِيَّ وَعَدَّ وَدَدَّ،

(١) هو أبو الفتح، ضياء الدين، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزائري، المعروف بابن الأثير: وزير، من العلماء الكتاب المترسلين. ولد في جزيرة ابن عمر، وتعلم بالموصل، وتوفي في بغداد سنة ٦٣٧هـ / ١٢٣٩م. (شذرات الذهب: ١٨٧/٥؛ وفيات الأعيان: ٣٨٩/٥).

لأنها عينات مطاوعة في القوافي مرفوعة كانت أو منصوبة أو مجرورة، وكل واحد منها آخره عين الكلمة، لأنَّ وزنَ غَدَ: فَعُ، ووزنَ يَدَ: فَعُ، ووزنَ دَدَ: فَعُ. وأراد بقوله وعصتهم نون ونون ونون: الحوت لأنه يسمى نونا، والدواة لأنها تسمى نونا، والنون أحد حروف الهجاء، وكلها نونات غير مطاوعة في القوافي إذ لا يلتئم كل واحد منها مع الآخر، ثم إنه نظم في ذلك بيتين وسبك الجواب فيهما على الوزن والقافية فقال: [من الخفيف]

وَعَدُّ مَعٍ يَدٍ هِيَ حُرُوفٌ طَاوَعَتْ فِي الرَّوْيِ وَهِيَ عُيُونٌ
وَدَوَاةٌ وَالْحَوْتُ وَالنُّونُ نَوْنًا تَعْصَتُهُمْ وَأَمْرُهَا مُسْتَبِينٌ

ثم قال: ولا يشك عارف بالمعجمات أنه لم يرد سوى ذلك. وعلى ذكر القافية نقلت من خط السراج الوراق له: [من الخفيف]

قُلْتُ صَلَّنِي فَقَدْ تَقَيَّدْتُ فِي الْحُبِّ بِأَسْرٍ وَالْأَسْرِ فِي الْحُبِّ ذُلٌّ
قَالَ يَا مَنْ يُجِيدُ عِلْمَ الْقَوَافِي لَا تُغَالِطْ مَا لِلْمَقْيَدِ وَضَلُّ

وقال الأسعد بن مماتي^(١) يصف قصيدة مقيّدة: [من السريع]

تَبْكِي قَوَافِي الشَّعْرِ لَامِيَّةً بَيِّضُهَا جَهْلًا فَسَوْدُوثُهَا
لَمَّا عَلَا وَسْوَاسُ الْفَظَاهَا ظَنَنْتُهَا جُنَّتْ فَقَيَّدْتُهَا

وقلت أخطب أمرد يسرق نظمي: [من السريع]

إِنْ كَانَ لَا بُدَّ لِمَوْلَايَ أَنْ يَأْخُذَ شِعْرِي جُمْلَةً كَافِيَةً
قَافِيَةُ الْبَيْتِ أَطْرَحُ لَفْظَهَا وَقُمْ خُذِ الْكُلَّ بِإِلَاقَافِيَةٍ

وهذا أول القصيدة، قال الطُّغْرَاي: [من البسيط]

أَصَالَةُ الرَّأْيِ صَانَتْنِي عَنِ الْخَطْلِ وَحَلِيَّةُ الْفَضْلِ زَانَتْنِي لَدَى الْعَطْلِ

اللغة. (أصالة): مصدر أصل الشيء أصالةً مثل ضخم ضخامةً، ومجد أصيل: ذو أصالة، ورجل أصيل الرأي: مُحْكَمُهُ. قال ابن الأنباري: الأصيل: القوي الذي له أصل. (الرأي) مصدر رأى رأياً مهموز، ويجمع على آراء وأراء أيضاً، مقلوب منه. والرأي: هو التفكير في مبادئ الأمور ونظر عواقبها، وعلم ما تؤول إليه من الخطأ

(١) هو أبو المكارم، الأسعد بن مُهَذَّب بن مينا بن زكريا، المعروف بابن مماتي: وزير، أديب، كان ناظر الدواوين في الديار المصرية. ولد بمصر، وتوفي بحلب سنة ٦٠٦هـ/ ١٢٩٠م. (شذرات الذهب: ٢٠/٥؛ وفيات الأعيان: ٢١٠/١).

والصواب. وأصحاب الرأي عند الفقهاء هم أصحاب القياس والتأويل كأصحاب أبي حنيفة^(١)، وأصحاب أبي الحسن الأشعري^(٢). وَرَوَى نوح الجامع أنه سمع أبا حنيفة يقول: ما جاء عن رسول الله ﷺ فعلى الرأس والعين، وما جاء عن الصحابة اخترنا، وما كان من غير ذلك، فهم رجال ونحن رجال. وقال يحيى القَطَّان: لا نكذب الله ما سمعنا أحسن من رأي أبي حنيفة، وقد أخذنا أكثر أقواله. وقال أبو يوسف^(٣): قال أبو حنيفة: علمنا هذا رأي، وهو أحسن ما قدرنا عليه، فمن جاءنا بأحسن منه قبلناه. وقال ابن حزم: جميع الحنفية مُجمِعون على أنّ مذهب أبي حنيفة: أنّ ضعيف الحديث عنده أولى من الرأي. قلت: وقول أبي حنيفة يشبه قول الخليل بن أحمد حيث قال: مَثَلِي فِي النَحْوِ كَمَثَلِ رَجُلٍ دَخَلَ دَارًا قَدْ صَحَّ عَنْهُ حِكْمَةٌ بَانِيهَا فَقَالَ: إِنَّمَا كَانَ الْإِيْوَانُ هُنَا لَكَذَا وَالصَّفَّةُ هُنَا لَكَذَا، فَإِنْ وَافَقَ نِيَّةَ الْبَانِي، وَإِلَّا فَقَدْ أَتَى بِمَا يَقْبَلُهُ الْعَقْلُ. والشافعي^(٤) احتاط لمذهبه فقال: إذا صحَّ الحديث فهو مذهبي، أو فاضربوا بمذهبي عرض الحائط. وبهذا احتجَّ الشيخ محيي الدين النووي^(٥)، وصحَّح امتداد وقت المغرب إلى غيبوبة الشفق. قال أبو الحكيم مُنْذِرُ بْنُ سَعِيدِ الْبَلُوطِيِّ^(٦): [من الطويل]

عَزِيزِي مِنْ قَوْمٍ يَقُولُونَ كُلُّمَا طَلَبْتُ دَلِيلًا هَكَذَا قَالَ مَالِكٌ^(٧)

(١) هو أبو حنيفة، النعمان بن ثابت التيمي، الكوفي: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. ولد ونشأ بالكوفة، وتوفي محبوساً ببغداد سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م. (تاريخ بغداد: ١٣/ ٣٢٣).

(٢) هو أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة، من أئمة علم الكلام المجتهدين. ولد في البصرة، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٦م. (البداية والنهاية: ١١/ ١٩٩).

(٣) هو أبو يوسف، يعقوب بن إبراهيم بن حبيب الأنصاري، الكوفي، البغدادي: صاحب الإمام أبي حنيفة، وتلميذه، وأول من نشر مذهبه، كان فقيهاً، علامة، حافظاً للحديث. توفي سنة ١٨٢هـ / ٧٩٨م. (تاريخ بغداد: ١٤/ ٢٤٢).

(٤) هو أبو عبد الله، محمد بن إدريس بن العباس بن عثمان بن شافع الهاشمي، القرشي، المطلبلي: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة الشافعية كافة. توفي سنة ٢٠٤هـ / ٨٢٠م. (تاريخ بغداد: ٢/ ٥٦؛ كشف الظنون: ١٣٨٧).

(٥) هو أبو زكريا، محيي الدين، يحيى بن شرف الحزامي، الحوراني، النووي، الشافعي: علامة بالفقه والحديث. ولد بـ«نوا»، وتوفي فيها سنة ٦٧٦هـ / ١٢٧٧م. (النجوم الزاهرة: ٧/ ٢٧٨).

(٦) هو أبو الحكم، منذر بن سعيد البلوطي، نسبة إلى «فحص البلوط» بقرطبة: عالم، فقيه، أديب، بليغ، خطيب، قاضٍ. توفي ٣٥٥هـ / ٩٦٦م. (بغية الملتبس: ٤٣١؛ جذوة المقتبس: ٣٢٦).

(٧) مالك: هو مالك بن أنس بن مالك الأصبحي، الحميري، أبو عبد الله: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة، وإليه نسبة المالكية كافة. ولد بالمدينة، وتوفي فيها سنة ١٧٩هـ / ٧٩٥م. (الأعلام: ٥/ ٢٥٧).

وَقَدْ قَالَه ابن القاسم الثقة الذي على قَصْدٍ مِنْهَاجِ الْهُدَى هُوَ سَالِكُ
فَإِنْ عُدْتُ قَالُوا هَكَذَا قَالَ أَشْهَبُ وَقَدْ كَانَ لَا تَخْفَى عَلَيْهِ الْمَسَالِكُ

قال الشافعي: ما رأيت كأهل مصر، اتخذوا الجهل علماً، لأنهم سألوا مالكا
عن مسائل، فقال لهم: لا أعلمها، فهم لا يتعلمونها ممن يعلمها، لأن مالكا قال:
لا أعلمها. وأصحاب الرأي والتأويل ضد أصحاب الظاهر، كالحنابلة وأتباع
داود^(١)، وابن حزم الظاهري^(٢). أنشدني الحافظ المحدث الأديب فتح الدين
محمد بن أبي عمرو محمد بن أبي بكر بن محمد بن سيد الناس اليعمري^(٣)
بالقاهرة المحروسة قال: أنشدني والذي قال: أنشدني الحافظ أبو العباس أحمد بن
محمد بن مفرح البناي قال: أنشدني أبو الوليد سعد السعدي بن أحمد بن هشام
قال: أنشدني الحافظ أبو العباس أحمد بن عبد الملك قال: أنشدنا أبو أسامة
يعقوب قال: أنشدني والذي الفقيه الحافظ أبو محمد بن حزم لنفسه: [من الرمل]

مَنْ عَذِيرِي مِنْ أَنْاسٍ جَهْلُوا ثُمَّ ظَنُّوا أَنَّهُمْ أَهْلُ النَّظَرِ
رَكَبُوا الرَّأْيَ عِنَاداً فَسَرَوْا فِي ظَلَامٍ تَاهَ فِيهِ مَنْ عَبَّرَ
وَطَرِيقُ الرَّشْدِ نَهْجٌ مَهْيَعٌ مِثْلَمَا أَبْصَرْتُ فِي الْأَفْقِ الْقَمَرَ^(٤)
وَهُوَ الْإِجْمَاعُ وَالنَّصُّ الَّذِي لَيْسَ إِلَّا فِي كِتَابٍ أَوْ أَثَرٍ

ولابن حزم أيضاً أبيات عينية في هذه المادة أضربت عن إثباتها لطولها إلا أنه
ختمها بقوله: [من الطويل]

فَخَيْرُ الْأُمُورِ السَّالِفَاتُ عَلَى الْهُدَى وَشَرُّ الْأُمُورِ الْمُحْدَثَاتُ الْبِدَائِعُ

وقد بالغ في الشناع حيث قال: [من الكامل]

إِنْ كُنْتَ كَاذِبَةً الَّذِي حَدَّثَنِي فَعَلَيْكَ إِثْمُ أَبِي حَنِيفَةَ أَوْ زُفَرٍ
الْوَائِبِينَ عَلَى الْقِيَاسِ تَمَرُّدًا وَالرَّاعِبِينَ عَنِ التَّمَسُّكِ بِالْأَثَرِ

(١) داود: هو أبو سليمان، داود بن علي بن خلف الأصبهاني، الظاهري: أحد الأئمة المجتهدين في الإسلام، وإليه تُنسب الظاهرية. توفي ببغداد سنة ٢٧٠هـ / ٨٨٤م. (تاريخ بغداد: ٨ / ٣٦٩).

(٢) ابن حزم: هو أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري: عالم الأندلس في عصره. ولد بقرطبة، وتوفي بـ«لبلة» سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م. (جذوة المقتبس: ٣٠١؛ معجم الأدباء: ٤ / ٤٧٩؛ بغية الملتبس: ٣٨٦).

(٣) مؤرخ، عالم بالأدب، من حفاظ الحديث، وله شعر. أصله من إشبيلية، وولد بالقاهرة، وتوفي فيها سنة ٧٣٤هـ / ١٣٣٤م. (النجوم الزاهرة: ٣٠٣ / ٩؛ شذرات الذهب: ١٠٨ / ٦).

(٤) الْمَهْيَعُ: الْبَيِّنُ.

واستطرد استطراداً قبيحاً (وحاش لله) ليس أبو حنيفة وزفر ممّن يقال في حقهما مثل هذا، وبين الظاهرية وأصحاب الرأي والتأويل خلاف شديد في الوقف في قوله تعالى: ﴿وَمَا يَكُم تَأْوِيلُهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧] فأصحاب التأويل قالوا: الوقف عند قوله: والراسخون في العلم، بناءً على أنّ الواو عاطفة، والظاهرية يقولون: الوقف على إلا الله، والواو استثنائية، وعلى هذا لا يعلم المتشابه إلا الله.

قال الإمام فخر الدين: وعلى هذا قول ابن عباس^(١)، وعائشة^(٢)، والحسن^(٣)، ومالك، والكسائي^(٤)، والفراء^(٥)، ومن المعتزلة قول أبي عليّ الجبائي^(٦)، وهو المختار عندنا. والأول مرؤي عن ابن عباس، ومجاهد^(٧) والربيع بن أنس، وأكثر المتكلمين. وقد استدلل الإمام في مفاتيح الغيب على أنّ الوقف الصحيح على قوله: إلا الله بستة أوجه: ملخص الثاني منها: أن الآية دلّت على أنّ طلب التأويل مذموم لقوله تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ [آل عمران: ٧] إلى آخره ولو كان التأويل جائزاً لما ذمّه الله. والرابع منها ملخصه: لو كانت الواو في والراسخون عاطفة لصار قوله: يقولون آمنا به ابتداء، وهو بعيد عند ذوي الفصاحة، بل كان الأولى أن يقول: وهم يقولون آمنا به أو يقال: ويقولون آمنا به. قلت: مذهب أبي الحسن الأشعري إمّا أن يردّ ظاهر القرآن بالتأويل إلى ما يطابق العقل، وإمّا أن يمرّه على ظاهره ويسند العلم فيه إلى الله من غير أن يحكم فيه بشيء ولا يعتقد فيه ما يقوله الحشوية، فقد سئل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿مَا يَكُوتُ مِنْ

(١) وردت ترجمته في مكان سابق.

(٢) عائشة: هي أم المؤمنين، زوج رسول الله ﷺ، وابنة أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

(٣) الحسن: هو الحسن بن علي بن أبي طالب، وابن فاطمة الزهراء رضوان الله عليها.

(٤) الكسائي: هو أبو الحسن، علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي، الكوفي، الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة. ولد في إحدى قرى الكوفة، وتوفي في الري سنة ١٨٩هـ / ٨٠٥م. (تاريخ بغداد: ٤٠٣/١١).

(٥) هو أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. ولد في الكوفة، وتوفي بطريق مكة سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢م. (تاريخ بغداد: ١٤٩/١٤).

(٦) هو أبو علي، محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي: من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره. توفي سنة ٣٠٣هـ / ٩١٦م. (الأعلام: ٢٥٦/٦).

(٧) مجاهد: هو أبو الحجاج، مجاهد بن جبر المكي، مولى بني مخزوم: تابعي، مفسّر، قيل: هو شيخ القراء والمفسرين، أخذ التفسير عن ابن عباس. توفي سنة ١٠٤هـ / ٧٢٢م. (الأعلام: ٥/ ٢٧٨).

نَجَوَى ثَلَاثَةَ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ ﴿[المجادلة: ٧]﴾ فقال: علمه. وهذا إشارة إلى أن ذلك القول الأول مروى عن ابن عباس. (صانتي): تقول صنت الشيء صوتاً وصيانةً وصياناً فهو مصون، ولا يقال: مصان. وثوب مصون على النقص، ومصوون على التمام، قال الجوهري: ليس يأتي ثلاثي من بنات الواو بالتمام إلا حرفان مسك مدووف وثوب مصوون، فإن هذين جاءا نادرين، والكلام مدووف ومصون لثقل الضمة على الواو والياء أقوى على احتمالها منه. فلهذا جاء ما كان من بنات الياء بالتمام والنقصان، نحو ثوب مخيط ومخيوط. (الخطل): المنطق الفاسد المضطرب وقد خطل في كلامه بالكسر خطأً أي أفحش، وأذن خطلاء: إذا كانت مسترخية كالكلاب والغنم، ورمح خطل: أي مضطرب، ومنه سُمِّيَ الأخطل لِخَطَلٍ كان في أذنيه. (وحلية): الحلية للسيف وغيره جمعها حلى، مثل كلية وكلى، وحلية الرجل صفته، وليست هي مرادة هنا، وإنما المراد بها هنا الزينة التي يتحلى بها الإنسان من الفضائل. (الفضل): خلاف النقص لغة، والمراد به هنا ما ينطوي عليه الإنسان من العلم والأدب والتجارب والممارسة للأمور والأشياء التي يُفْضَلُ بها الإنسان غيره. والفاضل بخلاف الناقص، كأنه في إنسانيته زائد على الجاهل. (زانتني): الزينة ما يتزين به، والزين ضدّ الشين. (لدى): بمعنى عند. (العطل): مصدر عطلت المرأة إذا خلا جيدها من القلائد فهي عطل. (الإعراب): أصالة: مبتدأ مضاف إلى ما بعده والمبتدأ، قال الشيخ بدر الدين بن مالك: هو الاسم المجرد عن العوامل اللفظية غير الزائدة مخبراً عنه أو وصفاً رافعاً لمكتفى به. وقد اختلف في رافعه ف قيل الابتداء، وهو جعلك الاسم أول الكلام. وهذا أمر معنوي، والعامل المعنوي لم يأت على النحاة إلا في موضعين هذا، والثاني وقوع الفعل المضارع موقع الاسم حتى أعرب، وهذا قول سيبويه^(١) وأكثر البصريين. وأضاف الأخفش إليهما موضعاً ثالثاً وهو عامل الصفة، فذهب إلى أن الاسم يرتفع لكونه صفة لمرفوع، وينتصب لكونه صفة لمنصوب، وينجرّ لكونه صفة لمجرور. وكونه صفة في هذه الأماكن معنى يعرف بالقلب، وليس للفظ فيه حظ. وما أحسن قول القائل: [من البسيط]

قالوا أحبّ حبيباً ما تأملهُ فكيف حلّ به لِّلْسُقْمِ تَأثيرُ
فَقُلْتُ قَدْ يَعْمَلُ الْمَعْنَى لِقَوْتِهِ في ظاهر اللفظ رَفْعاً وَهُوَ مَسْتُورُ
ملحة: إذا عجز الفقيه عن تعليل الحكم في المسألة قال: هذا تعبد، كما يعلّل

(١) هو أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، المعروف بسيبويه: إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. أقام في البصرة، ولزم الخليل بن أحمد. توفي سنة ١٨٠هـ/ ٧٩٦م. (تاريخ بغداد: ١٢/١٩٥).

المالكِي غسل الإناء سبْعاً من ولوغ الكلبِ لأنّه قائل بطهارته، فإذا أورد عليه الحديث وهو: طهور إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبْعاً، قال: هذا شيء تعبّدنا الله به. والحديث رواه مالك في الموطأ، عن أبي الزناد^(١) عن الأعرج^(٢)، عن أبي هريرة^(٣)، عن رسول الله ﷺ قال: «إذا شرب الكلبُ في إناء أحدكم فليغسله سبع مرّات». وفي حديث مُسلم^(٤): «طهورُ إناء أحدكم إذا ولغ فيه الكلب أن يغسله سبع مرّاتٍ أولاهنّ بالتراب». وفي حديث آخر «وعفّروه الثامنة بالتراب». وقال ابن حزم: وروى ابن القاسم عن مالك أنه إن كان في الإناء ماءً أريق وغُسل سبع مرّاتٍ، وإن كان فيه لبن أو زيت أكل ذلك، ثم لا يغسل الإناء سبْعاً ولا أقل ولا أكثر. وروى ابن وهب^(٥) عن مالك أنه قال: يُشرب الماء ويؤكل اللبن والزيت ثم يُغسل الإناء سبع مرّاتٍ. قال: وكلتا هاتين الروايتين مخالفة لما أمر به رسول الله ﷺ. قال صاحب «إثارة العزم في الرد على ابن حزم»: إنّ ابن حزم وأهل الظاهر في معزلٍ عن فقه هذه المسألة وشبهها. ولا شك أن هذه الأحاديث جاءت هكذا. وقال الله تعالى في الكلاب: ﴿فَكُلُوا مِمَّا أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ﴾ [المائدة: ٤]. فهذه الأحاديث معارضةٌ لعموم القرآن، وعموم القرآن مقدم عند كثير من العلماء. وقد قال رسول الله ﷺ لعُدَيِّ بن حاتم^(٦): «إذا أرسلت كلابك المعلمة، وذكرت اسم الله، فكل مما أمسكن عليك. قلت: وإن قتلن. قال: وإن قتلن. ولم يأمره بغسل الصيد، ولو كان ريق الكلاب نجساً لأمره بغسله». ولم يؤخر البيان عن وقت الحاجة. وإذا عجز النحوي عن تعليل الحكم أيضاً قال: العامل هنا معنوي كما تقدّم، وإذا عجز الحكيم عن التعليل في شيء قال: هذا بالخاصية، كما إذا طلب منه علّة جذب المغناطيس الحديد. رجع: وقيل: رافع المبتدأ التجرد عن العوامل

(١) هو أبو الزناد، عبد الله بن ذكوان القرشي، المدني: من كبار المحدثين. توفي فجأة بالمدينة سنة ١٣١هـ / ٧٤٨م. (الأعلام: ٨٥/٤).

(٢) هو أبو داود، عبد الرحمن بن هرمز، المعروف بالأعرج: حافظ، قارئ، من أهل المدينة. أدرك أبا هريرة وأخذ عنه. توفي بالإسكندرية سنة ١١٧هـ / ٧٣٥م. (الأعلام: ٣/٣٤٠).

(٣) هو أبو هريرة، عبد الرحمن بن صخر الدوسي: صحابي، كان أكثرهم حفظاً للحديث ورواية له. أسلم سنة ٧هـ، ولازم النبي ﷺ وروى عنه. توفي سنة ٥٩هـ / ٦٧٩م. (الأعلام: ٣/٣٠٨).

(٤) مُسلم: هو أبو الحسين، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسابوري: حافظ من أئمة المحدثين. ولد بنيسابور، وتوفي بظاهرها سنة ٢٦١هـ / ٨٧٥م. (تاريخ بغداد: ١٣/١٠٠).

(٥) هو أبو محمد، عبد الله بن وهب بن مسلم الفهري بالولاء، المصري: إمام، فقيه، من أصحاب مالك. توفي سنة ١٩٧هـ / ٨١٣م. (الأعلام: ٤/١٤٤).

(٦) هو أبو وهب، عدي بن حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشر الطائي: أمير، صحابي، من الأجواد العقلاء. توفي بالكوفة سنة ٦٨هـ / ٦٨٧م. (الأعلام: ٤/٢٢٠).

وليس بشيء إذا العدم لا يكون علّة للوجود، وفيه نظر. وقيل: رافعه الخبر، وهو باطل، لأنّ الخبر متأخر عنه وضعاً. وقيل: بل هما مترافعان. وقيل: الابتداء رافعهما، وهو ضعيف، لأنّ المعنى ما له هذه القوة. وقيل: الابتداء رفع المبتدأ، والمبتدأ رفع الخبر، وهو أقرب الأقوال. وقد استوفيت هذه المسألة في تعليق لي على الحاجبية. (الرأي): مجرور بالمضاف لا بالإضافة إلى المبتدأ. (صانتي): صان فعل ماضٍ، والتاء ضمير^(١) يرجع إلى أصالة، وهو في موضع رفع لأنه فاعل صان، والنون الثانية نون الوقاية. وهذه النون التي تقي الفعل من الكسر. وما أحلى قول الأمير أمين الدين أبي الحسن علي بن عثمان السليمان^(٢): [من الطويل]

أُضِيفَ الدُّجَى مَعْنَى إِلَى لَيْلٍ شَعْرِهِ فَطَالَ وَلَوْ لَا ذَاكَ مَا خُصَّ بِالْجَرِّ
وَحَاجِبُهُ نُونُ الْوَقَايَةِ مَا وَقَّتْ عَلَى شَرْطِهَا فِعْلَ الْجَفُونِ مِنَ الْكُسْرِ

والياء ضمير المتكلم، وهي في موضع نصب على أنها مفعول صان. وهذه الجملة من الفعل والفاعل والمفعول في موضع رفع على أنها خبر المبتدأ، وهو أصالة. والأصل في الخبر أن يكون مفرداً. وقد يكون جملة إسمية مثل: زيد أبوه كريم، وفعلية كما في البيت. (عن): حرف جر، وتجيء للمجاوزة كما هنا، أي تجاوزت بي عن الخطل، وتجيء بمعنى بعد، كقوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ﴾ [الانشقاق: ١٩]. وتجيء بمعنى على، كقول الشاعر: [من البسيط]

لَا هِ ابْنِ عَمِّكَ لَا أَفْضَلَتْ فِي حَسْبٍ عَنِّي وَلَا أَنْتَ دَيَّانِي فَتَخْزُونِي^(٣)

(الخطل): مجرور بعن، وسيأتي الكلام على الألف واللام في قوله: وينحرون كرام الخيل والإبل. (وحلية) الواو تكون تارة للعطف كهذه، وهي للتشريك في الحكم بلا ترتيب، فإن الواو في قوله تعالى: ﴿وَأَسْجُدِي وَارْكَعِي﴾ [آل عمران: ٤٣]. ما أفادت الترتيب. وقيل: لعلّ السجود كان قبل الركوع في ذلك الزمان ثم نسخ. وكذا قوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥]، والصحيح أن المسيح عليه السلام ما تُوفِّي، بل رفعه الله إليه، لأنّ الخبر ورد عن النبي ﷺ أنه سينزل ويقتل الدجال. وعلى هذا لا ترتيب في الواو. ولكن قال ابن عباس، ومحمد بن إسحاق: مُتَوَفِّيكَ: أي مُمِيتُكَ، والمقصود لا يصل أعداؤك من اليهود إلى قتلك، ثم أكرمهم الله تعالى بعد ذلك برفعه إلى السماء. واختُلف في مدّة

(١) التاء في «صانتي»: هي تاء التأنيث، وليست ضميراً.

(٢) شاعر، أصله من إربل، وتوفي بالقيوم سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧١. (الأعلام: ٤/ ٣١٠).

(٣) الدَيَّان: من أسماء الله سبحانه وتعالى، معناه: المجازي بالخير والشر، أو القهار.

الوفاة، فقال ابن وهب: توفي ثلاث ساعات ثم رُفِعَ وأُحيي. وقال محمد بن إسحاق: سبع ساعات ثم رُفِعَ. وقال الربيع بن أنس: نوّمه حال ما رفعه. واستشهد بقوله تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا﴾ الآية [الزمر: ٤٢]. وقال أبو بكر الواسطي: المراد: إني متوفيك عن شهواتك وحظوظ نفسك. ومنهم من قال: التَّوَفَّى أَخَذُ الشَّيْءِ وافيًا. ولمّا علم الله تعالى أن من الناس من يخطر بباله أن الذي رفعه الله إنما هو روحه، ذكر ذلك ليدل على أن الله رفعه بجسده إليه. ومنهم من قال: كل من رفع وانقطع خبره وأثره عن الأرض كان كالمتوفى. ومنهم من قال: في الكلام حذف مضاف تقديره متوفى عمّلك وهو جائز. (رجع) وتارة تكون بمعنى ربّ، وتارة للقسم، وتارة تكون وَاوٍ مَع، وتارة تكون وَاوٍ الحال، وتارة تكون ضمير الفاعلين في مثل يقومون، أو علامة الرفع في مثل الزيدون، وتارة تُزاد في مرسوم الخطّ في مثل عَمَرُو فِرْقًا بينه وبين عُمَر، فإذا دخل تنوين النصب عَمَرًا فلا دخول لها، لأن الفرق حاصل لكون عُمَر غير منصرف. حكى أن بعضهم كان يكتب كتابًا وإلى جانبه آخر فكتب عَمَرًا بغير وَاوٍ فقال له: يا مولانا زدها وَاوٍ للفرق. فقال له: والله لقد تفضل مولانا بزيادة وَاوٍ، يعني أنه تفضل. وبعضهم يرى أن تزداد بعد لا التَّافِيَةِ في الجواب إذا قيل هل فعلت كذا فتقول لا وعافاك الله. يُحكى عن صاحب بن عباد^(١) أنه قال: هذه الواو هاهنا أحسن من واوات الأصداغ في حدود الملاح. قال ابن الجوزي جمال الدين أبو الفرج^(٢) رحمه الله: روينا عن عُمَر رضي الله عنه أنه قال لرجل عَرَّسَ: هل كان كذا؟ فقال: لا أطل الله بقاءك، فقال عُمَر رضي الله عنه: قد علمتم فلم تتعلموا هلاً قلت: وأطل الله بقاءك. وتارة تكون الواو وَاوٍ الثمانية في مثل قوله تعالى: ﴿ثَبِّتِ أَكْبَارًا﴾ [التحريم: ٥] وفي قوله تعالى: ﴿الْأَمْرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّكَاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ﴾ [التوبة: ١١٢] وفي قوله تعالى: ﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَقُتِحَتْ أَبْوَابُهَا﴾ [الزمر: ٧٣] بالواو هُنا، ولم يأت بها في ذكر جهنم، لأن للنار سبعة أبواب، وللجنة ثمانية. وستأتي أسماء الجنة والنار فيما بعد إن شاء الله تعالى. وحكى لي بعض الأفاضل عن بعض الحكماء في المدن الكبار أنه ألقى درساً في هذه الآية الكريمة، وقد قال لي في حقّ

(١) هو أبو القاسم، إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني، المعروف بالصاحب: وزير غلب عليه الأدب، كان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتدبيراً ورأياً.، توفي سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م. (معجم الأدباء: ٢/ ٤٤٠).

(٢) هو أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، القرشي، البغدادي: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. ولد ببغداد، وتوفي فيها سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م. (وفيات الأعيان: ٣/ ١٤٠).

أصحاب جهنم أنهم لما جاؤوها فتحت لهم أبوابها على التعقيب، لأن الفاء للتعقيب فلم يُمهّلوا للدخول بل أُدخِلوا على الفور. وأما أهل الجنة فإنهم لم يُضطّروا إلى الدخول بل أمهلوا لأنه قال: وفتحت أبوابها. قلت: أنظر إلى هذه الغفلة في الأولى والثانية كونه ظنّها أولاً خارجةً عن الكلمة ولم تكن من أصلها، ووجدها ثابتة في الثانية فلم ينكرها. ونقول: هذه هي تلك، الحمد لله واهب العقل.

وفي قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامُنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ [الكهف: ٢٢] ولعمري إن هذا استقراء حسن، وبعض المحققين منع هذا، وقال: إنما تقع بين المتضادين، لأن الثيبات غير الأبكار، والأميرين ضد النّاهين، وقال في قصة أهل الكهف: أنه أُتي بالواو مع الثمانية لأن القول الثالث أقرب إلى الحق، أو هو الحق، لأنه قال في القولين الأولين رجماً بالغيب وفي الثالث قال تعالى: ﴿قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ﴾ [الكهف: ٢٢]، وقال في قصة أهل الجنة وأثبت الواو لأن أبواب جهنم لا تفتح إلا عند دخول أهلها زيادةً في الضيق على من بها، وأما أبواب الجنة فإنها تفتح لأهلها قبل دخولهم إليها إكراماً لهم لقوله تعالى: ﴿جَنَّتٍ عَدْنٍ مَّفْتَحَةٌ لَهُمُ الْأَبْوَابُ﴾ [ص: ٥] ورد هذا القول بأن الواو دخلت مع تعدد الصفات في قوله تعالى: ﴿غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ﴾ [غافر: ٣]، ولم تدخل في قوله تعالى: ﴿الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهِيمُنُ﴾ [الحشر: ٢٣]، ولا تضاداً بين الغفران وقبول التوبة. قلت: لو سقطت الواو من «أبكاراً» لاختل المعنى لأنهن لا يكنّ ثيبات أبكاراً معاً فاضطرّ إلى الواو لتدل على المغايرة. قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله: إن القاضي الفاضل^(١) رحمه الله كان يعتقد زيادة الواو في هذه الآية، ويقول: هي واو الثمانية إلى أن ذكر ذلك بحضرة الشيخ أبي الجود المقرئ، فبين له أنه وهم، وأنّ الضرورة تدعو إلى دخولها هنا، وإلا فسد المعنى بخلاف واو الثمانية، فإنه يؤتى بها لا لحاجة، فقال: أرشدتنا يا أبا الجود. والإمام فخر الدين اعترف بأن الواو في قوله تعالى: وَثَامُنُهُمْ كَلْبُهُمْ واو الثمانية. وعلى الجملة، ففي الواو مباحث جليّة جمعتها في كراسة أضربت عن إثباتها هنا خوفاً من الإطالة. والواو التي في «سبحانك اللهم وبحمدك»، قال أبو إسحاق الزجاج^(٢): سألت أبا العباس المبرّد^(٣) عن العلة في ظهور الواو ههنا فقال:

(١) هو عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل: وزير من أئمة الكتاب. ولد بعسقلان بفلسطين، وتوفي بالقاهرة سنة ٥٩٦هـ / ١٢٠٠م. (النجوم الزاهرة: ١٥٦/٦).

(٢) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن السري بن سهل الزجاج: عالم بالنحو واللغة. ولد ببغداد، ومات فيها سنة ٣١١هـ / ٩٢٣م. (تاريخ بغداد: ٨٩/٦).

(٣) هو أبو العباس، محمد بن يزيد بن عبد الأكبر الثمالي، الأزدي، المعروف بالمبرّد: إمام العربية ببغداد في زمنه. ولد بالبصرة، وتوفي ببغداد سنة ٢٨٦هـ / ٨٩٩م. (تاريخ بغداد: ٣٨٠/٣).

لقد سألت أبا عثمان المازني^(١) عما سألت عنه فقال: المعنى سبحانهك اللهم وبحمدك سبحانهك. قلت: أما واو عمرو، فقد نظم الشعراء فيها كثيراً، منهم أبو نواس، قال يهجو أشجع السلمي^(٢): [من الخفيف]

قُلْ لِمَنْ يَدَّعِي سُلَيْمَى سَفَاهَا لَسْتُ مِنْهَا وَلَا قُلَامَةٌ ظُفْرِ
إِنَّمَا أَنْتَ مِنْ سُلَيْمَى كَوَاوٍ أَلْصَقْتُ فِي الْهَجَاءِ ظُلْمًا بِعَمْرٍو
حكى أن بعض الناس رأى في منامه أنه قد كتب على ظفره واواً فجاء إلى المعبر وقصّ الرؤيا عليه فقال له: أنت دعيت في نسبك، واستشهد بالبيتين. وقال آخر يهجو: [من الكامل]

غَيْرَ الْمَقُولِ عُيُوبُهُ كَالْوَاوِ مِنْ عَمْرٍو يُرَى وَاللَّفْظُ عَنْهُ قَصِيرُ
كَالْتَّوْنِ مِنْ زَيْدٍ يُقَالُ مَدِيحُهُ بِاللَّفْظِ لَكِنْ لَا يَرَاهُ بَصِيرُ
وقال التهامي^(٣): [من الكامل]

لَغَوَّ كَحَرْفِ زَيْدٍ لَا مَعْنَى لَهُ أَوْ وَاؤُ عَمْرٍو فَقَدْ هَا كَوُجُودِهَا
وكان الجاحظ يزعم أن عمراً أُرْشِقَ الأسماء وأخفها وأظرفها وأسهلها مخرجاً، وكان يسميه الاسم المظلوم، ومعنى ذلك إلزاقهم به الواو التي ليست من جنسه، ولا فيه دليل عليها، ولا إشارة إليها. ويزعم أن هذا الاسم لم يقع في الجاهلية إلا على فارسٍ مذكورٍ أو ملكٍ مشهورٍ أو سيدٍ مطاعٍ أو رئيسٍ متبوعٍ، ثم إنه يقول بعد ذلك: عمرو بن هاشم، وعمرو بن سعيد الأكبر، وعمرو الأشدق، وعمرو بن العاص، وعمرو بن حممة، وعمرو بن يحيى بن فمعة، وعمرو بن معدي كرب، وعمرو بن ودٍّ، وعمرو بن الشريد، وعمرو بن الحمق، إلى أن يذكر عمرو بن عبيدٍ، وعمرو بن قائدٍ، وغيرهم، ثم يحتج بقول أبي نواس^(٤): [من الطويل]

فَقُلْتُ لَهُ مَا الْاسْمُ قَالَ شَمْرَدَلٌ عَلَى أَتْنِي أَكْنَى بِعَمْرٍو وَلَا عَمْرًا^(٥)

(١) هو أبو عثمان، بكر بن محمد بن حبيب بن بقية المازني: إمام في النحو. توفي بالبصرة سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م. (معجم الأدباء: ٦٣/٣؛ وفيات الأعيان: ٢٨٣/١).

(٢) هو أبو الوليد، أشجع بن عمرو السلمي: شاعر مجيد. ولد باليمامة، ونشأ بالبصرة. توفي نحو ١٩٥هـ/ نحو ٨١١م. (الأغاني: ١٤٣/١٨؛ تاريخ بغداد: ٤٥/٧).

(٣) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن نهد التهامي: شاعر مشهور، من أهل تهامة. زار الشام والعراق، وولي خطابة الرملة. توفي سنة ٤١٦هـ/ ١٠٢٥م مقتولاً في سجنه بمصر. (النجوم الزاهرة: ٢٦٣/٤).

(٤) ديوان أبي نواس: ٦١.

(٥) في الديوان: «فقلنا له: ما الاسم؟ قال: سَمَوَّلٌ». أكنى بعمرو: أي: يقال لي: «أبو عمرو». ولا عمرو: أي: لا ولد لي بهذا الاسم؛ إشارة إلى أنه لم يزل صبيّاً.

وَمَا شَرَفْتَنِي كَنِيَّةً عَرَبِيَّةً وَلَا أَكْتَسِي مِنْهَا سَنَاءً وَلَا فَخْرًا^(١)
وَلَكِنَّهَا خَفَّتْ فَقَلَّتْ حُرُوفُهَا وَلَيْسَتْ كَأُخْرَى إِنَّمَا خُلِقَتْ وَفُرَا^(٢)
قلت: إنما كان الجاحظ يقول هذا لأنَّ اسمه عمرو وكنيته أبو عثمان. وقال
أبو سعيد الرستمي: [من الطويل]

أَفِي الْحَقِّ أَنْ يُعْطَى ثَلَاثُونَ شَاعِرًا وَيُحْرَمَ مَا بَيْنَ الْوَرَى شَاعِرٌ مِثْلِي
كَمَا سَامَحُوا عَمْرًا بِوَائِ مَزِيدَةٍ وَضَوِّقَ اسْمُ اللَّهِ فِي أَلْفِ الْوَصْلِ
وما أحلى قول ابن نفادة^(٣): [من الرجز]

أَقْلُ وَجَدِي مُذْ تَنَاءً وَافِكْرُ وَبَعْضُ مَا أَلْقَاهُ فِيهِمْ سَهْرُ
أُنْحَلَنِي الْوَجْدُ فَجَسَمِي أَلْفَ أَلْ وَصَلَّ وَأَسْقَامِي لَيْسَتْ تَظْهَرُ
وقد جمع السراج الوراق رحمه الله هذه الواوات في أبيات وأحسن فيها حيث
قال ومن خطه نقلت: [من البسيط]

مَالِي أَرَى عَمْرًا أَتَى اسْتَجَرْتُ بِهِ قَدْ صَارَ عَمْرًا بِوَائِ فِيهِ وَأَنْصَرَفَا
وَنَامَ عَنْ حَاجَةٍ نَبَّهْتُهُ غَلَطًا بِهَا فَالْفَيْتُ مِنْهُ السَّهْدَ وَالْأَسْفَا
وَالْمُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو قَدْ سَمِعْتَ بِهِ فَمَا أَزِيدُكَ تَعْرِيفًا بِمَا عُرِفَا
وَتِلْكَ وَائٍ وَلَا وَاللَّهِ مَا عَطَفْتُ وَلَوْ أَتَتْ وَائٍ عَطْفٍ مَا أَتَتْ طَرَفَا
وَلَوْ أَتَتْ وَائٍ حَالٍ لَمْ تَسُدَّ وَلَوْ أَتَى بِهَا قَسَمًا مَا بَرَّ إِذْ حَلَفَا
أَوْ وَائٍ رُبَّ لِمَا جَرَّتْ سِوَى أَسْفٍ وَكَثَّرَتْهُ خِلَافًا لِلَّذِي أَلْفَا
أَوْ وَائٍ مَعَ لِمَا أَجَدَّ خَيْرًا أَتَى مَعَهَا أَوْ وَائٍ جَمَعَ غَدًا مِنْ فِرْقَةٍ نُتَفَا
وَلَيْتَ صُدْغًا بِهَا قَدْ شَبَّهْهُ غَدًا يُكْوِي بِنَارِي وَهَذَا فِي السَّلْوِ كَفَى
وَاللَّهِ يَطْمِسُهَا وَائٍ ذَكَرْتُ بِهَا دَالًا بِوَسْطِي وَكَانَتْ قَبْلَ ذَا أَلْفَا

قلت: أما تشبيه الصدغ بالواو فهو كثير مشهور بين الشعراء. ومن ذلك قول
ابن قلاقس الإسكندري وهو مليح: [من الطويل]

قَرَنْتَ بِوَائٍ الصَّدْغِ صَادًا لِمَقْبَلِ وَأَبْدَيْتَ لَامًا مِنْ عِذَارٍ مُسَلَّسِلِ

(١) في الديوان: «وَلَا أَكْتَسَيْتَنِي لَا سَنَاءً وَلَا فَخْرًا».

(٢) في الديوان: «إِنَّمَا خُلِقَتْ وَفُرَا». الوقر: الحمل الثقيل.

(٣) هو الرئيس، شمس الدين، نشأ الدولة، أحمد بن عبد الرحمن بن علي بن المبارك بن نفادة السُّدَسِيّ، الدمشقي: أديب، شاعر، أمير، من رؤساء جند السلطان صلاح الدين الأيوبي. توفي سنة ٦٠١هـ/ ١٢٠٤م. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٤٣٣/٣).

فإن لم يَكُنْ وَصْلٌ لِدَيْكَ لِعَاشَتِي فَمَاذَا الَّذِي أَبْدَيْتَ لِمَتَأَمِّلِ

وقال البهاء زهير في ما أظن: [من الطويل]

عَسَى عَطْفَةٌ لِلْوَصْلِ يَا وَائِ وَصْدَغِهِ وَحَقَّكَ إِنِّي أَعْهَدُ الْوَائِ تَعْطِفُ

وقول السراج: واللّه يطمسها وائاً البيت، يريد بذلك إحليله، وأنه قد تعقّف من الكبير فكان وائاً لكنه منحّن كالذّال بعد أن كان كالألّف، وله في هذا المعنى عدة مقاطيع منها قوله ومن خطه نقلت: [من المجث]

إِنْحَلَّ أَيَّرِي مَنِّي كَأَنَّهُمْ عَقَّدُوهُ

وَصَارَ يَحْضُنُ بَيْضِي كَأَنَّهُمْ رَقَّدُوهُ

وقوله أيضاً: [من مجزوء الرمل]

كَأَنَّ أَيَّرًا صَارَ سَيِّرًا يَلْطُمُ الْأَكْسَاسَ سُخْرَهُ

كَيْفَ لَا يَنْأَيْنَ عَنِّي وَمَعِي شَيْبٌ وَدَرَهُ

أنشدني لنفسه الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوَرْدِي^(١) إجازة:

[من الوافر]

وَكَاثَانِ إِذَا رَأَيْتُ وَلَوْ عَجُوزًا يُبَادِرُ بِالْقِيَامِ عَلَى الْحَرَارَةِ

فَأُصْبِحَ لَا يَقُومُ لِبَدْرِ تَمَّ كَأَنَّ النَّحْسَ قَدْ وَلِيَ الْوَرَارَةَ

وقولهم: وقع رمضان في الواوات، يريدون: أنه جاوز العشرين فلا يذكر إلا

بواو عطف. وما أحسن قول محمد بن علي بن منصور بن بَسَّام: [من البسيط]

قَدْ قَرَّبَ اللَّهُ مِنَّا كُلَّ مَا شَسِعَا كَأَنَّنِي بِهَلَالِ الْفِطْرِ قَدْ طُلِعَا^(٢)

فَخُذْ لِلْهُوْكَ فِي شَوَّالٍ أَهْبَتْهُ فَإِنَّ شَهْرَكَ فِي الْوَائِ قَدْ وَقَعَا

وكذا قول بعضهم: وقع الشهر في الأئين، مرادهم أنه يقال فيه: أحد

وعشرون، ثانٍ وعشرون فيكرر فيه الأئين، وفي أمثال العوام: إذا وقع رمضان في

الأئين خرج شوال من الكمين. (رجع إلى الإعراب): حلية: مبتدأ والنصف الثاني

إعرابه كإعراب الأول، وأما لدى: فإنها ظرف مكان، موضعها النصب والعامل فيها

زانت. (المعنى) رأيي الأصيل يصونني عن الاضطراب في القول والعمل، وحلية

(١) أديب، ناثر، شاعر، ولد في مَعَرَّة النعمان، وتنقّل بين حلب، وحماة، ودمشق، وتوفي في حلب بالطاعون سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٩م. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٧٦٦/٣).

(٢) شَسَعَ الشَّيْءُ شُسُوعاً: بَعُدَ.

عملي تزينني عند العطل، أي التعري عن أعراض الدنيا وزخرفها. ولعمري إن الإنسان شيء وراء الزينة واللبس والشكل والرؤاء. وقد قال ﷺ: «المرء بأصغريه قلبه ولسانه»، وقال عليه السلام: «المرء مخبوء تحت لسانه». وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: «قيمة كل امرئ ما يحسنه». قال الجاحظ في كتاب البيان والتبيين عند ذكر هذه الكلمة: لو لم نقف من هذا الكتاب إلا على هذه الكلمة لوجدناها فاضلة عن الكفاية غير مقصرة عن الغاية. وقيل شعر: [من البسيط]

وَأَجْهَدُ لِنَفْسِكَ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانٌ
وَأُنْشِدُنِي بَعْضَهُمْ: [من الكامل]

كَمَلْ حَقِيقَتَكَ الَّتِي لَمْ تَكْمَلْ أَتُكْمَلُ الْفَانِي وَتَشْرُكُ بَاقِيَا
النَّفْسُ لِلْجِسْمِ النَفِيسَةِ آلَةٌ يَفْنَى وَيَبْقَى دَائِمًا فِي غُبُطَةٍ
شَرَكٌ كَثِيفٌ أَنْتَ فِي حَبَلَاتِهِ مَنْ يَسْتَطِيعُ بُلُوغَ أَعْلَى مَنْزِلٍ
وَالْجِسْمَ دَعَا فِي الْحَضِيضِ الْأَسْفَلِ هَمَلًا وَأَنْتَ بِأَمْرِهِ لَمْ تَحْفَلِ^(١)
مَا لَمْ تُحْصِلْهُ بِهِ لَمْ يَحْصَلِ أَبَدِيَّةٌ أَوْ شَقْوَةٌ لَا تَنْجَلِي
بَادِرٌ إِلَى وَجْهِ الْخُلَاصِ وَعَجَلِ مَا بَالَهُ يَرْضَى بِأَدْنَى مَنْزِلٍ

والرأي ما زال ممدوحاً عند العقلاء. قال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: رأي الشيخ خير من مشهد الغلام. وقال أبو فراس الحمداني^(٢): [من الوافر]

وَلَا أَرْضَى الْفَتَى مَا لَمْ يُكْمَلْ بِرَأْيِ الْكَهْلِ إِقْدَامَ الْغُلَامِ
وَقَالَ أَيْضًا^(٣): [من الطويل]

فَمَا اسْتَوَرْتُ إِلَّا وَأَصْبَحَ شَيْخَهَا وَلَا احْتَرَبْتُ إِلَّا وَكَانَ فَتَاهَا
ولو قال استحربت مكان احتربت لكان حسناً. ولما همت ثقيف بالارتداد بعد موت النبي ﷺ استشاروا عثمان بن أبي العاص^(٤) وكان فيهم مطاعاً، فقال لهم: لا تكونوا آخر العرب إسلاماً وأولهم ارتداداً، فنفعهم الله برأيه. وكان الحباب بن

(١) الهَمَلُ: المُهْمَلُ المتروك.

(٢) ديوان أبي فراس: ٢٧٥.

(٣) ديوان أبي فراس: ٣١٠ وفيه: «وَلَا أُحْرَبْتُ».

(٤) هو عثمان بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان الثقفي: صحابي من أهل الطائف. أسلم في وفد ثقيف، فاستعمله النبي ﷺ على الطائف، فبقي في عمله إلى أيام عمر. توفي في البصرة سنة ٥١هـ / ٦٧١م. (الأعلام: ٢٠٧/٤).

المنذر^(١) يُدعى ذا الرأي، أشار يوم بدر على النبي ﷺ أن ينزل على آخر ماء ببدر ليبقى المشركون على غير ماء، وكان برأيه الخير، لأن ذلك أضرب بكفار قريش. والمشهورون بالرأي والدهاء خمسة: معاوية^(٢)، وعمرو بن العاص^(٣)، والمغيرة بن شعبة^(٤). ومن الأنصار قيس بن سعد بن عبادة^(٥)، ومن المهاجرين عبد الله بن بديل الخزاعي^(٦) رضي الله عنهم. وقال بعضهم: دهاة العرب أربعة: معاوية بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص، والمغيرة بن شعبة، وزباد بن أبيه^(٧)، أما معاوية فللأناءة والحلم، وأما عمرو فللمعضلات، وأما المغيرة فللمبادهة، وأما زياد فللصغير والكبير، ويقال لهم: ذوو رأي العرب ومكيدتهم معاوية وعمرو بن العاص والمغيرة وعبد الله بن بديل، ذكرهم الشعبي^(٨) في بيت: [من الطويل]

من العرب العرباء قد عُدَّ أربع دُهاة فما يُؤتى لهم بِشبيهه
مُعاوية، عمرو بن عاص، مُغيرة زياد هو المعروف بابن أبيه

ثم جمعت الستة في قولي: [من الطويل]

من العرب إن رُمّت الدهاة فسِتَّة موائد فَضِّل ما بهنَّ طفيلي

(١) هو الحُباب بن المنذر بن الجموح الأنصاري، الخزرجي، السلمي: صحابي، من الشعراء، الشجعان. توفي سنة ٢٠هـ / ٦٤٠م. (الأعلام: ١٦٣/٢).

(٢) معاوية: هو معاوية بن أبي سفيان: مؤسس الدولة الأموية، المتوفى سنة ٦٠هـ / ٦٨٠م. (الأعلام: ٢٦١/٧).

(٣) عمرو بن العاص: من أمراء الجهاد، أسلم في هدنة الحديبية، وولاه النبي ﷺ إمرة جيش «ذات السلاسل». فتح مصر، وعدداً من البلدان. توفي سنة ٤٣هـ / ٦٦٤م. (الأعلام: ٧٩/٥).

(٤) المغيرة بن شعبة: صحابي، ولد في الطائف، وأسلم سنة ٥هـ، وشهد الحديبية واليمامة وفتح الشام، وذهبت عنه باليرموك، وشهد القادسية، ونهاوند، وغيرها. توفي سنة ٥٠هـ / ٦٧٠م. (الأعلام: ٢٧٧/٧).

(٥) قيس بن سعد: وال، صحابي، من الأجواد، وذوي الرأي المشهورين، كان يحمل راية الأنصار مع النبي ﷺ. وصحب علياً في خلافته. توفي سنة ٦٠هـ / ٦٨٠م. (الأعلام: ٢٠٦/٥).

(٦) عبد الله بن بديل: صحابي، من الدهاة الفصحاء. أسلم يوم الفتح، وشهد حيناً والطائف وتبوك، وقاتل مع عليٍّ بصفين. توفي سنة ٣٧هـ / ٦٥٧م. (الأعلام: ٧٣/٤).

(٧) زياد بن أبيه: أمير، من الدهاة، القادة الفاتحين، الولاة، من أهل الطائف. أسلم زمن أبي بكر، وكان كاتباً للمغيرة بن شعبة، وأبي موسى الأشعري، ثم ولّاه عليّ إمرة فارس؛ وبعد وفاة عليّ استرضاه معاوية، وولاه البصرة، والكوفة وسائر العراق. توفي سنة ٥٣هـ / ٦٧٣م. (الأعلام: ٥٣/٣).

(٨) الشعبي: هو أبو عمرو، عامر بن شراحيل بن عبد ذي كبار الشعبي الحميري: راوية، من التابعين، يضرب المثل بحفظه. وُلد بالكوفة، وتوفي فيها سنة ١٠٣هـ / ٧٢١م. (الأعلام: ٢٥١/٣).

معاوية، عمرو، زياد، مغيرة وقيس، وعبد الله نجل بديل

وقال أبو الطيّب المتنبي^(١): [من الكامل]

الرأي قبل شجاعة الشجعان هو أول وهي المحل الثاني
فإذا هما اجتماعاً لنفس حرة بلغت من العلياء كل مكان
ولربما طعن الفتى أقرانه بالرأي قبل تطاعن الأقران
لولا العقول لكان أدنى ضيغم أدنى إلى شرف من الإنسان
ولما تفاضلت النفوس ودبرت أيدي الكُماة عوالي المُران^(٢)

وقال أيضاً^(٣): [من الكامل]

نفت التوهم عنه حدة ذهنه فقضى على غيب الأمور تيقنا

وقال الأمير بدر الدين نشو الدولة أحمد بن نفادة: [من الكامل]

العلم للأعلام أقوى ناصب والرأي للرايات أثبت حامل
ولربما علم المغيب من له فهم صحيح باتضاح دلائل
وأخو الحجى بالفكر منه يستدل على أواخر أمره بأوائل
علم المجرب شمسُه يهدي بها والرأي مرآة اللبيب العاقل
لكنه كالسيف يصدى ثم يجلى بالإشارة لا بكف الصاقل

وقال أبو تمام^(٤): [من الوافر]

وما شيء من الأشياء أمضى على المهجات من رأي سديد

وقال البحتري^(٥): [من الخفيف]

يوم أرسلت من كتائب آرا نك جنداً لا يأخذون عطاء^(٦)

(١) ديوان أبي الطيب: ٢٠٤/٢.

(٢) المُران: الرماح اللينة.

(٣) ديوان المتنبي: ٢٩٤/١.

(٤) هو أبو تمام، حبيب بن أوس بن الحارث بن قيس الطائي: شاعر، أديب، من أمراء البيان في عصره. توفي بالموصل سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٦م. (طبقات الشعراء، ابن المعتز: ٢٥٨؛ الأغاني:

٣٠٣/١٦). والبيت في ديوانه: ٢٦٢/١.

(٥) ديوان البحتري: ٣٥١/٢.

(٦) في الديوان: «يوم فرقت».

وَيَبُودُ الْأَعْدَاءُ لَوْ تَضَعُفُ الْجِيَدُ شَ عَلَيْهِم وَتَصْرِفُ الْآرَاءُ^(١)

قلت: لو كان لي في هذا البيت حكم لقلت بدل تصرف تضعف أيضاً، فيكون الأول من الإضعاف وهو الزيادة بالمثل، والثاني من الضعف وهو المرض والوهن، على أن تصرف أمدح وتضعف أصنع. وقال علي بن الجهم^(٢): [من الطويل]

فَهِمَّتْهُ جَيْشٌ وَعَزَمَتْهُ سُرَى وَفَكَرَتْهُ حَرْبٌ وَآرَاؤُهُ جُنْدٌ
وقال ابن حيوس^(٣): [من الوافر]

وما البطش الشديد مفيدٌ عزٌّ إذا لم يَمْضِهِ الرَّأْيُ السَّيِّدُ
وقال ابن مكنسة^(٤): [من الكامل]

بِثَّ جَارَهُ فَالْعَيْشُ تَحْتَ ظِلَالِهِ وَاسْتَسْقَاهُ فَالْبَحْرُ مِنْ أَنْوَائِهِ
يَلْقَى الْخَطُوبَ بِمِثْلِهَا مِنْ صَبْرِهِ وَالباترات بِمِثْلِهَا مِنْ رَأْيِهِ
وقال ابن المعتز^(٥): [من الطويل]

وَعَادَرَ مَتْنِي الدَّهْرُ عَضْباً مُهَنْدَاً يَفْلَّ شَبَا الْخَطِيّ وَقَلْباً مُشِيْعَاً^(٦)
وَرَأْيَا كَمَرَأَةِ الصَّنَاعِ أَرَى بِهِ سَرَائِرَ غَيْبِ الدَّهْرِ مِنْ حَيْثُ مَا سَعَى^(٧)
قلت: ما رأى من غيب الدهر شيئاً فإنه ولي الخلافة يوماً واحداً ثم قتل.

وقال التهامي: [من السريع]

وَلِلْمَعَادِي رُتَبٌ فِي الْحَجَى الرَّأْيُ ثُمَّ الْكَيْدُ ثُمَّ الْكِفَاخُ
قَدْ يَغْلِبُ الْمَرْءُ بِتَدْبِيرِهِ أَلْفَاً وَلَا يَغْلِبُهُمْ بِالسَّلَاحِ
قيل: إن الملك العزيز ابن صلاح الدين لما أتى عمّه العادل لقتاله، ووصل

(١) في الديوان: «وَيَبُودُ الْعُدُو».

(٢) هو أبو الحسن، علي بن الجهم بن بدر القرشي السامي: شاعر مفلق مطبوع، من أهل بغداد. اختصّ بالمتوكل العباسي، ثم غضب عليه المتوكل، ونفاه إلى خراسان. توفي سنة ٢٤٩هـ/ ٨٦٣م. (طبقات الشعراء، ابن المعتز: ٢٩١؛ تاريخ آداب اللغة: ١/٣٨٤).

(٣) هو أبو الفتيان، محمد بن سلطان بن محمد بن حيوس الغنوي: شاعر الشام في عصره. ولد ونشأ بدمشق، وتوفي بحلب سنة ٤٧٣هـ/ ١٠٨١م. (وفيات الأعيان: ٤/٤٣٨).

(٤) هو أبو الطاهر، إسماعيل بن محمد، المعروف بابن مكنسة: شاعر مُكثّر من أهل الإسكندرية. توفي سنة ٥١٠هـ/ ١١١٦. (الأعلام: ١/٣٢٢).

(٥) ديوان ابن المعتز: ٤٥٨.

(٦) العضب: القاطع. يفلّ: يثلم. الشّبا: الحدّ. الخطي: الرمح المنسوب إلى الخط: موضع بالبحرين اشتهر بصناعة الرماح. مُسَيِّعٌ: مُسْتَخَفٌّ، مُعْرَمٌ.

(٧) لم يرد هذا البيت في ديوانه.

بالعساكر إلى بلبيس، ضاق الأمر به وأراد النفقة في الجيوش ولم يكن عنده شيء، فقيل له: إنّ القاضي الفاضل عنده من الأموال ما يقوم بما تريده فقال: أستحي أن أطلب منه شيئاً فألزموه بطلبه، فلما علم بوصوله دخل إلى الحريم حياءً منه، فتضرّع القاضي الفاضل حتى خرج إليه، وحكى له القصة فقال له: كلّ ما أنا فيه من نعمة فهي من صدقاتكم والمال عندي يكفي ما ترومه، ولكن دعني أتوجّه إلى العادل وأطلب منه الصّلاح فإن وافق فيها ونعمت، وإلا فالنفقة قدامنا والمحاربة أمامنا. ثم إن القاضي الفاضل توجه إلى الملك العادل ولم يزل يسحره ببيانه، ويفتك في ذروته والغارب بلسانه حتى ردّ راجعاً، ولم يدخل، وكفى الله العزيز أمر تلك المرة برأي الفاضل. ومن شعر مؤيد الدين الطغرائي صاحب القصيدة: [من الكامل]

لا تحقّرني الرأي وهو موافق حُكَم الصّواب إذا أتى من ناقص
فالدُّرُّ وهو أجلُّ شيء يُقْتَنى ما حطَّ قيمته هوانُ الغائص
وقال القاضي الحشيشي: [من الطويل]

ولي صاحب ما خفتُ مكروه طارق من الأمر إلا كان لي من ورائه
إذا عَضَنِي صَرَفُ الزَّمانِ فإنني برأيته أسطو عليه ورأيه
وقال أبو الفتح البستي^(١): [من المنسرح]

عَوَّل على رأيه إذا خربت نائبة من نوائب الزَّمن
فليس في الأرض معقل أشبَّ كُرايه من كُرائه المَحَن
هذان الجناسان اللذان في هذين المقطوعين من أنواع الجناس المرفُوف وهو أن يكون أحد ركني الجناس مركباً من جزئين أولهما حرف من حروف المعاني. وقد ذكرت ذلك مستوفى في كتابي المسمّى «جنان الجناس». وما أحلى قول أسعد بن مماتي: [من الكامل]

طبع المجتس فيه نوع قيادة أو ما ترى تآليفه للأحرف
ونظمت أنا في هذا المعنى: [من الطويل]

ألا إنّ من عانى القريض بطبعه يَكوُدُ فأرسله لمن صدّ واحتشم^(٢)

(١) هو أبو الفتح، علي بن محمد بن الحسين البُستي: شاعر مشهور، ولد في «بُست» وإليها نسبته. كان من كتّاب الدولة السامانية في خراسان. توفي سنة ٤٠١هـ / ١٠١١م. (يتيمة الدهر: ٤/ ٣٤٥؛ البداية والنهاية: ١١/ ٢٩٦).

(٢) عانى الشيء: قاساه وكابده، أو أحسن القيام عليه. احتشم: استحيا، أو سلك في حياته مسلكاً محموداً وسطاً.

أَلَمْ تَرَهُ إِنْ قَالَ شِعْراً مُجَنِّساً يُؤَلَّفَ مَا بَيْنَ الْحُرُوفِ إِذَا نَظَّمُ^(١)

ونظمت فيه أيضاً: [من المنسرح]

مَا نَظَّمُ الشَّعْرَ فِي مَحَلٍّ فَتَّى أَلْفَ هَذَا حُرُوفَهُ وَسَمَتِ يَقُودُ فَاسْمَعِ مَقَالَهَ الظُّرْفَا هِمَّةٌ هَذَا فَأَلَّفَ الْحَرْفَا

وقال ابن سناء الملك^(٢): [من مخلع البسيط]

وَشَاعِرٍ كَاتِبٍ أَدِيبٍ مَنَظْمِ الْعَقْلِ وَالْقِيَّاسِ
قُلْتُ لَهُ وَالْفَضُولُ دَاءٌ وَهُوَ كَمَا قِيلَ كَالْعُطَّاسِ
لَمْ كُنْتُ تَبْغِي فَصِرْتُ تَبْغُو قَالَ مِنَ الْعِشْقِ فِي الْجَنَاسِ

وقلت أنا: [من الطويل]

تَعَشَّقْتَهُ جَاراً أَسَالَ مَدَامَعِي وَحَمَّلَنِي مَا لَيْسَ يَحْمِلُهُ النَّاسُ
فَجَارَ وَأَجْرَى حِينَ جَاوَرَ وَاجْتَرَى فَمَا فَاتَهُ مِمَّا يُرُومُ جِنَاسُ^(٣)

وقلت: [من المجث]

أَتَى مَحَلِّي أَنَاسُ بِهِمْ تَحَلَّى الْمَدِيحُ
زَارُوا وَزَانُوا وَزَادُوا هَذَا الْجَنَاسُ الْمَلِيحُ

وقلت: [من المجث]

لِلَّهِ قَوْمٌ حَمُونِي مِنْ حَادِثَاتِ اللَّيَالِي
صَانُوا وَصَابُوا وَصَالُوا كَذَا جَنَاسُ الْمَعَالِي

(رجع القول إلى الرأي): لَمَّا اسْتَوْلَى الْإِسْكَانْدَرُ عَلَى مَلِكِ فَارَسَ كَتَبَ إِلَى أَرْسَطُو يَأْخُذُ رَأْيَهُ فِي ذَلِكَ فَكَتَبَ إِلَيْهِ: الرَّأْيُ أَنْ تُوْزَعَ مَمْلَكَتُهُمْ بَيْنَهُمْ، وَكُلُّ مَنْ وَلِيَّتُهُ نَاحِيَةُ سَمِهِ بِالْمَلِكِ، وَأَفْرَدَهُ بِمَلِكِ نَاحِيَّتِهِ، وَاعْقِدِ التَّاجَ عَلَى رَأْسِهِ، وَإِنْ صَغُرَ مَلِكُهُ فَإِنَّ الْمَسْمُومَ بِالْمَلِكِ لَا يَخْضَعُ لْغَيْرِهِ وَلَا يَنْشَبُ فِي ذَلِكَ أَنْ يَقَعَ بَيْنَهُمْ تَغَالِبٌ عَلَى الْمَلِكِ فَيَعُودَ حَرْبُهُمْ لَكَ حَرْباً بَيْنَهُمْ، فَإِنْ دَنُوتَ مِنْهُمْ دَانُوا لَكَ، وَإِنْ نَأَيْتَ

(١) شِعْرٌ مُجَنِّسٌ: يشتمل على فن الجناس البلاغي، وهو اتفاق كلمتين في كل الحروف: عدداً وترتيباً وشكلاً، أو في بعضها.

(٢) هو هبة الله بن جعفر بن سناء الملك السعدي، أبو القاسم، القاضي السعيد: شاعر، من النبلاء. وُلِدَ بِمِصْرَ، وَتَوَفَّى فِيهَا سَنَةَ ٦٠٨ هـ / ١٢١٢ م. (شذرات الذهب: ٣٥/٥).

(٣) جَارَ: ظلم. أَجْرَى: أسال. جَاوَرَ: ساكن، أو لاصق في المسكن. اجْتَرَى: اجتراً: تَشَجَّعَ.

تعزّزُوا بك، وفي ذلك شاغل لهم عنك وأمان لإحداثهم بعدك شيئاً. فلما بلغ الإسكندر ذلك علم أنه الصواب وفرق القوم في الممالك فسموا ملوك الطوائف، فيقال إنهم لم يزلوا برأي أرسطو مختلفين أربعمئة سنة لم ينتظم لهم أمر. وحكي أن المأمون^(١) لما هادن بعض ملوك النصارى أظنه صاحب جزيرة قبرص طلب منه خزانة كتب اليونان وكانت عندهم مجموعة في بيت لا يظهر عليها أحد، فجمع الملك خواصه من ذوي الرأي واستشارهم في ذلك فكلهم أشاروا عليه بعدم تجهيزها إلا مطراناً واحداً فإنه قال: جهزها إليهم، فما دخلت هذه العلوم على دولة شرعية إلا أفسدتها، وأوقعت بين علمائها. حدثني من أثق به أن الشيخ تقي الدين أحمد بن تيمية رحمه الله كان يقول: ما أظن أن الله يغفل عن المأمون، ولا بد أن يقابله على ما اعتمده مع هذه الأمة من إدخال هذه العلوم الفلسفية بين أهلها. قلت: إن المأمون لم يبتكر النقل والتعريب بل نقله قبله كثير، فإن يحيى بن خالد البرمكي^(٢) عرّب من كتب الفرس كثيراً مثل «كليلة ودمنة»، وعرّب لأجله كتاب «المجسطي» من كتب اليونان. والمشهور أن أول من عرّب كتب اليونان خالد بن يزيد بن معاوية لما أُلِع بكتب الكيمياء. وللتراجمة في النقل طريقان أحدهما طريق يوحنا بن البطريق^(٣)، وابن الناعمة الحمصي، وغيرهما، وهو أن ينظر إلى كل كلمة مفردة من الكلمات اليونانية وما تدل عليه من المعنى فيأتي بلفظة مفردة من الكلمات العربية ترادفها في الدلالة على ذلك المعنى فيثبتها، وينتقل إلى الأخرى كذلك حتى يأتي على جملة ما يريد تعريبه. وهذه الطريقة رديئة لوجهين: أحدهما أنه لا يوجد في الكلمات العربية كلمات تقابل جميع الكلمات اليونانية، ولهذا وقع في خلال هذا التعريب كثير من الألفاظ اليونانية على حالها. الثاني: أن خواص التركيب والنسب الإسنادية لا تطابق نظيرها من لغة أخرى دائماً. وأيضاً يقع الخلل من جهة استعمال المجازات، وهي كثيرة في جميع اللغات. الطريق الثاني في التعريب: طريق حنين بن إسحاق^(٤)، والجوهري، وغيرهما، وهو أن يأتي إلى الجملة فيحصل

(١) هو الخليفة العباسي عبد الله بن هارون الرشيد، المتوفى سنة ٢١٨هـ / ٨٣٤م.

(٢) هو أبو الفضل، يحيى بن خالد بن برمك: سيد بني برمك وأفضلهم، وهو مؤدب الرشيد العباسي ومعلمه ومربيّه. توفي سنة ١٩٠هـ / ٨٠٥م. (وفيات الأعيان: ٦/ ٢١٩).

(٣) يوحنا بن البطريق: ترجمان، كان مؤلفاً للمأمون، أميناً على الترجمة، حسن التأدية للمعاني، وكانت الفلسفة أغلب عليه من الطب. توفي نحو ٢٠٠هـ / نحو ٨١٥م. (الأعلام: ٨/ ٢١٠).

(٤) هو أبو زيد، حنين بن إسحاق العبادي: طبيب، مؤرخ، مترجم، من أهل الحيرة. أخذ العربية عن الخليل بن أحمد بالبصرة، وأخذ الطب عن يوحنا بن ماسويه ببغداد. اتصل بالمأمون فجعله رئيساً لديوان الترجمة. توفي سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٣م. (الأعلام: ٢/ ٢٨٧).

معناها في ذهنه، ويعبّر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها، سواء ساوت الألفاظ أم خالفتها. وهذه الطريق أجود، ولهذا لم تحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب إلا في العلوم الرياضية لأنه لم يكن قيماً بها بخلاف كتب الطب والمنطق والطبيعي والإلهي، فإنّ الذي عرّبه منها لم يحتج إلى إصلاح. فأما أوقليدس فقد هدّبه ثابت بن قرّة الحراني^(١)، وكذلك «المجسطي» والمتوسّطات بينهما. (رجع القول إلى ما يتعلق بالمأمون) والخلاف ما زال في هذه الأمة منذ توفي رسول الله ﷺ في موته ودفنه، وأمر الخلافة بعده، وأمر ميراثه، وأمر قتال مانعي الزكاة، إلى غير ذلك. بل في نفس مرضه ﷺ لمّا قال: ائتوني بدواة وقرطاس أكتب لكم كتاباً لا تضلّوا بعدي على ما هو مذكور في مواطنه. وقد روى أنس بن مالك^(٢) رضي الله عنه، أنه عليه أفضل الصلاة والسلام قال: إنّ بني إسرائيل افترقوا على إحدى وسبعين فرقة، وإنّ أمّتي ستفترق على اثنتين وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، وهو ﷺ الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى قد أخبر أن الأمة ستفترق، ومتى افترقت خالف بعضها بعضاً، ومتى خالفت تمسكت بشبه وحجج، وناظر كل فرقة من يخالفها فانفتح باب الجدل واحتاج كل أحد إلى ترجيح مذهبه وقوله بحجة عقلية أو نقلية أو مركبة منهما، فهذا الأمر كان غير مأمون قبل المأمون. نعم زاد الشرّ شراً والضرّ ضرّاً وقويت به حجج المعتزلة وغيرهم. وأخذ أصحاب الأهواء ومخالفو السنّة مقدمات عقلية من الفلاسفة فأدخلوها في مباحثهم وفرّجوا بها مضايق جدالهم، وبنوا عليها قواعد بدعهم، فاتّسع الخرق على الرّاقع وكاد منار الحق الواحد يشتهه بالثلاث الأثافي^(٣) والرسوم البلاقع^(٤)، على أن السنّة الشريفة مرفوعة المنار، مأمونة الشرار، خافقة الأعلام، راسخة الأحكام، باهرة السنا ساطعة، غضة الجنى يانعة: [من الكامل]

وَيَزِيدُهُمَا رُالِيَالِي جِدَّةً وَتَقَادُمُ الْأَيَّامِ حُسْنَ شَبَابٍ
وأهل السنّة فتح لهم السلف الصالح مغلق أبوابها، وذللّوا بالشواهد الصادقة

(١) هو أبو الحسن، ثابت بن قرّة بن زهرون الحرّاني الصابئ: طبيب، حاسب، فيلسوف. ولد ونشأ بحرّان، واشتغل بالطب والفلسفة ببغداد، واتصل بالمعتضد العباسي فقرّبه ورفعته. توفي سنة ٢٨٨هـ / ٩٠١م. (الأعلام: ٩٨/٢).

(٢) هو أبو ثمامة، أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم النجاري الخزرجي الأنصاري: صاحب رسول الله ﷺ وخادمه. روى عنه رجال الحديث ٢٢٨٦ حديثاً. توفي سنة ٩٣هـ / ٧١٢م. (الأعلام: ٢٤/٢).

(٣) الأثافي: حجارة الموقد.

(٤) الرسوم: آثار الديار. البلاقع: الخالية من كلّ شيء.

الصادعة ما جمع من صعابها، وأطلعوا نيرها الأعظم فطمس من البدع تألق شهابها، وأجنوا من اتبع هداهم ثمر اليقين متحد النوع وإن كان متشابهاً، وجاسوا خلال الحق فميّزوه، وأهل مكة أخبر بشعابها: [من الطويل]

وَمَنْ قَالَ إِنَّ الشُّهْبَ أَكْبَرُهَا السَّهَا بِغَيْرِ دَلِيلٍ كَذَّبَتْهُ ذُكَاءُ^(١)

قال أبو بكر الصيرفي^(٢) الفقيه الشافعي الأصولي: كانت المعتزلة قد رفعوا رؤوسهم حتى أظهر الله أبا الحسن الأشعري فحجزهم في أقماع السمسّم. قلت: ومن وقف على طبقات المعتزلة للقاضي عبد الجبار^(٣)، علم قدر ما كانوا عليه من العدد والعدد. وحكي أن أبا الحسن الأشعري رحمه الله تعالى كان تلميذاً لأبي علي الجبائي، قرأ عليه وتمذهب بمذهبه لأن الجبائي كان زوج أم الشيخ أبي الحسن، فاتفق أن جرت بينهما مناظرة في وجوب الأصلح والصلاح على الله تعالى. فقال له الشيخ أبو الحسن: أتوجب الصلاح أو الأصلح على الله تعالى في حق عباده؟ فقال: نعم. فقال: ما تقول في ثلاثة صبية إخوة اخترم الله تعالى منهم أحدهم قبل البلوغ وبقي اثنان فأسلم أحدهما وكفر الآخر ما العلة في اخترام الصغير إن سأل ربه تعالى فقال: لِمَ اخترمتني دون إخوتي؟ فقال له أبو علي: إنه لو عاش لكفر فكان الأصلح اخترامه. فقال الشيخ أبو الحسن: فقد أحيا أحدهما وكفر فهلاً اخترمه عملاً بالأصلح له، فقال له أبو علي: إنما أحياه ليعرضه لأعلى المراتب فهو الأصلح له. فقال له الشيخ أبو الحسن: فهلاً أحيا الذي اخترمه ليعرضه لأعلى المراتب كما فعل بأخيه إذ قلت إنه الأصلح له. فانقطع أبو علي ولم يحز جواباً. ثم قال الشيخ أبو الحسن: أوسوست؟ قال أبو علي: ما وسوست ولكن وقف حمار الشيخ على القنطرة، ثم فارقه الشيخ أبو الحسن وخالفه وخالف سائر المعتزلة. اللهم إنا نسألك لطف الهداية والعصمة ودوام النعمة التي لا تنالها نقمة والثبات بالقول الثابت حتى نحشر مع الفرقة الناجية من هذه الأمة، إنك أهل التقوى وأهل المغفرة وولي الخيرات التي وجدناها برسولك الصادق الأمين لنا مسخرة. وهذا الإلزام من الشيخ أبي الحسن رضي الله تعالى عنه في غاية الحسن. ومن الإلزام أيضاً ما حكي أنه

(١) ذكاء: الشمس.

(٢) هو أبو بكر، محمد بن عبد الله الصيرفي: أحد المتكلمين الفقهاء من أهل بغداد، قيل: إنه كان أعلم الناس بالأصول بعد الشافعي. توفي سنة ٣٣٠هـ / ٩٤٢م. (الأعلام: ٦/ ٢٢٤).

(٣) هو أبو الحسين، عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الهمداني، الأسدي: قاضٍ، أصولي، كان شيخ المعتزلة في عصره، ولُقّب بقاضي القضاة. توفي سنة ٤١٥هـ / ١٠٢٥م. (تاريخ بغداد: ١١٣/ ١١).

توفي لصالح بن عبد القدوس^(١) ولد، فحضر إليه أبو الهذيل العلاف^(٢) ومعه إبراهيم النظام^(٣) وهو صغير، فوجده يتلظى حزناً على ولده فقال له: لا أرى لتحرقك وجهاً إذ الناس عندك كالنبات، فقال: يا أبا الهذيل إنما تحرقني لأنه لم يقرأ كتاب الشكوك، فقال: وما هذا؟ قال: كتاب وضعته من قرأه شك فيما كان حتى كأنه لم يكن وفيما لم يكن حتى كأنه كان. فقال له إبراهيم النظام: فابن أنت على أنه لم يمت وإن كان قد مات، وعلى أنه قرأ الكتاب وإن لم يكن قرأه، فلم يحرج جواباً. ومن الإلزامات نظماً قول ابن الرومي^(٤): [من البسيط]

مَا عُدُّرُ مُعْتَزَلِيٍّ مُوسِرٍ مَنَعَتْ كَفَّاهُ مُعْتَزَلِيًّا مُعْسِراً صَفَدًا^(٥)
أَيَزْعُمُ الْقَدَرُ الْمُحْتَوَمَ ثَبَّطَهُ إِنَّ قَالَ ذَاكَ فَقَدْ حُلَّ الَّذِي عُقِدَا^(٦)

وسمعت الشيخ تقي الدين بن تيمية ينشد: [من مجزوء الخفيف]

اصْفَعِ الْمَجْبِرَ الَّذِي بِقَضَا السَّوِّ قَدْ رَضِي
فَإِذَا قَالَ لِمَ فَعَلْتُ تَ فَمُلَّ هَكَذَا قُضِيَ

وما أحسن قول بعضهم: [من الطويل]

لَئِنْ كَانَ حُكْمُ النِّجْمِ لَا شَكَّ وَاقِعًا فَمَا سَعَيْنَا فِي رَدِّهِ بِنَجِيحٍ
وَإِنْ كَانَ بِالتَّدْبِيرِ يَبْطُلُ حُكْمُهُ فَقَدْ صَحَّ أَنَّ الْحُكْمَ غَيْرُ صَحِيحٍ

وقال أبو العلاء المعري: [من الكامل]

زَعَمَ الْمُنَجِّمُ وَالطَّبِيبُ كِلَاهُمَا أَنَّ لَا مَعَادَ فَقُلْتُ ذَاكَ إِلَيْكُمَا
إِنْ صَحَّ قَوْلُكُمَا فَلَسْتُ بِخَاسِرٍ أَوْ صَحَّ قَوْلِي فَالْوَبَالُ عَلَيْكُمَا

(١) هو أبو الفضل، صالح بن عبد القدوس الأزدي الجذامي: شاعر، حكيم، متكلم. وافق بشار بن برد في العقيدة، ولم يبلغ شأوه في الشعر. وكان يلقي دروساً في المذهب الثنوي ببغداد. مات مصلوباً لزندقته نحو ١٦٠هـ/ نحو ٧٧٧م. (طبقات ابن المعتز: ٨٠؛ تاريخ بغداد: ٣٠٣/٩).

(٢) هو محمد بن الهذيل بن عبد الله بن مكحول العبدي، أبو الهذيل العلاف: من أئمة المعتزلة. وُلِدَ فِي الْبَصْرَةِ، وَتَوَفَّى بِسَامَرَاءَ سَنَةَ ٢٣٥هـ/ ٨٥٠م. (تاريخ بغداد: ٣/٣٦٦).

(٣) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن سيار بن هانئ البصري، المعروف بالنظام: من أئمة المعتزلة، انفرد بآراء خاصة تابعته فيها فرقة من المعتزلة سُمِّيَتْ «النظامية». توفي سنة ٢٣١هـ/ ٨٤٥م. (تاريخ بغداد: ٩٧/٦).

(٤) ديوان ابن الرومي: ١٦٤/٢.

(٥) في الديوان: «مُعْتَزَلِيٍّ مُوسِعٍ». و«مُقْتَرَأً».

(٦) ثَبَّطَهُ: عَوَّقَهُ وَبَطَّأَهُ.

وقال أيضاً: [من الخفيف]

عَجِباً لِلْمَسِيحِ بَيْنَ النَّصَارَى وَإِلَى أَيِّ وَالِدٍ نَسَبُوهُ
أَسْلَمُوهُ إِلَى الْيَهُودِ وَقَالُوا إِنَّهُمْ بَعْدَ قَتْلِهِ صَلَبُوهُ
فَإِذَا كَانَ مَا يَقُولُونَ حَقًّا فَاسْأَلُوهُمْ فِي آيِنَ كَانَ أَبُوهُ
وَإِذَا كَانَ رَاضِيًا بِقَضَاهُمْ فَاشْكُرُوهُمْ لِأَجْلِ مَا عَذَّبُوهُ
وَإِذَا كَانَ سَاطِئًا بِأَذَاهُمْ فَأَعْبُدُوهُمْ لِأَنَّهُمْ غَلَبُوهُ

ووجدت منسوباً إلى أبي العلاء المعري أيضاً: [من الكامل]

زَعَمَ الْجَهْلُ وَمَنْ يَقُولُ بِقَوْلِهِ أَنَّ الْمَعَاصِي مِنْ قَضَاءِ الْخَالِقِ
إِنْ كَانَ حَقًّا مَا يَقُولُ فَلِمَ قُضِيَ حَدَّ الزِّنَاءِ وَقُطِعَ كَفَّ السَّارِقِ

وهذه من مسائل الاعتزال والجواب عنها مذكور في مسألة خلق الأفعال. وقال

أيضاً: [من البسيط]

يَدْ بَخْمَسٍ مَثْنٍ عَسَجِدٍ وَدَيْثٍ مَا بِهَا قُطِعَتْ فِي رُبْعِ دِينَارٍ
تَحَكُّمٌ مَالِنَا إِلَّا السَّكُوتُ لَهُ وَأَنْ نَعُودَ بِمَوْلَانَا مِنَ النَّارِ

فأجاب علم الدين السخاوي^(١): [من البسيط]

عِزُّ الْأَمَانَةِ أَغْلَاهَا وَأَرْخَصُهَا ذُلُّ الْخِيَانَةِ فَافْهَمِ حِكْمَةَ الْبَارِي

وحكي أن بعض اليهود صحب قدرياً في الطريق فقال له: لأي شيء لم تُسلم؟ فقال: لو شاء الله تعالى لأسلمت. فقال: إن الله تعالى قد شاء ولكن الشيطان لا يدعك. فقال اليهودي: أنا مع أقواهما، فلم يحر القدري جواباً. وناظر بختويه النيسابوري عافية بن شبيب البصري، فقال له بختويه: ما دليلك على إثبات الخالق؟ فقال له: شعرة أمك التي تحلقها فتنبت فلو لم يكن لها منبت لم تنبت. فقال له بختويه: ينبغي أن يكون بظر أمك حين قطع ولم ينبت دليلاً على أنه لا منبت له فأفحمه.

وأما (حلية الفضل) فإنها أفضل حلية وأنفس شيء تطمح إليه نواظر الأُمْنِيَّة، وهي جمال من ليس له جمال وكمال من يتعلم منه البدر الكمال. ومن كلام ابن

(١) هو أبو الحسن، علم الدين، علي بن محمد بن عبد الصمد المصري، السخاوي، الشافعي: عالم بالقراءات والأصول واللغة والتفسير. أصله من «سخا» بمصر، وسكن دمشق، وتوفي فيها سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٥م. (بغية الوعاة: ٣٤٩).

المعتز: العلم جمال لا يخفى ونسب لا يحفى. قيل: إن بعض الملوك شتم بقراط^(١) فقال له: إنما تفتخر عليّ بغيرك ولكن ردّ كل جنس إلى جنسه وتعال فتكلم. وقال المأمون لبعض أولاده، وقد سمع منه لحناً: ما على أحدكم أن يتعلم العربية فيقيم بها أوده، ويزين بها مشهده، ويفل بها حجج خصمه، ويملك مجلس سلطانه بظاهر بيانه، أيسرُ أحدكم أن يكون لسانه كلسان عبده أو لسان أُمّته فلا يزال الدهر أسير كلمته.

دخل الأحنف بن قيس^(٢) على معاوية وافداً لأهل البصرة ودخل معه النمر بن قطبة، وعلى النمر عباءة قطوانية، وعلى الأحنف مدرعة صوف وشملة، فلما مثالا بين يدي معاوية اقتحمتهما عيناه، فقال النمر: يا أمير المؤمنين إن العبادة لا تكلمك إنما يكلمك من فيها فأوماً إليه فجلس. وحكى المسعودي^(٣) في شرح المقامات أن المهدي^(٤) لما دخل البصرة رأى إياس بن معاوية^(٥) وهو صبي وخلفه أربعمئة من العلماء وأصحاب الطيالة، وإياس يقدّمهم، فقال المهدي: أف لهذه العثانين أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث، ثم إن المهدي التفت إليه وقال: كم سنك يا فتى؟ قال: سنّي أطال الله بقاء أمير المؤمنين سنّ أسامة بن زيد بن حارثة^(٦) لما ولاه رسول الله ﷺ جيشاً فيهم أبو بكر وعمر. فقال له: تقدم بارك الله فيك. قلت: كذا ذكره المسعودي. والصحيح ما قرأته على الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي^(٧) في تاريخه الكبير أن إياساً

(١) بقراط (٤٦٠-٣٧٧ ق.م): طبيب يوناني، عمل على تحرير الطب من الخرافات، وحاول إقامته على أساس علمي، مؤكداً على أهمية الملاحظة السريرية. (موسوعة المورد: ١٠٨/٥؛ الملل والنحل، الشهرستاني: ١٣٣/٢).

(٢) هو أبو بحر، الأحنف بن قيس بن معاوية بن حصين المُرّي، السعدي، المقرّي، التميمي: سيد تميم، وأحد العظماء الدهاة الفصحاء الشجعان الفاتحين. توفي سنة ٧٢هـ / ٦٩١م. (الأعلام: ٢٧٦/١).

(٣) هو أبو الحسن، علي بن الحسين بن علي المسعودي: مؤرخ، بَحَاثَة، رَحَاْلَة، من أهل بغداد. أقام بمصر، وتوفي فيها سنة ٣٤٦هـ / ٩٥٧م. (النجوم الزاهرة: ٣/٣١٥).

(٤) المهدي: هو الخليفة العباسي محمد بن عبد الله (المنصور)، المتوفى سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥م. (الأعلام: ٢٢١/٦).

(٥) هو أبو واثلة، إياس بن معاوية بن قُرّة المزني: قاضي البصرة، وأحد أعاجيب الدهر فطنةً وذكاءً. توفي بواسط سنة ١٢٢هـ / ٧٤٠م. (وفيات الأعيان: ١/٢٤٧).

(٦) هو أبو محمد، أسامة بن زيد بن حارثة: صحابي جليل، ولد بمكة، ونشأ على الإسلام، لأن أباه كان من أول الناس إسلاماً، وكان رسول الله ﷺ يحبه حباً جماً. توفي سنة ٥٤هـ / ٦٧٤م. (الأعلام: ٢٩١/١).

(٧) حافظ، علامة، مؤرخ، تركماني الأصل، من أهل ميفارقين. ولد بدمشق، وتوفي فيها سنة =

قاضي البصرة توفي في زمن بني أمية سنة مائة وتسع عشرة، ولم يلحق دولة بني العباس، ويقال: سنّه إذ ذاك سبع عشرة سنة، وكان معروفاً بالذكاء والفطنة والفراسة؛ ولّاه قضاء البصرة عمر بن عبد العزيز^(١). وحسبك بمن يختاره مثل عمر لهذا المنصب. وذكر الخطيب^(٢) في «تاريخ بغداد» أن يحيى بن أكثم^(٣) ولّي قضاء البصرة وسنّه عشرون سنة أو نحوها فاستصغروه، فقالوا: كم سن القاضي؟ فقال: أنا أكبر من عتّاب بن أسيد^(٤) الذي وجّه به النبي ﷺ قاضياً على مكة يوم الفتح، وأنا أكبر من معاذ بن جبل^(٥) الذي وجّه به النبي ﷺ قاضياً على أهل اليمن، وأنا أكبر من كعب بن سؤار^(٦) الذي وجّه به عمر بن الخطاب قاضياً على البصرة فجعل جوابه احتجاجاً. وقد جمع بعضهم مجلداً في ذكاء إياس بن معاوية. ويقال: إنه نظر إلى نسوة ثلاث فزعن من شيء، فقال: هذه حامل، وهذه مرضع، وهذه بكر، فسئلن فكان الأمر على ما ذكر. فقليل له: من أين لك ذلك؟ فقال: لما فزعن وضعت إحداهن يدها على بطنها، والأخرى على ثديها، والأخرى على فرجها. ونظر يوماً إلى رجل غريب لم يره قطّ فقال: هذا رجل غريب واسطيّ معلم كتاب،

= ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م. من آثاره: «دول الإسلام»، و«سير النبلاء»، و«طبقات القراء»، وغيرها. (شذرات الذهب: ١٥٣/٦؛ النجوم الزاهرة: ١٠/١٨٢).

(١) هو أبو حفص، عمر بن عبد العزيز بن مروان بن الحكم الأموي: من خلفاء الدولة الأموية. عُرف بالصلاح والورع والعدل حتى شُبّه بالخلفاء الراشدين. ولد ونشأ بالمدينة، وتوفي مسموماً بدير سمعان، من أرض المعرة سنة ١٠٩هـ / ٧٢٠م. (الأعلام: ٥٠/٥).

(٢) الخطيب: هو أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي: حافظ، مؤرخ، أديب. ولد في «غزوة» بين الكوفة ومكة، ونشأ ببغداد، وتوفي فيها سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧٢م. (معجم الأدباء: ٢/١٢).

(٣) هو أبو محمد، يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن التميمي الأسدي المروزي: قاضٍ رفيع القدر، عالي الشهرة، من كبار الفقهاء. ولد بمرو، وولي قضاء البصرة، ثم قضاء القضاة ببغداد، ثم وّلاه المأمون تدبير مملكته. توفي سنة ٢٤٢هـ / ٨٥٧م. (تاريخ بغداد: ١٤/١٩١).

(٤) هو أبو عبد الرحمن، عتّاب بن أسيد بن أبي العيص بن أمية بن عبد شمس: والٍ، من الصحابة، من أهل مكة. أسلم يوم الفتح، واستعمله النبي ﷺ على مكة عند خروجه منها، ثم أقرّه أبو بكر عليها. توفي سنة ١٣هـ / ٦٣٤م. (الأعلام: ١٩٩).

(٥) هو أبو عبد الرحمن، معاذ بن جبل بن عمرو بن أوس الأنصاري الخزرجي: صحابي جليل، كان أعلم الأمة بالحلال والحرام.

أسلم وهو فتى، وشهد العقبة مع الأنصار السبعين، وشهد المشاهد كلها. توفي سنة ١٨هـ / ٧٦٣٩م. (الأعلام: ٧/٢٥٨).

(٦) هو كعب بن سؤار بن بكر الأزدي: تابعي، من الأعيان المقدمين. استعمله عمر بن الخطاب على البصرة وقضاها. توفي سنة ٣٦هـ / ٦٥٦ في وقعة الجمل. (الأعلام: ٥/٢٢٧).

هرب له غلام، فسُئِلَ فَوُجِدَ الأمرُ كما ذكر. فقيل له: من أين لك ذلك؟ قال: رأيته يمرّ بالصبيان ويسلم عليهم، ويدع الرجال، وإذا مرّ بذي هيئة لم يلتفت إليه، وإذا مرّ بأسود ذي أسمال^(١) يتأمله. وأين هذه من فراسة أبي الحارث حمير وقد أنشد بين يديه قول العباس بن الأحنف: [من السريع]

قَلْبِي إِلَى مَا ضَرَّنِي دَاعِي يُكْثِرُ أَسْقَامِي وَأَوْجَاعِي
كَيْفَ احْتِرَاسِي مِنْ عَدُوِّي إِذَا كَانَ عَدُوِّي بَيْنَ أَضْلَاعِي
إِنْ دَامَ بِي هَجْرُكَ مَعَ كُلِّ ذَا يُوشِكُ أَنْ يَنْعَانِيَ النَّاعِي

فبكى وقال: هذا رجل جائع يصف جارية طباحةً مليحةً. فقيل له: من أين لك هذا؟ فقال: لأنه بدأ فقال قلبي إلى ما ضرنني داعي، وكذلك الإنسان تدعوه شهوته وقلبه إلى ما يضره من الطعام والشراب فيأكل فتكثر عليه أوجاعه وهذا تعريض، ثم صرح فقال: كيف احتراسي، وليس للإنسان عدوً بين أضلاعه إلا معدته فهي تلتف ماله، وهي سبب أسقامه، ومفتاح كل بلاء عليه، ثم قال: إن دام بي هجرك فعلمت أن الطباخة كانت صديقه وهجرته، ففقدتها وفقد الطعام، ولو دام عليه لمات جوعاً ونُعي.

أخبرني الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري^(٢) قال: أخبرني الحكيم علم الدين عبد الرحيم بن أبي خليفة رئيس الأطباء عن والده الحكيم الرشيد رئيس الأطباء بمصر زمن الملك الكامل أنه أتت إليه امرأة من الريف ومعها ولدها وهو مصفرٌ ناحلٌ، فوضع يده في نبضه وقال لغلامه: ناولني الفرجية^(٣) فتغير النبض تحت يده في الحال، فقال لها: هذا الغلام عاشق واحدة اسمها فرجية. فقالت: إي والله يا مولاي، وقد عجزت في عدله. فعجب الحاضرون من ذلك. أقول: إن الحكيم الرشيد إنما اهتدى إلى ذلك من كلام الشيخ أبي علي بن سينا في القانون حيث ذكر العشق فإنه قال: ومما يتوصل به إلى معرفة المعشوق إذا كتّمه العاشق أن يضع يده على نبض العاشق زماناً ويذكر أسماء وصنائع، فمتى اختلف النبض اختلافاً شديداً واضطرب عند ذكر واحدٍ منها فهو المعشوق. ولو قال الشيخ بدل قوله: وصنائع: وصفات، لكان أجمل والمعنى حاصل.

(١) الأسمال: الثياب البالية.

(٢) طبيب، باحث، عالم بالحكمة والرياضيات. ولد ونشأ في سنجار، وسكن القاهرة، وتوفي فيها سنة ٧٤٩هـ / ١٣٤٨م. (الأعلام: ٢٩٩/٥).

(٣) الفرجية: ثوب واسع طويل الأكمام، يتزيّن به علماء الدين.

يقال: أصدق الناس فِراسةً ثلاثة: العزيز في قوله لامرأته عن يوسف عليه السلام: ﴿أَكْرِمِي مَثْوَهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا﴾ [يوسف: ٢١]، وابنة شُعَيْب التي قالت لأبيها: ﴿يَتَابَتْ أَسْتَجِرُّهُ إِنِّي خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَجَرْتُ الْفَوَى الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦] وأبو بكر في الوصية بالخلافة لعمر. (رجع القول إلى ذكر حلية الفضل). قال الشريف الرضي^(١): [من البسيط]

إِنْ يَبْلُ ثَوْبِي فَإِنِّي أَكْتَسِي حَسْبِي أَوْ تَرَدَّ خَيْلِي فَإِنِّي رَاكِبٌ مِّنِّي
لَقَدْ تَقَدَّمَ بِي فَضْلِي بِلاَ قَدَمٍ أَعْظَمَ بِأَمْرِ عَلَى ذِي السِّنِّ قَدَمَنِي
وتولّى قضاء المعرّة القاضي أبو علي عبد الباقي بن أبي حُصَيْن، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وأقام في الحكم خمس سنين، فقال: [من الوافر]

وَلَيْتُ الْحَكَمَ خَمْساً وَهِيَ خَمْسٌ لَعَمْرِي وَالصَّبَا فِي الْعُنْفَوَانِ
فَلَمْ تَضَعْ الْأَعَادِي قَدْرَ شَأْنِي وَلَا قَالُوا فَلَانٌ قَدْ رَشَانِي
ولقاضي القضاة ابن حِجَّة: [من السريع]

يَا أَيُّهَا السُّلْطَانُ لَا تَسْتَمِعْ فِي حَقِّ قَاضِيكَ كَلَامَ الْوُشَاهِ
وَاللَّهِ لَمْ يَسْمَعْ بِأَنْ أَمْرًا أَهْدَى لَهُ شَيْئاً وَلَا قَدْ رَشَاهُ
وقال بعضهم: [من الكامل]

قَدْ قَالَ قَوْمٌ أَعْطَاهُ لِقْدِيمِهِ جَهَلُوا وَلَكِنْ أَعْطَانِي لِتَقْدُمِي
فَأَنَا ابْنُ نَفْسِي لَا ابْنُ عِرْضِي أَحْتَذِي بِالْفَضْلِ لَا بِرِفَاتِ تِلْكَ الْأَعْظَمِ
وقال آخر: [من مجزوء الكامل]

إِنَّ الْأَمِيرَ هُوَ الَّذِي يُضْحِي أَمِيرًا يَوْمَ عَزْلِهِ
إِنْ زَالَ سُلْطَانُ الْوَلَا يَةِ لَمْ يَزَلْ سُلْطَانُ فَضْلِهِ
أنشدني لنفسه إجازة القاضي زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوزدي: [من المديد]

خَلَعْتُ ثَوْبَ الْقَضَاءِ عَمْدًا وَلَمْ أَكُنْ فِيهِ بِالْظُّلُومِ
إِنْ زَالَ جَاهُ الْقَضَاءِ عَنِّي كَانَ لِي الْجَاهُ بِالْعُلُومِ
لَمَّا تَوَلَّى الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ كَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ الزَّمْلَكَانِي^(٢) قضاء

(١) هو أبو الحسن، محمد بن الحسين بن موسى، الرضي، العلوي، الحسيني، الموسوي: شاعر مجيد. ولد ببغداد، وتوفي فيها سنة ٤٠٦هـ / ١٠١٥م. (تاريخ بغداد: ٢/ ٢٤٦).

(٢) هو كمال الدين، محمد بن علي بن عبد الواحد الأنصاري، المعروف بابن الزملكاني: فقيه، =

حلب عاملاً أهلها بالتشديد، فقال له نائب السلطنة الأمير علاء الدين: لطفاً يا قاضي لأي شيء لم تعاملنا كما كان القاضي زين الدين يعاملنا؟ فقال: ذاك كان يخاف على منصبه ليتكثر به وأنا لو عزلتموني اليوم لأصبح على بابي من الطلبة والتلاميذ والمستفيدين مثل ما على بابي اليوم في الحكم. فقال له: صدقت. وكذا كان رحمه الله، يعملون عليه ويعزلونه من الوظائف، والرياسة العلمية فيه لا تزول. وفي بيت الطغرائي من البديع نوعان، وهما: الموازنة في صانتني وزانتني وفيهما الترضيع، والنوع الثاني لزوم ما لا يلزم، فإنه التزم الطاء في الخطل والعطل.

مَجْدِي أَخيراً وَمَجْدِي أَوَّلًا شَرَعَ وَالشَّمْسُ رَأْدُ الضُّحَى كَالشَّمْسِ فِي الطُّفْلِ

(اللغة): المجد: لغة الكرم والمجيد الكريم وقد مجّد بالضم فهو مجيد وماجد. قال ابن السكّيت^(١): الشرف والمجد إنما يكونان بالآباء، يقال: رجل شريف ماجد: له آباء متقدمون في الشرف، قال: والحسب والكرم يكونان في الرجل وإن لم يكن لآبائه شرف. قلت: قول امرئ القيس^(٢): [من الطويل]

وَلَوْ أَنَّ مَا أَسْعَى لِأَدْنَى مَعِيشَةٍ كَفَانِي وَلَمْ أَطْلُبْ قَلِيلٌ مِنَ الْمَالِ
وَلَكِنَّمَا أَسْعَى لِمَجْدٍ مُؤْتَلٍ وَقَدْ يَدْرُكُ الْمَجْدَ الْمُؤْتَلُ أَمْثَالِي

يؤيد ما ذهب إليه ابن السكّيت لأن المجد المؤتل هو الموروث. ويحتمل أن يكون المجد مما يكتسبه الرجل بنفسه بدليل قوله: أسعى، والسعي إنما يكون لتحصيل ما لم يكن للإنسان والوراثة لا يسعى لها لأنها حاصلة، هذا إن قلنا: إنَّ اللّام هنا للتعليل، وإن قلنا: إنها لشبه الملك فيترجح قول ابن السكّيت. وقد ذهب كثير من النحاة إلى أنَّ قوله كفاني ولم أطلب قليل من المال، من باب التنازع في العمل، منهم أبو علي الفارسي^(٣) على جلالة قدره وليس منه. قال ابن الحاجب رحمه الله: لأنَّ أطلب منفي بلم والنفي في سياق لو إثبات، لأنه حرف امتناع،

= انتهت إليه رئاسة الشافعية في عصره. ولد ونشأ بدمشق، وتوفي بمصر سنة ٧٢٧هـ / ١٣٢٧م. (الدرر الكامنة: ٧٤ / ٤).

(١) هو أبو يوسف، يعقوب بن إسحاق، المعروف بابن السكّيت: إمام في اللغة والأدب. أصله من خوزستان، وتعلم ببغداد. عهد إليه المتوكل بتأديب أولاده، ثم قتله لسبب مجهول سنة ٢٤٤هـ / ٨٥٨م. (هدية العارفين: ٥٣٦ / ٢).

(٢) ديوان امرئ القيس: ١١١.

(٣) هو أبو علي، الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي: أحد الأئمة في علم العربية. ولد في فسا (من أعمال فارس)، ودخل بغداد سنة ٣٠٧هـ، وتوفي فيها سنة ٣٧٧هـ / ٩٨٧م. (تاريخ بغداد: ٢٧٥ / ٧).

والامتناع نفياً، ونفياً النفي إثبات، فإذا امتنع النفي صار ثبوتاً، وإذا كان كذلك فيكون طلب القليل ثابتاً وطلب القليل هو السعي لأدنى معيشة، فيكون قد أثبت بلو غير ما تُفني بلم، لأن قوله: ولم أطلب معطوف على كفاني، وهو جواب، والمعطوف في حكم المعطوف عليه. وإذا تقرر ذلك تعيّن أن قوله: قليل لم يتوجه له من العاملين غير كفاني. وانتفى أن يتوجه إليه أطلب، ولو توجه إليه لفسد المعنى لتوارد النفي والإثبات على شيء واحد. وإن كان الطلب ثابتاً تعيّن أن يكون مفعوله غير القليل، لأن امرأ القيس إنما طلب المُلْك، وقد ذكره في البيت الثاني. قال ابن أياز في المُطَارَحَة، قال الجرّمي^(١): أراد كفاني قليل من المال ولم أطلب، ولو أعمل لم أطلب في قليل لاستحال المعنى (أخيراً) أي آخرأ والآخر ضد الأول. (شَرَعَ) أي سواء يحرك ويسكن ويستوي فيه المذكر والمؤنث والمفرد والجمع. ومنه قولهم: الناس في هذا الأمر شرع، أي سواء. (رأد الضحى) الضحى: شروق الشمس بعد طلوعها، والرأد: ارتفاعها. وقد سمّت العرب ساعات النهار بأسماء فالأولى الذُرُور، ثم البزوغ، ثم الضحى، ثم الغزاة، ثم الهاجرة، ثم الزوال، ثم الدلوك، ثم العصر، ثم الأصيل، ثم الصبوب، ثم الحدور، ثم الغروب ويقال فيها أيضاً: البكور، ثم الشروق، ثم الإشراق، ثم الرأد، ثم الضحى، ثم المتنوع، ثم الزوال، ثم الهاجرة، ثم الأصيل، ثم العصر، ثم الطفل، ثم الغروب، (الطُفْل) بتحريك الفاء: بعد العصر إذا طفلت الشمس للغروب، فعلى هذا الطُفْل: آخر النهار، والرأد: أوله، فهما طرفا النهار، تقول: أتيت طُفْلاً. (الإعراب): مجدي: مبتدأ وعلامة رفعه ضمة مقدرة على الدال لأن الياء لا يكون ما قبلها إلا من جنسها أي مكسوراً، والياء في موضع جرّ بالإضافة، لأنه ضمير المتكلم، والضمائر كلها مبنية، وسيأتي الكلام على ذلك. (أخيراً): منصوب على أنه ظرف زمان، وكذلك قوله: أولاً، والظرف ينتصب بالمعنى، فالعامل فيه معنى الاستقرار. ومجدي الثاني: معطوف على الأول، وشرّع خبر عنهما، كقولك: زيد وعمرؤ كريمان، فكريمان خبر عن المبتدئين. (والشمس): هذه الواو هي واو الابتداء، والشمس مبتدأ. (رأد الضحى): منصوب على أنه ظرف زمان، والضحى مضاف إليه علامة جره كسرة مقدرة على الألف لأنه مقصور، والألف حرف هوائي، أي ممّا لا يقبل الحركة. (كالشمس): الكاف تجيء في الكلام لِمَعَانٍ منها: أن تكون للتعليل. كقوله تعالى: ﴿وَأَذْكُرُوهُ كَمَا هَدَيْتُكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]، وزائدة كقوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ

(١) هو أبو عمر، صالح بن إسحاق الجرّمي بالولاء: فقيه، عالم بالنحو واللغة، من أهل البصرة، وأقام في بغداد. توفي سنة ٢٢٥هـ / ٨٤٠م. (الأعلام: ٣/ ١٨٩).

شَيْءٌ ﴿الشورى: ١١﴾، لأنه يلزم من عدم زيادتها إثبات المثل لله تعالى لله عن ذلك، هكذا أعربها الجمهور من النحاة. قال الشيخ بهاء الدين بن النّحاس^(١) رحمه الله في التعليقة على المقرب: قال أكثر الناس هي زائدة للتوكيد، والمعنى والله أعلم: ليس مثله شيء. وقال جماعة من المحققين: ليست بزائدة، وإنما هي على بابها. ومعنى الكلام والله أعلم: نفي مثل المثل، ويلزم من ذلك نفي المثل ضرورة وجوده سبحانه. فإن قيل: لم توصل إلى نفي المثل بنفي مثل المثل، وهلا نفي المثل من أول وهلة فالجواب: إن نفي المثل بنفي مثل المثل أبلغ وأفحم، من قولنا: أنت لا تفعل هذا لأنه نفي الشيء بذكر دليله، فهو أبلغ من نفي الشيء بغير ذكر دليله.

قلت: وقد قال بعضهم: إنها ليست بزائدة، ولم يعول على هذا الدليل، بل قال: مِثْلٌ ومَثَلٌ ساكنًا ومتحركًا سواءً في اللغة كشبه وشبه. فمثل هاهنا بمعنى مثل، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَى﴾ [النحل: ٦٠]، ويكون المعنى ليس مثل مثله شيء، وهو صحيح. ومن أمثلة زيادتها قول رؤبة بن العجاج^(٢): [من الرجز]

لَوَاحِقُ الْأَقْرَابِ^(٣) فِيهَا كَالْمَقْ

وهو الطول.

وما أحلى قول ابن قلاقس يمدح الحافظ السلفي^(٤): [من البسيط]

كَالْبَحْرِ وَالْكَافِ إِنْ أَنْصَفْتَ زَائِدَةً فِيهِ فَلَا تَحْسَبْنَهَا كَافَ تَشْبِيهِ

وقد أخذه من أبي الطيب حيث قال^(٥): [من البسيط]

كَفَاتِكَ وَدُخُولُ الْكَافِ مَنْقُصَةٌ كَالشَّمْسِ قُلْتُ وَمَا لِلشَّمْسِ أَمْثَالُ

وتخرج الكاف من الحرفية إلى الإسمية فتكون فاعلاً كقول الشاعر: [من البسيط]

أَتَنْتَهَوْنَ وَلَنْ يَنْهَى دَوِي شَطَطٍ كَالطَّعْنِ يَذْهَبُ فِيهِ الزَيْتُ وَالْفَتْلُ

(١) هو بهاء الدين، محمد بن إبراهيم بن محمد، المعروف بابن النّحاس الحلبي: شيخ العربية في الديار المصرية في عصره. ولد بحلب، وتوفي في القاهرة سنة ٦٩٨هـ / ١٢٩٩م. (الأعلام: ٥/ ٢٩٧).

(٢) هو أبو العجاج، رؤبة بن عبد الله بن رؤبة التميمي السعدي: من رجاز العرب المشهورين. توفي سنة ١٤٥هـ / ٧٦٢م. (الشعر والشعراء: ٢/ ٤٩٥).

(٣) لواحق الأقارب: ضوامر؛ والأقارب: الخواصر.

(٤) هو أبو الطاهر، صدر الدين، أحمد بن محمد بن سلفة الأصبهاني، السلفي: حافظ مكثّر، من أهل أصفهان. رحل في طلب الحديث، وتوفي بالإسكندرية سنة ٥٧٦هـ / ١١٨٠م. (الأعلام: ٢١٥/١).

(٥) ديوان أبي الطيب المتنبي: ٣٠٢/٢.

وتكون مبتدأ كقول الشاعر: [من الخفيف]

أبداً كالفرأف فوق ذراها حين يطوي المسماع الطرر

وتكون مجرورة كقوله: وصاليات ككما يؤثفين^(١).

وقوله: يضحكن عن كالبرد المنهم^(٢).

(المعنى) مجدي في الأول ومجدي في الآخر سواء، لا تفاضل فيه، كما أن الشمس استوت حالتها في أول النهار وآخره. ومن الكلم النوايح: التاجر مجده في كيسه والعالم مجده في كراريسه، ومنها أيضاً: من أخطأته المناقب لم تنفعه المناسب. وفي خبر شمر بن عيسى الحميري أحد ملوك اليمن في خبر طويل أنه سأل أولاده قبل الوفاة فقال: ما المجد؟ فقالوا: ابتناء المكارم، وحمل المغارم، والاضطلاع بالعظام، وكف النفس عن ركوب المظالم. ويحتمل بيت الطغرائي أنه أراد مجد أسلافي ومجدي واحد، أي أني ورثت المجد عن آبائي الكرام، وسدث كما سادوا. وقد أخذ الطغرائي هذا المعنى من قول أبي العلاء المعري حيث قال^(٣): [من البسيط]

وافتتھم في اختلاف من زمانكم والبدر في الوهن مثل البدر في السحر^(٤)

فهذا هذا، خلا أن ذاك في الشمس، وهذا في القمر. ولكن قول المعري اللطف عبارة وأحسن إشارة، لأن الطغرائي أغرب في لفظتي راد والطفل، وعذوبة الألفاظ أمر مهم في البلاغة، وكلا المعنيين يشبه قول الحريري^(٥): [من البسيط]

وطالما أصلي الياقوت جمر عَصاً ثم انطفأ الجمر والياقوت ياقوت^(٦)

كتب نجم الدين يعقوب بن صابر المنجنيقي^(٧) إلى الإمام الناصر يُعرض

(١) صاليات: حجارة محترقة. يؤثفين: يجعلن أثافي، وهي حجارة الموقد.

(٢) المنهم: الذائب.

(٣) ديوان أبي العلاء: ٦٩.

(٤) الوهن: نحو نصف الليل، أو بعد ساعة منه.

(٥) هو أبو محمد، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري: أديب كبير، غزير العلم. توفي بالبصرة سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م. من آثاره: «درة الغواص في أوهام الخواص»، و«ملحة الإعراب»، و«المقامات الحريرية». (وفيات الأعيان: ٦٣/٤).

(٦) الغضا: شجر صلب يدوم جمرة وقتاً طويلاً.

(٧) هو أبو يوسف، يعقوب بن صابر بن بركات المنجنيقي، نجم الدين: شاعر، كان يُحسن صناعة المنجنيق، وسائر السلاح. توفي سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م. (شذرات الذهب: ١٢٠/٥).

بالوزير القمي^(١)، وكان يدّعي أنه شريف علويّ: [من الطويل]

خَلِيلِي قَوْلًا لِلْخَلِيفَةِ أَحْمَدٍ تَوَقَّ وَقَيْتَ الشَّرِّ مَا أَنْتَ صَانِعُ
وَزِيرَكَ هَذَا بَيْنَ أَمْرَيْنِ فِيهِمَا صَنِيعُكَ يَا خَيْرَ الْبَرِيَّةِ ضَائِعُ
فَلِنْ كَانَ حَقًّا مِنْ سُلَالَةِ أَحْمَدٍ فَهَذَا وَزِيرٌ فِي الْخِلَافَةِ طَامِعُ
وَإِنْ كَانَ فِيمَا يَدَّعِي غَيْرَ صَادِقٍ فَأَضِيعُ مَا كَانَتْ لَدَيْهِ الصَّنَائِعُ

فلما وقف الناصر عليها كانت سبب تغيّره عليه، وأمر فخرج إليه مملوكان مُسرّعين فهجما على الوزير في داره، وضرباه بدواته على رأسه، وحمله إلى المطبخ، فكتب إلى الخليفة: [من الخفيف]

أَلْقَنِي فِي لَظِيٍّ فَلِنْ غَيَّرْتَنِي فَتَيَقَّنْ أَنْ لَسْتُ بِالْيَاقُوتِ
عَرَفَ النَّسَجَ كُلُّ مَنْ حَاكَ لَكِنْ لَيْسَ دَاوُدُ فِيهِ كَالْعَنَكَبُوتِ

فكتب إليه الخليفة الجواب: [من الخفيف]

نَسَجُ دَاوُدَ لَمْ يُفِدْ صَاحِبَ الْغَا وَكَانَ الْفَخَارُ لِلْعَنَكَبُوتِ
وَبَقَاءُ السَّمْنِ فِي لَهَبِ النَّا رِ مُزِيلٌ فَضِيلَةُ الْيَاقُوتِ

اخترناك فصرّفناك، واختبرناك فصرّفناك، والسلام. ومن هنا أخذ المعنى ناصر الدين حسن بن النقيب: [من الوافر]

وَدُودُ الْقَزِّ إِنْ نَسَجْتَ حَرِيرًا يُحْمَلُ لُبْسُهُ فِي كُلِّ شَيْ
فَلِنْ الْعَنَكَبُوتِ أَجَلٌ مِنْهَا بِمَا نَسَجْتَ عَلَى رَأْسِ النَّبِيِّ

وعلى ذكر العنكبوت ودود القز ذكرت قول مُحمّد بن أبي الحسن المعروف بالأردخل^(٢): [من الطويل]

أَقُولُ إِذَا قَالُوا نَرَاكَ مُقْطَبًا إِذَا مَا ادَّعَى دِينَ الْهُوَى غَيْرُ أَهْلِهِ
يَحِقُّ لِدُودِ الْقَزِّ يَفْتُلُ نَفْسَهُ إِذَا جَاءَ بَيْتُ الْعَنَكَبُوتِ بِمِثْلِهِ

(١) هو محمد بن محمد بن عبد الكريم، مؤيد الدين، أبو الحسن القمي: وزير، من أكابر الكتاب. ولد في قُم قُتِّيب إليها. توفي وهو سجين ببغداد سنة ٦٣٠هـ / ١٢٣٢م. (الأعلام: ٢٨/٧).

(٢) هو أبو عبيد الله، مهذب الدين، محمد بن الحسن بن يمن بن علي الأنصاري، المعروف بابن الأردخل: شاعر نديم. ولد ونشأ في الموصل، وتوفي في ميفارقين سنة ٦٢٨هـ / ١٢٣١م. (الأعلام: ٨٥/٦).

وقول الآخر، وهو أبو محمد بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطي^(١)
 شارح المقامات: [من مجزوء الرمل]

حَقُّ دُودِ الْقَرَزِ بِنِي فَوُقَّهْ ثُمَّ يَمُوتُ
 بَعْدَ مَا سَدَّى وَقَدْ صَا رَيْسُدِّي الْعَنْكَبُوتُ

قال صاحب الصحاح: والسرفة دويبة تتخذ لنفسها بيتاً مُربّعاً من دفاق العيدان تضم بعضها إلى بعض بلعابها على مثل الناووس، ثم تدخل فيه فتموت. يقال في المثل: أضيع من سُرْفَةٍ. قلت: هي بضم السين المهملة وبعدها راء ساكنة ثم فاء مفتوحة وآخرها هاء على وزن غرفة، واختلفوا في نعتها، فقال البيهقي: هي دويبة صغيرة تنقب الشجر وتبني فيه بيتاً، وقال أبو عمرو بن العلاء^(٢) هي دويبة مثل نصف عدسة تنقب الشجر، ثم تبني فيه بيتاً من عيدان تجمعها مثل غزل العنكبوت منخرطاً من أسفله إلى أعلاه، كأن زواياه قُومت على مخطّ، وله في إحدى صفائحه باب مربّع قد ألزمت أطراف عيدانه من كل صفيحة أطراف عيدان الصفيحة الأخرى كأنها مغروزة. وقال محمد بن حبيب^(٣): هي دويبة تنسج على نفسها بيتاً فهو ناووسها حقاً، والدليل على ذلك أنه إذا نقض هذا البيت لم توجد الدودة فيه حية أصلاً. وزاد بعض رواة الأخبار على ابن حبيب زيادة، فزعم أن الناس في أول الدهر حين كانوا يتعلمون الحيل من أفعال البهائم تعلموا من السرفة إحداث بناء الناووس على موتاهم، وأنه في خرق وشكل بيت السرفة، ويقال: وادٍ سرف، وأرض مسرفة. وسرفت الشجرة: إذا أصابتها السرفة. ومن هذه المادة قول القائل: [من الوافر]

إِذَا شُورِكْتَ فِي أَمْرٍ بَدُونٍ فَلَا يَلْحَقُكَ عَارٌ أَوْ نُفُورٌ
 فَفِي الْحَيَوَانِ يَشْتَرِكُ اضْطِرَاراً أَرَسْطَالِيْسُ وَالْكَلْبُ الْعَقُورُ

قلت: هذا معنى قول أرباب المنطق: في كل نوع حصّة من جنسه، يعنون بذلك أن كل فردٍ من أشخاص الجسم النامي المتحرك بالإرادة من الناطق والصّاهل

(١) هو أبو محمد، القاسم بن القاسم بن عمر بن منصور الواسطي: أديب، عالم بالعربية. ولد بواسط، وتوفي بحلب سنة ٦٢٦هـ / ١٢٢٩م. (الأعلام: ٥ / ١٨٠).

(٢) هو أبو عمرو، زبّان بن عمار التميمي المازني البصري، المعروف بأبي عمرو بن العلاء: من أئمة اللغة والأدب، وأحد القراء السبعة. ولد بمكة، ونشأ بالبصرة، وتوفي بالكوفة سنة ١٥٤هـ / ٧٧١م. (الأعلام: ٣ / ٤١).

(٣) هو أبو جعفر، محمد بن حبيب بن أمية بن عمرو الهاشمي، البغدادي: علامة بالأنساب والأخبار واللغة والشعر. ولد ببغداد، وتوفي بسمراء سنة ٢٤٥هـ / ٨٦٠م. (تاريخ بغداد: ٢ / ٢٧٧).

والمفترس والسابح والنابح وغير ذلك فيه حصّة من الحيوانية التي هي جنسه، وهي الجسمية والنمو والتحرك بالإرادة والنوعية هي التي امتاز بها كل نوع عن غيره، وهي الفصل، مثل الناطقية أو الافتراسية أو السابحية أو النابحية. وقد رأيت الشيخ الإمام الفاضل ركن الدين محمد بن القريع غير مرة ينكر على من يضرب كلباً أو بهيمة، ويقول له بحنق: لأيّ شيء تفعل به هذا وهو شريكك في الحيوانية. وما أحسن قول القائل: [من الوافر]

وَلِلزَّنْبُورِ وَالْبَازِي جَمِيعاً لَدَى الطَّيْرَانِ أَجْنَحَةٌ وَخَفَقُ
وَلَكِنْ بَيْنَ مَا يَصْطَادُ بَازٍ وَمَا يَصْطَادُهُ الزَّنْبُورُ فَرْقُ

والياقوت هو سيّد الأحجار التي لا تذوب ولا تتكلس بالنار. زعموا أنه يتكوّن في كهوف الجبال وخلال الرمال ويتم نضجه في عشر سنين، وعلة تكوينه أن مياه الأمطار التي ترسخ في المغارات والكهوف متى لم يخاطلها شيء من الترابية والطينية وطال وقوفها هناك ازدادت صفاءً وثقلاً وغلظاً بتسلّط حرارة المعدن على تجفيفها وطبخها، فانعقدت وصارت حجارة صلبة شفافة. وتكون ألوانها وخفتها وثقلها بحسب أنوار الكواكب المستولية على ذلك الجنس من الجواهر، وعلى تلك البقاع على ما زعم أصحاب الكلام في أحكام النجوم فإنهم يقولون: السواد لزحل، والحمرة للمريخ، والخضرة للمشتري، والصفرة للشمس، والزرقة للزهرة، والملون لعطارد، والبياض للقمر. وأصحاب الكلام في الطبائع يقولون: سبب اختلاف الألوان اختلاف بقاع الأرض التي يتكوّن فيها ذلك، لأن الماء إذا وقع عليها وغاز فيها ودام تعيّر بما انحلّ فيه من يبس الأرض وإسخان الشمس له. فعلى قدر حرارته يتكوّن، فإن اشتدت حرارته وأفرطت، واستولى عليها اليبس، عرض له السواد وظهر على أعلاه، وبطنت الحمرة التي هي عن الحرارة المعتدلة في باطنه. وربما طرحت الحمرة نورها إلى خارج مع ظهور السواد، فقام بينهما اللون الأسمانجوني. وإن كانت الحرارة معتدلة انعقد أحمر، وهو أجود الياقوت. وإن قصرت الحرارة بمغالبة الرطوبة لها انعقد أصفر، وإن أفرطت الرطوبة واستولت على الحرارة انعقد أبيض صافياً. والأسمانجوني والأصفر إذا وضعاً على النار ابيضاً، ولا يتغيّر عن البياض، فهذه الألوان الأربعة يشملها جنس الياقوت. والأحمر منها ينقسم إلى أربعة أصناف: البهرماني وهو أشدها حمرة وأكثرها صفاء، ويوجد منه ما وزنه اثنا عشر مثقالاً، ثم الوردي، وهو أردأ أنواع الأحمر، ويوجد منه ما وزنه ثلاثون مثقالاً، ثم الخمري، وأردأه ما قرب إلى البياض، ثم الأحمر العصفري، وأردأه ما قرب من لون الورس. وأما الأصفر، فمنه الرقيق الكثير الماء، ثم الخلوقي، وهو أشبع صفرة

من الأول، ثم الجلناري، وهو أشبع صفرةً من الثاني وأشدّ شعاعاً وأكثر ماءً، وهو أكثر أنواع الأصفر، ويوجد من هذه الأصناف ما وزنه أربعون مثقالاً. وأما الأسمانجوني، فمنه الأزرق، واللّازوردي، والنيلي، والكحلي. ويسمى الزيتي، وهو أردأها، ويوجد منه ما وزنه أربعون مثقالاً. وأما الأبيض فمنه المهوي، وهو أشدّها بياضاً وأكثرها ماءً وأقواها شعاعاً. ومنه الذّكر، وهو أردأ أصناف الياقوت. قرأت على العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري كتابه الذي وضعه ووسمه «بنخب الذخائر في أحوال الجواهر» قال في ذكر الياقوت: فالرمانى أعلاها وهو الشبيه بحبّ الرمان الغض الخالص الحمرة الشديد الصبغ الكثير الماء، ويؤخذ لونه بأن يقطر على صفيحة فضة مجلّوة قطرة دم قرمزي، أعني من عرق ضارب، فلون تلك القطرة على تلك الصفيحة هو الرمانى، ثم قال فيما بعد: وذكر القدماء أن قيمة المثلّال الفائق من الياقوت الأحمر ثلاثة آلاف دينار. وأما في الدولة العباسية فإنّ الغالب من قيمته أن الجيد منه إذا كان وزن طسوج^(١) يساوي خمسة دنائير وضعفه عشرين ديناراً وسدس مثقال ثلاثين ديناراً وثلث مثقال مائة وعشرين ديناراً ونصف مثقال أربعمائة دينار. والمثلّال بألف دينار، والمثلّال ونصف بألفي دينار. هذا ما تقرّر في زمن المأمون مع كثرة الجواهر في ذلك الزمان. والمثلّال من البهرمانى بثمانمائة دينار، ومن الأرجوانى بخمسمائة دينار، ومن الجلناري بمائتي دينار، ومن اللحمي بمائة دينار، والبنفسجي يقاربه، والوردي دون ذلك. وكان في خزانة الأمير يمين الدولة محمود ياقوتة شكلها شكل حبة العنب، وزنها اثنا عشر مثقالاً، قُومت بعشرين ألف دينار، وكان للمعتصم فصّ يسمى ورقة الآس، لأنه كان على شكلها، وزنه مثقالان إلا شعيرتين، اشتراه بستين ألف درهم. ثم قال: قال ابن سينا: إن خاصية الياقوت التفريح، وتقوية القلب، ومقاومة السموم. وقال ابن زهر^(٢): شُرْبُ سحيقه ينفع الجذام، والتخثُّم به يدفع حدوث الصرع. قلت: ومن خواص الياقوت أنه يقطع جميع الحجارة إلا الألماس، فإنه يقطعه لصلابته وقلة مائه، وشدة الشعاع والثقل والملاسة والصبر على النار. وهو لا ينجلي إلا على صفيحة نحاس، بتكلس الجزع اليماني، وهو أن يحرق حتى يصير كالنورة، ثم يسحق بالماء حتى يعود كالغراء، ثم يحك به الياقوت لأنه يخرج من معدنه، وظاهره مظلم فيحتاج إلى الجلاء. وربما وجد في باطن الحجر بعد جلّائه طين أو ماء

(١) طسوج: ربع دانق.

(٢) هو أبو بكر، محمد بن عبد الملك بن زهر الإيادي: من نوابغ الطب والأدب في الأندلس. ولد بإشبيلية، وتوفي سنة ٥٨٥هـ / ١١٩٩م. (الأعلام: ٦/ ٢٥٠).

قصرته عنه حرارة المعدن في الطبخ فيطين ويخفف بعد أن يثقب بالألماس، ثم يلقى في النار ويوقد عليه بالحطب الجزل بقدر معلوم، فإنه ينقى، فإن كان لونه إسمانجونياً أو أصفر لم يدخل النار إلا إن كان في الإسمانجوني صفرة، فيدخل قليلاً بقدر ما تغسل عنه، فإن زيد في حميه انسلخت لونيته وأبيض، وصار كالبلّور. وما أحسن قول البلخي رحمه الله تعالى: [من البسيط]

أَقَمْتَ لِي مُذْ صِرْتَ تَلَحُّظُنِي شَمْسَ الْكَفَاءِ تُغْنِينِي عَنِ النَّظَرِ
كَذَا الْيَوَاقِيتِ فِيمَا قَدْ سَمِعْتُ بِهِ مِنْ حُسْنِ تَأْثِيرِ عَيْنِ الشَّمْسِ فِي الْحَجَرِ
قال بعضهم في مליح اسمه ياقوت: [من البسيط]

ياقوتٌ ياقوتٌ قلب المستهام به من المروءة أن لا يُمنَعَ القُوتُ
سَكَنَتْ قَلْبِي وَمَا تَخَشَى تَلَهَّهْهُ وَكَيْفَ يَخْشَى لَهَيْبِ النَّارِ يَاقُوتُ
وأما السمند، فأخبرني العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، قال: أخبرني عز الدين بن عبد العزيز الحلبي المعروف بالكويمي أن السمند شيء يشبه غبار القطن، ونسيج العنكبوت يتكوّن في شقوق من سقفان تعلو أنهاراً عذبة بأرض الهند، وأنه قليل جداً لا يظفر منه إلا باليسير. وأخبرني الشيخ الإمام العلامة صلاح الدين محمد بن البرهان من لفظه أن البادر زهر يوجد في بعضه تجويف، وفيه شيء يشبه الصوف إذا وضع في النار لم يحترق منه شيء البتة. وأخبرني الشيخ شمس الدين أيضاً أنه عاين عند الأمير علاء الدين علي بن البزواتاه بالديار المصرية منشقة طولها قدر أربعة أشبار، وعرضها دون ذلك يمسح بها الوجه واليدان. فإذا تدنست تلقى في النار فتنقى، وذكروا أنها من السمند، ولم يذكروا أهو حيوان أو غيره. وحكى لي وله إنسان يظن به الصدق أنه رأى عند شخص يعمل النشاب بين القصرين بالقاهرة ريشة بيضاء شككت أنا في طولها هل قال: ذراع أو أقل، وأنها يُوضع عليها الزيت وتُلقي في النار إلى أن تفتنى مادة الزيت، ثم يخرج بها وهي سليمة بيضاء نقية. وأخبرني الشيخ شمس الدين أيضاً أنه رأى عند شرف الدين بن زنبور شخصاً مغربياً يعرف بزيد الصائع، دهن لحيته بدهن كان معه، ووضع السراج فيها فاشتعلت ذقنه إلى أن نفدت مادة الدهن فضرب بيده ذقنه، فطفئت ولم يحترق منها شيء. قلت أنا: ولعل الريشة التي ذكرها لنا ذلك الرجل تدهن بذلك الدهن وهو معروف عند أصحاب الملح، فالخصوصية للدهن لا للريشة، والله أعلم بالصواب. وإن كانت هذه الريشة من طائر وله هذه الخصوصية، فأقول: هذا يؤيد حجة الأشاعرة في دعواهم أن الله يخلق الإحراق في النار عند قربها من الأجسام وليس الإحراق لنفس النار، ويخلق الشبع عند تناول الخبز وليس

الشبع بالخبز، ويخلق الرّي عقيب شرب الماء وليس الرّي لنفس الماء، فقد رأينا من يفرط في أكل الخبز ولم يشبع، وفي شرب الماء ولم يرو، وما ورد في الأخبار الصحيحة من بقاء الحيّات والعقارب وعظم مقاديرهنّ في نار جهنم، وهي حيوانات، وليس هذا بممتنع على الفاعل المختار سبحانه وتعالى. وهذا الطائر يمكن أن يتولد في النار كما يتولد في كور الزجاجين الحيوان المسمى بالسرفوت، وهو أشبه شيء بسام أبرص لا يزال حياً ما دام في النار وهي مضطربة، فإذا طفت وبرد المكان مات. وقال أرسطو: لا يبعد أن يكون في كل عنصر حيوان يتولد فيه، كما يحكى أنّ في بلاد الترك بزاة بيض إذا حصل لها مرض معروف عندهم حلّقت في الهواء، ونزلت ومعها حيّة بيضاء قدر شبر فتأكلها فتبرأ مما تشكوه. ثم ذكر أرسطو أيضاً السرفوت المذكور تأييداً لما ادعاه.

أخبرني العالم مفتي المسلمين شرف الدين أبو عبد الله محمد بن الشيخ فتح الدين بن أبي الحسن علي بن إبراهيم الأنصاري القميّ من لفظه بثغر الإسكندرية قال: أخبرني الشيخ نجيب الدين عبد اللطيف بن عبد المنعم بن علي الحرّاني، أخبرنا أبو حامد وعبد الله بن مسلم بن جوالق قراءة عليه وأنا أسمع، أخبرنا منصور بن أبي غالب القزاز، أخبرنا الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، أخبرنا الحسن بن أبي بكر بن شاذان، حدّثنا أبو الحسين عبد الرحمن بن نصر المصري الشاعر إملاءً من حفظه، حدّثنا أبو عمر الأنسي بمصر قال: حدّثنا دينار مولى أنس بن مالك قال: صنع أنس لأصحابه طعاماً فلما طعموا قال: يا جارية هاتي المنديل فجاءت بمنديل درم. فقال: اسجري التنور واطرحيه فيه ففعلت فابيض، فسألناه عنه، فقال: إنّ هذا كان للنبي ﷺ وإن النار لا تحرق شيئاً كان للنبي ﷺ أو مسته يد الأنبياء. دينار بن عبد الله ضعيف وإه. قاله أبو أحمد بن عدي.

(رجع القول إلى بيت الطغرائي) وَلَمْ تُعْنَتِ أَنْ يَقُولَ: ليس كون الشمس في أول النهار مثل كونها في آخره، لأنّ حالة الإقبال حالة ابتداء وتمكّن. وحالة الإدبار حالة انتهاء وزوال، ولهذا قال المنجمون: إن السعي في الحوائج قبل الزوال أنجح منه فيما بعد الزوال ويكرهون الحركة آخر النهار، قال الشاعر: [من الخفيف]

بَكْرًا صَاحِبِي قَبْلَ الْهَجِيرِ إِنَّ ذَاكَ التَّجَاحُ فِي التَّبَكِيرِ

وأول النهار شباب وقوة، وآخره مشيب وهرم، فجواب المتعنت أنه ما أراد إلا ذات الشمس من حيث هي من غير نظر إلى ما يطرأ عليها من حركة فلكها، لأن هذه الحالة في الإبكار والعشي إنما هي خير وشر بالنسبة إلينا. لأن فلك الشمس لا يزال دائراً وحركة الفلك واحدة لا تتغير أبداً، إذ الكرة لا فوق لها ولا تحت، فالشمس

في جرمها واحدة لم تتغير أبداً، وهي هي أبداً ما زالت ولا طراً عليها شيء. نعم كان هذا يردُّ أن لو كان كل يوم له شمس تخصه كما ذهب إليه بعضهم وليس بشيء. ولهذا قال المعري رحمه الله تعالى: [من الطويل]

وَمَا الْبَدْرُ إِلَّا وَاحِدٌ غَيْرُ أَنَّهُ يَغِيْبُ وَيَأْتِي بِالضِّيَاءِ الْمُجَدِّ
فَلَا تَحْسِبِ الْأَقْمَارَ خَلْقاً كَثِيراً فَجُمَلَتْهَا مِنْ نَيْرٍ مُتَرَدِّدٍ

إذا ثبت ذلك فالشمس من حيث هي واحدة لا تتغير في نورها وعظمتها وعلوها وهبوطها فلم يزدّها ولم ينقصها شيئاً. قال إبراهيم الغزي^(١): [من البسيط]

أَمَا تَرَى الْبَدْرَ يَكْسُو نَاطِرِيكَ سَنَاءً فَيَسْتَوِي فِيهِ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ
وَقَدْ بَالِغَ الطَّغْرَائِي وَضَرْبَ لَفْخَرِهِ وَمَجْدَهُ مِثْلًا حَسَنًا بِالشَّمْسِ. فإنه مثل بما لا

يخفى على ذي عقل فضله، ولا يسعه إنكاره: [من الوافر]

وَلَيْسَ يَصْحُ فِي الْأَذْهَانِ شَيْءٌ إِذَا احْتَجَّ النَّهَارُ إِلَى دَلِيلٍ
وَمَنْ أَحْسَنَ مَا حَضَرَنِي فِي الْاِفْتِخَارِ قَوْلُ بَشَارِ بْنِ بُرْدٍ^(٢) رَحِمَهُ اللَّهُ^(٣):

[من الطويل]

إِذَا مَا غَضِبْنَا غَضَبَةً مُضَرِّيَةً هَتَكُنَا حِجَابَ الشَّمْسِ أَوْ تَقَطَّرَ الدِّمَا
إِذَا مَا أَعْرَزْنَا سَيِّدًا مِنْ قَبِيلَةٍ ذُرَى مِنْبَرٍ صَلَّى عَلَيْنَا وَسَلَّمَا

وقول عبد المطلب^(٤): [من البسيط]

لَنَا نَفُوسٌ لِنَيْلِ الْمَجْدِ عَاشِقَةٌ وَلَوْ تَسَلَّتْ أَسْلَنَاهَا عَلَى الْأَسْلِ^(٥)
لَا يَنْزِلُ الْمَجْدُ إِلَّا فِي مَنَازِلِنَا كَالْتَّوْمِ لَيْسَ لَهُ مَأْوَى سِوَى الْمُقْلِ

وقول الآخر: [من الكامل]

حَمَلْتُ بُرُوجَ الْمَجْدِ مَنِّي كَوُكَبًا لَا يَهْتَدِي لِسَوَى سَنَاهِ السَّارِي

(١) هو أبو إسحاق إبراهيم بن عثمان الغزي: شاعر مجيد، من أهل غزة بفلسطين، وتنقل في البلاد، وتوفي بخراسان سنة ٥٢٤هـ/ ١١٣٠. (الأعلام: ١/ ٥٠).

(٢) هو أبو معاذ، بشار بن برد العقيلي بالولاء: شاعر مشهور، أصله من طخارستان، ونشأ بالبصرة. اتهم بالزندقة فقتل ضرباً بالسياط سنة ١٦٧هـ/ ٧٨٤م. (الشعر والشعراء: ٢/ ٦٤٣؛ طبقات ابن المعتز: ١٧؛ الأغاني: ٣/ ١٢٩).

(٣) ديوان بشار بن برد: ١٦٢/٤.

(٤) هو أبو الحارث، عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف: جدُّ النبي محمد ﷺ، وزعيم قريش في الجاهلية. توفي نحو ٤٥ق.هـ/ نحو ٥٧٩م. (الأعلام: ٤/ ١٥٤).

(٥) الأسل: الرماح.

وَعَلَى الرِّيحِ أَزْمَّتِي وَأَعِثَّتِي وَمِنَ النُّجُومِ أَسِئَّتِي وَشِفَارِي

وقول الشريف أبي الحسن العقيلي: [من الكامل]

نَحْنُ الَّذِينَ غَدَتْ رَحَى أَحْسَابِهِمْ وَلَهَا عَلَى قُطْبِ الْفَخَارِ مَدَارُ
قَوْمٍ لُغُصِنِ نَدَاهُمْ مَنْ رَفَدَهُمْ وَرَقٌّ وَمِنْ مَعْرُوفِهِمْ أَثْمَارُ^(١)
مِنْ كُلِّ وَضَّاحِ الْجَبِينِ كَأَنَّهُ رَوْضٌ خَلَّاقُهُ لَهُ أَزْهَارُ

وقول الشريف الرضي يخاطب الطائع^(٢): [من الكامل]

مَهْلًا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّا فِي دَوْحَةِ الْعَلِيَاءِ لَا نَتَفَرَّقُ^(٣)
مَا بَيْنَنَا يَوْمَ الْفَخَارِ تَفَاوُتٌ أَبَدًا كَلَانَا فِي السِّيَادَةِ مُعَرَّقُ^(٤)
إِلَّا الْخِلَافَةَ مَيِّزَتِكَ فَإِنِّي أَنَا عَاطِلٌ مِنْهَا وَأَنْتَ مُطَوَّقُ

قيل: إن الخليفة لما بلغه ذلك قال: على رغم أنف الرضي. وقيل: إنه كان يوماً عنده وهو يعيث بِلِحْيَتِهِ ويرفعها إلى أنفه، فقال له الطائع: أظنك تشم منها رائحة الخلافة، قال: بل رائحة النبوة. وقول الرضي أيضاً: [من الكامل]

رُمْتُ الْمَعَالِي فَامْتَنَعَنْ وَلَمْ يَزَلْ أَبَدًا يَمَانِعُ عَاشِقًا مَعْشُوقُ
وَصَبِرْتُ حَتَّى نَلْتَهَنَّ وَلَمْ أَقُلْ ضَجَرًا دَوَاءَ الْفَارِكِ التَّطْلِيْقُ^(٥)

وقول إسحاق بن إبراهيم الموصلي^(٦): [من الطويل]

إِذَا مُضِرُّ الْحَمَرَاءِ كَانَتْ أُرُومَتِي وَقَامَ بِنَضْرِي حَازِمٌ وَابْنُ حَازِمِ^(٧)
عَطِشْتُ بِأَنْفٍ شَامَخٍ وَتَنَاوَلْتُ يَدَايَ الثَّرِيَّا قَاعِدًا غَيْرَ قَائِمِ
إنما ذكر حازماً لأنه مولى خزيمة بن حازم التميمي، وإنما نزل أبوه الموصل

(١) الرَّفْدُ: المعونة، والمساعدة.

(٢) هو أبو الفضل، عبد الكريم بن الفضل بن الطائع لله العباسي: من خلفاء الدولة العباسية. ولد ببغداد، وتوفي مسجوناً سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م. (تاريخ بغداد: ٧٩/١١).

(٣) الدوحة: الشجرة العظيمة.

(٤) مُعَرَّقٌ: من أعرق في الشرف: كان له أصل فيه.

(٥) الْفَارِكُ: الْمُبْغَضُ.

(٦) هو أبو محمد، إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي الموصلي، المعروف بالنديم: عارف بصناعة الغناء، عالم باللغة والموسيقى والتاريخ وعلوم الدين، وعلم الكلام، راوية للشعر، حافظ للأخبار. توفي ببغداد سنة ٢٣٥هـ / ٨٥٠م. (تاريخ بغداد: ٣٣٨/٦).

(٧) الأرومة: الأصل، والبيتان في العمدة: ١٤٦/٢.

فنسب إليه، وخزيمة هو الذي يقول فيه أبو نواس: [من المتقارب]

خُزَيْمَةٌ خَيْرُ بَنِي حَازِمٍ وَحَازِمٌ خَيْرُ بَنِي دَارِمٍ
وَدَارِمٌ خَيْرُ تَمِيمٍ وَمَا مِثْلُ تَمِيمٍ فِي بَنِي آدَمِ
وقال آخر: [من المتقارب]

قُرَيْشٌ خَيْرُ بَنِي آدَمِ وَخَيْرُ قُرَيْشٍ بَنُو هَاشِمٍ
وَخَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ أَحْمَدُ رَسُولُ إِلَهِ إِلَى الْعَالَمِ
ومن رسالة ابن عرسية: [من السريع]

لَلَّهِ مِمَّا قَد بَرَى صَفْوَةً وَصَفْوَةُ الْخَلْقِ بَنُو هَاشِمٍ
وَصَفْوَةُ الصَّفْوَةِ مِنْ بَيْنِهِمْ مُحَمَّدُ النُّورِ أَبُو الْقَاسِمِ
أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن
محمد بن محمد بن سيّد الناس اليعمري: [من السريع]

مُحَمَّدٌ خَيْرُ بَنِي هَاشِمٍ فَمَنْ تَمِيمٌ وَبَنُو دَارِمٍ
وَهَاشِمٌ خَيْرُ قُرَيْشٍ وَمَا مِثْلُ قُرَيْشٍ فِي بَنِي آدَمِ
ومن الأول أخذ مُسلم بن الوليد^(١): [من البسيط]

فَأَفْخَرُ فَمَا لَكَ فِي شَيْبَانَ مِنْ مَثَلٍ كَذَاكَ مَا لِبَنِي شَيْبَانَ مِنْ مَثَلٍ
وذكر صاحب الأغاني أنَّ مروان بن أبي حفصة^(٢) دخل يوماً على إبراهيم
الموصلبي فجعلًا يتحدّثان إلى أن أنشد إسحاق بن إبراهيم قوله: إِذَا مُضِرُّ الْحَمْرَاءِ
الْبَيْتَيْنِ. قال: وجعل إبراهيم يحدث مروان وهو ساهٍ عنه مشغول. فقال: مالك لا
تجيبني؟ قال: إنك لا تدري ما أفرغ أُبْنُكَ^(٣) في أذني. ومن الافتخار قول أبي تمام
الطائي رحمه الله تعالى^(٤): [من الطويل]

(١) هو أبو الوليد، مسلم بن الوليد الأنصاري، المعروف بصريع الغواني: شاعر مجيد، من أهل الكوفة. مدح الرشيد والبرامكة وعدداً من الرؤساء والوزراء. توفي سنة ٢٠٨هـ/ ٨٢٣م. (الشعر والشعراء: ٧١٢/٢؛ طبقات ابن المعتز: ٢١٤؛ الأغاني: ٣١٥/١٨).

(٢) هو أبو الهند، مروان بن سليمان بن يحيى بن أبي حفصة: شاعر مُجَوِّد، من أهل اليمامة. مدح المهدي والرشيد، وغيرهما. توفي ببغداد سنة ١٨٢هـ/ ٧٩٨م. (الشعر والشعراء: ٦٤٩؛ طبقات ابن المعتز: ٣٦؛ الأغاني: ٧٤/١٠).

(٣) الأُبْنُ: جمع الأُبْنَةِ: العيب، المراد: ابنه.

(٤) ديوان أبي تمام: ٤٨٣/٢.

أنا ابن الذين استرضع المجدّ فيهم وسُمّي منهم وهو كَهْلٌ ويافع^(١)
 مَضَوْا وكأَنَّ المَكْرُمَاتِ لديهم لِكَثْرَةِ مَا وَصَّوْا بهنَّ شَرَائِعُ
 فأَيُّ يدٍ في المجدِّ مُدَّت ولم يكن لها راحةٌ مِنْ مَجْدِهِمْ وَأَصَابِعُ^(٢)
 هُمْ استودعوا المعروفَ محفوظاً مالنا فَضَاعَ وما ضَاعَتْ لدينا الْوَدَائِعُ
 وقوله أيضاً رحمه الله^(٣): [من الطويل]

جَرَى حَاتِمٌ فِي حَلْبَةٍ مِنْهُ لَوْ جَرَى بِهَا الْقَطْرُ قَالَ النَّاسُ أَيُّهُمَا الْقَطْرُ^(٤)
 فَتَى دَحَرَ الدُّنْيَا أَنْاسٌ وَلَمْ يَزَلْ لَهَا بَازِلًا فَانْظُرْ لِمَنْ بَقِيَ الذِّكْرُ^(٥)
 فَمَنْ شَاءَ فَلْيَفْخَرْ بِمَا شَاءَ مِنْ نَدَى فَلَيْسَ لِحَيٍّ غَيْرَنَا ذَلِكَ الْفَخْرُ
 جَمَعْنَا الْعُلَى بِالْجُودِ بَعْدَ افْتِرَاقِهَا إِلَيْنَا كَمَا الْأَيَّامُ يَجْمَعُهَا الشَّهْرُ
 وعند أكثر الناس أن أبا تَمَّام كان أبوه نصرانياً يقال له: سدوس العطار، من
 جاسم قرية من قرى حوران بالشام فغيّر اسم أبيه واندس في بني طي. وذكر صاحب
 الأغاني: أن رجلاً قال لجرير: مَنْ أشعر الناس؟ قال: قم حتى أعرفك الجواب،
 فأخذه بيده وجاء إلى أبيه عطية وقد أخذ عنزاً له فاعتقلها، وجعل يمتص ضرعها،
 فصاح به: أخرج يا أبت. فخرج شيخ دميم رث الهيئة وقد سال لبن العنز على
 لحيته. فقال ترى هذا؟ قال نعم. قال أو تعرفه؟ قال: لا. قال: هذا أبي، أفترى
 لم كان يشرب من ضرع العنز؟ قال: لا. قال: مخافة أن يسمع صوت الحلب
 فيطلب منه. ثم قال: أشعر الناس من فخر بهذا الأب ثمانين شاعراً وقارعهم فغلبهم
 جميعاً. قلت: ما هذه إلا وقاحة عظيمة من جرير في مفاخرته أولئك الشعراء وهذا
 أبوه، لكنه تغتفر له هذه الوقاحة باعترافه لذلك الرجل وإظهاره بخل أبيه. وعكس
 هذه القضية هجاء دعبل الخزاعي^(٦) للمأمون حيث يقول فيه: [من الكامل]

إِنِّي مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ سُوِفُهُمْ قَتَلْتُ أَخَاكَ وَشَرَّفْتُكَ بِمَقْعِدِ

(١) في الديوان: «اسْتَرْضِعَ الْجُودُ فِيهِمْ»، و«سُمِّي فِيهِمْ».

(٢) في الديوان: «مِنْ جُودِهِمْ».

(٣) ديوان أبي تمام: ٤٧٩/٢. والأبيات من قصيدة قالها عند انصرافه من مصر.

(٤) الحلبة: الميدان. القطر: المطر. الشأو: الطلق الواحد.

(٥) في الديوان: «لِمَنْ بَقِيَ الذِّكْرُ».

(٦) هو أبو علي، دعبل بن علي بن رزين بن سليمان الخزاعي: شاعر مقدم مطبوع. ولد في الكوفة، ونشأ فيها، ثم طاف في البلدان. هجا العديد من الخلفاء، وتعصّب للبحثري على أبي تمام. توفي سنة ٢٤٦هـ/ ٨٦٠م. (الشعر والشعراء: ٧٢٧/٢؛ طبقات ابن المعتز: ٢٤٢؛ الأغاني: ٦٧/٢٠).

شَادُوا لِذِكْرِكَ بَعْدَ طُولِ خُمُولِهِ وَاسْتَنْقَذوكَ مِنَ الْحَضِيضِ الْأَوْهَدِ

يشير دعبل إلى واقعة طاهر بن الحسين الخزاعي^(١) مع الأمين. يقال: إن المأمون كان إذا أنشد هذين البيتين قال: قَبَّحَ اللَّهُ دِعْبَلًا ما أوقفه، كيف يقول عني هذا، وقد ولدت في حِجْر الخلافة، ورضعت ثديها، وربيت في مهدها. سمع المأمون يوماً بعض الكتّافين يقول وهو مارٌّ في موكبه: لقد سقط هذا من عيني من حين غدر بأخيه فقال: من يشفع لي إلى هذا الرئيس لارتفع إلى عينه بعد سقوطي؟

نقلت من بعض مجاميع القاضي شمس الدين أحمد بن خلّكان قال: أنشدني بعض الأدباء بيتاً في الجمال أبي الحسين الجزار وما عرفت قائله ولا بقية الأبيات المضافة إليه، فقلت لأبي الحسين ذلك وقلت: إن كنت تعرف ذلك فأنشدني إياه وعرفني قائله، فقال: وما البيت؟ فأنشدته: [من المديد]

فَلَيْسَ يَرْجُوهُ غَيْرُ كَلْبٍ وَلَيْسَ يَخْشَاهُ غَيْرُ تَيْسٍ
فاستحسن ذلك وجاءني ثاني يوم فقال: قد عملت في ذلك المعنى أبياتاً، وأنشد: [من الهزج]

أَلَا قُلْ لِلَّذِي يَسْأَلُ لُ عَنْ قَوْمِي وَعَنْ أَهْلِي
لَقَدْ تَسْأَلُ عَنْ قَوْمٍ كَرَامِ الْفَرْعِ وَالْأَصْلِ
يُرِيقُونَ دَمَ الْأَنْعَمَاءِ م فِي حَزْنٍ وَفِي سَهْلٍ
وَمَا زَالُوا لِمَا يُبْدُو نَ مِنْ بَأْسٍ وَمِنْ بَذْلِ
يُرْجِيهِمْ بَنُو كَلْبٍ وَيَخْشَاهُمْ بَنُو عَجَلٍ

انتهى ما نقلت. قلت: وهذه الأبيات تنظر إلى قول الآخر في الحكاية المشهورة. قال بعضهم: كنت ليلة جالساً عند بعض ولاة الطّوف وقد جاءه غلمانه برجلين فقال لأحدهما: من أبوك؟ فقال: [من الطويل]

أَنَا ابْنُ الَّذِي لَا يُنْزَلُ الدَّهْرُ قِدْرُهُ وَإِنْ نَزَلَتْ يَوْماً فَسَوْفَ تَعُودُ
تَرَى النَّاسَ أَفْوَاجاً عَلَى بَابِ دَارِهِ فَمِنْهُمْ قِيَامٌ حَوْلَهَا وَقُعُودُ
فقال الوالي: ما كان أبو هذا إلا كريماً، ثم قال للآخر من أبوك؟ فقال: [من المنسرح]
أَنَا ابْنُ مَنْ ذَلَّتِ الرِّقَابُ لَهُ مَا بَيْنَ مَخْزُومِهَا وَهَاشِمِهَا

(١) هو أبو الطيب، طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي: من كبار الوزراء والقوّاد، وهو الذي ظفر بالأمين فقتله، ووُطِدَ الحكم للمأمون. مات مسموماً سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢م. (شذرات الذهب: ١٦/٢؛ تاريخ بغداد: ٣٥٣/٩).

خَاضِعَةً أَذْعَنْتْ لِطَاعَتِهِ يَأْخُذُ مِنْ مَالِهَا وَمِنْ دَمِهَا
فقال الوالي: ما كان أبو هذا إلا شجاعاً وأطلقهما. فلما انصرفا قلت للوالي:
أما الأول فكان أبوه يبيع الباقلَاءَ المسلوقة. وأما الثاني فكان أبوه حِجَّاماً. فقال
الوالي عند ذلك: [من المنسرح]

كُنْ ابْنَ مَنْ شِئْتُ وَاکْتَسِبْ أَدْباً يُغْنِيكَ مَضْمُونُهُ عَنِ النَّسَبِ
إِنَّ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ هَذَا لَيْسَ الْفَتَى مَنْ يَقُولُ كَانَ أَبِي
والأصل في هذا قول عتبة الأعور يهجو أبا إسحاق بن إبراهيم بن شبابة
الثقفي مولاهم الكوفي كاتب المهدي، وكان أبوه حِجَّاماً: [من المنسرح]

أَبُوكَ أَوْهَى النَّجَادَ عَاتِقُهُ كَمْ مِنْ كَمِيٍّ أودى وَمِنْ بَطَلٍ^(١)
يَأْخُذُ مِنْ مَالِهِ وَمِنْ دَمِهِ لَمْ يُمْسِ مِنْ ثَأْرِهِ عَلَى وَجَلٍ^(٢)
لَهُ رِقَابُ الْمُلُوكِ خَاضِعَةً مِنْ بَيْنِ حَافٍ وَبَيْنِ مُنْتَعِلٍ
وهذا من التهكم في غاية الحسن. وقال بعضهم: وجدت على قبر مكتوباً: أنا
ابن من كانت الريح طَوَّعَ أمره يحبسها إذا شاء ويطلقها إذا شاء. قال فعظم في عيني
مصرعه، ثم التفت إلى قبر آخر قبالة وعليه مكتوب: لا يغتر أحد بقوله فما كان
أبوه إلا من بعض الحدادين يحبس الريح في كيره ويتصرّف فيها. قال فعجبت منهما
يتسابان ميتين. قلت: وقبل البيت الذي أورده ابن خلكان في أبي الحسين الجزار:
[من المديد]

إِنْ تَاهَ جَزَارُكُمْ عَلَيَّكُمْ بِفُطْنَةٍ فِي الْوَرَى وَكَيْسٍ
وهما لمجاهد الخياط^(٣). وله فيه عدة مقاطيع يهجو به، وقد عبث الناس
بأبي الحسين الجزار، وهجاه من أهل عصره خلق كثير بالشعر والأزجال. وما كان
فيمن هجاه من يقاربه في رتبة النظم. ولأبي الحسين الجزار وهو في غاية الحسن:
[من البسيط]

إِنِّي لَمِنْ مَعْشَرِ سَفْكَ الدَّمَاءِ لَهُمْ دَابٌّ وَسَلٌّ عَنْهُمْ إِنْ رُمْتُ تَصْدِيقِي

(١) النَّجَادُ: حمائل السيف. الْكَمِيٌّ: الفارس الْمُدَجَّجُ بالسلاح.

(٢) الْوَجَلُ: الخوف.

(٣) هو مجاهد بن سليمان بن مرهف بن أبي الفتح التميمي المصري الخياط: من كبار أدباء العوام،
كان يعمل في القاهرة خياطاً، لكنه قرأ النحو فأفاد منه في تهذيب شعره. توفي سنة ٦٧٢هـ/
١٢٧٣م. (النجوم الزاهرة: ٢٤٢/٧؛ فوات الوفيات: ٢٣٦/٣).

تضيء بالدم إشراقاً عِراضُهم فكلّ أيامهم أيام تَشْرِيقٍ^(١)

عاد الكلام إلى الجد دون الهزل. فأقول: أبيات الحماسة التي للسّمؤال بن عاد اليهودي^(٢) في غاية الحسن، وهي مشهورة فلهذا لم أثبتها.

جرى بين عبد الله بن الزبير^(٣)، وبين معاوية كلام فيه طول لكن في آخره قال ابن الزبير: ما مثلي يُهارش به، ولكن عندك من قريش والأنصار ومن ساكني الحجون والآطام من إذا سألته حملك على محجة أبين من ظهر الخفين. قال: ومن ذلك، قال: هذا، يعني أبا الجهم بن حذيفة. فقال معاوية: تتكلم يا أبا الجهم، فقال: اعفني، فقال: عزمت عليك لتقولنّ، قال: نعم، قال: قل. قال: أمك هند، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق، وأسماء خير من هند، وأبوك أبو سفيان، وأبوه الزبير، ومعاذ الله أن يكون أبو سفيان مثل الزبير. وأما الدنيا فلك، وأما الآخرة فله إن شاء الله تعالى. ومثل هذا ما حكى أن معاوية كان عنده عمرو بن العاص وجماعة من الأشراف فقال معاوية: من أكرم الناس أباً وأماً وجدّاً وعمّاً وعمّة وخالاً وخالة؟ فقال النعمان بن عجلان الزرقى بعدما أخذ بيد الحسن: هذا أبوه علي بن طالب، وأمه فاطمة، وجدّه رسول الله ﷺ، وجدّته خديجة، وعمه جعفر، وعمته أم هانئ ابنة أبي طالب، وخاله القاسم، وخالته زينب. وكان لخالد بن يزيد بن معاوية أخ فجاء يوماً فقال: إن الوليد بن عبد الملك يعبث بي ويحتقرني، فدخل خالد على عبد الملك والوليد عنده فقال: يا أمير المؤمنين إن الوليد قد احتقر ابن عمّه عبد الله واستصغره وعبد الملك مُطرق. فرفع رأسه وقال: ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً﴾ [النمل: ٣٤]. فقال خالد: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا﴾ [الإسراء: ١٦]. فقال عبد الملك: أفي عبد الله تكلمني وقد دخل عليّ فما أقام لسانه لحناً فقال خالد: أفعلى الوليد تعول؟ فقال عبد الملك: إن كان الوليد يلحن فإن أخاه سليمان. فقال خالد: وإن كان عبد الله يلحن فإن أخاه خالد. فقال له الوليد: اسكت يا خالد فوالله ما تُعدّ في العير ولا في النفير. فقال خالد: اسمع يا أمير

(١) العراض: السّاحات. أيام التّشريق: الأيام الثلاثة التي تلي يوم عيد الأضحى المبارك.

(٢) هو السّمؤال بن غريض بن عاديء الأزدي: شاعر جاهلي يهودي، من سكان خيبر شمالي المدينة؛ وهو صاحب حصن الأبلق بتيّماء. توفي نحو ٦٥ق.هـ/ نحو ٥٦٠م. (طبقات ابن سلام: ٢٧٩؛ الأغاني: ١٠٨/٢٢).

(٣) هو أبو بكر، وأبو خبيب، عبد الله بن الزبير بن العوام القرشي الأسدي، وأمه أسماء بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه. وهو أول مولود للمسلمين في المدينة. توفي سنة ٧٣هـ/ ٦٩٢م. (البداية والنهاية: ٣٣٤/٨؛ شذرات الذهب: ٧٩/١).

المؤمنين والتفت إلى الوليد وقال: ويحك ومن يُعدُّ في العير والنفير غيري؟ جدّي أبو سفيان صاحب العير، وجدّي عتبة بن ربيعة صاحب النفير، فهذا المثل نحن أصله، ولكن لو قلت: غنيمات وجبيلات والطائف ورحم الله عثمان لقلنا: صدقت. قلت: يريد بالعير عيرقريش التي أقبل بها أبو سفيان من الشام وخرج إليها رسول الله ﷺ ليغنمها فبلغ الخبر أهل مكة فنفر عتبة بن ربيعة^(١) بأهل مكة وكان مقدم القوم، فلما وصلوا إلى المسلمين كانت وقعة بدر. وأما الغنيمات والجبيلات والطائف فإن رسول الله ﷺ لَمَّا نَفَى الْحَكَمَ بن أبي العاص^(٢) إلى الطائف، وهو جدّ عبد الملك لم يزل هناك يرعى أغناماً له حتى وُلِّي الخلافة عثمان فردّه، وكان الْحَكَمَ عمّه. واحتجّ عثمان في ردّه بأنه كان قد أذن له رسول الله ﷺ في ردّه متى ولي الأمر. وحكى أبو حاتم عن العتبي عن أبيه قال: ابتنى معاوية بالأبطح مجلساً فجلس فيه، وابنه قرظة معه، فإذا هو بجماعة على رحال لهم، وإذا شاب منهم قد رفع عقيرته يتغنّى: [من الرمل]

مَنْ يُسَاجِلُنِي يُسَاجِلْ مَا جِدَا أَخْضَرَ الْجِلْدَةَ فِي بَيْتِ الْعَرَبِ
قال: من هذا؟ قالوا: عبد الله بن جعفر بن أبي طالب^(٣)، قال: خَلُّوا له الطريق فليذهب، فإذا هو بجماعة فيهم غلامٌ يتغنّى^(٤): [من الرمل]

بَيْنَمَا يَذْكُرُنِي أَبْصَرْنِي دُونَ قَيْدِ الْمِيلِ يَسْعَى بِي الْأَعْرُ
قُلْنَ تَعْرِفْنَ الْفَتَى قُلْنَ نَعَمْ قَدْ عَرَفْنَاهُ وَهَلْ يَخْفَى الْقَمَرُ

قال: من هذا؟ قالوا: عُمَرُ بن أبي ربيعة^(٥)، قال: خَلُّوا له الطريق فليذهب. فإذا هو بجماعة وفيهم رجلٌ يُسأل يقال له: رميت قبل أن أحلق وحلقت قبل أن أرمي لأشياء أشكلت عليهم من مناسك الحج، فقال: من هذا؟ قالوا: عبد الله بن عُمَرَ^(٦)، فالتفت

(١) هو أبو الوليد، عتبة بن ربيعة بن عبد شمس: كبير قريش، وأحد ساداتها في الجاهلية. توفي سنة ٢٢هـ / ٦٢٤م. (الأعلام: ٤/ ٢٠٠).

(٢) هو الحكم بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي الأموي: أسلم يوم الفتح، وسكن المدينة، وتوفي فيها سنة ٣٢هـ / ٦٥٢م. (الأعلام: ٢/ ٢٦٦).

(٣) صحابي، ولد بالحبشة لما هاجر أبواه إليها. كان أحد أمراء جيش علي في صفين، وكان كريماً يُسمّى «بحر الجود». توفي بالمدينة سنة ٨٠هـ / ٧٠٠م. (الأعلام: ٤/ ٧٦).

(٤) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ١/ ١٩٦.

(٥) هو أبو حفص، عمر بن أبي ربيعة المخزومي القرشي: من أكابر شعراء الغزل وأشهرهم. توفي سنة ٩٣هـ / ٧١٢م. (الشعر والشعراء: ٢/ ٤٥٧؛ وفيات الأعيان: ٣/ ٤٣٦).

(٦) هو أبو عبد الرحمن، عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي: صحابي، نشأ في الإسلام، وهاجر مع أبيه إلى المدينة. ولد بمكة، وتوفي فيها سنة ٧٣هـ / ٦٩٢م. (الأعلام: ٤/ ١٠٨).

إلى ابنه قرظة وقال: هذا وأبيك الشرف في الدنيا والآخرة. ورُوي أنه قال: هذا الشرف لا ما نحن فيه. وروي أنه قال: كاد العلماء أن يكونوا أرباباً. ويعجبني قول الشيخ أبي نصر محمد بن محمد بن طرخان بن أولغ الفارابي^(١) رحمه الله تعالى: [من المتقارب]

أخي خَلَّ حَيِّزٍ ذي باطلٍ وَكُنْ بِالْحَقَائِقِ فِي حَيِّزٍ
فَمَا الدَّارُ دَارُ مَقَامٍ لَنَا وَلَا الْمَرْءُ فِي الْأَرْضِ بِالْمَعْجَزِ
يُنَافِسُ هَذَا هَذَا عَلَى أَقْلٍ مِنَ الْكَلِمِ الْمُوجَزِ
وَهَلْ نَحْنُ إِلَّا خُطُوطٌ وَقَعْنَ عَلَى نُقْطَةٍ وَقَعَ مُسْتَوْفَزِ
مُحِيطُ الْعَوَالِمِ أَوْلَى بِنَا فَمَاذَا التَّزَاحُمُ فِي الْمَرْكَزِ

هكذا فلتكن الهمة، وإلى هذه الغاية فليجر من أمسك لواء الفخر، وبهذه الحلل فليتقمص من ارتدى المجد، ولكن كيف؟ وأنّى يظفر بالحقيقة من أفنى الليالي سَهراً ولم يحصل له الطَّيْف. أنشدني العالم الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن محمد بن سيّد الناس إجازة، وفي غالب الظن سماعاً قال: أنشدني لنفسه الشيخ الإمام العلامة القدوة تقي الدين أبو الفتح محمد ابن الإمام مجد الدين أبي الحسن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري المعروف بابن دقيق العيد رحمه الله تعالى: [من الكامل]

أَتَعَبْتَ نَفْسَكَ بَيْنَ ذِلَّةٍ كَادِحٍ طَلَبَ الْحَيَاةِ وَبَيْنَ حِرْصٍ مُؤَمِّلِ
وَأَضَعْتَ عُمُرَكَ لَا خَلَاعَةَ مَا جِنِ حَصَلَتْ فِيهِ وَلَا وَقَارٌ مُبْجَلِ
وَتَرَكْتَ حَظَّ النَفْسِ فِي الدُّنْيَا وَفِي الْأُخْرَى وَرُحْتَ عَنِ الْجَمِيعِ بِمَعْزَلِ
وأنشدني بالسند المذكور إجازة له دوبيت:

الْجِسْمُ تَذِيبُهُ حُقُوقُ الْخِدْمَةِ وَالنَّفْسُ هَلَاكُهَا عُلوُّ الْهَمَّةِ
وَالْعُمُرُ بِذَاكَ يَنْقُضِي فِي تَعَبٍ وَالرَّاحَةُ مَاتَتْ فَعَلَيْهَا الرَّحْمَةُ

وإذا كان مثل الشيخ تقي الدين يقول هذا فما ظنك بغيره من أهل اللعب؟ أخبرني مولانا قاضي القضاة تقي الدين أبو الحسن علي بن عبد الكافي السبكي^(٢)

(١) أحد كبار الفلاسفة، ويعرف بالمعلم الثاني. تركي الأصل، ولد في (فاراب) فَتْسَبَ إليها، وتوفي بدمشق سنة ٣٣٩هـ / ٩٥٠م. (وفيات الأعيان: ١٥٣/٥).

(٢) هو أبو الحسن، تقي الدين، علي بن عبد الكافي بن علي بن تمام السبكي الأنصاري الخزرجي: شيخ الإسلام في عصره، وأحد الحفاظ المفسرين. ولد في «سبك» بمصر، وتوفي بالقاهرة سنة ٧٥٦هـ / ١٣٥٥م. (الدرر الكامنة: ٦٣/٣).

الشافعي عن الشيخ تقي الدين السنباطي قال: إن الشيخ تقي الدين قال لي: عشرون سنة ما أعرف أن كاتب الشمال كتب عليّ فيها شيئاً قال: فسألته عن هذا فقال: أظنّ ذلك أو كما قال. قال الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي في تاريخه الكبير، وقد رويته عنه بقراءتي له عليه جميع المغازي، ومن أول الترجمة النبويّة إلى آخر أيام الحسن بن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه متواليّاً، وجميع الحوادث إلى آخر سنة سبعمئة في ترجمة ابن شريح في سنة ست وثلاثمئة. قال الحاكم: سمعت حسان بن محمد الفقيه يقول: كنّا في مجلس ابن شريح في سنة ثلاث وثلاثمئة، فقام شيخ من أهل العلم فقال: أبشر أيها القاضي فإن الله يبعث على رأس كل مائة سنة من يجدد للأمة دينها، وإن الله بعث على رأس المائة عمر بن عبد العزيز، وعلى رأس المائتين الشافعي. ثم قال: [من الكامل] اثنان قد مضيا فبورك فيهما عمر الخليفة ثم حلف السؤدد الشافعي الألمعي محمد إرث النبوة وابن عم محمد أبشر أبا العباس إنك ثالث من بعدهم سقياً لثربة أحمد

فصاح ابن شريح وبكى، وقال: لقد نعى إليّ نفسي. قال الشيخ شمس الدين الذهبي: وكان على رأس الأربعمئة أبو حامد الإسفرائيني^(١)، وعلى رأس الخمسمئة الغزالي^(٢)، وعلى رأس الستمئة الحافظ عبد الغني^(٣)، وعلى رأس السبعمئة شيخنا ابن دقيق العيد، نسأل الله التوفيق للرشاد، والاستعداد ليوم المعاد. رجع: وإذا رجعت إلى الصحيح فبم يفخر الإنسان؟ ولم يطلق في التفاضل عنان اللسان، وعلام يمرح في الكبر مرح الجياد في الميدان، والكميت في الأرسان، وقد قال رسول الله ﷺ حاكياً عن الله عز وجل: الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعنيهما أدخلته النار. وقال ﷺ: «لا ينظر الله يوم

(١) هو أبو حامد، أحمد بن محمد بن أحمد الأسفرائيني: فقيه شافعي، قدم بغداد، وانتهت إليه رئاسة الدين والدنيا بها، وكان يحضر مجلسه أكثر من ثلاثمئة فقيه. توفي سنة ٤٠٦هـ/ ١٠١٦م. (شذرات الذهب: ٣/١٧٨؛ كشف الظنون: ٢٤٤، ٤٢٣).

(٢) هو الإمام زين الدين، حجة الإسلام، أبو حامد، محمد بن محمد بن محمد بن أحمد الغزالي، الطوسي، الشافعي: فيلسوف، متصوف، فقيه، مصنف. ولد بالطابران، وتوفي فيها سنة ٥٠٥هـ/ ١١١٢. (وفيات الأعيان: ٤/٢١٨؛ شذرات الذهب: ٤/١١).

(٣) هو الإمام تقي الدين، أبو محمد، عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن سرور المقدسي الجماعيلي الحنبلي: انتهى إليه حفظ الحديث متناً وإسناداً ومعرفةً بفنونه، مع الورع والعبادة والتمسك بالأثر، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. توفي سنة ٦٠٠هـ/ ١٢٠٣م. (شذرات الذهب: ٤/٣٤٥).

القيامة إلى من جرّ ثوبه خيلاء». قال الفقيه منصور المصري: [من مجزوء الرمل]

قُلْتُ لِلْمُعْجَبِ لَمَّا قَالَ مِثْلِي لَا يُرَاجَعُ
يَا قَرِيبَ الْعَهْدِ بِالْمَخ رَجِ لِمَ لَا تَتَوَاضَعُ

وقال أيضاً: [من المتقارب]

تَتِيَهُ وَجِسْمُكَ مِنْ نُطْفَةٍ وَأَنْتَ وَعَاءٌ لِمَا تَعْلَمُ

أخذ هذا من الكلام المنسوب إلى الإمام علي بن أبي طالب كرم الله وجهه: ابن آدم أوّله نطفة مذرة، وآخره جيفة قدرة، وهو فيما بينهما يحمل العذرة. نظر مطرف بن عبد الله بن الشخير إلى يزيد بن المهلب^(١) وهو يمشي في حلّة يسحبها فقال له: ما هذه المشية التي يبغضها الله ورسوله، فقال يزيد: أما تعرفني؟ فقال: بلى، أولك نطفة مذرة، وآخرك جيفة قدرة، وأنت بين ذلك حامل العذرة. وقد نظمها الشاعر فقال: [من المنسرح]

عَجِبْتُ مِنْ مُعْجَبٍ بِصُورَتِهِ وَكَانَ مِنْ قَبْلِ نُطْفَةٍ مَذْرَةٍ
وَفِي غَدٍ بَعْدَ حُسْنِ صُورَتِهِ يَصِيرُ فِي الْأَرْضِ جِيفَةً قَدْرَةٍ
وَهُوَ عَلَى عُجْبِهِ وَنَخْوَتِهِ مَا بَيْنَ جَنْبِيهِ يَحْمِلُ الْعَذْرَةَ

وقال آخر أظنه إبراهيم الحصري: [من الوافر]

أَرَى أَوْلَادَ آدَمَ أَبْطَرْتُهُمْ حُظُوظُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا الدُّنْيَةِ
فَلِمَ بَطَرُوا وَأَوَّلَهُمْ مَنِيٌّ إِذَا افْتَخَرُوا وَآخِرَهُمْ مَنِيٌّ

وقال الأرجاني^(٢) رحمه الله تعالى: [من الكامل]

مَلَأْتُ لَنَا الْأَسْمَاعَ ذَاغِيَةَ الرَّذَى وَكَأَنَّمَا أَنَا صَخْرَةٌ صَمَاءُ
وَمَسَاحِبُ الْأَذْيَالِ أَجْدَاثُ لَنَا فَسَلُّوا إِذَا مَا هَذِهِ الْخِيَالُ

وقال بعض الحكماء: كيف يستقر الكبر فيمن خلق من تراب، وطوي على القدر، وجرى مجرى البول. وقال أبو مسلم: ما تاه إلا وضيع، ولا فاجر إلا سقيط، ولا تعصّب إلا دخيل. قال مدني لرجل: من أنت؟ فقال: من قريش والحمد لله، فقال: بأبي، إنّ التحميد هنا ريبة.

(١) هو أبو خالد، يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي: أمير، من القادة الشجعان الأجواد. توفي سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م. (الأعلام: ٨/ ١٨٩).

(٢) هو أبو بكر، ناصح الدين، أحمد بن محمد بن الحسين الأرجاني: شاعر حكيم. ولي قضاء «تستر»، وتوفي فيها سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩. (الأعلام: ١/ ٢١٥).

فِيمَ الْإِقَامَةُ بِالزُّورَاءِ لَا سَكَنِي بِهَا وَلَا نَاقَتِي فِيهَا وَلَا جَمَلِي
 فِيمَ: أصله فيما، وسيأتي الكلام عليه في الإعراب. (الإقامة): مصدر أقام إقامة
 إذا لازم مكاناً لا يفارقه. (الزوراء): بَعْدَاد، سُمِّيَتْ بذلك لانحراف قبلتها. وفي بَعْدَاد
 لغات: بَعْدَادُ بذال معجمة أخيرة. وبذالين معجمتين، وبذالين مهملتين، وبغدان بنون
 بدل الدال الأخيرة. ومن أسمائها دار السلام، وفي تسميتها بذلك قولان: أحدهما أن
 السلام اسم لدجلة، والآخر أنه يسلم فيها على الخلفاء، ويقال: إن اسمها بك دار،
 ومعنى بك بالتركية: الرب، ودار: العادل. فكأنهم قالوا: الله العادل، ويقال: غير
 ذلك. وهي بلدة أحدثها المنصور من بني العباس سنة أربعين ومائة، ونزلها في سنة ست
 وأربعين. وفي سنة تسع وأربعين تم جميع بنائها، وهي بغداد القديمة التي بالجانب
 الغربي على دجلة، وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث. وبغداد الثانية: هي
 الجديدة التي في الجانب الشرقي، وفيها دور الخلفاء. وبغداد عبارة عن سبع محلات لا
 تفتقر محلة منها إلى غيرها على شاطئ دجلة من الجانب الشرقي. فالأولى: الرصافة
 بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة إحدى وخمسين، وهي مدينة
 مسورة. والثانية: مشهد أبي حنيفة، مسورة. والثالثة: جامع السلطان، غير مسورة.
 والرابعة: مدينة المنصور في الجانب الغربي، وتسمى باب البصرة، وكان بها ثلاثون
 ألف مسجد وخمسة آلاف حمام. والخامسة: مشهد موسى بن جعفر، مسورة.
 والسادسة: الكرخ، مسورة. والسابعة: دار القز، مسورة. يقال: إن المنصور سأل راهباً
 كان في صومعة في مكان بغداد عندما أراد أن يخطتها: أريد أن أبني ههنا مدينة. فقال:
 إنما يبنيتها ملك يقال له أبو الدوانيق، فضحك وقال: أنا هو. وقيل: إنما قال له يبنيتها
 ملك يقال له مقلّاص. فقال له: أنا كنت أدعى بذلك فاخطتها. وكان المنصور على
 جلالته يحاسب على الدوانيق، فسُمِّيَ الدوانِيقِي.

قرأت على الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن
 عثمان الذهبي بدمشق في ترجمة سنة ست وأربعين ومائة من تاريخه الكبير قال: قال
 المدائني^(١): حدّثني الفضل بن الربيع^(٢) أنّ المنصور^(٣) لما فرغ من بناء قصره

(١) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن عبد الله المدائني: راوية، مؤرخ، كثير التصانيف، من أهل
 البصرة. سكن المدائن، ثم انتقل إلى بغداد، وتوفي فيها سنة ٢٢٥هـ / ٨٤٠م. (تاريخ بغداد:
 ٥٤/١٢).

(٢) هو أبو العباس، الفضل بن الربيع بن يونس: وزير، أديب، اختص بالرشيد، ثم بالأمين من
 بعده. توفي مهملاً بطوس سنة ٢٠٨هـ / ٨٢٤م. (تاريخ بغداد: ٣٤٣/١٢).

(٣) هو أبو جعفر، عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، الخليفة المنصور: ثاني خلفاء بني =

بالمدينة، طاف به فأعجبه، لكنه استكثر النفقة. فقال لي: أحضر لنا بناءً فارهاً، فأحضرت فقال: كيف عملت لنا في هذا القصر، وكم أخذت لكل ألف أجره؟ فبقي البناء لا يقدر أن يردّ عليه مخافةً من الذي كان على العمل، فقال: ما لك ساكت؟ قال: لا علم لي. قال: ويحك قلّ وأنت آمن. فقال: والله لا أقف عليه ولا أدريه. فأخذ بيده وقال: تعال لا علمك الله خيراً، وأدخله الحجرة التي استحسناها وقال: ابن لي طاقاً يكون شبيهاً بالبيت لا يدخل فيه الخشب. قال نعم. فأقبل على البناء. وأخذ يحصي جميع ما يدخل في الطاق من الآجر والجصّ وفرغ له في يومين، ودعا المستعمر الذي كان على العمل وقال: ادفع له الأجرة على حساب ما عمل معك. فدفعت له خمسة دراهم، فاستكثر ذلك المنصور وقال: لا أرضى بذلك. ولم يزل حتى نقّصه درهماً، ثم إنه أخذ الوكلاء والمستعمر بحساب ما أنفقوا على نسبة ذلك، حتى فضل ستة آلاف درهم. (السكن): ما يسكن إليه الإنسان من زوج وغيره. وبقية البيت مثّل من أمثال العرب، والأصل فيه أنّ الصّدوف العدوية كانت تحت زيد بن الأخنس العدوي، وله بنت من غيرها تسمى الفارغة، كانت تسكن بمعزلٍ عنها في خباءٍ آخر. فغاب زيد عنها غيبة، فلهج بالفارغة رجل عذري يسمّى شبيباً، وطاوعته، فكانت تركب كل عشية جَمَلاً لأبيها، وتنطلق معه إلى ثنية يبيتان فيها. ورجع زيد من وجهته، فعرج على كاهنة اسمها طريفة، فأخبرته بريئة في أهلها، فأقبل سائراً لا يلوي على أحدٍ، وإنما تخوّف على امرأته حتى دخل عليها، فلما رآته عرفت الشرّ في وجهه فقالت: لا تعجلْ وأقْفُ الأثر، لا ناقة لي في هذا ولا جمل، فصار ذلك مثلاً يضرب في التبرّي عن الشيء. قال الراعي^(١): [من البسيط]

وَمَا هَجَرْتُكَ حَتَّى قُلْتُ مُعْلِنَةً لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلٌ
(الإعراب): فيم أصله فيما، حذفوا الألف منها لوجوه، الأوّل: قال الجرجاني: إذا وصلوا ما في الاستفهام حذفوا ألفها تفرقة بينها وبين أن تكون حرفاً. الثاني: إنهم حذفوا الألف لاتّصالها بحرف الجرّ حتى صارت كأنها جزء منه لتنبئ عن شدة الاتصال. الثالث: طلباً للتخفيف في هذا الحرف، أعني ما، لأنه يقع كثيراً في الكلام، وأبقوا الفتحة لتدل على أن المحذوف من جنسها، كما فعلوا في على م

= العباس، كان عارفاً بالفقه والأدب، مُجَبّاً للعلماء. توفي سنة ١٥٨هـ / ٧٧٥م. (تاريخ بغداد: ٥٣/١٠).

(١) هو عبيد بن حصين بن معاوية بن جندل، من بني نمير بن عامر بن صعصعة، ولُقّب بالراعي لكثرة وصفه للإبل، أو لرعيها: شاعر فحل، لا يحتذي شعر شاعر ولا يعارضه. توفي سنة ٩٠هـ / ٧٠٩م. (طبقات ابن سلام: ٥٠٢؛ الأغاني: ٣٤٨/٢٣).

وإلى مَ وحتى مَ وعمَّ وبِمَ، والأصل على ماذا، وإلى متى، وحتى متى، وعمّاذا تسأل، وبماذا تعتذر. وهذه اللغة الفصحى، أعني الحذف هي لغة القرآن. قال الله تعالى: ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾، وقرأ عكرمة في الشاذ عمّا يتساءلون بإثبات الألف رجوعاً إلى الأصل. قال ابن جني^(١) في «المحتسب»: رويانا عن قطرب^(٢)، لحسان^(٣) رضي الله عنه: [من الوافر]

عَلَى مَا قَامَ يَشْتَمُنَا لَيْمٌ كَخُنْزِيرٍ تَمَرَّغَ فِي دِمَانٍ
 قيل: إنَّ بعض العوام سأل بعض الفضلاء فقال: بماذا توصيني؟ فقال: بتقوى الله، وإسقاط الألف من ما. فأصلُ فيمَ في حرف جرٍّ وما استفهام، وموضعه رفع على أنه خبر مقدم والمبتدأ هو قوله الإقامة. وإنما تقدّم الخبر لأن الاستفهام له صدر الكلام، تقول: أين زيد؟ وكيف هو؟ ومتى نصر الله؟ كأنه قال: الإقامة بالزوراء فبماذا. (بالزوراء): الباء تكون للظرفية في الزمان كقوله تعالى: ﴿وَإِنَّكُمْ لَنُفُؤُونَ عَلَيْهِمْ مَّصِيبِينَ وَيَأْتِلُ﴾ [الصفات: ١٣٧]. وللظرفية في المكان كهذه ومجيئها للمكان أكثر منها في الزمان. وتكون للسببية، كقوله تعالى: ﴿فَيُظْمَرُ مِنَ الَّذِينَ هَادُوا﴾ [النساء: ١٦٠]. وللاستعانة نحو كتبت بالقلم وذبحت بالسكين، وللتعدي كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ﴾ [البقرة: ٢٠]. وللالتصاق نحو: مرتت بزيد، وللمصاحبة نحو: بعثك الدار بأثاثها ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَحْنُ سُبْحٌ بِحَمْدِكَ﴾ [البقرة: ٣٠]، وبمعنى من التي للتبعض كقول الشاعر^(٤): [من الكامل]

فَلْتُمْتُ فَاهَا آخِذَا بِقُرُونِهَا شَرِبَ التَّزْيِيفَ بِبَرْدِ مَاءِ الْحَشْرِجِ^(٥)
 ذكر ذلك الفارسي في تذكرته. وحكي مثله عن الأصمعي في قول الشاعر:
 [من الطويل]

شَرِبْنَ بِمَاءِ الْبَحْرِ ثُمَّ تَرَفَعَتْ مَتَى لُجَجٌ خُضِرَ لَهُنَّ نَيْجٌ

- (١) هو أبو الفتح، عثمان بن جني الموصلي: من أئمة الأدب والنحو. وُلد بالموصل، وتوفي ببغداد سنة ٣٩٢هـ / ١٠٠٢م. (شذرات الذهب: ٤٠/٣).
- (٢) هو أبو علي، محمد بن المستنير بن أحمد، الشهير بقطرب: نحوي، عالم بالأدب واللغة، من أهل البصرة. توفي سنة ٢٠٦هـ / ٨٢١م. (تاريخ بغداد: ٢٩٨/٣).
- (٣) هو أبو الوليد، حسان بن ثابت بن المنذر الخزرجي الأنصاري: شاعر الرسول ﷺ وصاحبه، وأحد المخضرمين الذين أدركوا الجاهلية والإسلام. توفي سنة ٥٤هـ / ٦٧٤م. (طبقات ابن سلام: ٢١٥؛ الشعر والشعراء: ٢٢٣/١؛ خزانة الأدب: ٢٢٧/١).
- (٤) الشاعر هو عمر بن أبي ربيعة، والبيت في ديوانه: ١٣٦/١.
- (٥) فاهها: فمها. القرون: ذوائب الشعر. التزيف: الشديد الظمأ. ماء الحَشْرِج: الماء الراكد الصافي، والحَشْرِج: نقرة في الصخر يستقر فيها الماء.

هذا كلام الشيخ بدر الدين محمد بن جمال الدين بن مالك، وفيه تأييد لمذهب الشافعي في مسح بعض الرأس، وخالفه مالك رحمه الله تعالى، وجماعة من أهل العربية، وأنكروا ذلك، منهم محب الدين أبو البقاء العكبري^(١)، فإنه قال في قوله تعالى: ﴿رُءُوسِكُمْ﴾ الباء زائدة، وقال: من لا خبرة له بالعربية أن الباء في مثل هذا للتبعية، وليس بشيء يعرفه أهل العلم. ووجه دخولها أنها تدل على إلصاق المسح بالرأس، ذكر ذلك في إعرابه. قلت: قال الشيخ شهاب الدين القرافي: إذا قلت مسحت بالمنديل، وكتبت بالقلم، وطفيت بالبيت، فمن المعلوم أنك ما مسحت بكل المنديل، ولا كتبت بكل القلم، ولا طفيت بكل البيت، علوّاً وسفلاً وباطناً وظاهراً، وإنما مسحت ببعض ذا، وكتبت ببعض ذا، وطفيت بظاهر ذا. وقال الإمام فخر الدين الرازي في تفسيره، قال الشافعي: في مسح الرأس الواجب فيه أقل شيء يُسمّى مسحاً للرأس. وقال مالك: يجب مسح الكل. وقال أبو حنيفة: يجب مسح قدر ربع الرأس. وحنّة الشافعي أنه لو قال: مسحت بالمنديل فهذا لا يصدق إلا عند مسحه ب كله. أما لو قال: مسحت يدي بالمنديل فهذا يكفي في مسح اليد بجزءٍ من أجزاء ذلك المنديل. إذا ثبت هذا فنقول: قوله تعالى: ﴿وَأَمْسَحُوا رُءُوسَكُمْ﴾ [المائدة: ٦] يكفي في العمل به مسح اليد بجزءٍ من أجزاء الرأس. ثم ذلك الجزء غير مقدّر في الآية، فإن أوجبنا تقديره بمقدار معيّن لم يكن ذلك القدر إلا بدليل مغاير لهذه الآية فيلزمكم ضرورة أن تقولوا: إن الآية مُجمّلة، وهو خلاف الأصل. فإن قلنا: إنه يكفي في إيقاع المسح على أي جزءٍ كان من أجزاء الرأس، كانت الآية مبيّنة مقيدة. ومعلوم أن حمل الآية على محمل تبقى الآية معه مقيدة أولى من حمله على محمل تبقى الآية معه غير مقيدة، فكان المصير إلى ما قلناه أولى. وهذا استنباط حسن من الآية، انتهى. قلت: هذا بحث مع مالك رضي الله عنه في إيجابه مسح كل الرأس، ومع أبي حنيفة رضي الله عنه في تقدير الربع. وأما منع من قال بزيادتها، فقد قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس رحمه الله تعالى: لا تُزاد الباء بالقياس إلا في الخبر المنصوب مع ما، وليس، وكان، إذا وليت النفي. وفي فاعل كفى، وفي فاعل التعجب، نحو أحسن يزيد على رأي البصريين. وما عدا ذلك فليس بقياس بل هو مسموع كزيادتها في المبتدأ، نحو بحسبك أن تفعل لا غير، ومع الفاعل، نحو قول امرئ القيس^(٢): [من الطويل]

أَلَا هَلْ أَتَاهَا وَالْحَوَادِثُ جَمَّةٌ بَأَنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ بِنَ تَمْلِكُ بَيَقْرَا

(١) هو أبو البقاء، محب الدين، عبد الله بن الحسين بن عبد الله العكبري البغدادي: عالم باللغة والأدب والفرائض والحساب. توفي ببغداد سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م. (الأعلام: ٨٠/٤).

(٢) لم يرد هذا البيت في ديوانه.

أي أقام بالحضر، وترك البادية. وما كان مثله، ومع المفعول، نحو قرأت بالسورة، وألقى بيده، ونحو ذلك، ومع خبر المبتدأ في الإثبات عند الأخفش؛ وأعرب عليه قوله تعالى: ﴿جَزَاءُ سَيِّئَةٍ يَمْثِلُهَا﴾ [يونس: ٢٧]. وإنما قال ابن عصفور في قوله تعالى: ﴿أَلَيْسَ ذَلِكَ يَقْدِرُ﴾ [القيامة: ٤٠] إنه نادر، وإن كان في خبر ليس، لأن ليس هناك بدخول الهمزة عليها لم يبق معناها النفي، وصار الكلام تقريراً. ويعني بقوله نادر، أي في صحة القياس لا في الاستعمال. وعلى هذا يُخرَج كل ما جاء في الكتاب العزيز (رجع القول إلى تقسيم الباء) وتأتي بمعنى عن، كقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [الفرقان: ٢٥] وقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ بِالْغَمِّ﴾ [المعارج: ١] (بالزوراء): موضعه نصب على أنه ظرف للإقامة (لا سَكْنِي): هذه لا التي لنفي الجنس وسيأتي الكلام عليها عند قوله: فلا صديق إليه مشتكى حزني، وسكني منصوب، والأصل سَكْنًا لي، وإنما نصب لأنه اسم لا وأضيف إلى ياء المتكلم والفتحة مقدرة على النون. (بها): الباء للظرفية، وها ضمير يرجع إلى الزوراء، وعلامة الجر تظهر لأن المضمرات مَبْنِيَّات. (ولا): الواو عاطفة ولا هي التي لنفي الجنس. (ناقتي): اسم لا وقد أضيف إلى ياء المتكلم والفتحة مقدرة على التاء. (فيها): في هنا ظرفية والضمير راجع إلى الزوراء. (ولا جَمَلِي): إعرابه كما تقدّم. (المعنى): إقامتي في بغداد لأي شيء ولا سكن لي بها ولا علاقة لي فيها، بدليل ما ضربته من المثل في قوله: ولا ناقتي فيها ولا جملي، فقد تبرّم من المقام فيها كل التبرّم لما استفهم استفهام منكر على نفسه وموبخ لها على المقام فيها، وإذا كان كذلك فرحيله عنها متعين: [من الطويل]

وإنَّ صَرِيحَ الْحَزْمِ وَالرَّأْيِ لِأَمْرِي إِذَا بَلَغَتْهُ الشَّمْسُ أَنْ يَتَحَوَّلَا
وقد خرج رسول الله ﷺ من مكة شرفها الله تعالى وهي أحبّ البقاع إليه، وهاجر إلى طيبة لما نَبَا المقام به، وكان من أمره ما كان. وعاد إليها بعد مدّة، وفتحها الله عليه، وهو في عشرة آلاف، بعدما خرج منها هو وأبو بكر منفردين. ولما خرج رسول الله ﷺ منها قال: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخْرَجْتَنِي مِنْ أَحَبِّ الْبَقَاعِ إِلَيَّ فَأَسْكِنِي فِي أَحَبِّ الْبَقَاعِ إِلَيْكَ. وبهذا تمسك من فضل المدينة على مكة شرفها الله تعالى. وأما البقعة التي احتوت على جسده الكريم وَلَمَّتْ أجزاء جسمه الجسيم، فلا خلاف في أنها أشرف بقاع الأرض. وقد قال ﷺ: إن المدينة لتنفني خبثها كما ينفي الكير خبث الحديد. وبه تمسك مالك في تقديم إجماع فقهاء المدينة على الحديث، ولم يركب مالك في المدينة ظهر دابةً قطّ، وكان يقول: أستحي أن أطا بحافر دابةً أرضاً فيها قبر رسول الله ﷺ. ولما أشرف أبو الفضل الجوهري على

المدينة نزل عن راحلته وأنشد قول أبي الطيّب^(١): [من الطويل]
وَلَمَّا رَأَيْنَا رَسْمَ مَنْ لَمْ يَدْعُ لَنَا فُؤَاداً لِعَرْفَانِ الرُّسُومِ وَلَا لُبّاً^(٢)
نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً لِمَنْ بَانَ فِيهِ أَنْ تُلِمَّ بِهِ رَكْباً^(٣)
هدم فيه موضعين: الأول: وكيف عرفنا. والثاني: لمن بَانَ عنه لأنه لو
تركهما ما لَاقَ بالمقام، وينهدم معنى بَانَ أيضاً لأنه في الأصل من البين، وهو
الفراق. وفي حالة الاستشهاد يكون من البيان، وهو الظهور، وهذا يجري أيضاً في
قول أبي الطيّب^(٤): [من البسيط]
رُوحٌ تَرَدَّدُ فِي مِثْلِ الْخِلَالِ إِذَا أَطَارَتِ الرِّيحُ عَنْهُ الثُّوبَ لَمْ يَبْنِ
فَيَحْتَمِلُ الْمَعْنِينَ لَمْ يَبْنِ مِنَ الظُّهُورِ، أي لم يظهر، ولم يَبْنِ من الفراق، أي
لم يتخلف عن الطيران من السقم، بل يلزم الثوب ولم يَبْنِ عنه وهذا الثاني أدقُّ
معنى وألطف من الأول. قال ابن خفاجة الأندلسي: لو قال أبو الطيّب: [من الطويل]
نَزَلْنَا عَنِ الْأَكْوَارِ نَمْشِي كَرَامَةً لِأَهْلِيهِ أَنْ نَعُشَى رُسُومَهُمْ رَكْباً
لَجَاءَ الْبَيْتُ أتمَّ جَزَالَةً. لكنَّ أبا الطيب إنما كان يتمثل بالمعاني ولا يبالي
بالألفاظ. وربما قال قائل: لفظة بَانَ عنه تعطي معنى الرسوم لأن المنزل إذا بَانَ عنه
ساكنه أقوى، فاللفظان متساويان فيقال له: هذا أصرح من ذاك وأنت تجد قولك: لقيتُ
مَنْ ضَرَبَ زَيْدًا قد نزل عن قولك الذي ضرب زيداً وكان ذلك إنما ينزل في النفس عن
مرتبة الجلالة في اللفظ لا في المعنى. وقال ابن خفاجة عقب ذلك: [من الكامل]
وَتَلَدَذَذْتُ نَحْوَ الْجَمَى بِي نَظْرَةً عُدْرِيَّةً ثَنَّتِ الْعِنَانَ إِلَى الْجَمَى
فَلَوَيْتُ أَعْنَاقَ الْمُطِيِّ مُعَرَّجاً وَنَزَلْتُ أَعْتَنُقُ الْأَرَاكَ مُسَلِّماً
فِي مَنْزِلٍ مَا أَوْطَأَتْهُ حَافِراً عَرَبُ الْجِيَادِ وَلَا الْمُطَايَا مَنْسِماً
قلت: الذي أورده ابن خفاجة حسن، ولكنه أتى بمعنى أبي الطيّب في ثلاثة
أبيات. وقد لمحت أنا إلى قول ابن خفاجة فنظمته وزدت فيه مع الاستعارة حُسْنَ
التعليل وهو: [من الكامل]
أَضْحَى نَسِيمٌ دَمَشَقَ حَيَّاهَا الْحَيَا يَمْشِي الْهُوَيْنَا فِي ظِلَالِ حِمَاهَا

(١) ديوان المتنبي: ٨٦/٢.

(٢) في الديوان: «وَكَيْفَ عَرَفْنَا». اللَّبُّ: الْعَقْلُ.

(٣) الأكوار: رجال الجمل.

(٤) ديوان المتنبي: ١١٧/١.

فَكَأَنَّهُ مِنْ مَّائِهَا وَهَضَابِهَا مَا دَاسَ إِلَّا أَعَيْنَا وَجِبَاهَا
وقال ابن بسّام في «الذخيرة»: أول من بكى الرّبع واستبكى ووقف واستوقف
الملك الضّلّيل حيث يقول: قِفَا نَبِكْ مِنْ ذِكْرِ حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ، ثم جاء أبو الطيّب، فنزل
وترجّل ومشى في آثار الديار حيث يقول: نزلنا عن الأكوار نمشي كرامةً. ثم جاء
المعرّي أبو العلاء فلم يقنع بهذه الكرامة حتى خشع وسجد حيث يقول: [من الطويل]
تَحِيَّةٌ كَسَرَى فِي الثَّنَاءِ وَتُبَّعَ لِرُبْعِكَ لَا أَرْضَى تَحِيَّةً أَرْبَعَ
وما أحسن قول ابن الساعاتي بهاء الدين علي من أبيات يصف المطر: [من الطويل]
سَرَى رَاكِبًا ظَهَرَ الْغَمَامُ كَرَامَةً فَلَمَّا تَرَاءَى هَضْبٌ نَجْدٍ تَرَجَّلَا
أنظر إلى هذا المعنى فإنه رحمه الله من كلام أبي الطيّب، ولكن نقله نقلاً
حسنًا.

قرأت على الشيخ الإمام الأديب الكاتب القاضي شهاب الدين أبي الثناء
محمود بن زين الدين سليمان بن فهد الحلبي بدمشق، مجلدة من نظمه في مدح
سيدنا رسول الله ﷺ وسمّها «بأسنى المنائح في أهنى المدائح»، من ذلك في أثناء
قصيدة: [من الطويل]

أَلَا حَبْدًا مَسْرَى الرِّكَابِ وَقَدْ رَأَتْ لَهَا مُعَلِّمًا عِنْدَ الثَّنِيَةِ مُعَلِّمًا
وَقَدْ نَزَلَ الرِّكَابُ عَنْهَا وَعَقَرُوا سُخِيرًا عَلَى الْأَرْضِ الْوُجُوهُ لِتَكْرَمًا^(١)
وَلَا حَاحَ الْحَمَى وَالصَّبْحُ فِي طَرَةِ الدُّجَى فَلَمْ يَدْرِ مَا شَقَّ الْحَنَادَسِ مِنْهُمَا^(٢)
وَقَدْ أَشْرَفَتْ تِلْكَ الْقَبَابُ وَأَشْرَقَتْ وَجُوهُ زَهَاها الْحَسَنُ أَنْ تَتَلَثَّمَا^(٣)

ومن شعره أيضاً في الكتاب المذكور: [من الطويل]

كَأَنِّي بِكُمْ وَالْبَيْدُ تُطْوَى لَدَيْكُمْ وَقَدْ فُزْتُمْ دُونَ الْمُتَيَّمِ بِاللِّقَا
وَلَا حَتَّ لَكُمْ بَيْنَ النَخِيلِ أَشْعَّةُ أَضَاءَتْ لَهَا الْأَكْوَانُ غَرْبًا وَمَشْرِقًا
وَقَدْ عَفْتُمُ الْأَكْوَارَ لَمَّا عَلِمْتُمْ بِهَا أَنَّ تِلْكَ الْأَرْضَ أَشْرَفُ مُرْتَقَى
وَسَابَقْتُمْ أَقْدَامَكُمْ بِوُجُوهِكُمْ لِيَشْرُفَ خَدُّ ظَلٍّ بِالثَّرْبِ مُلْصَقًا

وما أحسن قوله: سَابَقْتُمْ أَقْدَامَكُمْ بِوُجُوهِكُمْ، وما أعجز البيت الرابع من

(١) عَفَرُوا الوجوه: مَرَّغَوْهَا بِالْعَفْرِ، وهو التراب. سُخِيرٌ: تصغير سحر: آخر الليل قبيل الفجر.

(٢) الحنادس: جمع الحندس: الظلمة.

(٣) تَتَلَثَّمُ: تجعل على فمها اللثام: القناع.

القطعة الأولى، فهو مضمن من قول عمر بن أبي ربيعة المخزومي^(١): [من الطويل]
فَلَمَّا تَوَافَيْنَا وَسَلَّمْتُ أَشْرَقَتْ وَجُوهَ زَهَاها الْحُسْنُ أَنْ تَتَقَنَّعَا^(٢)

كانت عائشة بنت طلحة بن عبيد الله^(٣) لا تستر وجهها بشيء، فلما دخل بها مصعب بن الزبير^(٤) كلّمها في ذلك فقالت: إن الله عز وجل قد وسّمني بوسم جمال فأحببت أن يراه الناس، والله ما فيّ وصمة أستتر لها. ذكرت بخروج رسول الله ﷺ من مكة قول جمال الدين بن مطروح^(٥): [من الكامل]

لَا تُنْكِرْنَ لِأَهْلِ مَكَّةَ قَسُوءَ وَالْبَيْتِ فِيهِمْ وَالْحَطِيمِ وَزَمْزَمَ
أَذَوَا رَسُولَ اللَّهِ وَهُوَ نَبِيُّهُمْ حَتَّى حَمَتُهُ أَهْلُ طَيْبَةِ مِنْهُمْ
رَأَفَ الْإِلَهَ عَلَى الَّذِي قَدْ جَاءَهُ سَلْبًا فَلَا يَأْتِيهِ إِلَّا مُحَرَّمُ

رجع القول إلى طلب خروج الطّغرائي من بغداد. وعن رسول الله ﷺ:
العباد عباد الله، والبلاد بلاد الله، فأينما وجدت الخير فأقيم واتق الله. قال المتنبي^(٦): [من الطويل]

وَكُلَّ أَمْرٍ يُؤَلِّي الْجَمِيلَ مُحَبَّبٌ وَكُلُّ مَكَانٍ يُنْبِتُ الْعِزَّ طَيِّبُ
والمقادير عجائب، وفوائد قوم عند قوم مصائب، هذا يقول في بغداد هذه المقالة، والعكوك^(٧) يقول لما كره عنها ارتحاله: [من السريع]
لَهْفِي عَلَى بَغْدَادٍ مِنْ بَلَدٍ كَانَتْ مِنَ الْأَسْقَامِ لِي جُنَّةُ^(٨)
كَأَنَّنِي عِنْدَ فِرَاقِي لَهَا أَدُمُ لَمَّا فَارَقَ الْجَنَّةُ

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٢٤/٢.

(٢) في الديوان: «فلما توافقنا». توافقنا: تقابلنا متواجهين. زهاها الحسن: زها بها تيهًا. تتقنّع: تضع القناع.

(٣) أديبة، عالمة بالأخبار، فصيحة. أمها كلثوم بنت أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وخالتها أم المؤمنين عائشة. توفيت سنة ١٠١هـ/ ٧١٩م. (الأعلام: ٣/٢٤٠).

(٤) هو أبو عبد الله، مصعب بن الزبير بن العوام بن خويلد الأسدي القرشي: أحد الولاة الأبطال في صدر الإسلام. توفي سنة ٧١هـ/ ٦٩٠م. (الأعلام: ٧/٢٤٨).

(٥) هو جمال الدين، يحيى بن عيسى بن إبراهيم، الشهير بابن مطروح: شاعر أديب من أهل مصر. ولد بأسبوط، وتوفي بالقاهرة سنة ٦٤٩هـ/ ١٢٥١م. (شذرات الذهب: ٥/٢٤٧).

(٦) ديوان المتنبي: ٢/٢٧٨.

(٧) هو أبو الحسن، علي بن جبلة بن مسلم بن عبد الرحمن الأنباوي، المعروف بالعكوك: شاعر عراقي مجيد، كان أعمى أسود أبرص. توفي سنة ٢١٣هـ/ ٨٢٨م. (تاريخ بغداد: ١١/٣٥٩).

(٨) الجُنَّة: السُّتْرَةُ، أو كُلُّ مَا وَقَى الْإِنْسَانَ مِنْ سِلَاحٍ وَنَحْوِهِ.

وأبو العلاء المعري يقول^(١): [من البسيط]

بَتَّ الزمانُ حِبالي من حِبالكُم أعزُّ عليَّ بِكَوْنِ الوصلِ مَبْتُوتًا^(٢)
ذمَّ الوليدَ وَلَمْ أذمَّم جِواركُم فقال ما أنصفتُ بِغدادَ حُوشيتا

يشير إلى قول البحري رحمه الله^(٣): [من الكامل]

ما أنصفتُ بِغدادَ حينَ توحَّشتُ لِنزِيلِها وَهِيَ المَحَلُّ الآنسُ

وابن الرومي قال يتشوّق إلى بغداد^(٤): [من الكامل]

بلدٌ صَحِبْتُ بها الشَّبيبةَ والصِّبا وَلَبَسْتُ ثوبَ العَيْشِ وَهُوَ جَدِيدُ^(٥)
فإذا تَمَثَّلَ في الضميرِ رَأيتُهُ وَعَلَيْهِ أَغْصانُ الشَّبابِ تَمِيدُ^(٦)

وأما الشريف الرضي فإنه قال فيها: [من السريع]

مَالي لا أرغبُ عَنْ بَلَدَةٍ يُكثِرُ فيها الدَّهْرُ حُسَّادِي
ما الرزقُ في الكَرخِ مُقيماً ولا طَوَّقُ العُلَى في جِدِ بَغدادِ

وقال: [من الطويل]

أَبغدادُ مَالي فيكَ نَهْلَةٌ شاربٍ مِنْ العَيْشِ إِلَّا والخطوبُ مِزاجُها

لَمَّا نَبَتَ بِغدادَ بالقاضي عبد الوهاب المالكي^(٧)، خرج منها طالباً مصر، فَشَيَّعَهُ مِنْ أَكابرِ أَهلِها وَفَضلائِها جماعة موفورة، فقال لهم لما ودعهم: لو وجدتُ بين ظهرائكم كل غداةٍ وعشيةً رغيفين ما فارقتها. ومن شعره فيها: [من البسيط]

بَغدادُ دارٌ لأهلِ المَمالِ طَيِّبَةٌ وَلِلْمَفاليسِ دارُ الصَّنْكِ والضيقِ
أَقَمْتُ فيها مُضاعاً بين ساكنِها كَأَنني مُصَحَفٌ في بَيْتِ زَنديقِ

وواقعة القاضي عبد الوهاب تشبه واقعة النضر بن شميل^(٨) النحوي، فإنه لما

(١) ديوان أبي العلاء (سقط الزند): ١٦٥.

(٢) بَتَّ الشيءَ بَتًّا، وَبَتَّته، وَبَتَّاتًا: قَطَعَهُ مُسْتَأْصلاً. مَبْتُوتٌ: مَقْطُوعٌ.

(٣) ديوان البحري: ٤٣٠/١. (٤) ديوان ابن الرومي: ٢٧٠/٢.

(٥) في الديوان: «صحبته به»؛ و«لَبَسْتُ فيه العَيْشَ».

(٦) في الديوان: «وعليه أفنان». الأفنان: الأغصان.

(٧) هو أبو محمد، عبد الوهاب بن علي بن نصر الثعلبي البغدادي: قاضٍ من فقهاء المالكية. توفي سنة ٤٢٢هـ/ ١٠٣١م. (شذرات الذهب: ٢٢٣/٣).

(٨) هو أبو الحسن، النضر بن شميل بن خرشة بن يزيد المازني التميمي: أحد الأعلام بفقهِ اللغة، وأيام العرب، ورواية الحديث. توفي بمرور سنة ٢٠٣هـ/ ٨١٩م. (الأعلام: ٣٣/٨).

ضاقَت معيشته بالبصرة خرج يريد خراسان، فشَبَّعه من أهلها نحو ثلاثة آلاف رجل ما فيهم إلا محدّث، أو نحوي، أو عروضي، أو إخباري، أو لغوي. فلما صار بالمربد قال: يا أهل البصرة يعزّ عليّ فراقكم، واللّه لو وجدت كل يوم كيلجة^(١) باقلاء ما فارقتكم، فلم يكن فيهم من يتكلف له ذلك. ذكر ذلك أبو عبيدة في مثالب أهل البصرة. وقال إبراهيم الغزي: [من البسيط]

مالي وللمكث في الزوّاء يُجحفُ بي مَنْ ألقح العَجَزَ لم يَفْرَحْ بما نَتَجَا
قلبي أظنّ هو المعدي مَساكنها بنارٍ لوعته لما ارتقى دَرَجَا
فالدُّورُ مُحترقاتٌ والهَجيرُ بها يُساعد الهَجَرَ فيما يَسبُكُ المُهَجَا
وقال التهامي: [من البسيط]

بَعْضُ التفرُّقِ أدنى للقاءِ وكم رأيتُ شَملاً بِشَمْلٍ غَيْرِ ملتئم
كَيْفَ المَقامُ بأرضٍ لا يُخافُ بها ولا يُرَجّى شَبَا رُمحي ولا قَلَمي^(٢)
وقال شرف الدين القيرواني: [من البسيط]

وَصَيَّرَ الأَرْضَ داراً والوَرى رَجُلاً حتّى تُرى مُقبلاً في الناسِ مَقْبُولَا
وهو مأخوذ من قوله: [من البسيط]

شَرَفٌ وَغَرَبٌ تَجِدُ مِنْ غَادِرٍ بَدَلَا فالأَرْضُ مِنْ تُربةٍ والناسُ مِنْ رَجُلٍ
وقال أبو العرب مصعب الصقلي^(٣): [من الطويل]

إذا كانَ أصلي مِنْ تُرابٍ فَكُلُّها بلادي وكُلّ العَالَمينَ أَقاربي
وقال أبو فراس^(٤): [من البسيط]

مَنْ كانَ مِثْلِي فالدنيا له وَطَنٌ وكلّ قَوْمٍ عَدَا فيهم عَشاءِرُهُ^(٥)
وَمَا تَمَدُّ له الأطنابُ في بَلَدٍ إلا تَضَعُضَعُ بِأيديهِ وَحَاضِرُهُ^(٦)

(١) الكيلجة: كيل معروف عند أهل العراق، وهي «مَن» وسبعة أثمان المَن. والمَن: رطلان.

(٢) الشَّبَا: جمع الشَّابَة، وهي من السيف أو الرمح: حَدُّ طرفه.

(٣) هو أبو العرب، مصعب بن محمد بن أبي الفرات القرشي العبدي الصقلي: شاعر، عالم بالأدب، من أهل صقلية. توفي سنة ٥٠٦ هـ / ١١١٢ م. (الأعلام: ٢٤٩/٧).

(٤) ديوان أبي فراس: ١٢٩.

(٥) في الديوان: «يُمسي وكلُّ بلادٍ حَلَّها وَطَنٌ».

(٦) الأطناب: الحبال تُشدُّ بها الخيمة. تَضَعُضَعُ: تَهْدَمُ، أو ضَعُفَ.

وقال مسلم بن الوليد: [من الطويل]

فَإِنَّ الْفَتَى مَا عَاشَ رَهْنُ تَقْلُبِ مُزَالِ بِصَرْفِي دَهْرِهِ الْمُتَحَوِّلِ
وَقَدْ عَجَمْتُ مَتَى الْخُطُوبُ ابْنَ حُرَّةٍ مَتَى مَا تُرِيهِ مَنْزِلَ السَّوءِ يَرْحَلِ^(١)

وقال أبو الطيب^(٢): [من المنسرح]

إِذَا صَدِيقٌ نَكَرْتُ جَانِبَهُ لَمْ تُعِينِي فِي فِرَاقِهِ الْحِيلُ
فِي سَعَةِ الْخَافِقِينَ مُضْطَرَبٌ وَفِي بِلَادٍ مِنْ أَخْتِهَا بَدَلُ

وقال أيضاً^(٣): [من الوافر]

وَلَمْ أَرْ مِثْلَ حِيرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مُقَامُ
بِأَرْضٍ مَا اشْتَهَيْتُ رَأَيْتُ فِيهَا فَلَيْسَ يَعُودُهَا إِلَّا الْكِرَامُ^(٤)

وقال أبو تمام^(٥): [من الوافر]

وَمَا رُبُّعُ الْقَطِيعَةِ لِي بِرُبُعٍ وَلَا نَادِي الْأَدَى مِثِّي بِنَادِي

وقال ابن سناء الملك: [من مجزوء الكامل]

لِمَ لَا أَهَيِّنُ صِغَارَهُمْ وَكِبَارَهُمْ تِيهًا وَكِبَرًا
مَا النَّيْلُ مِنْ مَاءِ الْحَيَا وَلَا جَمِيعُ الْأَرْضِ مِضْرًا

هذا يشبه قول الشريف الرضي: ما الرزق في الكرخ «البيتين». وقد تقدما، والأصل فيه قول ابن أخي أبي دلف العجلي: [من الطويل]

دَعِينِي أَجُوبُ الْأَرْضَ فِي طَلَبِ الْغِنَى فَمَا الْكَرْخُ الدُّنْيَا وَلَا النَّاسُ قَاسِمُ

يعني عمه أبا دلف الذي قال فيه الْعَكُوكُ رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا^(٦): [من المديد]

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دَلْفٍ بَيْنَ بَادِيَةٍ وَمُحْتَضِرَةٍ
فَلِإِذَا وَلَّى أَبُو دَلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

وقال الغزي: [من البسيط]

مَنْ ظَنَّ أَنَّ الْقَوَافِي لَا تُشَوِّرُ لَهَا فَلْيَذْكُرِ الْقَاسِمَ الْعِجْلِيَّ وَالْكَرْخَا

(١) عجمته الخطوب: امتحنته واختبرته، وهو من عجم العود: عَصُهُ ليعلم صلابته من رخاوته.

(٢) ديوان المتنبي: ٢٧٣/١.

(٣) ديوان المتنبي: ٢٢٩/١.

(٤) في الديوان: «فليس يُقَوِّتُهَا».

(٥) ديوان أبي تمام: ٢١٥/١.

(٦) لباب الأداب: ٣٤٤.

وما أحسن قول الجزار يمدح موسى بن يغمور: [من الكامل]

لَمَّا تَوَالَى حُكْمُهُ قُلْنَا لَهُ مِمَّا رَأَيْنَا أَنْتَ مُوسَى الْكَاطِمُ
إِنِّي وَإِنْ كُنْتُ حَبِيباً عَنْدَهُ فَإِنَّهُ لِلرَّزْقِ عِنْدِي قَاسِمُ

يريد بقوله حبيباً، أبا تمام الطائي، وبقوله قاسم، أبا دلف العجلي. لأن أبا تمام له فيه مدائح كثيرة مشهورة. ويعجبني أبيات ابن حمديس الصقلي وهي: [من المتقارب]

ذَكَرْتُ صِقْلِيَّةً وَالْأَسَى يُهَيِّجُ لِلنَّفْسِ تَذْكَارَهَا
فَإِنْ كُنْتُ أَخْرَجْتُ مِنْ جَنَّةٍ فَإِنِّي أَحَدْتُ أَخْبَارَهَا
وَلَوْلَا مُلُوحَةٌ مَاءِ الْبُكََا حَسِبْتُ دُمُوعِي أَنْهَارَهَا

وقال ابن اللبانة^(١) في صاحب المربد: [من المتقارب]

جَنَابُ ابْنِ مَعْنٍ تَجَنَّبَتْهُ فَلَمْ يُرْضَنِي بَعْدَهُ الْعَالَمُ
وَكَانَتْ مَدِينَتُهُ جَنَّتِي فَجِئْتُ بِمَا جَاءَهُ آدَمُ

ومما اتفق لي نظمه بالرحبة: [من المجتث]

وَبَلَدَةٍ قَدْ رَمَتْنِي بِكُلِّ دَاءٍ عَنَّا دَا
وَلَوْ رَجَعْتُ لِأَهْلِي كَانَتْ بِلَادِي بِلَادَا

وقلت فيها أيضاً: [من المجتث]

بِالرَّحْبَةِ انْهَدَّ رُكْنِي وَذَابَ عَظْمِي وَجِلْدِي
لِصَيْفِهَا حَرٌّ حُرٌّ وَلِلشَّتَاءِ بُرْدٌ بَرْدٌ

وقلت فيها أيضاً: [من مخلص البسيط]

عَدِمْتُ بِالرَّحْبَةِ اكْتِسَابِي فَلَا قَرِيضٌ وَلَا قُرَاضُهُ
وَكُلَّ طَرْفِي بِهَا وَفُكْرِي فَلَا رِيَاضٌ وَلَا رِيَاضُهُ

وقلت: [من السريع]

تَبَّالْهَامِنْ بَلَدَةٍ لَا أَرَى فِيهَا مُقَامِي وَاضِحَ النَّهْجِ
لَأَنَّهَا فِي وَجْهِ سُكَّانِهَا وَأَهْلِهَا تَبْصُقُ بِالثَّلْجِ

وما أعرف أحداً ضمن هذا المثل، أعني لا ناقة لي في هذا ولا جمل، أمكن ولا

(١) ذكرت كتب التراجم والأدب شاعراً أندلسياً يعرف بابن اللبانة، هو أبو بكر، محمد بن عيسى بن محمد اللخمي الأندلسي، المتوفى سنة ٥٠٧هـ / ١١١٣. (الأعلام: ٣٢٢/٦).

أحسن من قول الشهاب أبي الثناء محمود أنشدني لنفسه إجازةً من قصيدة: [من البسيط]
 أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ أَيْنَ الْغَيْثُ مُنْفَصَلاً مِنْ بَرِّهِ وَهُوَ طُولُ الدَّهْرِ مُتَّصِلُ
 مَنْ حَاتَمَ عَدَّ عَنْهُ وَاطَّرَحَ فَبِهِ فِي الْجُودِ لَا بِسِوَاهُ يُضْرَبُ الْمَثَلُ
 أَيْنَ الَّذِي بَرَّهَ الْآلَافُ يَتَّبِعُهَا كَرَائِمُ الْخَيْلِ مِمَّنْ بَرَّهَ الْإِبِلُ
 لَوْ مَثَلَ الْجُودَ سَرَحاً قَالَ حَاتَمُهُمْ لَا نَاقَةَ لِي فِي هَذَا وَلَا جَمَلَ^(١)

أنظر إلى قلقه في بيت الطغرائي، لأنه عطف الناقة والجمال على السكن، ولو عطف ما يناسب ذلك من أهل وولدٍ لكان أحسن وأوقع في النفس. وانظر إلى وروده في أبيات الشهاب محمود فإنه جاء في مكانه منسجم التركيب ثابتاً في معناه، حتى كأنه ما برز إلى الوجود إلا في هذا المكان ولا ظهر إلا في هذا القلب، ولست أنكر أن الناس قد ضمنوه كثيراً في أغراض مختلفة طلباً للتبرّي مما ينتفي الإنسان عنه. ولكن كلما كان الكلام أكثر ارتباطاً وتعلقاً في أجزائه كان أحسن. ألا ترى إلى قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني ومن خطه نقلت^(٢): [من الخفيف]

وَعُيُونٍ أَمْرَضْنَ جِسْمِي وَأَضْرَمَ نَ بَقْلِي لَوَاعِجَ الْبَلْبَالِ
 وَخُدُودٍ مِثْلَ الرِّيَاضِ زَوَاهِ مَا لِأَيَّامٍ حُسْنِهَا مِنْ زَوَالِ
 لَمْ أَكُنْ مِنْ جُنَاتِهَا عَلِمَ اللَّ هُ وَأَتَى لِحْمَرِهَا الْيَوْمَ صَالِي^(٣)

ما أحلاه وأرشفه، وكيف خدمته لفظة جُنَاتِهَا فصارت من الجنى لا من الجناية، وقد ضمن المتأخرون والمتقدمون هذا البيت. وما رأيت عقده الفريد على أحسن من هذا الجيد. وقوله أيضاً رحمه الله^(٤): [من الكامل]

هَذَا الَّذِي أَنَا قَدْ سَمَحْتُ بِحُبِّهِ كَرَمًا بِلَوْلِ دَمْعِي الْمَتَنَظِّمِ
 لَا تَحْرِمُونِي ضَمَّ أَسْمَرٍ قَدِّهِ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَّا بِمَحْرَمِ^(٥)

(١) السُّرُحُ: المال الراعي.

(٢) ديوان التلمساني (الشاب الظريف): ٢٧١.

(٣) في الديوان: «وإني بحرها».

(٤) ديوانه: ٣١٥.

(٥) الأسمر: الرمح، شبه قَدَّ المحبوب به. القنا: الرماح. وعجز البيت من قول عنترة بن شداد:

فَشَكَّكَتْ بِالرُّمَحِ الْأَصَمِّ ثِيَابَهُ لَيْسَ الْكَرِيمُ عَلَى الْقَنَّا بِمُحَرَّمِ

(ديوان عنترة: ٢٦).

كله حسن إلا قوله المتنظم، فإن لؤلؤ الدمع منشور على ما هو المشهور.
وانظر إلى قوله رحمه الله تعالى^(١): [من الطويل]

أيسعدني يا طلعة البدر طالعٌ ومن شفقوتي خطٌ بخديك نازلٌ
نعم قد تناهى في الجفاء تطاولاً وعند التناهي يقصُر المتطاول^(٢)

وإلى قول الشهاب أحمد بن جلنك^(٣) في أقطع: [من الطويل]

وأقطع قد أضحى وجودُ بماله ومن فضله في الناس ما ردّ سائلٌ
تناهت يده فاستطال عطاؤها وعند التناهي يقصُر المتطاول

فأي هذين يروق لقلبك؟ ويليق بلبك؟ لقد جرّ ابن جلنك ذيل الفخار عليه، وتناهى إلى رتبةٍ مشّت فيها المحاسن بين يديه، ولم أورد هذين التضمينين وأحدهما في الحسن كالقمر، والآخر قد خرّب على الأول ما شاد وعمر، إلا ليدو لك الفرق بين تمكين التضمين وقلقه. وعلى ذكر الأقطع قال ابن دانيال^(٤) رحمه الله: [من المجتث]

وأقطع قلتُ له هل أنت لىّ أوحدٌ
فقال هذي صنعةٌ لم يبق لي فيها يدٌ

وما أحلى قول ابن قلاقس رحمه الله: [من مجزوء الكامل]

كانت يدُ لك عند عـ بد أنت وخذك سيّده
فقطعتّها ويعزّ عـ دي قولهم قطعت يدّه

قول الطغرائي: «فيم الإقامة» هذا النوع يُسمّيه أرباب البديع عتاب المرء نفسه، وهو من إيراد ابن المعتز، ولم ينشد فيه سوى بيتين وهما: [من الطويل]

عصاني قومي والرشاد الذي به أمرتُ ومن يعص المجرّب يندم
فصبراً بني بكرٍ على الموت إنني أرى عارضاً ينهل بالموت والدم

(١) ديوانه: ٢٤٤.

(٢) في الديوان: «تناهى في الظلام».

(٣) هو شهاب الدين، أحمد بن أبي بكر الحلبي، المعروف بابن جلنك: شاعر ظريف ماجن. قُتل في مقاومة التتار سنة ٧٠٠هـ / ١٣٠١م بحلب. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٦٩٤/٣).

(٤) هو شمس الدين، أبو عبد الله، محمد بن دانيال بن يوسف الموصلّي الخزاعي: شاعر حرفي، كان يتكسب بتكحيل العيون ومداواتها بالقاهرة، فسُمّي بالحكيم الكحال. وعمل أيضاً بالتمثيل في «خيال الظل». توفي سنة ٧١٠هـ / ١٣١٠م. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٧٠٦/٣).

والشاهد في هذه التسمية قول القائل : [من الطويل]

فَقَدْ تَكُ مِنْ نَفْسٍ شِعَاعاً وَإِنِّي نَهَيْتُكَ عَنْ هَذَا وَأَنْتَ جَمِيعٌ^(١)
ومن التضمين المليح : قول زكي الدين بن أبي الإصبع^(٢) ، لأنه نقل الحماسة إلى الغزل : [من الطويل]

لَهُ مِنْ وَدَادِي مِلءٍ كَفَّيهِ صَافِياً وَلِي مِنْهُ مَا ضَمَّتْ عَلَيْهِ الْأَنَامِلُ
وَمِنْ قَدِّهِ الزَّاهِي وَنَبَتِ عِذَارِهِ صُدُورُ رِمَاحٍ أَشْرَعَتْ وَسَلَاسِلُ
وممن أجاد في التضمين وبلغ الغاية مجير الدين محمد بن تميم فإنه قال :
[من الطويل]

وَطَرَفٍ تَخْطُ الْأَرْضَ رِجْلَايَ فَوْقَهُ إِذَا مَا مَشَى ضَاقَتْ عَلَيَّ الْمَنَافِسُ^(٣)
وَمَا أَنَا إِلَّا رَاجِلٌ فَوْقَ ظَهْرِهِ وَلَكِنِّي فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسُ
نقله من الفِرَاسَةِ إلى الفُرُوسِيَّةِ ، وقال : [من الكامل]

لَوْ كُنْتُ فِي الْحَمَامِ وَالْجِنِّ عَلَى أَعْطَافِهِ وَلِجَسْمِهِ لِأَلَاءِ^(٤)
لَرَأَيْتَ مَا يَسْبِيكَ مِنْهُ بِقَامَةٍ سَالَ النُّضَارُ بِهَا وَقَامَ الْمَاءُ^(٥)
وكتب مع وردة أهداها : [من الكامل]

سَبَقْتُ إِلَيْكَ مِنَ الْحَدَائِقِ وَرَدَّةٌ وَأَتَيْتُكَ قَبْلَ أَوَانِهَا تَطْفِيلاً
طَمِعْتُ بِلَثْمِكَ إِذْ رَأَيْتُكَ فَجَمَعْتُ فَمَهَا إِلَيْكَ كَطَالِبٍ تَقْبِيلاً
وقال في زهر اللوز : [من الوافر]

أَزْهَرَ اللَّوْزِ أَنْتَ لِكُلِّ زَهْرٍ مِنَ الْأَزْهَارِ يَأْتِينَا إِمَامٌ
لَقَدْ حَسُنْتَ بِكَ الْأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّكَ فِي فَمِ الدُّنْيَا ابْتِسَامٌ
رفع إمام على أنه خير لأنت وقال : [من الوافر]

إِذَا هَجَرْتُنِي الصَّهْبَاءُ يَوْمًا أَرَى لِلنَّارِ فِي كَبْدِي اشْتِعَالًا

(١) نفس شعاع : تفرقت هيمتها وأراؤها فلا تتجه لأمرٍ جزم ، والشَّعَاعُ : المتفرق المنتشر .

(٢) هو زكي الدين ، أبو محمد ، عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر البغدادي ، المصري ، العدواني ، المعروف بابن أبي الإصبع : أديب ، نحوي ، فقيه ، شاعر . ولد بمصر ، وتوفي فيها سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م . (تاريخ الأدب العربي ، فروخ : ٥٧٤/٣) .

(٣) الطَّرْفُ : الحصان الكريم .

(٤) الأعطاف : جمع عطف : جانب الجسد من الرأس إلى الورك ، وهما عطفان .

(٥) النُّضَارُ : الذهب الخالص .

كَأَنَّ الهمَّ مَشْغُوفٌ بِقَلْبِي فَسَاعَةً هَجَرَهَا يَجِدُ الوَصَالَ
وقال : [من الوافر]

وَجِيرَانِ الْفُتُهِمْ زَمَانًا فَأَبْعَدَهُمْ نَوَى الْحَدَثَانِ عَنِّي
أَثَارُوا عَيْسَهُمْ فَجَرَتْ دُمُوعِي كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي^(١)
وقال : [من الطويل]

قِيَانٌ مَلاهيها يَلْدُ سَمَاعِهَا وَيُطْرِبُنَا مِنْهُنَّ عُودٌ وَمِزْهُرُ^(٢)
وَأَكْثَرُ مَا يُنْشِي لَنَا السَّكْرَ بَيْنَهَا أَنَابِيْبُ فِي أَجْوَافِهَا الرِّيحُ تَصْفُرُ
وكتب مع قَدَحٍ أَهْدَاهُ : [من الكامل]
أَهْدَيْتُهُ قَدْحًا فَإِنْ أَنْصَفْتُهُ أَوْسَعَتْهُ لِحِمَالِهِ تَقْبِيلًا
نَظَمْتُ بِهِ الصَّهْبَاءُ دُرَّ حَبَابِهَا حَتَّى يَصِيرَ لِرَأْسِهِ إِكْلِيلًا
وقال يرثي قَدْحًا : [من الطويل]

أَيَا قَدْحًا قَدْ صَدَعَ الدَّهْرُ شَمْلَهُ وَأَصْبَحَ بَعْدَ الرَّاحِ قَدْ جَاوَرَ التُّرْبَا
سَأْبَكِيكَ فِي وَقْتِ الصَّبُوحِ وَإِنِّي سَأَكْثُرُ فِي وَقْتِ الْعَبُوقِ لَكَ النَّدْبَا^(٣)
وَأِنْ قَطَبْتُ شَمْسُ المُدَامِ فَحَقُّهَا لِأَنَّكَ كُنْتَ الشَّرْقَ لِلشَّمْسِ وَالْغَرْبَا
وقال في مَلِيحٍ يَشْرَبُ بَفِيهِ : [من الكامل]

أَفْدِي الَّذِي أَهْوَى بَفِيهِ شَارِبًا مِنْ بَرَكَةِ طَابَتْ وَرَاقَتْ مَشْرَعَا^(٤)
أَبَدْتُ لِعَيْنِي وَجْهَهُ وَخَيَالَهُ فَأَرْتَنِي الْقَمْرَيْنِ فِي وَقْتِ مَعَا
وقال في مَلِيحٍ يَنْظُرُ فِي مِرَاةٍ : [من الكامل]

سَقِيَا لِمِرَاةِ الْحَبِيبِ فَإِنَّهَا جُلِيتْ بِكَفٍّ مِثْلَ غُضْنٍ أَيْنَعَا^(٥)
وَأَسْتَقْبَلْتُ قَمَرَ السَّمَاءِ بِوَجْهِهَا فَأَرْتَنِي الْقَمْرَيْنِ فِي وَقْتِ مَعَا
وقال رحمه الله : [من الكامل]

عَايَنْتُ فِي الْحَمَامِ أَسْوَدَ وَاثِبًا مِنْ فَوْقِ أَبْيَضَ كَالْهَلَالِ الْمُسْفِرِ

(١) العيسُ: النوق الكريمة.

(٢) المِزْهُرُ: العود الذي يُضْرَبُ بِهِ.

(٣) الصَّبُوحُ: شراب الصباح. الغبوق: شراب العشي.

(٤) المَشْرَعُ، والمَشْرَعَةُ، والشَّرِيعَةُ: مورد الماء الذي يُسْتَقَى مِنْهُ بِغَيْرِ رِشَاءٍ.

(٥) أَيْنَعُ الثَّمَرُ يَنْعًا، وَيُنَوِّعًا: أَدْرَكَ وَطَابَ وَحَانَ قُطَافُهُ، وَأَيْنَعُ الشَّيْءُ: قَنَأَ لَوْنُهُ.

فَكَأَنَّ مَا هُوَ زُورٌ مِنْ فِضَّةٍ قَدْ أَثْقَلَتْهُ حَمُولَةٌ مِنْ عَنَبٍ

وقال أيضاً: [من البسيط]

تَعِبْتُ حَتَّى جَوَادِي لَا حِرَاكَ بِهِ يَكَادُ مِنْ هَمَزِهِ بِالرَّكْضِ يَنْخَدُمُ^(١)
فَلَا يَغُرُّكَ مِنْهُ شَبَّهُ غُلَطًا إِنَّ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمُ^(٢)

وقال أيضاً: [من الطويل]

وَأَهْيَفَ مِثْلَ الْبَدْرِ غُصْنُ قَوَامِهِ عَلَيْهِ قُلُوبُ الْعَاشِقِينَ تَطِيرُ
يَدُورُ عَذَارَاهُ لِتَقْبِيلِ وَجْنَةٍ عَلَى مِثْلِهَا كَانَ الْخَصِيبُ يَدُورُ

وعلى الجملة فمحاسنه في التضمين كثيرة إلى الغاية، وأكثر ما أجاد في التشبيه والتورية والتضمين، وقال في كثرة تضمينه وكل ما أورده له نقلته من خطه: [من الوافر]

أَطَالَعُ كُلِّ دِيَوَانٍ أَرَاهُ وَلَمْ أَزَجُرْ عَنِ التَّضْمِينِ طَيْرِي^(٣)
أَضْمَنْ كُلَّ بَيْتٍ فِيهِ مَعْنَى فَشِعْرِي نِصْفُهُ مِنْ شِعْرِ غَيْرِي

ونقلت من خط سراج الدين عمر الوراق له: [من الطويل]

تَوَارَتْ مِنَ الْوَاشِيِ بَلِيلِ ذَوَائِبِ لَهُ مِنْ جَبِينٍ وَاضِحٍ تَحْتَهُ فَجْرُ
فَدَلَّ عَلَيْهَا شَعْرُهَا بِظِلَامِهِ وَفِي اللَّيْلِ الظُّلُمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ^(٤)

ونقلت له منه في بخیل صُفْعَ: [من البسيط]

وَبَاخِلٍ يَشْنَأُ الْأُضْيَافَ حَلًّا بِهِ ضَيْفٌ مِنَ الصَّفْعِ نَزَّالٌ عَلَى الْقِمَمِ^(٥)
سَأَلْتُهُ مَا الَّذِي تَشْكُو فَجَاوَبَنِي ضَيْفٌ أَلَمَ بِرَأْسِي غَيْرُ مُحْتَشِمٍ

(١) هَمَزَ الدابة هَمَزًا: نَحَسَهَا، أَوْ دَفَعَهَا. يَنْخَدُمُ: يَنْقَطِعُ.

(٢) عَجَزَ الْبَيْتُ مِنْ قَوْلِ زَهِيرِ بْنِ أَبِي سُلْمَى:

إِنَّ الْبَخِيلَ مَلُومٌ حَيْثُ كَانَ وَلَكِنْ الْجَوَادَ عَلَى عِلَاتِهِ هَرِمُ

(ديوان زهير: ٩١). هَرِمَ: هُوَ هَرَمَ بَنُ سَنَانَ الَّذِي امْتَدَحَهُ زَهِيرٌ لِفَضْلِهِ فِي إِقَامَةِ الصَّلَحِ بَيْنَ

الْقَبَائِلِ الْعَرَبِيَّةِ الْمُتَحَارِبَةِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ.

(٣) الْأَهْيَفُ: الدَّقِيقُ الْخَصِرُ، الضَّامِرُ الْبَطْنُ.

(٤) عَجَزَ الْبَيْتُ مِنْ قَوْلِ أَبِي فِرَاسٍ الْحَمْدَانِيِّ:

سَيَذْكُرْنِي قَوْمِي إِذَا جَدَّ جَدُّهُمْ وَفِي اللَّيْلِ الظُّلُمَاءِ يُفْتَقَدُ الْبَدْرُ

(ديوان أبي فراس: ١٦١).

(٥) يَشْنَأُ الْأُضْيَافَ: يَبْغِضُهُمْ. الصَّفْعُ: الضَّرْبُ بِكَفٍّ مَبْسُوطَةٍ، وَغَالِبًا مَا يَكُونُ عَلَى الْجَانِبِ الْخَلْفِيِّ

مِنَ الْعُنُقِ.

ونقلت منه له مما قاله في شخص غرابيلي : [من البسيط]

مَالِي وَمَا لِلْغَرَابِيلِيِّ يَبْسُطُ فِي عِرْضِي لِسَاناً كَثِيرَ اللَّغْوِ وَالْهَذَرِ^(١)
فَهَلْ تَوَهُّمَ جَهْلًا أَنْ سَيَجْمَعُنَا بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ أَوْ بَيْتٌ مِنَ الشُّعْرِ^(٢)

ونقلت منه له أيضاً : [من الطويل]

إِذَا مَا جَعَلْتُمْ جَفْنَةَ الصِّلَحِ سُكْرًا فَقَدْ جِئْتُمُ الْأَمْرَ الَّذِي كَانَ أَصْلَحًا
وَأَنْتُمْ أَحَقُّ النَّاسِ أَنْ تُنْشِدُونَنَا لَنَا الْجَفَنَاتُ الْعُرُ يُلْمَعْنَ فِي الضُّحَى^(٣)

ونقلت منه في العنّة : [من المتقارب]

نَشَطْتُ لِسَرِّيَّتِي فَأَنْثَنِي نَشَطْتُ لِسَرِّيَّتِي فَأَنْثَنِي
فَقُلْتُ تَنَامُ وَلِي مُقْلَةٌ فَقُلْتُ تَنَامُ وَلِي مُقْلَةٌ
فَقَالَ أَمَا قَالَ بَشَّارُكُمْ فَقَالَ أَمَا قَالَ بَشَّارُكُمْ

وله ولم أره بخطه : [من الخفيف]

وَسَقِيمَ الْجَفُونِ أودعه اللَّـ غَلِبْتُ مُقْلَتَاهُ قَلْبِي عِشْقًا
هَذَاكَ السَّقَامِ سِرًّا خَفِيًّا وَضَعِيفَانِ يَغْلِبَانِ قَوِيًّا
أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ الْمَوْلَى صَفِي الدِّينِ عَبْدِ الْعَزِيزِ بْنِ سَرَايَا الْحَلِيِّ إِجَازَةً:

[من الخفيف]

يَا ضَعِيفَ الْجَفُونِ أضعفت قلباً كَانَ قَبْلَ الْهَوَى قَوِيًّا مَلِيًّا
لَا تُحَارِبْ بِنَازِرِيكَ فَوَادِي فَضَعِيفَانِ يَغْلِبَانِ قَوِيًّا

(١) اللَّغْوُ: ما لا يُعْتَدُّ به من كلام وغيره، ولا يُحصل منه على فائدة أو نفع. الْهَذَرُ: سَقَطَ الْكَلَامُ؛ ويقال: هَذَرَ فلانٌ هَذَرًا: تَكَلَّمَ بِمَا لَا يَنْبَغِي.

(٢) عَجَزَ الْبَيْتُ مِنْ قَوْلِ أَبِي الْعَلَاءِ الْمَعْرِيِّ:

فَالْحُسْنُ يَظْهَرُ فِي شَيْئَيْنِ رَوْنُفُهُ

(سقط الزند: ٦٨).

(٣) عَجَزَ الْبَيْتُ مِنْ قَوْلِ حَسَّانِ بْنِ ثَابِتِ الْأَنْصَارِيِّ:

لَنَا الْجَفَنَاتُ الْعُرُ يُلْمَعْنَ فِي الضُّحَى

وَأَسْيَافُنَا يَقْطُرْنَ مِنْ نَجْدَةٍ دَمًا

(الأغاني: ٣٣١/٩). والصواب: أَنْ تُنْشِدُونَا.

(٤) السَّرِيَّةُ: الجارية المملوكة. المتاع هنا: الذَّكَرُ.

(٥) بيت بشار بن برد بتمامه:

إِذَا أَيْقَظْتُكَ حُرُوبُ الْعِدَا

فَنَبَّهَ لَهَا عَمْرًا ثُمَّ نَمَّ

(ديوانه: ١٦٠/٤).

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة: [من الخفيف]
وَمَلِيحٌ قَدْ أَخْجَلَ الْعُصْنَ وَالْبَدَ رَقَوَاماً رَطْباً وَوَجْهاً جَلِيّاً
غَلَبَ الصَّبْرَ فِي لِقَانَاظِرِيهِ وَضَعِيفَانِ يَغْلِبَانِ قَوِيّاً

وأنشدني من لفظه لنفسه الأمير علاء الدين الطنبغا الجاولي: [من الخفيف]
رَدْفُهُ زَادَ فِي الثَّقَالَةِ حَتَّى أَقْعَدَ الْخَصَرَ وَالْقَوَامَ السَّوِيّاً
نَهَضَ الْخَصَرَ وَالْقَوَامُ وَقَامَا وَضَعِيفَانِ يَغْلِبَانِ قَوِيّاً

وأنشدني لنفسه المرحوم القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود إجازة: [من الكامل]
قُلْ لِي عَنِ الْحَمَامِ كَيْفَ دَخَلَتْهَا يَا مَالِكِي لِتَسَرَّ خَلّاً مُشْفَقَا
أَدَخَلَتْهَا وَأَوْلَيْكَ الْأَقْوَامُ قَدْ شَدُّوا الْمَازِرَ فَوْقَ كُثْبَانِ النَّقَا^(١)
ومما اتفق لي نظمه: [من الكامل]

قُلْ لِلرَّقِيبِ لِيَسْتَرْخَ مِنْ رَضْدِي مَا أَصْبَحَ الْمَعَشُوقُ عِنْدِي يُشْتَهِي
وَارْتَدَّ قَلْبِي عَنْ سَيْوفِ جُفُونِهِ وَكُلَّ شَيْءٍ بَلَغَ الْحَدَّ انْتَهَى
وَقُلْتُ وَقَدْ عُدْتُ مَلِيحاً أَرْمَدُ: [من البسيط]

أَيَقْظَتُهُ مِنْ كِرَاهٍ بَعْدَمَا رُمِدَتْ عَيْنَاهُ لَامِسُهُ مِنْ بَعْدِهَا أَلَمْ
قَدْ زُرْتَهُ وَسُيُوفُ الْهِنْدِ مُغْمَدَةٌ وَقَدْ نَظَرْتُ إِلَيْهِ وَالسُّيُوفُ دَمٌ

وَقُلْتُ أَيْضاً فِي بَكَاءِ الْمَحْبُوبِ: [من الطويل]
بِمُقْلَةٍ مَحْبُوبِي دَمَوْعٌ تَحَدَّرَتْ ذَلَالاً عَلَى صَبٍّ غَدَا وَهَوٍ مُغْرَمٌ
فَشَبَّهْتُ عَيْنِيهِ سَيْوفاً وَقَدْ عَدْتُ مِنْ التِّيهِ فِي أَغْمَادِهَا تَتَبَسَّمُ

وَقُلْتُ فِي الْأَتْرَاكِ الَّذِينَ يَحْلِقُونَ ذَوَائِبَهُمْ: [من الطويل]
لَقَدْ زَانَ أَصْدَاغَ الْمَمَالِكِ نَبْتُهَا وَمَا شَأْنُهُمْ فِي الْحُسْنِ خَلْقُ الذَّوَائِبِ
فَمَا بَالُ مَنْ يَهْوَاهُمْ عِنْدَمَا اتَّقَى عِضَاضَ الْأَفَاعِي نَامَ فَوْقَ الْعَقَارِبِ

وَقُلْتُ فِي مَلِيحٍ أَحَبَّ أَسْوَدَ: [من المتقارب]
أَيَا مَنْ تَكَلَّفَ حُبَّ الْعَبِيِّ بِذَلِكَ فِي الْعَقْلِ لَا يَجْمَلُ
فَلَوْ بِتُّمَا عِنْدَ قَدْرِيكُما لَبْتُ وَأَعْلَاكُما الْأَسْفَلُ

(١) الكُثْبَانُ: جمع الكُثيبِ: التلّ من الرمل، أو الرمل الطويل المحدودب. النقا: الكُثيب من الرمل. يُشَبَّه رَدْف المرأة به.

وقلت فيمن يتهم بحاله مع معشوقه : [من الطويل]
يقولُ له المعشوقُ وَهُوَ يَلُوطُهُ لَعَلَّكَ تَحْتِي بَعْدَ ذَاكَ تَنَامُ^(١)
فَقَالَ وَهَلْ فِي الْعَيْشِ لِلنَّاسِ لَذَّةٌ إِذَا لَمْ يَكُنْ تَحْتَ الْكَرَامِ كِرَامُ
وقلت في تفضيل بياض الشيب على سواد الشباب : [من الوافر]
أَرَى فَضْلَ الْمَشِيبِ عَلَى شَبَابِي يَخَالِفُ فِيهِ بَعْضُ الْأَغْبِيَاءِ
وَهَبْنِي قَلْتُ هَذَا الصَّبْحُ لَيْلٌ أَيْعَمَى الْعَالَمُونَ عَنِ الضِّيَاءِ
وقلت أيضاً : [من الكامل]
قَالُوا حَلَا وَصَفَ الْعَذَارُ مِنَ الْوَرَى فِي كُلِّ مَا نَلْقَاهُ مِنْ أَبْيَاتِهِ
فَأَجَبْتُهُمْ لِمَ لَا يُرَى حُلُوهَا وَقَدْ قَطَفَ الرِّجَالُ الْفَوَلَّ عِنْدَ نَبَاتِهِ
وقلت في تفضيل مملوك على خادم : [من البسيط]
يَا مَنْ يُرَجِّحُ وَجْهًا كَالظَّلَامِ عَلَى وَجْهِ كُصْبَحٍ تَبَدَّى فِي بَشَائِرِهِ
إِنْ كَانَ مَمْلُوكٌ هَذَا مِثْلَ خَادِمٍ ذَا فَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ^(٢)
وقلت أيضاً : [من الكامل]
طَبِيبٌ مِنَ الْأَتْرَاكِ يَحْمِي خَدَّهُ الْـ حَسَنُ النَّقِيُّ مِنَ النَّبَاتِ الْمُعْتَدِي
قَالَ الْجَمَالُ لَخَدَّهُ الْمُبِيضُ قَدْ خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرَ مُسَوِّدِ
وقلت أيضاً : [من الطويل]
كَلَفْتُ بَوَاجِهُ فِيهِ بَعْضُ سَمَاجَةٍ رَجَاءً بَأَنْ يَحْلُو إِذَا هُوَ عَذْرَا
وَعَظِيمُ بَعِيدٍ أَنْ يُزَانَ بِلُحْيَةٍ فَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى^(٣)
وقلت مضمناً قول المعري في فرند السيف : [من البسيط]
مَا كُنْتُ أَحْسَبُ لَوْلَا نَبْتُ عَارِضِهِ أَنْ يَنْبُتَ الْآسُ وَسَطَ الْجَمْرِ فِي النَّهْرِ^(٤)

(١) يلوّطه : يفعل معه فعل قوم لوط (يأتيه في دبره) .

(٢) عَجَزُ البيت من قول المتنبي :

وَمَا انْتِفَاعُ أَخِي الدُّنْيَا بِنَظَرِهِ إِذَا اسْتَوَتْ عِنْدَهُ الْأَنْوَارُ وَالظُّلُمُ
(ديوان المتنبي : ٩٥ / ٢) .

(٣) عَجَزُ البيت من قول زُفَرِ بْنِ الْحَارِثِ الْكَلَابِيِّ :

فَقَدْ يَنْبُتُ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِ الثَّرَى وَتَبْقَى حَزَازَاتُ النُّفُوسِ كَمَا هِيَ
(الأغاني : ١٤١ / ١٩) .

(٤) قال أبو العلاء :

مَا كُنْتُ أَحْسَبُ جَفْنًا قَبْلَ مَسْكَنِهِ فِي الْجَفَنِ يُطَوَى عَلَى نَارٍ وَلَا نَهْرِ

وَلَا ظَنَنْتُ صِغَارَ التَّمْلِ يُمَكِّنُهَا مَشْيًا عَلَى اللَّحِّ أَوْ سَعْيًا عَلَى السَّعْرِ^(١)

وقلت في شيب عذار الحبيب: [من الكامل]

قال الحبيب وَقَدْ وَصَفْتُ مَشْيَهُ وَالنَّاسُ قَدْ وَصَفُوهُ لَمَّا عَذَّرَا

قَطَفَ الرِّجَالُ الْفُولَ عِنْدَ نَبَاتِهِ وَقَطَفْتَ أَنْتَ الْفُولَ لَمَّا نَوَّرَا

وقلت أيضاً مضمناً قول المعري: [من الوافر]

وَأَشْقَرُ نَبْتُ عَارِضِهِ تَرَاهُ كَأَنَّ شِعَاعَ وَجْنَتِهِ تَلَالَا^(٢)

وَدَبْتُ فَوْقَهُ حُمُرُ الْمَنَايَا وَلَكِنْ بَعْدَمَا مُسِخَتْ نِمَالَا^(٣)

وقلت أيضاً في مقياس نيل مصر: [من الطويل]

يَقُولُ لَنَا الْمَقْيَاسُ وَالنَّيْلُ هَابِطٌ لِيَقْطَعَ أَوْصَالَ الْمُنَى وَالْمَطَامِعِ

وَمَنْ يَأْمَنُ الدُّنْيَا يَكُنْ مِثْلَ قَابِضٍ عَلَى الْمَاءِ خَانَتُهُ فُرُوجُ الْأَصَابِعِ

وقلت أيضاً: [من الطويل]

أَلَا فَاسْقِنِي مِنْ رِيْقَةٍ لَذَّةٍ طَعْمُهَا بِفِيكَ وَلَا تَبْخُلْ وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ

وَحُطَّ لِثَامًا حَجَبَ اللَّثْمِ عَنْ فَمِي فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ^(٤)

وقلت أيضاً^(٥): [من الطويل]

تَقُولُ دِمَشْقُ إِذْ تَفَاخَرُ غَيْرَهَا بِجَامِعِهَا الزَّاهِي الْبَدِيعِ الْمُشِيدِ

= وَلَا ظَنَنْتُ صِغَارَ النَّمْلِ يُمَكِّنُهَا (سقط الزند: ٧١).

(١) السَّعْرُ: النار المشتعلة.

(٢) قال أبو العلاء:

إِذَا بُصِرَ الْأَمِيرُ وَقَدْ نَضَّاهُ بِأَعْلَى الْجَوْظِ عَلَى عَلَيْهِ آلا

وَدَبْتُ فَوْقَهُ حُمُرُ الْمَنَايَا وَلَكِنْ بَعْدَمَا مُسِخَتْ نِمَالَا

(سقط الزند: ٦٥).

(٣) دَبْتُ: مشى مشياً رويداً، ودبَّ الشيء في الشيء: سرى. مُسِخَتْ: حُولَتْ.

(٤) هذا من قول أبي نواس:

أَلَا فَاسْقِنِي خَمْرًا وَقُلْ لِي هِيَ الْخَمْرُ وَلَا تَسْقِنِي سِرًّا إِذَا أَمَكْنَ الْجَهْرُ

فَبُحِّ بِاسْمٍ مِنْ تَهْوَى وَدَعْنِي مِنَ الْكِئَى فَلَا خَيْرَ فِي اللَّذَاتِ مِنْ دُونِهَا سِتْرُ

(ديوانه: ٣٨).

(٥) البيتان في خزانة الأدب، الحموي: ١٥٩/٢.

جَرَى لِيُبَاهِي حُسْنَهُ كُلَّ جَامِعٍ وَمَا قَصَبَاتُ السَّبِقِ إِلَّا لِمُعْبَدٍ (ي)^(١)

وقلت في مليح أعور: [من مجزوء الكامل]

أَفْدِيهِ أَغُورَ طَرْفُهُ الْبَا قِي يَقُولُ وَمَا تَعَدَى
قَدْ غَارَ مِنْ حُسْنِي أَخِي وَبَقِيَتْ مِثْلَ السَّيْفِ قَرْدَا

وكتبت على مجلّد قديم قَدْ رَثَ: [من الطويل]

مَلَكْتُ كِتَاباً أَخْلَقَ الدَّهْرُ جِلْدَهُ وَمَا أَحَدٌ فِي دَهْرِهِ بِمُخْلَدٍ
إِذَا عَايَنْتُ كُتْبِي الْجَدِيدَةَ حَالَهُ يَقُولُونَ لَا تَهْلِكُ أَسَى وَتَجَلَّدُ^(٢)

ذكرت هنا ما أخبرني به الشيخ الإمام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان^(٣) من لفظه، وأنا أقرأ عليه الأشعار السبعة عند قول طرفة: «وقوفاً بها صحبي». قال: إنَّ بعض وزراء العرب (ذكره لي ونسيته أنا) أمر بضرب بعض العمال مائة سوط، فقال: إذا أهلك، وكسر اللام، فقال الوزير: وأنت من أجل أهلك الحق بأهلك. ومما يتعلق بهذا ما ذكره ابن وكيع^(٤) في «المنصف» عن علي بن بسام أنه دعاه صديق له مع نحوي مُتَشَدِّق، فثقل على علي بن بسام، ثم دعي معه في يوم آخر فتخلف عنه، فلقبه النحوي فعاتبه على تخلفه، فقال له: ما يمنعك من زيارتنا؟ فقال يمنعني ما يمنعك، يريد ثقل الإعراب في «يمنعك».

نَاءٍ عَنِ الْأَهْلِ صِفْرُ الْكَفِّ مُنْفَرِدٌ كَالسَّيْفِ عُرِّيَ مَتْنَاهُ عَنِ الْخَلَلِ

نأى ينأى نأياً فهو ناءٍ إذا بَعُدَ. (الأهل): أهل الرجل، اسم جمع لا واحد له من لفظه مثل رهط وقوم، ولا بأس بمعرفة الجمع واسم الجمع واسم الجنس، فإنه

(١) معبد (الأولى): مكان العبادة. معبد (الثانية): اسم مُغْنٍ حجازي مشهور. وفي البيت تورية لطيفة.

(٢) هذا من قول طرفة بن العبد:

وقوفاً بها صحبي عليّ مطيهم يقولون لا تهلك أَسَى وتجلّد

(ديوان طرفة: ١٩).

(٣) هو أبو حيان، أثير الدين، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الغرناطي، الأندلسي، الجياني، التّفزي: من كبار العلماء بالعربية، والتفسير والحديث والتراجم واللغات. توفي في القاهرة سنة ٧٤٥هـ / ١٣٤٤م. من آثاره: «البحر المحيط»، و«الإدراك للسان الأتراك»، و«تحفة الأريب»، وغيرها. (شذرات الذهب: ٦/ ١٤٥).

(٤) هو أبو محمد، الحسن بن علي الضبي التنيسي، المعروف بابن وكيع: شاعر مجيد، أصله من بغداد، وتوفي بتنيس سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م. من آثاره: «المنصف» في سرقات المتنبي. (كشف الظنون: ٢/ ١٨٦٢).

من المهمّات، وقد خبط الناس في ذلك. قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك: الاسم الدالّ على أكثر من اثنين بشهادة التأمل إما أن يكون موضوعاً للآحاد المجتمعة دالاً عليها دلالة المفرد على جملة أجزاء مسماه، وإما أن يكون موضوعاً للحقيقة ملغى فيه اعتبار الفردية، إلا أن الواحد ينتفي بنفيه. فالموضوع للآحاد المجتمعة هو الجمع سواء كان من لفظه واحد مستعمل، كرجال، وأسود، أو لم يكن، كأبائيل، والموضوع لمجموع الآحاد هو اسم الجمع سواء كان له واحد من لفظه، كركب، وصحب، أو لم يكن، كرهط، وقوم، والموضوع للحقيقة بالمعنى المذكور هو اسم الجنس، وهو غالباً يفرق بينه وبين واحده بالتاء كتمرّة، وتمر، وعكسه: كمأة، وحبّاء، ومما يعرف به الجمع كونه على وزن لم تبين عليه الآحاد: كأبائيل، وغلبة التأنيث عليه. ولذلك حكم على نحو تخم أنه جمع تخمة مع أن نظيره من نحو رطب ورطوبة محكوم عليه أنه اسم جنس، لأن تخمًا غلب عليه التأنيث. يقال: هذه تخم ولا يقال: هذا تخم فعلم أنه في معنى جماعة وليس مَسْلُوكاً به طريق رطب ونحوه. ومما يعرف به اسم الجمع كونه على وزن الآحاد وليس له واحد من لفظه: كقوم، ورهط، وكونه مساوياً للواحد في تذكيره والنسب إليه، ولذلك حكم على نحو: غزي أنه اسم جمع لغازٍ وإن كان نحو كليب جمعاً لكلب لأن غزياً مذكر وکلباً مؤنث. وحكم أيضاً على نحو ركاب أنه اسم لجمع ركوبة لأنهم نسبوا إليه زيت ركابي، والجموع لا ينسب إليها إلا إذا غلبت كأنصاري. (صفر) الصفر: الخالي. يقال: بيت صفر من المتاع ورجل صفر اليدين. وفي الحديث أن أصفر البيوت من الخير البيت الصفر من كتاب الله عزّ وجلّ، وقد صفر الرجل بالكسر واصفرّ فهو مصفرّ أي افتقر. والصفاريت: الفقراء والواحد صفريت. قال ذو الرمة: ولا خور صفاريت. (الكف) معروف. وفي الإنسان من أعضائه عشرة أول كلّ عضوٍ منها كاف وهي: الكف، والكوع، والكرسوع، والكتف، والكاهل، والكبد، والكتد^(١)، والكلية، والكمرة، والكعب.

يحكى أن بعض أشياخ اللغة طلب منه عدّها فعّدّ تسعة أعضاء ونسي الكمرة فلما قام إلى بيت الخلاء ذكرها، وقد كان قبل قد ذكر الكرش، فقليل له: ليس للإنسان كرش إنما هي الأعفاج^(٢). ويقال: إن ابن خالويه^(٣) وضع مسألة سمّاها

(١) الكتد: مجتمع الكتفين من الإنسان والفرس.

(٢) الأعفاج: جمع العَفَج: ما ينتقل إليه الطعام بعد المعدة.

(٣) هو أبو عبد الله، الحسين بن أحمد بن خالويه: لغوي، من كبار النحاة، أصله من همدان، واستوطن حلب، وعظمت بها شهرته، وتوفي فيها سنة ٣٧٠هـ/ ٩٨٠م. (الأعلام: ٢/ ٢٣١).

الأنطاكية، اشتملت على ثلاثمائة عضو من أعضاء الإنسان أوّل كل كلمة منها كاف . وقد رأيت أنا مجلّداً لم أعرف اسم مصنّفه قد جمع فيه أسماء أعضاء الرجال والنساء على حروف المعجم، وهذا اطلاق كبير، فرأيت فيه زيادة في حروف الكاف على ما ذكرته هنا: الكذوب: النفس، والكعبرة: عقدة مكبلة حائدة عن الرأس، والكشفة: بفتح الكاف والشين دائرة من شعر تكون عند الناصية تنبت صعداً. والكرسمة: الوجه، ولكن لا يقال إلا في الشتم، والكرد: أصل العنق، والكراديس: ما شخص من عظام البدن كالمنكبين، والمرفقين، والعكاش: عظام السلاامي، والكتابة من الإنسان، والبهيمة: ما بين الكتفين إلى أصل العنق، والكلكل: الصدر، والكشح: الجنب، وهو من لدن الورك إلى الخصر. والكفل: العجز، والكاذه: لحم مؤخر الفخذ. والكراع من الإنسان: ما دون الركبة. والكوشلة: الذكر. والقطر: ركب المرأة، والكلثوم: الكعشب، وهو الفرج. والكين: لحم باطن الفرج. والكراض: حلق الرحم. وأما الكس فليس بعربي على الصحيح. وأذكر أنني وقفت على فصل فيه تسمية أعضاء الإنسان بأسماء حروف المعجم من أولها إلى آخرها. وأما تشبيه أعضاء الإنسان بالحروف فقد أكثر الشعراء من ذلك، فشبّها الحاجب: بالنون، والعين: بالعين، والصدغ: بالواو، والفم: بالميم والصاد، والثنايا: بالسين، والقامة: بالألف، والطرة: بالشين. فمن ذلك قول بعضهم: [من الرمل]

لَا تَقُولِي لَا فَمَكْتُوبٌ عَلَى وَجْهِكَ الْمُشْرِقِ نُوراً نَعْمُ
بِحُرُوفٍ خُلِقَتْ مِنْ قُدْرَةٍ مَا جَرَى قَطَّ عَلَيْهَا قَلَمُ
نُونُهَا الْحَاجِبُ وَالْعَيْنُ بِهَا طَرْفُكَ الْفَتَّانُ وَالْمِيمُ الْقَمُ

وقلت أنا من أبيات: [من البسيط]

عَلِقْتُهَا مِنْ بَنَاتِ التَّرِكِ قَدْ غَنِيَتْ بِدَمْعٍ عَاشِقِهَا عَنْ مِثَّةِ الشَّنْفِ^(١)
يَا لِلْهَوَى عَيْنُهَا عَيْنٌ وَحَاجِبُهَا نُونٌ وَتَمَّ الْعَنَا مِنْ قَدِّهَا الْأَلِفِ

وقال أبو محاسن الشّوّاء^(٢): [من السريع]

أَرْسَلَ قَرْعاً وَلَوَى هَاجِرِي صُدْغاً فَأَعْيَى بِهِمَا وَاصْفَهُ
فَخَلْتُ ذَا مِنْ خَلْفِهِ حَيَّةً تَسْعَى وَهَذَا عَقُوباً وَاقْفَهُ

(١) الشنف: القرط.

(٢) هو أبو المحاسن، يوسف بن إسماعيل بن علي، المعروف بالشّوّاء: شاعر، أديب. ولد بحلب، وتوفي فيها سنة ٦٣٥هـ/ ١٢٣٧م. (الأعلام: ٨/ ٢١٧).

ذِي أَلِفٍ لَيْسَتْ لِوَصْلٍ وَذِي وَأَوْ وَلَكِنْ لَيْسَتْ الْعَاطِفَةُ

وقال جمال الدين يحيى بن مطروح: [من الكامل]

قَالَتْ لَنَا أَلِفُ الْعِذَارِ بِخَدِّهِ فِي مِيمٍ مَبْسُومِهِ شِفَاءُ الصَّادِي^(١)

وقال الآخر: [من الوافر]

كَأَنَّ عِذَارَهُ الْمِسْكِيَّ لَأَمْ وَمَبْسُومِ ثَغْرِهِ الدَّرِيِّ صَادُ
وَمُسْبِلُ شَعْرِهِ لَيْلٌ بِهِيمُ فَلَا عَجَبٌ إِذَا سُْرِقَ الرِّقَادُ

وقال ابن نفادة: [من الكامل]

صَنِمُ الْجَمَالِ فَصَادُهُ مِنْ عَيْنِهَا وَالنُّونُ حَاجِبُهَا بِخَالٍ تَنْقُطُ
وَالْمِيمُ فَوْهَاً فَالْحُرُوفُ تَأْلَفَتْ مَكْتُوبَةً وَالصَّبْرُ عَنْهَا يَكْشُطُ^(٢)

وما أحسن قول القائل: [من الكامل]

يَاسِينَ طُرَّتْهَا وَصَادُ عِيُونِهَا إِنِّي أَعُوذُهَا بِسُورَةِ طه

وقلت: [من البسيط]

سَيْنُ الثَّنَايَا حَوَّثَهَا مِيمٌ مَبْسُومِهِ طُوبَى لِمَنْ ذَاقَ مِنْهَا كَأْسَ تَسْنِيمِ^(٣)
وَمِنْ عَجَائِبِ وَجْدِي أَنَّ بِي سَقَمًا مَا بُرِّوهُ غَيْرُ تِلْكَ السَّيْنِ وَالْمِيمِ

وقال آخر: [من الكامل]

تَالَلَّهِ مَا لِمَعْدُوبِي فِي حُسْنِهِ شَبَهُ فَأَيُّ حَشَاءٍ عَلَيْهِ لَمْ تَهْمُ
لَأَمْ الْعِذَارِ وَمِيمٌ مَبْسُومِهِ عَلَى مَا أَدَّعَى مِنْ حُسْنِهِ بُرْهَانَ لَمْ

قلت: البرهان اللامي عند أرباب المعقول أشرف من البرهان الأنّي لأن اللامي يعطي العلة المستلزمة للوجود، والأنّي يعطي الوجود فقط. لأنك إذا قلت: الخشبة ممسوسة النار وكل ممسوس النار محترق، فالخشبة محترقة. لزم من هذا الاستدلال بالموثر على الأثر لأن الحد الأوسط علة لثبوت الحد الأكبر للأصغر، فعلة للاحتراق من مماسة النار، فهذا هو البرهان اللامي. وأما البرهان الأنّي فإن الحد الأوسط فيه معلول الأكبر كقولك الخشبة محترقة وكل محترق ممسوس النار، فالخشبة ممسوس

(١) الصادي: العطشان.

(٢) كَشَطَ الشيء: محاه وأزاله.

(٣) الطوبى: الحُسنى، أو الخير، أو كلّ مُستطاب في الجَنَّة. التسنيم: ماء في الجنة؛ قال تعالى: ﴿وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ. عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ [المطففين: ٢٧].

النار فلزم من ذلك الاستدلال بالأثر الذي هو محترق على المؤثر الذي هو ممسوس النار. وتنزيل ما قاله هذا الشاعر على هذه القاعدة وترتيبه أن يقال معذبي له عذار يشبه اللّام وفم يشبه الميم وكل ذي عذار لامي وفم ميمي فهو حسن. فمعذبي حسن. فالبرهان على حسنه لمي والقضية الصغرى ثابتة بالمشاهدة والكبرى مشهورة فالنتيجة صادقة. (كالسيف عُرِّي) أي جُرِّدَ (متناه) المتن: الظهر مكتنفاً الصلب عن يمين وشمال، وهما هنا: جانباً السيف. (الخلل): جمع واحده خلّة بالخاء المعجمة، والخلل بطائن كانت تغطى بها أجفان السيوف منقوشة بالذهب وغيره. (الإعراب) ناء: اسم فاعل من نأى وأصله ناءه مثل جاءه، فلما اجتمع همزتان في الكلمة الواحدة قلبوا الثانية ياءً لانكسار ما قبلها فصار من باب قاض، وأما قول الشاعر «يشجج رأسه بالفهر»^(١) واجي» أصله وأجيء، مرفوع على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره أنا ناء ولم يظهر فيه الرفع لأنه منقوص مثل قاض فلا يظهر فيه إلا النصب فقط. تقول: هذا ناءٍ ورأيت نائياً ومررت بناءً. فإن قلت: هلاً رفعت على أنه مبتدأ، قلت: لا لأنه اسم فاعل واسم الفاعل لا يكون مبتدأ حتى يعتمد على الاستفهام أو النفي أو معنى النفي لأنهما يقربانه مما له صدر الكلام كقول الشاعر:

[من البسيط]

أَقَاطِنُ قَوْمٍ سَلَمَى أَمْ نَوَوَا ظَعَنًا إِنَّ يَطْعَنُوا فَعَجِيبٌ عَيْشُ مَنْ قَطَنًا^(٢)
وكما في قول الآخر: [من الطويل]

خَلِيلِي مَا وَافٍ بِعَهْدِي أَنْتَمَا إِذَا لَمْ تَكُونَا لِي عَلَى مَنْ أَقَاطِعُ
ألا ترى أن قاطناً لما اعتمد على الاستفهام كان مبتدأ، وأن وافيّاً لمّا اعتمد على النفي جاز الابتداء به؟ وقولي: أو معنى النفي ليدخل فيه قول الشاعر: [من المديد]

غَيْرُ مَأْسُوفٍ عَلَى زَمَنِ يَنْقُضِي بِالْهَمِّ وَالْحَزَنِ

قال الشيخ أثير الدين أبو حيان: هذا البيت، سأل أبا الفتح بن جني ابنه عن إعرابه فارتبك فيه. ولأبي عمرو بن الحاجب فيه كلام طويل، وخرجه ابن جني، وتبعه ابن الحاجب على حذف المبتدأ وإقامة صفته مقامه وإيقاع الظاهر موقع المضمّر بحذف الظاهر المبتدأ، والتقدير زمان ينقضي بالهمّ والحزن غير مأسوف عليه. وقال الشيخ بهاء الدين بن النحاس قولهم: حسبك يزيد، مبتدأ لا خبر له

(١) الفهر: الحجر قدر ما يُدقُّ به الجوز، أو يملأ الكف.

(٢) القاطن: الساكن، المقيم في المكان. ظَعَنَ القوم: رحلوا.

على أحد الوجهين لكونه بمعنى إكْتَفٍ . وكذلك قول الشاعر: غير مأسوف البيت .
ومثله قول الآخر: [من الخفيف]

غَيْرَ لَاهِ عِدَاكَ فَاطَّرَحَ اللَّهْوَ وَلَا تَغْتَرِزْ بِعَارِضِ سَلَمٍ
فغير: في البيتين مبتدأ لا خبر له على أحد الوجهين لأنه محمول على ما
كانه، قيل: ما يؤسف على زمن كما في قولهم ما قائم أخواك . قلت: فغير: مبتدأ،
وعلى زمن: جار ومجرور في موضع المفعول الذي لم يسم فاعله لمأسوف لأنه
صيغة اسم المفعول، وقد سد الجار والمجرور مسد الخبر، كقولك: ما مضروب
الرجلان، فتقرر بهذا أن نائياً لا يجوز أن يكون مبتدأ لعدم اعتماده على شيء من
المسوغات له . (عن الأهل): عن: تقدّم الكلام على تقسيم مجيئها في الكلام وهي
هنا للتجاوز والجار والمجرور في موضع النصب باسم الفاعل . (صفر الكف
منفرد): خَبَرَانِ أيضاً مثل ناءٍ فهي ثلاثة أخبار لمبتدأ واحد . قال الشيخ بدر الدين
محمد بن مالك: قد يتعدّد الخبر فيكون للمبتدأ الواحد خبران فصاعداً وذلك في
الكلام على ثلاثة أضرب قسم يجب فيه العطف، وقسم يجب فيه ترك العطف،
وقسم يستوي فيه الأمران . فالأوّل ما تعدّد لتعدّد ما هو له . إمّا حقيقة نحو: بنوك
كاتب وشاعر وفقيه؛ قال الشاعر: [من المتقارب]

يَدَاكَ يَدُ خَيْرُهَا يُرْتَجَى وَأُخْرَى لِأَعْدَائِهَا غَائِظَةٌ

وإما حكماً: كقوله تعالى: ﴿أَتَمَّا الْحَيَوَةُ الدُّيَالِ عِبُّ وَلَهُوٌّ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي
الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ﴾ [الحديد: ٢٠] والثاني: ما تعدّد في اللفظ دون المعنى وضابطه أن لا
يصدق الإخبار ببعضه عن المبتدأ كقولك: الرَّمَّانُ حَلَوٌ حَامِضٌ، بمعنى مرّ، وزيد
عسر يسر، أي ضابط، وقد أجاز أبو علي فيه العطف وجعل منه: [من المتقارب]

لَقِيمٌ بِنَ لَقِمَانٍ مِنْ أُخْتِهِ فَكَانَ ابْنُ أُخْتٍ لَهُ وَابْنُمَا

وهو سهو . والثالث: ما تعدّد لفظاً ومعنى دون تعدّد ما هو له فهذا يجوز فيه
الوجهان نحو قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ﴾ [البروج: ١٤] وقال الشاعر^(١): [من
الطويل]

يَنَامُ بِإِحْدَى مُقْلَتَيْهِ وَيَتَّقِي بِأُخْرَى الْأَعَادِي فَهُوَ يَقْظَانُ هَاجِعُ^(٢)

ونحو قوله تعالى: ﴿صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ﴾ [الأنعام: ٣٩] .

(١) الشاعر هو حميد بن ثور الهلالي الآتي ذكره في الصفحة التالية .

(٢) البيت في الشعر والشعراء: ٣٠٧/١، ضمن أبيات قالها الشاعر في وصف ذئب .

قلت: قوله وهو سهو لأن أبا علي توهّم أنه تعدّد في اللفظ دون المعنى وليس كذلك لأنه في اللفظ والمعنى متعدّد، وذلك أن لقمان بن عاد كانت له أخت محمقة فقامت لإحدى نساء أخيها: هذه الليلة طهري وهي ليلتك فدعيني أنام في مضجعتك فإن لقمان رجل منجب فعسى أن يقع عليّ فأنجب، فوقع على أخته فحملت منه بليقيم. فلذلك قال النمر بن تولب^(١): [من المتقارب]

لِقَيْمُ بْنُ لُقْمَانَ مِنْ أُخْتِهِ فَكَانَ ابْنُ أُخْتٍ لَهُ وَابْنُ مَا
لِيَالِي حُمُقٍ فَاسْتَحْصَنْتُ إِلَيْهِ فَقَرَّبَهَا مَظْلَمًا^(٢)
فَأَحْبَلَهَا رَجُلٌ مُحْكَمٌ فَجَاءَتْ بِهِ رَجُلًا مُحْكَمًا^(٣)

فعلى هذا إذا كان الإنسان ابن أخت أبيه كان له معنيان هما: أن أباه خاله، وأن خاله أبوه، فهو ابن أبيه وابن خاله. وإذا صح هذا فهو متعدّد في اللفظ والمعنى، وحينئذ يستوي فيه العطف وعدمه، فلك أن تقول: فكان ابن أخته وابنه، وأن تقول فكان ابن أخته ابنه. وأما قول حميد الهلالي^(٤): «ينام بإحدى مقلتيه» فالعرب تزعم أن الذئب إذا نام زواج بين عينيه فيفتح إحداهما لتكون حارسة له. قال العسكري^(٥): وهذا محال لأن النوم يأخذ جملة الحي. قال ابن الجوزي: والذي أرادوا بذلك أنه يغمض عيناً عند بداية النوم ويفتح عيناً إلى أن يغلبه النوم فيكون في صورة الهاجع، ويكون الكلام صحيحاً. قلت: ما خلص ابن الجوزي من كلام العسكري لأن الشاعر قال: فهو يقظان هاجع، والحيوان لا يكون في حالة النوم يقظان. ويزعمون أن الأرنب ينام وعينه مفتوحتان. قال أبو الطيّب^(٦): [من الوافر]

أَرَانَبٌ غَيْرَ أَنَّهُمْ مُلُوكٌ مُفْتَحَةٌ عَيْنُونَهُمْ نِيَامٌ

فعلى ما قرره الشيخ بدر الدين محمد بن مالك يكون «ناءً عن الأهل صفر الكفّ منفرد» أخباراً تعدّدت في اللفظ والمعنى دون المبتدأ، لأنه واحد متصف بهذه الصفات، فيجوز أن تسرد الأخبار هنا معطوفة وغير معطوفة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ

(١) ديوان النمر بن تولب: ١٢٠، ١٢١.

(٢) في الديوان: «فَعَرَّ بِهَا».

(٣) في الديوان: «فَأَحْبَلَهَا رَجُلٌ نَابَةٌ».

(٤) هو أبو المثنى، حميد بن ثور بن حزن الهلالي، العامري: شاعر مخضرم، مجيد. توفي نحو ٣٠هـ/ نحو ٦٥٠م. (الشعر والشعراء: ١/ ٣٠٦).

(٥) هو أبو هلال، الحسن بن عبد الله بن سهل العسكري: عالم بالأدب، وله شعر. توفي بعد ٣٩٥هـ/ بعد ١٠٠٥م. من آثاره: «كتاب الصناعتين»، و«جمهرة الأمثال». (الأعلام: ٢/ ١٩٦).

(٦) ديوان المتنبي: ٢٢٧/١.

الْفُورُ الْوُدُودُ ﴿[البروج: ١٤]﴾. (كالسيف): تقدم الكلام على تقسيم الكاف، وهي هنا اسم بمعنى مثل وموضعها الرفع إن قدرت، فأنا منفرد مثل السيف أو النصب على الحال أو على أنها صفة لمصدر محذوف تقديره منفرد انفراداً مثل انفراد السيف. (عُرِّيَ مَتْنَاهُ) عُرِّيَ: فعل مغير لما لم يسم فاعله. قالوا في ضم أول الفعل المغير أنه دلالة على أن المحذوف مرفوع ولا يرد هنا. قيل: وبيع وبابه فإن الأصل قول وبيع بضم الأول، فلما كان ثقیلاً كسر لأنه لا يكون قبل الياء إلا ما هو من جنسها وكسر ما قبل آخره اعتناءً بأمره ليصوغوا له هيئة لا يشاركه فيها غيره من المفاعيل الخمسة وهذا تعليل عليل.

ذكرت هنا نادرة وهي: أن أبا الصقر قبل وزارته دخل على صاعد بن مَخْلَد^(١) وهو وزير، وفي المجلس أبو العباس بن ثوابة، فسأل الوزير عن رجل، فقال أبو الصقر: أنفي، فقال ابن ثوابة: في الخرا، فتصاحك به أهل المجلس، فقال أبو الصقر: مثلك يحتاج أن يُشَدَّ ويُحَدَّ. فقال: وهذا من جهلك من يُحَدَّ لا يُشَدَّ. فخرج أبو الصقر مغضباً. قلت: قد غلط أبو الصقر وابن ثوابة أيضاً لأن «نفي» لا يقال فيه: أنفي لأنه ثلاثي. تقول نفيت الشيء، والأنف لا يكون إلا بفتح الهمزة، وإنما الكامل في مثل هذا التندير ما أنشدني الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة سبعمائة وثمان وعشرين، قال: أنشدني ابن المتيني نائب دار العدل بمصر لنفسه يخاطب زين الدين خالد الأشعري: [من الخفيف]

قلت للزين كيف لا تثبت البعث وتنفى إنكارهم للحشر
قال أثبت فقلت ذقنك في إستي قال أنفي فقلت في وسط جحري

قلت: الصحيح أنهما للنور الأسعدي، وهو مأخوذ من قول الآخر: [من السريع]
جاء فلان الدين في وجهه أنف له كاد يُواريه
قلت له: ماذا القضاء، قال لي ذا منخري قلت: أنا فيه
ومثل هذا ما نقلته عن خط علاء الدين علي بن مظفر الكندي^(٢) المعروف بالوداعي لنفسه: [من السريع]

وذي دلال أهـيـفٍ أحـوـرٍ أصبح في عَقْدِ الهوى شَرُطِي

(١) صاعد بن مخلد: وزير من أهل بغداد، أسلم على يد الموفق العباسي، واستكتبه، واستوزره، ثم غضب عليه وسجنه، فتوفي محبوساً سنة ٢٧٦هـ / ٨٨٩م. (الأعلام: ٣/ ١٨٧).

(٢) أديب، مُتَفَنِّنٌ، شاعر، عارف بالحديث والقراءات، من أهل الإسكندرية. أقام بدمشق، وتوفي فيها سنة ٧١٦هـ / ١٣١٦م. (الأعلام: ٥/ ٢٣).

طافَ على القوم بكاساته وقال ساقى قلتُ في وسْطي
(رجع القول إلى الإعراب) متناه: مرفوع لأنه مفعول ما لم يسم فاعله وهو
عرّي وعلامة رفعه الألف لأنه مثنى تشنية متن وحذفت نون التشنية لإضافته إلى
الضمير. والموجب لحذف الفاعل أمور منها الجهل به أو عكسه أو الحقارة أو
عكسها أو إيثار غرض السامع لذلك أو للإبهام عليه، أو للاختصار أو للتفعيل كما
في قول الشاعر^(١): [من الكامل]

إِنَّ التّي زَعَمْتُ فَوَادَكَ مَلَّهَا خُلِقْتُ هَوَاكَ كَمَا خُلِقْتُ هَوَى لَهَا
فلو قال خلقها الله لم يصح التفعيل في تقطيع البيت، أو للتوافق، كقوله^(٢):
[من الطويل]

وَمَا الْمَالُ وَالْأَهْلُونَ إِلَّا وَدَائِعُ وَلَا بَدَّ يَوْمًا أَنْ تُرَدَّ الْوَدَائِعُ^(٣)
فلو ذكر الفاعل لنصب الودائع والقصيدة مرفوعة، أو للتقارب في السجع
كقوله: كثر النضال وقتل الرجال، فلو ذكر الفاعل طالت القرينة. ولأرباب المعاني في
التسعة الموجبة المذكورة كلام طويل على كل منها، أضربت عنه خوفاً من التطويل،
فحذف الفاعل هنا يحتمل أن يكون طلباً للتفعيل لأنه لو ذكره لم يصح التفعيل في
تقطيع البيت، ويحتمل أن يكون طلباً للإبهام على السامع، ويحتمل أن يكون للجهل
به، لأن الذي عرّي السيف لا يعلم، ويحتمل غير ذلك. وإنما أعطى المفعول في مثل
هذا الرفع اهتماماً بأمره لأن الرفع هو العمدة في الكلام، فأخذ منه النصب وهو دونه
وأعطى الرفع وهو خير منه، ولأن الفاعل الذي عدم لم يعرف ووجد المفعول قد قام
به الفعل، فكأنه الذي أوجده، كما تقول: مات زيد وانهدم الحائط، وهما لم يفعلا
ذلك من ذاتيهما وإنما قام بهما الفعل فنسبا إلى الفاعلية. والفعل لا يوجد إلا بوجود
الفاعل وهو في غنية عن المفعول في أكثر المواطن، ويحتمل أن يذكر للمناسبة وجوه
آخر غير هذه. (من الخلل): سوف يأتي الكلام على من وتقسيمها وهي هنا لبيان
الجنس لأنه يحتمل أن يعرّي من الخلل التي تغشى بها الجفون وأن يعرّي من
الجفون، وأن يعرّي من الصقل والرونق والمضاء وغير ذلك، فنصّ على أن السيف

(١) الشاعر هو عروة بن أذينة، والبيت في زهر الآداب: ٢٠٥/١، ضمن أبيات سُمِعَ يُنشدّها لنفسه
في دار رجل اسمه أبو العقيق. وعروة بن أذينة: فقيه، محدث، شاعر، من أهل المدينة. توفي
نحو ١٣٠هـ/ نحو ٧٤٧م. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٧١٥/١).

(٢) البيت للبيد بن ربيعة العامري، وهو في ديوانه: ٨٩، من قصيدة يرثي بها أخاه أربد.

(٣) في الديوان: «إلاً وديعة».

عُرِّي من الخلخل لا من غيرها، وهذه الجملة أعني عري وما بعدها في موضع الجر على الصفة للسيف. ومن الخلخل متعلق بِعُرِّي. (المعنى): هذا البيت متعلق بما قبله كأنه قال: لأي شيء أقيم في بغداد وأنا لا سكن لي بها ولا ناقة لي فيها ولا جمل، وأنا ناءٍ عن الأهل فقير لا أملك شيئاً من المال في كفي، منفرد عن الناس كالسيف الذي جرّد من حلّيته، فما تنظره العيون، وهو المطلوب في نفسه عند الحاجة لا الأجفان ولا الحمائل ولا الحلية. والسيف عند الشجاع غير مراد منه هذه الأشياء، وإنما المراد مضأؤه وفريه ونفوذه في الضرب إذ الغاية المطلوبة منه هي هذه. وأما الجفن والحلية والحمائل فلا اعتبار بوجودها ولا عدمها، وما الحلّى إلا حيلة من نقيصة. وما أحسن ما كشف المعرّي هذا المعنى بقوله^(١): [من الطويل]

وإن كان في لبس الفتى شرفٌ له فما السيفُ إلا غمدهُ والحمائلُ
وقال البحرّي يُعرّي بولد^(٢): [من الطويل]

تَعَزَّ فَإِنَّ السيفَ يَمْضِي وَإِنْ وَهَتْ حمائله عنه وخَلَّاهُ قَائِمُه
وقال النمر بن تولب^(٣): [من الطويل]

فإن تك أثوابي تمزّقن عن فتى فإنّي كَنُضِل السيفِ في خَلَقِ الغمْدِ^(٤)
وقال لبّيد بن ربيعة^(٥): [من الطويل]

فأَصْبَحْتُ مِثْلَ السيفِ أخلَقَ غمْدَه تَقَادُمُ عَهْدِ القَيْنِ والنَّضْلُ قاطِعُ^(٦)
فلهذا قال الطّغرائي ما قاله، يعني أنني في بغداد بهذه الحالة من الفقر واجتناب الناس لِخُلُوِّ ذات يدي، وأنا من الفضل والعلم والأدوات بمحلّ أسنى، ومع ذلك لا يعبا بي ولا ينظر إلى ذاتي من حيث هي كالسيف المعرّي من الحلية. وإنما المرء بأصغريه: قلبه ولسانه، إذ هما ذات، والمال عرض زائل. قال الشاعر: [من البسيط]

تَسْلُ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ بالحياة فَقَدْ يَهُونُ عِنْدَ بقاءِ الجواهرِ العَرَضُ
وقال أبو الطيّب في معنى عدم الالتفات إلى غير الإنسانية^(٧): [من الطويل]
وما الحُسْنُ في وَجْهِ الفتى شَرَفٌ له إذا لم يَكُنْ في فِعْلِهِ والخلائقِ

(١) سقط الزند: ١٨٢. (٢) ديوان البحرّي: ٩٢/٢.

(٣) ديوان النمر بن تولب: ٦١.

(٤) في الديوان: «تَمَزَّقْنَ عَنْ بَلَى». البلى: القدم. غمْدُ السيف: قِرابه.

(٥) ديوان لبّيد بن ربيعة: ٨٩.

(٦) في الديوان: «عَبَّرَ جَفَنَهُ». الجَفْنُ: الغمْدُ. القَيْنُ: الحِداذُ.

(٧) ديوان المتنبي: ١٧٥/٢.

وقال الشريف الرضي: [من البسيط]

لا تجعلَنَّ دَلِيلَ المرءِ صُورَتَهُ كَمْ مَخْبَرٍ سَمَجٍ فِي مَنظَرٍ حَسَنِ
ولغيره: [من البسيط]

إِنَّ الصَّفَائِحَ لَا يُقَرِّبُكَ بَاطِنُهَا نَقْشُ الطَّوَابِعِ مَوْسُومٌ عَلَى الطِّينِ
وقال التهامي: [من البسيط]

حُسْنُ الرجالِ بِحُسْنَاهُمْ وَفَخْرُهُمْ بِطَوْلِهِمْ فِي المَعَالِي لَا بِطَوْلِهِمْ
وقال الغزي: [من الخفيف]

لَا يَحِطُّنَّ رُتَبَتِي سُوءَ حَالِي آيَةُ الحُسْنِ فِي الجَفَوْنَ السِقَامِ
أَنَا كَالنَّارِ أَطْفَأُ القَطْرُ مِنْهَا وَلَهَا بَعْدُ أَنْ نَفَخْتُ احْتِدَامِ

وما أحسن قول ابن حمديس: [من الكامل]

أَصْبَحْتُ مِثْلَ السِّيفِ أَبْلَى غِمْدُهُ طُولُ اعتِلَاقِ نَجَادِهِ بِالمَنَكِبِ^(١)
إِنْ يَغْلُهُ صَدَأُ فِكْمٍ مِنْ صَفْحَةٍ مَضْغُولَةٍ بِالمَاءِ تَحْتَ الطَّحْلِبِ

وقال ابن قلاقس الإسكندري: [من الكامل]

وَلَئِنْ أَرَادَتْنِي الخُطُوبُ بِمُرِّهَا فَالزُّمَحُ يُزَلِقُ عَنْ ثَنَائِيَا مَنَعَجِ
أَوْ رُحْتُ فِي سَمَلِ الثِّيَابِ فَإِنِّي كَالْعَضْبِ يَفْرِي وَهُوَ رَثُّ المَنْسَجِ

وقال أيضاً في عكس المعنى: [من البسيط]

قالوا الثَّوَابُ عَنْ الأَثْوَابِ قَلْتُ لَهُمْ خُذُوا ثَوَابِي وَرَدُّونِي لِأَثْوَابِي
وَاضِيعَةُ العَضْبِ لَا جَفْنٌ يَصَانُ بِهِ وَأَيُّ جَفْنٍ لِمَاضِي الحَدِّ قِرْضَابِ^(٢)

وقال أبو الطيب في عكس هذا المعنى^(٣): [من البسيط]

لَا يُعْجِبُنَّ مَضِيماً حُسْنُ بَرَّتِهِ وَهَلْ يَرُوقُ دَفِيناً جَوْدَةُ الكَفَنِ
ومن قول أبي العلاء المعري في معنى قول الطغرائي^(٤): [من الوافر]

وَأَنْتَ السِّيفُ إِنْ يُعْدَمُ حَلِيّاً فَلَمْ يُعْدَمْ فِرْنَدُكَ وَالْغِرَارُ^(٥)

(١) نجاد السيف: حمائله.

(٢) العَضْب: السيف القاطع. القِرْضَاب: القطاع من السيوف، يقطع العظام.

(٣) ديوان المتنبي: ٣١٧/١. (٤) ديوان أبي العلاء (سقط الزند): ١٣١.

(٥) في الديوان: «إِنْ تُعْدَمَ». الفرند: ما يلمح في صفحة السيف من أثر تموج الضوء. الغرار: حد السيف.

وليس يزيد في جري المذاكي ركب فوقه ذهب مमार^(١)
 ورّب مطوّق بالتبريكبو بفارسه وللهج اعتبار^(٢)
 وزند عاطل يزهي بمدح ويحرّمه الذي فيه السوار^(٣)
 ويعجبني قول القائل: [من المجتث]

ليس الخمول بعار على امرئ ذي جلال
 فليله القدر تخفى وتلك خير الليالي

قلت: الحكمة في إخفاء ليلة القدر لها موجبات، منها: أن يحصل الاجتهاد في الظفر بها، فكل شخص يجتهد في أمرها فيحصل له الأجر في اجتهاده. لأن من اجتهد وأصاب فله أجران ومن اجتهد وأخطأ فله أجر واحد تفضلاً من الله ورحمة لئلا يحرم العامل أجراً. (مسألة): كل مجتهد مصيب في الفروع لا في الأصول هذا هو الصحيح. ومن قال: إن كل مجتهد مصيب مطلقاً فلا حجة معه، بدليل قوله: كل مجتهد مصيب. وهذا البحث فيه دقة، لأنه يأخذ حجة خصمه فيجعلها دليلاً على مطلوبه فيقول بعين ما قلت يلزمك ما أقول، إذا أنت أثبت أن كل من اجتهد أصاب، وأنا قد اجتهدت فأدّى اجتهادي إلى أن كل مجتهد لم يصب اللهم إلا في الفروع. وما أحلى قول شمس الدين محمد بن التلمساني ومن قوله نقلت^(٤): [من الوافر]

فضاة الحسن ما صنعي بطرف تمنى مثله الرشا الربيب^(٥)
 رمى فأصاب قلبي باجتهاد صدقتم كل مجتهد مصيب

وقد تعبّدنا الله عز وجل بأشياء لا ندري معناها وأخفاها علينا لمضاعفة الأجور لنا في الإيمان بها والاجتهاد في معرفتها، ومثل ليلة القدر الساعة التي في يوم الجمعة التي يجاب فيها الدعاء. قال ابن حزم في مراتب الإجماع: وأجمعوا على أن ليلة القدر حق وهي في السنة ليلة واحدة. ومنهم من قال: هي في مجموع رمضان، ومنهم من قال: هي في أفراد العشر الأواخر، ومنهم من قال: في السابع

(١) المذاكي: يقال: ذكى الفرس: أتى عليه بعد قروحه سنة أو سنتان، أو الذي ذهب حُضره وانقطع، وفي المثل: «جري المذاكي غلاب»، يضرب لمن يُوصف بالتبريز على أقرانه. مमार: من أمار الماء ونحوه: أساله.

(٢) التبر: الذهب. يكو: يعثر. الرهج: الغبار.

(٣) في الديوان: «يحظى بمدح». عاطل: لا حلي عليه.

(٤) ديوان الشاب الظريف: ٤٠.

(٥) الطرف: العين، أو النظر. الرشا: ولد الظبية إذا قوي واشتد ومشى مع أمه.

والعشرين، وهو قول ابن عباس، لأن قوله تعالى: ليلة القدر هي تمام سبع وعشرين لفظة من السورة. وليلة القدر تسعة أحرف وهي مذكورة ثلاث مرات فتكون سبعة وعشرين حرفاً. ومنهم من قال: هي في مجموع السنة لا يخص بها رمضان ولا غيره. روي ذلك عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: من يقيم الحول يصيبها. ومنهم من قال: رُفعت بعد النبي ﷺ إذ كان فضلها لنزول القرآن، فالذين قالوا: إنها في مجموع رمضان اختلفوا في تعيينها على ثمانية أقوال. قال ابن رزين^(١): هي الليلة الأولى، وقال الحسن البصري^(٢): هي السابعة عشر. وعن أنس مرفوعاً أنها التاسعة عشر، وقال محمد بن إسحاق: هي الحادية والعشرون. وقال ابن عباس: الثالثة والعشرون، وقال ابن مسعود: الرابعة والعشرون، وقال أبو ذر الغفاري^(٣): الخامسة والعشرون، وقال أبي بن كعب^(٤) وجماعة من الصحابة: السابعة والعشرون. ومن قال: إنها تخص رمضان يلزمه إذا قال لزوجته: أنت طالق ليلة القدر أنها لا تطلق حتى يحول عليها الحول لأنها تكون قد مرت بيقين، لأن النكاح أمر متيقن لا يزول إلا بمثله، وكونها في رمضان أمر مظنون. وفي هذا التفقه نظر، لأن الأحاديث الصحيحة دلّت على أنها في العشر الأواخر من رمضان، ووقوع الطلاق حكم شرعي، والحكم الشرعي يثبت بخبر الآحاد، لأن خبر الآحاد يوجب العمل ولا يفيد العلم. قال الرافعي: لو قال لزوجته: أنت طالق ليلة القدر، قال أصحابنا: إن قاله قبل رمضان أو فيه قبل مضي أول ليالي العشر طلقت بانقضاء ليالي العشر، وإن قاله بعد مضي لياليها لم تطلق إلى مضي سنة كاملة. قال الشيخ محيي الدين النووي: قوله طلقت بانقضاء ليالي العشر فيه تجوز تابع فيه صاحب المذهب وغيره. وحقيقته طلقت في أول الليلة الأخيرة من العشر، وكذا قوله: إن قال بعد مضي لياليها لم

(١) هو أبو عبد الله، محمد بن عيسى بن إبراهيم بن رزين التيمي، الأصبهاني: إمام في القراءات، وعالم بالعربية. توفي سنة ٢٥٣هـ / ٨٦٧م. (الأعلام: ٦/ ٣٢٢).

(٢) هو أبو سعيد، الحسن بن يسار البصري: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. ولد بالمدينة، وشبّ في كنف علي بن أبي طالب. توفي سنة ١١٠هـ / ٧٢٨م. (الأعلام: ٢/ ٢٢٦).

(٣) هو أبو ذر، جندب بن جنادة بن سفيان بن عبيد الغفاري: صحابي، من أكابرهم، قديم الإسلام. وهو أول من حيّا النبي ﷺ بتحية الإسلام. توفي سنة ٣٢هـ / ٦٥٢م. (الأعلام: ٢/ ١٤٠).

(٤) هو أبي بن كعب بن قيس بن عبيد، من بني النجار، من الخزرج: صحابي أنصاري، كان قبل الإسلام حبراً من أحبار اليهود، ولما أسلم كان من كتّاب الوحي. توفي سنة ٢١هـ / ٦٤٢م. (الأعلام: ١/ ٨٢).

تطلق إلى مضي سنة فيه تجوز، وذلك أنه قد يقول لها في آخر اليوم الحادي والعشرين، فلا يقف وقوع الطلاق على مضي سنة كاملة بل يقع في أول ليلة الحادي والعشرين. قلت: وهذا تحقيق من الشيخ محيي الدين، وعجبت في الرافعي كيف غفل عن هذا. وقيل في تسميتها بليلة القدر وجوه أحدها: أنها ليلة تقدير الأمور والأحكام. قال عطاء^(١) عن ابن عباس: إن الله تعالى قدر ما يكون في تلك السنة فيها من رزق وإحياء وإماتة إلى مثل هذه الليلة، وقيل: القدر: الضيق، لأن الأرض تضيق على الملائكة فيها. وقيل: القدر للفاعل متى أتى فيها بالطاعة كان ذا قدر وشرف، وقيل: نزل فيها كتاب ذو قدر وشرف عظيم، وقيل غير ذلك. واعلم أن الله لا يحدث تقديره في هذه الليلة لأنه تعالى قدر المقادير قبل خلق السموات والأرض في الأزل ولكن المراد إظهار تلك المقادير للملائكة في تلك الليلة لكتبتها في اللوح المحفوظ، وهذا الذي ينبغي أن يعتقد في قول ابن عباس رضي الله عنهما. (رجع القول إلى معنى قول الشاعر وتلك خير الليالي). يعجبني قول القائل: [من مخلص البسيط]

وَلَيْسَ قُبْحُ الْمَكَانِ مِمَّا يَفْدَحُ فِي مَنْصِبِي وَدِينِي
فَالشَّمْسُ عُلوِيَّةٌ وَمَعَ ذَا تَغْرُبُ فِي حَمَاءٍ وَطِينِ

قلت: يشير إلى قوله تعالى: ﴿وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾ [الكهف: ٨٦] وهذه الآية الكريمة ظاهرها مشكل وهو مغمز للزنادقة لأنهم يقولون: إن البرهان قد ثبت في المجسطي أن الشمس قدر الأرض مائة وستين مرة وكسوراً، فكيف تدخل مع هذا القدر العظيم في عين من عيونها؟ والجواب: أن في هنا ليست ظرفية، وأنها على ما ذهب إليه ابن قتيبة بمعنى عند لأنها قد ترد بمعنى عند وبمعنى مع. قال الشاعر:

«حَتَّى إِذَا أَلْقَتْ يَدًا فِي كَافِرٍ»

معناه عند كافر.

وقال الشاعر: [من الهزج]

«وَفِي الشَّرِّ نَجَاءٌ حَيٌّ نَ لَا يُنْجِيكَ إِحْسَانٌ»

معناه ومع الشر. وقد تكون في الآية بمعنى على، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّتُمْ فِي

(١) هو عطاء بن أسلم بن صفوان: تابعي، من كبار الفقهاء، نشأ بمكة، فكان مفتي أهلها ومحدثهم. وهو المعروف بابن أبي رباح. توفي سنة ١١٤هـ / ٧٣٢م. (الأعلام: ٤/ ٢٣٥).

جُدُوعُ النَّخْلِ ﴿طه: ٧١﴾ أي على جذوع النخل. وقال عنترة^(١): [من الكامل]

«بَطْل كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْجِهِ»

أي على سرجه. وكما أَنَّها تقع موقع على، كذلك تعكس القضية كقول الشاعر: [من الكامل]

«وَلَقَدْ سَرِيتُ عَلَى الظَّلَامِ بِمَعَشَرٍ»

أي في الظلام هذا إذا لم نفتح باب تأويل المعنى ونقول: إن الخطاب جاء على حكم الحسّ في رأي العين لأن من وقف على شاطئ البحر المحيط أو قريباً من جبل عال رأى الشمس عند الغروب كأنها تدلّت في نفس البحر أو خلف الجبل. قال الله تعالى: ﴿حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ﴾ [ص: ٣٢] أي وراء الجبل. ولولا أن اللفظ جاء على حكم الحسّ في الظاهر لما قال الله تعالى: ﴿وَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا﴾ ومن المعلوم عقلاً أن القوم لا يجلسون في قرن الشمس ولا هم عندها، ولكن لما كان ذو القرنين قد توغّل في جوب الأرض حتى انتهى إلى البحر المحيط من جهة الغرب كان الناظر يخيّل إليه أن الشمس تغرب هناك. فإن قلت ما معنى قوله تعالى: ﴿تَقَرَّبُ فِي عَيْتٍ حِمَّةٍ﴾ بثبوت الألف وهي قراءة ابن عامر^(٢)، وحمزة^(٣)، والكسائي^(٤)، وأبي بكر بن عاصم^(٥)، فعلى هذا أقصى البحر الغربي يكون كثير السخونة حامياً. ومن قرأ حمّة أراد بها كثيرة السواد من الحمأة وهو الطين. فعلى هذا الخطاب ورد على حكم الحسّ في الظاهر، والحسّ قد يكذب فيرى الصغير كبيراً وعكسه، ويرى النقطة خطاً ودائرة كما في القطرة الممتدة من السماء إلى الأرض، والنقطة على الرحى التي تدور سريعاً. وكما إذا غمز الإنسان بعينه ونظر إلى القمر فيراه اثنين، ولا بأس بتعليل هذا فأقول: زعموا أنه إذا حدث التواء الحدقة بسبب ارتخاء عضلها

(١) ديوان عنترة بن شداد: ٢٧. والبيت بتمامه:

بَطْل كَأَنَّ ثِيَابَهُ فِي سَرْجَةٍ يُحْدَى نِعَالُ السَّبْتِ لَيْسَ بِتَوَامٍ

(٢) هو أبو عمران، عبد الله بن عامر بن يزيد اليحصبي الشافعي: أحد القراء السبعة. سكن دمشق، وتوفي فيها سنة ١١٨هـ/ ٧٣٦م. (الأعلام: ٩٥/٤).

(٣) هو حمزة بن حبيب بن عمارة بن إسماعيل التيمي: أحد القراء السبعة. توفي بحلول سنة ١٥٦هـ/ ٧٧٣م. (الأعلام: ٢٧٧/٢).

(٤) هو أبو الحسن، علي بن حمزة بن عبد الله الأسدي الكسائي: إمام في اللغة والنحو والقراءة، من أهل الكوفة. سكن بغداد، وتوفي بالرّي سنة ١٨٩هـ/ ٨٠٥م. (تاريخ بغداد: ٤٠٣/١١).

(٥) هو أبو بكر، أحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحّاك الشيباني: عالم بالحديث، قاضٍ، من أهل البصرة. توفي سنة ٢٨٧هـ/ ٩٠٠م. (الأعلام: ١٨٩/١).

أو تحويل الرطوبة الجلدية عن وضعها في إحدى الجهتين دون الأخرى تبقى الجهة التي قد تحوّل وضعها تنطبع الصورة المنتقلة من رطوبتها الجلدية لا في الفصل المشترك بل في موضع آخر بسبب الغمز الذي حدث منه التحويل، كما إذا أشرقت الشمس على ماء في البيت فإنه يشرق منه نور في السقف، فلو تغيّر موضع الماء تغيّر موضع انطباعه في السقف. كذلك تغيّر وضع الحديقة يوجب انتقال موضع انطباع ما في الجلدية، فتبقى الصورة صورتين فيرى الواحد اثنين.

حكى أن بعضهم ادّعى هذه الدعوى وقال: إن كل أحول يرى الشيء شيئين، وكان له ابن أحول فقال: يا أبت ليس هذا بصحيح لأنه يلزم من هذا أنني كنت أرى القمرين أربعة. قال الإمام فخر الدين الرازي في المباحث المشرقية: واعلم أن أصحاب الأشباح يذكرون أسباباً أخر منها حركة الروح الباصر وتموّجه يمنة ويسرة فيرسم الشبح في بعض الأجزاء قبل تقاطع المخروطين، فيرى شبحين وهو مثل الشبح المرتسم في الماء الساكن مرةً واحدة، والمرسم في الماء المتحرك المتموّج مراراً كثيرة. ومنها: حركة الروح الذي وراء تقاطع العصبين إلى قدام وحده حتى يكون لها حركتان متضادتان، واحدة إلى الحس المشترك والأخرى إلى ملتقى العصبين، فيتأدّى إليهما صورة المحسوس قبل أن ينمحي ما تأدّى إلى الحس المشترك. مثلاً لو ارتسمت في الروح المؤدي صورة نقلها إلى الحس المشترك ولكل مرتسم زمان ثابت قبل أن ينمحي، فلما زال القابل الأول عن موضعه خلفه جزء آخر فقبل تلك الصورة بعينها قبل انمحائها فحينئذٍ يحصل في كل واحدة صورة مرئية. وذكر قبل ذلك تعاليل أخر، قال الشيخ الإمام العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري: قولهم: إن الأحول يرى الشيء شيئين ليس على إطلاقه بل إنما يرى الشيء شيئين إذا كان حوله إنما هو اختلاف إحدى الحدقتين بالارتفاع والانخفاض ولم يستقر زماناً يألف به المرئيات. أما إن كان الحول بسبب اختلاف المقلتين يمنة ويسرى أو بسبب الارتفاع والانخفاض ودام وألف فلا. ومما يؤيد ذلك أن الإنسان إذا غمز إحدى حدقتيه حتى تخالف الأخرى يمنة أو يسرة، فإنه يرى الشيء شيئين. ويوجد في الناس غير واحد ممن حوله بالارتفاع والانخفاض قد ألف تلك الحالة فلا يرى الشيء شيئين. والحق أن الذي يغمز إحدى عينيه حتى ترتفع أو تنخفض عن أختها إنما يرى الشيء شيئين لأنه يرى الشيء المرئي بإحدى العينين قبل الأخرى فيصل إلى التقاطع الصليبي شبح تلو هذا الشبح فيرى الواحد اثنين فقط، ولولا ذلك لرأى هذا الرائي الشيء الواحد متكرراً لغير نهاية على نسبة زوج الزوج كما في تضعيف رقعة الشطرنج. كلامه إملاء على فمه. وقد لهج الشعراء بذكر

الْحَوْلُ فَقَالَ ابْنُ الْحَلَاوِيِّ^(١) فِي مَشْرِفٍ مَطْبُخٍ ، وَهُوَ أَحَوْلُ : [مِنَ الطَّوِيلِ]
يَجِيءُ إِلَيْنَا بِالْقَلِيلِ يَظُنُّهُ كَثِيرًا وَلَيْسَ الذَّنْبُ إِلَّا لِعَيْنَيْهِ
وَمِنْ سُوءِ حَظِّي أَنَّ رِزْقِي مُقَدَّرٌ بِرَاحَةِ شَخْصٍ يُبْصِرُ الشَّيْءَ مِثْلِيهِ

وَقَالَ النُّورُ الْأَسْعَرْدِيُّ فِي أَحْوَلٍ لَائِطٍ : [مِنَ الْخَفِيفِ]

يَا ظَرِيفًا يَكَادُ يَقْطُرُ مِنْ عِطٍ فَيْهِ مَاءُ اللَّوَاظِ فِي كُلِّ وَادٍ
عِشْ هَنِيئًا فَإِنَّ عَيْنِيكَ يُغْنِي حَوْلٌ فِيهِمَا عَنِ الْقَوَادِ

أَنْشَدَنِي الشَّيْخُ الْإِمَامُ الْعَلَّامَةُ أَثِيرُ الدِّينِ أَبُو حَيَّانٍ مُحَمَّدُ بْنُ يُوسُفَ بِمِصْرَ سَنَةِ
سَبْعِمِائَةٍ وَثَمَانٍ وَعَشْرِينَ قَالَ : أَنْشَدَنِي لِنَفْسِهِ مُحَمَّدُ بْنُ أَحْمَدَ بْنِ حَسَنَ بْنِ عَامِرِ
النَّجَبِيِّ فِي مَلِيحٍ لَهُ رَقِيبٌ أَحْوَلُ : [مِنَ الْكَامِلِ]

بِأَبِي رَشَاءٍ يَحْوِي مَعَ الْإِحْسَانِ مُلْكِيَّةً مَوْضُوعَهَا إِنْسَانِي
أَحْوَى الْجُفُونَ لَهُ رَقِيبٌ أَحْوَلُ الشَّيْءُ فِي إِدْرَاكِهِ شَيْئَانِ
يَا لَيْتَهُ تَرَكَ الَّذِي أَنَا مُبْصِرٌ وَهُوَ الْمَخَيَّرُ فِي الْغَزَالِ الثَّانِي

وَمَا أَحْلَى قَوْلَ نَجْمِ الدِّينِ بْنِ إِسْرَائِيلَ^(٢) دُوَيْتَ :

قَدْ بَالَعَ فِي حَدِيثِهِ بِالْمِينِ مَنْ قَالَ رَأَيْتُ مِثْلَهُ بِالْعَيْنِ
مَا يُبْصِرُ مِثْلَهُ سِوَى ذِي حَوْلٍ مَنْ حَيْثُ يَرَى الْوَاحِدَ كَالِاثْنَيْنِ

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ : [مِنَ السَّرِيعِ]

وَأَحْوَلُ الْعَيْنِ تَعَشَّقَتْهُ مَا فِيهِ مِنْ عَيْبٍ وَلَا شَيْنٍ
يَشْكُرُ مَا أَوْلِيَهُ مِنْ فَاقَتِي حَتَّى يُرِي لِيَ الشَّيْءَ شَيْئَيْنِ

وَقَالَ الْآخَرُ وَهُوَ مَشْهُورٌ : [مِنَ الطَّوِيلِ]

نَظَرْتُ إِلَيْهَا وَالرَّقِيبُ يَظُنُّنِي نَظَرْتُ إِلَيْهِ فَاسْتَرَحْتُ مِنَ الْعُذْرِ
شَكَرْتُ إِلَهِي إِذْ بَلَانِي بِحُبِّهَا عَلَى حَوْلٍ أَغْنَى عَنِ التَّنْظَرِ الشَّرِّ^(٣)

(١) هُوَ أَبُو الطَّيِّبِ ، شَرَفُ الدِّينِ ، أَحْمَدُ بْنُ مُحَمَّدَ بْنِ أَبِي الْوَفَاءِ بْنِ الْخَطَّابِ الرَّبْعِيِّ الْمَوْصِلِيِّ (ابْنُ الْحَلَاوِيِّ) : شَاعِرٌ مِنْ أَهْلِ الْمَوْصِلِ ، فِيهِ ظَرْفٌ وَلُطْفٌ ، وَفِي شَعْرِهِ رَقَّةٌ وَجَزَالَةٌ . تَوَفَّى سَنَةَ ٦٥٦هـ / ١٢٥٨م . (النَّجْمُ الزَّاهِرَةُ : ٦٠ / ٧ ؛ فَوَاتُ الْوَفِيَّاتِ : ٦٩ / ١) .

(٢) هُوَ أَبُو الْمُعَالِيِّ ، نَجْمُ الدِّينِ ، مُحَمَّدُ بْنُ سَوَّارَ بْنِ إِسْرَائِيلَ بْنِ الْخَضِرِ الشَّيْبَانِيِّ : شَاعِرٌ غَزَلَ ، وَلَدَ بَدْمَشَقَ ، وَتَوَفَّى فِيهَا سَنَةَ ٦٧٧هـ / ١٢٧٨م . (الْأَعْلَامُ : ١٥٣ / ٦ ؛ شَذَرَاتُ الذَّهَبِ : ٣٥٩ / ٥) .

(٣) نَظَرَ شَزَرَ : فِيهِ إِعْرَاضٌ وَتَكَبُّرٌ .

وقال الآخر في مليح أحول: [من الكامل]

قالوا شُغِفَتْ بِأَحُولٍ فَأَجَبْتَهُمْ قَدْ زِدْتُمْ وَاللَّهِ فِي أَوْصَافِهِ
لَا تَحْسَبُوا حَوْلًا بِهِ لَكُنْهُ مِنْ زَهْوِهِ يَرْنُو إِلَى أَعْطَافِهِ

وقال الشيخ صدر الدين محمد بن الوكيل: [من الطويل]

يقولون لي لم ذا كَلَفْتَ بِأَحُولٍ يُقَلِّبُ بِالزَّوْجِينَ قُلْتُ لَهُمْ عُذْرًا
رَأْتُ كُلَّ عَيْنٍ حَسَنٍ أَوْصَافَ أُخْتِهَا فَعَادَتْ طَوَالَ الدَّهْرِ تَنْظُرُهَا شَرْزًا

وقال العلوي البصري فأحسن: [من المتقارب]

وَنَظْرَةُ عَيْنٍ تَعَلَّلْتُهَا خِلَاسًا كَمَا نَظَرَ الْأَحُولُ
تَقَسَّمَتْهَا بَيْنَ وَجْهِ الْحَبِيبِ وَبَيْنَ الرَّقِيبِ مَتَى يَغْفُلُ

وتبعه الآخر فقال: [من الطويل]

أَرَى مُسْتَقِيمَ الطَّرْفِ مَا دُمْتُ عِنْدَكُمْ فَإِنْ زَالَ طَرْفِي عَنْكُمْ فَهُوَ أَحُولُ
رجع القول إلى كذب الحس وغلطه، وقد يرى القمر السائر تحت السحاب
متحركاً إلى غير جهته التي يتحرك إليها بالذات، ويرى النار البعيدة كبيرة وهي صغيرة
والجبال وغيرها في السراب طوالاً، ويرى الخاتم إذا وضعه على عينه وحلقته كالسوار،
ويرى الشمس عند الشروق والغروب أكبر مما هي عند الزوال، ويرى العنبة في الماء
كالإجاصة. فأما رؤية القمر متحركاً إلى غير جهته فعلى رأي القائلين بالشعاع أن
المتحرك إنما هو الشعاع. وفيه كلام طويل فعلى رأي القائلين بالانطباع والشعاع، إما أن
المنطبع تكيف بكيفية المتطبع فيه، وإما لأن الشعاع حين خالط الأجسام الرطبة غلظ
فانعكس من ذلك المرأى غليظاً فرأى ذلك المرأى غليظاً. وأما الشمس فسيبها أن ناحيتي
المشرق والمغرب فيهما رطوبات كثيرة تصاعد من الأرض فينعقد شفقاً على ما هو
مشاهد بالحس فلهذا ترى الشمس كبيرة بسبب الرطوبات، وغلط الحس كثير أتيت منه
بهذا القدر. وما أحسن قول أبي العلاء المعري^(١): [من البسيط]

وَالنَّجْمُ تَسْتَصْغُرُ الْأَبْصَارُ رُؤْيَتَهُ وَالذَّنْبُ لِلطَّرْفِ لَا لِلنَّجْمِ فِي الصَّغَرِ^(٢)

وقال الخفاجي الحلبي^(٣): [من البسيط]

وَلَا يَنَالُ كَسُوفُ الشَّمْسِ طَلْعَتَهَا وَإِنَّمَا هُوَ فِيمَا يَزْعُمُ الْبَصَرُ

(١) سقط الزند: ٧١. (٢) في سقط الزند: «تستصغر الأبصار صورته».

(٣) هو أبو محمد، عبد الله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي الحلبي. شاعر، أخذ الأدب عن أبي العلاء المعري. توفي سنة ٤٦٦هـ/ ١٠٧٣م. (الأعلام: ١٢٢/٤).

وعلم المناظر علم ظريف إلى الغاية، ولابن الهيثم^(١) فيه كتاب جليل رأيته في سبع مجلدات، ولشهاب الدين العراقي كراريس أودعها خمسين مسألة من المناظر سماها «الاستبصار فيما تدركه الأبصار» قرأتها بعدما كتبها على الشيخ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري. ومما ينخرط في غلط الحس ما قرأته على الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله الذهبي في المغازي التي له.

قال ابن وهب: حدّثني أسامة بن زيد الليثي قال: حدّثني نافع^(٢) قال: كانت لابن رواحة امرأة، وكان يتقيها، وكانت له جارية فوقع عليها فقالت له: أظنك قد فعلت، وفرت أن يكون قد فعل، فقال: سبحان الله، فقالت: اقرأ عليّ إذا شيئاً من القرآن فقال: [من الطويل]

شَهِدْتُ بِإِذْنِ اللَّهِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولَ الَّذِي فَوْقَ السَّمَوَاتِ مِنْ عُلُ
وَأَنَّ أَبَا يَحْيَى وَيَحْيَى كِلَاهُمَا لَهُ عَمَلٌ مِنْ رَبِّهِ مُتَقَبَّلٌ

وقال ابن وهب عن عبد الرحمن بن سليمان بن الهادي أنّ امرأة عبد الله بن رَوَاحَةَ رَأَتْهُ عَلَى جَارِيَةٍ لَهُ فَجَحَدَهَا، فَقَالَتْ لَهُ: إِقْرَأْ، فَقَالَ: [من الوافر]

شَهِدْتُ بِأَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ النَّارَ مَثْوَى الْكَافِرِينَ
وَأَنَّ الْعَرْشَ فَوْقَ الْمَاءِ طَافٍ وَفَوْقَ الْعَرْشِ رَبُّ الْعَالَمِينَ
وَتَحْمِلُهُ مَلَائِكَةُ كِرَامٍ مَلَائِكَةُ الْإِلَهِ مُقَرَّبِينَ

فقالت: آمنت بالله وكذبت البصر، فحدّث ابن رَوَاحَةَ رسول الله ﷺ بذلك فضحك. جاء بعضهم إلى قاض فاشتكى ابنه وقال: أيها القاضي إن ابني لا يصلي. فقال له القاضي: ما تقول فيما يقول والدك؟ فقال: كَذَبَ فَإِنِّي أَصْلِي. فقال أبوه: أيها القاضي إن كان صادقاً فَمُرْهُ أَنْ يَقْرَأَ شَيْئاً مِنَ الْقُرْآنِ. فقال له القاضي: إقرأ. فقال: [من مجزوء الرمل]

عَلِقَ الْقَلْبُ الرَّبَّابَا بَعْدَمَا شَابَتْ وَشَابَا
إِنَّ دِينَ اللَّهَ حَقٌّ لَا أَرَى فِيهِ ارْتِيَابَا

(١) هو أبو علي، محمد بن الحسن بن الهيثم: مهندس، من أهل البصرة، يلقب ببطليموس الثاني. توفي سنة ٤٣٠هـ / ١٠٣٨م. (الأعلام: ٨٣/٦).

(٢) هو نافع بن جبير بن مطعم بن عدي بن نوفل، من قريش: تابعي، من كبار رواة الحديث. توفي سنة ٩٩هـ / ٧١٧م. (الأعلام: ٣٥٢/٧).

فنههما القاضي وقال: ويحكمما تقرآن القرآن ولا تعملان به. ومما يتعلق بكذب الحس أنّ بعض النساء الفواجر كان لها ميل إلى رجل تحبه غير زوجها، فاقترح عليها يوماً أن يكون فعله أمام زوجها، فقالت له: إذا كان الغد فامض إلى البستان الفلاني وكن بين الشجر. فلما أصبحت أخذت زوجها وتوجهت به إلى ذلك المنتزه الذي عيّنته ودخلا إليه. فلما اطمأنّ بهما الجلوس سعدت إلى شجرة هناك على أنها تلتقط من ثمرها فلما صارت بأعلاها جعلت تصيح بأعلى صوتها: ويلك ألك أن تفعل مثل هذا بحضرتي وتأتي بهذه القحبة إلى هنا وتجامعها وأنا أنظر، وأخذت في مثل هذا زماناً ثم أنها نزلت بناءً على أنها تمضي إلى الحاكم فتشكوه فأخذ يتبرّم من هذا الفعل ويتبرأ وهي لا تنفك ولا تبرح. فقال لها: على أن يكون هذا من خاصية هذه الشجرة حتى أرتك عينك ما لا حقيقة له دعيني أطلع أنا إليها وأبصر حقيقة ذلك. فلما صعد الشجرة دعت عشيقها وأخذ في العمل فلما رآها الزوج قال لها: لو أنني قليل العقل مثلك لكنت أقول: إن رجلاً قد علاك وهو يفعل كيت وكيت. (رجع القول إلى قول الشاعر وليس قبح المكان البيتين). قال أبو بكر الخالدي: [من مجزوء الكامل]

يَا هَذِهِ إِنْ رُحْتُ فِي سَمَلٍ فَمَا فِي ذَاكَ عَارٍ^(١)
هَذِي الْمُدَامُ هِيَ الْحَيَا ةٌ قَمِيصُهَا خَزَفٌ وَقَارُ
وعلى ذكر اللباس فما في ذكر أبيات أبي الحسين الجزار من لباس وهي:
[من الخفيف]

لِي نِصْفِيَّةٌ تَعْدُ مِنَ الْعُمِّ رَسِينَاً غَسَلْتُهَا أَلْفَ غَسْلَةٍ^(٢)
لَا تَسْلُنِي عَنْ مُشْتَرَاهَا فَفِيهَا مُنْذَ فَصَلْتُهَا نَشَاءَ بِجَمْلَةٍ
نَسَفَ الرِّيحُ صَدْرَهَا بِالْأَرَازِ بِّ فَبَاتَتْ تَشْكُو هَوَاءً وَنَزْلَةً^(٣)
كُلَّ يَوْمٍ تَكَابِدُ الْعَصْرَ وَالِدَّ قَّ مِرَاراً وَمَا تَقَرَّبَ بَعْمَلَةٍ
قَالَ لِي النَّاسُ حِينَ أَطْنَبْتُ فِيهَا بَسْ أَكْثَرَتْ حَمْلَهَا وَهِيَ بَعْلَةٍ
في هذه الأبيات عدّة توريّات لا يخفى حسن موقعها من السمع. وقال أيضاً:
[من السريع]

أَشْكُرُ مَوْلَانَا وَنِصْفِيَّتِي تَشْكُرُهُ أَكْثَرَ مِنْ شُكْرِي

(١) السَّمَل: الثوب الخلق البالي.

(٢) النِصْفِيَّة: نوع من الملابس تستر نصف الجسد.

(٣) الْأَرَازُبُّ: جمع أَرْزَبَةٍ، وهي عُصِيَّة من حديد، أو مطرقة كبيرة.

أَرَا حَهَا جَدَّوَاهُ مِنْ كُلِّ مَا تَشْكُوهُ مِنْ دَقٍّ وَمِنْ عَضْرِ
كَمْ مَرَّةً كَادَتْ مَعَ الْمَاءِ إِذْ يَغْسِلُهَا غَسَّالُهَا تَجْرِي
تَمُوتُ فِي الْمَاجُورِ لَوْلَا النَّشَا يَبْعَثُهَا فِي سَاعَةِ النَّشْرِ

ونقلت من خط السراج الوراق له : [من البسيط]

هَذَا وَجُوحَتِي الزَّرْقَاءُ تَحْسِبُهَا مِنْ نَسْجِ دَاوُدَ فِي سَرْدٍ وَإِتْقَانِ
قَلْبَتِهَا فَغَدَتْ إِذْ ذَاكَ قَائِلَةً سُبْحَانَ رَبِّي بَلَى قَلْبِي وَأَبْلَانِي
إِنَّ النِّفَاقَ لَشَيْءٌ لَسْتُ أَعْرِفُهُ فَكَيْفَ يُطْلَبُ مِنِّي الْيَوْمَ وَجْهَانِ
لَوْ أَنَّ صَاحِبَنَا الْجَزَّارَ أَبْصَرَهَا عَلَيَّ أَبْصَرَ لَبَدَأَ فَوْقَ جَرْبَانِ

وهذه من أبيات في الجوخة طويلة عدتها ستة وعشرون بيتاً كلها بديعة، ولكن اقتصرنا منها على هذا القدر خوف التطويل . وعلى ذكر التعرّي فما أَلطف قول شمس الدين محمد بن دانيال : [من السريع]

مَا عَايَنْتُ عَيْنَايَ فِي عُطْلَتِي أَقْلَ مِنْ حَظِّي وَمِنْ بَخْتِي
قَدْ بَعَثْتُ عَبْدِي وَحِمَارِي وَقَدْ أَصْبَحْتُ لَا فَوْقِي وَلَا تَحْتِي

وإن كان قد أخذه من قول مجير الدين محمد بن تميم حيث قال : [من الوافر]
أَتَنِي الْحَجْرَةُ الشَّهْبَاءُ تَزْهَوُ بِحُسْنِ جَلٍّ عَنْ وَصْفِي وَنُعْتِي
وَأَرْجُو أَنَّ رَسْمَ الصَّوْمِ يَأْتِي لَيْسَعَدَ مِنْهُمَا حَظِّي وَبَخْتِي
فَأَلْبَسُهُ وَأَرْكُبُهَا جَمِيعاً فَيُضْبِحُ جُودَكُمْ فَوْقِي وَتَحْتِي

وقال آخر ولعله السابق : [من المنسرح]

قَالُوا غَلَامُ الْقُوصِي وَبَغْلَتُهُ رَاحُوا جَمِيعاً مِنْهُ عَلَى بَغْتِهِ
قُلْتُ لَقَدْ بَرَّحَ الزَّمَانُ بِهِ لَمْ يَبْقَ لَا فَوْقَهُ وَلَا تَحْتَهُ

ونقلت من خط السراج الوراق له : [من الخفيف]

بَعَثْتُ خَفِّي فِي أَرْضِكُمْ مِنْ حِرَافٍ حَفَّ بِي أَوْ أَصَارَنِي لِلتَّحَفِّي
ثُمَّ أَتْبَعْتَهُ نَدَامَةً نَفْسٍ أَحْوَجْتَنِي لِأَكْلِ خَفِّي وَكَفِّي

وقال أبو الحسين الجزار : [من مجزوء الرجز]

بِتِّ وَأَثْوَابِي كَكُتِبِ مَزَقْتَهَا الْأَرْضُ
فَعَوَّرْتِي مَكْشُوفَةً وَسُتَرْتِي مُقَرَّضَةً

وأما معنى الفقر ففيه لأبي العلاء المعري^(١): [من الطويل]

وإنَّ الغِنَى والفقرَ في مذهبِ الفتى لَسَيَّانَ بَلْ أَعْنَى من الثَّرْوَةِ العُدْمُ^(٢)
وما نِلْتُ ما لَاقَطَ إلا ومالَ بي ولا دِرْهَمًا إلا ودُرَّ به الهَمُّ^(٣)

أنشدني الإمام الحافظ أبو حيان قال: أنشدني لنفسه ناصر الدين حسن بن النقيب الفقيسي: [من الطويل]

وما بين كَفِّي والدراهم عامرٌ وَلَسْتُ لها دونَ الوَرَى بِخَلِيلِ
وما استوطنتها قطَّ يوماً وإنما تمرُّ عليها عابراتُ سَبِيلِ

وأنشدني الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين أبو الفتح محمد بن سيد الناس قال: أنشدني لنفسه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد: [من البسيط]

أهلُ المراتبِ في الدنيا ورفعتها أهلُ الفضائلِ مَرْدُولُونَ عندهم
فما لهم من تَوْقِي ضَرًّا نظراً ولا لهم في تَرْقِي قَدَرًا هَمُّ
قَدْ أنزلونا لأنَّا غَيْرُ جِنْسِهِمْ مَنَازِلَ الوَحْشِ في الإِهْمَالِ بَيْنَهُمْ
فَلَيْتَنَّا لَوْ قَدَرْنَا أَنْ نُعَرِّفَهُمْ مِقْدَارَهُمْ عِنْدَنَا أَوْ لَوْ دَرَوْهُ هُمْ
لهم مُرِيحان من جَهْلٍ وفَرَطٍ غِنَى وعِنْدَنَا الْمُتَعَبَانِ العِلْمُ والعُدْمُ

قلت: هذه القطعة ساقطة النظم عن طبقة الشيخ تقي الدين وإنما أثبتتها طالباً لبركته. وأنشدني لنفسه إجازة الشيخ زين الدين عمر بن مظفر بن عمر الوردی رحمه الله: [من السريع]

ما الأغنياء الأَغْبِياءُ حُجَّةٌ يَكْفِيكَ أَنَّ القَوْمَ جُهَّالٌ
رَضِيْتُ ما يَفْسِمُهُ رَبُّنَا لَنَا عُلُومٌ وَلَهُمْ مَالٌ

وأنشدني جمال الدين أبو بكر محمد بن نباتة قال: أنشدني لنفسه إجازة الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد: [من الطويل]

لَعَمْرِي لَقَدْ قَاسَيْتُ بِالْفَقْرِ شِدَّةً وَقَعْتُ بهَا في حَيْرَةٍ وَشَتَاتِ
فإنْ بَحْتُ بالشكوى هَتَكْتُ مُرُوءَتِي وإنْ لَمْ أَبْحُ بالضرِّ خِفْتُ مَمَاتِي
فأعظم به مَنْ نَازَلَ بِمِلْمَةٍ يُزِيلُ حَيَائِي أَوْ يُزِيلُ حَيَاتِي

(١) سقط الزند: ١٤٩.

(٢) في سقط الزند: «في مذهب النهي»، و«أعنى من الثروة».

(٣) في سقط الزند: «ودرَّ بي الهَمُّ».

وقول الطغرائي رحمه الله مأخوذ من قول مسلم بن الوليد: [من الطويل]
وَبَايَنْتُ حَتَّى صِرْتُ لِلْبَيْنِ رَاكِباً قُوَى الْعِزْمِ فَرْداً مِثْلَ مَا انْفَرَدَ النَّصْلُ^(١)
وما أحسن قول ابن الساعاتي^(٢): [من الكامل]

أَهْتَزُّ فِي هَذَا الْخَمُولِ إِلَى الْعُلَى مِثْلَ اهْتِزَّازِ الْمَشْرِفِيِّ الْقَاضِبِ^(٣)
وقال أبو بكر بن اللبانة من قصيدة: [من الطويل]

حَلِيفُ نَوَى لَا يَسْتَقِرُّ وَإِنْ نَوَى إِقَامَةً رَدَّ الطَّرْفِ أَرْعَجَهُ الْخَطْبُ^(٤)
نَحِيلٌ مُعَرَّى أَشَعْتُ الْفَرْعَ صَارُمٌ مَضَى حَلِيَهُ مَعَ غَمْدِهِ وَبَقِيَ الْعَرْبُ^(٥)
وقال ابن سناء الملك يرثي جماعة من أبيات: [من الرجز]

تِلْكَ قُبُورٌ بَنَيْتَ بِهَذْمِي لَمْ تُبْنَ إِلَّا بِدَمِي وَلَحْمِي
مَنَاظِرٌ كَمَا رَأَيْتُ تَعْمِي وَعِشْتُ مِنْ بَعْدِهِمْ بَرَعُمِي
كَالسَّيْفِ فِي الْوَحْدَةِ لَا كَالسَّهْمِ فِي فَقْرِ صُوفِي وَذُلِّ ذِمِّي^(٦)
فَلَا صَدِيقٌ إِلَيْهِ مُشْتَكِي حَزَنِي وَلَا أَنْيْسٌ إِلَيْهِ مُنْتَهَى جَذَلِي

الصديق هو الصادق في المودة والمخاللة، فالرجل صديق، والمرأة صديقة،
والجمع أصدقاء. وقد يقال للواحد والجمع والمؤنث: صديق. قال الشاعر: [من الطويل]
نَصَبْنِ الْهَوَى ثَمَّ ارْتَمَيْنَ قُلُوبَنَا بِأَعْيُنِ أَعْدَاءٍ وَهُنَّ صَدِيقُ
ومن هنا اختلس أبو نواس معناه في قوله^(٧): [من الطويل]

إِذَا امْتَحَنَ الدُّنْيَا لَبِيبٌ تَكْشَفَتْ لَهُ عَنْ عَدُوٍّ فِي ثِيَابِ صَدِيقِ

(١) بايئت: فارقت. البين: البعد والفرق.

(٢) هو أبو الحسن، بهاء الدين، علي بن محمد بن رستم بن هردوز، المعروف بابن الساعاتي: شاعر مجيد، ولد ونشأ بدمشق، وسكن مصر، وتوفي فيها سنة ٦٠٤هـ / ١٢٠٨م. (الأعلام: ٣٣٠ / ٤).

(٣) المشرفي: السيف المنسوب إلى المشارف، وهو موضع اشتهر بالسيوف الجيدة. القاضب: القاطع.

(٤) النوى: البعد. نوى الأمر: قصده وعزم عليه. أزعجه: أقلقه، أو قلعه من مكانه، أو طرده.

(٥) صارم: ماض، قاطع. غمد السيف: جفنه: غلافه. عَرَبُ السيف: حَدُّه.

(٦) ذِمِّي: من أهل الذمة: الذين كانوا يعيشون في كنف الدولة الإسلامية من أهل الكتاب، ويدفعون الجزية.

(٧) ديوان أبي نواس: ٦٢١.

قال هارون الرشيد: لو وصفت الدنيا نفسها بشيء لما عدت عن قول أبي نواس: «إذا امتحن الدنيا لبيب». وأخذه أبو الوليد أحمد بن زيدون^(١) فقال من قصيدته البائية: [من الكامل]

أَضْنِينَةَ دَعْوَى الْبَرَاءَةِ شَأْنَهَا أَنْتِ الْعَدُوُّ فَلِمَ دُعِيتِ حَبِيبَا
وأخذه الآخر فقال: [من الكامل]

أَحِبَابُهُ لِمَ تَفْعَلُونَ بِقَلْبِهِ مَا لَيْسَ يَفْعَلُهُ بِهِ أَعْدَاؤُهُ
وقال الآخر: [من الطويل]

يُطَالِبُنِي قَلْبِي بِكُمْ كُلِّ سَاعَةٍ إِذَا أَفْلَسَ الْمَذْيُونُ لَجَّ الْمُطَالِبُ
وَيَسْتَأْذِنُكُمْ شَوْقُ الَّذِي مَسَّهُ الظُّمَأُ وَقَدْ مُنِعْتَ ظُلْمًا عَلَيْهِ الْمَشَارِبُ
إِذَا رُمْتُمْ قَتْلِي وَأَنْتُمْ أَحَبَّةٌ إِذَا فَلَاعَادِي وَاحِدٌ وَالْحَبَائِبُ

وقال الأرجاني: [من الطويل]

أَحِبَابُنَا كَمْ تَجْرَحُونَ بِهَجْرِكُمْ فُؤَادًا يَبِيتُ الدَّهْرَ بِالْهَمِّ مُكَمِّدَا
إِذَا رُمْتُمْ قَتْلِي وَأَنْتُمْ أَحَبَّةٌ فَمَاذَا الَّذِي أَخْشَى إِذَا كُنْتُمْ عَدَى

ولفظه عدوّ وحبیب وصديق كلها يخبر بها عن الواحد والجمع والمؤنث، تقول هم عدوّ، وقال الله تعالى: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ﴾ [المنافقون: ٤] وقال تعالى: ﴿فَاتَّبِعْهُمْ عَدُوًّا حَرًّا﴾ [الشعراء: ٧٧] وَهُمْ صَدِيقٌ وَحَبِيبٌ. (مشتكى): مصدر اشتكى. (حزني): الْحَزَنُ: بالتحريك والسكون خلاف السرور، وَحَزَنَ الرجل بالكسر فهو حَزَنٌ وحزين. (أنيس): فاعيل من الأنس وهو المجالس الذي يوجد منه الأنس ويركن إليه ولا يستوحش منه. (منتهى): مصدر انتهى الشيء إذا بلغ الغاية قال الله تعالى: ﴿وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ أَلْمُنَهَىٰ﴾ [النجم: ٤٢] وقال ابن دُرَيْدٍ: وكل شيء بلغ الحد انتهى (جذلي) الجدل بالجمع والذال المعجمة ضد الحزن. ورأيت بعض الناس كتب ذلك بالذال وصححه، وهو خطأ، وإنما هو بالذال المعجمة ليقابل الحزن بضده وهو الفرح. (الإعراب) فلا صديق: الفاء للمصاحبة، ولا هذه هي التي لنفي الجنس، قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك: الأصل في لا النافية أن لا تعمل لأنها غير مختصة بالأسماء. قلت أنا: القاعدة عند أهل العربية أن الحرف إذا كان

(١) هو أبو الوليد، أحمد بن عبد الله بن زيدون: شاعرٌ مقدّمٌ بليغٌ، من أهل قرطبة. استوزره ابن جهور، ثم سخط عليه. توفي سنة ٤٦٣هـ/ ١٠٧١م بإشبيلية، في أيام المعتمد على الله. (بغية الملتبس: ١٧٢؛ جذوة المقتبس: ١٣١).

مختصّاً عمل كحروف الجرّ لمّا اختصت بالأسماء، ومثل كان وأخواتها وإنّ وأخواتها وظنّ وأخواتها، ومثل لم وعوامل الجزم وعوامل النصب في الأفعال مثل أن وبابها لما اختصت بالأفعال عملت فيها. وإذا كان الحرف غير مختصّ كحروف الاستفهام، والنفي، والعطف، لم يعمل شيئاً لاشتراكه في الدخول على الأسماء والأفعال. وفي قول الشيخ جمال الدين بن مالك في الخلاصة سواهما الحرف كهلّ وفي ولم نكتة لطيفة وهي أنه قدم هل لاشتراكها في الدخول على الاسم والفعل، ثم ذكر في لأنها تدخل على الاسم، ثم ذكر لم لأنها تدخل على الفعل. قال الشيخ بدر الدين: وقد أخرجوا من هنا «لا» فأعملوها في النكرات عمل ليس تارةً وعمل إنّ أخرى، فإذا قصد بالنكرة بعدها استغراق الجنس صح فيها أن تحمل على إنّ في العمل لأنها لتوكيد النفي، وإن لتوكيد الإيجاب فهي ضدها، والشيء يحمل على ضده كما يحمل على نظيره، لأن الوهم ينزل الضدين منزلة النظيرين، ولذلك تجد الضدّ أقرب حضوراً في البال مع الضدّ، قال الشيخ شهاب الدين بن النحاس: هذا الذي تقوله النحاة هنا. وعندي أن أحسن من هذه العبارة ما قاله شيخنا ابن عمرّون، وابن الخشاب، وهو أن «إنّ» للإثبات كما قيل «ولا» للنفي، والنفي والإثبات طرفان فاشتركا في الطرفية فحملت «لا» على «إنّ» لاشتراكهما فيما ذكرناه. قلت: هذا تعليل حسن لأنهما يعودان من باب واحد، وهناك يكونان متضادّين، والحمل على الاشتراك أولى، وبعد ففيه نظر يبطله من رأس، قال الشيخ بدر الدين: فأما إعمالها عمل إنّ فمشروط بأن تكون نافية للجنس واسمها نكرة متصلة سواء كانت موحدة، نحو لا غلام رجل ظريف، أو مكررة نحو لا حول ولا قوة إلا بالله، فلو كانت منفصلة وجب الإلغاء كقوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا عِوَالٌ﴾ [الصفات: ٤٧] ويجوز إلغاؤها مع الاتصال، وذلك إذا كررت شبهوها إذ ذاك بحالها مع المعرفة نحو لا حَوْلَ ولا قُوَّةَ، ثم اسم لا إما أن يكون مضافاً أو شبيهاً به أو مفرداً، وهو ما عداهما، فإن كان مضافاً نصب نحو: لا صاحب برٍّ ممقوت، وكذلك إن كان شبيهاً بالمضاف وهو ما بعده شيء هو من تمام معناه نحو لا قبيحاً فعله محبوب ولا خيراً من زيد فيها ولا ثلاثة وثلاثين لك. وأما المفرد فيبنى لتركيبه مع لا تركيب خمسة عشر، ولتضمنه معنى من الجنسية بدليل ظهورها في قول الشاعر: [من الطويل]

فَقَامَ يَذُودُ النَّاسَ عَنْهَا بِسَيْفِهِ وَقَالَ أَلَا لَا مِنْ سَبِيلٍ إِلَى هِنْدٍ^(١)

فيلزم الفتح بلا تنوين إن لم يكن مثني أو جمع تصحيح وذلك نحو قوله: لا

(١) يذود الناس: يدفعهم ويطردهم.

بخيل محمودٌ ولا حولٌ ولا قوّةٌ إلا بالله. قلت: ولهم في إعراب لا حولٌ ولا قوّةٌ إلا بالله وإعراب أشباه ذلك خمسة أوجه. (الأول): فتحهما، تقول: لا حول ولا قوّةٌ مثل لا لَعُوَ فيها ولا تأثيم. (الثاني): نصب الثاني، تقول: لا حول ولا قوّةٌ مثل لا نَسَبَ اليومَ ولا خِلّة. (الثالث): رفع الثاني، تقول: لا حول ولا قوّةٌ مثل لا أمّ لي إن كان ذاك ولا أب. (الرابع): رفعهما، تقول: لا حَوْلٌ ولا قوّةٌ مثل فلا لَعُوَ ولا تأثيمٌ فيها وقد أضربت عن التعليل لهذه الأوجه خوفاً من التطويل. ذكرت: بلا حول ولا قوّةٌ قول السراج الورّاق، ومن خطه نقلت: [من مجزوء الوافر]

أرى القوّةَ قَدْ حَالَتْ فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ
إذا وَقَعَ الْفَتَى فِي الشَّيْبِ فَهُوَ بِذَلِكَ فِي هُوَّةَ

وحكى لي من لفظه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق المحروسة سنة اثنتين وثلاثين وسبعمائة قال: أنشدتُ فلاناً سمّاهُ لي وهو بعض مشايخ أهل عصرنا ولم أذكره أنا فإنه من العلم بمحل لم يشركه فيه غيره قولِي في مرثيةٍ في ابنٍ له توفي وعمره دون سنة وهو: [من السريع]

يَا رَاحِلاً عَنِّي وَكَانَتْ بِهِ مَخَايِلُ لِلْفَضْلِ مَرْجُوءَةٌ
لَمْ تَكْتَمِلْ حَوْلًا وَأُورَثْتَنِي ضَعْفًا فَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ

فأعجبهما وكتبهما بخطه، وكتب الثاني فلا حول ولا قوّةٌ إلا بالله. فقلت: يا مولانا إن كنت أردت بقولك إلا بالله البركة فكنت أتممت ذلك بالعليّ العظيم، وإن كان غير ذلك فقد فسد المعنى والوزن عليّ. قلت: وهذان البيتان في غاية الحسن. (رجع القول إلى لا التي لنفي الجنس) تقرّر أن عملها في اسمها وأنه يبنى معها على الفتح. وهنا سؤال وهو أن العامل في اسمها هو لا، وقلتم أنه تركب معها وهما بمنزلة الكلمة الواحدة فحينئذ لا جزء منها، والجزء لا يعمل في الجزء الآخر شيئاً، والجواب نعم الجزء يعمل في جزئه ألا ترى قولك أعجبنِي أن تقوم، فإن تقوم جملة وقعت موقع المفرد تقديره قيامك وقد عملت أن في تقوم النصب، وأن جزء على هذا التقدير. وترفع الخبر تقول لا رجلَ ظريف. قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك: يجب ذكر خبر لا إذا لم يعلم كقول حاتم: [من البسيط]

وَرَدَ جَارَهُمْ حَرْفًا مُصَرِّمَةً وَلَا كَرِيمَ مِنَ الْوِلْدَانِ مَضْبُوحُ

وإن علم التزم حذفه عند بني تميم والطائيين، وأجاز حذفه وإثباته الحجازيون، ومما جاء محذوفاً قوله تعالى: ﴿قَالُوا لَا ضَيْرَ﴾ [الشعراء: ٥٠] ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ﴾ [سبأ: ٥١] ونذر حذف الاسم وإبقاء الخبر كقولهم: لا عليك أي لا

جناح عليك أو لا بأس. قلت: ومن حذف الخبر قولك: لا إله إلا الله، فإله اسمها والخبر محذوف قدّره النحاة في الوجود أو لنا هكذا أعربوه. وأورد الإمام فخر الدين الرازي في المحرّر أشكالا على هذا الإعراب فقال: هذا النفي عام مستغرق وتقييده بالوجود تخصيص له ولنا أكثر تخصيصاً وإذا كان كذلك لم يبق النفي عاماً وحينئذ لا يكون هذا القول إقراراً بالوحدانية على الإطلاق. والجواب: إنا لا نسلم أنّ تقييده بالوجود إذا كان تخصيصاً لا يبقى على العموم المراد من النفي لأن المراد نفي الآلهة في الخارج إلا الله تعالى على معنى: إن نفي وجودها مستلزم لنفي ذاتها حتى كأنه قال: لا إله يوجد إلا الله، وعلى هذا يبقى النفي عاماً بالمعنى المراد منه. (رجع إلى إعراب البيت). قوله لا: هي هنا لنفي الجنس، وصديق اسمها، وهو مبني على الفتح معها، والخبر محذوف تقديره فيها، أي في بغداد، أو تقديره لي، وأنا أختار أن يكون صديق ههنا مبنياً على الفتح، ورأيت جماعة من الفضلاء كتبوا القصيدة بخطهم ورفعوا صديقاً ونوّنه، وعلى هذا تكون لا بمعنى ليس. والفرق بين لا وبين ليس أنّ ليس تنفي الواحد ولا تنفي الجنس، لأنك إذا قلت لا رجُل في الدار بالفتح، فمعناه: ليس في هذه الدار هذا الجنس، فلا يكون فيها واحد ولا اثنان ولا أكثر. وإذا قلت لا رجُل بالضمّ والتنوين كان معناه: نفي الرجل الواحد، وقد يكون فيها اثنان وثلاثة وأكثر. وإذا تقرّر هذا فمن رفع كان المعنى أن الطغرائي ما كان له صديق واحد، وقد يكون له أكثر، وهذا يناقض قوله، لأنه في مقام تهويل وتعظيم من أنه منفرد عن الأهل والوطن والأصحاب، وكلما كان أبلغ في الشدة والانفراد كان الكلام أبلغ وأشعر وأكثر أخذاً بمجامع القلوب في التوجع له والتعطف عليه. (إليه): جارّ ومجرور وسيأتي الكلام على إلى وتقسيمها، والجار والمجرور في موضع الخبر المقدم. (مشتكى) هذه الصيغة يشترك فيها أربعة أشياء: المصدر واسم المفعول واسم الزمان واسم المكان لأن الأربع صيغ لا تختلف في مثل هذا. وهذه الصيغة هنا للمصدر خاصة، وهو في موضع رفع على الابتداء، ولم يظهر الإعراب فيه لأنه مقصور. (حزني): الحزن: مضاف إلى الياء، وهو ضمير المتكلم في موضع جرّ، ومشتكى مضاف إلى الحزن، والجملة من المبتدأ والخبر في موضع نصب على أنها صفة لاسم لا، كأن التقدير فلا صديق سامعاً شكوى حزني إليه موجود. والنصف الثاني إعرابه كإعراب الأول. (المعنى) ما أجد صديقاً يكون إليه مشتكى حزني، ولا أرى أنيساً يكون إليه منتهى فرحي، وهذه حالة تشق على من تلبس بها. ألا ترى أن رسول الله ﷺ لما هاجر من مكة ما خرج إلا وأبو بكر رضي الله عنه معه ليكون له أنيساً في الوحدة ورفيقاً في الغربة يركن إليه في المشورة

ويأنس به إذا خلا، وقد علمت ما كان عليه معه في الغار من الذبّ عنه وحراسته من الأفعى وتلقّي الأذى عنه. وموسى صلوات الله عليه لما أمره تعالى بالرسالة إلى فرعون ليدعوه إلى الإيمان، سأل الله تعالى أن يكون أخوه هارون معه، قال الله تعالى: ﴿وَجَعَلْنِي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِ هَٰؤُلَاءِ أَخِي هَارُونُ بِهِ أَزِيدُ وَبِهِ أَزْرِي وَبِهِ أُشْرِكُكُمْ فِي أَمْرِي﴾ [طه: ٢٩]. وقال النبي ﷺ: «إذا أراد الله بملك خيراً قيض له وزيراً صالحاً إن نسي ذكره، وإن نوى خيراً أعانه، وإن أراد شراً كفّه عنه». وكان أنوشروان يقول: لا يستغني أجود السيوف عن الصقل، ولا أكرم الدواب عن السوط، ولا أعلم الملوك عن الوزير. قلت: ولو لم يكن في الوزير والصاحب إلا المشورة لكان كافياً. قال الله تعالى فيما أدب به رسول الله ﷺ: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران: ١٥٩] وما أحسن قول الشاعر: [من الطويل]

إذا عنّ أمرٌ فاستشرّ لك صاحباً وإن كنت ذا رأيٍ تُشيرُ على الصّحبِ
فإني رأيتُ العينَ تجهلُ نفسَهَا وتُدرِكُ ما قد حلَّ في موضعِ الشُّهبِ
وقلت أنا في المشورة: [من الكامل]

لا تَسْعَ في أمرٍ ولا تَعْمَلْ بِهِ ما لَمْ يَزْنِ لَدَيْكَ عَقْلٌ ثَانِ
فالشعرُ معتدلٌ بوزنِ عَرُوضِهِ وكذا اعتدالُ الشَّمْسِ بِالْمِيزَانِ
وقال الأرجاني: [من البسيط]

شاورُ سِوَاكَ إذا نَابَتْكَ نَائِبَةٌ يوماً وإن كنت من أهلِ المَشُورَاتِ
فالعَيْنُ تَلْقَى كِفَاحاً مَا دَنَا وَنَأَى وَلَا تَرَى نَفْسَهَا إِلَّا بِمِرَاةٍ
وقال أيضاً: [من الكامل]

إقرنُ برأيك رأيَ غيرك واستشر فَالْحَقُّ لَا يَخْفَى عَلَى اثْنَيْنِ
فَالْمِرْءُ مِرَاةٌ تُرِيهِ وَجْهَهُ وَيَرَى قَفَاهُ بِجَمْعِ مِرَاتَيْنِ

قال أصحاب علم المناظر: يمكن أن الإنسان يرى قفاه بطريق، وهو أن يجعل مرآة بين يديه ومرآة خلفه تقابلها بحيث أن تكون إحداها كبرى لو كان فيها إنسان رأى الصغيرة. وأما الصغيرتان اللتان تحجب كل منهما الأخرى فلا يتأتى معهما مطلوب، فإذا نظر إلى التي بين يديه اتصل شعاع بصره بها ثم انعكس طالباً الجهة التي جاء منها لأن المرأة في القبالة فتصل بالوجه وبما ورائه، فيجد وراءه مرآة أخرى فينطبع فيها ما انطبع في الأولى لأن الصورة تجري في الشعاع كما تقدّم فينطبع فيها وجهه فيكون له وجهان أحدهما في التي هي أمام والآخر في التي هي

وراء، يجد شعاع هذه المرأة التي في وجهه خلف لأنها صقيلة لا يمكنه الثبوت عليها، فيرجع إلى الجهة التي تقابله فيجد القفا فيتعلق به كما يتعلق بالوجه من التي هي أمامه فيؤول الأمر إلى أن طرف الشعاع متصل بقفاه فتجري صورته في الشعاع حتى ينطبع في المرأة التي هي وراءه وتؤدي المرأة التي فيها إلى التي تقابلها فينطبع القفا في التي هي أمامه فيرى لنفسه وجهين ويرى قفاه. (رجع القول) إلى طلب الصاحب وهذا أمر مقصود عند العقلاء لأنه لا بدّ من خلّ تسكن إليه فتشكو إليه حزنك وتنتصر به على من ظلمك وتتخذة عوناً على مآربك وتتوصل به إلى ما شقّ عليك بلوغه بمفردك. كان الكندي يقول: الصديق إنسان هو أنت إلا أنه غيرك. وكان يقول: الإخوان على ثلاث طبقات: طبقة كالغذاء لا يُستغنى عنه أبداً، وطبقة كالدواء يحتاج إليه حيناً دون حين، وطبقة كالداء لا يحتاج إليه أبداً. قيل لعبد الحميد الكاتب^(١): أيما أحب إليك أخوك أم صديقك؟ قال: إنما أحب أخي إذا كان صديقي. وفي المثل: رُبّ أخ لم تلده أمك^(٢). وقال أكثم بن صيفي^(٣): القربة تحتاج إلى مودة والمودة لا تحتاج إلى قرابة. ومما أنشده الوزير عون الدين بن هبيرة^(٤) من شعر أمير المؤمنين المستنجد بالله^(٥): [من الرمل]

كُنْ عَدُوًّا مُبْرَزاً صَفَحَتَهُ أَوْ فَسَالِمِنِي إِذَا لَمْ تَكْ قِرْنِي
فِي اشْتِبَاهِ النَّاسِ وَدُّ بَيْنَهُمْ وَمُسَاوَاةِ الْيَهَاسُوءِ ضِغْنِ
كَمْ عَدُوٌّ لِي مِنْ ظَهْر أَبِي وَصَدِيقٌ أَمَّهُ مَا وَلَدْتَنِي

قلت: الأوّل من قول القائل: [من الوافر]

فإِذَا أَنْ تَكُونَ أَخِي بِصَدَقٍ فَأَعْرِفْ مِنْكَ غَثِي مِنْ سَمِينِي

(١) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري بالولاء، المعروف بالكاتب: من أئمة الكتّاب، عالم بالأدب، يُضرب به المثل في البلاغة، وعنه أخذ المترسلون. توفي سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م. (وفيات الأعيان: ٢٢٨/٣).

(٢) مجمع الأمثال، الميداني: ٣٠٢/١.

(٣) هو أكثم بن صيفي بن رياح بن الحارث بن مخاشن بن معاوية التميمي: حكيم العرب في الجاهلية. أدرك الإسلام، وقصد المدينة في مائة من قومه يريدون الإسلام، فمات في الطريق، وأسلم من بلغ المدينة من أصحابه. وكانت وفاته سنة ٩هـ / ٦٣٠م. (الأعلام: ٦/٢).

(٤) هو أبو المظفر، عون الدين، يحيى بن هبيرة بن محمد الذهلي الشيباني: من كبار الوزراء في الدولة العباسية، عالم بالفقه والأدب. توفي سنة ٥٦٠هـ / ١١٦٥م. (شذرات الذهب: ١٩١/٤).

(٥) هو أبو المظفر، المستنجد بالله، يوسف بن محمد (المقتني) بن المستظهر العباسي: بُويع له بعد وفاة أبيه سنة ٥٥٥هـ، فأزال المكوس، ورفع الضرائب عن الناس، وكان من أحسن الخلفاء سيرة مع رعيته. توفي ببغداد مخنوقاً في الحمام سنة ٥٦٦هـ / ١١٧٠م. (الأعلام: ٢٤٧/٨).

وإِلَّا فَاطْرَحَنِّي وَاتَّخِذْنِي عَدُوًّا أَتَّقِيكَ وَتَتَّقِينِي
وقال بعضهم: [من الطويل]

أَخْ لَا يُذِقْنِي اللَّهَ فَقْدَانٌ مِثْلِهِ وَأَيْنَ لَهُ مِثْلٌ وَأَيْنَ الْمُقَارِبُ
تَجَاوَزَتِ الْقُرْبَى الْمَوْدَّةَ بَيْنَنَا فَأَصْبَحَ أَدْنَى مَا تُعَدُّ الْمُنَاسِبُ
وما أحسن قول من قال: [من البسيط]

كَانَتْ مَوْدَّةَ سَلَمَانَ لَهُ رَحِمًا وَلَمْ يَكُنْ بَيْنَ نُوحٍ وَابْنِهِ رَحِمٌ
وقال بعض الحكماء: ينبغي للعاقل أن يتخذ صديقاً ينبهه على عيوبه، فإنَّ
الإنسان لا يرى عيب نفسه.

رأيت في بعض المجاميع الأدبية أن السلطان صلاح الدين قال يوماً للقاضي
الفاضل: لنا مدّة لم نَرِ فيها العماد الكاتب فعله ضعيف. إمض إليه وتفقد أحواله.
فلما دخل القاضي الفاضل إلى دار العماد وجد أشياء أنكرها في نفسه مثل آثار
مجلس أنس وطيب ورائحة خمر وآلات طرب، فأنشدته: [من البسيط]

مَا نَاصَحْتُكَ خَبَايَا الْوَدِّ مِنْ رَجُلٍ مَا لَمْ يَنْلِكَ بِمَكْرُوهِ مِنَ الْعَدْلِ
مَحَبَّتِي فِيكَ تَأْبَى أَنْ تُسَامِحَنِي بِأَنْ أَرَاكَ عَلَى شَيْءٍ مِنَ الزَّلَلِ
فلما قام من عنده خرج العماد عن كل ما كان فيه ولم يعد إلى ذلك البتّة.
قلت: وأقل الأصدقاء حالة من تشكو إليه ولم يكن عنده غير سماع الشكوى
والإصغاء إليها، لأنّ سماع الشكوى وبثّها فيه تخفيف عن المكروب والنفس تستروح
إليه. ولهذا قال الشاعر: [من الطويل]

وَلَا بَدَّ مَنْ شَكَا إِلَى ذِي مُرْوَةٍ يُوَاسِيكَ أَوْ يُسْلِيكَ أَوْ يَتَوَجَّعُ
لأن المشكو إليه إمّا أن يواسيك في همّك وهذه الرتبة العليا وهو الصديق
الكريم ذو المروءة، وإمّا أن يسليك وهي الرتبة الوسطى وهو الصديق الحكيم
المهذب ذو التجارب الذي حلب أشطر الدهر، وإمّا أن يتوجّع وهذه الرتبة السفلى
وهو الصديق العاجز. فإن خلا الصديق من إحدى هذه الرتب كان وجوده وعدمه
سواء بل عدمه خير من وجوده. قال الشاعر: [من الطويل]

إِذَا كُنْتَ لَا عِلْمَ لَدَيْكَ تُفِيدُنَا وَلَا أَنْتَ ذُو دِينَ فَنَرْجُوكَ لِلدِّينِ
وَلَا أَنْتَ مِمَّنْ يُرْتَجَى لِكَرِيهِةٍ عَمَلْنَا مِثَالاً مِثْلَ شَخْصِكَ مِنْ طِينِ
قلت: لو كان لي في هذين البيتين حكم لهدمت القافية وقلت: [من الطويل]
إِذَا كُنْتَ لَا عِلْمَ لَدَيْكَ تُفِيدُنَا وَلَا أَنْتَ ذُو جُودٍ فَنَرْجُوكَ لِلْقَرَى

وَلَا أَنْتَ مِمَّنْ يُرْتَجَى لِكْرِهَةِ عَمِلْنَا مِثَالاً مِثْلَ شَخْصِكَ مِنْ خَرَا
فَإِنِّي لَا أَرَى أَنْ أَضَيِّعَ الطِّينَ فِي تَمَثَالِهِ . وَمَا أَحْلَى قَوْلَ الْغَزِي يَهْجُو رَجُلًا
اسمه أبو طالب :

إِبْلِيسُ قَامَ عَمَلٌ مِنَ الْخَرَا قَالِبٌ ثُمَّ انْفَسَدَ جَا مِثُو أَبُو طَالِبٍ
قلت : ما ألطف هذا وأظرفه إذ جعل إبليس الصانع أخزاه الله تعالى ، والمادة
والصورة مع ما في قوله ثم انفسد من التكميل ، ثلاثة كلها تجري على نسق . ومن
شواهد العربية قول الشاعر : [من الطويل]

إِذَا كُنْتَ لَمْ تَنْفَعْ فَضَرَّ فَإِنَّمَا يُرَجَّى الْفَتَى كَيْمَا يَضُرُّ وَيَنْفَعُ
كَفَّتْ مَا كَيْ عَنْ عَمَلِ النِّصَبِ ، وَمِنْ هُنَا اخْتَلَسَ الْمَعْنَى مُحَمَّدُ بْنُ شَرْفِ
الْقَيْرَوَانِيِّ^(١) فَقَالَ : [من الطويل]

أَعْنِي بِأَطْمَاعِ كَذُوبٍ عَلَى النَّوَى إِذَا لَمْ تُقَاتِلْ يَا جِبَانَ فَشَجَّعَ
رَجَعَ الْقَوْلَ إِلَى قَوْلِهِ : وَلَا بَدَّ مِنْ شَكْوَى «البيت» . رَأَيْتُ بِخَطِّ السَّرَاجِ الْوَرَاقَ
رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى بَيْتًا قَدْ زَادَهُ عَلَى هَذَا الْبَيْتِ وَجَعَلَهُ ثَانِيًا لَهُ حَيْثُ قَالَ : [من الطويل]

وَإِنْ كَانَ مِنْ وَصْفِ الْمَرْوَةِ خَالِيًا يُرَائِيكَ أَوْ يَبْكِيكَ أَوْ لَيْسَ يَسْمَعُ
قلت : ليس في هذا زيادة لأنه إذا رآه فقد واساه في الظاهر وإذا بكاه فقد
توجّع وإذا لم يسمع فلا حاجة إليه ، وقد توهم أنه أتى بزيادة على الأول وما زاد
شيئًا ، نعم أكد ما قاله الأول وأتى بذلك المعنى من غير زيادة ولكن غير الألفاظ ،
فإن الرياء من المواساة والبكاء من التوجّع وعدم السماع من عدم المروءة ، فهو هو
مع نقص فيه . وما أحلى قول القائل : [من السريع]

كَأَنَّنَا وَالْمَاءَ مِنْ حَوْلِنَا قَوْمٌ جُلُوسٌ حَوْلَهُمْ مَاءٌ
وقال ابن خاقان في الحمام : [من البسيط]

لَلَّهِ قَوْمٌ بِحَمَامٍ نَعِمْتُ بِهَا وَالْمَاءُ مِنْ حَوْضِهَا مَا بَيْنَنَا جَارٍ
كَأَنَّهُ فَوْقَ شَقَاتِ الرِّخَامِ ضَحَى أَوَائِلَ الْمَاءِ فِي أَثْوَابِ قَصَّارٍ
وقال ابن الرومي^(٢) : [من البسيط]

وَشَاعِرٌ أَوْقَدَ الطَّبْعُ الذِّكَاءَ لَهُ فَكَادَ يَحْرِقُهُ مِنْ فَرْطِ إِذْكَاءِ

(١) هو أبو عبد الله ، محمد بن سعيد بن أحمد بن شرف الجذامي القيرواني : كاتب ، أديب ،
شاعر ، مترسل . ولد في القيروان ، وتوفي بإشبيلية سنة ٤٦٠هـ / ١٠٦٨ م . (الأعلام : ٦ / ١٢٨) .

(٢) ديوان ابن الرومي : ١ / ١٢٠ .

أَقَامَ يُجْهِدُ أَيَّاماً قَرِيبَةً وَفَسَّرَ الْمَاءَ بَعْدَ الْجَهْدِ بِالْمَاءِ
 ذكرت هنا ما أنشدني لنفسه شهاب الدين الحاجبي بالقاهرة من أهل العصر:
 [من البسيط]

أَقُولُ شَبَّهُ لَنَا جِسْمَ الرِّشَاءِ تَرْفَاً يَا مُدَّعِي الْفَضْلِ فِي وَصْفِ وَإِنْشَاءِ
 فَرَّاحٌ يَفْكُرُ فِيمَا قُلْتَهُ زَمْنًا وَشَبَّهُ الْمَاءَ بَعْدَ الْجَهْدِ بِالْمَاءِ
 وقول الشاعر: ولا بدّ من شكوى، هذا البيت وأمثاله يسميه أرباب البديع
 صحة التقسيم، وأوردوا فيه قول البحري^(١): [من الخفيف]

قَفْ مَشُوقاً أَوْ مُسَعِداً أَوْ حَزِيناً أَوْ مُعِيناً أَوْ عَاذِراً أَوْ عَاذِلاً
 قال ابن الأثير الجزري في المثل السائر: هذا من فساد التقسيم فإن المشوق قد
 يكون حزيناً والمُسعد قد يكون معيناً، وكذلك قد يكون المُسعد عاذراً. قلت: فيما
 ادّعاه ابن الأثير نظر إذ ليس كل مشوق حزيناً لأن المحزون قد يكون غير مشتاق لأنه
 قد يكون الحبيب عنده غير غائب عن عيانه، ولكنه معرض عنه غير ملتفت إليه، فهنا
 الحزن موجود من غير شوق، ولا يَرَدُّ هنا قول القائل: [من البسيط]

وَكِدْتُ وَهُوَ ضَّجِيعِي أَنْ أَقُولَ لَهُ مِنْ شِدَّةِ الشُّوقِ قَدْ أَبْعَدْتَ فَأَقْتَرِبَ
 فإن هذا من المبالغة في الحب الذي لا يشفيه قرب، ولا يبيل غليله دنوّ، وأبلغ
 من هذا قول الآخر وهو في غاية الرقة: [من الطويل]

سَرِيتُ إِلَيْهِ وَالظَّلَامُ كَأَنَّهُ صَرِيعُ كَرَى وَالنَّجْمُ فِي الْأَفْقِ شَاهِدُ
 فَلَوْ أَنَّ رُوحِي مَازَجَتْ ثُمَّ رُوحَهُ لَقُلْتُ اذْنُ مِتِّي أَيُّهَا الْمُتَبَاعِدُ
 ومن هذه المادّة قول ابن سناء الملك: [من الكامل]

لَوْ جُدْتُ لِي بِالنَّفْسِ مِنْكَ لَقُلْتُ مِنْ شَرِّهِ الْمَحَبَّةِ إِنَّهُ لَبَخِيلُ
 والكلّ من ابن الرومي أخذوا ومن أغراضه نفذوا، فإنه قال فأطاب وإن
 أطال^(٢): [من الطويل]

أَعَانَقَهُ وَالنَّفْسُ بَعْدَ مَشُوقَةٍ إِلَيْهِ وَهَلْ بَعْدَ الْعُنَاقِ تَدَانِي^(٣)
 وَالثَّمُّ فَاهُ كَيْ تَزُولَ حَرَارَتِي فَيَشْتَدُّ مَا أَلْقَى مِنَ الْهَيْمَانِ^(٤)

(١) ديوان البحري: ٣٢٢/٢. والبيت من قصيدة يمدح بها محمد بن علي بن عيسى القمي.

(٢) ديوان ابن الرومي: ٢٢٢/٦. (٣) في الديوان: «أعانقها» و«إليها».

(٤) في الديوان: «فألثم فاهها كي تموت حزازتي».

وَلَمْ يَكْ مُقْدَارُ الَّذِي بِي مِنَ الْجَوَى لَيْشْفِيَهُ مَا تَرَشَّفُ الشَّفْتَانِ
كَأَنَّ فؤَادِي لَيْسَ يَشْفِي غَلِيْلَهُ سِوَى أَنْ يَرَى الرُّوحَيْنِ يَمْتَزَجَانِ

(رجع): ولا كلّ مسعد عاذراً، فإن الإنسان قد يساعد صاحب البلية، وهو غير عاذر له، وإنما يفعل ذلك رحمة وشفقة ورقّة، فبطل ما اعترض به ابن الأثير على البحترى الفحل. وأما صحة التقسيم فيحكى عن ابن عمر رضي الله عنهما لما سمع قول زهير^(١): [من الوافر]

فَإِنَّ الْحَقَّ مَقْطَعُهُ ثَلَاثٌ يَمِينٌ أَوْ نِفَارٌ أَوْ جَلَاءٌ
قال: لو أدركت زهيراً لوليتَه القضاء. ومن أبيات هذا النوع المسمى بصحة التقسيم قول أبي الطيب^(٢): [من البسيط]

لِلسَّبِي مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلَ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبَ مَا جَمَعُوا وَالنَّارَ مَا زَرَعُوا
وما أحسن قول أبي الحسين الجزار: [من الوافر]

وَزَيْرٌ مَا تَقَلَّدَ قَطٌّ وَزَرٌّ وَلَا دَانَاهُ فِي مَثْوَى أَثَامٍ
وَجَلٌّ فَعَالُهُ صَادَاتُ بَرٍّ صِلَاتٌ أَوْ صَلَاةٌ أَوْ صِيَامٌ
وقال شيخ الشيوخ بحماسة شرف الدين عبد العزيز^(٣) رحمه الله: [من المتقارب]

لَنَا مَلِكٌ وَاجِدٌ مَا اشْتَهَى وَلَكِنَّهُ لَمْ يَجِدْ مِثْلَهُ
مَلَاذِي بِهِ وَمُثُولِي لَدَيْهِ وَمَيْلِي إِلَيْهِ وَمَذْحِي لَهُ

وقال الآخر: [من المتقارب]

كُتِبَتْ وَشِينَاتٌ حَالِي غَلْبُ نَ إِلَى سَيِّدٍ جَلٍّ عَنْ مُشْبِهِ
فَشَوْقِي إِلَيْهِ وَشُكْرِي لَهُ وَشُعْرِي فِيهِ وَشُغْلِي بِهِ

وكتبت أنا إلى بعض الأصحاب: [من المتقارب]

كُتِبَتْ لِمَمْلُوكِي نَأْتُ دَارِهِ وَسِينَاتٌ حَالِي وَقْفٌ لَدَيْهِ
فَسُعْيِي إِلَيْهِ سُمُوءِي بِهِ سُؤَالِي عَنْهُ سَلَامِي عَلَيْهِ

(١) ديوان زهير بن أبي سلمى: ١٢. قيل: إن زهيراً سَمِيَ بهذا البيت: «قاضي الشعراء».

(٢) لم يرد البيت في ديوان المتنبي (شرح اليازجي).

(٣) هو أبو محمد، شرف الدين، عبد العزيز بن محمد بن منصور الأنصاري: وزير، أديب، فقيه، شاعر. ولد في دمشق، وتوفي بحماسة سنة ٦٦٢هـ / ١٢٦٤م. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٣/ ٥٩٨).

وقلت أيضاً: [من المتقارب]

كَتَبْتُ وَدَالَاتُ حَالِي كَمَا دُعَائِي وَدَمْعِي وَدَأْبِي دَوَائِي
تَرَاهَا إِلَى سَيِّدٍ لَمْ أَخْنُهُ لَهُ وَعَلَيْهِ وَفِيهِ وَمِنْهُ
وقلت في المجون: [من المتقارب]

مَلَكَتُ غَلَامًا جَمِيعِي لَهُ فَدَبِّي عَلَيْهِ وَدَأْبِي لَهُ
وَحُذِّ خَبَرِي فِيهِ أَخْبَرَكَ عَنْهُ وَدَخَلِي فِيهِ وَخَرَجِي مِنْهُ^(١)
إلى قوله: ولا بدّ من شكوى البيت. والعاقل من كتم أمره، ولم يشك إلى أحد، عملاً بقول القائل: [من الكامل]

لَا تُظْهِرَنَّ لِعَاذِرٍ أَوْ عَاذِلٍ حَالِيكَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ
فَلِرَحْمَةِ الْمُتَوَجِّعِينَ حَرَارَةً فِي الْقَلْبِ مِثْلُ شِمَاتَةِ الْأَعْدَاءِ
فقد يكون بعض الأصحاب مثل ما قال الأرجاني: [من الكامل]

أَعْيَاكَ إِسْعَافِي فَصِرْتَ مُعْتَفِي لَيْتَ الَّذِي عَدِمَ الْجَمِيلَ تَجَمَّلًا^(٢)
مَالِي شَكْوَتْهُ إِلَيْكَ نَارَ جَوَانِحِي لِتَكُونَ مُطَفَّئَهَا فَكُنْتَ الْمُشْعَلَا
وقال أبو بكر عبادة بن ماء السماء الأندلسي^(٣): [من مجزوء الكامل]

لَا تَشْكُوكُونْ إِذَا عَثُرْ تَ إِلَى خَلِيطِ سُوءِ حَالِكَ
فَيُرِيكَ أَلْوَانًا مِنَ الْـ إِذْ لَالٍ لَمْ تَخْطُرْ بِبَالِكَ

والعلم المشهور في هذا قول أبي الطيب^(٤): [من البسيط]

لَا تَشْكُوكُونْ إِلَى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُمْ شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْعِقْبَانِ وَالرَّخِمِ^(٥)

وأما الإنفراد فنقلت من خط السراج الوراق له: [من الخفيف]

أَفَرَدْتَنِي الْأَيَّامَ عَنْ كُلِّ خَلٍّ وَأُنَيْسٍ وَصَاحِبٍ وَصَدِيقٍ

(١) الدُّبُّ: المشي على اليدين والرجلين كالطفل، وقيل: مشي كالحيّة.

(٢) الإسعاف: المساعدة.

(٣) هو أبو بكر، عبادة بن عبد الله الأنصاري، المعروف بابن بماء السماء: رأس الشعراء في الدولة العامرية بالأندلس، وهو الذي أقام عماد الموشحات وهذّب ألفاظها وأوضاعها. توفي سنة ٤٢٢هـ / ١٠٣٠م. (الأعلام: ٢٥٨/٣).

(٤) ديوان المتنبي: ٣١٧/٢.

(٥) في الديوان:

وَلَا تَشْكُ إِلَى خَلْقٍ فَتُشْمِتَهُ شَكْوَى الْجَرِيحِ إِلَى الْغُرَبَانِ وَالرَّخِمِ

فَلَوَانِي مَشَيْتُ فِي شَهْرِ آبٍ لِأَبَى الظِّلِّ أَنْ يَكُونَ رَفِيقِي

ونقلت من خطه له أيضاً: [من الخفيف]

أَفَرَدْتَنِي الْأَيَّامُ عَنْ كُلِّ خِذْنٍ وَأُنَيْسٍ وَصَاحِبٍ وَخَلِيلٍ
فَتَرَانِي فِي شَمْسِ آبٍ وَلَا ظِلٍّ لِشَخْصِي مَعَ الضُّحَى وَالْأَصِيلِ

وقلت أنا في الوحدة: [من السريع]

لَزِمْتُ بَيْتِي كَلْزَوْمِ الْبِنَا فِي الْفَعْلِ وَالْحَرْفِ عَلَى الْأَصْلِ
وَأَسْتَوْحِشْتُ نَفْسِي حَتَّى لَقَدْ نَفَرْتُ لَوْ أَمَكْنَ مِنْ ظِلِّي

وقلت أيضاً: [من السريع]

وَجَدْتُ فِي عَشْرَةِ صَحْبِي أَذَى لَمَّا لَزِمْتُ الْبَيْتَ فِي الْوَقْتِ زَالَ
يَا عَجَباً مَنْ أَشْعَرِيَّ غَدَا يَحْمَدُ رَأْيَ النَّاسِ فِي الْإِعْتَزَالِ

وقلت أيضاً: [من الوافر]

كَفَفْتُ عَنِ الْأَنَامِ فَمِي وَكَفِّي كَأَنِّي بْتُ فِي خَرَسٍ وَرَعَشَةٍ
وَكُنْتُ مُتِيماً فِي كُلِّ شَخْصٍ فَعِنْدِي مِنْ خَيَالِي الْيَوْمَ وَخَشَةٍ

رجع القول إلى بيت الطغرائي: لعمري إذا كان الإنسان في بلد بهذه المثابة لا المثوبة، فحقه أن يفارقها. ولهذا قال أبو الطيّب^(١): [من البسيط]

شَرُّ الْبِلَادِ بِلَادٌ لَا أُنَيْسَ بِهَا وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمْ^(٢)

وأيّن هذه البلدة التي وصفها الطغرائي من البلدة التي وصفها الحريري في قوله: [من الطويل]

وَجَدْتُ بِهَا مَا يَمَلُّ الْعَيْنَ قُرَّةً وَيُسْلِي عَنِ الْأَوْطَانِ كُلَّ غَرِيبٍ

وأيّن هؤلاء القوم الذين عاصروهم الطغرائي وعاصروهم من آل المهلب الذين وصفهم الشاعر فقال: [من الطويل]

نَزَلْتُ عَلَى آلِ الْمَهْلَبِ شَاتِياً غَرِيباً عَنِ الْأَوْطَانِ فِي زَمَنِ الْمَحَلِ
فَمَا زَالَ بِي إِحْسَانُهُمْ وَجَمِيلُهُمْ وَبَرَّهُمْ حَتَّى حَسَبْتَهُمْ أَهْلِي

(١) ديوان المتنبي: ٩٧/٢.

(٢) في الديوان:

شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا صَدِيقَ بِهِ وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ مَا يَصِمْ

وزاد عليه القاضي الرشيد ابن الزبير فقال: [من الطويل]

ولمّا نزلنا في ظلال بُيوتهم أمّا ونلنا الخُصْب في زَمَن المَحَل
ولوّ لم يَزِدْ إْحسانَهُم وجميلَهُم على البرّ من أهلي حَسِبْتَهُم أهلي
طالَ اغْتِرابِي حتّى حَنّ راحِلتي ورَحَلُها وَقَرَى العَسَّالَةَ الذُّبُل

(الاعتراب): افتعال من الغربة، تغرّب واغترب بمعنى، فهو غريب ومغترب
وغُرِب بضم الغين والراء أيضاً والجمع غرباء، والغرباء الأبعاد. واغترب إذا تزوّج
غير أقاربه. وفي الحديث: اغتربوا لا تزوّوا، معناه: تزوّجوا الأبعاد دون الأقارب
لئلا يحصل الحياء من القرابة فيجىء الولد ضئيلاً نحيفاً لعدم التمكن من الزوجة.
(حنّ) حنين الناقة: صوتها في نزاعها إلى ولدها، والحنين من الآدمي الشوق.
(راحلتني): الراحلة: الناقة التي تصلح لأن ترحل أي يوضع عليها الرحل. (ورحلها)
الرحل: رحل البعير وهو أصغر من القتب، والجمع رحال وثلاثة أرحل. (وقرى)
القارية: من السنان أعلاه. (العسّالة): الرماح واحدها عسّال. وعسل الرمح: اهتز
واضطرب. وعسل الذئب يعسل عسلاً وعسلاناً: إذا أعنق وأسرع. وكذلك الإنسان.
وفي الحديث: عليك بالعسل، أي عليك بسرعة المشي. وما أحلى قول القائل في
رمح: [من البسيط]

عَجِبْتُ مِنْهُ إِلَى المُرَّانِ نِسْبَتُهُ جُنْساً وَيُنْعَتُ فِي الهَيْجَا بِعَسَّالٍ^(١)

(الذبل): جمع ذابل، وهو من صفات الرمح، كأنه يصف الرماح بالخفة
والدقة، وقد عيبَ على أبي الطيب في قوله^(٢): [من الخفيف]

إِنْ تَرِينِي أَدَمْتُ بَعْدَ بِيَاضِي فَحَمِيدٌ مِنَ القَنَاءِ الذُّبُولِ^(٣)

قالوا: ما الآخر منطبق على الأوّل، وكان ينبغي أن يقول فحميد من القناة
السمرة، لأن الأدمة هي الحمرة بسواد، وهو يقول: إن تريني حصل لي أدمة من
الأسفار لمقابلة الشمس بعد بياضي، فمن الواجب أن يقول: فحميد من القناة
السمرة وهو إيراد متوجه. وقد أجاب ابن جنيّ عنه بأشياء طوّل فيها وليست بطائفة.
قلت: ويمكن أن يجاب عنه بأن الذبول يعطي السمرة، لأن الإنسان إذا هزل اسمرّ،
وإذا سمن ابيضّ. (الإعراب). طال: فعل ماض. اغترابي: فاعله. ولم يظهر الرفع

(١) المُرَّان: الرماح الصلبة اللدنة. عَسَّال: يقال: عَسَلَ الرمح عَسْلاً، وعُسْلاً، وعَسَلاناً: اضطرب
واهتزّ ليلينه، فهو عاسلٌ، وعسولٌ، وعسّالٌ.

(٢) ديوان المتنبي: ٢/٢٢٤.

(٣) أدم الرجل: اسمرّ، أو اشتدّت سُمُرته.

لأنه مضاف إلى الياء التي هي ضمير المتكلم. فالرفع بضمة مقدّرة على الباء الموحّدة. (حتى): أما حتى فقال الشيخ بدر الدين بن مالك: دلالة حتى وإلى على انتهاء الغاية كثير بخلاف اللام إلا أن إلى أمكن في ذلك. ولما أطال الكلام في حتى عدلت إلى كلام غيره. قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس: اعلم أن حتى في الكلام على أربعة أضرب تكون لانتهاء الغاية فتجر الأسماء على معنى إلى، وتكون عاطفة كالواو، ويبتدأ بعدها الكلام. وتضمّر بعدها أن فتنصب. أما إن كانت عاطفة فشرطها يكون ما بعدها آخر جزء مما قبلها نحو: أكلت السمكة حتى رأسها، أو يكون فيه معنى التعظيم كقولك: مات الناس حتى الأنبياء، أو التحقير: كاجترأ عليّ السفلة حتى الزبالون.

قلت: ينبغي أن يزداد هنا أو التعجب ليدخل فيه مثل قول أبي الطيب^(١): [من الطويل]

وَيَا قَلْبُ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أَفَارِقُ

(رجع إلى كلام بهاء الدين). قال: وإن كانت جارة فلا بدّ أيضاً أن يكون ما بعدها آخر جزء مما قبلها نحو: أكلت السمكة حتى رأسها، أو ملاقي آخر جزء، كنمت البارحة حتى الصباح، وإن كانت حرف ابتداء بمعنى أنه تقع بعدها الجمل الاسمية، أو الفعلية، كما تقع في ابتداء الكلام نحو قول الشاعر: [من الطويل]

سَرِيتُ بِهِمْ حَتَّى تَكُلَّ مَطِيَّهُمْ وَحَتَّى الْجِيَادُ مَا يُقَدِّنَ بِأَرْسَانِ
فلا بد أن يكون ما بعدها داخلاً في حكم ما قبلها في جميع الأحوال، إلا إن دلّت قرينة على خروجه نحو: صمت الأيام حتى يوم الفطر. قلت: حملت حتى على الواو لأن الأصل في حتى أن تكون غائبة، وإذا كانت غائبة كان ما بعدها داخلاً فيما قبلها. تقول: جاء القوم حتى زيد، فزيد داخل في الذين جاؤوا. وهذا معنى الواو. وتقول: جاء القوم وزيد، لكنها تفارق الواو في أن الواو لا يجب أن يكون ما بعدها من جنس ما قبلها، لأن حتى للغاية والدلالة على آخر طرفي الشيء، فلا يتصور في طرف الشيء أن يكون من غيره. فلو قلت: جاء الرجال حتى النساء، لكان النساء غاية للرجال وهو محال. مسألة. تقول: أكلت السمكة حتى رأسها برفع السين ونصبها وجرها. فالرفع على أن تجعل حتى حرف ابتداء، والخبر محذوف دلّ عليه أكلت تقديره ورأسها مأكول، والنصب: على أن تكون حتى عاطفة. فالرأس

(١) ديوان المتنبي: ١٩٧/١؛ والبيت بتمامه:

هُوَ الْبَيْتُ حَتَّى مَا تَأْتِي الْحَزَائِقُ وَيَا قَلْبُ حَتَّى أَنْتَ مِمَّنْ أَفَارِقُ

مأكول أيضاً وذكر لحقارته . والجَرَّ على أنَّ حتى جارةً للرأس غير مأكول . ومثله قول الشاعر : [من الكامل]

ألقى الصَّحيفةَ كي يُخَفِّفَ رَحْلَهُ والزادَ حتَّى نَعْلَهُ ألقاها
كان الفراء يقول : أموت وفي قلبي من حتى ، لأنها ترفع وتنصب وتجبر . رجع إلى إعراب البيت . حتى : هنا بمعنى إلى فهي هنا دخلت على جملة فعلية . (حنَّ): فعل ماضٍ أصله حَنَنٌ ، فاجتمع مثلاًن سَكُنَ أحدهما وأدغم في الآخر . وحذف تاء التأنيث ضرورة كما قال الشاعر : [من المتقارب]

فَلا مُزْنَةٌ وَدَقْتُ وَدَقَّهَا وَلَا أَرْضٌ أَبْقَلَ إِبْقَالَهَا^(١)
كان ينبغي أن يقول : أبقلت ، لأن الأرض مؤنثة . ولكن اضطره الوزن إلى ذلك ، فَعَنَى بالأرض المكان وهو مذكّر ، وكذلك الطغرائي عنى بالراحلة الجمل وهو مذكر . (راحلتي): فاعل حنَّ . والضمّة مقدّرة على التاء لاتصالها بضمير المتكلم ، والياء في موضع جر على الإضافة . (ورحلها): الواو حرف عطف وقد تقدّم الكلام على الواو وتقسيمها في أول القصيدة . رحلها: معطوف على راحلتي ، ولهذا ضمّت اللّام والهاء . والألف ضمير يعود على الراحلة ، وهو في موضع جر بالإضافة . (وقرى): الواو عاطفة ، قرى معطوف على ما قبله ، فهو مرفوع ولكن لم يظهر الرفع لأنه مقصور وسمي مقصوراً لأنه محبوس عن الحركات الثلاث . (العسالة): مجرور على إضافته إلى قرى . (الذبل): مجرور على أنه صفة للمجرور وهو العسالة ، والصفة لها شروط ، وهي أن يكون فيها أربعة من عشرة وهي : الإفراد ، والتثنية ، والجمع ، والتذكير ، والتأنيث ، والتعريف ، والتنكير ، والرفع ، والنصب ، والجبر . فالذبل فيها أربعة من هذه العشرة وهي : الجمع لأنه جمع ذابل ، والتعريف ، والتأنيث ، والجبر ، وإنما قلنا التأنيث لأنه جمع ، وكل جمع مؤنث . وما أحلى قول القائل : [من مجزوء الخفيف]

قُلْتُ لَمَّا تَجَمَّعُوا وَبِقَتْلِي تَحَدَّثُوا
لَا أَبَالِي بِجَمْعِهِمْ كُلَّ جَمْعٍ مُؤْنِثٌ

وحنَّ فعل يتعدّى إلى المفعول بحرف الجر . تقول : حننت إلى كذا ، وإنما حذف هنا لنوع من البلاغة يعرفه أرباب المعاني ، لأنه لو قال : حنَّ راحلتي إلى إلفها . وذكر المفعول وقفت نفس السامع عند الغاية المذكورة ، ولمّا حذف ذلك تشعبت الظنون ، وتفرقت في كل وجهة ، وظن بكل ما يوجد الحنين إليه ، وهذا مما

(١) المَزْنَةُ: المَطَرَةُ. وَدَقَّ المطر: قطر، انهمر.

يعطف عليه القلوب، ويزيد في توجعها له. (المعنى): طال اغترابي وامتدّ سفري إلى أن حثّت راحلتي، وحنّ رحلها، وحثّت أعالي رماحي إلى الدعة والسكون والاستقرار بدلاً من الاضطراب والحركة والتنقل. وقد حثت السنة على العود إلى الوطن، ووصفت الأسفار بالمشقة. قال ﷺ: «السفر قطعة من العذاب. فإذا قضى أحدكم نهمته، فليعجل الرجوع إلى أهله». قال الحافظ أبو عمر بن عبد البر^(١): زاد بعضهم في هذا الحديث: السفر قطعة من العذاب، فاقطعوه بالدلجة^(٢). ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما: موت الغريب شهادة، أقول: هذا مما يؤكد مشقة الغربة لأن النبي ﷺ أدخله في مشقة الشهداء كالقتيل في سبيل الله عزّ وجلّ، والمبطون، والمطعون، والغريق، والميت عشقاً، والميتة في الطلق، والمراد بتسمية هؤلاء المذكورين خلا المقتول في سبيل الله أنّ لكل منهم أجر شهيد. وليس يجري عليه أحكام الشهيد في أنه لا يغسل ولا يصلى عليه، وإنما هذا في حق من مات بقتال من الكفار قبل انقضاء الحرب، سواء قتله كافر، أم أصابه سلاح مسلم خطأ، أو عاد إليه سلاحه، أو سقط عن فرسه متقطراً، أو رمحته دابةً فمات، أو وجد قتيلاً عند انكشاف الحرب ولم يعلم سبب موته، سواء كان عليه أثر دم أم لا، وسواء كان جنباً أم لا، أما إذا مات حتف أنفه، أو باغتيال أو بقتال الكفرة بعده أو البغاة، فقولان في مذهب الشافعي: فإن جرح في الحرب وبقيت فيه بعد انقضاء الحرب حياة مستقرّة فقولان: أظهرهما أنه ليس بشهيد. وقيل: إن مات عن قريب فقولان: وإن بقي أياماً فليس بشهيد قطعاً. أما إذا انقضت الحرب وليس فيه إلا حركة مذبح فشهيد بلا خلاف، وإن انقضت وهو متوقع البقاء فليس بشهيد. وحكمه أن لا يغسل، لقوله ﷺ: «زملوهم في ثيابهم»، الحديث. ولا يصلى عليه لأنه مقطوع له بالجنة. والصلاة إنما هي شفاعة بالدعاء من المؤمنين له بالمغفرة ودخول الجنة، ولقوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا﴾ الآية [آل عمران: ١٦٩]. وفيه نظر، لأن الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم مقطوع لهم بالجنة، وقد صليّ على النبي ﷺ، وصلى هو ﷺ على حمزة عمه رضي الله عنه يوم أُحُد سبعين مرة، كلما قدموا ميتاً صلى عليه معه. وما أحسن قول ابن عُنين في مؤسّوس: [من السريع]

وَبَارِدِ النِّيَّةِ عَايِنَتْهُ يُكْرَرُ الرَّغْدَةَ وَالْهَزَّةُ
مُكْبَرًا سَبْعِينَ فِي مَرَّةٍ كَأَنَّمَا صَلَّى عَلَى حَمْرَةٍ

(١) هو أبو عمر، يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البرّ النمري: حافظ، فقيه، عالم بالقراءات والحديث والرجال. توفي سنة ٤٦٠ هـ بشاطبة من بلاد الأندلس. (جذوة المقتبس: ٣٥٦؛ بغية الملتمس: ٤٥٤؛ الصلاة: ٥٢١).

(٢) الدلجة: سفر الليل.

وبه قالت الحنفية مستشهدين بالصلاة على حمزة، وخالفوا الشافعية في الصغير الذي يُقتل في المعركة، فقالوا: يُغسل لأنه لم يجب عليه فرض القتال، وخالفوهم أيضاً في الصلاة على الباغي المقتول، فقالوا: بمنع الصلاة عليه لأن علياً رضي الله عنه أوجب محاربتهم، والصحيح الذي قاله الأشاعرة أن القاتل والمقتول في حرب علي كرم الله وجهه، ومعاوية من أهل الجنة، لأن كلا منهم اجتهد. ولكن أصحاب علي رضي الله عنه أصابوا، وأصحاب معاوية أخطأوا، وخالفوهم أيضاً في غسل الجنب الشهيد، قائلين: إن القتال لا يزيل الجنبية. وقال الشافعية: إنما الغسل لأداء الفرائض، ولا فرض فالشاهد بالشروط المذكورة هو أعلى رتب الشهادة، وبعض الفقهاء اشترط في الميت عشقاً الكتمان والعفاف، لقوله ﷺ: «من عشق فعف فكنتم فمات فهو شهيد». ورأيت الشيخ النووي في «الروضة» قد أطلق ولم يشترط شيئاً، بل قال: والميت عشقاً، والميتة طلقاً، وهذا عجيب منه كيف تساهل في هذا الموضوع، وما هي طريقته، وقد جزم بتحريم النظر إلى الأمرد بشهوة وغير شهوة، وما أظن للفقهاء دليلاً في أن الميت عشقاً شهيد غير حديث: مَنْ عشق فعف. وقد رواه الدارمي^(١) في جزئه وفي طريقه سويد بن سعيد الحدثاني، وهو من شيوخ مسلم، إلا أن يحيى بن معين^(٢) ضعفه، وقال فيه كلاماً معناه: لو ملكت فرساً ورمحاً لقاتلته بسبب هذا الحديث. قال شيخنا شمس الدين الذهبي: هذا الرجل ممن لم يتورع ابن معين في تضعيفه. قلت: جاء أنه قال فيه حلال الدم، وقد روى عن سويد المذكور مسلم^(٣) وابن ماجه^(٤). وتوفي في حدود الأربعين والمائتين. وقد روى هذا الحديث أيضاً الدارقطني^(٥) عن المنجنيقي^(٦)، فتابع

(١) هو أبو محمد، عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بهرام التميمي، الدارمي، السمرقندي: من حفاظ الحديث، له كتاب «الجامع الصحيح». توفي سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٩م. (الأعلام: ٩٥/٤).

(٢) هو أبو زكريا، يحيى بن معين بن عون بن زياد المرّي، البغدادي: من أئمة الحديث ومؤرخي رجاله، وكان يُسمى: إمام الجرح والتعديل. توفي سنة ٢٣٣هـ / ٨٤٨م. (الأعلام: ١٧٢/٨).

(٣) هو أبو الحسين، مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري، النيسابوري: من أئمة أهل الحديث، وهو صاحب «الجامع الصحيح»، المعروف بصحيح مسلم. توفي سنة ٢٦١هـ / ٨٧٥م. (الأعلام: ٢٢١/٧).

(٤) هو أبو عبد الله، محمد بن يزيد الربيعي القزويني، المعروف بابن ماجه: من أئمة علم الحديث، من أهل قزوین. وهو صاحب كتاب: «سنن ابن ماجه». توفي سنة ٢٧٣هـ / ٨٨٧م. (الأعلام: ١٤٤/٧).

(٥) هو أبو الحسن، علي بن عمر بن أحمد بن مهدي الدارقطني، الشافعي: إمام عصره في الحديث، وأول من صَنَّفَ القراءات، وعقد لها أبواباً. توفي سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م. (الأعلام: ٣١٤/٤).

(٦) هو أبو يعقوب، إسحاق بن إبراهيم بن يونس البغدادي الورّاق، المعروف بالمنجنيقي: حافظ =

سويداً. ورأيت بعضهم يقول: إنما سمي نور الدين الشهيد شهيداً لأنه أحب مملوكاً، وعفّ عنه، فأكمدته الحب فقتله. وهذا ليس بشيء في سبب موته، فإنه مات بعلّة الخوانيق، وأشار عليه الأطباء بالفصد فامتنع، وكان مهيباً فما روجع فمات بقلعة دمشق. فإن كان مقصده بتركه الفصد، العمل بقول النبي ﷺ: «سبعون ألفاً من أمّتي يدخلون الجنة بغير حساب وهم الذين لا يستطبون ولا يسترقون ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»، فقد تصدق عليه هذه التسمية، وما أظنها إلا غلبت عليه كقول الناس في سلاطينهم، فلان الشهيد وإن كان قد مات على فراشه تفاؤلاً في حقهم، فإن قلت: فكيف بقي هذا الاسم عليه ولم يبق على غيره، قلت: لأنه ليس كغيره من الملوك لفتوحاته وغزواته وأوقافه وورعه وزهده، وسائر أوصافه المحمودّة، وما تسمى غازان ملك التتار بمحمود، إلا تشبهاً به زاعماً أنه يسلك طريقه في العدل. قال الشاعر: [من الطويل]

خَلِيلِي هَلْ أَبْصَرْتَمَا أَوْ سَمِعْتُمَا بَأَنَّ قَتِيلَ الْغَانِيَاتِ شَهِيدٌ^(١)
وما أحلى قول ابن رواحة الحموي^(٢): [من مجزوء الكامل]

لَا مَوَا عَلِيكَ وَمَا دَرَوَا أَنَّ الْهَوَى سَبَبُ السَّعَادَةِ
إِنْ كَانَ وَصَلٌ فَالْمُنَى أَوْ كَانَ هَجْرٌ فَالشَّهَادَةُ
وعكسه أيضاً فقال: [من السريع]

يَا قَلْبُ دُعْ عَنْكَ الْهَوَى قَسْراً مَا أَنْتَ مِنْهُ بِحَامِدٍ أَمْراً
أَضَعْتَ دُنْيَاكَ بِهَجْرَانِهِ إِنْ نِلْتَ وَصْلاً ضَاعَتْ الْأُخْرَى

ومن هذه المادّة قول ابن التعاويذي^(٣): [من السريع]
أَفْنَيْتُ شَطْرَ الْعُمَرِ فِي مَدْحِكُمْ ظَنَّا بِكُمْ أَنَّكُمْ أَهْلُهُ

= ثقة، بغدادي الأصل، استوطن مصر، وتوفي فيها سنة ٣٠٤هـ/ ٩١٦م. (الأعلام: ١/ ٢٩٣).
(١) الغانيات: جمع الغانية: الحسناء التي تستغني بجمالها عن الزينة. وفي البيت تعريض بقول جميل بثينة:

لِكُلِّ حَدِيثٍ بَيْنَهُنَّ بِشَاشَةٌ وَكُلِّ قَتِيلٍ عِنْدَهُنَّ شَهِيدٌ
(الأغاني: ٨/ ١٠٤).

(٢) هو أبو علي، الحسين بن عبد الله بن رواحة الأنصاري، الحموي: شاعر، من الفقهاء، اشتهر في عهد السلطان صلاح الدين، وله فيه شعر. توفي سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م. (الأعلام: ٢/ ٢٤٢).

(٣) هو أبو الفتح، محمد بن عبيد الله بن عبد الله، المعروف بابن التعاويذي: شاعر العراق في عصره، ولد ببغداد، وتوفي فيها سنة ٥٨٣هـ/ ١١٨٧م. (الأعلام: ٦/ ٢٦٠).

وَعُدْتُ أَفْنِيهِ هِجَاءَ لَكُمْ فَضَاعَ عُمَرِي فِيكُمْ كُلُّهُ

وقال أيضاً: [من الكامل]

وَلَقَدْ مَدَحْتُكُمْ عَلَى جَهْلٍ بِكُمْ فَظَنَنْتُ فِيكُمْ لِلصَّنِيعَةِ مَوْضِعًا
وَرَجَعْتُ بَعْدَ الْاِخْتِبَارِ أَذْمَكُمْ فَأَضَعْتُ فِي الْحَالِينَ عُمَرِي أَجْمَعًا

نقل عن أبي إسحاق إبراهيم الغزي الشاعر أنه لما مرض ببلاد خراسان، وأشرف على الموت، قال: أرجو أن الله يغفر لي لثلاثة أشياء: لكوني من بلاد الإمام الشافعي، وكوني شيخاً كبيراً، وكوني غريباً. وقد استعار الطغرائي الحنين للرحل، كما استعاره لصدور الأسنة من الرماح طلباً للمبالغة، لأنه إذا كانت الأشياء التي لا تعقل ولا تدرك حصل لها الحنين، فالعقل الدارك بطريق الأولى، وهذه فائدة الاستعارة. وقال الشاعر في التغرب: [من الكامل]

تَتَقَاذِفُ الْأَهْوَالُ بِي فَكَأَنَّنِي

وقال أبو الطيب^(١): [من الطويل]

يُخَيِّلُ لِي أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِعُ وَأَنِّي فِيهَا مَا تَقُولُ الْعَوَاذِلُ

معناه: أن العاذل ماله كلمة مستقرة في الأذن عند المحب، والكلمة إذا صادفت موقعاً من الخاطر قبلها السامع، وثبتت في الذهن. فالسامع لها دائماً يتذكرها ويستحضرها، كأنها رسخت واستقرت في سمعه. وهذا من تشبيهاته الحسنة. وقال الآخر: [من الطويل]

وَلِي سَنَةٌ لَمْ أَذْرِ مَا سُنَّتُهُ الْكَرَى كَأَنَّ جُفُونِي مَسْمَعِي وَالْكَرَى الْعَذْلُ^(٢)

يعني أن الكرى ما دخل عينيه كالعذل الذي لم يجر في سمعه. وهذا أبلغ من قول أبي الطيب أولاً. وما أحسن قول ابن سهل المغربي^(٣) فيما أظن: [من الوافر]

كَأَنَّ الْقَلْبَ وَالسَّلْوَانَ ذَهْنٌ يَحُومُ عَلَيْهِ مَعْنَى مُسْتَحِيلٌ

وهو مأخوذ من قول أبي تمام الطائي^(٤): [من الوافر]

وَكُنْتُ أَعَزَّ عِزًّا مِنْ قَنُوعٍ تَعَوَّضُهُ صَفُوحٌ عَنْ جَهُولٍ

(١) ديوان المتنبي: ١/ ١٤٩؛ وفيه: «أَنَّ الْبِلَادَ مَسَامِعِي».

(٢) السُّنَّةُ: الْوَجْهُ، أَوِ الطَّرِيقَةُ، أَوِ الصُّورَةُ. الْكَرَى: الثُّعَاسُ، أَوِ النَّوْمُ. الْعَذْلُ: اللَّوْمُ.

(٣) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن سهل الإشبيلي، المغربي: شاعرٌ غَزَلَ من الْكُتَّابِ. أصله من إشبيلية، وسكن سبتة بالمغرب الأقصى. توفي غرقاً سنة ٦٤٩هـ / ١٢٥١م. (الأعلام: ١/ ٤٢).

(٤) ديوان أبي تمام: ٢/ ٢٥٥، والبيتان من قصيدة يهجو بها عياش بن لهيعة.

فَصِرْتُ أَذَلَّ مِنْ مَعْنَى دَقِيقٍ بِهِ فَقَرُّ إِلَى فَهَمٍ جَلِيلٍ^(١)

وقال أبو الطيب في الغربة^(٢): [من الطويل]

غَنِيٌّ عَنِ الْأَوْطَانِ لَا يَسْتَفْزِنِي إِلَى بَلَدٍ سَافَرْتُ عَنْهُ إِيَابُ

وقال أيضاً^(٣): [من الطويل]

أَخُوهُمْ رَحَّالَةٌ لَا تَزَالُ فِي نَوَى تَقْطَعُ الْبِيدَاءَ أَوْ أَقْطَعُ الْعُمَرَا
وَمَنْ كَانَ عَزْمِي بَيْنَ جَنْبِيهِ حَثَّةٌ وَخَيْلٌ طَوَّلَ الْأَرْضِ فِي عَيْنِهِ شَبْرًا

قلت: ما زال أبو الطيب يقطع البید، حتى انقطع منه الوريد. فَإِنَّ فَاتِكَ بَن
أَبِي جَهْلٍ الْأَسَدِي تَبَعَهُ إِلَى دِيرٍ عَاقُولٍ، وَقَتْلَهُ هُنَاكَ، وَقَتْلَ ابْنِهِ مُحَمَّدًا، وَغَلَامَهُ
مَفْلَحًا، وَقَالَ فِي كَثْرَةِ الْأَسْفَارِ^(٤): [من البسيط]

كَرِيشَةٌ بِمَهَبِّ الرِّيحِ سَاقِطَةٌ لَا تَسْتَقَرُّ عَلَى حَالٍ مِنَ الْقَلْقِ

وقال القاضي عبد الوهاب: [من المنسرح]

أَطَالَ بَيْنَ الدِّيارِ تَرْحَالِي فَصُورُ مَالِي وَطُولُ آمَالِي
إِنْ بَثُّ فِي بَلَدَةٍ مَشِيْتُ إِلَى أُخْرَى فَمَا تَسْتَقَرُّ أَجْمَالِي
كَأَنَّنِي فِكْرَةُ الْمُوسُوسِ مَا تَبْقَى مَدَى سَاعَةٍ عَلَى حَالٍ

وقال أبو تمام^(٥): [من البسيط]

بِالشَّامِ قَوْمِي وَبَعْدَادِ الْهَوَى وَأَنَا بِالرُّقْمَتَيْنِ وَبِالْفُسْطَاطِ جِيرَانِي^(٦)
وَمَا أَظُنُّ النَّوَى تُلْقِي مَرَايِيهَا حَتَّى تَبْلُغَ بِي أَقْصَى خُرَاسَانَ^(٧)

وقال النور الأسعدي: [من الطويل]

أَقُولُ لِقَلْبِي حِينَ جَدَّ بِهِ الْأَسَى لَكَ اللَّهُ مِنْ قَلْبٍ صَبُورٍ عَلَى الْوَجْدِ

(١) في الديوان: «إلى ذهنٍ جليل».

(٢) ديوان المتنبي: ٢/ ٢٩٠؛ وفيه: «لَا يَسْتَحْفَنِي».

(٣) لم يرد البيتان في ديوانه (شرح البازجي).

(٤) ديوان المتنبي: ١/ ٣٩٩؛ وفيه: «كَرِيشَةٌ فِي مَهَبِّ الرِّيحِ».

(٥) ديوان أبي تمام: ٢/ ١٦١. والبيتان من قصيدة يمدح بها محمد بن حسان الضبي.

(٦) في الديوان: «وبالفسطاط إخواني».

(٧) في الديوان:

وَمَا أَظُنُّ النَّوَى تَرْضَى بِمَا صَنَعْتُ حَتَّى تُطَوِّحَ بِي أَقْصَى خُرَاسَانَ
تُطَوِّحُ بِي: تَرْمِي بِي.

أَفِي حَلَبٍ جِسْمِي، وَقَلْبِي بَجَلَّتْ وَصَحْبِي بِبَغْدَادٍ وَأَهْلِي بِأَسْعُرْدٍ^(١)
 يقال: إنه ما رأى أحد قبور إخوة أكثر تباعداً من قبور بني العباس رضي الله
 عنهم. قبر عبد الله بالطائف، وقبر عبيد الله بالمدينة، وقبر قثم بسمرقند، وقبر
 عبد الرحمن بالشام، وقبر معبد بإفريقية، (اتفاق عجيب لا بأس بذكره). كان
 يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة^(٢) والياً على إفريقية، وأخوه
 روح^(٣) والياً على السند، فلما توفي يزيد بإفريقية، قال الناس: ما أبعد ما يكون ما
 بين قَبْرَي هذين الأخوين. فاتفق أن الرشيد عزل رَوْحاً عن السند، وجهزه والياً مكان
 أخيه، فدخل إفريقية ولم يزل والياً إلى أن مات بها، ودفن مع أخيه في قبر واحد،
 رحمهما الله تعالى. وقال الأرجاني: [من الكامل]

وَأَخُو اللَّيَالِي مَا يَزَالُ مُرَاوِحاً مَا بَيْنَ أَدهِمَ خَيْلِهَا وَالْأَشْهَبِ
 فَالْأَرْضُ لِي كُرَّةٍ أَوَّاصِلُ ضَرْبِهَا وَصَوَالِجِي أَيْدِي الْمَطَايَا اللَّعْبِ^(٤)
 وقال الآخر: [من الكامل]

وَمُشَّتَتِ الْعَزَمَاتُ لَا يَأْوِي إِلَى سَكَنٍ وَلَا أَهْلٍ وَلَا جِيرَانٍ
 أَلِفَ النَّوَى حَتَّى كَأَنَّ رَحِيلَهُ لِلْبَيْنِ رَحْلَتَهُ إِلَى الْأَوْطَانِ
 وقال ابن عنين: [من الكامل]

فإِلَى مَتَى أَنَا بِالسَّفَارِ مُضِيعُ الْيَوْمِ بَيْنَ أَسْبَحٍ بِالسَّلَامِ مُحَلَّةٌ
 يَوْمَ بَيْنَ الشَّدِّ وَالْإِيضَاعِ حَتَّى أَمْسِي أَهْلَهَا بِوَدَاعٍ
 وما أحسن قوله: [من الطويل]

وَحَتَّامٌ لَا أَنْفَكُ فِي ظَهْرِ سَبَسَبٍ أَهْجَرُ أَوْفِي بَطْنِ دَوِيَّةٍ قَفَرٍ^(٥)
 أَشَقَّقَ قَلْبَ الشَّرْقِ حَتَّى كَأَنَّنِي أَفْتَشُ فِي سَوْدَائِهِ عَنْ سَنَا الْفَجْرِ

(١) جَلَّتْ: دمشق.

(٢) هو أبو خالد، يزيد بن حاتم بن قبيصة بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي: أمير، من القادة
 الشجعان في العصر العباسي. ولي مصر، ثم إفريقية؛ وتوفي سنة ١٧٠هـ / ٧٨٧م. (الأعلام: ١٨٠/٨).

(٣) أمير، من الأجواد الممدوحين: ولي السند، ثم البصرة، فالكوفة، وولاه الرشيد فلسطين، ثم
 إفريقية بعد أخيه. توفي سنة ١٧٤هـ / ٧٩١م. (الأعلام: ٣٤/٣).

(٤) اللَّعْبُ: الضَّعَافُ.

(٥) السَّبَسَبُ: الفلاة. أَهْجَرُ: أسير في الهاجرة: وقت اشتداد الحر من النهار. الدَّوِيَّةُ: الفلاة
 البعيدة.

وقال ابن القيسراني ومن خطه نقلت: [من السريع]

أشتاقُ قَوْمِي بدمشق وفي بَعْدَادَ حَظُّ الْقَلْبِ وَالْعَيْنِ
فَفِي لِقَائِي ذَا فِرَاقِي لَذَا قُلْ لِي مَتَى أَخْلُو مِنَ الْبَيْنِ^(١)

وقال أبو الحسين الجزار: [من الكامل]

وَالْأَرْضُ قَدْ ثَقُلَتْ عَلَيْهَا وَطَأْتِي إِذْ عَمَّهَا الْإِدْبَارُ وَالْإِقْبَالُ
حَتَّامٌ أَمْسَحَهَا فَلَوْلَا أَنْ لِي عَيْنَيْنِ قَالَ النَّاسُ ذَا الدَّجَالِ

وقال ابن اللبانة: [من البسيط]

كَأَنَّمَا الْأَرْضُ عَنِّي غَيْرُ رَاضِيَةٍ فَلَيْسَ لِي وَطَنٌ فِيهَا وَلَا وَطَرُ^(٢)
وبالغ شهاب الدين أحمد المناوي في قوله: [من البسيط]

إِنْ عِشْتُ عِشْتُ بِأَهْلِ وَلَا وَطَنٍ وَإِنْ قَضَيْتُ فَلَا قَبْرٌ وَلَا كَفَنُ
أُظَنَّ قَبْرِي بَطُونِ الْوَحْشِ تَرْحُلُ بِي بَعْدَ الْمَمَاتِ فِي الْحَالِينِ لِي ظَعْنُ^(٣)

أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمئة: [من الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي إِلَى مَتَى أَتَشْكِي سَفَرًا مَالَهُ وَلَوْ مِتَّ آخِرُ
بَطْنُ سَارِي الْوُحُوشِ قَبْرِي فَمَا أَبْ رَحُ فِي الْمَوْتِ وَالْحَيَاةِ مُسَافِرُ

والمناوي أخذ المعنى من قول أبي بكر بن العطار اليابسي حيث قال في القتلى: [من الطويل]

وَقَدْ عَوَّضْتَهُمْ مِنْ قُبُورِ حَوَاصِلًا فَيَا مَنْ رَأَى مَيِّتًا يَطِيرُ بِهِ الْقَبْرُ^(٤)
ومن هذا المعنى قول أبي العلاء المعري: [من الطويل]

لَعَلَّ إِنَاءَ مِنْهُ يَعْمَلُ مَرَّةً فَيَأْكُلُ فِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَشْرَبُ
وَيُنْقَلُ مِنْ أَرْضٍ لِأُخْرَى وَمَا دَرَى فَيَا عَجَبًا بَعْدَ الْبَلَا يَتَغَرَّبُ

وهما من لزومياته، وقوله^(٥): [من الخفيف]

رُبَّ لَحْدٍ قَدْ صَارَ لِحْدًا مِرَارًا ضَاحِكًا مِنْ تَزَاوَحِ الْأَضْدَادِ^(٦)

(١) الْبَيْنُ: الْفِرَاقُ. (٢) الْوَطَرُ: الْحَاجَةُ فِيهَا مَأْرَبُ.

(٣) الظَّنُّ: الرِّحِيلُ.

(٤) الْحَوَاصِلُ: الْمَخَازِنُ، وَالْمِرَادُ بِهَا هُنَا: بَطُونُ الطَّيْرِ.

(٥) سَقَطَ الزَّنْدُ: ٢٤. (٦) اللَّحْدُ: الشَّقُّ يَكُونُ فِي جَانِبِ الْقَبْرِ.

وقال أبو الحسين ابن الإمام الغرناطي: [من الكامل]

يا ليت شعري والأمني كلّها برق يغرك أو سراب يلمع
هل ترتعن ركائب في بلدة أم هكذا خلقت تخب وتوضع^(١)
في كل يوم منزل وأحبة كالظل يلبس للمقبل ويخلع

وقال سيف الدين علي بن قزل المشد: [من الكامل]

إن الذين عهدتهم سكنوا الحمى رحلوا وما عطفوا عليك وودّعوا^(٢)
جدّوا المسير فلا الحداة لظعنهم تجفّو الشهاد ولا المطايا تهجع^(٣)
لا تستقرّ بهم عراض خيامهم ما قيل: تضرب أو تراها تقلع^(٤)
أقوت ربوعهم فشأن بيوتهم بيتان ينصب ذا وهذا يرفع^(٥)

وقال أبو الحسن علي بن زريق البغدادي^(٦) من قصيدته المشهورة: [من البسيط]

يكفيك من روعة التفنيد أن له من النوى كل يوم ما يروعه^(٧)
ما أب من سفر إلا وأزعجه رأي إلى سفر بالرغم يزمعه^(٨)
تأبى المطالب إلا أن تجشّمه للرزق كدحاً وكم ممّن يودّعه^(٩)
كأنما هو من حلّ ومُرتحل موكل بفضاء الأرض يذرعه^(١٠)
إذا الزماع أراه في الرحيل غنى ولو إلى السند أضحى وهو مربه^(١١)

(١) ترتع: ترعى كيف تشاء في خصب وسعة. تخب: تحمل على العدو. توضع: تسرع.

(٢) عطفوا: مالوا.

(٣) الحداة: جمع حاد: سائق الإبل. الشهاد: السهر. تهجع: تنام.

(٤) العراض: الساحات، الواحدة: عرصة.

(٥) أقوت: خلّت.

(٦) في تاريخ الأدب العربي، فروخ (٣/٩٠): أبو علي الحسن بن زريق البغدادي، من ساكني الكرخ، في الجانب الغربي من بغداد. كان كاتباً في ديوان الرسائل، ثم ذهب إلى الأندلس، وتوفي نحو ٤٢٠هـ/ نحو ١٠٢٩م.

(٧) ويروى: «يكفيه من لوعة التأنيب». النوى: البعد. يروعه: يفرّعه.

(٨) ويروى: «عزم إلى سفر بالبين بجمعه». أزعجه: أفلقه، أو قلعه من مكانه، أو طرده. أزمع الأمر، وبه، وعليه: عزم عليه وثبت وجد في إمضائه.

(٩) تجشّمه: تكلّفه فوق ما يطيق.

(١٠) يذرعه: يقيسه.

(١١) الزماع: المضاء في الأمر، أو العزم عليه.

وَمَا مُجَاهِدَةُ الْإِنْسَانِ مُوصِلَةٌ رِزْقاً وَلَا دَعَا الْإِنْسَانَ تَقْطَعُهُ^(١)
 قَدْ وَزَعَ اللَّهُ بَيْنَ النَّاسِ رِزْقَهُمْ لَمْ يَخْلُقِ اللَّهُ مِنْ خَلْقٍ يُضَيِّعُهُ
 لَكِنَّهُمْ كَلَفُوا رِزْقاً فَلَسَتْ تَرَى مُسْتَرْزِقاً وَسِوَى الْغَايَاتِ تُقْنِعُهُ
 وَالْحَرَصُ فِي الرِّزْقِ وَالْأَرْزَاقِ قَدْ قُسِمَتْ بَغْيٍ أَلَا إِنْ بَغْيِ الْمَرْءِ يَصْرَعُهُ
 وَالدَّهْرُ يُعْطِي الْفَتَى مِنْ حَيْثُ يَمْنَعُهُ إِرْباً وَيَمْنَعُهُ مِنْ حَيْثُ يُطْمَعُهُ^(٢)

قال الحافظ أبو عبد الله الحميدي^(٣): من تَخَتَّمَ بالعقيق، وقرأ لأبي عمرو، وتفقه للشافعي، وحفظ قصيدة ابن زريق، فقد استكمل الظرف. قاله أبو محمد علي بن أحمد بن حزم. قلت: وبعضهم قال: ولبس البياض، وروى قصيدة ابن زيدون - بدلاً من قصيدة ابن زريق -. وما أرق قول العباس بن الأحنف: [من المنسرح]

كَانَ رَحِيلِي مِنْ أَرْضِكُمْ عَجَباً أَوْ حَادِثاً مِنْ حَوَادِثِ الزَّمَنِ
 مِنْ قَبْلِ أَنْ أَعْرَضَ الْفِرَاقَ عَلَى قَلْبِي وَأَنْ أَسْتَعِدَّ لِلْحَزَنِ
 وَأَحْسَنَ مَا قِيلَ فِي بَغْتَةِ الرَّحِيلِ قَوْلَ مُحَمَّدَ بْنِ وَهَيْبٍ^(٤)، وَقِيلَ: مَالِكُ بْنُ
 أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ^(٥): [من الكامل]

بَيْنَاهُمْ سَكَنٌ لَجَارِهِمْ ذَكَرُوا الْفِرَاقَ فَأَصْبَحُوا سَفَرَا
 فَظَلَلْتُ ذَا وَلَهٍ يُعَاتِبُنِي مَنْ لَا يَرَى أُمْرِي لَهُ أَمْرَا
 يُقَالُ: إِنْ أَبَا السَّائِبِ^(٦) لَمَّا سَمِعَ الْأَوَّلَ قَالَ: مَا أَسْرَعَ هَذَا وَأَبْغَتْهُ، أَمَا قَدِمُوا
 رُكْبَاباً؟ أَمَا أَوْكَاؤُا سَقَاءَ؟ أَمَا وَدَّعُوا صَدِيقاً؟ وَقَالَ الزَّبِيرُ بْنُ بَكَارٍ^(٧): رَحِمَ اللَّهُ أَبَا

(١) الدَّعَا: الراحة والسكون. (٢) ويروى: «يمنعه عفواً».

(٣) هو أبو عبد الله، محمد بن أبي نصر فتوح بن عبد الله بن حميد الأزدي، الحميدي، الأندلسي، الميورقي: مؤرخ، محدث. له كتاب جذوة المقتبس. توفي سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م. (الصلة: ٤٣٨؛ معجم الأدباء، ياقوت: ٦/٦٩٣).

(٤) هو أبو جعفر، محمد بن وهيب الحميري: شاعر بغدادي، عاصر دعبلاً وأبا تمام، ومدح المأمون والمعتصم. توفي سنة ٢٢٥هـ / ٨٤٠م. (طبقات ابن المعتز: ٢٨٣؛ الأغاني: ٣/١٩).

(٥) هو أبو الحسن، مالك بن أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري: شاعر غزل ظريف، من أشراف الكوفة. توفي نحو ١٠٠هـ / نحو ٧١٨م. (الأعلام: ٢٥٧/٧).

(٦) هو أبو النضر، محمد بن السائب بن بشر بن عمرو بن الحارث الكلبي: نسابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب. ولد بالكوفة، وتوفي فيها سنة ١٤٦هـ / ٧٦٣م. (الأعلام: ٦/١٣٣).

(٧) هو أبو عبد الله، الزبير بن بكار بن عبد الله القرشي، الأسدي، المكي: عالم بالأنساب وأخبار العرب، راوية. ولد بالمدينة، وتوفي بمكة سنة ٢٥٦هـ / ٨٧٠م. (الأعلام: ٤٢/٣).

السائب، فكيف به لو سمع قول العباس بن الأحنف: [من الخفيف]
سألونا عن حالنا كيف أنتم فقررنا وداعهم بالسؤال
ما حللنا حتى ارتحلنا فما يف رُق بين النزول والترحال

ومن هنا أخذ ابن الساعاتي قوله: [من الخفيف]
ما ضحكنا للقرب حتى بكينا للبعد الرؤوم والآثارا
وقال ابن عنين في مرثية على لسان الناصر في أخيه، وقد توفي صغيراً، من
أبيات: [من الكامل]

خائتني الأيام فيك فقربت يوم الردى من ليلة الميلاد
وأحسن ما في هذا الباب قول شهاب الدين العزازي^(١): [من الكامل]
عجباً لمولود قضى من قبل أن يقضي لأيام الصبا ميقاتا
هجر الحياة وطلق الدنيا وقد وافت بزخرفها إليه بتاتا^(٢)
فكأنه من نسكه وصلاحه وهب الحياة لوالديه وماتا

وقريب منه قول ابن النبيه: [من السريع]
الناس للموت كخيل الطراد فالسابق السابق منها الجواد
والموت نقاد على كفه جواهر يختار منها الجياد
والله لا يدعو إلى داره إلا الذي استصلح من ذي العباد

وما أحسن قول التهامي في ولده: [من الكامل]
يا كوكباً ما كان أقصر عمره وكذلك غمر كواكب الأسحار
والمشهور في البغته قول العكوك: [من الرمل]

رصد الخلوة حتى امكنت ورعى السامر حتى هجعا^(٣)
كابداً الأهوال في زورته ثم ما سلم حتى ودعا^(٤)

(١) هو أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن عبد الملك بن عبد المنعم العزازي: شاعر مجيد، ولد في قلعة أعزاز - شمال حلب، وانتقل إلى القاهرة، وتوفي فيها سنة ٧١٠هـ / ١٣١٠م. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٧٠٢/٣).

(٢) البتات: جهاز المسافر، أو متاع البيت، ومنه يقال: لا أفعله بتاتاً: قطعاً لا رجعة فيه.

(٣) السامر: الساهر يتحدث في الليل. هجع: رقد ونام.

(٤) الزورة: الزيارة.

وقال الحسين بن الضحّاك^(١): [من الرمل]

بأبي زورٌ تَلَمَّتُ لَهُ فَتَنَّمْتُ عَلَيْهِ الصُّعَدَا^(٢)
بينما أضحكُ مَسْرُوراً بِهِ إِذْ تَقَطَّعْتُ عَلَيْهِ كَمَدًا
وقريب من هذه المعاني ما رُوي أن أعرابياً لقيه رجل لم يكن يعرفه قبل ذلك، فقال له: كيف كنت بعدي؟ فقال له الأعرابي: ما بعد ما لا قبل له. وأما قول شرف الدين بن الفارض^(٣): [من الطويل]

حَدِيثِي قَدِيمٌ فِي هَوَاهَا وَمَالُهُ كَمَا عَلِمْتُ بَعْدُ وَلَيْسَ لَهُ قَبْلُ
فأمر خارج عن العقل لأن العقل لا يمكن أن يتصوّر شيئاً لا قبل له ولا بعد إلا واجب الوجود، ولكن الصوفية يحيلون مثل هذه الأشياء على الذوق، ويقولون في مثل هذه الأمور إنها من وراء العقل. أخبرني الشيخ الإمام العالم العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري قال: حضر يوماً الشيخ كريم الدين عبد الكريم الأيكي شيخ خانقاه سعيد السعداء عند الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله، وأخذ يتكلم في طريقهم وأحوالهم ويتحدّث على العرفان زماناً، والشيخ تقي الدين ساكت لا يفوه بكلمة. فلما قام من عندهم قال الشيخ تقي الدين للحاضرين: هل فيكم من فهم تراكيب كلامه؟ فإني ما فهمت غير مفرداته. قلت: وهؤلاء القوم يسلم لهم حالهم فإنهم قد جاء منهم علماء كبار مثل الشيخ محيي الدين بن عربي^(٤) وقطب الدين بن مُعين. وفي كلامهم من هذا النوع كثير. وأما قول شرف الدين بن الفارض: [من الطويل]

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً سَكَرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَزْمُ
فيمكن فهم معناه بالتأويل. أنشدني من لفظه الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، قال: أنشدني من لفظه لنفسه

(١) هو أبو علي، الحسين بن الضحّاك بن ياسر الباهلي، المعروف بالخليع: شاعر ماجن مطبوع. توفي سنة ٢٥٠هـ / ٨٦٤م. (طبقات ابن المعتز: ٢٤٦؛ المؤتلف والمختلف: ١٦٢).

(٢) الزور: الزائر.

(٣) هو أبو حفص، وأبو القاسم، شرف الدين، عمر بن علي بن مرشد بن علي الحموي الأصل: أشهر المتصوفين، الملقب بسلطان العاشقين. ولد بمصر، وتوفي فيها سنة ٦٣٢هـ / ١٢٣٥م. (الأعلام: ٥٥/٥).

(٤) هو أبو بكر، محيي الدين، محمد بن علي بن محمد الحاتمي، الطائي، المعروف بابن عربي: فيلسوف، من أئمة المتكلمين. ولد في مرسية بالأندلس، وتنقل في البلاد، وتوفي بدمشق سنة ٦٣٨هـ / ١٢٤٠م.

خالي فخر الدين حسن بن علي بن مَكزُون السَّنْجاري قصيدة تائية طويلة في وزن تائية ابن الفارض حطّ فيها عليه منها: [من الطويل]

ولستُ كمنْ أَمْسَى على الحبِّ كاذباً مُضِلّاً لأربابِ العقولِ السخيفةِ
يَمُنُّ على الجهّالِ من عُصبة الهوى ينسبته في الحبِّ من غير نسبةِ
فيزعمُ طَوَراً أنه عَيْنُ عَيْنِهَا ويزعمُ طَوَراً أنَّها فيه حَلَّتْ
ويجمعُ ما بين النقيضين قوله وذاك محالٌ في العقولِ السليمةِ

وما أحسن قول أمين الدين الحوباني في تهتكه: [من الرمل]

مِتُّ في عَشْقي ومَعْشوقي أنا ففُؤادي من فِراقِي في عَنّا
عَبْتُ عَنِّي فمتى أجمعُني أنا مِنْ وَجْدِي مِنِّي في فَنّا
أيها السامعُ تَدْرِي ما الذي قُلْتُهُ واللّه لا أدري أنا
وقد بالغ الشعراء في وصف الخمرة بالقدم، من ذلك قول ابن سناء الملك:

[من الخفيف]

عَمَموها طِيناً وآدم طِينُ سَبْخة في حَشا الزمانِ جَنِينُ^(١)
قَبْلَ أن تُغرسَ الكرومُ وتلتفَّ عليها الأوراقُ والزَّرْجُونُ^(٢)
وُثْريا السَّماء ما هي عُنْقو دُولا آية الدُّجى عُرجونُ^(٣)

ومثل هذه المعاني من الشعراء تحمل على المبالغة مجازاً في القدم، لأنهم يزعمون أن الخمرة كلما قدم زمانها كان تأثيرها في الإسكار أكثر، فأما كلام الصوفيّة فأمر آخر وراء هذا كله، ومبالغات الشعراء والكتاب لا مدخل لها في هذا الباب. وما أَلطفَ ما أنشدني الشيخ فتح الدين محمد بن سيّد الناس من جملة قصيدة مدح بها النبي ﷺ: [من البسيط]

مَحَبَّةٌ ما عرفتُ الدهرَ سَلَوَتْها تَسْري إلى النَّفسِ أو تَجْري مع النَّفسِ
وما لها آخرُ لَكِنَّ أَوَّلَها تعارفُ سَابِقٍ في حَضرةِ القُدسِ
في عالمِ الذَّرِّ ناجاني البشيرُ بها أهلاً بِمنبتِها طُهرًا من الدَّنسِ
أشهى إلى القلبِ من أَمْنٍ على وَجَلِ ومنْ مجالِ الكَرى في أعينِ النَّعسِ^(٤)

(١) السبخة: أرض ذات ملح ونزّ لا تكاد تنبت.

(٢) الزرجون: قضبان الكرم، الواحدة زرجونة.

(٣) العُرجون: العِدْقُ، وهو من النخل كالعنقود من العنب.

(٤) الوَجَلُ: الخوف.

وعلى ذكر الصوفية، حضرت يوماً في صدف سنة ست وعشرين وسبعمائة مجلس الشيخ الإمام أبي الحسن علي بن الصياد الفاسي، وقد عمل درساً عاماً تكلم فيه على سورة «الضحى»، واستطرد الكلام إلى قوله ﷺ: «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك». فقال: ذهب بعض الصوفية إلى أن معنى فإن لم تكن تراه إن غبت عن وجودك ولم تكن رأيته، وحسن ذلك واستحسنه من حضر. فقلت أنا: هذا حسن لو ساعد الإعراب عليه فإن هذا شرط وجوابه وهما مجزومان. ويكون اللفظ الصحيح فإن لم تكن تراه حتى يصح المعنى، فاعترف بذلك. ووقفت على كلام ابن أبي جمرة في شرح الأحاديث التي انتقاها من البخاري، وقد تكلم على الاستواء فقال: ذهب بعض الصوفية في معنى هذا اللفظ إلى شيء وهو حسن لولا ما فيه من جهة العربية، فقال عبد الرحمن: علا، ووقف هنا، ثم قال: العرش استوى. قلت: هذا حسن، ولكن لا يوافقه رسم المصحف على ذلك، فإنه إذا وقف على «علا» ينبغي أن يكون من علا يعلو ولا يكتب علا من العلو إلا بالألف لأنه من علوت ولم يكتب «على» هنا في المصحف إلا بالياء لأنها حرف جر. ومما يكاد يلحق بكلام الصوفية، وليس منه ما ذكره الشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي^(١) رحمه الله في «أنوار البروق»، قال: أنشدني بعض الفضلاء: [من الخفيف]

ما يقول الفقيه أيده الله له ولا زال عنه الإحسان
في فتى علق الطلاق بشهر قبل ما بعد قبله رمضان
ثم إنه بعد ذلك ذكر قريباً من كرامة من كلام شيخنا جمال الدين بن الحاجب، ومن كلام نفسه، وقال: إن البيت الثاني ينشد على ثمانية أوجه بالتقديم والتأخير والتغيير مع استعمال اللفظ في الحقائق دون المجاز وصحة الوزن، وكل بيت منها يشتمل على مسألة من الفقه في التعاليق الشرعية، والألفاظ اللغوية. وتلك المسألة تشتمل على سبعمائة وعشرين مسألة من المسائل الفقهية والتعاليق اللغوية، بشرط التزام المجاز في الألفاظ وطرح الحقائق، وعدم الوزن. ثم ذكر من كلام ابن الحاجب كيفية إنشاد البيت الثاني على ثمانية أوجه، بأن ما بعد ما قد يكون قبلين أو بعدين أو مختلفين. فهذه أربعة أوجه كل منها قد يكون قبله قبل، وقد يكون قبله بعد، فصارت ثمانية أوجه. وذكر قاعدة يبنى عليها تفسير الجميع، وهي أنه كلما

(١) هو أبو العباس، شهاب الدين، أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن الصنهاجي، القرافي: من علماء المالكية، نسبته إلى صنهاجة (قبيلة من البربر)، وإلى القرافة (المحلة المجاورة لقبر الإمام الشافعي). وُلد بمصر، وتوفي فيها سنة ٦٨٤هـ / ١٢٨٥م. (الأعلام: ٩٤/١).

كان قبل وبعد فالغهما لأنّ كل شهر حاصل قبل ما هو بعده وحاصل بعد ما هو قبله، فلا يبقى حينئذٍ إلّا بعده رمضان فيكون شعبان أو قبله رمضان فيكون شوالاً. فلم يبق إلّا ما جميعه قبل أو جميعه بعد. والأوّل هو الشهر الرابع من رمضان، وهو ذو الحجة، والثاني هو الرابع. ولكن على العكس، وذلك جمادى الآخرة. ما لخصته من أنوار البروق. قلت: وقد أطال الكلام في تقسيم ذلك وتقريره، فإذا نظر الواقف عليه في ذلك تشعب ذهنه من كثرة التقسيم وتردّد، وقد وضعت أنا لذلك شجرة لأن الأشياء إذا برزت إلى الخارج زاد وضوحها وزال غموضها وصورة تلك الشجرة في الصحيفة التي تلي هذه فتدبرها مع مراعاة القاعدة التي ذكرها الشيخ جمال الدين بن الحاجب رحمه الله تعالى، يظهر لك صحة ذلك، ومثل البيتين المتقدمين فيما ذكر قول بعضهم: [من الخفيف]

وَعَدْتُ فِي الْخَمِيسِ وَصُلّاً وَلَكِنْ شَاهَدْتُ حَوْلَنَا الْعِدَا كَالْخَمِيسِ^(١)
أَخْلَفْتُ وَعَدَهَا وَجَاءَتْ إِلَيْنَا قَبْلَ مَا بَعْدَ قَبْلِ يَوْمِ الْخَمِيسِ

ومن المسائل العجيبة في بيت يتفرع إلى ألوف من الصور في تقديم ألفاظه وتأخيرها، ما حكاها الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري، أنه سئل أول قدومه إلى القاهرة، عن نهاية ما يمكن في البيت الواحد من وجوه العدد بتقديم الأجزاء وتأخيرها بعضها عن بعض، فأجاب: بأن هذا إنما يتأتى في بحرین من العروض خاصة، وهما المتقارب والمتدارك، لأن ما عدا هذين البحرين إما أن تكون تفاعيله متّفقة، فتكون سباعية كالكمال والرجز ونحوهما. وهذا لا يتأتى نظمه من كلمات سباعية. وإما أن تكون تفاعيله مختلفة من سباعية وخماسية، كالطويل والبسيط ونحوهما. فلا يحفظ نظامه في تبديل الأجزاء لاختلاف مقاديرها فتعين أحد البحرين المذكورين، لأن كل واحدٍ منهما مركّب من أجزاء خماسية يمكن أن تكون كلمات لا يختلف وزن البيت بتقديمها وتأخيرها، ولأجل هذا المعنى يمكن أن تكون من الصفات الواردة في الغزل والمديح ونحوهما. ولما كان البيت من الشعر العربي لا يتجاوز مقدار ثمانية أجزاء فنهاية ما يمكن التعدّد في صورة البيت الواحد، على شريطة أن لا يزداد فيه ولا ينقص منه، ولا يختلف عروضه ولا ضربه أربعون ألفاً وثلاثمائة وعشرون. بيان ذلك أن البيت المفروض إنما يفرض على صورة ما، فإذا جعل الجزء الأول ثانياً والثاني أولاً، حدثت صورة ثانية، فإذا أبدلنا الجزء الثالث تارة بأوّل وتارة بثانٍ على

(١) الخميس (الأولى): يوم الخميس. الخميس (الثانية): الجيش الضخم يتألف من خمس فرق.

الصورة الأولى، حدث في كل من الصورتين ثلاث صور. فيكون المجموع الحاصل بتبديل الجزء الثالث وما قبله ست صور، وعلى هذا القياس تضرب هذه الست صور في أربعة، فيحصل أربعة وعشرون أخرى بتبديل الجزء الرابع، ثم تضرب هذا العدد في خمسة فيبلغ مائة وعشرين عدد الصورة الحاصلة عن تبديل الجزء الخامس وما قبله، ثم تضرب هذا العدد في ستة فيبلغ سبعمائة وعشرين، وهو عدد الصورة الحاصلة عن تبديل الجزء السادس وما قبله، ثم تضرب هذا العدد في سبعة فيبلغ خمسة آلاف وأربعين، وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء السابع وما قبله، ثم تضرب هذا العدد في ثمانية، فيبلغ أربعين ألفاً وثلاثمائة وعشرين، وهو عدد الصور الحاصلة عن تبديل الجزء الثامن وما قبله، أعني جميع أجزاء البيت. فأخبره السائل أن الشيخ شهاب الدين القرافي رحمه الله ذكر بيتاً من بحر المتقارب من العروض وهو: [من المتقارب]

حَبِيبٌ بِقَلِيٍّ مَلِيحٌ جَمِيلٌ بَدِيعٌ ظَرِيفٌ رَشِيقٌ عَزِيزٌ
وذكر أنه يتفرع منه هذا العدد، ولم يذكر كيفية تفريعه ولا ذكر المتدارك.

وَضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نَضْوِيٍّ وَعَجَّ لِمَا أَلْقَى رِكَابِي وَلَجَّ الرِّكْبُ فِي عَذْلِي

(اللغة): (وضجّ): صاح. والضجيج الصياح، والضجوج من النوق هي التي تصيح إذا حلبت. (لغّب): اللغّب بالعين المعجمة هو اللغوب، وهو الإعياء والتعب. وفي القرآن الكريم: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] قال بعض المفسرين: هذا ردّ على اليهود لأنهم قالوا: بدأ الله خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه في ستة أيام آخرها يوم الجمعة، واستراح يوم السبت، واستلقى على عرشه، فقال تعالى: وما مسّنا من لغوب، ردّا عليهم في أنه استراح من التعب والإعياء. وهذا من اليهود تحريف في المعنى، وذلك أن الأحد والاثنين أزمنة

متميز بعضها عن بعض، وهي أعراض لمقادير حركات الأفلاك، فلو كان خلق السموات والأرض وما بينهما ابتداءً يوم الأحد، لكان الزمان قبل الفلك، والزمان لا ينفك عن الأجسام، فيكون قبل خلق الأجسام أجسام آخر. فلزم القول بقدم العالم. قال الإمام فخر الدين الرازي: ومن العجب أن بين الفلاسفة والمشبهة غاية الخلاف لأن الفيلسفي لا يثبت لله تعالى صفة أصلاً. ويقول: إنه تعالى لا يقبل صفة بل واحد من جميع الوجوه بعلمه وقدرته وصفاته بأسرها هي حقيقته وذاته، والمُشَبَّهِي يثبت لله تعالى صفات الأجسام من الحركة، والسكون، والاستواء، والجلوس، والهبوط، والصعود، وهذا غاية المنافاة. ثم إن اليهودي في هذا الكلام جمع بين المتنافيين وأخذ بمذهب الفيلسوفي في المسألة التي هي أخصّ المسائل بهم، وهي القدم، لأنهم أثبتوا قبل خلق الأجسام أجساماً معدودة وأزمنة محدودة، وأخذ بمذهب المشبهة في المسألة التي هي أخصّ المسائل بهم، وهي الاستواء على العرش، فأخطأوا وضلّوا في الزمان والمكان جميعاً. قلت: وتفسير هذه الآية أن ذلك إشارة إلى ستة أطوار، لا المفهوم من اليوم اللغوي، لأنه عبارة عن بقاء الشمس على وجه الأرض من الشروق إلى الغروب، ولا شمس هناك ولا قمر، ولكن اليوم يطلق ويراد به الوقت. تقول: أصوم يوم قدمك، وأسرّ يوم يأتيك ولدك، وقد يقدم ليلاً ويأتيه ولده ليلاً فلا يخرج هذا عن مرادك لأنك أردت مجرد الوقت والحين، فنزه الله تعالى ذاته المقدسة عن لواحق الأجسام. (نضوي): النضو البعير المهزول، والناقة نضوة. (وعجّ) العجيج: رفع الصوت. وفي الحديث: أفضل الحجّ العجّ والثجّ، أي رفع الصوت بالتلبية والنحر. (ركابي) الركاب: الإبل التي يسار عليها، وقد تقدّم الكلام على الفرق بين الجمع واسم الجمع واسم الجنس. (ولجّ) اللجاج واللجاجة: مصدر لججت بالكسر، تلج بالفتح وهو لجوج، ولججت بالفتح، تلج بالكسر لغة، وهو الحث. (الركب): أصحاب الإبل في السفر دون الدواب، وهم العشرة فما فوقها، واحده راكب. وليس بتكسير لأنه يصغر فيقال: ركب، والجمع: أركب. (عذلي): العذل بالتحريك هو الاسم وبالسكون هو المصدر، وهو الملامة، ورجل معذل أي يعذل لإفراطه. (الإعراب): (ضج): فعل ماضٍ أصله ضجيج فاجتمع المثلان فسكن الأول وأدغم في الثاني. (من لغب) جارّ ومجرور في موضع النصب على أنه مفعول لأجله. قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب في مقدمته: المفعول له هو ما فعل لأجله فعل مذكور. ثم قال: وشرط نصبه تقدير اللام وإنما يجوز حذفها إذا كان فعلاً لفاعل الفعل المعلّل. قلت: وقد نقضوه بمثل: قعدت عن الحركة جبناً. فإن الجبن ليس فعلاً لفاعل الفعل. والجواب أن المراد بالفعل هنا أعم من أن يكون بالحواس الباطنة أو الظاهرة، والجبن من فعل الحواس الباطنة، ونقضوه أيضاً بقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الرعد: ١٢] أجمعوا على أنه

منصوب بكونه مفعولاً لأجله وليس فعلاً لفاعل الفعل إذ الخوف والطمع مستحيلان في حق الله عز وجل . والجواب : أنه محمول على باب حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه كأنه قال تعالى : هو الذي يريكم البرق لإرادة خوفكم وطمعكم . والمفعول لأجله الأصل فيه أن يقدر بلام العلة كقولك : ارتحلت طلب العلم ، أصله لطلب العلم ، وجئتكم رغبةً فيكم ، وأسلمت طمعاً في الجنة ، وقد يقوم مقام اللام من ، وفي ، كقوله تعالى : ﴿كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمٍّ﴾ [الحج : ٢٢] وقوله تعالى : ﴿الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش : ٤] ، وقوله ﷺ : «أَنَّ امْرَأَةً دَخَلَتْ النَّارَ فِي هَرَّةٍ رَبَطْتُهَا فَلَمْ تَطْعَمْهَا وَلَمْ تَدْعَهَا تَأْكُلْ مِنْ خَشَاشِ الْأَرْضِ» . والمفعول لأجله هو الباعث على إيجاد الفعل ، فاللغّب هنا هو الباعث على الضجيج . (نضوي) : فاعل ضجّ ، وقد تقدّم المفعول له عليه وهو جائز ، ولم يظهر الرفع في الفاعل لإضافته إلى ضمير المتكلم . (وعجّ) : فعل ماضٍ مثل ضجّ . (لما) : جارٌّ ومجرور ، الجارّ اللام وما مجرور ، وهو اسم ناقص بمعنى الذي لا يتم إلا بصلة وعائد ، ولم يظهر الجر فيه لأنه مبني لشبهه بالحرف في الافتقار ، ولأن الحرف لا يدل على معنى في نفسه ، لكن في غيره وكذا الأسماء الموصولة لا تستقل بالدلالة على معنى بنفسها حتى يؤتى بالصلة والعائد ، فأشبهت الحروف من حيث الافتقار وَوَسَمُوا الموصول بأنه ما افتقر إلى الوصل بجمله معهودة مشتملة على ضمير لائق بالمعنى . فلا يقال : جاءني الذي أكرّمته إلا والإكرام معهود عند المخاطب ، وإلا فالجمله التي وصل بها غير معهودة . ولا يقال : جاءني الذي أكرّمتهما ، لأن العائد غير لائق بالمعنى فإن التثنية لا تطابق الأفراد . وقد أورد بعضهم على هذا قوله تعالى : ﴿فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ﴾ [النجم : ١٠] ﴿فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه : ٧٨] ﴿فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ﴾ [طه : ٧٢] وهو كثير لأنه لا عهد للمخاطب بهذه الصلة . قلت : الجواب عن هذا أن الإتيان بالصّلات في هذه المواطن غير معهودة من أعلى طبقات البلاغة ، لأنها إذا أوردت هكذا أخذ الذهن يسلك في كل مسلك ، ويسري في كل مسرى ، فلو قال تعالى : فعشيهم من اليمّ ما أغرقهم ، لكان الذهن قد وقف على ذلك من أوّل وهلة ، ولم يهبط وادياً من الهول ولم يرتفع رابية من الجزع . وكذا فأوحى إلى عبده ما أوحى . لو قال تعالى : فأوحى إلى عبده ما أقرّ به عينه ، أو أفرح به قلبه ، أو ما يسره به من أن لا أحد من الأنبياء يدخل الجنة قبله ، ولا أمة من الأمم تدخل الجنة قبل أمته ، لما كان له في القلب هذا الموقع ، فإن الذي يظنّ بعموم هذا اللفظ لا يتناهى . فظهرت الفائدة في مجيء الصلة مبهمة غير معهودة ما هي . وقد اختلف المفسرون في الضمير في عبده من هو ، فمن قائل : إنّه النبي عليه الصلاة والسلام ، ومن قائل : إنه جبريل ، ويكون التقدير : فأوحى إلى عبده جبريل ما أوحى إلى النبي ﷺ . وعلى ذكر الصّلة والعائد فما أطف قول شرف الدين بن عُنين لما كتب وهو ضعيف ، إلى الملك

المعظم عيسى ابن الملك العادل رحمهم الله: [من الكامل]

انظر إليّ بعين مَوْلى لَمْ يَزَلْ يُولِي التّدى وتَلَفَ قَبْلَ تَلَاْفِي^(١)
أنا كالذي أحتاج ما يحتاجه فَأَعْنَمُ ثوابي والتّناء الوافي
فحضر إليه الملك المعظم بنفسه، ومعه صرة فيها ثلاثمائة دينار، وقال: أنت
الذي، وأنا العائد، وهذه الصلة. ولقد استخدم ابن عنين العائد والصلة استخداماً حسناً،
وفهم الملك المعظم أحسن منه. ومن نوادر النحاة: أنّ رجلاً قرع الباب على نحوي
فقال: من أنت؟ قال: الذي اشتريتم الآجر، فقال: أله؟ قال: لا. قال: أمئته؟ قال: لا.
قال: اذهب فما لك في صلة الذي شيء. ويشبه هذه النادرة ما حكى أن بعض النحاة مرّ
من تحت مُنْذَنَة والمؤذن يقول: أشهد أن محمداً رسول الله بنصب رسول. فجعل
النحوي يقول: ما له ما له ما أتيت إلى الآن بالخبر. ومن هنا أخذ ابن سناء الملك قوله
في مدح الملك العادل: [من البسيط]

مُكَمِّلٌ وَسِوَاهُ نَاقِصٌ أَبَدًا كَأَنَّهُ أَنَّ قَدْ جَاءَتْ بِلا خَبَرٍ
وأما قول ابن عنين فيما تقدّم، فمثله قول أمين الدين علي بن عثمان
السليمانى^(٢): [من الطويل]

وإني الذي أضنيته وهجرته فهل صلة أو عائد منك للذي
وقول الآخر: [من الطويل]

لا تَهْجُرُوا مَنْ لا تَعُودُ هَجْرُكُمْ وَهُوَ الذي بَلَبان وَضَلِكُمْ غُذِي
وَرَفَعْتُمْ مِقْدَارَهُ بالابتدا حَاشَاكُمْ أَنْ تَقْطَعُوا صِلَةَ الذي
ومن كلام أبي العلاء المعري: فقري إليك كفقر الذي إلى الصلة، وبيت الشعر
إلى القافية المتصلة.

(رجع إلى إعراب البيت). تقرر أن ما اسم ناقص في موضع جرّ. (ألقي): فعل
مضارع مرفوع لأنه عار عن الناصب والجازم، ولم يظهر الرفع فيه لأنه معتل الطرف
بالألف فالضمة مقدرة في آخره وهو الصلة للاسم الناقص وهو ما، والعائد محذوف
تقديره ألقاه، وهو في موضع نصب لأنه مفعول. وهذه الجملة من الجار والمجرور
والصلة والعائد في موضع نصب على أنها مفعول لأجله. (ولج): فعل ماض كما تقدّم

(١) تلافى الشيء: تداركه.

(٢) هو علي بن عثمان بن علي بن سليمان الإربلي، السليمانى: شاعر أصله من إربل، وتوفي
بالفيوم سنة ٦٧٠هـ / ١٢٧١م. (الأعلام: ٣١٠/٤).

في نظيره. و(الركب) فاعله. و(في عذلي) جار ومجرور في موضع النصب لتعلقه ببلج كأنه قال: أسرع الركب في عذلي أي أعجلوا. (المعنى): هذا البيت كالذي تقدّم قبله أخذ يعدّد مشاقّه ويكرّر أصناف نكده، حتى أن النوق تصيح من تحته، والإبل ترفع أصواتها، والرفاق يلومونه ويعذلونه على مواصلة الأسفار ومحاولة الأخطار. وفي قوله: وضجّ من لغبٍ نضوي، غنية عن أن يقول فيما بعده: وعجّ لما ألقى ركابي، لأن المعنى واحد. فكل منهما يغني عن ذكر الآخر، فإن ضجيج النوق هو عجّ الركاب. وقد عُيِبَ على أبي الطيب المتنبي في قوله^(١): [من المنسرح]

وَأَنْتَ بِالْأَمْسِ كَنْتَ مُحْتَلِماً شَيْخَ مَعَدٍّ وَأَنْتَ أَمْرُدُهَا^(٢)
قال ابن وكيع في أخباره: إنه كان محتلماً ما يغني عن قوله وأنت أمردها، أو يكتفي بقوله وأنت أمردها عن ذكر محتلم، وليس هذا من الحشو الحسن بل هو كقول أبي الغيث الهذلي: [من مجزوء الوافر]

ذَكَرْتُ أَخِي فَعَاوَدَنِي صُدَاعُ الرَّأْسِ وَالْوَصَابِ
فذكر الرأس بعد الصداع حشو يستغنى عنه، وكذلك قول ديك الجن^(٣): [من الكامل]

فَتَنَفَّسْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُزِجْتُ بِالْمَاءِ وَاسْتَلَّتْ سَنَا اللَّهَبِ
كَتَنَفُّسِ الرِّيحَانِ خَالِطُهُ مِنْ وَرْدٍ جَوْرِ نَاضِرِ الشَّعْبِ
فذكر الماء بعد المزج فضل يستغنى عنه، والبيتان يكفي عنهما قول أبي نواس بلا حشو^(٤): [من الكامل]

فَتَنَفَّسْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُزِجْتُ كَتَنَفُّسِ الرِّيحَانِ فِي الْأَنْفِ
قلت: ومن تكرار الألفاظ الثقيلة قول أبي الطيب أيضاً^(٥): [من الوافر]
وَلَمْ أَرْ مِثْلَ جِيرَانِي وَمِثْلِي لِمِثْلِي عِنْدَ مِثْلِهِمْ مَقَامٌ
وكذا قوله^(٦): [من الطويل]

فَقَلَقَلْتُ بِالْهَمِّ الَّذِي قَلَقَلَ الْحَشَا قَلَا قِلْ هَمٌّ كُلُّهُنَّ قَلَا قِلْ

(١) ديوان المتنبي: ١/ ١٢١؛ وفيه: «وَأَنْتَ بِالْأَمْسِ».

(٢) الأمرد: الذي طرّ شاربه، وبلغ خروج لحيته ولم تَبْدُ.

(٣) هو عبد السلام بن رغبان بن عبد السلام بن حبيب الكلبي، المعروف بديك الجن الحمصي: شاعر مجيد ماجن. ولد بحمص، وتوفي فيها سنة ٢٣٥هـ/ ٨٥٠م. (وفيات الأعيان: ٣/ ١٨٤).

(٤) ديوان أبي نواس: ٦٦. (٥) ديوان المتنبي: ١/ ٢٢٩.

(٦) ديوان المتنبي: ١/ ١٤٨؛ وفيه: «قَلَا قِلْ عَيْس».

وكذا قوله^(١): [من الطويل]

عَظُمْتَ فَلَمَّا لَمْ تَكَلِّمْ مَهَابَةً تَوَاضَعْتَ وَهُوَ الْعُظْمُ عُظْمًا عَلَى عَظْمٍ
ولو سَمِيَ هذا البيت جبانة لكان لاثِقًا به، كما قال عبيد الله بن عبد الله بن
طاهر^(٢)، وقد ذكرت عنده قصيدة ابن الرومي التي أولها^(٣): [من البسيط]

أَجَنْتُ لَكَ الْوَجْدَ أَغْصَانُ وَكُثْبَانُ فِيهِنَّ نَوَعَانِ تَفَاحٍ وَرُمَانُ
فقال: هذه دار البطيخ فاقراءوا نسيبها تعلموا ذلك. قلت: وقد بالغ ابن الرومي
في غزلها، وأكثر من ذِكر العنّاب والبان والنرجس وما شاكل ذلك. وكذا قول أبي
الطيب أيضًا^(٤): [من الكامل]

أَسْدُ فَرَأْسِهَا الْأَسْوَدُ يَفُودُهَا أَسْدٌ تَصِيرُ لَهُ الْأَسْوَدُ تَعَالِبَا
قال ابن رشيق^(٥): ما أدري كيف تخلّص من هذه الغابة المملوءة أسوداً. وقال
الأصمعي لمن أنشده: [من الطويل]

فَمَا لِلنَّوَى جَذَّ النَّوَى قَطَعَ النَّوَى كَذَلِكَ النَّوَى قَطَاعَةً لِيُوصَالَ
لو سلّط الله على هذا البيت شاة لأكلت هذا النوى كله. وأما قول أبي
نواس^(٦): [من الطويل]

أَقْمُنَا بِهَا يَوْمًا وَيَوْمًا وَثَالِثًا وَيَوْمًا لَهُ يَوْمُ التَّرْحُلِ خَامِسُ
فقال ابن الأثير^(٧) في المثل السائر: مراده من ذلك أنهم أقاموا أربعة أيام، ويا

(١) ديوان المتنبي: ٢٠٦/١؛ وفيه «عَنِ الْعُظْمِ».

(٢) هو أبو أحمد، عبيد الله بن عبد الله بن طاهر بن الحسين الخزاعي: أمير، من الأدباء الشعراء. انتهت إليه رئاسة أسرته. ولي شرطة بغداد، وتوفي فيها سنة ٣٠٠هـ/ ٩١٣م. (تاريخ بغداد: ٣٤٠/١٠).

(٣) ديوان ابن الرومي: ١٧٣/٦. والكثبان: جمع الكثيب: التلّ من الرمل، يُشَبَّه ما تَكَوَّر من جسد المرأة به.

(٤) ديوان المتنبي: ٢٤١/١.

(٥) هو أبو علي، الحسن بن رشيق القيرواني الأزدي: شاعر، ناقد، أديب، مصنف. ولد بالمسيلة، وتوفي بماز - صفلية، سنة ٤٥٦هـ/ ١٠٦٤م. (الشعر والشعراء في كتاب العمدة: ٢٧).

(٦) ديوان أبي نواس: ٣٧.

(٧) هو أبو الفتح، ضياء الدين، نصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، المعروف بابن الأثير الكاتب: وزير، من العلماء الكُتّاب المترسلين. ولد في جزيرة ابن عمر، واتصل بخدمة السلطان صلاح الدين. توفي سنة ٦٣٧هـ/ ١٢٣٩م. (وفيات الأعيان: ٣٨٩/٥).

عجباً له يأتي بمثل هذا البيت السخيف على العي الفاحش . قلت : أبو نواس أجلّ قدراً من أن يأتي بهذه العبارة لغير معنى طائل . وهو له في مثل هذا مقاصد جليّة يراعيها ، ومذاهب يسلكها . ألا ترى إلى ما حكى عنه من أنه ذكر عند الرشيد قوله^(١) : [من المديد]

فَاسْقِنِي الْبِكْرَ الَّتِي اعْتَجَرَتْ بِخِمَارِ الشَّيْبِ فِي الرَّحِمِ
فقال الرشيد لمن حضر : ما معناه ؟ فقال أحدهم : إن الخمر إذا كانت في دثها كان عليها شيء مثل الزبد ، فهو الشيب الذي أراده . وكان الأصمعي حاضراً ، فقال : يا أمير المؤمنين إن أبا عليّ أجلّ خطراً ، وإن معانيه لخفية فاسألوه عن ذلك . فأحضر وسئل ، فقال : إن الكرم أول ما يخرج العنقود في الزرجون يكون عليه شيء يشبه القطن . فقال الأصمعي : ألم أقل لكم إن أبا نواس أدق نظراً مما قلت . وأما معنى البيت الأول فإن المفهوم منه أن المقام سبعة أيام لأنه قال : وثالثاً ويوماً أي آخر له اليوم الذي رحلنا فيه خامس . وابن الأثير لو أمعن الفكر في هذا ربما كان يظهر له . وأما قول أبي الطيب^(٢) : [من البسيط]

الْعَارِضُ الْهَتَنِ ابْنُ الْعَارِضِ الْهَتَنِ ابْنُ الْعَارِضِ الْهَتَنِ^(٣)
فقد عدّه بعضهم من التكرار الذي لا فائدة فيه ، وليس كذلك بل هو من باب قوله ﷺ : «ذاك الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم صلوات الله وسلامه عليهم» . وأما ابن الأثير فإنه عاب ألفاظ البيت من حيث هي ، واستثقل لفظ العارض والهتن . قال : ولو قال بدل العارض السحاب أو ما يجري مجراها لكان أرشق . قلت : ليس ذلك بشيء ولفظ العارض والهتن فصيح عذب في السمع . وأما ابن وكيع فإنه قال : لولا انتهاء القافية لمضى في العارض الهتن إلى آدم عليه السلام ، وبانتهاء القافية أعلمنا أن نهاية عدد آبائه المستحقين للمدح ثلاثة ، ثم يقف هذا الأمر . قال : وأحسن من هذا قول البحرّي^(٤) : [من البسيط]

الْفَاعِلُونَ إِذَا لُذْنَا بِجُودِهِمْ مَا يَفْعَلُ الْغَيْثُ فِي شُؤْبُوهِ الْهَتَنِ^(٥)

(١) ديوان أبي نواس : ٤١ .

(٢) ديوان المتنبي : ٣١٩ / ١ .

(٣) العارض : السحاب المعترض في الأفق . الهتن : الكثير المطر ؛ يقال : هتنت السماء : هطلت وتتابع مطرها .

(٤) ديوان البحرّي : ٢٠٨ / ٢ . والبيت من قصيدة يمدح بها الحسن بن مخلد .

(٥) في الديوان : «إِذَا لُذْنَا بِظُلْمِهِمْ» . الشؤبوب : الدفعة من المطر .

فجاء بالمعنى عاماً بغير عدد متردّد، ولا لفظ مستبرد، فهو أرجح كلاماً وأحسن نظاماً. قال: وما أشبه برد بيت أبي الطيب ببيت قاله امرؤ القيس^(١):
[من الطويل]

ألا إنني بالٍ على جَمَلٍ بالي يَـقودُ بنا بالٍ وَيَتَبَعُنا بالي
كلام ابن وكيع. قلت: كذا ذكره في التصنيف، وقد أخطأ في هذا الكلام من عدّة وجوه، أولها: أنه قال: لولا انتهاء القافية لمضى إلى آدم. ولو قال: لولا انتهاء الوزن لكان أكثر تحقيقاً، لأن القافية حصلت في ربع البيت من أوّل ذكر الهتن. وهذا كلام سبقه إليه عبد الملك بن مروان، وقد أنشد قول دريد بن الصمة^(٢): [من الطويل]

قَتَلْنَا بِعَبْدِ اللَّهِ خَيْرَ لِدَاتِهِ ذَنَابَ بنِ أَسْمَاءِ بنِ زَيْدِ بنِ قَارِبِ^(٣)
فقال: لولا القافية لوصل به إلى آدم. وثانيها أنه قال: أعلمنا أن عدد آبائه الممدوحين ثلاثة. كذا قال والبيت يشتمل على أربعة أعداد ضرورة الوزن، وأيضاً فلا يلزم في المديح أن يؤتى بجميع الآباء في الذكر، ويكفي من مدح أصيلاً أن يقول أنت كريم ووالدك ووالده. وقد مدح الشعراء بالنسب القصير. قال أبو العلاء المعري يرثي الشريف الطاهر الموسوي أبا الشريف الرضي^(٤): [من الكامل]

أَنْتُمْ ذُووِ النِّسْبِ الْقَصِيرِ فَطَوَّلْكُمْ بِادٍ عَلَى الْكُبَرَاءِ وَالْأَشْرَافِ^(٥)
والراحُ إن قيل ابنة العنبِ اكتفت بِأَبٍ عَنِ الْأَسْمَاءِ وَالْأَوْصَافِ^(٦)

أراد بهذا ما حكاه الفرزدق، قال: خرجت من البصرة أريد العمرة، فرأيت عسكرياً في البرية، فقلت: عسكري من هذا؟ قالوا: عسكري الحسين بن علي^(٧). قال: فقلت: لأقضي حق رسول الله ﷺ فيه. فأتيته فسلمت عليه فقال: من الرجل؟ فقلت: الفرزدق بن غالب. فقال: هذا نسب قصير. فقلت: أنت أقصر مني نسباً،

(١) لم يرد البيت في ديوانه (دار الهلال).

(٢) هو أبو قرة، معاوية بن بكر بن علقمة بن غزية، من قيس بن عيلان، ودريد لقبه: شاعر، فارس، من أهل الجاهلية. توفي سنة ٥٨هـ / ٦٣٠م. (الشعر والشعراء: ٢/ ٦٣٥؛ الأغاني: ٣/ ١٠).

(٣) اللدات: جمع اللدة: المثل في السن.

(٤) سقط الزند: ٥٠.

(٥) المراد بالنسب القصير هنا: أنهم أشرف يكتفون بالانتساب إلى أبيهم، ولا يتكلفون الفخر بالانتساب إلى غيره من الآباء والأجداد السابقين. الطول: الفضل والغنى واليسر.

(٦) الراح: الخمر.

(٧) توفي سنة ٦١هـ / ٦٨٠م.

أنت ابن بنت رسول الله ﷺ. وما أحسن قول الأمير خطي الدولة أبي المناقب عبد الباقي: [من البسيط]

لَا تَمْدَحْنُهُ بِآبَاءٍ لَهُ كَرَمُوا وَأَحْرَزُوا الْأَمَدَ الْأَقْصَى أَبَا فَا بَا
فَالرَّاحُ قَدْ أَكْثَرَ الْمَدَّاحَ وَصَفَهُمْ لَهَا وَلَمْ يَذْكُرُوا مَعَ وَصْفِهَا الْعِنْبَا

وثالثها: أنه مثل بيت البحتري، وليس من الباب الذي حاوله. ولفظة الفاعلون وشؤبويه ثقيلتان على السمع. ورابعها أنه شبهه ببرد بيت امرئ القيس وليس منه، وإنما الجامع بينهما التكرار. ولم يكن بيت أبي الطيب في برد ذاك. وقد تبع ابن النبيه أبا الطيب فقال: [من البسيط]

الطَاهِرُ النَّسَبِ ابْنُ الطَاهِرِ النَّسَبِ ابْنُ الطَاهِرِ النَّسَبِ ابْنُ الطَاهِرِ النَّسَبِ
ومما يتعلق ببيت أبي الطيب أن الألف تثبت في ابن في سائر البيت لأنه لم يقع بين علمين. وقد تعنت الناس على الشعراء، وشاحوهم كثيراً في الألفاظ والمعاني، ألا ترى إلى قول الحاجري^(١): [من الطويل]

وَمَا اخْضَرَ ذَاكَ الْخَدَّ نَبْتًا وَإِنَّمَا لِكَثْرَةِ مَا شُقَّتْ عَلَيْهِ الْمَرَائِرُ
لَمَا سَمِعَهُ النَّاصِرُ بْنُ الْعَزِيزِ قَالَ: عَسَى أَنَّ هَذَا الْخَدَّ كَانَ مَسْلُخًا. وقال علي بن ظافر في قول أبي عامر بن شهيد^(٢) في قصيدته: [من مجزوء الكامل]

طَارَدْتُهِنَّ بِفَتْيَةٍ صُبِرَ عَلَى حَرْبِ الْمَسَالِمِ
فَكَأَنَّنِي فِيهِمْ لَقِي طَقَادَ مَنْ آسَادِ دَارِمِ

غفل عن نفسه إذ شبهها بولد زنا قواد، وإن كان قصد لقيط بن زرارة الدارمي وقود الفرسان، وقال في قول ابن شهيد أيضاً من هذه القصيدة:

ذَكَرَ عَلَى ذَكَرٍ يَصُورُ لُ وَصَارُمُ يَسْطُوبُ بَصَارُمُ

قد غفل أبو عامر عن نفسه غفلة شديدة في قوله على ذكر، وأساء من حيث ظن أنه أحسن. ولا زلنا نستحسن الحكاية المروية عن المخنث الذي أنشد أبو بكر

(١) هو حسام الدين، عيسى بن سنجر بن بهرام الحاجري: شاعر رقيق الألفاظ حسن المعاني. تركي الأصل، من أهل إربل. يُنسب إلى «حاجر» في بلاد الحجاز، لأنه أكثر من ذكرها في شعره. توفي سنة ٦٣٢هـ/ ١٢٣٥م. (الأعلام: ١٠٣/٥).

(٢) هو أبو عامر، أحمد بن عبد الملك بن أحمد بن شهيد، من بني الوضاح، من أشجع، من قيس عيلان، المعروف بابن شهيد الأشجعي: وزير، من كبار الأندلسيين علماً وأدباً. ولد بقرطبة، وتوفي فيها سنة ٤٢٦هـ/ ١٠٣٥م. (جدوة المقتبس: ١٣٢؛ بغية الملتبس: ١٧٥).

الخالدي بحضرته قصيدته في سيف الدولة^(١) وقد تأنق في معانيها وروّق ألفاظها ومكّنها بقوافيها فكان من جملتها قوله: [من البسيط]

وأنكرت شيبه في الرأس واحدة فعاد يسخطها ما كان يرضيها
فقال له المخنث: أما تستحي تخاطب الأمير بأن تقول له في الرأس واحدة؟
فجن الخالدي والحاضرون تعجباً. فقال له الخالدي: فما أقول؟ قال: قل لائحة أو
واضحة. وكذا لم أزل أعجب من قول مهيار الديلمي^(٢) على جلاله قدره واتقاد
خاطره وحسن تخيله: [من الطويل]

وَإِنَّكَ مَذْخُورٌ لِأَحْيَاءِ دَوْلَةٍ إِذَا هِيَ مَاتَتْ كَانَ فِي يَدِكَ النَّشْرُ
وكيف تفاعل لممدوحه بأن تنشر يده، وكذلك قوله يتغزل: [من الكامل]

فِي صَدْرِهَا حَجَرٌ وَتَحْتَ صِدَارِهَا مَاءٌ يَشْفُ وَبَانَةٌ تَتْعَطَّفُ
فقوله: في صدرها حجر من أشع لفظ لما فيه من إيهام الدعاء. وقد لحّنه أبو
القاسم الصيرفي في قوله النشر وقال: إنه استعمله مكان الإنشار الذي هو الإحياء،
وهو خطأ من أبي القاسم، فقد ورد النشر بمعنى الإنشار وورد الفعل ثلاثياً ورباعياً
نشر الميت وأنشره، وقد قرئ في السبع أيضاً: ﴿وَأَنْظُرْ إِلَى الْعُظَامِ كَيْفَ
نُشِرْهُهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]. وكذلك أعجب من أبي الفتوح بن قلاقس على أنه في
الفضل شمس علاء وعطارد ذكاء في قوله: [من الكامل]

بِطَّلَاقَةٍ أَبَدْتُ بِصَفْحَةٍ وَجْهَهُ وَضَحَ الصَّبَاحِ لِمَنْ لَهُ عَيْنَانِ
فيقال له: كيف تجعل في وجه ممدوحك وضحاً؟ وهذا الباب إنما يقع فيه
كثيراً مَنْ وثق بذهنه وكبر مقدار علمه عند نفسه، واعتمد على ما ينتجه خاطره من
بنات فكره، ويقرب من هذا وإن كان دونه ما جرى لجريز لما أنشد عبد الملك بن
مروان^(٣) قوله^(٤): [من الوافر]

أَتَضْحَوِ أُمُّ فُؤَادِكَ غَيْرُ صَاحٍ

(١) هو أبو الحسن، علي بن عبد الله بن حمدان التغلبي الربيعي، سيف الدولة الحمداني: أمير دولة بني حمدان في حلب وما حولها. توفي سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٧م. (الأعلام: ٣٠٣/٤).

(٢) هو أبو الحسين، مهيار بن مَرْزُوقِ الديلمّي: شاعر كبير، فارسي الأصل، من أهل بغداد، وبها توفي سنة ٤٢٨هـ / ١٠٣٧م. (تاريخ بغداد: ٢٧٦/٣).

(٣) هو أبو الوليد، عبد الملك بن مروان بن الحكم الأموي القرشي: من أعظم الخلفاء الأمويين ودهاتهم، بُويع له بالخلافة بعد موت أبيه سنة ٦٥هـ، وتوفي بدمشق سنة ٨٦هـ / ٧٠٥م. (الأعلام: ١٦٥/٤).

(٤) ديوان جريز: ٧٦.

فقال عبد الملك: بل فؤادك يا ابن الفاعلة، كأنه استثقل هذه المواجهة.

وكذلك لما أنشده ذو الرمة^(١): [من البسيط]

ما بال عَيْنِكَ مِنْهَا الماء يَنْسَكِبُ

وكان بعين عبد الملك مرض لا تزال عينه تدمع منه فقال له: وما سؤالك عن هذا يا جاهل؟ وأمر بإخراجه. وكذلك فعل ابنه هشام^(٢) بأبي النجم^(٣) لما أنشده: [من الكامل]

صَفْرَاءُ قَدْ كَادَتْ وَلَمَّا تَفْعَلِ فَكَأَنَّهَا فِي الْأَفْقِ عَيْنُ الْأَحُولِ

وكان هشام يُعَرِّفُ بِالْأَحُولِ، فظنَّ أنه إنما عرّض به فأمر بإخراجه وطرده.

وكذلك ما وقع لأبي نواس لما هتأ جعفر بن يحيى^(٤) بانتقاله إلى قصر جديد بناه

بقصيدة أولها^(٥): [من الطويل]

أَرْبَعُ الْبِلَى إِنَّ الْخَشَوْعَ لَبَادِي عَالِيكَ وَإِنِّي لَمْ أَخُنْكَ وَدَادِي

وختمها بقوله:

سَلَامٌ عَلَى الدُّنْيَا إِذَا مَا فُقِدْتُمْ بَنِي بَرْمَكٍ مِنْ رَائِحِينَ وَغَادِي

فتطير يحيى واشمأز وقال: نعت إلينا نفوسنا. وبعد أيام أوقع بهم الرشيد.

وقد قيل: إن أبا نواس قصد التشاؤم لهم، وكان في نفسه من جعفر، وأنشد أبو تمام

أبا دلف قصيدته التي أولها^(٦): [من الطويل]

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَاعِبِ

= والبيت بتمامه:

أَتَصْحَوُ أَمْ فُؤَادُكَ غَيْرُ صَاحٍ عَشِيَّةَ هَمٍّ صَحْبُكَ بِالرَّوَّاحِ

(١) والبيت بتمامه:

ما بال عَيْنِكَ مِنْهَا الماء يَنْسَكِبُ كَأَنَّهُ مِنْ كُلِّ مَفْرِئَةٍ سَرَبٌ

(لسان العرب: سرب).

(٢) بُويع له بعد وفاة أخيه يزيد سنة ١٠٥هـ؛ وتوفي سنة ١٢٥هـ / ٧٤٣م. (الأعلام: ٨٦/٨).

(٣) هو أبو النجم، الفضل بن قدامة العجلي: راجز فحل مكثّر، كان ينزل سواد الكوفة، ويحضر

مجالس الخلفاء الأمويين، ويمدحهم. توفي سنة ١٣٠هـ / ٧٤٧م. (طبقات ابن سلام: ٧٤٥،

الشعر والشعراء: ٥٠٢/٢).

(٤) هو أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي: وزير الرشيد العباسي. ولد ونشأ في بغداد.

قُتِلَ يوم نَقَمَ الرشيد على البرامكة سنة ١٨٧هـ / ٨٠٣م. (تاريخ بغداد: ١٥٢/٧).

(٥) ديوان أبي نواس: ٤٧١.

(٦) ديوان أبي تمام: ١٤٦/١؛ والبيت بتمامه:

عَلَى مِثْلِهَا مِنْ أَرْبَعٍ وَمَلَاعِبِ أَذِيلَتْ مَصُونَاتِ الدُّمُوعِ السَّوَائِبِ

وفي المجلس رجل يشنؤه فقال: لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. وكانت في أبي تمام حبسة شديدة فانقطع خجلاً. وأنشد ابن مقاتل أحد شعراء الجبال الداعي إلى الحق العلوي السائر بطبرستان أبياتاً في يوم المهرجان أولها: [من الرمل]
لا تَقُلْ بُشْرَى وَلَكِنْ بُشْرِيَانِ غُرَّةَ الدَّاعِي وَيَوْمَ المِهْرَجَانِ
فنفر منه وتطيّر به وقال: غيره وأبدله بقولك:

إِنْ تَقُلْ بُشْرَى فَهَذَا بُشْرِيَانِ
ولما أنشد صاحب أبو القاسم بن عباد^(١) عضد الدولة^(٢) قصيدته الملقبة باللائكية لكثرة ما كرّر فيها لكن وأولها: [من الطويل]
أَشَبُّ لَكِنْ بِالمَعَالِي أَشَبُّ وَأَنْسَبُ لَكِنْ بِالمَفَاخِرِ أَنْسَبُ
وَلِي صَبُوءٌ لَكِنْ إِلَى حَضْرَةِ العُلَى وَبِي ظَمَأٌ لَكِنْ مِنَ العِزِّ أَشْرَبُ
فلما بلغ إلى قوله منها:

ضَمَمْتُ عَلَى أَبْنَاءِ تَغْلِبَ تَاءَهَا فَتَغْلِبُ مَا كَرَّ الْجَدِيدَانِ تَغْلِبُ
قال عضد الدولة: يكفي بالله تطييراً من قوله: تغلب. وروي أن شاعراً أنشد الشريف فخر الدولة ابن أبي الحسن نقيب الطالبين قصيدة يهنيه فيها بشهر رمضان، وكان الشريف يتأذى بالصوم لمرض يجده فكان أولها: [من الكامل]

أَيَّامُنَا بِكَ كُلُّهَا رَمَضَانُ
فقال الشريف: طوال والله مشومة مكروهة عندي منغصة عليّ، وحرمه ولم يعطه شيئاً. وروى أبو علي حسن بن سعيد الكاتب المعروف بالمكربل قال: أنشدني أبو المناقب عيدية في الملك الأفضل وأولها: [من الطويل]
نُهْنِيكَ كَلَّا بَلْ نُهْنِي بِكَ الدَّهْرَا
فقلت له: الابتداء هكذا مما يتطيّر به، وذكرت له خبر ابن مقاتل، فوافقني على ما قلته وغير الابتداء، فقال:

نُهْنِيكَ وَالْأَوَّلَى نُهْنِي بِكَ الدَّهْرَا

(١) هو أبو القاسم، إسماعيل بن عباد بن العباس الطالقاني، الملقب بالصاحب: وزير غلب عليه الأدب، فكان من نوادر الدهر علماً وفضلاً وتديباً وجودة رأي. توفي سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م. (الأعلام: ٣١٦/١؛ معجم الأدباء، الحموي: ٤٠/٢؛ يتيمة الدهر، الثعالبي: ٢٢٥/٣).
(٢) هو فتنّا خسرو: عضد الدولة البويهية: ملك فارس، والموصل، وبلاد الجزيرة. عُرف بشدة الهيبة والعسف، وميله إلى الأدب واللغة والشعر. توفي سنة ٣٧٢هـ / ٩٨٣م. (الأعلام: ١٥٦/٥؛ يتيمة الدهر: ٢٥٧/٢).

ثم قال ابن ظافر: أمّا أنا، فإني صنعت بالشام سنة سبع وثمانين وخمسمائة قصيدة في الملك الأفضل أبي الحسن علي ابن الملك الناصر نور الله ضريحه أولها: [من الكامل]

دَعَهَا وَلَا تَحْبِسْ زِمَامَ الْمُقْوَدِ تَطْوِي بِأَيْدِيهَا بِسَاطَ الْفَدَقِ^(١)

وأنشدتها لمن كان بالعسكر من أصحابنا المنتسبين إلى الأدب، فما منهم إلا مَنْ بذل جهده في نقدها ورمى بأفلاذ كبده فيها فكرته، ثم حملتها إلى حضرته فصادت قبولاً. واتفق بعد ذلك أن أنشدتها لابن الأجلّ التكريتي. فلما أنشدته البيت الأول قال لي: ما كان يؤمنك إذا أخذ مدرجها في يده وفتحها، فوجد أول ما فيها دعها أن يلقيها ويقول: قد فعلت، ألسنت كنت تفتضح؟ قلت: بلى والله ولكن قد وقى الله. وهذا من غريب الانتقاد. قلت: قد نقلت كلام ابن ظافر من أوله إلى آخره من خطه ولا تستطل أيها الواقف على هذا الفصل ما ذكرته فإنه من فقه الأدب، وبمثل هذه الأشياء يتنبه طرف المتأدّب، ويلتفت إلى ما يجاوزه في حالة غفلته.

(رجع القول إلى بيت الطّعرائي). أقول: قد أخذ بيت الشريف الرضي برمّته من قوله: [من الكامل]

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى مَنَازِلِهِمْ وَدِيَارِهِمْ بِيَدِ الْبَلَى نَهَبُ
وَوَقَفْتُ حَتَّى ضَجَّ مِنْ لَعَبٍ نَضْوِي وَلَجَ بِعَذْلِي الرِّكْبُ^(٢)
وَتَلَقَّيْتُ عَيْنِي فَمُذْ خَفِيَتْ عَنِّي الطَّلُولُ تَلَقَّتْ الْقَلْبُ

وما لأحد أحسن من هذه الاستعارة في تلفت القلب، ولا أرشق، ولا أعذب. وما أحسن قول أبي العلاء المعري: [من الطويل]

إِلَى كَمْ تَشْكَانِي إِلَيَّ رَكَائِبِي وَتُكْثِرُ عَثْبِي خَفِيَّةً وَجَهَارًا
أَسِيرُ بِهَا تَحْتَ الْمَنَايَا وَفَوْقَهَا فَتَسْقُطُ فِي شَخْصِ الْحِمَامِ عِثَارًا

وقول أبي تمام الطائي^(٣): [من البسيط]

يَقُولُ فِي قَوْمِ قَوْمِي وَقَدْ أَخَذْتُ مِنَّا السَّرَى وَخُطَا الْمَهْرِيَّةِ الْقُودِ^(٤)

(١) الْفَدَقُ؛ الأرض الواسعة المستوية لا شيء فيها.

(٢) اللَّعَبُ: التعب والإعياء. النَّضْوُ: المهزول من الحيوان. الْعَذْلُ: اللّوم.

(٣) ديوان أبي تمام: ٣٠١/١.

(٤) في الديوان: «في قومس صحي». قومس: صقع كبير بين خراسان وبلاد الجبل بالقرب من أصفهان. السرى: سير الليل. المهرية: الإبل الكريمة. القود: الطويلات الأعناق.

أَمْطَلِعَ الشَّمْسِ تَبْغِي أَنْ تَوْمَّ بَنَّا فَقُلْتُ كَلًّا وَلَكِنْ مَطْلِعَ الْجُودِ^(١)
والناس يستحسنون هذا ويعدّونه من النادر الجيّد لأبي تمام. وقد أخذه بلفظه
من مسلم بن الوليد واجترأ عليه اجترأ السادة على العبيد، لأن مسلماً هو البادي،
وأبا تمام هو العادي. قال مسلم بن الوليد: [من البسيط]

يَقُولُ صَحْبِي وَقَدْ جَدّوا عَلَى عَجَلٍ وَالخَيْلُ تَسْتَنُّ بِالرَّكْبَانِ فِي اللُّجَمِ
أَمْطَلِعَ الشَّمْسِ تَبْغِي أَنْ تَوْمَّ بَنَّا فَقُلْتُ كَلًّا وَلَكِنْ مَطْلِعَ الْكِرَمِ
وهذا في غاية الحسن التي تكبو الفحول دون بلوغها، ويعجز الشعراء عن
الظفر بمصونها، والتحلي بمصوغها، فإن عين السهي تطيل النظر إلى رفعتها
وتتأمل، ومطايا التخيل تكلّ عن النهوض بعثها فتحمّل وما تتجمل، وقد أخذه أبو
إسحاق الغزي وسبكه فلبكه لما قال: [من الوافر]

تَقُولُ إِذَا اخْتَشَنَّاها وظَلَّتْ تُنَاجِينَا بِالسَّنَةِ الْكَالِ^(٢)
إِلَى أَفْقِ الْهَلَالِ مَسِيرُ رَكْبِي فَقُلْنَا بَلْ إِلَى أَفْقِ النَّوَالِ^(٣)
قلت: [من الطويل]

فَأَيْنَ مَعَانِي الشَّمْسِ مِمَّنْ يُحَاوِلُ وَأَيْنَ الثُّرَيَّا مِنْ يَدِ الْمُتَنَاولِ
ولكن هذه الأشياء تتفق فما تعارض ولا تقارض.

أخبرني الشيخ الإمام الأديب الكامل، القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود
قال: قلت للشيخ نجم الدين بن إسرائيل: لأي شيء قصر قولك؟: [من البسيط]
لَكِدْتُ تُشَبِّهَ بَرَقاً مِنْ ثُغُورِهِمْ يَادُرُّ دَمْعِي لَوْلَا الظُّلْمُ وَالشَّنْبُ^(٤)
عن قول شهاب الدين بن الخيمي^(٥): [من البسيط]
يَا بَارِقاً بِأَعَالِي الرَّقْمَتَيْنِ بَدَا لَقَدْ حَكَيْتَ وَلَكِنْ فَاتَكَ الشَّنْبُ
فقال: لأنه شاعر جيّد تناول المعنى بكرة فأجاد فيه، ولم يدع فضلة لغيره.

(١) توم: تقصد. الجود: الكرم. وفي الديوان: «تنوي أن توم».

(٢) الكلال: التعب والفتور والإعياء.

(٣) النوال: العطاء.

(٤) الظلم: ماء الأسنان وبريقها. الشنب: جمال الثغر وصفاء الأسنان.

(٥) هو أبو عبد الله، محمد بن عبد المنعم بن محمد بن يوسف بن أحمد الأنصاري، شهاب الدين، المعروف بابن الخيمي: شاعر أديب، يمني الأصل. ولد بمصر، وتوفي فيها سنة ٦٨٥هـ/ ١٢٨٦م. (الأعلام: ٦/ ٢٥٠).

ثم قال شهاب الدين محمود: ما من شاعر في الغالب إلّا وقد عارض الشريف الرضي في قصيدته التي أولّها: [من البسيط]

يا ظبيّة البانِ ترعى في حَمائلِهِ لِيَهْنِكِ اليومَ أنّ القَلْبَ مَرَعَاكِ

وما منهم من رزق سعادته. قلت: والذين رزقوا السعادة في أشياء لم يأت بعدهم من نالها جماعة كثيرة لا بأس بسردهم هنا، وهم: أبو بكر الصديق رضي الله عنه في النسب، فإنه كان فرد زمانه، علي بن أبي طالب رضي الله عنه في القضاء، أبو عبيدة^(١) رضي الله عنه في الأمانة، أبو ذر^(٢) رضي الله عنه في صدق اللهجة، أبي بن كعب^(٣) رضي الله عنه في القرآن، زيد بن ثابت^(٤) رضي الله عنه في الفرائض، ابن عباس^(٥) رضي الله عنهما في تفسير القرآن، الحسن البصري^(٦) في التذكير، وهب بن منبه^(٧) في القصص، ابن سيرين^(٨) في التعبير، نافع^(٩) في القراءة، أبو حنيفة^(١٠) في الفقه قياساً، ابن إسحاق^(١١) في المغازي، مقاتل في

(١) هو أبو عبيدة بن الجراح: الأمير، والقائد، والصحابي، وأحد العشرة المبشرين بالجنة. توفي سنة ١٨هـ / ٦٣٩م. (الأعلام: ٣/ ٢٥٢).

(٢) هو أبو ذر الغفاري: الصحابي الجليل، القديم الإسلام. توفي سنة ٣٢هـ / ٦٥٢م. (الأعلام: ٢/ ١٤٠).

(٣) هو أبي بن كعب بن قيس الخزرجي الأنصاري: الصحابي الجليل. شهد المشاهد كلها مع النبي ﷺ. وتوفي سنة ٢١هـ / ٦٤٢م. (الأعلام: ١/ ٨٢).

(٤) هو زيد بن ثابت بن الضحّاك الأنصاري الخزرجي: من كبار الصحابة، ومن كتّاب الوحي. توفي سنة ٤٥هـ / ٦٦٥م. (الأعلام: ٣/ ٥٧).

(٥) هو عبد الله بن عباس بن عبد المطلب الهاشمي القرشي: ابن عم رسول الله ﷺ، وحبر الأمة، وترجمان القرآن. توفي سنة ٦٨هـ / ٦٨٧م. (الأعلام: ٤/ ٩٥).

(٦) هو الحسن بن يسار البصري، أبو سعيد: تابعي، كان إمام أهل البصرة، وحبر الأمة في زمنه. توفي سنة ١١٠هـ / ٧٢٨م. (الأعلام: ٢/ ٢٢٦).

(٧) هو أبو عبد الله، وهب بن منبه الأبنّوي الصنعاني: مؤرخ، كثير الأخبار، عالم بالأساطير. توفي سنة ١١٤هـ / ٧٣٢م. (الأعلام: ٨/ ١٢٥).

(٨) هو أبو بكر، محمد بن سيرين البصري الأنصاري: إمام وقته في علوم الدين بالبصرة. واشتهر بالورع وتعبير الرؤيا. توفي سنة ١١٠هـ / ٧٢٩م. (الأعلام: ٦/ ١٥٤).

(٩) هو نافع بن عبد الرحمن بن أبي نعيم الليثي المدني: أحد القراء السبعة المشهورين، وانتهت إليه رئاسة القراءة بالمدينة. توفي سنة ١٦٩هـ / ٧٨٥م. (الأعلام: ٨/ ٥).

(١٠) هو أبو حنيفة، النعمان بن ثابت التيمي، الكوفي: الإمام، الفقيه، المجتهد، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنة. توفي سنة ١٥٠هـ / ٧٦٧م. (تاريخ بغداد: ١٣/ ٤٢٣).

(١١) هو محمد بن إسحاق بن يسار المظلي، المدني: من أقدم مؤرخي العرب، من أهل المدينة. توفي سنة ١٥١هـ / ٧٦٨م. (الأعلام: ٦/ ٢٨).

التأويل^(١)، الكلبي في قصص القرآن، ابن الكلبي^(٢) الصغير في النسب، أبو الحسن المدايني^(٣) في الأخبار، أبو عبيدة^(٤) في الشعوبية، محمد بن جرير الطبري^(٥) في علوم الأثر، الخليل^(٦) في العروض، فضيل بن عياض^(٧) في العبادة، مالك بن أنس^(٨) في العلم، الشافعي^(٩) في فقه الحديث، أبو عبيد^(١٠) في الغريب، علي بن المدايني في علل الحديث، يحيى بن معين^(١١) في الرجال، أحمد بن حنبل^(١٢) في السنّة، البخاري^(١٣) في نقد الصحيح، الجنيد^(١٤) في التّصوّف، محمد بن نصر

- (١) هو أبو الحسن، مقاتل بن سليمان بن بشير الأزدي، البلخي: من أعلام المفسرين. توفي بالبصرة سنة ١٥٠هـ/ ٧٦٧م. (تاريخ بغداد: ١٣/ ١٦٠).
- (٢) هو أبو النضر، محمد بن السائب بن الحارث الكلبي: نسابة، راوية، عالم بالتفسير والأخبار وأيام العرب. توفي سنة ١٤٦هـ/ ٧٦٣م. (الأعلام: ٦/ ١٣٣).
- (٣) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن عبد الله المدائني: راوية، مؤرخ، كثير التصانيف، سكن المدائن، وتوفي ببغداد سنة ٢٢٥هـ/ ٨٤٠م. (تاريخ بغداد: ١٢/ ٥٤).
- (٤) هو أبو عبيدة، معمر بن المثنى التيمي، البصري: من أئمة العلم باللغة والأدب والنحو. ولد بالبصرة، وتوفي فيها سنة ٢٠٩هـ/ ٨٢٤م. (الأعلام: ٧/ ٢٧٢).
- (٥) هو أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري: مؤرخ، مفسر، إمام. استوطن بغداد، وتوفي فيها سنة ٣١٠هـ/ ٩٢٣م. (تاريخ بغداد: ٢/ ١٦٢).
- (٦) هو أبو عبد الرحمن، الخليل بن أحمد الفراهيدي الأزدي اليماني: من أئمة اللغة والأدب، وواضع علم العروض. توفي سنة ١٧٠هـ/ ٧٨٦م. (وفيات الأعيان: ٢/ ٢٤٤).
- (٧) هو أبو علي، الفضيل بن عياض بن مسعود التيمي: شيخ الحرم المكي، من أكابر العباد الصالحاء. توفي بمكة سنة ١٨٧هـ/ ٨٠٣م. (الأعلام: ٥/ ١٥٢).
- (٨) هو أبو عبد الله، مالك بن أنس الأصبحي الحميري: إمام دار الهجرة، وأحد الأئمة الأربعة عند أهل السنّة. توفي سنة ١٧٩هـ/ ٧٩٥م. (الأعلام: ٥/ ٢٥٧).
- (٩) هو أبو عبد الله، محمد بن إدريس الشافعي، الهاشمي القرشي، المطلبي: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنّة. توفي سنة ٢٠٤هـ/ ٨٢٠م. (الأعلام: ٦/ ٢٦).
- (١٠) هو أبو عبيد، القاسم بن سلام الهروي الأزدي الخزاعي: من كبار العلماء بالحديث والأدب. توفي بمكة سنة ٢٢٤هـ/ ٨٣٨م. (تاريخ بغداد: ٢/ ٤٠٣).
- (١١) هو أبو زكريا، يحيى بن معين المري البغدادي: من أئمة الحديث، ومؤرخي رجاله، توفي بالمدينة سنة ٢٣٣هـ/ ٨٤٨م. (تاريخ بغداد: ١٤/ ١٧٧).
- (١٢) هو أبو عبد الله، أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، الوائلي: أحد الأئمة الأربعة عند أهل السنّة. توفي سنة ٢٤١هـ/ ٨٥٥م. (تاريخ بغداد: ٤/ ٤١٢).
- (١٣) هو أبو عبد الله، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم البخاري: حافظ، محدّث، وهو صاحب الجامع الصحيح. توفي سنة ٢٥٦هـ/ ٨٧٠م. (تاريخ بغداد: ٢/ ٤).
- (١٤) هو أبو القاسم، الجنيد بن محمد البغدادي: صوفي، من العلماء بالدين. توفي ببغداد سنة ٢٩٧هـ/ ٩١٠م. (تاريخ بغداد: ٧/ ٢٤١).

المروزي^(١) في الاختلاف، الجبائي^(٢) في الاعتزال، الأشعري^(٣) في الكلام، أبو القاسم الطبراني في العوالي^(٤)، عبد الرزاق^(٥) في ارتحال الناس إليه، ابن منده^(٦) في سعة الرحلة، أبو بكر الخطيب^(٧) في سرعة القراءة، ابن حزم^(٨) في الظاهرية، سيبويه^(٩) في النحو، أبو الحسن البكري^(١٠) في الصدق، إياس^(١١) في التفرّس، عبد الحميد^(١٢)

(١) هو أبو عبد الله، محمد بن نصر المروزي: إمام في الفقه والحديث، كان من أعلم الناس باختلاف الصحابة ومن بعدهم بالأحكام. توفي سنة ٢٩٤هـ / ٩٠٦م. (الأعلام: ١٢٥/٧).

(٢) هو أبو علي، محمد بن عبد الوهاب بن سلام الجبائي: من أئمة المعتزلة، ورئيس علماء الكلام في عصره. له مقالات انفراد بها في المذهب. توفي سنة ٣٠٣هـ / ٩١٦م. (وفيات الأعيان: ٤/٢٦٧).

(٣) هو أبو الحسن، علي بن إسماعيل بن إسحاق الأشعري: مؤسس مذهب الأشاعرة، من كبار الأئمة المتكلمين المجتهدين. ولد في البصرة، وتوفي ببغداد سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٦م. (الأعلام: ٤/٢٦٢).

(٤) هو أبو القاسم، سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللخمي الشامي: من كبار المحدثين، أصله من طبريا (فلسطين)، وإليها نسبته. تجول في البلاد، وتوفي بأصبهان سنة ٣٦٠هـ / ٩٧١م. (وفيات الأعيان: ٤٠٧/٢).

(٥) هو أبو بكر، عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري: من حفاظ الحديث الثقات، من أهل صنعاء. كان يحفظ نحواً من سبعة عشر ألف حديث. توفي سنة ٢١١هـ / ٨٢٧م. (الأعلام: ٣/٣٥٣).

(٦) هو أبو عبد الله، محمد بن إسحاق بن محمد بن يحيى، ابن منده الأصبهاني: من كبار حفاظ الحديث، الراحلين في طلبه، المكثرين من التصنيف فيه. توفي سنة ٣٩٥هـ / ١٠٠٥م. (الأعلام: ٢٩/٦).

(٧) هو أبو بكر، أحمد بن علي بن ثابت البغدادي، الخطيب: حافظ، مؤرخ. نشأ ببغداد، وتوفي فيها سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧٢م. من آثاره: «تاريخ بغداد». (الأعلام: ١/١٧٢).

(٨) هو أبو محمد، علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الظاهري: عالم الأندلس في عصره. ولد بقرطبة، وتوفي بلبلة سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م. (جدوة المقتبس: ٣٠١؛ بغية الملتبس: ٣٨٦؛ الصلة: ٣٣٣).

(٩) هو أبو بشر، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، المعروف بـ«سيبويه» إمام النحاة، وأول من بسط علم النحو. توفي بالأهواز سنة ١٨٠هـ / ٧٩٦م. (تاريخ بغداد: ١٢/١٩٥).

(١٠) ورد في الأعلام: «أبو الحسن، أحمد بن عبد الله بن محمد البكري: قصصي، قال فيه الذهبي: «واضع القصص التي لم تكن قط»، ونعته بالكذاب الدجال. (الأعلام: ١/١٥٥).

(١١) هو أبو وائلة، إياس بن معاوية بن قرة المزني: قاضي البصرة، وأحد أعاجيب الدهر في الفطنة والذكاء والتفرّس. توفي بواسط سنة ١٢٢هـ / ٧٤٠م. (الأعلام: ٢/٣٣).

(١٢) هو عبد الحميد بن يحيى بن سعد العامري، المعروف بالكاتب: من أئمة الكتاب، يُضرب به المثل في البلاغة، وعنه أخذ المترسلون. توفي سنة ١٣٢هـ / ٧٥٠م. (وفيات الأعيان: ٣/٢٢٨).

في الكتابة والرقا، أبو مسلم الخُراساني^(١) في علوّ الهمة والحزم، الموصلي^(٢) النديم في الغناء، أبو الفرج الأصبهاني^(٣) في حسن المحاضرة، أبو معشر^(٤) في النجوم، محمد بن زكريا الرازي^(٥) في الطب، عمارة بن حمزة^(٦) في التيه، الفضل بن يحيى^(٧) في الجود، جعفر بن يحيى^(٨) في التوقيع، ابن زيدون في سعة العبارة^(٩)، ابن القرية^(١٠) في البلاغة، الجاحظ^(١١) في الأدب والبيان، الحريري^(١٢) في المقامات، البديع

(١) هو أبو مسلم، عبد الرحمن بن مسلم الخراساني: مؤسس الدولة العباسية، وأحد كبار القادة، قال المأمون: ملوك الأرض ثلاثة: الإسكندر، وأزدشير، وأبو مسلم الخراساني. توفي سنة ١٣٧هـ / ٧٥٥م. (الأعلام: ٣/٣٣٧).

(٢) هو أبو محمد، إسحاق بن إبراهيم بن ميمون التميمي، الموصلي، المعروف بالنديم: تفرّد بصناعة الغناء والموسيقى، وكان عالماً باللغة والتاريخ والأخبار. توفي سنة ٢٣٥هـ / ٨٥٠م. (تاريخ بغداد: ٦/٣٣٨).

(٣) هو أبو الفرج، علي بن الحسين بن محمد بن أحمد بن الهيثم المرواني، الأموي، القرشي: من أئمة الأدب العارفين بالتاريخ والأنساب والسير والآثار والمغازي. توفي سنة ٣٥٦هـ / ٩٦٧م. (تاريخ بغداد: ١١/٣٩٨).

(٤) هو أبو معشر، جعفر بن محمد بن عمر البلخي: عالم فلكي مشهور؛ تعلم النجوم بعد سبع وأربعين سنة من عمره. توفي سنة ٢٧٢هـ / ٨٨٦م. (الأعلام: ٢/١٢٧).

(٥) هو أبو بكر، محمد بن زكريا الرازي: فيلسوف، من الأئمة في صناعة الطب. ولد في الريّ، وتعلم بها، وأقام ببغداد، وتوفي فيها سنة ٣١٣هـ / ٩٢٥م. (الأعلام: ٦/١٣٠).

(٦) هو عمارة بن حمزة بن ميمون: كاتب، من الولاة الأجواد الشعراء الدهاء. جمعت له ولاية البصرة وفارس والأهواز واليمامة والبحرين، وكان فيه تيه شديد، ضرب به المثل. توفي سنة ١٩٩هـ / ٨١٤م. (الأعلام: ٤/٣٦).

(٧) هو الفضل بن يحيى بن خالد البرمكي: وزير الرشيد العباسي، وأخوه في الرضاع، كان من أجود الناس. توفي مسجوناً سنة ١٩٣هـ / ٨٠٨م. (تاريخ بغداد: ٢/٣٣٤).

(٨) هو أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد البرمكي: وزير الرشيد العباسي، وأحد مشهوري البرامكة ومقدميهم. قتله الرشيد العباسي سنة ١٨٧هـ / ٨٠٣م. (تاريخ بغداد: ٧/١٥٢).

(٩) هو أبو الوليد، أحمد بن عبد الله بن زيدون المخزومي الأندلسي: وزير، كاتب، شاعر، من أهل قرطبة. توفي سنة ٤٦٣هـ / ١٠٧١م. (جذوة المقتبس: ١٣١؛ بغية الملتبس: ١٧٢).

(١٠) هو أيوب بن زيد بن قيس بن زرارة الهلالي، المعروف بابن القرية: أحد بلغاء الدهر، خطيب يُضرب به المثل. توفي سنة ٨٤هـ / ٧٠٣م. (الأعلام: ٢/٣٧).

(١١) هو أبو عثمان، عمرو بن بحر بن محبوب الكنان، المعروف بالجاحظ: أمير البيان والأدب في زمانه. توفي سنة ٢٥٥هـ / ٨٦٩م. (تاريخ بغداد: ١٢/٢١٢).

(١٢) هو أبو محمد، القاسم بن علي بن محمد بن عثمان الحريري، البصري: أديب كبير، هو صاحب المقامات. توفي سنة ٥١٦هـ / ١١٢٢م. (وفيات الأعيان: ٤/٦٣).

الهمذاني^(١) في الحفظ، أبو نواس^(٢) في المجون والخلاعة، ابن حجاج^(٣) في سخف الألفاظ، المتنبي^(٤) في الحكم والأمثال، الزمخشري^(٥) في تعاطي العربية، النسفي^(٦) في الجدل، جرير^(٧) في الهجاء الخبيث، حماد الراوية^(٨) في شعر العرب، معاوية في الحلم^(٩)، المأمون^(١٠) في حب العفو، عمرو بن العاص^(١١) في الدهاء، عطاء^(١٢) السلمي في الخوف من الله تعالى، الوليد^(١٣) في شرب الخمر، أبو موسى الأشعري^(١٤)

(١) هو أبو الفضل، أحمد بن الحسين بن يحيى الهمذاني، بديع الزمان: من أئمة الكتاب، وله المقامات المشهورة. توفي في «هراة» مسموماً سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٨م. (يتيمة الدهر: ٤/ ٢٩٣؛ معجم الأدباء: ١/ ٣٧٠).

(٢) هو أبو نواس، الحسن بن هانئ: شاعر العراق في عصره. توفي سنة ١٩٨هـ / ٨١٤م. (الشعر والشعراء: ٢/ ٦٨٠؛ الأغاني: ٣/ ٢٠).

(٣) هو أبو عبد الله، حسين بن أحمد بن الحجاج النبلي البغدادي: شاعر، من كتاب العصر البويهي، قال الذهبي: «شاعر العصر، وسفيه الأدب، وأمير الفحش». وقال ابن تغري بردي: «يضر به المثل في السخف والمداعبة والأهاجي». توفي سنة ٣٩١هـ / ١٠٠١م. (تاريخ بغداد: ٨/ ١٤).

(٤) هو أبو الطيب، أحمد بن الحسين الجعفي، الكندي: شاعر العربية الأكبر. ولد ونشأ في الكوفة، وقُتل بالقرب من النعمانية سنة ٣٥٤هـ / ٩٦٥م. (يتيمة الدهر: ١/ ١٣٩؛ البداية والنهاية: ١١/ ٢٧٣).

(٥) هو أبو القاسم، جابر الله، محمود بن عمر الخوارزمي، الزمخشري: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. توفي سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٤م. (وفيات الأعيان: ٥/ ١٦٨).

(٦) هو أبو حفص، عمر بن محمد بن أحمد بن إسماعيل النسفي: عالم بالتفسير والأدب والتاريخ، من فقهاء الحنفية. توفي بسمرقند سنة ٥٣٧هـ / ١١٤٢م. (الأعلام: ٥/ ٦٠).

(٧) هو أبو حذرة، جرير بن عطية بن الخطفي الكلبي، اليربوعي، التميمي: شاعر أموي فحل. ولد باليمامة، وتوفي فيها سنة ١١٠هـ / ٧٢٨م. (طبقات ابن سلام: ٣٧٤؛ الشعر والشعراء: ١/ ٣٧٤).

(٨) هو أبو القاسم، حماد بن سابور بن المبارك، المعروف بالراوية: من أعلم الناس بأيام العرب وأشعارها وأخبارها وأنسابها ولغاتها، توفي سنة ١٥٥هـ / ٧٧٢م. (وفيات الأعيان: ٢/ ٢٠٦).

(٩) هو معاوية بن أبي سفيان القرشي الأموي: مؤسس الدولة الأموية. عُرف بالدهاء والحلم والوقار. توفي سنة ٦٠هـ / ٦٨٠م. (الأعلام: ٧/ ٢٦١).

(١٠) هو الخليفة العباسي المتوفى سنة ٢١٨هـ / ٨٣٣م.

(١١) هو أبو عبد الله، عمرو بن العاص بن وائل السهمي القرشي: فاتح مصر، المتوفى سنة ٤٣هـ / ٦٦٤م. (الأعلام: ٥/ ٧٩).

(١٢) هو عطاء بن مسلم بن ميسرة الخراساني، نزيل بيت المقدس: مُفسّر، كان يغزو، ويكثر من التهجد في الليل. توفي سنة ١٣٥هـ / ٧٥٢م. (الأعلام: ٤/ ٢٣٥).

(١٣) هو الوليد بن يزيد، الخليفة الأموي المتوفى سنة ١٢٦هـ / ٧٤٤م.

(١٤) هو أبو موسى، عبد الله بن قيس الأشعري، الصحابي الشجاع الفاتح، المتوفى سنة ٤٤هـ / ٦٦٥م. (الأعلام: ٤/ ١١٤).

في سلامة الباطن، ابن البوّاب^(١) في الكتابة والخط، القاضي الفاضل^(٢) في الترسّل، العماد الكاتب^(٣) في الجنس، ابن الجوزي في الوعظ، أشعب في الطمع، أبو نصر الفارابي في نقل كلام القدماء ومعرفته وتفسيره، حنين بن إسحاق^(٤) في ترجمة اليوناني إلى العربي، ثابت بن قرّة الصابي^(٥) في تهذيب ما نقل من الرياضي إلى العربي، ابن سيناء في الفلسفة وعلوم الأوائل، الفخر الرازي في الاطلاع على العلوم، السيف الأمدي في التحقيق والأصول، النصير الطوسي^(٦) في المجسطي، ابن الهيثم^(٧) في العلم الرياضي، نجم الدين الكاتب في المنطق، أبو العلاء المعري في الاطلاع على اللغة، أبو العيّن^(٨) في الأجوبة المسكتة، مزيد في البخل، القاضي أحمد بن أبي دواد^(٩) في المروءة وحسن التقاضي، ابن المعتز في التشبيه، ابن الرومي في التطيّر، الصولي في الشطرنج، أبو حامد الغزالي في الجمع بين المعقول والمنقول، ابن رشد في تلخيص كتب الأقدمين الفلسفية والطبية، محيي الدين بن عربي في التصوّف.

أقول: وقصيدة ابن الخيمي البائية التي أولها: [من البسيط]

يَا مَطْلَباً لَيْسَ لِي فِي غَيْرِهِ أَرْبُ

رويتها بقراءتي على الشيخ فتح الدين محمد بن سيد الناس، عن شهاب الدين

- (١) هو أبو الحسن، علي بن هلال، المعروف بابن البوّاب، المتوفى سنة ٤٢٣هـ / ١٠٣٢م. (وفيات الأعيان: ٣/ ٣٤٢).
- (٢) هو عبد الرحيم بن علي بن السعيد اللخمي، المعروف بالقاضي الفاضل، الوزير، الكاتب، المنشئ، المترسل، المتوفى سنة ٥٩٦هـ / ١٢٠٠. (الأعلام: ٣/ ٣٤٦).
- (٣) هو أبو عبد الله، عماد الدين محمد بن محمد الأصفهاني الكاتب، المؤرخ، الأديب، المتوفى سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م. (الأعلام: ٧/ ٢٦).
- (٤) هو أبو زيد، حنين بن إسحاق العبادي، الطبيب، المؤرخ، المترجم، المتوفى سنة ٢٦٠هـ / ٨٧٣م. (الأعلام: ٢/ ٢٨٧).
- (٥) هو أبو الحسن، ثابت بن قرّة بن زهرون الحرّاني، الطبيب، الفيلسوف، المتوفى سنة ٢٨٨هـ / ٩٠١م. (الأعلام: ٢/ ٩٨).
- (٦) هو أبو جعفر، نصير الدين، محمد بن محمد الطوسي، الفيلسوف، العلامة بالأرصاد والمجسطي والرياضيات، المتوفى سنة ٦٧٢هـ / ١٢٧٤. (الأعلام: ٧/ ٣٠).
- (٧) هو أبو علي، محمد بن الحسن بن الهيثم، المهندس، الملقب ببطليموس الثاني، المتوفى سنة ٤٣٠هـ / ٩٦٥م. (الأعلام: ٦/ ٨٣).
- (٨) هو أبو العيّن، محمد بن القاسم الهاشمي، الأديب، الظريف، المتوفى سنة ٢٨٣هـ / ٨٩٦م. (الأعلام: ٦/ ٣٣٤).
- (٩) هو أبو عبد الله، أحمد بن أبي دواد الإيادي، القاضي، المعتزلي، المتوفى سنة ٢٤٠هـ / ٨٥٤م. (تاريخ بغداد: ٤/ ١٤١).

محمد بن عبد المنعم بن الخيمي، قال إجازة، وفي غالب الظن سماعاً منه. قلت: وقصته مع نجم الدين بن إسرائيل مشهورة. وأنشدني لنفسه الشيخ شهاب الدين أبو الثناء محمود قصيدة بائية عارض بها ابن الخيمي وهي في غاية الحسن جاء منها في ذلك المعنى قوله: [من البسيط]

يا بارقَ الشَّغْرِ لَوْ لَاحَتْ ثُغُورُهُمْ وَشِمْتَ بَارِقَهَا مَا فَاتَكَ الشَّنْبُ
وقد جمعت ما اتفق لابن الخيمي وابن إسرائيل والشهاب محمود، والعفيف التلمساني وصدر الدين بن الوكيل ولي أنا في معارضة هذه القصيدة، وأودعته الجزء الأول من التذكرة التي جمعتها. وجاء لي في معنى البيت المذكور قولي: [من البسيط]

يا برقُ لا تبتسم من نُغْرِهِ عَجَباً قَدْ فَاتَ مَعْنَاكَ مِنْهُ الظُّلْمُ وَالشَّنْبُ
ولقائل أن يقول لنا أجمعين: لقد حكيت ولكن فاتك الشنب. ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له: [من البسيط]

إِنْ تَاهَ ثَغْرُ الْأَقَاخِي فِي تَشَبُّهِهِ بِثَغْرِ حَبِّكَ وَاسْتَوَلَى بِهِ الطَّرْبُ
فَقُلْ لَهُ عِنْدَمَا تَلْقَاهُ مُبْتَسِماً لَقَدْ حَكَيْتَ وَلَكِنْ فَاتَكَ الشَّنْبُ
عاد القول إلى ما ينخرط في سلك بيت الطغرائي، وقد أحسن أبو العلاء كل الإحسان حيث قال^(١): [من الوافر]

مُواصلَةٌ بهَا رَحْلِي كَأَنِّي مَنِ الدُّنْيَا أُرِيدُ بِهَا انْفِصَالَا
سَأَلَنْ فَقُلْتُ مَقْصِدُنَا سَعِيدٌ فَكَانَ اسْمُ الْأَمِيرِ لَهُنَّ فَالَا

هذا مما يطلب لحاقه فما تحمل الجواد قوائمه، ويسبي له من كل حسن كرائمه، ويفتح له في البديع نور والقلوب كمائمه، ويحلّي الأسماع من الدرّ بسمط لم يثقبه ناظمه. وقد استعمل المعري الفال في شعره أيضاً فقال^(٢): [من الطويل]

بَدَتْ حَيَّةٌ فَضْراً فَقُلْتُ لِصَاحِبِي حَيَاةٌ وَشَرٌّ بِئْسَمَا زَعَمَ الْفَالُ

إنما قال ذلك لأنّ الحية موصوفة بالشرّ وطول العمر، ولهذا سُمّيت حية. وقيل: إنها لا تموت حتف أنفها ما لم يعرض لها شدخ رأسها أو قطعه. وقال الآخر: [من الخفيف]

فَهُوَ كَالصَّلِّ مِنْ بَنَاتِ الْأَفَاعِي كُلَّمَا طَالَ عُمْرُهُ زَادَ شَرّاً^(٣)

(١) سقط الزند: ٦٠.

(٢) سقط الزند: ٢٢١.

(٣) الصلّ: الحية الخبيثة.

ويعجبني قول ابن خفاجة الأندلسي من قصيدة يصف فيها الحيّة: [من الكامل]
 وَأَزَبَ بِبَرْدٍ مِنْ حَشَاهُ مُكَرِعٍ خَضِرٌ يَسُحُّ وَتَلْعَةً مِخْضَالُ^(١)
 مَا بَيْنَ خَطِيٍّ جَدُولَيْنِ كَأَنَّمَا بُسْطَتِ يَمِينٌ مِنْهُمَا وَشِمَالُ
 مِثْلَ الْحَبَابِ بِمُنْحَنَاهُ دُؤَابَةٌ خَفَّاقَةٌ حَيْثُ الرَّبَى أَكْفَالُ^(٢)
 يَنْسَابُ ثَانِي مِعْطَفِيهِ كَأَنَّهُ هَمِيَانُ نَشْوَانٍ هُنَاكَ مُذَالُ^(٣)
 أَوْ ظِلٌّ أَسْمَرٌ بِاللَّوَى مُتَأَطِّرُ عَظْفَتْ جَنُوبٌ مَثْنَهُ وَشِمَالُ^(٤)
 لَمْ أَدْرِ هَلْ يَزْهَوُ فَيَخْطُرُ نَخْوَةٌ أَمْ لَاعِبَتْ أَعْطَافُهُ الْجِرِيَالُ^(٥)
 فَإِذَا اسْتَطَارَ بِهِ النِّجَاءُ فَنِيْزُكَ وَإِذَا تَهَادَى فَالْهَلَالُ هِلَالُ^(٦)
 زَرَّتْ عَلَيْهِ حَبِيرَةٌ مَوْشِيَةٌ بِمَقِيلَةٍ أَخْتُ لَهَا أَسْمَالُ^(٧)
 مِرْقٌ كَمَا يَنْقُدُّ فِي يَوْمِ الْوَعَى عَنْ لُبَّتِي مُسْتَلْتِمٌ سِرْبَالُ^(٨)
 أَلْقَى بِهِ مِنْهَا هُنَاكَ دِرْعَهُ بَطْلٌ وَجُرْدٌ وَشَيْءٌ مَخْتَالُ
 بِإِدِّ الْهَجِيرَةِ مِنْهُ سَوْطٌ خَافِقُ وَبِسَاقِ لَيْلَةٍ صَرَصَرٍ خَلْخَالُ^(٩)

وما أحسن قول القاضي محيي الدين بن عبد الله بن الظاهر من جملة كتاب:
 تروغ للمراغي والمراعي، وتستمتع منها السهام المنية قعاقع بتراكيش الأفاعي، من
 كلّ صلّ يفترس افتراس الضيغم، وينملس انملاس الجدول المفعم، تنقّض انقضا
 السهام، وتروّع رائيها في المنام، ومن حمتها يحم الحمام، وإذا انقبضت كانت
 للمنيّة عروة، وإذا انبسطت فهي للرزية حزام، ما نابها بنوائبها ناب، ولا لعبها في
 جدّه بالإتيان على النفوس بلعب، ذوات ألوان كاللدينا تروق وتروع، وذات معاطف
 كالليالي والأيام منذرة كالفتح للوقوع، قد غدت للخيام أطناباً عوضاً عن الأطناب،

- (١) أَرَبٌ: كثير الوبر أو الشعر. مخضال: مبالغه من خضل الشيء: ندي وابتلّ.
 (٢) أكفال: جمع كفّل: العَجْزُ للإنسان والدابة، أو جمع كفّل: خرقه تكون على عنق الثور، أو
 النصيب، أو الضعف، أو الوبر.
 (٣) الهميان: الذهاب على وجهه. النشوان: السكران. المذال: المبتذل.
 (٤) جنوب: ريح الجنوب. شمال: ريح الشمال.
 (٥) الجريال: الخمر الشديدة الحُمرة.
 (٦) النجاء: السرعة.
 (٧) زَرَّتْ الشيء: جمعه جمعاً شديداً. أسمال: جمع سَمَل: خَلَقَ، بال.
 (٨) يَنْقُدُّ: يَنْشَقُّ. اللَّبَّة: موضع القلادة من العنق. المُسْتَلْتِم: الذي يلبس اللأمة: الدرع. السربال
 هنا: الدرع.
 (٩) الهجيرة: وقت اشتداد الحرّ من النهار. الصرصر: الريح الشديدة البرد.

ونابت عن العمد فيها شرّ مناب، فلو شاهدتها بقرات لم يرَ أن غيرها للموت من العلل الخبائث والأسباب، كم تصبحت الأعين منها بأسود سالخ، وكم غدا مهري بسمّها مهرياً من الحريق فهو في كورٍ على لغة العوام نافخ، ومن عجبٍ أنها تمشي على بطنها، ولا تأكل من نهشته بنابها النائب عن سنّها، تحترس وتفترس، وترى لعينها في الظلام ناراً لا يجد عليها هدى طرف المقتبس، كم غدت لبعيرٍ عقلاً، وكم اعتقل الموت منها للمطاعنة رماحاً طوالاً وأرسل نبالاً. وفي كلام العوام ممّا يتحاجّون به قولهم: حيّة ميّنة، وقاعدة قائمة، وجارية واقفة، وبيضاء حمراء، ومسلم شماس، وكثيرة قليلة. ونقلت من خط السراج الوراق له في استعمال الفال: [من مجزوء الكامل]

وَمُسَائِلٌ عَنِّي يَقُو لُ وَقَدْ كَفَاهُ سُوءُ حَالِي
كَيْفَ الزَّمَانُ عَلَيْكَ قُلُ تَ عَلَيَّ هَذَا مِنْكَ فَالِي

ونقلت من خطه له أيضاً يتقاضى عسلاً من ابن العسال: [من الكامل]

قَبْلَ يَدِ الشَّرَفِ الَّتِي هِيَ قَبْلَةٌ أَبْدَأُ لَهَا تَتَوَجَّهَ الْأَمَالُ
وَإِذَا ذَكَرُ لَهُ شَوْقاً إِلَيْهِ يَهْزَنِي فَكَأَنَّنِي مُتَأَوِّدٌ عَسَّالٌ^(١)
وَلَعَلَّ ذَا فَالٍ جَرَى نُطْقِي بِهِ وَأَبُوكَ يَصْدُقُ فِي نَدَاهُ الْفَالُ

وعلى ذكر الفال، فقد حكى أن طاهر بن الحسين^(٢) خرج لقتال عيسى بن ماهان^(٣) وفي كمّه دراهم يفرّقها على الضعفاء، ثم إنه سهى وأسبل كمّه فتبدّدت فتطير من ذلك، فقام إليه شاعر وقال: [من الكامل]

هَذَا تَبَدَّدَ جَمْعُهُمْ لَا غَيْرُهُ وَذَهَابَهُ مِثْلُ ذَهَابِ الْهَمِّ
شَيْءٌ يَكُونُ الْهَمُّ نِصْفُ حُرُوفِهِ لَا خَيْرَ فِي إِمْسَاكِهِ فِي الْكُمِّ

يقال: إن ملوك مصر العبيديين قالوا في أوّل دولتهم لبعض العلماء بمصر: أكتب لنا في ورقة ألقاباً تصلح للخلفاء حتى إذا تولى منا أحد لقّبناه بلقب منها.

(١) مُتَأَوِّدٌ: من تأوّد فلان: تَثَنَّى وَتَعَوَّجَ وَتَمَائِلَ. عَسَّالٌ: مُضْطَرَبٌ مُهْتَزٌّ لِيَلِينِهِ.

(٢) هو أبو الطيب، وأبو طلحة، طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي: من كبار الوزراء والقواد، وهو الذي وطّد الملك للمأمون العباسي. قُتِلَ غيلةً بمرو سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢م. (شذرات الذهب: ١٦/٢، تاريخ بغداد: ٣٥٣/٩).

(٣) هو علي بن عيسى بن ماهان: من كبار القادة في عصر الرشيد والأمين، وهو الذي حرّض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد، وسيره الأمين لقتال المأمون بجيش كبير، فظفر به طاهر بن الحسين وقتله، وهزم جيشه سنة ١٩٥هـ / ٨١٠م. (الأعلام: ٣١٧/٤).

فكتب لهم ألقاباً كثيرة آخرها العاضد، فاتفق أن آخر من ملك منهم العاضد وزالت في أيامه دولتهم على يد السلطان صلاح الدين. قال بعضهم: حضرت مجلس كافور الإخشيدي^(١)، وقد دخل رجل فدعا له وقال في دعائه: أدام الله أيام مولانا وكسر الميم من أيام، فتحدّث جماعة من الحاضرين في ذلك وعابوه، فقام رجل وسط الناس وأنشد مرتجلاً: [من البسيط]

لا عَرَوْا إِنْ لَحَنَ الدَّاعِي لِسَيِّدِنَا أَوْ غَصَّ مِنْ دَهَشٍ بِالرِّيقِ أَوْ قَهَرِ
فَتِلْكَ هَيْبَتُهُ حَالَتْ جَلالَتُهَا بَيْنَ الْأَدِيبِ وَبَيْنَ الْفَتْحِ بِالْحَصْرِ
وَأَنْ يَكُنْ خَفَضَ الْأَيَّامِ مَنْ غَلَطِ فِي مَوْضِعِ النَّصَبِ لَا عَنْ قَلَّةِ النَّظَرِ
فَقَدْ تَفَاءَلْتُ مِنْ هَذَا لِسَيِّدِنَا وَالْقَالَ نُؤْثِرُهُ عَنْ سَيِّدِ الْبَشَرِ
بِأَنَّ أَيَّامَهُ خَفَضَ بِلا نَصَبٍ وَأَنَّ أَوْقَاتَهُ صَفُوْا بِلا كَدَرٍ^(٢)

يقال: إنه أقبل رجل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقال: ما اسمك؟ قال: شهاب بن حرقة. قال: ممن؟ قال: من أهل حرّة النار. قال: وأين مسكنك؟ قال: بذات لظى. فقال: أدرك أهلك فقد احترقوا. رواه مالك في الموطأ فكان كما قال عمر رضي الله عنه. ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة نزل برجل من الأنصار، فنادى الرجل بغلمانه: يا سالم يا يسار، فقال ﷺ: «سلمت لنا الدار في يسر».

وحكي أن بعض العرب مرّ على قوم فقال لأحدهم: ما اسمك؟ قال: منيع. وسأل آخر فقال: شديد. وسأل آخر فقال: وثيق. وسأل آخر فقال: ثابت. فقال: ما أظنّ الأقفال وضعت إلا من أسمائكم.

وسأل بعض العرب رجلاً عن اسمه فقال: بحر. فقال: ابن من؟ قال: ابن فياض. قال: فكنتيك؟ قال: أبو الندى. فقال: لا ينبغي لأحد أن يلقاك إلّا في فُلكٍ أو شختور.

جاء اثنان إلى بعض اليهود ليكتب لهما حجّة بدين على أحدهما، فقال له: ما اسمك؟ قال: رحّال. قال: ابن من؟ قال: ابن سابق. قال: ابن من؟ قال: ابن مسافر. فقال له: يا أخي بالله لا تعامل هذا في شيء فما أظنه إلا يطير إذا فارقك ولا تظفر به. وقال أبو العلاء المعري^(٣): [من الوافر]

وَقَدْ سَمَّاهُ سَيِّدُهُ عَلِيًّا وَذَلِكَ مِنْ عُلُوِّ الْقَدْرِ فَالْ

(١) هو أبو المسك، كافور بن عبد الله الإخشيدي: سلطان مصر، صاحب المتنبّي. توفي بالقاهرة سنة ٣٥٧هـ / ٩٦٨م. (الأعلام: ٢١٦/٥).

(٢) الخَفَضُ: السعة والرغد. النَّصَبُ: التعب والإعياء.

(٣) سقط الزند: ١٧٥. والبيت من قصيدة يُهتَى فيها بمولود.

وهو مأخوذ من قول أبي الطيب^(١): [من الكامل]
 فِي رُتْبَةٍ حَجَبَ الْوَرَى عَنْ نَيْلِهَا وَعَلَا فَسَمَّوْهُ عَلِيَّ الْحَاجِبَا
 وقال ابن الرومي^(٢): [من الطويل]
 كَأَن أَبَاهُ حِينَ سَمَّاهُ صَاعِدًا رَأَى كَيْفَ يَرْقَى لِلْمَعَالِي وَيَصْعَدُ
 لما سمع البحري هذا قال أخذه من قولي^(٣): [من الكامل]
 سَمَّيْتُهُ أَسْرَتَهُ الْعَلَاءَ وَإِنَّمَا قَصَدُوا بِذَلِكَ أَنْ يَتِمَّ عُلاُهُ
 وقال آخر: [من الكامل]
 شُمُّ الْأَنْوَفِ لِذَاكَ قَدْ سُمُّوا بِهَا وَمِنَ الْمُسَمَّى تُؤْخَذُ الْأَسْمَاءُ
 وقال ابن سوار^(٤) في القاضي ابن حَمْدَانَ: [من الكامل]
 مِنْ مَعْشَرٍ حُمِدُوا فَأَحْمَدَ سَعِيهِمْ وَلِذَاكَ قَدْ سُمُّوا بِنِي حَمْدَانَ
 وقال البحري^(٥): [من الكامل]
 سَمَّاهُ سَعْدًا لِّلْفَاوِلِ بِاسْمِهِ حَقًّا لَقَدْ أَلْفَاهُ سَعْدُ الذَّابِحَا
 كان شهاب الدين القوصي^(٦) يوماً عند الملك الأشرف، وقد دخل إليه
 سعد الدين الحكيم، وكانت بينهما وحشة، فقال الأشرف: ما تقول يا شهاب
 الدين في سعد الدين؟ فقال: يا خوند إذا كان عندك فهو سعد السعود، وعلى
 السماط سعد بلع، وفي الخيام عن الضيوف سعد الأخبية، وعند المرضي سعد
 الذابح.
 حدّثني الشيخ المولى القاضي علاء الدين علي بن غانم قال: عَتَبَنِي يَوْمًا

(١) ديوان المتنبي: ٢٤١/١.

(٢) ديوان ابن الرومي: ١١٧/٢. والبيت من قصيدة يمدح بها صاعد بن مخلد، المتوفى سنة ٢٧٦هـ.

(٣) ديوان البحري: ٣٣٦/١. والبيت من قصيدة يمدح بها صاعد بن مخلد، وابنه أبا عيسى.

(٤) هو أبو المعالي، نجم الدين، محمد بن سوار الشيباني: شاعر غزل. ولد بدمشق، وتوفي فيها سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨م. (الأعلام: ١٥٣/٦).

(٥) لم يرد هذا البيت في ديوانه.

(٦) هو أبو المحامد، شهاب الدين، إسماعيل بن حامد بن عبد الرحمن الأنصاري الخزرجي القوصي: فقيه، أديب، محدّث. ولد بقوص، وتوفي بدمشق سنة ٦٥٣هـ/ ١٢٥٥. (الأعلام: ٣١٢/١).

القاضي شهاب الدين محمود وقال: قد بلغني أن جماعة ديوان الإنشاء يذمّونني وأنت حاضر ما تردّ غيبتني، فكتبت إليه: [من الطويل]

ومن قال إنّ القوم ذمّوك كاذبٌ وما منك إلا الفضل يوجد والجدُّ
وما أحدٌ إلّا لفضلك حامدٌ وهل عيب بين الناس أو ذمّ محمودٌ
فكتب إليّ أبياتاً منها: [من الطويل]

علّمتُ بأنّي لم أذمّ بمجلسٍ وفيه كريمُ القومِ مثلكَ موجودٌ
ولستُ أزكي النفس إذ ليسَ نافعي إذا ذمّ مني الفعل والاسم محمودٌ
وما يكره الإنسان من أكل لحمه وقد آن أن يبلى ويأكله الدودُ

فلم يبق بعد ذلك إلا أياماً قلائل وتوفي رحمه الله وأكله الدود. (رجع القول)
إلى بيتي المعريّ اللذين فيهما: فكان اسم الأمير لهنّ فلا، أخذ هذا المخلص من
قول أبي تمام الطائي^(١): [من الوافر]

إذا بُعثت على أملٍ بعيدٍ فقد قرّبت من الأمل البعيد
أبينّ فما يزرنّ سوى كريمٍ وحسبك أن يزرنّ أبا سعيد
ومن حسن التخلص قول أبي الطيّب^(٢): [من الطويل]

نودّعهم والبين فينا كأنه قنا ابن أبي الهيثجاء في قلب فيلق
وقال ابن الجهم: [من البسيط]

وليلة كحلّت بالنفس مقلّتها ألقّت قناع الدجى في كلّ أخذودٍ
قد كاد يُغرّقني أمواج ظلمتها لولا اقتباسي سنّاً من وجه داودٍ
وقال يذكر سحابة: [من الطويل]

أتتنا بها ريح الصّبا فكأنّها فتاة تُزجّيها عَجوزٌ تقودها
فما برحت بغداد حتّى تفجّرت بأودية ما تستفيق مُدودها
فلما قضت حقّ العراق وأهله أتاها من الريح الشمال بريدّها
فمرّت تفوت الطّرف سعيّاً كأنّها جنود عبّيد الله ولّت بنودها

(١) ديوان أبي تمام: ٢٦٠/١. والبيتان من قصيدة يمدح بها أبا سعيد محمد بن يوسف الثغري الطائي.

(٢) ديوان المتنبي: ١١٤/٢.

يريد انصراف عبيد الله بن خاقان^(١) عن الجعفري إلى «سرّ من رأى» عند قتل المتوكل . وقال ديك الجن : [من الخفيف]

وعَزِيزٌ يَقْضِي بِحُكْمَيْنِ فِي الرَّأْيِ
لِلنَّقَا رِدْفُهُ وَلِلْخُوطِ مَا حَمَّ
فَعَلْتُ مُقْلَتَاهُ بِالصَّبِّ مَا تَفَدَّ
وقال البحتري^(٢) : [من الطويل]

كَأَنَّ سَنَاها بِالْعَشِيِّ وَصُبْحَهَا
وقال محمد بن هانئ المغربي^(٣) : [من الطويل]

كَأَنَّ لَوَاءَ الشَّمْسِ عُرَّةَ جَعْفَرٍ
وقال ابن الساعاتي : [من الخفيف]

كَمْ وَقَفْنَا فِيهَا مَعَ الْغَيْثِ مِثْلُ
أَثْخَنَتُهُ ظُبَا الْبُرُوقِ جَرَّاحاً
فَكَأَنَّ الْغَمَامَ نَقْعٌ وَقَدْ جَرَّ
وقال أيضاً : [من الكامل]

مُنِعَتْ ظُبَاءُ الْمُنْحَنَى بِأَسْوَدِهِ
فَعَلْتُ بِنَا وَهِيَ الصَّدِيقُ لِحَاضِهَا
وقال أيضاً : [من الكامل]

أَبْكَى الْعَقِيقَ بِمِثْلِهِ وَتَهَبَّ أَنْ
وَجَدِي وَإِنْ كُنْتُ الذَّلِيلَ بَبِيضِهِ
فَاسِ الْعَضَا بِضَرَامِهِ الْمُتَسَعَّرِ^(٧)
وَجَدُ الْعَزِيزِ بِكُلِّ لَذْنٍ أَسْمَرِ

(١) هو أبو الحسن، عبيد الله بن يحيى بن خاقان: وزير، من المقدمين في العصر العباسي. استوزره المتوكل والمعتمد. توفي سنة ٢٦٣/٨٧٦م. (الأعلام: ١٩٨/٤).

(٢) لم يرد البيت في ديوانه.

(٣) هو أبو القاسم، محمد بن هانئ بن محمد بن سعدون الأزدي الأندلسي: من كبار شعراء الأندلس. ولد بإشبيلية، وقُتل غيلةً ببرقة سنة ٣٦٢هـ/٩٧٣م. (شذرات الذهب: ٤١/٣).

(٤) وَكَافَّةٌ: مبالغة من وَكَفَ الماء: سال وقطر.

(٥) الظُّبَا: جمع ظُبة: حَدُّ السِّيفِ. نهرات: من أنهر الدَّم ونحوه: أساله.

(٦) النَّقْعُ: الغبار. جَرَّدَ السِّيفَ: استله، أخرجته من غمده.

(٧) العضَا: شجر خشبه صلب، يدوم جمره إذا اشتعل طويلاً.

وقال ابن سناء الملك: [من الكامل]

لا يرجع الكَلِفُ الذليلُ عن الهوى أو يرجع الملكُ العزيزُ عن الندى^(١)

والأول أكمل وأحسن. وقال أيضاً: [من السريع]

فالوجدُ لي وَخديّ دونَ الورى والملكُ لله وللظاهر

وما أحسن قول أبي الحسين الجزار يمدح فخر القضاة نصر الله بن بصاقة^(٢):

[من الطويل]

وكم ليلةٍ قد بتّها مُعسِراً ولي بزُخرفِ آمالي كُنوزُ من اليُسْرِ

أقولُ لِقَلبي كلّما اشتقتُ للغنى إذا جاء نصرُ الله تَبَّتْ يدا الفِقرِ^(٣)

قلت: انظر إلى هذا الشاعر كيف تخلّص، ووثب إلى المديح وما تربّص،

وصدق نظمه في الحسن وما تخرّص، فاحذُ على مثاله إن كنت تحدّو، واغذُ بلبانِ

بيانه إن كنت تغذو. وقال أيضاً يمدح جمال الدين موسى بن يعمور: [من الطويل]

جَسَرْتُ على لثمِ الشقيقِ بخدّها ورَشَفَ رُضابٍ لم أزلُ منه في سُكرِ^(٤)

ولسْتُ أخافُ السّحرَ من لحظّاتها لأنّي بموسى قد أمنتُ من السّحرِ^(٥)

وقال النفيسُ القطرسي^(٦) يمدح شجاع الدين جلدك: [من مجزوء الكامل]

يا قَلْبُ مَنْ لَأَنْتَ مَعَا طِفُّهُ عَلَيْنَا ما أَشَدُّكَ

أَظَنَّنِي جَلَدَ الهَوَى أو أنّ لي عَزَمَاتِ جَلَدُكَ^(٧)

(١) الكَلِفُ: العاشق الشديد التعلّق بمحبوبه.

(٢) هو نصر الله بن هبة الله بن أبي محمد بن عبد الباقي الغفاري، أبو الفتح، المعروف بابن بصاقة: كاتب، مترسل، شاعر، ولي كتابة الإنشاء في الديار المصرية، وتوفي سنة ٦٥٠هـ/ ١٢٥٢م. (شذرات الذهب: ٢٥٢/٥).

(٣) تَبَّ الشيء تَبّاً، وَتَبَّأً، وَتَبَّيأً، وَتَبَّيأً: انقطع، وَتَبَّ فلان: خسر وهلك، وفي التنزيل العزيز: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾. [المسد: ١].

(٤) جَسَرَ: جَرَّوْهُ وَشَجَّعَ. اللَّثْمُ: التقبيل. الرَّشْفُ: المَصُّ. الرُّضَابُ: الرِّيقُ المرشوف.

(٥) موسى: هو موسى بن يعمور الممدوح، وهو أيضاً موسى عليه السلام، لأنه أبطل سحر مُشْعُوذِي فرعون بعصاه. وفي البيت تورية لطيفة.

(٦) هو أبو العباس، أحمد بن عبد الغني بن أحمد اللخمي، المُلقَّب بالنفيس القطرسي، نسبة إلى أحد أجداده (قطرس): شاعر أديب من أهل مصر. توفي سنة ٦٠٣هـ/ ١٢٠٦. (الأعلام: ١/ ١٥٢).

(٧) العزَمَات: جمع العزمة: الصَّبْرُ والجَدُّ.

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماسة يمدح سيدنا رسول الله ﷺ: [من مخلع

البسيط]

عُصْنُ نَقَا حَلٍّ عَقْدَ صَبْرِي بِلَيْنِ خَضْرِي كَادُ يُعْقَدُ
فَمَنْ رَأَى ذَلِكَ الْوَشَاحَ الصَّ نَائِمَ صَلَّى عَلَى مُحَمَّدٍ

قلت: انظر إلى حسن هذا المخلص ولطفه، وجنى البيان وقطفه، مع ما فيه من التورية الحسنة، والبلاغة التي تبيت لها الجفون وسنة. أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة رحمه الله يمدح الملك المؤيد صاحب حماة:

[من البسيط]

كَيْفَ الْخِلَاصُ لِمَطْوِيٍّ عَلَى شَجْنٍ وَقَدْ تَمَالَتْ عَلَيْهِ أَعْيُنُ سَحَرِهِ
تَغْزُوا لَوَاحِظُهُ فِي الْمُسْلِمِينَ كَمَا تَغْزُوا سُيُوفُ عِمَادِ الدِّينِ فِي الْكُفَرِهِ

وأنشدني الشيخ الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن سيّد الناس قال: أنشدني لنفسه الشيخ العلامة تقي الدين بن دقيق العيد رحمه الله تعالى: [من السريع]

كَمْ لَيْلَةٍ فِيكَ وَصَلْنَا السَّرَى لَا نَعْرِفُ الْعَمَضَ وَلَا نَسْتَرِيحُ^(١)
وَاخْتَلَفَ الْأَصْحَابُ مَاذَا الَّذِي يَزِيلُ مَنْ شَكَّوَاهُمْ أَوْ يُرِيحُ
فَقِيلَ لِي تَغْرِيسُهُمْ سَاعَةً وَقُلْتُ بَلْ ذِكْرَاكَ وَهُوَ الصَّحِيحُ^(٢)

قلت: انظر إلى هذا النظم ما ألطف تركيب ألفاظه وأحلاه، وكونه استعمل طريق الفقهاء في البحث في ذكر اختلاف الأصحاب وأنه قيل كذا وقيل كذا وقلت كذا وهو الصحيح، كأنه إمام الحرمين، وقد ألقى درساً في مسألة فيها خلاف بين الأصحاب، وقد رجح ما رآه هو عنده من الدليل. وما رأيت أحسن من هذا بينما هو يصف أحوالهم في السرى ومشاقهم في التعب وتشاورهم فيما بينهم وما أشار به كل منهم في إزالة ما حصل لهم من العناء إذا به قد برز من بينهم برأي أدخل فيه ذكر الممدوح ونص على تصحيحه فكأنه في حلقة الدرس وقد شرع في مسألة خلافية، ويحرم هذا النظم على غير الشيخ تقي الدين: [من المتقارب]

فَلَمْ تَكُ تَصْلُحْ إِلَّا لَهُ وَلَمْ يَكُ يَصْلُحْ إِلَّا لَهَا

وما أحقه لو أنشد قول الأرجاني: [من الكامل]

أَنَا أَشَعْرُ الْفُقَهَاءِ غَيْرَ مَدَافِعٍ فِي الْعَصْرِ لَا بَلَّ أَفْقُهُ الشُّعْرَاءِ

(١) السرى: سَيْرُ الليل.

(٢) التعريس: التزول آخر الليل للراحة.

وليس هو كما قال الآخر في بعض الناس: [من الخفيف]
هُوَ فِي الْفَقْهِ شَاعِرٌ لَا يُبَارَى وَهُوَ فِي الشَّعْرِ أَوْحَدُ الْفُقَهَاءِ
لَا إِلَى هَؤُلَاءِ إِنْ طَلَبُوهُ وَجَدُوهُ وَلَا إِلَى هَؤُلَاءِ
والأرجاني فيما تقدّم أخذ قوله من قولهم: كلام الملوك ملوك الكلام.
وأنشدني لنفسه الشيخ الإمام العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود إجازة ما كتبه
لصاحب اليمن جواباً عن هدية وردت منه قرين كتاب: [من المتقارب]
أَتَانِي كِتَابُكَ وَالْمَكْرُمَاتُ تَسِيرُ لَدَيْهِ مَسِيرَ السُّحُبِ
لَئِنْ جَاءَ فِي مَوْكِ مِنْ نَدَاكَ فَكُتِبَ الْمُلُوكُ مِلْوَكَ الْكُتُبِ
ونقلت من خط مجير الدين محمد بن تميم له: [من الوافر]

وَلَيْلَةٌ بَتَّهَا مِنْ تَعْرِ حَبِّي وَمَنْ كَاسِي إِلَى فَلَقِ الصَّبَاحِ
أَقْبَلُ أَقْحَوَاناً مِنْ شَقِيْقِي وَأَشْرُبُهَا شَقِيْقاً مِنْ أَقْحِ
ومن كلام الناس: كُتِبَ الْأَحْبَابُ أَحْبَابَ الْكُتُبِ، والعلم المشهور في هذا
الباب قوله ﷺ: جَارِ الدَّارِ أَحَقُّ بِدَارِ الْجَارِ. ولما قصد أبو تمام عبد الله بن
طاهر بن الحسين بخراسان وامتدحه بقصيدة أولها^(١): [من الطويل]

أَهْنِ عَوَادِي يُوسُفُ أَمْ صَوَاحِبُهُ
أُنْكَرَ عَلَيْهِ أَبُو سَعِيدِ الضَّرِيرِ، وَأَبُو الْعَمَيْثِلِ^(٢) هذا الابتداء وقال له: لِمَ لَا
تَقُولُ مَا يَفْهَمُ؟ فَقَالَ لَهُمَا: لِمَ لَا تَفْهَمَانِ مَا يَقَالُ؟ فَاسْتَحْسَنَ مِنْ هَذَا الْجَوَابِ عَلَى
النُّفُورِ. يُقَالُ: إِنَّهُ عُرِضَ عَلَى الْقَاضِي الْفَاضِلِ رَقْعَةٌ بِاسْمِ مُؤَذِّنٍ يَسْتَعْدِمَانِ اسْمَ
أَحَدِهِمَا مُرْتَضَى، وَالْآخَرُ زِيَادَةٌ، فَوَقَعَ عَلَى رَأْسِهَا: أَمَّا زِيَادَةٌ فَمُرْتَضَى، وَأَمَّا مُرْتَضَى
فَزِيَادَةٌ، فَاسْتَعْدِمَ زِيَادَةً وَصُرِفَ مُرْتَضَى. وَهَذَا فِي غَايَةِ الْحَسَنِ، وَهُوَ مِنْ لُطْفِ
الْقَاضِي الْفَاضِلِ. وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ شَمْسِ الدِّينِ مُحَمَّدِ بْنِ التَّلْمِصَانِيِّ وَمِنْ خَطِّهِ
نَقَلْتُ: [من الرجز]

يَا أَبَا بِي مَعَاظِفٍ وَأَعْيُنُ يَصُولُ مِنْهَا رَامِحٌ وَنَابِلٌ^(٣)

(١) ديوان أبي تمام: ١٥٢/١. والبيت بتمامه:

أَهْنِ عَوَادِي يُوسُفُ وَصَوَاحِبُهُ فَعَزَّمَا فَقْدَمَا أَذْرَكَ السُّوْلَ طَالِبُهُ

(٢) هو عبد الله بن خليل بن سعد، أبو العميثل الأعرابي: شاعر نشأ في البادية، ثم اتصل بالأمير
طاهر بن الحسين، ولازمه، وأدب بنيه. توفي سنة ٢٤٠هـ/٨٥٤م. (الأعلام: ٨٥/٤).

(٣) رامح: قوام كالرمح. نابل: لحظ يرمي بالنبال.

فَهَذِهِ ذَوَابِلُ نَوَاضِرٍ وَهَذِهِ نَوَاضِرُ ذَوَابِلٍ
هذا من أعلى طبقات هذا النوع لأنه رد العجز على الصدر بألفاظه مع اختلاف
المعنى، وقلت أنا في مثل هذا النوع: [من مخلع البسيط]

أَضَاعَ نُسْكَي عِذَاؤُ مِسْكَي فَكَيْفَ تَرْكِي لِحَاظُ تَرْكِي
قَدْ شَكَّ قَلْبِي بِرُمُوحٍ قَدْ قَدْ فَوَّادِي بِغَيْرِ شَكٍّ^(١)

وقلت في النوع الأول أيضاً: [من مخلع البسيط]

قَدْ فَاقَ غَصْنَ النِّقَا حَبِيبِي وَأَخْجَلَ الْبَدْرَ فِي التَّمَامِ
ذَاكَ قَوَامٌ بِلَا مُحَيِّيًا وَذَا مُحَيِّيًا بِلَا قَوَامٍ

وكان نجم الدين بن إسرائيل يقول: أنا شاعر الفقراء بل وفقير الشعراء. وقال بعضهم في صاحب الشذور: وهو إما شاعر الحكماء أو حكيم الشعراء. وقال آخر: من ردّ الأعجاز على الصدور، قبور الأحياء أحياء القبور. (رجع القول) إلى أبيات الشيخ تقي الدين رحمه الله وقد أخذ الشيخ كلامه من قول ذي الرمة: [من الطويل]

وَنَشْوَانٌ مِنْ طُولِ النِّعَاسِ كَأَنَّهُ بِحَبْلَيْنِ مِنْ مَشْطُونَةٍ يَتَرَجَّحُ^(٢)
إِذَا مَاتَ فَوْقَ الرَّحْلِ أَحْيَيْتُ رُوحَهُ بِذِكْرِكَ وَالْعَيْسُ الْمَرَّاسِيلُ جُنْحُ^(٣)

ولكنه أخذه جسداً فارغاً فزاده روحاً، وأوحى إلى الأسماع أطيب ما يوحى، ولأبي نواس شيء من هذا المذهب في الشعر، يذكر البحث والجدل في قوله^(٤):
[من الرمل]

فَأَخَرْتُ كُلَّ شَرَابٍ فَسَمَتُ رُتْبَةً لَيْسَ يُضَاهِيهَا شَرَابُ
لَا نُمَارِيكَ عَلَى تَحْرِيمِهَا إِنَّ نَقْلُ مَا حَرُمْتُ طَالَ الْخَطَابُ^(٥)
حَرُمْتُ مَا حَرُمْتُ بَلْ حَرُمْتُ جَاءَ فِي التَّنْزِيلِ نَهْيٌ وَاجْتِنَابُ
قَالَ هَلْ أَنْتُمْ فَقُلْنَا نَحْنُ لَا وَسَكْتْنَا كُلَّنَا وَاسْتَدَّ بَابُ

كان يقال: أبو نواس فقيه غلب عليه الشعر، والشافعي شاعر غلب عليه الفقه،

(١) قَدْ فَوَّادِي: شَقَّه.

(٢) مَشْطُونَةٌ: مشدودة بالظن: الحبل.

(٣) الْعَيْسُ: الإبل الكريمة، أو التي يخالط بياض لونها شقرة. المراسيل: جمع المرسال: الناقة السهلة السير السريعة. جنح الحيوان في سيره: مال بعنقه إلى الأمام لشدة عدوه واندفاعه.

(٤) لم ترد أبيات في ديوانه (دار الكتاب العربي).

(٥) نُمَارِي: نُجَادِل.

والشافعي والخليل بن أحمد وأبو بكر بن دُرَيْد معدودون من العلماء الشعراء. ومن شعر الشيخ تقي الدين ما أنشدنيه الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين بن سيد الناس، قال: أنشدني شيخنا تقي الدين لنفسه: [من السريع]

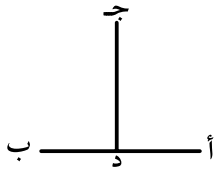
قالوا فلان عالم فاضل فأكرموه مثل ما يرتضي
فقلت لمّا لم يكن ذا تقى تعارض المانع والمقتضي
وكل من عانى النظم، وغلب عليه فنٌّ من الفنون، مال به إلى ذلك الفنّ
وغلبت عليه قواعده، واستعملها في مقاصده الشعرية وتخيلات معانيه، وظهر على
ما يرومه اصطلاح ذلك الفنّ وأحكامه. ألا ترى إلى أبي الفتح البستي ومقاطيعه
المشهورة في الآداب والحكم، كيف يغلب عليها ألفاظ المنجمين.

حكى أنّ بعض الأطباء كان في خدمة بعض الملوك في غزوة، لم يكن معه
وقت النصرة كاتب ترسل. فأمر الطبيب أن يكتب للوزير يعلمه بذلك. فكتب: أما
بعد، فإنّا قد كنا مع العدو في حلقة كدائرة البيمارستان، حتى لو رميت مبضعاً لما
وقع إلا على قيفال، فلم يكن إلا كنبضة أو نبضتين، حتى لحق العدو بحران عظيم،
فهلك الجميع بسعادتك يا معتدل المزاج. قلت: ما رأيت أحسن من هذا ولا أوجز
ولا أبلغ ولا أحسن ضرب مثل، ولا أحسن تشبيهاً وهو في غاية الفصاحة. ولما
أنكر على القرش النقاش بسبب لوح البريد الذي نقشه لعزّ الدولة، وطلب طلباً
مزعجاً، اختفى مدّة ثم كتب إلى القاضي علاء الدين بن عبد الظاهر رقعة فيها يقبل
الأرض، وينهي أن له ثلث سنة محقق وهو مختف في حواشي البيت خوفاً من
الإشعار، فإن المملوك يخشى الرقاع من صاحب الطومار، والمملوك يسأل نسخ
هذه القضية بحيث لا يقع عليه غبار، فإنه واللّه ما يحمل عود ريحان. فأعجبه ذلك
ولم يزل يتلطف له عند سلال والجاشنكير، إلى أن خمدت قضيته وسكنت.

قلت: الكل مناسب إلا قوله الإشعار، فإنه في الأصل بفتح الهمزة لأنه الذي
يكتب الأشعار والقرش رحمه الله استعمله مكسور الهمزة مصدر أشعر به إشعاراً،
ولكنه لحنٌ خفيّ خفيف على القلب والسمع. وقريب من هذا قول من كان يُعرف
 بالرياضي حين احتضر: اللهم يا من يعلم قطر الدائرة ونهاية العدد والجذر الأصم،
إقبضني إليك على زاوية قائمة، واحشرنني على خط مستقيم.

قلت: لا بأس بالكلام على ما يتعلق بهذا. (قطر الدائرة): هو الخط الذي يمرّ
بالمركز ويقطع الدائرة بنصفين. وقيل هو أطول خط في الدائرة والخط، قال
أوقليدس في رسمه: الخط طول لا عرض له. قالوا: في هذه العبارة تجوّز لأن
الطول إنما هو صفة الخط، والخط هو المقدار المتّصف بالطول فقط. فالعبارة

السديدة في ذلك أن يقال: الخط هو ما له طول فقط، لأن الخط من مقولة الكم، والطول من مقولة الكيف، وبتصوّر وجود الخط في الحس إذا كان فصلاً مشتركاً بين لونين، كالفصل المشترك بين الماء والزيت. فأنت ترى طولاً بلا عرض وهذا أخرى الأمثلة له في الخارج، والدائرة رسمها أوقليدس فقال: كل شكل مسطح محيط به خط واحد في داخله نقطة. كل الخطوط المستقيمة الخارجة منها إلى الخط المحيط متساوية، وتسمى تلك النقطة مركز الدائرة. قالوا: أشار إلى معنى ليس بوجود لأنه ليس يوجد في الحس شكل على هذه الصفة، أي على غاية الاستدارة، وفي وسطه نقطة كل الخطوط الخارجة منها، كما قال، متساوية غاية التساوي. فالصفة مفهومة والعنقاء غير موجودة، لأن الحس كثير الغلط، فما يوجد بالحس لا يوثق به، ولأن الأشياء المحسوسة مستحيلة كآنية فاسدة ليست ثابتة على صفة واحدة ولا آن واحد. والجواب: أنها متحققة في الذهن فهي معقولة فهي ثابتة الوجود. هذا كلام الكركري وكأنه حاول إثبات الدائرة في الخارج فعجز عن ذلك فوقف عند إثباتها في الذهن، وذهل عن الفلك أنه موجود في الخارج، وهو كرة صحيح الاستدارة بالإجماع من الرياضيين والطبيعيين، حسبما تقتضيه البراهين من الفريقين. ومتى وجدت الكرة وجدت الدائرة، أقل ذلك منطقة الكرة فإنها محيط دائرة بلا شك. فعلى هذا قطر الدائرة خط مستقيم، ومحيطها خط مستدير وهما متباينان بالنوع فلا نسبة بينهما فمتى كان محيط الدائرة معلوماً كان القطر مجهولاً ضرورة، وإنما قرّبهُ أرشميدوش بأن جعل القطر سبعة من اثنين وعشرين بأقرب تقريب، فعلى هذا لا يعلم نسبة قطر الدائرة من محيطها تحقيقاً إلا الله تعالى، وكذلك نهاية العدد لا يعلمها إلا الله تعالى لأن كل عدد نفرضه تمكن الزيادة عليه دائماً فلا نقدر على تحصيل النهاية، وكذلك الجذر الأصم لا يعلمه إلا الله تعالى، لأن الجذر مقدار إذا ضرب في نفسه قام منه العدد، وجذر الواحد مساوٍ له لأنه واحد، وجذر العدد الصحيح أقل منه كالتسعة جذرها ثلاثة، وجذر الكسر أكثر منه لأن الربع جذره نصف، والأعداد منها ما له جذر ويسمى المفتوح كالواحد، والأربعة والتسعة، والستة عشر، وغير ذلك. ومنها ما لا جذر له معلوم وإن كان لا بدّ له من جذر في نفس الأمر كالعشرة ويسمى الأصم فإنه أي كسر أضفناه إلى الثلاثة وضربنا المجموع في نفسه لا بدّ أن يزيد عن العشرة أو ينقص عنها، فلا نعلمه على التحقيق بوجه، ولهذا يحكى عن فلاسفة الهند



أنهم يقولون: سبّحان العالم بمخارج الجذور الصم. وأما الزاوية القائمة فكل خط يقوم على خط قياماً معتدلاً لا ميل فيه إلى إحدى الجهتين يسمى عموداً. فإن الزاويتين اللتين على جنبتَي العمود متساويتان فهما قائمتان وهذه صورته: لأنك إذا أقمت

على خط ا ب عمود ج د فالزاويتان اللتان على جنبتي العمود متساويتان فهما قائمتان . فلو كان العمود القائم على خط ا ب مائلاً كانت زاوية ا ج د منفرجة وكانت زاوية د ج ب حادة ، فقله : اقبضني على زاوية قائمة ، أراد بذلك أنها أعدل الزوايا وأنه لا ميل لواحدٍ من خطيها على الآخر ولا عنه . ولذلك ينسب إليها سائر الزوايا الحادة والمنفرجة . كما تقول زاوية المثلث ثلثا زاوية قائمة وزاوية المسدس قائمة وثلث وكذلك الجميع . وأما الخط المستقيم فقد رسمه أوقليدس بأن قال : إنه الموضوع على مقابلة أي النقط كانت عليه بعضها البعض ، ومراده بذلك أن تكون النقط كلها متقابلة في سمت واحد ، أعني أن لا يكون بعضها أرفع وبعضها أخفض كالقوس مثلاً فإنّنا إذا اعتبرناها من جهة المحدودب كانت النقط المتوسطة أرفع من المتطرفات ، وإن اعتبرناها من جهة المقعر كان الأمر بالعكس ، بخلاف الخط المستقيم . ورسمه أرشميدوش بأنه أقصر خط يصل بين نقطتين . وهذا يرد عليه أنه غير شامل لأنه إنما حدّ من الخط المستقيم ما هو متناه بين نقطتين والمستقيم أعم من ذلك . ورسمه أبو علي بن الهيثم بأنه الذي إذا ثبت طرفاه وأدير دورة تامّة لم يحدث من دورانه سطح ، ويُردُّ عليه ما يُردُّ على أرشميدوش ، وأنه استعمل في رسمه الحركة وليست من موضوعات الهندسة ، وكأنّ الفائل لمح من هذا الصراط المستقيم . رجع إلى قوله : كل من قال الشعر غلب على معانيه ما يعانيه من الفنون ؛ هذا الشيخ صدر الدين بن الوكيل لمّا كان الفقه يغلب على فنونه تجد كلامه في الغالب إذا خلا من القواعد الفقهية ينحط عن رتبة الحسن . ألا ترى ما أحسن قوله في القصيدة البائية : [من البسيط] ما الكأس عندي بأطراف الأنامل بل بالخمس تقبض لا يحلو لها الهرب شجبت بالماء منها الرأس موضحة فحين أعقلها بالخمس لا عجب لا يخفى ما في هذا الثاني من المحاسن التي تقف الأفهام دون غايتها وتؤمن الأسماع بآيتها وتمتد كفّ الثريا إلى رفع رايتها ، ولولا خوف الإطالة لأعطيت هذا المقام ما يستحقه ، ونبهت على ما تضمّنه من أنواع البديع الذي يملك القلب الغليظ ويسترقّه ، وإن كان قد أخذه من قول عكاشة الصوفي في أصل المعنى : [من الكامل] حمراء مثل دم العزال وتارة بعد المزاج تخالها زرياباً^(١) وإذا المزاج علا فشجّ جبينها نفثت بالسنّة المزاج حباباً^(٢) ولكنه أخذه ذهباً فجعله يتوقّد لهباً ، وتناوله قبساً فأطلعه في أفق البلاغة شهباً ،

(١) الزرياب : الذهب ، أو ماؤه .

(٢) المزاج : ما يُمزج به الشراب ونحوه . شجّ : شقّ . الحباب : الفقائيع التي تعلق الشراب .

وزاده من الفقه زيادةً رقصت بها الأعطاف طرباً، وهزّت الرؤوس عجباً، ومن تأمّله وجد التورية قد مدّت فيه على المجرّة طنباً، وأخذت محاسن النيرين سلباً.

قال صاحب الأغاني: إن المهدي لمّا سمع الأبيات قال لعكاشة: لقد وصفت الخمر فأحسنت في وصفها إحساناً من شربها وقد استحققت الحدّ. فقال: أيؤمّني أمير المؤمنين حتى أتكلّم بحجتي. قال: قد أمّنتك. فقال: وما يدريك يا أمير المؤمنين أنني قد أجدتُ وصفها إن كنت لا تعرفها؟ فقال له المهدي: أغرب قبّحك الله. وما أحسن قول الشيخ صدر الدين أيضاً: [من الكامل]

لَمْ يُضْلِبِ الرَّاؤُوقُ إِلَّا عِنْدَمَا قَطَعَ الطَّرِيقَ عَلَى الْهُمُومِ وَعَاقَهَا^(١)
وقوله أيضاً: [من الطويل]

أَرُقْتُ دَمَ الرَّاؤُوقِ حَلًّا لَأُنِّي رَأَيْتُ صَلِيباً فَوْقَهُ فَهُوَ مُشْرَكُ
وَزَوَّجْتُ بِنْتَ الْكَرَمِ بَابِنِ غِمَامَةٍ فَصَحَّ عَلَى التَّعْلِيقِ وَالشَّرْطِ أَمْلِكُ^(٢)

هذا الآخر من نمط الأول في استعماله قواعد الفقهاء والتورية بالتعليق مع تضمين المثل، والأوّل أخذه من قول سيف الدين بن المشد في مليح نصراني: [من البسيط]

يَضْبُو الْحَبَابَ إِلَى تَقْبِيلِ مَبْسَمِهِ وَتَكْتَسِي الرَّاحُ مِنْ خَدْيِهِ أَنْوَارًا^(٣)
مِنْ أَجْلِ ذَا أَصْبَحَ الرَّاؤُوقُ مَنْعَكْفًا عَلَى الصَّلِيبِ وَشَدَّ الْكَاسُ زَنَارًا
واستعمله صدر الدين أيضاً فقال: [من البسيط]

يَا غَايَةَ مُنِيَّتِي وَيَا مَعْشُوقِي مِنْ بَعْدِكَ لَا أَضْبُو إِلَى مَخْلُوقِ
يَا خَيْرَ نَدِيمٍ كَانَ لِي يُؤْنِسِي مِنْ بَعْدِكَ صَلَّيْتُ عَلَى الرَّاؤُوقِ^(٤)

وما أحسن قول شمس الدين محمد بن دانيال فيما ينقش على مشراط حجّام، وضمنه المثل الذي أتى به صدر الدين: [من مجزوء الكامل]

أَنَا لَا أَكَلَّمُ وَأَصْبَأُ إِلَّا بِإِذْنٍ مِنْهُ يُمْلِكُ^(٥)
شَرْطِي شِفَاءُ الْهَالِكِي مِنْ مَنْ الْأَذَى وَالشَّرْطُ أَمْلِكُ
لا يخفى حسن التورية في أكلم والشرط أملك. رجع إلى حسن المخلص:

(١) الراؤوق: المصفاة: إناء يُرَوَّقُ فيه الشراب، أو الكأس.

(٢) بنت الكرم: الخمر. ابن الغمامة: الماء، أو الثلج.

(٣) الحباب: الفقاقيع التي تعلق الماء أو الشراب. الراح: الخمر.

(٤) النديم: الصاحب على الشراب.

(٥) الواصب: المريض الموحج.

ومن أحسن ما فيه قول القائل أبي عبد الله السننسي^(١) يمدح سيف الدين صدقة بن منصور بن ديبس^(٢): [من البسيط]

وَنَرْجِسٍ خَضِلٍ تَحْكِي أَزَاهِرُهُ أَحْدَاقَ تَبْرِ عَلَى أَجْفَانِ كَافُورٍ^(٣)
كَأَنَّمَا نَشْرُهُ فِي كُلِّ بَاكِرَةٍ مِسْكٌ تَضَوُّعٌ أَوْ ذِكْرُ ابْنِ مَنْصُورٍ^(٤)

وأما ابن حجاج فما شقّ غباره في حسن المخلص إلى المديح، ولا سابقه برق فضلاً عن الريح، بينا هو يهدر سخفاً، إذا به قد رفع إلى المديح سجعاً، يتصل مديحه بمجونه، اتصال الزهر بغصونه، والحديث بشجونه، ويتجد منه الجدّ بالهزل، اتحاد الذلّ بالعزل والجذب بالأزل^(٥)، فمن ذلك قوله من قصيدة: [من مجزوء الرجز]

النَّيْكَ مَنْ قَدَّامَ فِي هَذَا الزَّمَانِ قَدْ تَرَكُ
فَدَوَّرْتُ لِي فَتْحَ مِثْلَ اللَّجِينِ الْمُنْسَبِكِ^(٦)
فَقُلْتُ يَا سَيِّدَتِي أَحْسَنْتِ لَا فُجَعْتُ بِكَ
أَحْسَنْتِ يَا أَوْسَعَ مِنْ فُتُوحِ مَوْلَانَا الْمَلِكِ

وقال أيضاً: [من الوافر]

وَقَدْ بَادَلْتُهَا فَمَبَالِهَالِي بِمُشُورَةٍ إِسْتَهَا وَلَهَا قَذَالِي^(٧)
كَمَا لَابَنِ الْعَمِيدِ جَمِيعُ مَدْحِي وَدُنْيَا ابْنِ الْعَمِيدِ جَمِيعُهَا لِي

ومن حسن التخلص قول ابن المعتز^(٨): [من الكامل]

وَاللَّهِ لَا كَلَّمْتُهَا وَلَوْ أَنَّهَا كَالْبَدْرِ أَوْ كَالشَّمْسِ أَوْ كَالْمَكْتَفِي

(١) هو أبو عبد الله، محمد بن خليفة بن حسين النيمري، السننسي، الأنباري: شاعر، قائد، أصله من «هيت»، وأقام في الحلة، في خدمة سيف الدولة صدقة بن منصور، وابنه من بعده. توفي سنة ٥١٥هـ/١١٢١م. (الأعلام: ١١٦/٥).

(٢) من أمراء بني مزيد الأسديين، أصحاب الحلة. توفي سنة ٥٣٢هـ/١١٣٨م. (الأعلام: ٣/٢٠٢).

(٣) الخَضِلُّ: الندي، المُبْتَلُ: الثَّبرُ: الذهب الخالص. الكافور: شجر يتخذ منه مادة شفافة بلورية الشكل، لونها إلى البياض، رائحتها عطرية، وطعمها مرّ.

(٤) النسر: الرائحة الطيبة.

(٥) الأزل: الضيق والشدة.

(٦) اللجين: الفضة.

(٧) القذال: جماع مؤخر الرأس.

(٨) ديوان ابن المعتز: ٤٨٧. وفيه: «والله لا كلمته ولو أنه».

وقد أشار ابن سناء الملك إلى هذا في قوله: [من الكامل]

وَمَلِيحَةٍ بِالْحَسَنِ يَسْخَرُ وَجْهَهَا بِالْبَدْرِ يَهْزَأُ رِيقُهَا بِالْقَرْقَفِ^(١)
لَا أَرْضِي بِالشَّمْسِ تَشْبِيهَا لَهَا وَالْبَدْرِ بَلْ لَا أَكْتَفِي بِالْمَكْتَفِي
وَتَعَنَّتْ عَلَيْهِ ابْنُ جَبَّارَةٍ فِي تَعْلِيْقَتِهِ الَّتِي أَمْلَاهَا عَلَى شَعْرِ ابْنِ سَنَاءِ الْمَلِكِ وَقَالَ
عِنْدَ هَذَا الْبَيْتِ: هَذَا نَوْعٌ مِنَ الْجَنُّونِ وَالْإِخْتِلَاطِ، وَذَلِكَ أَنَّ هَذَا الشَّاعِرَ كَثِيرًا مَا
يَسْمَعُ الشَّعْرَ وَيَخْتَلِطُ فِيهِ ذَهَنُهُ فَيَأْتِي بِهِ عَلَى غَيْرِ مَا يَقْتَضِيهِ، فَإِنَّ ابْنَ الْمَعْتَزِ أَنْشَدَ
الْبَيْتَ وَأَرَادَ كَوْنَهَا فِي الْحَسَنِ كَالشَّمْسِ الَّتِي هِيَ آيَةُ النَّهَارِ، أَوْ كَالْبَدْرِ الَّذِي هُوَ آيَةُ
الْلَيْلِ، أَوْ كَالْمَكْتَفِي الَّذِي هُوَ خَلِيفَةُ الْأَرْضِ، فِي عَظَمِ الشَّأْنِ وَكِبَرِ السُّلْطَانِ، فَنَقَلَهُ
هَذَا الشَّاعِرُ إِلَى الْحَسَنِ، وَمِنْ أَيْنَ لِلْمَكْتَفِي صِفَةُ الْحَسَنِ، وَالَّذِي دَلَّتْ عَلَيْهِ التَّوَارِيخُ
أَنَّهُ كَانَ أَسْمَرَ أَعْيُنَ قَصِيرًا، وَلَيْسَتْ هَذِهِ مِنْ صِفَاتِ الْحَسَنِ، وَإِنَّمَا ظَنَّ أَنَّ ابْنَ الْمَعْتَزِ
وَصَفَهُ بِالْحَسَنِ فَمَشَى عَلَى ظَنِّهِ، وَأَخَذَ فِي مَهْيَعِ^(٢) فَتَنِهِ، وَلَيْسَ كَمَا ظَنَّهُ وَاعْتَقَدَ، وَلَا
قَصْدَ مَا قَصَدَ. وَأَحْسَنَ ابْنُ أَبِي السَّحْنَاءِ فِي قَوْلِهِ: [مِنَ الْبَسِيطِ]

الشَّعْرُ كَالرُّوْضِ ذَا ظَامٍ وَذَا خَضِْلٍ أَوْ كَالصَّوَارِمِ ذَا نَابٍ وَذَا خِضَمٍ^(٣)
مِثْلَ الْعِرَانِينَ هَذَا حَظُّهُ خَنْسٌ يَزْرِي عَلَيْهِ وَهَذَا حَظُّهُ شَمَمٌ^(٤)

قلت: ليس ابن سناء الملك ممن يخفى عليه هذا الذي ذكره، وإنما ذكر ابن
المعتمر المكتفي، خروجاً إلى المديح بعلاقة الحسن، وما زال الشعراء يصفون
الممدوح بالحسن والصباحة والطلاقة، ويشبهونه بالشمس والبدر والصبح، وذلك
مشهور لا يحتاج إلى شاهد يؤيده، وإنما قول ابن المعتمر قد شاع وذاع وملاً
الأسماع، وسار وطار في الأقطار بالاشتعار، فلمّا ذكر ابن سناء الملك حسن
محبوبته، وذكر الشمس والقمر والقافية فائية، كان المكتفي جالساً في طريقها وكان
في ذكره إشارة إلى قول ابن المعتمر مع زيادة الجناس، فقال: بل لا أكتفي بالمكتفي
الذي جعله ابن المعتمر غاية في الحسن عنده لأنه انتقل من أدنى إلى أعلى. ألا ترى
أن قول ابن سناء الملك فيه بل التي هي للإضراب، وهذا من الأدب غاية في حسن
النظم والتلعب بالكلام، وما ينكر هذا إلّا من ليس له ذوق بالأدب فإنه قد جاء من

(١) القرقف: الخمر، أو الماء البارد الصافي.

(٢) المهيّع: البين، الواضح.

(٣) ظام: عطشان. الصوارم: السيوف القواطع. سيف ناب: لم يُصب الضريبة. الخضم: السيف
القاطع.

(٤) العرانيين: جمع العرنين: ما صلب من عظم الأنف حيث يكون الشمم. الخنس: انخفاض قصبه
الأنف مع ارتفاع قليل في طرفه. الشمم: ارتفاع قصبه الأنف في استواء.

هذا النوع كثير في كلام المتأخرين . أنشدني لنفسه بالباب وبزاغة سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة المولى صفى الدين الحلّي : [من البسيط]

يُقْبَلُ الْأَرْضَ عَبْدٌ مِنْ عِبِيدُكُمْ عَلَيْكُمْ بَعْدَ فَضْلِ اللَّهِ يَعْتَمِدُ
مَا دَارُ مِيَّةٍ مِنْ أَسْنَى مَطَالِبِهِ يَوْمًا وَأَنْتُمْ لَهُ الْعِلْيَاءُ فَالسَّنْدُ^(١)
وقال ابن سناء الملك أيضاً : [من الطويل]

وَدُمِيَّةٌ مِنْ أَهْوَاهُ فِي الْحَسَنِ دُمِيَّةٌ وَصَدَّقَ قَوْلِي إِنَّهَا لَمْ تَكَلِّمْ
وقال أيضاً : [من الطويل]

إِذَا قِيلَ لَا تَهْلِكْ أَسَى فَجَهَالَةٌ لِقَائِلِ هَذَا قَوْلُهُ وَتَجَمَّلِ
وَمَا أَحْسَنَ مَا أَشارَ ابْنُ حِجَاجٍ إِلَى قَوْلِ ابْنِ نَبَاتَةِ السَّعْدِيِّ فِي فَرَسٍ أَغَرَّ
مَحْجَلٍ : [من الكامل]

عَظِيبَتْ صَبَاحٌ وَقَدْ رَأَتْنِي قَابِضاً أَيْرِي فَقُلْتُ لَهَا مَقَالَةٌ فَاجِرِ
بِاللَّهِ إِلَّا مَا لَطَمَتْ جَبِينَهُ حَتَّى يُحَقِّقَ فِيكَ قَوْلَ الشَّاعِرِ
إشارة إلى قوله : [من الكامل]

فَكَأَنَّمَا لَطَمَ الصَّبَاحُ جَبِينَهُ وَاقْتَصَّ مِنْهُ فَحَاضٌ فِي أَحْشَائِهِ
وهذا من المرقص ، وليس بعد هذا مزيد ولا غاية في الحسن وراءه . وما أحسن ما قال ابن سناء الملك رحمه الله في موضع آخر من شعره : [من الكامل]

بَأَبِي وَأُمِّي مَنْ يَكُونُ الْمُكْتَفِي بِجَمَالِهِ لَجَمَالِهِ كَالْمُقْتَدِي
هنا لم يرد بالمكتفي الخليفة ، ولكنه هنا اسم فاعل من اكتفى ، ولما وصل إلى المقتدي ترشح المكتفي للتورية ، لأن المكتفي والمقتدي خليفتان من بني العباس ، وقولي : كان المكتفي جالساً في طريق القافية ذكرت به ما اتفق لبشار بن برد مع تسنيم ، فإن بشاراً عرض له يوماً نظم بيت فقال^(٢) : [من البسيط]

مَا أَنْ تَحَرَّكَ أَيْرُ فَامْتَلَا شَبَقاً إِلَّا تَحَرَّكَ عِرْقٌ فِي اسْتِ^(٣)

(١) العلياء : المرتفع من الأرض . السند : ما قابلك من الوادي وعلا من السفح ، أو كُلُّ ما يُسْتَنْدُ إِلَيْهِ ويُعْتَمَدُ عَلَيْهِ .

وقد وردت الكلمتان (العلياء والسند) في قول النابغة الذبياني :

يَا دَارَ مِيَّةٍ بِالْعِلْيَاءِ فَالسَّنْدِ أَقُوْتُ وَطَالَ عَلَيْهَا سَالِفُ الْأَبْدِ

(ديوانه : ٣٠) .

(٢) ديوان بشار : ١٧٨ / ٤ .

(٣) في الديوان : « ما قام أير حمار » . الشَّبَقُ : شِدَّةُ الشَّهْوَةِ لِلْأُنْثَى .

ثم قيل له: في إستم مَنْ؟ فمرَّ به تسنيم بن الحواري فسلم عليه، فقال بشار: في إستم تسنيم. فقال له: إيش والك. قال له: لا تسل. قال: سمعت ما أكره فاذكر لي سببه. فأنشده البيت. فقال: ما حملك على هذا؟ قال: سلامك عليّ. قال: لا سلم الله عليك ولا عليّ إن سلمت بعدها عليك. رجع: وقد ذمّ بعض المتأخرين التخلص في بيت واحد، ولكنه حسن ما قبح فقال: [من الكامل]

بَيْنَا ذَوَائِبُ مَنْ يُحِبُّ بِكَفِّهِ حَتَّى تَعْلُقَ لِحْيَةَ الْمَمْدُوحِ
وقد جاء التخلص في القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الشعراء: ٦٩، ٧٠] إلى قوله تعالى: ﴿فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الشعراء: ١٠٢] فهذا تخلص من قصة إبراهيم وقومه إلى تمنّي الكفار في الدار الآخرة الرجوع إلى الدنيا ليؤمنوا بالرسول، وهذا تخلص خلافاً لأبي العلاء محمد بن غانم المعروف بالغانمي، فإنه أنكر وقوع التخلص في الكلام، وفي القرآن كثير منه، والله تعالى أعلم.

أَرِيدُ بَسْطَةَ كَفِّ أَسْتَعِينُ بِهَا عَلَى قَضَاءِ حُقُوقِ لِلْعَلَى قِبَلِي

(اللغة). الإرادة: المشيئة وأصله الواو لقولك: راودته إلا أن الواو سكنت فنقلت حركتها إلى ما قبلها فانقلبت في الماضي ألفاً وفي المستقبل ياءً وسقطت في المصدر لمجاورتها الألف الساكنة وعوض منها الهاء في الآخر. تقول: راودته على كذا مراودةً ورواداً أي أرادته. (البسطة): السعة، وانبسط الشيء على الأرض. ومنه قوله تعالى: ﴿وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ﴾ [البقرة: ٢٤٧]. (الكف): تقدّم الكلام عليه في قوله: ناءٍ عن الأهل. (أستعين): أصله أستعون، ويأتي الكلام على ذلك في الإعراب، ومعناه أطلب الإعانة. (القضاء): الحكم. قال الله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: ٢٣] أي حكم، وقد يكون بمعنى الفراغ من قضيت حاجتي، وقد يكون بمعنى الأداء والإنهاء. تقول: قضيت ديني، وهذا المعنى هو المراد هنا. (الحقوق): جمع حق وخلاف الباطل، والمراد به هنا ما يلزم ذمّة الإنسان من المروءة في الجود وما أشبهه. (العلی): هو الرفعة والشأن والشرف والجمع المعالي، فإذا فتحت العين مددت فقلت العلاء، وإذا ضمنت قلت العلى بالقصر. (القَبَل)^(١): الطاقة. تقول مالي به قبل أي طاقة، فهو كأنه احتمال الذي يلتزم بالقيام بما في ذمّته. (الإعراب): أريد: فعل مضارع ماضيه أراد والقاعدة في حرف

(١) من معاني «القَبَل» المناسبة لهذا البيت: الجهة أو الناحية، أو «عند»؛ يقال: لي قبل فلان دين: عنده، وأصابه هذا الأمر من قبله: من عنده.

المضارعة أنه إذا دخل على رباعي كان مضموماً. تقول: تريد تحسن تقييم لأن الماضي أراد أحسن أقام وإن كان الفعل ثلاثياً مثل ضرب وذهب أو خماسياً مثل انطلق واقتتل أو سداسياً مثل استخرج واحرنجم، فإن حرف المضارعة يكون مفتوحاً في ذلك كله. تقول: يضرب ويذهب وينطلق ويقتتل ويستخرج ويحرنجم وإنما أعرب الفعل المضارع دون الأمر والماضي، لأن المضارع شابه الاسم بجواز شبه ما وجب له.

قال الشيخ جمال الدين محمد بن مالك في «شرح التسهيل»: لذلك ينبغي أن يعلم أنّ المعاني التي تعرض للكلم على ضربين، أحدهما: ما يعرض قبل التركيب كالصغير والجمع والمبالغة والمفاعلة والمطاوعة والطلب، فهذا الضرب بإزاء كل معنى من معانيه صيغة تخصه فلا حاجة إلى الإعراب بالنسبة إليه. والثاني من الضربين: ما يعرض مع التركيب كالفاعلية والمفعولية والإضافة، وكون الفعل المضارع مأموراً به أو علة أو معطوفاً أو مستأنفاً، فهذا الضرب تتعاقب معانيه على صيغة واحدة فيفتقر إلى إعراب يميّز بعضها عن بعض. والاسم والفعل المضارع شريكان في قبول ذلك مع التركيب، فاشتركا في الإعراب لكن الاسم عند التباس بعض ما يعرض له ببعض ليس له ما يغنيه عن الإعراب، لأن معانيه مقصورة عليه. فجعل قبوله لها واجباً لأن الواجب لا محيص عنه، والفعل وإن كان قابلاً بالتركيب لمعانٍ يخاف التباس بعضها ببعض، فقد يغنيه عن الإعراب تقدير اسم مكانه مثل: لا تعن بالجفا وتمدح عمرواً فإنه يحتمل أن يكون نهياً عن الفعلين مطلقاً وعن الجمع بينهما وعن الجفا وحده مع استثناء الثاني. فالجزم دليل على الأول، والنصب دليل على الثاني، والرفع دليل على الثالث، ويغني عن ذلك وضع اسم موضع كل واحد من المجزوم والمنصوب والمرفوع. تقول: لا تعن بالجفا ومدح عمرو ولا تعن بالجفا مادحاً عمرواً ولا تعن بالجفا ولك مدح عمرو. فقد ظهر بهذا تفاوت ما بين سببي إعراب الاسم وإعراب الفعل في القوة والضعف. فلذلك جعل الاسم أصلاً والفعل فرعاً والجمع بينهما بما ذكرته أولى من الجمع بينهما بالإبهام والتخصيص ولام الابتداء ومجازاة الفعل المضارع لاسم الفاعل في الحركة والسكون، لأن المشابهة بهذه الأمور بمعزلٍ عما جيء بالإعراب لأجله بخلاف المشابهة التي اعتبرت في الفعل الماضي من مشابهة الاسم ما يقابل المشابهة المعزوة للمضارع ولعله أكمل. فمن ذلك أن الماضي إذا ورد مجرداً من قد كان مبهماً في بعد المضي وقربه، وإذا اقترن بقدر تخلّص للقرب، فهذا شبهه بإبهام المضارع عند تجرّده من القرائن وتخلّصه للاستقبال بحرف التنفيس. وأما لام الابتداء وإن كان للمضارع بها مزيد شبه بالاسم لكونها لا تدخل إلا عليهما

فتقاومهما اللام الواقعة بعد لو، فإنها تصحب الاسم والفعل الماضي خاصة، كقوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا وَاتَّقَوْا لَمَثُوبَةٌ﴾ [البقرة: ١٠٣] ﴿وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا﴾ [الأنفال: ٢٣]. وليس اعتبار تلك أولى من اعتبار هذه ولو لم نظفر بهذه لقاوم تلك تاء التأنيث فإنها تتصل بآخر الفعل الماضي كما تتصل بآخر الاسم، فحصل للماضي بذلك من مشابهة الاسم مثل ما حصل للمضارع بلام الابتداء. ويقاوم لام الابتداء مباشرة مذ ومنذ فإن الماضي يشارك الاسم فيها دون المضارع، وأما مجازاة المضارع اسم الفاعل في الحركة والسكون فالماضي غير الثلاثي شريكه فيها وإنما يختص بها المضارع إذا كان الماضي على فعل مطلقاً أو على فعل متعدداً وللماضي ما يقاوم الغائب من اتحاد وزنه ووزن الصفة والمصدر وتقاربهما. فالاتحاد نحو طلب طلباً، وجلب جلباً، وغلب غلباً، وفرح، وأشر، وبطر، فهو فرح وأشر وبطر والمقاربة نحو تعب تعباً، وحسب حسباً، وكذب كذباً. ولا ريب أن هذا التوازن في هذا الضرب أكمل منه في يضرب فهو ضارب، فبان بما ذكرناه تفصيل ما اعتبرناه.

قلت: إنما أثبت هذا الفصل بطوله من كلام الشيخ جمال الدين لما فيه من الفوائد. وقد خالف الأقدمين في تعليل إعراب المضارع، ومال إلى هذا الرأي الذي استنبطه، وقد خالفه ولده الشيخ بدر الدين، ومال إلى مذهب المتقدمين، ولكن جمال الدين اجتهد في الاستقراء ولطف القياس. ومثل: لا تعن بالجفا وتمدح عَمَرُوا مثال النحاة في قولهم: لا تأكل السمك وتشرب اللبن يجوز في تشرب الرفع والنصب والجزم، أما إذا نصبت فيكون النهي عن السمك في حال شرب اللبن كأنك قلت: لا تأكل السمك شارباً اللبن. وإذا رفعت يكون النهي عن السمك والإباحة في شرب اللبن كأنك قلت: لا تأكل السمك ولك شرب اللبن. وأما إذا جزمت فيكون النهي عن الجمع بينهما. قيل: إن الجاحظ ناظر يُوَحِّتًا بن مَاسَوِيهِ^(١) في هذه المسألة فقال الجاحظ: لا يخلو الجمع بين السمك واللبن إما أن يكونا جميعاً متساويين أو متضادين، فإن تساويا كان الجمع بينهما بمثابة استعمال الكثير من أحدهما، وإن تضاداً كان كل واحدٍ منهما يقوم بدفع ضرر الآخر فلا فائدة في منع الجمع بينهما. فقال ابن ماسويه: هذا البحث ما أعرفه، ولكن متى جمعت بينهما انفلجت. قلت: فات تقسيم الجاحظ قسم آخر وهو أن يكونا متخالفين كالحموضة والبياض، فإنها ليست ضدّ البياض، ولا مشابهة له، بل مخالفته. وأما العلة في

(١) هو أبو زكريا، يوحنا بن ماسويه: من علماء الأطباء، سرياني الأصل، عربي المنشأ. ترجم للرشيد العباسي عدداً من كتب الطب القديمة، وجعله أميناً على الترجمة. توفي سنة ٢٤٣هـ/ ٨٥٧م. (الأعلام: ٢١١/٨).

الفالج وغيره من الآفات اللاحقة للجمع بين السمك واللبن دون انفرادهما وإن تضاعف مقدار كل واحدٍ منهما على الانفراد فهو أن المزاج يحدث للممتزج صورة لم تكن لكل واحدٍ من البسائط، كما أن السكنجيين اليسير منه يجمع الصفراء ويكسر عاديتهما على الفور، ولا يفعل ذلك السكر ولا الخل عند انفرادهما، واعتبر ذلك بالحبر فإن كل واحد من العفص والزاج ليس بأسود، والماء المستخرج فيه قوة كل واحدٍ منهما يقرب من الصفرة، فإذا امتزجا حدث السواد الحالّك. وعجائب المركبات إنما تتبع الصور اللاحقة للمزاج. ألا ترى أن الماء المعبر عنه بلبن العذراء كيف تختلف ألوانه بحسب السبق في الاختلاط وصورته أن يدق المرتك، ويعمل عليه أربعة أمثاله خل ويغلى ويصفى بالملعقة، ويعزل ماؤه في إناء ويدق القلي، ويعمل عليه أربعة أمثاله ماء قراح، ويغلى ويصفى بالملعقة ويعزل ماؤه في إناء ثانٍ فهذان الماءان إذا جُمع بينهما في إناءٍ ثالثٍ ظهرا بلون غير لونهما أسود أو أبيض، فإذا جمع بينهما في إناءٍ رابعٍ وخولف بين الصبّ من أحدهما على الآخر على ما تقدّم جاء لون آخر ضدّ اللون الأول، وهلمّ جرّاً، تبارك الله الذي أوجد عجائب هذا العالم في مخلوقاته، لا إله إلا هو الفعّال لما يريد.

(رجع إلى إعراب البيت). أريد: فعل مضارع مرفوع لخلوّه من الناصب والجازم، فإن قلت هذه علة عدمية والعدم لا يكون علة لوجود. قلت: معنى خلوّه من الناصب والجازم وجوده على أول حالاته قبل طريان الجازم والناصب، واستعمال الكلمة على أول حالاتها ليس بأمر عدمي، وإنما اخترت هذه العبارة وإن كانت رأي الكوفيين لأنها أقوى حجة من مذهب البصريين، فإنهم قالوا أعرب بالرفع لوقوعه موقع الاسم، وهو باطل لأنهم إما أن يريدوا موقعاً هو للاسم بالإصالة سواء جاز وقوع الاسم فيه، كما في نحو يقوم زيد أو امتنع منه كما في نحو جعل زيد يفعل، وإما موقعاً هو للاسم مطلقاً، فإن أرادوا الأول فهو باطل برفع المضارع بعد لو وحرف التحضيض لأنه ليس للاسم بالإصالة، وإن أرادوا الثاني فهو باطل أيضاً لعدم رفع المضارع بعد أن الشرطية لأنه موضع صالح للاسم في الجملة كقوله تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ ابْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦]. (بسطة): مفعول به فلهذا نصبه وفي المفعول به كلام طويل وبحث حسن ادّخرتهما لغير هذا المكان. (كفّ): مضاف إليه فلهذا جر. (أستعين): فعل مضارع مرفوع لخلوّه من الناصب والجازم كما تقدّم وأصله أستعون من العون فاستثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى العين ثم قلبت ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها، وموضعه النصب على ثلاثة أوجه إما على أنه مفعول لأجله أي

أريد بسطة كفّ للإعانة على قضاء الحقوق أو على أنه حال أي أريد بسطة كفّ مستعينا على كذا أو على الصفة لبسطة أي بسطة كف معينة لي. (بها): جار ومجرور ولم يظهر الجر لأن الضمائر كلها مبنية لشبهها بالحروف في الوضع، وسيأتي الكلام على الضمائر. (على قضاء): على حرف جر وسيأتي الكلام على تقسيمها. قضاء: مجرور بعلى. (حقوق): مجرور بالإضافة إلى قضاء. (للعلى): جار ومجرور ولم يظهر الجر فيه لأنه مقصور واللام تكون للملك نحو: المال لزيد، ولشبه الملك نحو: الباب للدار، وللتعدية نحو قوله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا﴾ [مريم: ٥]، وللتعليل نحو جئتكم لإكرامكم، وزائدة لتقوية عامل ضعف بالتأخير أو بكونه فرعاً عن غيره، فالأول نحو قوله تعالى: ﴿إِنْ كُنْتُمْ لِلرُّعْيَا تَعْبُرُونَ﴾ [يوسف: ٤٣]، وقوله تعالى: ﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٤] والثاني نحو قوله تعالى: ﴿مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة: ٨٩] وقوله تعالى: ﴿فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ﴾ [هود: ١٠٧] فاللام في بيت الطغرائي معناها شبه الملك. وقد رأيت مصنفاً لأبي القاسم الزجاجي قد قسم اللام فيه إلى أحدٍ وثلاثين قسماً وفصلها، وذكر كل قسم شواهد، ولا بأس بسردها هنا من غير تمثيل وهي: لام التعريف، ولام الملك، ولام الاستحقاق، ولام كي، ولام الجحود، ولام إن، ولام الابتداء، ولام التعجب، ولام تدخل على المقسم به، ولام جواب القسم، ولام المستغاث به، ولام المستغاث من أجله، ولام الأمر، ولام المضمّر، ولام تدخل في النفي بين المضاف والمضاف إليه، ولام تدخل في النداء بين المضاف والمضاف إليه، ولام تدخل في الفعل المستقبل لازمة في القسم لا يجوز حذفها، ولام تلزم إن المكسورة إذا خففت من الثقيلة، ولام العاقبة وسمّاها الكوفيون لام الصيرورة، ولام التبيين، ولام لو، ولام لولا، ولام التكثير، ولام تكون بمعنى عند، ولام تزداد في لعل، ولام إيضاح المفعول من أجله، ولام تعاقب حروفاً وتعاقبها، ولام البين، ولام تكون بمعنى إلى، ولام الشرط، ولام توصل الأفعال إلى مفعولين. (قبلي): منصوب بنزع الخافض على أنه ظرف مكان معنى، كأنه قال: على قضاء حقوق للعلى في طوقي ووسعي وما أفدر على الإتيان به، والعامل فيه، متعلق الجار والمجرور في العلى تقديره حقوق استقرت للعلى في قبلي. (المعنى): أحاول من الزمان بسطة كفّ من المال المتّسع لأجل الإعانة على وفاء حقوق استقرت في ذمتي للعلى. وكنى عن الغنى ببسطة الكف، لأن الغنيّ يبسط كفه بالنفقة، وكل غنيّ منفق باسط كفه. وما زال الإنفاق يسمى بسطاً والإمساك قبضاً. قال الله تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى

عُنُقَكَ وَلَا نَبْطُطُهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴿[الإسراء: ٢٩]﴾. وفي الآية الأولى إشكالان في الظاهر تتمسك بهما الملاحظة أحدهما: أن اليهود مطبقون على أنهم لم يقولوا هذا الكلام في حق الله تعالى، فكيف يخبر الله تعالى عنهم بما لا يقولونه ولا يعتقدونه، والجواب: من وجوه، الأول: وهو مذهب الحسن رضي الله عنه أن المراد بهذا الكلام قولهم: إن الله لا يعذبنا إلا على قدر الأيام التي عبدنا فيها العجل، إلا أنهم عبروا عن هذا المعنى بهذه العبارة الفاسدة. الثاني: قال المفسرون: إن اليهود كانوا أكثر الناس أموالاً وثروة، ولما بعث ﷺ ضاقت عليهم معاشهم ومنعوا من التكسب لاشتغالهم بأمره ومحاربتة. والجاهل إذا وقع في البلاء والشدة يقول مثل هذه المقالة. الثالث: أنهم لما رأوا أصحاب النبي ﷺ في غاية الفقر والحاجة قالوا على وجه السخرية والاستهزاء: إن إله محمد فقير مغلول اليد لا ينفق عليهم شيئاً. الرابع: لعله كان فيهم من يرى رأي الفلاسفة ويقول: إنه يوجب بالذات لا يحدث الحوادث إلا على نهج واحد وسنن واحد ولا يتعدى ذلك. والفاعل المختار يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد. فهو كما قال تعالى: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ [الرحمن: ٢٩] أي لا يزال في إبداع شؤون، فعبر الفلاسفة من اليهود عن هذا المعنى بهذه العبارة. الخامس: لعل هذا الكلام صدر منهم على هذا النظام في ذلك العصر وإن لم يكن الآن فيهم من يعتقد أنه كما نسبوا إلى عبادة العجل، وقولهم: عزير ابن الله، وإن لم يكن الآن فيهم من يعتقد أنه. والإشكال الثاني في قوله تعالى: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة: ٦٤]. قالوا: تقرّر بالدليل القطعي والبرهان العقلي أن الله تعالى ليس بجسم، وهذه الآية تشعر بالجسمية. والجواب: أن اليد في اللغة تطلق على معانٍ منها الجارحة، ومنها النعمة، تقول: له عليّ يد أي نعمة. ومنها القوة، تقول: مالي بهذا الأمر يد أي قوة تدفع. قال الله تعالى: ﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾ [ص: ٤٥] فسّروه بذوي القوى والعقول. ومنها الملك، تقول: هذه الضيعة في يدي. قال الله تعالى: ﴿الَّذِي يَدِيهِ عُرْدَةُ الْيَنْكَاخِ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي يملك ذلك. فالأولى يمتنع إثباتها في حق الله تعالى ولا يمتنع في حقه تعالى إثبات البواقي. بقي سؤال آخر: ما الفائدة في تشيئة اليد ههنا؟ الجواب: إن فسّرنا اليد بالنعمة فالمراد نعمة الدنيا ونعمة الدين أو الباطنة والظاهرة أو ما يتعلق بالدنيا والآخرة، وإن أردنا القوة فالمراد الاقتدار على الموت والحياة، أو الخذلان والنصر، أو الغنى والفقر، وما أشبه ذلك. وإن أردنا الملك فالمراد ملك الدنيا والآخرة، أو الإيمان والكفر، أو السعادة والشقاوة وما أشبه ذلك، فعلى كل تقدير من التفسير يده مبسوطتان ينفق كيف يشاء، أي متمكن

من إعطاء الدنيا والدين أو الإماتة والإحياء، أو الإسعاد والإشقاء، ردّاً عليهم فيما زعموه.

حكى أن بعضهم كان من المسرفين على نفسه فلما توفي رآه بعض من كان يعلم حال باطنه فقال له: ما فعل الله بك؟ قال: غفر لي. قال: بماذا؟ قال: كنت إذا تلوت هذه الآية قلت: غُلْتُ أيديهم وأطلت التشديد في اللام كالمتشفي بهم. ولم أطل الكلام هنا إلا لأن لفظ اليد يقع في القرآن والحديث كثيراً، وفي هذا ما يزيل تلك الشكوك. وكتاب «تأسيس التقديس» للإمام فخر الدين في هذا الباب جيد نافع للغاية، ولقد رأيت بعضهم بالغ في إثبات اليد واستشهد على ذلك بقوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧] فسقطت من كلامه مقهقهاً وتقهرت متدههاً وقلت له: الأيد هنا القوّة كالآد والتأييد. ومنه المؤيد. ولو كان المراد به جمع يد لأثبت الياء في آخره فقال بأيدي لأن هذه أصلية^(١) لا يجوز حذفها لأن أصل يد يدي والجمع يرد الأشياء إلى أصولها فلم يحر جواباً.

(رجع إلى معنى البيت). وقال رسول الله ﷺ: اللهم اعط كل منفق خلفاً وكل ممسك تلفاً. وما ظلم الطغرائي في طلب المال لإنفاقه فيما يكتسب به المحامد ويغنم به الأجور. قال ﷺ: نعم المال الصالح مع الرجل الصالح، وقال الحسن رضي الله عنه: إذا أردت أن تعرف من أين أصاب الرجل ماله فانظر فيما ينفقه فإن الخبيث ينفق في السرف. وقال أبو ذر: أموال الناس تشبه الناس. وروي عن النبي ﷺ أنه كان يأمر الأغنياء باتخاذ الغنم ويأمر الفقراء باتخاذ الدجاج، وفي المثل: مال المرء موثله وقوته قوته. وقال بعضهم: اثنان لا أدري أيهما أمر موت الغني أم حياة الفقير.

قال بعض الشعراء: [من الطويل]

وَمَا رَفَعَ النَّفْسَ الدُّنْيَا كَالْغَنَى وَلَا وَضَعَ النَّفْسَ الشَّرِيفَةَ كَالْفَقْرِ

وقال ابن المعتز^(٢): [من المتقارب]

إِذَا كُنْتَ ذَا ثَرَوَةٍ فِي الْوَرَى فَأَنْتَ الْمَسْوُودُ فِي الْعَالَمِ^(٣)
وَحَسْبُكَ مِنْ نَسَبٍ صُورَةٌ تُخَبِّرُ أَنَّكَ مِنْ آدَمَ

(١) ذكر علماء اللغة أن الاسم المنقوص مثل: الأيدي، الهادي، تثبت ياؤه في حالتي التعريف والإضافة، وتحذف في حالتي الرفع والجر إذا خلا منهما.

(٢) ديوان ابن المعتز: ٦٤٢.

(٣) في الديوان: «ذا ثروة من غني».

ولما توجه المعز أبو تميم معدّ بن منصور العبيدي^(١) إلى الديار المصرية بعد ما وصل غلامه القائد جوهر^(٢)، وملك مصر واختطّ له القاهرة، وكان العبيديون ينتسبون إلى فاطمة رضي الله عنها، خرج الناس إلى لقائه، ولما قرب من مصر واجتمع به الأشراف قال له من بينهم أبو محمد عبد الله بن طباطبا العلوي: إلى من ينتسب مولانا؟ فقال له المعز: سنعدّ لكم مجلساً ونجمعكم ونسرد عليكم نسبنا. فلما استقر المعز بالقصر جمع الناس في مجلس عام وجلس لهم وقال: هل بقي من رؤسائكم أحد؟ فقالوا: لم يبق معتبر. فسلّ عند ذلك سيفه وقال: هذا نسبي، ونشر عليهم ذهباً كثيراً وقال: هذا حسبي. فقالوا جميعاً: سمعنا وأطعنا، وما زال هؤلاء الخلفاء بمصر يدعون الشرف ويقولون: نحن من ولد فاطمة، يريدون بذلك التبجح على بني العباس خلفاء بغداد فيقولون: أبونا علي بن أبي طالب وأمنا فاطمة بنت رسول الله ﷺ، ومنهم الحاكم، وكان في كل جمعة يقول مثل هذا على المنبر، وكانت الرقاع ترفع إليه، وهو على المنبر في أشغال الناس، فرفعت إليه رقعة فيها: [من السريع]

إِنَّا سَمِعْنَا نَسَباً مُنْكَرًا يُتْلَى عَلَى الْمُنْبَرِ فِي الْجَامِعِ
إِنْ كُنْتَ فِيمَا قُلْتَ صَادِقًا فَانْسِبْ لَنَا نَفْسَكَ كَالطَّائِعِ
أَوْ كَانَ حَقًّا كُلِّ مَا تَدَّعِي فَاعْدُدْ لَنَا بَعْدَ الْأَبِ السَّابِعِ
أَوْ قَدَحِ الْأَشْيَاءِ مَسْتُورَةً وَادْخُلْ بِنَا فِي النَّسَبِ الْوَاسِعِ

فرماها من يده ولم ينتسب فيما بعد. والقيّمون بعلم الأنساب والتواريخ لا يثبتون لهم هذه النسبة. قلت: كذا رأيت جماعة من الفضلاء يروون هذه الواقعة للحاكم وليس بشيء لأن الحاكم توفي سنة إحدى عشرة وأربعمئة، وكان الخليفة ببغداد إذ ذاك القادر بالله، لأنه توفي سنة اثنتين وعشرين وأربعمئة، والطائع لله تقلّد الأمر سنة ثلاث وستين وثلاثمئة، وخلع من الخلافة سنة إحدى وثمانين وثلاثمئة، وتوفي مخلوعاً سنة ثلاث وتسعين وثلاثمئة، والذي كان خليفة بمصر في أيامه إنما هو العزيز أبو منصور نزار بن المعز، لأنه ولي الأمر سنة خمس وستين وثلاثمئة، ومات سنة ست وثمانين وثلاثمئة. وإذا كان كذلك فصاحب الواقعة إنما

(١) صاحب مصر وإفريقية، في عهد الدولة الفاطمية. ولد بالمهدية (في المغرب)، وبُوع له بالخلافة في المنصورية بعد وفاة أبيه سنة ٣٤١هـ، وتوفي سنة ٣٦٥هـ/٩٧٥م. (وفيات الأعيان: ٢٢٤/٥).

(٢) هو أبو الحسن، جوهر بن عبد الله الرومي: القائد، باني القاهرة، والجامع الأزهر. دخل مصر بعد موت كافور الإخشيدي سنة ٣٥٨هـ، وتوفي سنة ٣٨١هـ/٩٩٢م في القاهرة. (وفيات الأعيان: ٣٧٥/١).

هو العزيز، وهو والد الحاكم، بل الذي اتفق للحاكم أنه كان يدّعي علم الغيب فيقول: فلان قال في بيته كذا وكذا وفعل كذا وكذا، وكان ذلك باتفاق اعتمده مع العجائز اللاتي يدخلن بيوت الناس، ويتجسسن أخبارهم، فرفعت إليه رقعة مكتوب فيها: [من مخلق البسيط]

بِالْظُّلْمِ وَالْجَوْرِ قَدْ رَضِينَا وَلَيْسَ بِالْكَذِبِ وَالْحَمَاقَةِ
إِنْ كُنْتَ أَوْتَيْتَ عِلْمَ غَيْبٍ بَيِّنَ لَنَا كَاتِبَ الْبَطَاقَةِ

فسكت بعد ذلك عن الكلام في المغيبات. وقيل: إن ذلك اتفق للعزيز أيضاً. رجع: وما يبعد أن الطغرائي كان ذا نفس شريفة سخية، وهمّة عالية، يؤثر المال لينفقه في مصارفه. ومن شعره رحمه الله وقد تقدّم ذكره في المقدمة: [من الطويل]

سَأَحْجُبُ عَنِّي أَسْرَتِي عِنْدَ غُسْرَتِي وَأَبْرُزُ فِيهِمْ إِنْ أَصَبْتُ ثَرَاءَ
وَلِي أَسْوَةٌ بِالْبَدْرِ يُنْفِقُ نُورَهُ فَيَخْفَى إِلَى أَنْ يَسْتَجِدَّ ضِيَاءَ

وهذه نفوس الأشراف تظهر عند الثروة طلباً للإنفاق وتخفى عند الفقر طلباً لكتمان حالها فلا تكلف الناس سؤالاً. وما أحسن قول القائل: [من الخفيف]

إِسْقِنِي خُمْرَةً كَرِقَةً دِينِي أَوْ كَعَقْلِي وَلَا أَقُولُ كَحَالِي
خِيفَةً مِنْ تَوْهُمِ النَّاسِ أَنِّي قُلْتُ هَذَا فِي مَعْرَضٍ لِسْؤَالِي

ولقائل أن يقول: على كل حال تعرّض للسؤال كما قالوا في حق الغزالي لما أنشد قوله: [من الكامل]

خَلَّتِ الدِّيَارُ فَسُدَّتْ غَيْرُ مُسَوِّدٍ وَمِنْ الْعِنَاءِ تَفَرَّدِي بِالسُّوِّدِ

قالوا: أراد بهذا التواضع، وهو قد ترفع لأنه ادّعى انفراده بالسودد، ومن قول الأول، قول الآخر، ولكنه زاد في تعداد المتصف بالركة حيث قال: [من الطويل]

وَلَمْ أَدْرِ إِذْ رَقَّ النَّسِيمُ وَعَيْشُنَا وَصَوْتُ مُغْنِينَا وَصَهْبَاءُ قَرْقَفُ^(١)
أَعِيشِي أَمْ صَوْتُ الْمَغْنِي أَمْ الصَّبَا أَمْ الْكَأْسُ أَمْ دِينِي أَرْقُ وَأُضْعَفُ^(٢)

وقد ظرف في تأخير ذكر دينه لأنه آخر ما في السمع قبل ذكر الرقة والضعف. وأما الأول، فإن ذكر دينه اندمج وطال عهد السامع به، وهذا من أنواع البلاغة. وقلت أنا: [من الطويل]

أَقُولُ لَهُمْ قَدْ رَقَّ عَيْشِي وَالصَّبَا وَعَقْلِي وَكَاسَاتِي وَصَوْتُ الَّذِي غَنَى

(١) الصَّهْبَاءُ، والقرقف: من أسماء الخمر. (٢) الصَّبَا: ريح ناعمة تهب من الشرق.

فقال الذي أهوى وخَصْرِي نَسِيَّتَهُ فقلتُ له: واللّه قد جئتُ في المعنى

وقول الطغرائي: وأبرز فيهم إن أصبت ثراء، من قول الآخر: [من البسيط]

إِنَّ الْكَرَامَ إِذَا مَا أَيْسَرُوا ذَكَرُوا مَنْ كَانَ يَأْلِفُهُمْ فِي الْمَنْزِلِ الْخَشِينِ^(١)

حكى أن الأمير بدر الدين بيلبك الخازندار أحضره إلى القاهرة تاجر كان يحسن إليه وهو في رِقّه، فلما باعه تنقلت به الأيام إلى ما صار إليه، وافتقر التاجر فيما بعد فحضر إليه بالديار المصرية، وكتب له رقعةً فيها هذان البيتان:

[من البسيط]

كُنَّا جَمِيعِينَ فِي بؤْسٍ نُكَابِدُهُ وَالْقَلْبُ وَالطَّرْفُ مِنَّا فِي أَدَى وَقْدَى^(٢)

وَالْآنَ أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَيْكَ بِمَا نَهَوَى فَلَا تَنْسِنِي إِنَّ الْكَرَامَ إِذَا

إشارة إلى البيت المتقدم فأعطاه عشرة آلاف درهم. قلت: وهذا عندي أشرف من التضمين الكامل، وأطرب للفهم، وأعذب للسمع، وفيه من البلاغة حسن التضمين مع ما في ذلك من الاختصار الذي هو من أشرف أنواع البلاغة، لأنه يرفع عن المخاطب مؤونة الإصغاء وقرع السمع بما هو محفوظ مقرر في الذهن.

أنشدني من لفظه لنفسه المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي بالباب وبزاغة سنة إحدى وثلاثين وسبعمائة من أبيات: [من المجتث]

لِلتُّرْكِ مَالِي تَرُكُ مَا دِينَ حَبِّي شِرْكُ

حَوَاجِبٌ وَعَيُونُ لَهَا بِقَلْبِي فَنُكُ

كَالْقَوْسِ يَصْمِي وَهَذِي تَشْتَكِي الْمَحَبَّ وَتَشْكُو^(٣)

وقال آخر: [من مجزوء الكامل]

يَتَبَادَلَانِ فَيُنْصِفَا نِ وَلَيْسَ بَيْنَهُمَا ارْتِيَابُ

فَيَصِيبُ هَذَا مَاءَ ذَا كَالْبَحْرِ يَمْطُرُهُ السَّحَابُ

وقال ابن سناء الملك: [من الطويل]

وَطَّبِي حَكِي رِيمَ الْفَلَا فِي زِفَارِهِ فَمَا بِالْهُ لَمْ يَحْكِهِ فِي التَّلْفُتِ

يُدَافِعُنِي عَنْ وَضْلِهِ بِتَهْجُمٍ فَيَا لَيْتَهُ لَوْ كَانَ يَدْفَعُ بِالْتِي

(١) أيسروا: أصبحوا من أهل اليسار والغنى.

(٢) نُكَايِدُهُ: نُقَاسِيهِ. الْقَدَى: مَا يَسْقُطُ فِي الْعَيْنِ مِنْ غُبَارٍ أَوْ تَرَابٍ.

(٣) يَصْمِي: يُصِيبُ فَيَقْتُلُ.

وقال أيضاً: [من مجزوء الكامل]

والمجدُّ مُرَّ طَعْمُهُ لَا تَحْسَبَنَّ الْمَجْدَ تَمَرًا

وقال شرف الدين شيخ الشيوخ بحماسة: [من مجزوء الكامل]

رَامُوا فِطَامِي عَنْ هَوَىٰ غَذِيَّتِهِ طِفْلاً وَكَهْلاً
فَوَضَعْتُ فِي جَيْبِي يَدَ يَّ وَقُلْتُ خَلَوْنِي وَإِلَّا

أنشدني من لفظه لنفسه المولى شهاب الدين الحسيني ابن قاضي العسكر
كاتب الدرج السلطاني بالقاهرة سنة سبع وعشرين وسبعمئة من جملة قصيدة
طويلة: [من الطويل]

وَلَمَّا وَقَفْنَا بِالْمَطَايَا عَشِيَّةً عَلَى الطَّلَلِ الْبَالِي وَقُلْنَا لَهُ أَلَا
أَذْنًا لِإِخْلَافِ الدَّمُوعِ فَأَخْلَفْتُ وَفَاضْتُ إِلَى أَنْ أَنْبَتَ الْعَشْبَ وَالْكَلا

الإشارة في البيت الأول. وقلت أنا: [من البسيط]

عُلِّقْتُهَا مِنْ بَنَاتِ التُّرْكِ قَدْ غَنِيْتُ بِدَمْعٍ عَاشِقُهَا عَنْ مَنَّةِ الشَّنْفِ^(١)
يَلْقَى الْمَتِيْمُ مِنْ تَثْقِيْفٍ قَامَتْهَا مَا لَا يِلَاقِيهِ كُوفِيٌّ مِنَ الثَّقَفِي^(٢)
إِنِّي لِأَعْجَبُ لِلْعَدَالِ كَيْفَ رَأَوَا شَخْصِي وَقَدْ رُحْتُ ذَا رُوحٍ تَرَدَّدَ فِي

وقلت أيضاً: [من المجتث]

رَشَفْتُ رِيْقَكَ حَلَوًا فَلَمْ يَكُنْ لِي صَبْرُ^(٣)
وَسَوْفَ أَحْظَى بِوَصْلٍ وَأَوَّلَ الْغِيْثِ قَطْرُ

وقلت أيضاً: [من المجتث]

نِكَ مَنْ هَجَاكَ شِعْرًا أَوْ شَانَهُ بِزِحَافٍ
وَقُلْ لِمَنْ لَمْ فِيهِ عَلَيَّ نَحْتُ الْقَوَافِي

وقال ابن القيسراني ومن خطه نقلت: [من المتقارب]

أَهِيْمُ إِلَى الْعَذْبِ مِنْ رِيْقِهِ إِذَا هَيَّمِ الْعَاشِقِينَ الْعُذِيْبُ

(١) عُلِّقْتُهَا: عَشَّقْتُهَا. شَنَفَ إِلَيْهِ شَنْفًا وَشُنُوفًا: رماه بنظرة فيها استنكار وكُره، وَشَنَفَ فَلَانًا: أَبْغَضَهُ وَتَنَكَّرَهُ، وَشَنَفَ الْمَرْأَةَ: اتَّخَذَ لَهَا قُرْطًا.

(٢) كُوفِيٌّ: نسبة إلى الكوفة. تَقْفِيٌّ: نسبة إلى ثقيف.

(٣) رَشَفَ الرِيْقَ: مَصَّهُ.

شَهِدْتُ عَلَيْهِ وَمَا ذُقْتُهُ يَقِيناً وَلَكِنْ مِنَ الْغَيْبِ غَيْبٌ
 قيل: إن المُبَرَّد بعث غلامه إلى غلام يحبه وقال له بحضرة الناس: إمض إليه
 فإن رأيته فلا تقل له، وإن لم تره فقل له. فذهب الغلام ورجع فقال: لم أره فقلت
 له، فجاء فلم يجيء. فسئل الغلام عن معنى ذلك فقال: أنفذني إلى غلام يهواه
 فقال: إن رأيته فقل له شيئاً وإن لم تر مولاه فادعُه، فذهبت فلم أر
 مولاه، فقلت له فجاء مولاه فلم يجيء الغلام. رجع إلى ذكر الأمير بدر الدين يبلبك
 الخازندار، حكى أن الملك الظاهر لما استعرضه ليشتريه قال له التاجر ياخوند: إنه
 يحسن الكتابة والقراءة، فأحضرت له دواة وقلم وقُدّما إليه ليكتب شيئاً يراه فكتب:
 [من البسيط]

لَوْلا الضَّرُورَاتِ مَا فَارَقْتُكُمْ أَبَداً وَلَا تَنْقَلْتُ مِنْ نَاسٍ إِلَى نَاسٍ
 فأعجب الملك الاستشهاد بهذا البيت ورغبه ذلك في مشتراه.

وحكى أن إنساناً رفع قصة إلى صاحب كمال الدين بن العديم^(١) فأعجبه
 خطها فأمسكها وقال لرافعها: هذا خطك؟ قال: لا ولكن حضرت إلى باب مولانا
 فوجدت بعض ممالكه فكتبها لي. فقال: عليّ به. فلما حضر وجد مملوكه الذي
 يحمل مداسه، وكان عنده في حال غير مرضية. فقال: هذا خطك؟ قال: نعم.
 قال: هذه طريقتي، من هو الذي أوقفك عليها؟ فقال: يا مولانا كنت إذا وقعت
 لأحد على قصة أخذتها منه وسألته المهلة عليّ حتى أكتب عليها سطرين أو ثلاثة.
 فأمره أن يكتب بين يديه ليراه فكتب: [من الطويل]

وَمَا تَنْفَعُ الْآدَابُ وَالْعِلْمُ وَالْحِجَى وَصَاحِبُهَا عِنْدَ الْكَمَالِ يَمُوتُ^(٢)
 فكان إعجاب صاحب بالاستشهاد أكثر من الخط، ورفع منزلته عنده
 حينئذٍ. وقد عرّض بعض أهل العصر بذكر الشيخين صدر الدين وكمال الدين
 فقال: [من السريع]

مَوْلَايَ صَدْرُ الدِّينِ إِنْ زُرْتَهُ أَسْعَدُهُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ حَالٍ
 رَأَيْتُ حَظِّي عِنْدَهُ وَافِراً فَصَحَّ أَنَّ النَّقْصَ عِنْدَ الْكَمَالِ

(١) هو أبو القاسم، كمال الدين، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جراحة العقيلي الحلبي،
 المعروف بابن العديم: حافظ، محدث، فقيه، مؤرخ، منشيء، مُترسِّل. ولد بحلب، وتوفي
 بالقاهرة سنة ٦٦٠هـ / ١٢٦٢م. (تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٥٩٧/٣).

(٢) الحِجَى: العقل.

(رجع إلى قوله أريد بسطة كفّ) أما حبّ المال وطلبه للإنفاق فما زال الشعراء يتداولون معناه. قال أبو إسحاق الغزي: [من الكامل]

لَوْ تَمَلَّكَ الدُّنْيَا يَدِي لَأَرْحُتُ مَنْ يُمْسِي وَيُصْبِحُ طَالِباً مُحْتَاثاً^(١)
وَقَسَمْتُهَا بَيْنِي وَبَيْنَ أَصَادِقِي وَعِدايَ غَيْرَ مُمَيَّزِ اثَلَاثَا

وقال بعض أهل الأندلس وهو مشهور: [من الطويل]

لَحَى اللَّهُ ذَهْرًا خَصَّنِي بِخِصَاصَةٍ وَأَقْعَدَنِي عَمَّا سَعَى فِيهِ أُمَثَالِي^(٢)
تَنُوبُ صَدِيقِي نَائِبَاتُ زَمَانِهِ فَيُقْعَدَنِي عَنْ رِفْدِهِ قِلَّةُ الْمَالِ^(٣)
فَيُنْهَضُنِي عَزْمِي وَيُقْعِدَنِي حَالِي فَيُنْهَضُنِي عَزْمِي وَيُقْعِدَنِي حَالِي

وأشهر منه قول الآخر: [من البسيط]

وَأَلْهَفَ نَفْسِي عَلَى مَالٍ أَفَرَّقَهُ وَإِنْ اغْتَذَارِي إِلَى مَنْ جَاءَ يَسْأَلُنِي
عَلَى الْمُقْلَيْنِ مِنْ أَهْلِ الْمُرَوَّاتِ مَا لَيْسَ عِنْدِي مِنْ إِحْدَى الْمَصِيبَاتِ

وقال آخر: [من مixel البسيط]

النَّفْسُ مَلَأَتْ مِنَ الْمَعَالِي وَالْكَيْسُ صَفُرُ الْجَنَانِ خَالِي^(٤)
فَلَيْتَ مَالِي كَمَثَلِ فَضْلِي وَلَيْتَ فَضْلِي كَمَثَلِ مَالِي

وقال أبو الحسين الجزار: [من الطويل]

لَقَدْ رَضِيَ الرَّحْمَنُ عَنْ كُلِّ مُنْفِقٍ فَمَا بَالُنَا نَلْقَى رِضَى اللَّهِ بِالسَّخَطِ
مُعِيبٌ عَلَى الْإِنْسَانِ يُعْطِيهِ رَبُّهُ بَغَيْرِ حِسَابٍ وَهُوَ يَحْسِبُ مَا يُعْطِي

وقال صالح بن صالح الشنتريني: [من الطويل]

أَحَبُّ لِي ذِي قُرْبَى وَصِلْ ذَا وَسِيلَةٍ وَقُمْ بِالْحُقُوقِ الْوَاجِبَاتِ اللَّوَاظِمِ
أَمَّا إِنَّنِي لَوْنَلْتُ أَيْسَرَ يَسْرَةٍ لَكَانَتْ لِكَفِّي بَسْطَةً فِي الْمَكَارِمِ
فَأَهْأَ لِعَصْرِ مِثْلِ أَهْلِيهِ جَاهِلٍ وَذَهْرٍ لِأَبْنَاءِ الْمُرُوءَةِ ظَالِمِ

وقال آخر: [من الطويل]

يَعَزُّ عَلَيَّ أَنْ أَرَى ذَا مُرُوءَةٍ مِنْ النَّاسِ لَا أَسْطِيعُ تَغْيِيرَ حَالِهِ

(١) المِخْنَاتُ: مبالغة من حَتَّه حَتًّا: أعجله إعجالاً مُتَّصلاً.

(٢) الْخِصَاصَةُ: الفقر والحاجة.

(٣) الرِّفْدُ: المعونة. (٤) الصَّفْرُ: الخالي.

ولو كان لي مالٌ لصادفَ مالكاً

وقال مسلم بن الوليد: [من الكامل]

عِنْدَ الحوادثِ من أخيكَ عزيمةٌ
عَرَفَ الحقوقَ وقَصَّرتُ أمواله

وقال آخر: [من الوافر]

أرى نَفْسي تتوقُّ إلى أمورٍ
فلا نَفْسي تُطاوَعني بِبُخلٍ

وقال آخر: [من البسيط]

رُزِقْتُ لُبّاً ولم أرزُقْ مُروءتهُ
إذا أردتُ مُساماةَ تقاعدَ بي

وقال آخر: [من المنسرح]

الناسُ صِنْفانِ في زَمَانِكَ ذَا
هذا بخيلٌ وعِنْدَهُ سِعةٌ

زعمت الرواة أنها لم تسمع للأحنف
فلو مدَّ دَهْرِي بِمالٍ كثيرٍ
فإنَّ المروءةَ لا تُستطاعُ
بن قيس إلا هذين البيتين وهما: [من المتقارب]

وما أحسن قول ابن نباتة السعدي: [من الكامل]
مَثَلٌ خَلَعْتُ على الزمانِ رِداءَهُ
عُدْمُ الدِّراهمِ آفةُ الأَجوادِ

وقال الوزير سهل بن هارون^(٣): [من الطويل]

وَلَكِنَّمَا أَبْكي بعينِ سَخِينَةٍ
وما الفضلُ إلا أن تجودَ بنائلٍ
على حَدَثِ تَبْكي له عَيْنُ أمثالي
وإلا لقاءَ الخلِّ ذي الخلقِ الغالي^(٤)

(١) الحصداء: المحكمة، الشديدة القتل.

(٢) اللُبُّ: العقل.

(٣) هو أبو عمرو، سهل بن هارون بن راهبون الدستيميساني: كاتب، بليغ حكيم. اتصل بخدمة الرشيد العباسي، والمأمون من بعده، فولاه رياسة خزانة الحكمة ببغداد. توفي سنة ٢١٥هـ/ ٨٣٠م. (الأعلام: ٣/ ١٤٣).

(٤) النائل: العطاء.

فَوَا حَسْرَتِي حَتَّى مَتَى أَنَا مُوجِعٌ بِفَقْدِ خَلِيلٍ أَوْ تَعَذَّرَ أَفْضَالِي
فِرَاقُ خَلِيلٍ لَا يَقُومُ بِهِ الْأَسَى وَخَلَّةٌ حُرٌّ لَا يَقُومُ بِهَا مَالِي

وقال ابن سناء الملك: [من مجزوء الكامل]

ثَقُلَ الزَّمَانُ عَلَيَّ حَتَّى خَ فَ بَيْنَ النَّاسِ وَزَنِي
أَلْقَى الصَّدِيقَ بِلَا ثَرَا وَالْعَدُوَّ بِلَا مَجَنٍّ^(١)

ومما نظمته أنا: [من الطويل]

وَقَائِلَةٌ فِيمَ اجْتِهَادَكَ لِلْغَنَى وَقَدْ رَقَدَتْ لِلْحَظِّ مِنْكَ عُيُونُ
فَقُلْتُ لَهَا وَاللَّهِ مَا بِيَ حَاجَةٌ لِتَحْصِيلِ دُنْيَا فَالْأُمُورُ تَهُونُ
وَلَكِنْ حُقُوقٌ لِلْعُلَى قَدْ تَرْتَبَتْ عَلَى ذِمَّتِي مَفْرُوضَةٌ وَدُيُونُ
فَلَوْ وُجِدَتْ كَفَى لِبَرَائَتِ سَاحَتِي وَكَنْتُ أُرِيكَ الْجُودَ كَيْفَ يَكُونُ

ومما قلت أيضاً: [من الخفيف]

أَنَا إِنْ لَمْ أَجِدْ فِي كَسْبِ مَالٍ هَاتِ قُلْ لِي بِاللَّهِ كَيْفَ أَجُودُ
وَإِذَا لَمْ أَسِدَّ خَلَّةً حُرًّا هَاتِ قُلْ لِي بِاللَّهِ كَيْفَ أُسُودُ^(٢)

وما يطلب المال إلا للإنفاق وبلوغ المقاصد وإبلاغ القاصد، كما أن السيف للذب والردع، والمديّة للقطّ والقطع. وما أحسن قول أبي العتاهية^(٣) في عبد الله بن معن من أبيات^(٤): [من الهزج]

فَصُغْ مَا كُنْتَ خَلَّيْتَ بِهِ سَيْفَكَ خَلَّخَا
فَمَا تَصْنَعُ بِالسَّيْفِ إِذَا لَمْ تَكُ قَتَّالَا

يقال: إن عبد الله قال: ما لبستُ سيفي قطّ فرأيت إنساناً يلمحني إلا ظننته يحفظ قول أبي العتاهية فيّ، ومثل هذا ما قاله ابن نُفَيْل في عبد الملك بن عمير القاضي: [من الطويل]

إِذَا كَلَمْتُهُ ذَاتَ دَلٍّ لِحَاجَةٍ فَهَمَّ بِأَنْ يَقْضِيَ تَنْحَنَحَ أَوْ سَعَلَ

(١) المَجَنُّ: التَّوَسُّسُ.

(٢) الْخَلَّةُ: الْفَقْرُ وَالْحَاجَةُ.

(٣) هو أبو إسحاق، وأبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي: شاعر مكثّر مطبوع. ولد في عين التمر، ونشأ في الكوفة، وسكن بغداد. توفي سنة ٢١١هـ/ ٨٢٦م. (الشعر والشعراء: ٢/ ٦٧٥؛ طبقات ابن المعتز: ٢٠٨؛ الأغاني: ٣/ ٤).

(٤) ديوان أبي العتاهية: ٢٨٢.

قال عبد الملك: تركني واللّه، وإن السّعة لتعرض لي في الخلاء فأذكر قوله، فأهاب أن أسعل. ومدح عبد الله بن الزبير الأسدي^(١) أسماء بن خارجة الفزاري^(٢) فقال: «تراه إذا ما جئته متهللاً» «البيتين». فأثابه ثواباً لم يرضه، فغضب عبد الله وقال يهجوه: [من الطويل]

فواللّه لولا رهنٌ هندي بظُرّها لَعُدَّ أبوها في اللئام المفالِسِ^(٣)
بَنَتْ لَكُمْ هِنْدٌ بِتَلْدِيغِ بَظُرِهَا دَكَاكِينَ جِصَّ عَالِيَاتِ الْمَجَالِسِ
فركب إليه أسماء وأرضاه. وكان يقول بعد ذلك: واللّه ما رأيت جصّاً في بناءٍ ولا غيره إلا ذكرت بظر أختكم هند.

يقال: إن الهادي كان بنو العباس يسمونه مُوسَى أَطْبَقَ، لأنه كان يفتح فاه كثيراً فرتب المهدي في خدمته خادماً يلاحظه أبداً فمتى سها عن نفسه وفتح فاه قال له: مُوسَى أَطْبَقَ.

(رجع): عن أبي ذر رضي الله عنه: إنما مالك لك، أو للحاجة، أو للورثة، فلا تكن أعجز الثلاثة. وقال سعيد بن المسيب^(٤): لا خيرَ فيمن لا يكسب المال ليكفّ به وجهه، ويؤدي به أمانته، ويصل به رحمه. وما أحسن ما عبّر به ابن الجهم عن جمع المال طلباً للإنفاق في قوله: [من الطويل]

وَمَا تُجْمَعُ الْأَمْوَالُ إِلَّا لِإِذْلَاقِهَا كَمَا لَا يُسَاقُ الْهَدْيُ إِلَّا إِلَى النَّحْرِ
ومثله قول مسلم بن الوليد: [من البسيط]

تَأْتِي الْبُذُورُ فَتَفْنِيهَا صَنَائِعُهُ وَمَا تُدْنَسُ مِنْهَا كَفَّ مُنْتَقِدُ
لَا يَعْرِفُ الْمَالُ إِلَّا عِنْدَ نَافِلَةٍ وَيَوْمَ يَجْمَعُهُ لِلتَّهْبِ وَالْبَدَدِ^(٥)
وقال النضر بن جوبة: [من البسيط]

قَالَتْ طَرِيفَةٌ مَا تَبْقَى دَرَاهِمُنَا وَمَا بِنَا سَرَفٌ فِيهَا وَلَا خَرَقُ^(٦)

(١) هو أبو كثير، عبد الله بن الزبير بن الأشم... الأسدي: شاعر مكثر مجيد، من شعراء الدولة الأموية. توفي نحو ٧٥هـ/ نحو ٦٩٥م. (الأغاني: ٢٠٨/٤؛ خزائن الأدب: ٢٦٤/٢).

(٢) هو أسماء بن خارجة بن حصن بن حذيفة الفزاري: تابعي، من رجال الطبقة الأولى، من أهل الكوفة. كان سيد قومه، جواداً، مقدماً عند الخلفاء. توفي سنة ٦٦هـ/ ٦٨٦م. (الأعلام: ٣٠٥/١).

(٣) الظُّرُ: نتوء في فرج المرأة.

(٤) هو أبو محمد، سعيد بن المسيّب بن حزن بن أبي وهب المخزومي، القرشي: سيد التابعين، وأحد الفقهاء السبعة بالمدينة. توفي سنة ٩٤هـ/ ٧١٣م. (الأعلام: ١٠٢/٣).

(٥) البَدَدُ: من بدّد المال: فَرَقَهُ.

(٦) السَّرَفُ: التبذير. الخرق: الحُمق والطيش.

إِنَّا إِذَا اجْتَمَعْتُ يَوْمًا دَرَاهِمَنَا ظَلَّتْ إِلَى طُرُقِ الْمَعْرُوفِ تَسْتَبِقُ
لَا يَأْلَفُ الدَّرْهَمُ الْمَضْرُوبُ ضُرَّتَنَا لَكِنْ يَمُرُّ عَلَيْهَا وَهُوَ مُنْطَلِقُ

وبالغ أبو الطيب في قوله ^(١): [من البسيط]

وَكَلَّمَا لَقِيَ الدِّينَارُ صَاحِبَهُ فِي مُلْكِهِ افْتَرَقَا مِنْ قَبْلِ يَضْطَحِبَا
مَا لَ كَانَ غُرَابَ الْبَيْنِ يَرْقُبُهُ فَكَلَّمَا قِيلَ هَذَا مُجْتَدِ نَعْبَا ^(٢)

هذا البيت الأول من معاني أبي الطيب التي يناقض آخرها أولها لأنه قرّر أولاً أن الدينار يلقي صاحبه. ثم قال: يفترقان قبل اصطحابهما وهذا تناقض، وكذا قوله ^(٣): [من الكامل]

أَعْدَى الزَّمَانَ سَخَاؤُهُ فَسَخَا بِهِ وَلَقَدْ يَكُونُ بِهِ الزَّمَانُ بِخِيَلَا
فقرر أن سخاءه أعدى الزمان، فهذا دليل على وجوده، ثم قال: فسخا الزمان به أي أوجده، والشيء لا يتقدم على وجود نفسه ولكن هذا النوع من المبالغات التي تخرج إلى حد الاستحالة فتفيد المعنى قوّة، لم تكن في غيره. وقال أبو الحسين الجزّار في الحثّ على الإنفاق: [من الطويل]

إِذَا كَانَ لِي مَالٌ عَلَامَ أَصُونُهُ وَمَا سَادَ فِي الدُّنْيَا مِنَ الْبَخْلِ دِينُهُ
وَمَنْ كَانَ يَوْمًا ذَا يَسَارٍ فَإِنَّهُ خَلِيقٌ لَعَمْرِي أَنْ تَجُودَ يَمِينُهُ

وقلت أنا وفيه نكتة نحوية: [من السريع]

لَا تَجْمَعِ الدِّينَارَ وَاسْمَحْ بِهِ وَلَا تَقُلْ كُنْ فِي حِمَى كَفِّي
مَا الدَّهْرُ نَحْوِي فَيَنْحُو الْهُدَى وَيَمْنَعُ الْجَمْعَ مِنَ الصَّرْفِ

لأن جمع دينار دنائير، وهذا الوزن أحد الأوزان الثلاثة التي جاءت على صيغة منتهى الجموع، وهي مساجد ومصاييح وشواب، والكل ممنوع من الصرف. وأردت بالصرف في الظاهر ما يريده النحاة وفي الباطن ما هو من حوادث الدهر، ويخدم أيضاً في مصارفة الدينار بالدرهم فتأمله يظهر لك. والمال قد يطلب لذاته، وهذا مذموم نطق القرآن بالتوعد عليه فيمن يكنز الذهب والفضة ولا ينفقهما، وأيّ أرب في جمع المال وعدم إنفاقه. وأيّ فرق بين أن يكون ما في الصندوق ذهباً وفضة

(١) ديوان المتنبي: ٢٢٥/١.

(٢) المجتدي: طالب المعروف. نَعَبَ الغرابُ: صَوَّتَ.

(٣) ديوان المتنبي: ٢٨٦/١.

وجواهر، وبين أن يكون حجارة وتراباً، وبين أن يكون خالياً. قال أبو الطيب^(١):
[من الطويل]

لِمَنْ تَطْلُب الدُّنْيَا إِذَا لَمْ تُرَدِّ بِهَا سُرُورَ مُحِبٍّ أَوْ إِسَاءَةَ مُجْرِمٍ
وهذا البيت مضطرب الصنعة لأنه كان ينبغي له أن يقول: سرور محبٍّ أو
حزن عدوّ، وهذا مما يقع له كثيراً، وسيأتي من كلامه نظائر لهذا البيت.

وقول الطُّغْرَائِي فِي هَذَا الْبَيْتِ وَالَّذِي بَعْدَهُ يَشْبَهُ قَوْلَ أَبِي الطُّيْبِ^(٢): [من الطويل]
وَأَتَعِبُ خَلْقَ اللَّهِ مِنْ زَادِهِمْ وَقَصَّرَ عَمَّا تَشْتَهِي النَّفْسُ وَجَدُهُ
فَلَا مَجْدَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَالُهُ وَلَا مَالَ فِي الدُّنْيَا لِمَنْ قَلَّ مَجْدُهُ
وَفِي النَّاسِ مَنْ يَرْضَى بِمَيْسُورِ عَيْشِهِ وَمَرْكُوبِهِ رِجَالُهُ وَالثَّوبُ جِلْدُهُ
وَلَكِنْ قَلْبًا بَيْنَ جَنْبَيِّ مَالِهِ مَدَى يَنْتَهِي بِي فِي مُرَادِ أَحَدِهِ
والدنيا كل أمورها غريبة، وكلها عجائب، وعلى الحقيقة ما فيها عجيبة، هذا
الطُّغْرَائِي منشئ السلطان محمد كما تقدم، وصاحب ديوان الطغرى، وله يد في
الكيمياء وحل رموزها. ومع هذا يقول: أريد بسطة كفٍّ أستعين بها، ولكن الزمان
حرب الفضل وسلم الجهل، والظاهر من أمره أنه كان يعرف الكيمياء علماً لا عملاً
أو علماً وعملاً، ولكن الأيام ما ساعدته على التمكن من عملها حتى يبرزها من
القوة إلى الفعل لأنه قال: [من الطويل]

وَمَنْ أَعْجَبَ الْأَشْيَاءِ أَنِّي وَقِفْتُ عَلَى الْكَزْرِ مَنْ يَظْفَرُ بِهِ فَهُوَ مَبْخُوتٌ^(٣)
وَأَنَّ كُنُوزَ الْأَرْضِ شَرْقًا وَمَغْرِبًا مَفَاتِيحُهَا عِنْدِي وَبُعْجَزَنِي الْقُوتُ
وَلَوْلَا مُلُوكُ الْجَوْرِ فِي الْأَرْضِ أَصْبَحْتُ وَخَصْبًا وَهَذَا دُرٌّ لَدَيَّ وَيَا قُوتُ^(٤)

ذكرت بهذه الأبيات قول المعتمد لما ترقّت حال الموفق أحمد بن المتوكل
إلى غاية لم يبلغها الخليفة المعتمد وغلب الموفق على أمره: [من الوافر]

أَلَيْسَ مِنَ الْعَجَائِبِ أَنَّ مِثْلِي يَرَى مَا هَانَ مُمْتَنِعًا عَلَيْهِ
وَتُؤْخَذُ بِاسْمِهِ الدُّنْيَا جَمِيعًا وَمَا مِنْ ذَلِكَ شَيْءٍ فِي يَدِيهِ
وَالدَّهْرُ يَعْكِسُ آمَالِي وَيُقْنِعُنِي مِنَ الْغَنِيمَةِ بَعْدَ الْكَدِّ بِالْقَفْلِ

(١) ديوان المتنبي: ٢/٢٦٩. وفيه: «مساءة مجرم».

(٢) ديوان المتنبي: ٢/٢٥٨.

(٣) المَبْخُوتُ: المَحْظُوطُ.

(٤) الْجَوْرُ: الظلم. الحصباء: صغار الحصى.

اللغة: الدهر: الزمان، قال الشاعر: [من الخفيف]

إِنَّ دَهْرًا يَلْفَ شَمْلِي بِلَيْلَى لَزَمَانٌ يَهُمُّ بِالْإِحْسَانِ^(١)

ويجمع على دهور. ويقال: الدهر الأبدي. وقولهم: دهرٌ داهرٌ كقولهم: أبديٌّ أبديٌّ، وقولهم: دهرٌ دهايرٌ، أي شديد كقولهم: ليلة اليلاء ونهار أنهر ويوم أيوم وساعة سوعاء. وفي الحديث: لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر لأنهم كانوا يضيفون النوازل إليه. فقليل لهم: لا تسبوا فاعل ذلك بكم فإن ذلك الفاعل هو الله تعالى. والدّهري بفتح الدال هو الملحد، وبضمها المسن، وقال ثعلب: هما جميعاً منسوبان إلى الدهر، والدّهري هو الذي يعتقد عدم الصانع وينكر البعث والنشور والمجازاة. (العكس): ردُّك آخر الشيء إلى أوله. ومنه عكس البلية عند القبر لأنهم يربطونها معكوسة الرأس إلى ما يلي كلكلها وبطنها. ويقال: إلى مؤخرها مما يلي ظهرها ويتركونها على تلك الحال حتى تموت. (الآمال): جمع أمل وهو الرجاء، تقول: أملت خيره آمله بالضم أملاً، وكذا التأمل. وقولهم: ما أطول إملته بكسر الهمزة أي آمله فهو كالجلسة والركبة. (القناعة): الرضى بما قسم وقد قنع بالكسر يقنع قناعة فهو قنع وقنوع. وأقنعه الشيء إذا أرضاه. (الغنيمة): الشدة في العمل وطلب الكسب والتعب. (القفل): الرجوع من السفر، وقد قفل يقفل بالضم، ومنه القفل، والقافلة الرفقة الراجعة من السفر. فلا يقال لمن خرج من بلدة يريد مكاناً آخر: قافل، إلى أن يرجع، وتسمى الرفاق قافلة قبل العود تفاؤلاً لهم بالرجوع، كما تسمى المهلكة مفازة، واللديغ سليماً، وأول من نطق بهذا المثل امرؤ القيس، فقال^(٢): [من الوافر]

وَقَدْ طَوَّفْتُ فِي الْآفَاقِ حَتَّى رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

وقال عبيد بن الأبرص^(٣): [من الوافر]

وَلَوْ لَاقَيْتُ عُلَبَاءَ بَنِ عَمْرٍو رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالْإِيَابِ

(الإعراب): (والدهر): الواو للابتداء، الدهر مرفوع على أنه مبتدأ. (يعكس): فعل مضارع رفع لتجرده من الناصب والجازم وقد تقدّم الكلام عليه، وهو ثلاثي، فلهذا فتح حرف المضارعة منه على ما تقدّم. (آمالي): جمع أمل وهو

(١) يلفٌ شملي: يجمعني بها.

(٢) ديوان امرئ القيس: ٥٥. والبيت في مجمع الأمثال: ٢٩٥/١، وهو مثل يضرب عند القناعة بالسلامة.

(٣) ديوان عبيد بن الأبرص: ٤٤. وفيه: «ولو أدركت»، و«قنعت...».

منصوب بـيعكس، ولم يظهر النصب فيه لأنه مضاف إلى ياء المتكلم، والمفعول به. قال الشيخ جمال الدين بن الحاجب: هو ما وقع عليه فعل الفاعل. قال النيلي في الشرح: يريد بالوقوع التعلق لا المباشرة وإلا لخرج مثل أردت الطلاق لعدم المباشرة، واحترز بقوله عليه من الظرف لأن الفعل يقع فيه لا عليه. ومن المفعول له فإن الفعل يقع لأجله ومن المفعول معه لأنه يقع معه لا عليه ومن المفعول المطلق لأنه نفس الفعل الواقع من الفاعل. وقيل: المفعول به هو المقول في جواب من سأل بمن تعلق هذا الفعل فيقول المجيب يزيد، فلتقيده في السؤال والجواب بالباء سمي المفعول به، قلت: كيفما حاول النحاة رسم المفعول به لا يخلصون من إيراد عبد القاهر الجرجاني^(١) في إعراب خلق الله العالم لأنه قال: العالم هنا مصدر لا مفعول به لأن المفعول به هو الذي كان موجوداً وأثر فيه الفاعل شيئاً آخر بفعله، والمصدر هو الذي لم يكن موجوداً بل كان عدماً محضاً، والفاعل موجد ومخرجه من العدم إلى الوجود بفعله. والعالم في قولنا: خلق الله العالم كذلك، فكان مصدراً واعتراض عليه بأنه لو كان مصدراً لكان نفس الخلق، ولا يجوز أن يكون ذلك لوجهين أحدهما أنا نعلم العالم مع الشك في كونه مخلوقاً لله تعالى إلى أن نعلم ذلك بدليل منفصل. فالعالم على هذا معلوم وكونه مخلوقاً له تعالى غير معلوم لتوقفه على الدليل، والمعلوم مغاير لما ليس بمعلوم، فكان الخلق غير العالم. الثاني: أن الله تعالى يوصف بالخلق، فلو كان الخلق العالم لكان الله موصوفاً بالعالم، وهو لا يجوز، لأنه يلزم من ذلك وصف القديم بالحادث أو قدم العالم. (قلت): الجواب عن الإيراد الذي أورده الإمام عبد القاهر هو أن الكلام إنما هو في اصطلاح النحاة، وهذا المصطلح إنما هو فيما يعرض لأواخر الكلم من الرفع والنصب والجر لا تصاف الكلمة تارة بالفاعلية وتارة بالمفعولية وتارة بالإضافة، إلى غير ذلك. فإذا قلنا: خلق الله السموات والأرض، قلنا: هذه الكلمات المركبة المسموعة نسميها في اصطلاحنا فعلاً وفاعلاً ومفعولاً فرفعنا اسم الله تعالى على أنه فاعل ونصبنا السموات والأرض على المفعولية لوقوع فعل الفاعل عليهما، ولا يلزمنا من هذه العبارة التي أوقعناها على هذه الألفاظ أن يكون المعنى في الأصل قد وقع وتجدد لأن الألفاظ أدلة على المعاني، والدليل غير المدلول، ولأن الاسم غير المسمى، والإلزام احتراق فم من تلفظ بالنار، ولزم إذا قلنا: أعدم الله العالم وأقام القيامة وأمات زيد، أن يكون هذا كله قد وقع الآن وتجدد، ونحن نجد هذا باطلاً،

(١) هو أبو بكر، عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني: من أئمة اللغة والبلاغة، من أهل جرجان. توفي سنة ٤٧١هـ / ١٠٧٨م. (الأعلام: ٤٨/٤).

على أنني أعتقد أن الإمام رحمه الله كان يعتقد بطلان هذا الإيراد، وإنما أورده مغالطة وإظهار صناعة في البحث لا غير.

(رجع): واختلف في ناصب المفعول به، فمذهب سيبويه أنه الفعل، ولذلك تعددت المفاعيل بحسب اقتضاء الفعل لها لأن الفعل إن اقتضى مفعولاً نصبه أو اثنين نصبهما أو ثلاثة نصبها، ومذهب ابن هشام^(١) أنه الفاعل، لأنه الذي أثر فيه في المعنى فيؤثر فيه في اللفظ.

قلت: وهذا ليس بشيء لأن الفاعل يضمّر، والمضمّر لا يعمل في المظهر، ولأنهم قسموا الفعل إلى لازم ومتعدّد فدلّ على أن العمل له. ومذهب الفراء^(٢) أنه الفعل والفاعل قياساً على الابتداء والمبتدأ في الخبر والشرط وحرف الشرط في الجزاء على قول من يراه، ومذهب الأخفش أن العامل فيه هو الفاعلية، وليس بشيء، والصحيح مذهب سيبويه. وقد أشبعت القول على ما يتعلق بهذا في التعليقة على الحاجبية. (ويقنعني): الواو عطفت الفعل على الفعل. يقنعني: فعل مضارع مرفوع لأنه معطوف على مرفوع، ورفع ضم العين، والنون نون الوقاية، والياء ضمير المتكلم، وموضعها النصب بالمفعولية ليقنع، والفاعل ضمير مستتر فيه يرجع إلى الدهر كما استتر في يعكس. (من الغنيمة): جار ومجرور، ومن هنا للتبعية وهو أحد معانيها وسيأتي الكلام عليها في غير هذا الموضع إن شاء الله تعالى. (بعد الكد): ظرف ومخفوض به فبعد ظرف زمان ولهذا نصب العامل يقنع والكد جرّ بإضافته إلى الظرف. (بالقفل): جار ومجرور والباء هنا للتعدية وتقدم الكلام على تقسيم الباء فالدهر في البيت مبتدأ وخبره يعكس، كأنه قال: والدهر عاكس آمالي، ويقنعني موضعه الرفع عطفاً على الخبر والياء فيه مفعول أول وبالقفل مفعول ثانٍ له ومن الغنيمة متعلق بيقنع، فالجملة كلها من يقنعني إلى آخر البيت في موضع رفع على أنها خبر معطوف على خبر المبتدأ، والبيت كله من أوله إلى آخره في موضع نصب على أنه حال من فاعل أريد بسطة كف، كأنه قال: أريد بسطة في حال أن الدهر عاكس آمالي. وقال الجوهري في صحاحه: أقنعه الشيء إذا أرضاه، فعلى هذا لا يتعدى إلى مفعول ثانٍ إلا أن يشدد. تقول: قنعت بالقليل من الرزق.

(١) هو أبو محمد، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله بن هشام الأنصاري، المصري: نحوي، لغوي، فقيه، مُفسّر. ولد بالقاهرة، وتوفي فيها سنة ٧٦١هـ / ١٣٦٠م. من آثاره: «أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك». (الدرر الكامنة: ٣٠٨/٢).

(٢) هو أبو زكريا، يحيى بن زياد بن عبد الله بن منظور الديلمي، المعروف بالفراء: إمام الكوفيين، وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب. توفي سنة ٢٠٧هـ / ٨٢٢م. (الأعلام: ١٤٥/٨).

(المعنى): والدهر يعكس ما أوّمله وأرجوه من البسطة والرفعة حتى أقنع من الغنيمة بالرجوع بعد التعب والمشقة. وهذا المثل يضرب لمن خفق مسعاه وطال سفره وتمنى العود إلى بلده نعوذ بالله من هذا الحال.

كان رسول الله ﷺ يتعوّذ من طمع في غير مطمع، ومن طمع يعود إلى طبع، وكان ﷺ يقول: «اللهم لا مانع لما أعطيت ولا معطي لما منعت ولا ينفع ذا الجد منك الجد»، والدهر ما زال يعكس المقاصد، ويراقب الخيبة ويراصد، ويكمن المنايا في الأماني ويثني غصون الأمل ذاوية بعد أن كانت عذبة المجاني، خلقاً ألفه الناس في سجاياه، وطبعاً رمى الخلق به من سهام جناياه: [من الوافر]

فَقَدْ تَدَنُو الْمَقَاصِدُ وَالْأَمَانِي فَتَعْتَرِضُ الْحَوَادِثُ وَالْمَنُونُ

والشعراء ما زالوا يكثرّون في هذه المعاني [قال أبو الطيب]^(١): [من البسيط]

أَرِيدُ مَنْ زَمَنِي ذَا أَنْ يُبَلِّغَنِي مَا لَيْسَ يَبْلُغُهُ فِي نَفْسِهِ الزَّمَنُ
مَا كُلُّ مَا يَتَمَنَّى الْمَرْءُ يُدْرِكُهُ نَجْرِي الرِّيحُ بِمَا لَا تَشْتَهِي السَّفَنُ

وقال أيضاً^(٢): [من الطويل]

أَهَمَّ بِشَيْءٍ وَاللَّيَالِي كَأَنَّمَا تُطَارِدُنِي عَنْ كَوْنِهِ وَأُطَارِدُ

وقال المعتمد بن عباد^(٣) يرثي ولديه المأمون والراضي بأبيات منها: [من البسيط]

بَكَيْتُ فَتَحاً فَإِذَا دَانِيَتْ سَلَوَتُهُ أَوْدَى يَزِيدُ فزَادَ الْقَلْبَ أَشْجَانَا
فَكُنْتُ كَالْمُبْتَغِي مَاءٍ تَخِيلُهُ حَتَّى انْتَهَى فَرَأَى الْعُدرَانِ نِيرَانَا

وقال ابن القيسراني ومن خطه نقلت: [من الطويل]

إِلَى كَمْ أَسْوَمُ الدَّهْرَ غَيْرَ طِبَاعِهِ وَأَصْدُقُهُ عَنْ شِيَمَتِي وَهُوَ حَانَتْ^(٤)
وَأَسْمُو مُجِدّاً فِي الْعُلَى وَتَحْطُنِي خُطُوبٌ كَأَنَّ الدَّهْرَ فِيهِنَّ عَابَتْ

(١) ديوان المتنبي: ٢/ ٢٨١.

(٢) ديوان المتنبي: ٢/ ٧٧.

(٣) هو أبو القاسم، المعتمد على الله، محمد بن عباد بن محمد بن إسماعيل اللخمي: ملك إشبيلية وقرطبة وما حولهما، وأحد أفراد الدهر شجاعةً وحزماً وضبطاً للأُمور. ولد في «باجة»، وتوفي في السجن بأغلمات سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م. (المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ١٠١-١٢١).

(٤) سامه الشيء: أولاه إياه وأراده عليه، وألزمه به. حانت: من حنَّ في يمينه حنّاً: لم يبرّها، فهو حانت، وحنَّ فلان: مال من حقّ إلى باطل.

وقال مسلم بن الوليد: [من السريع]

مَا قَصَّرَ السَّعْيُ وَلَا عَلَّلْتُ عَنْ مَطْلَبِ نَفْسِي أَمَانِيهَا
بَلْ خَانَهَا الدَّهْرُ وَأَزْرَى بِهَا عَثْرَةً جَدًّا لَا تُوَاتِيهَا^(١)

ومن أصوات ابن جامع في الأغاني: [من الطويل]

لَئِنْ فَاتَنِي فِي مِضْرٍ مَا كُنْتُ أَرْتَجِي وَأَخْلَفَ لِي مِنْهَا الَّذِي كُنْتُ أَمْلُ
فَمَا كُلُّ مَا يَخْشَى الْفَتَى نَازِلٌ بِهِ وَلَا كُلُّ مَا يَرْجُو الْفَتَى هُوَ نَائِلٌ
وَوَاللَّهِ مَا فَرَطْتُ فِي وَجْهِ حِيلَةٍ وَلَكِنَّهُ مَا قَدَّرَ اللَّهُ نَازِلٌ
وَقَدْ يَسْلُمُ الْإِنْسَانُ مِنْ حَيْثُ يَتَّقِي وَيُؤْتَى الْفَتَى مِنْ أَمْنِهِ وَهُوَ غَافِلٌ

وقال أبو فراس بن حارث الحمداني^(٢): [من الكامل]

قَدْ كُنْتُ عُذَّتِي الَّتِي أَسْطَوَبُهَا وَيَدِي إِذَا اشْتَدَّ الزَّمَانُ وَسَاعَدِي
فَرُمِيْتُ مِنْكَ بِغَيْرِ مَا أَمَلْتُهُ وَالْمَرْءُ يَشْرِقُ بِالزَّلَالِ الْبَارِدِ^(٣)

حكى الخالدي بأن في اختيار شعر مسلم بن الوليد أنه كان في بعض أطراف البصرة رجل يخيف السبيل، فأعيا أمره السلطان ثم ظفر به فأمر بقتله وصلبه، فلما قُدِّمَ لذلك قال للموكل به: إن رأيت أن تتوقف عني قليلاً وتدنيني إلى الجذع وتأمر لي بدواة وقرطاس أكتب شيئاً في قلبي فإذا فرغت من ذلك فشأنك وما أمرت به، فأجابه إلى ما سأل وقربه من الجذع، فكتب، ثم قال للموكل بقتله: إفعل ما بدا لك، فنظر إلى ما كتب فإذا هو: [من السريع]

قَالَتْ سُلَيْمَى كَمْ تُمْنِينَا وَعَذُكَ وَعَدُّ لَيْسَ يَأْتِينَا
يَا قَانِعاً بِالْذُّونِ مِنْ عَيْشِهِ حَتَّى مَتَى تُصْبِحُ مُحْزُونَا
فَحَرَكْتَ أَشْرَسَ ذَا مِرَّةٍ مِنْ بَعْدِ ثِنْتَيْنِ وَخَمْسِينَا^(٤)
إِنْ كُنْتُ قَصَّرْتُ وَلَمْ أَجْتَهِدْ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ فَلُومِينَا
وَأَيُّ بَابٍ يُرْتَجَى فَتُحَهُ وَمَا قَرَعْنَاهُ بِأَيْدِينَا
مَا قَصَّرَ السَّعْيُ وَلَكِنَّهَا مَقَادِرُ جَارِبَةٍ فِينَا

(١) الْعَثْرَةُ: الزُّلَّةُ. الْجَدُّ: الْحَظُّ. تَوَاتِيهَا: تَوَافَقَهَا.

(٢) ديوان أبي فراس: ٧٨.

(٣) يَشْرِقُ: يَعْصُ.

(٤) الْأَشْرَسُ: الشَّدِيدُ الْخِلَافُ، السَّيِّئُ الْخُلُقُ.

فرّفع خبره إلى من أمر بقتله فصفّح عنه وأمر بإطلاقه .

وقال آخر : [من البسيط]

أَسْمُو إِلَى الْأَمَلِ الْأَقْصَى فَيَلْفَتْنِي جَدُّ عَثُورٍ وَدَهْرٌ مُهْتَرٌّ خَرِفُ^(١)
لَا الْحِظُّ يُسْعِدُنِي فِيمَا أَحَاوَلُهُ مِنْ الْعَلَوِّ وَلَا لِي عَنْهُ مُنْصَرَفُ^(٢)

خرج الوزير نظام الملك أبو الحسن علي إلى الصلاة فجلس قليلاً ثم التفت إلى الحاضرين وقال : هنا بيت شعر أريد له أولاً وهو : [من الكامل]

فَكَأَنَّنِي وَكَأَنَّهُ وَكَأَنَّهَا أَمْلٌ وَنَيْلٌ حَالٌ بَيْنَهُمَا الْقَضَا

وكان في الجماعة أبو القاسم مسعود بن محمد الخجندي الشافعي فقال :

[من الكامل]

أَفْدِي حَبِيباً زَارَنِي مُتَنَكِّراً فَبَدَا الْوُشَاةُ لَهُ فَوَلَّى مُعْرِضَا

ذكرت هنا ما أنشدنيه لنفسه من لفظه المولى جمال الدين يوسف الصوفي

بدمشق سنة سبعمئة وعشرين : [من السريع]

كَأَنَّمَا الْبَدْرُ وَقَدْ أَشْرَقَتْ أَنْوَارُهُ بَيْنَ غُصُونِهِ الْغُصُونُ
وَجْهٌ حَبِيبٍ زَارَ عُشَّاقَهُ فَأَعْتَرَضَتْ مِنْ دُونِهِ الْكَاشِحُونَ^(٣)

وقلت أنا في هذا التشبيه : [من السريع]

كَأَنَّمَا الْأَغْصَانُ لَمَّا انْتَشَتْ أَمَامَ بَدْرِ التَّمِّ فِي غَيْهَبِهِ^(٤)
بِنْتُ مَلِكٍ خَلْفَ شُبَّاكِهَا تَفَرَّجَتْ مِنْهُ عَلَى مَوْكِبِهِ

وقلت أيضاً : [من السريع]

كَأَنَّمَا الْأَشْجَارُ فِي رَوْضِهَا وَالْبَدْرُ فِي غَيْهَبِهِ مُسْفَرُ
بِنْتُ مَلِكٍ خَلْفَ شُبَّاكِهَا قَامَتْ إِلَى مَوْكِبِهِ تَنْظُرُ

وقلت أيضاً : [من الكامل]

وَكَأَنَّمَا الْأَغْصَانُ تَثْنِيهَا الصَّبَا وَالْبَدْرُ مِنْ خَلَلِ يَلُوحُ وَيُحْجِبُ
حَسَنَاءُ قَدْ عَامَتْ وَأَرَحَتْ شَعْرَهَا فِي لُجَّةٍ وَالْمَوْجُ فِيهِ يَلْعَبُ^(٥)

(٢) يُسْعِدُنِي : يُعِينُنِي .

(٤) الْغَيْهَبُ : الظلمة الشديدة .

(١) الْجَدُّ : الْحِظُّ . الْعَثُورُ : الكثير العثار .

(٣) الْكَاشِحُونَ : الْأَعْدَاءُ الْمُبْغَضُونَ .

(٥) عَامَتْ : سَبَحَتْ .

(رجع): أنشدني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري، بالديار المصرية سنة ثمانٍ وعشرين وسبعمائة قال: أنشدني لنفسه الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد: [من البسيط]

الحمدُ لله كم أسمو بعزمي في نيلِ العلى وقضاء الله يُنكسه^(١)
كأنني البدرُ يبغي الشرقَ والفَلَّ لك الأعلى يعارضُ مسراهُ فيعكسه

قلت: أخذَه الشيخ تقي الدين من ناصح الدين الأرجاني حيث قال: [من الكامل]

سَعْيِي إليكم في الحقيقة والذي تجدون عنكم فهو سعي الدهر بي
أنحوكم ويرد عزمي القهقري دهرِي فسيري مثل سِير الكوكبِ
فالقصد نحو المشرق الأقصى له والسير رأي العين نحو المغرب

لكن الشيخ تقي الدين أتى بالمعنى كاملاً في بيت واحد، والأرجاني أتى بما يحتاج فيه الثالث إلى الثاني فكان ذلك أكمل. قلت: لا بأس بإيضاح هذا المعنى، وذلك أن كل كوكب من الكواكب السيارة في فلك يخصصه، وهو مرصع في فلكه كالقوس في الخاتم، والأفلاك السبعة دائرة من المغرب إلى المشرق، بدليل أن الهلال يرى في الليلة الأولى في مكان، وفي الثانية ينتقل إلى مكان آخر أخذاً إلى جهة الشرق وفي الثالثة والرابعة كذلك إلى آخر الشهر، حتى يتكمل لفلكه الدورة، وهو أن يعود إلى النقطة التي كان عليها أولاً، وهذه الحركة للفلك لا للكوكب وهي الحركة الذاتية المختصة بكل فلك، وهذه الأفلاك السبعة، وفلك البروج وهو فلك الثوابت يحيط بها فلك تاسع يسمى الأطلس، لأنه لم يظهر للعين فيه شيء من الكواكب. ولعل فيه كواكب لا ترى للبعد المفرط. وهذا الفلك الأطلس يدور بما في باطنه من الأفلاك الثمانية في كل يوم وليلة من المشرق إلى المغرب دورة كاملة فحينئذٍ لكل فلك من الثمانية دورتان ذاتية وهي التي من المغرب إلى المشرق، وقسرية وهي التي من المشرق إلى المغرب، وقربوا تفهيم ذلك بنملة ماشية إلى اليسار على رجلي دائرة إلى اليمين، فللنملة في هذه الحالة حركتان: ذاتية وقسرية. وإنما سميت هذه الحركة العظمى قسرية لأنها تقسر الأفلاك وتدور بها إلى غير جهة حركتها الذاتية، فتعكس دورانها. وهذه الحركة هي التي بها ترى الشمس كل يوم في شروق وغروب، وإلا ففلك الشمس لا يدور الدورة الكاملة إلا بعد مضي سنة شمسية. وذكر ابن أبي جمرة في مسألة الرحمن على العرش استوى أنه يقال: علا القوم زيداً، أي ارتفع. ومعلوم أنه لم يستقر عليهم قاعداً، وكما يقال: علت الشمس

(١) نَكَسَ الشيء: قَلَبَهُ، أو رَدَّهُ.

في كبد السماء، أي ارتفعت. وهي لم تستقر ويشهد لذلك قول جبريل عليه السلام للنبي ﷺ، حين سأله: هل زالت الشمس؟ فقال جبريل عليه السلام: لا، نعم. فقال له النبي ﷺ: لِمَ قلت لا، ثم قلت نعم؟ فقال: بينما قلت لك لا ونعم جرت الشمس مسيرة خمسمائة عام. وقد نصّ عزّ وجلّ على ذلك في كتابه، فقال: والشمس تجري لا مستقرّ لها، على قراءة من قرأ بالنفي.

قلت: الذي قرأ ذلك هو ابن عباس، وابن مسعود، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، وأبو جعفر محمد بن علي، وأبو عبد الله جعفر بن محمد، وعلي بن حسين، نصّ على ذلك ابن جنّي في المحتسب. وهذه الحركة التي ذكرها جبريل عليه السلام هي حركة الشمس القسرية لا الذاتية. وهي حركة الفلك الأعظم. قال الإمام فخر الدين رحمه الله: إنه بقدر ما يرفع الفرس سنبكه من الأرض ويضعه وهو في أقوى جريه يتحرك الفلك الأطلس كذا كذا ألف ميل أو كما قال، فسبحان الله العظيم ذي القدرة والجلال والعظمة: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [غافر: ٥٧]، سبحان من أبدع هذا العالم وأوجده على غير مثال، وقدّر حركات الأفلاك. يقال: إن الإمام فخر الدين كان يقول وهو على المنبر: سبحان خالق تدوير فلك كرة المريخ. قال العلامة شمس الدين محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري: إنما خص الإمام تدوير فلك المريخ دون غيره من الأفلاك، لأنه أعظم تدوير الأفلاك حتى إنه أعظم من الفلك الممثل للشمس الذي يحيط بالأفلاك السفلية، وفلك القمر والعناصر، والمولّدات، ويتفرع على ذلك أنه يكون حين مقارنته للشمس أبعد عنها بما يكون عند المقابلة، وذلك أن الكواكب العلوية إنما تقارن الشمس في ذرى تدويرها، وإنما تقابلها في الحضيضات. فعلى هذا إذا قارن المريخ الشمس كان بينها وبينه قطر تدويره، وإذا قابلها كان بينه وبينها قطر ممثلها. وقطر تدوير المريخ أعظم من قطر ممثل الشمس.

أقول: إذا كانت الكواكب العلوية النيّرة تعاكس في السير فما عسى أن يكون حال من هو في هذا العالم الأرضي وهو عالم الكون والفساد. رأيت في بعض المجاميع لبعض المغاربة: [من مخلع البسيط]

لَسْتُ وَجِيهًا لَدَى إِلَهِي هَذَا مَدَى ذَهْرِي اغْتِقَادِي
لَوْ كُنْتُ وَجْهًا لِمَا بَرَانِي فِي عَالَمِ الْكَوْنِ وَالْفَسَادِ
وقد خطر لي عند تعليق هذا الفصل أن أردّ على الطغرائي في قوله: «والدهر

يعكس آمالي» بحيث يكون ذلك نظماً في وزنه ورويّه فقلت: [من البسيط]

تقولُ يعكسُ آمالي وأنتَ كما علمتُ في عالم في التربِ مُستفل^(١)
أما ترى الشمسَ تلقى عكسَ مقصدها في كلِّ يومٍ ولولا ذاك لَم تفل^(٢)
وكنت نظمت قبل هذا: [من السريع]

لا يعجب المرءُ لعكسِ المُنَى ما فكره في مثلِ ذا نافع
فالأنجمُ السبعُ العلى ما نجت من عكسها بالفلكِ التاسع
وليس عكس المقاصد عند الدهر مطرداً بل هو مع الأذى جارٍ، وعلى نهج
الردى سارٍ، فإن تمنى الإنسان شراً قرّبه، وإن تمنى خيراً قلبه، قال أبو الطيب الذي
جرّبه^(٣): [من الطويل]

وأحسبُ أنّي لو هويت فراقكم لفارقتكم والدَّهرُ أخبثُ صاحبٍ
فيا ليت ما بيّني وبين أحبّتي من البعدِ ما بيّني وبين المصائبِ
يقال: من نكد الوجود أن الإنسان يرى في منامه أنه وجد مالا أو أصاب
جوهراً أو ظفر بخير فإذا انتبه لم يرَ من ذلك شيئاً، وربما يرى أنه قد أحدث، فإذا
انتبه وجد ذلك يقيناً. قال الشاعر: [من الطويل]

أرى في منامي كلَّ شيءٍ يسوءني ورؤياي بعدَ النومِ أذهى وأقبحُ
فإن كان خيراً فهو أضغاثُ حالمٍ وإن كان شراً جاءني قبلَ أصبحِ
وقال أبو العلاء المعري^(٤): [من الطويل]

إلى الله أشكو أنني كلَّ ليلةٍ إذا نمتُ لَم أعدمَ خَوَاطِرَ أوهامي^(٥)
فإن كان شراً فهو لا بدّ واقعٌ وإن كان خيراً فهو أضغاثُ أحلامٍ
وقال الأحنف العكبري^(٦): [من الوافر]

وأحلمُ في المنامِ بكلِّ خيرٍ فأصبحُ لا أراه ولا يراني

(١) مُستفلٌ: من استفل الشيء: سفل: ضدّ علّا.

(٢) لم تُفل: لم تغب.

(٣) ديوان المتنبي: ٣٨٧/١؛ وفيه: «لَفَارَقْتُهُ والدَّهْرُ...».

(٤) ديوان أبي العلاء (سقط الزند): ٢٤٢.

(٥) في الديوان: «لم أعدم طَوَارِقَ أوهامي».

(٦) هو أبو الحسن، عقيل بن محمد العكبري، الملقّب بالأحنف: شاعر، أديب، من أهل «عكبرا»،

واشتهر ببغداد. توفي سنة ٣٨٥هـ/ ٩٩٥م. (الأعلام: ٢٣٢/٤).

وَلَوْ أَبْصَرْتُ شَرًّا فِي مَنَامِي لَقَيْتُ الشَّرَّ مِنْ قَبْلِ الْأَذَانِ
وما أرقّ قول القائل : [من البسيط]

وَزَارَنِي طَيْفٌ مِنْ أَهْوَى عَلَى حَذِرٍ مِنْ الْوُشَاةِ وَدَاعِي الصُّبْحِ قَدْ هَتَفَا
فَكِدْتُ أَوْقَظُ مَنْ حَوْلِي بِهِ فَرَحًا وَكَادَ يَهْتِكُ سِتْرَ الْحَبِّ بِي شَعْفَا^(١)
ثُمَّ انْتَبَهْتُ وَأَمَالِي تَخِيلُ لِي نَيْلَ الْمُنَى فَاسْتَحَالَتْ غِبْطَتِي أَسْفَا
وقال ابن المعتز^(٢) : [من المنسرح]

أَبْصَرْتُهُ فِي الْمَنَامِ مُعْتَذِرًا إِلَيَّ مِمَّا جَنَّاهُ يَفْظَانَا
وَلَا نَ حَتَّى إِذَا هَمَمْتُ بِهِ أَنْ تَبْهَتْ عِنْدَ الصَّبَاحِ لَا كَانَا^(٣)

وما لطف قوله وإن لم يكن من هذه المادّة^(٤) : [من المتقارب]

أَلَمْ الْخَيَالُ بِلَا حَمْدِهِ وَأُبْدِلَنِي الْوَصْلَ مِنْ صَدِّهِ^(٥)
وَكَمْ نَوْمَةٍ لِي قَوَادَةٍ أَتَتْ بِالْحَبِيبِ عَلَى بُعْدِهِ^(٦)

وهذا يشبه قول الآخر : [من البسيط]

تَرَكْتُ هَجَا إِبْلِيسَ ثُمَّ مَدَحْتُهُ وَذَاكَ لِأَمْرِ عَزَّ عِنْدِي سُلُوكُهُ
يُقَرِّبُ مَنْ أَهْوَى إِلَيَّ فَإِنْ أَبَى حَكَاهُ خِيَالًا فِي الْكَرَى فَأَنِيكُهُ

وما أشبه هذا بقول أبي حفص الشطرنجي^(٧) : [من الخفيف]

قُلْ لِمَنْ شِئْتَ إِنَّنِي بِكَ مُغَرَّى ثُمَّ دَعَا يَرُوضُهُ إِبْلِيسُ

أنشدني لنفسه بالديار المصرية من لا أؤثر ذكره هنا : [من الكامل]

لَوْ أَنَّ طَيْفَكَ فِي الْمَنَامِ أُنِيسِي مَا بَتُّ أَشْكَو وَخَشْتِي لِجَلِيسِي
قَمَرٌ أَدَارَ عَلَيَّ خَمْرَةَ رَيْقِهِ وَلِحَاضِهِ وَحَدِيثِهِ الْمَأْنُوسِ

(١) الشَّعْفُ: شِدَّةُ التَّعَلُّقِ وَالْحُبِّ.

(٢) ديوان ابن المعتز: ٦٧٥.

(٣) في الديوان: «تَبْهَتْ عِنْدَ الصَّبَاحِ».

(٤) ديوان ابن المعتز: ٢٣٠.

(٥) في الديوان: «شَفَانِي الْخِيَالُ بِلَا حَمْدِهِ».

(٦) قَوَادَةٌ: تَصِلُ الْحَبِيبَ بِالْحَبِيبِ، أَوْ الْفَاجِرَ بِالْفَاجِرَةِ.

(٧) هو أبو حفص، عمر بن عبد العزيز الشطرنجي: شاعر عُلِّيَّة بنت المهدي، كان منقطعاً إليها.

شُغِفَ بِالشَّطْرَنْجِ، قُسِبَ إِلَيْهِ. توفي نحو ٢١٠هـ/ نحو ٨٢٥م. (الأعلام: ٥٠/٥).

مَا عُمِدْتِي فِي قُرْبِهِ وَحُضُورِهِ وَوِفَاقِهِ إِلَّا عَلَى إِبْلِيسِ
 وَمَا رَمَى إِبْلِيسَ بِحَجَرٍ مِنْ بَنِي آدَمَ أَدْمَغَ لَهُ مِنْ قَوْلِ أَبِي نَوَاسٍ^(١) : [مِنَ السَّرِيعِ]
 عَجِبْتُ مِنْ إِبْلِيسَ فِي تِيهِهِ وَخُبْتُ مَا أَضْمَرَ فِي نَيْتِهِ
 تَاءَ عَلَى آدَمَ فِي سَجْدَةٍ وَصَارَ قَوَادًا لِذُرِّيَّتِهِ^(٢)
 وَهَذَا الْمَعْنَى الَّذِي تَخَيَّلَهُ فِي غَايَةِ الْحَسَنِ ، وَهُوَ الَّذِي فَتَحَ عَلَى إِبْلِيسَ هَذَا
 الْبَابَ وَدَخَلَ النَّاسَ أَفْوَاجًا . قَالَ بَعْضُهُمْ : [مِنَ الْمُتَقَارِبِ]

عَلَامَ تَتِيهِهُ أَبَا مُرَّةٍ وَتَزَهَى كَثِيرًا عَلَى آدَمَ
 وَإِنَّكَ فِي الْخِزْيِ مِنْ بَعْدِهِ تَقُودُ عَلَى جُمْلَةِ الْعَالَمِ
 وَأَمَّا عَلَى ذِكْرِ الْخِيَالِ فَمَا وَلَعَ بِهِ أَحَدٌ وَلَوْعَ الْبَحْتَرِيِّ ، وَلَا أَبْدَعَ فِيهِ مِثْلَ
 إِبْدَاعِهِ حَتَّى صَارَ لَاشْتِهَارِهِ بِذَلِكَ مِثْلًا يُقَالُ : خِيَالُ الْبَحْتَرِيِّ . فَمِنْ ذَلِكَ قَوْلُهُ^(٣) :
 [مِنَ الطَّوِيلِ]

بَلَى وَخِيَالٍ مِنْ أَثِيلَةٍ كَلَّمَا تَأَوَّهْتُ مِنْ وَجْدٍ تَعَرَّضَ يُطْمَعُ^(٤)
 تَرَى مُقْلَتِي مَا لَا يُرَى مِنْ لِقَائِهِ وَتَسْمَعُ أُذُنِي رَجْعَ مَا لَيْسَ يُسْمَعُ^(٥)
 وَيَكْفِيكَ مِنْ حَقِّ تَخْيُّلٍ بَاطِلٍ تُرَدِّدُ بِهِ نَفْسُ اللَّهَيْفِ وَتُرْجَعُ^(٦)
 وَقَوْلُهُ أَيْضًا^(٧) : [مِنَ الطَّوِيلِ]

إِذَا مَا الْكَرَى أَهْدَى إِلَيَّ خِيَالَهُ شَفَى قُرْبُهُ التَّبْرِيحَ أَوْ نَقَعَ الصَّدَى^(٨)
 وَلَمْ أَرْ مِثْلِينَا وَلَا مِثْلَ شَأْنِنَا نَعْدَبُ أَيْقَاطًا وَنَنْعَمُ هُجَّدًا
 وَقَوْلُهُ أَيْضًا^(٩) : [مِنَ الْكَامِلِ]

قَدْ كَانَ مَتْنِي الْوَجْدُ غِبَّ تَذَكُّرٍ إِذْ كَانَ مِنْكَ الصَّدُّ غِبَّ تَنَاسٍ^(١٠)
 تَجْرِي دُمُوعِي حِينَ دَمْعُكَ جَامِدٌ وَيَلِينُ قَلْبِي حِينَ قَلْبُكَ قَاسٍ
 مَا قَلْتُ لِلطَّيْفِ الْمُسْلَمِ لَا تَعُدْ نَفْسِي وَلَا نَهَضْتُ حَامِلَ كَاسِي^(١١)

(١) ديوان أبي نواس : ٣١٥ .

(٢) القَوَادُ: الدُّيُوثُ الَّذِي يَجْمَعُ بَيْنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ لِلْفَحْشِ .

(٣) ديوان البحتري : ٣٤٥ / ١ .

(٤) فِي الدِّيَوَانِ : « وَخِيَالٍ مِنْ قَتِيلَةٍ » .

(٥) فِي الدِّيَوَانِ « مَا لَيْسَ تَسْمَعُ » .

(٦) فِي الدِّيَوَانِ : « فَتَرْجَعُ » .

(٧) ديوان البحتري : ١٥٣ / ١ .

(٨) نَقَعَ الصَّدَى : بَلَّ الْعَطَشَ .

(٩) ديوان البحتري : ٤٣٥ / ١ .

(١٠) فِي الدِّيَوَانِ « قَدْ كَانَ مَتْنِي الْخُزْنِ » .

(١١) فِي الدِّيَوَانِ : « نَعَسَى وَلَا كَفَكُفْتُ حَامِلَ كَاسِي » .

وما أحسن قول أمين الدولة ابن التلميذ^(١): [من المنسرح]

عَاتِبْتَ إِذْ لَمْ يَزُرْ خَيَالُكَ وَالنَّـ وَنُ بِشَوْقِي إِلَيْكَ مَسْلُوبُ
فَزَارَنِي مُنْعِمًا وَعَاتِبَنِي كَمَا يَقَالُ الْمَنَامُ مَقْلُوبُ

دخل ابن القُطَّان^(٢) الشاعر البغدادي يوماً على الوزير الزيني، وعنده الحَيْصُ بَيْصُ^(٣)، فقال: قد عملت بيتين لا يمكن أن يعمل لهما ثالث لأنني قد استوفيت المعنى فيهما. فقال الوزير: وما هما؟ فأنشده: [من البسيط]

زَارَ الْخِيَالَ بِخِيَالٍ مِثْلَ مُرْسَلِهِ فَمَا شَفَانِي مِنْهُ الضَّمُّ وَالْقَبْلُ
مَا زَارَنِي قَطُّ إِلَّا كَيْ يُوَافِقَنِي عَلَى الرَّقَادِ فَيَنْفِيهِ وَيَرْتَحِلُ

فقال الوزير للحِصص بَيْص: ما تقول في دعواه؟ فقال: إن أعادهما سمع لهما ثالثاً. فأعادهما فقال الحِصص بَيْص: [من البسيط]

وَمَا دَرَى أَنَّ نَوْمِي حِيلَةٌ نُصِبْتُ لِطَيْفِهِ حِينَ أَعْيَا الْيَقْظَةُ الْحِيلُ
يَقَالُ: أَوَّلُ مَنْ طَرَدَ الْخِيَالَ طَرْفَةً بَنَ الْعَبْدَ فَإِنَّهُ قَالَ^(٤): [من الطويل]

فَقُلْ لِحَيَالِ الْحَنْظَلِيَّةِ يَنْقَلِبُ إِلَيْهَا فَإِنِّي وَاصِلٌ حَبْلٌ مَنْ وَصَلَ
وَتَبَعَهُ جَرِيرٌ فَقَالَ^(٥): [من الكامل]

طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ وَلَيْسَ ذَا وَقَتِ الزَّيَارَةِ فَارْجِعِي بِسَلَامٍ
وَقُلْتُ أَنَا: [من مجزوء الكامل]

يَا خَجَلَةً لِحَرِيرٍ مَنْ قَوْلِ كَفَانَا اللَّهَ عَارُهُ
طَرَقَتْكَ صَائِدَةُ الْقُلُوبِ بٍ وَلَيْسَ ذَا وَقَتِ الزَّيَارَةِ
هَلْ كَانَ يَلْقَى إِنْ أَتَا هَ خِيَالَ مَنْ يَهْوَى خَسَارُهُ

(١) هو أبو الحسن، هبة الله بن صاعد بن إبراهيم، أمين الدولة، موفق الملك، المعروف بابن التلميذ: حكيم، عالم بالطب والأدب، شاعر، مُتَرْسِّل. ولد ببغداد، وتوفي فيها سنة ٥٦٠هـ/ ١١٦٥م. (الأعلام: ٧٢/٨).

(٢) هو أبو القاسم، هبة الله بن الفضل بن عبد العزيز، المعروف بابن القُطَّان: شاعر هجاء خليع ماجن، من أهل بغداد. توفي سنة ٥٥٨هـ/ ١١٦٣م. (وفيات الأعيان: ٥٣/٦).

(٣) هو سعد بن محمد بن سعد بن الصفي التميمي: شاعر مشهور من أهل بغداد، نشأ بها، وتوفي فيها سنة ٥٧٤هـ/ ١١٧٩م. (وفيات الأعيان: ٣٦٢/٢).

(٤) ديوان طرفة بن العبد: ٧٥.

(٥) ديوان جرير: ٤٥٢.

أَوْ كَانَ قَلْبٌ قَدْ حَوَا هـ مِنْ حَدِيدٍ أَوْ حِجَارِهِ
وَأَيْنَ قَوْلٍ جَرِيرٍ وَطَرْفَةٍ مِنْ قَوْلٍ آخَرَ يَعْنِفُ مِنْ عَتَبٍ عَلَى الْخِيَالِ حَيْثُ قَالَ:
[من مجزوء الكامل]

الطَّيْفُ أَعْشَقُ مِنْكَ إِذْ يَأْتِي إِلَيْكَ وَأَنْتَ رَاقِدٌ
وَفَضَّلَ التَّهَامِي الْخِيَالَ عَلَى الْحَقِيقَةِ فَقَالَ: [من البسيط]

وَصَلَّ الْخِيَالَ وَوَصَلَ الْخَوْدُ إِنْ بَخَلْتُ سَيَّانَ مَا أَشَبَّهُ الْوُجْدَانَ بِالْعَدَمِ^(١)
الطَّيْفُ أَحْسَنُ وَصَلًا إِنْ لَدَّتْهُ تَخْلُو مِنَ الْإِثْمِ وَالتَّنْغِيصِ وَالنَّدَمِ
وَاعْتَذَرَ كَشَاجِمُ^(٢) عَنْ تَأَخَّرِ الْخِيَالَ عَلَى لِسَانِ الْحَبِيبِ فَقَالَ: [من الطويل]

لَقَدْ بَخَلْتُ حَتَّى بِطَيْفٍ مُسَلِّمٍ عَلَيَّ وَقَالَتْ رَحْمَةً لِنَحِيبِي
أَخَافُ عَلَى طَيْفِي إِذَا جَاءَ طَارِقًا وَسَاذَكَ أَنْ يَلْقَاهُ طَيْفٌ رَقِيبِي
نَقَلْتُ مِنْ خَطِّ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ بْنِ عَبْدِ الظَّاهِرِ لَهُ: [من مجزوء الرمل]

إِنْ يَكُنْ يَضْحَكُ فِي الطَّيْفِ فِ حَدِيثِي وَمَقَالِي
كَيْفَ لَا يَضْحَكُ مِمَّا قَصَّ مِنْهُ فِي الْخِيَالِ
وَمِمَّا قَلَّتْهُ فِي الْخِيَالِ: [من مخلع البسيط]

لَمْ يَرْنِي الطَّيْفُ إِذْ أَتَانِي لِذَوْبِ جِسْمِي بِكَ انْتِحَالًا
وَعِنْدَمَا ذَلَّهْ أَنِينِي بَاتَ كِلَانَا يَرَى خِيَالًا
وَقَلْتُ أَيْضًا: [من المتقارب]

ضَمَمْتُ خِيَالَكَ لَمَّا أَتَى وَقَبَّلْتُهُ قُبْلَةَ الْمُغْرَمِ
وَقُفُمْتُ وَمِنْ فَرَحَتِي بِاللِّقَا حَلَاوَةِ ذَاكَ اللَّامِي فِي فَمِي^(٣)

وَمِنْ كَلَامِ الْقَاضِي الْفَاضِلِ رَحِمَهُ اللَّهُ: هَذَا عَلَى أَنَّ الطَّيْفَ لَا أَعْتَدُّ لَهُ بِمَنَّةً،
وَإِنْ رَكِبَ الْمَجَاهِلُ وَقَطَعَ الْمَرَا حِلَّ، وَتَخَطَّى إِلَيَّ أَغْصَانُ الْقَنَا، وَخَاضَ جَدَاوِلَ
الظُّبَا^(٤)، وَوَطِئَ شَوْكَ النَّصَالِ، وَعَثَرَ بِحِبَالِ الْخِبَالِ^(٥)، وَحَلَّ وَأَعَيْنَ الشَّهْبَ إِلَيْهِ

(١) الْخَوْدُ: الْفَتَاةُ الصَّبِيَّةُ الْحَسَنَاءُ النَّاعِمَةُ.

(٢) هُوَ أَبُو الْفَتْحِ، مُحَمَّدُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ شَاهِكِ الرَّمْلِيِّ، الْمَعْرُوفُ بِكَشَاجِمٍ: شَاعِرٌ مُتَفَنٌّ، أَدِيبٌ،
مُنَشِّيٌّ، مِنْ أَهْلِ الرَّمْلَةِ بِفِلَسْطِينَ. تَوَفَّى سَنَةَ ٣٦٠هـ / ٩٧٠م. (الأعلام: ١٦٩/٧).

(٣) اللَّامِي: سُمْرَةٌ فِي الشَّفَةِ تُسْتَحْسَنُ. (٤) الظُّبَا: جَمْعُ الظُّبَّةِ: حَدُّ السِّيفِ.

(٥) الْخِبَالُ: النِّقْصَانُ، أَوْ الْهَلَاكُ، أَوْ الْعَنَاءُ.

حُولِ رِوان^(١)، ودنا وأطراف القسيّ دوان، وكيف أعتدّ له بمئة والفكر يدينيه وأنا يقظان، ويمثل ما لم يكن من قربه كما مثلت العين منه ما كان ويخليني منه، ورب أحباب خلون به دوني، ويوجدني وأنا رهن شوقٍ لو طلبوني عنده ما وجدوني، ذكرت بقوله والفكر يدينيه وأنا يقظان، ما أنشدنيهِ لنفسه شهاب الدين أبو الثناء محمود: [من الطويل]

سَرَى والدَجَى شَوْقٌ إِلَيْهِ وَتَذْكَارُ خَيَالُ أَضَاءَتْ مِنْ ضُلُوعِي لَهُ نَارُ
أُمُوهُ بِالتَّوْهِيمِ سِرٌّ قُدُومِهِ إِذَا مَا اسْتِزَارَتْهُ شُجُونٌ وَأَفْكَارُ

كتب شرف الدين بن عُنين من اليمن إلى أخيه: [من الكامل]

سَامَحْتُ كُتْبَكَ فِي الْقَطِيعَةِ عَالِمًا أَنَّ الصَّحِيفَةَ أَعُوزْتُ مِنْ حَامِلٍ
وَعَذَرْتُ طَيْفَكَ فِي الْجَفَاءِ لِأَنَّهُ يَسْرِي فَيُصْبِحُ دُونَنَا بِمَرَاكِحِلِ

الثاني لأبي العلاء المعري، وهذا مبالغة في البعد بكون الخيال يعجز عن قطع مسافته، ومن المعلوم أن الخيال يجتأب آفاق الأرض في طرفة عين.

سئل بعض العلماء عن قوله ﷺ: «من رآني في منامه فقد رآني حقاً»، فقال السائل في الليلة الواحدة بل الساعة الواحدة يراه جماعة في أماكن شتى من أطراف الأرض فقال نعم هو^(٢): [من الكامل]

كَالشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَضَوْوَهَا يَغْشَى الْبِلَادَ مَشَارِقًا وَمَغَارِبًا

البيت لأبي الطيّب وهو مأخوذ من قول ابن الرومي^(٣): [من الكامل]

كَالشَّمْسِ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ مَحَلَّهَا وَشُعَاعُهَا فِي سَائِرِ الْآفَاقِ

وأخذها هذا من قول البحتري^(٤): [من الطويل]

عَطَاءُ كَضُوءِ الشَّمْسِ عَمَّ فَمَغْرَبٌ يَكُونُ سَوَاءً فِي سَنَاهَا وَمَشْرِقُ

ومثل هذا السؤال ما سئل عنه أبو الفرج بن الجوزي^(٥). قيل له: يا إمام: قُتِلَ

(١) رِوان: جمع رانية: التي تُديم النظر مع سكون طرف.

(٢) ديوان المتنبي: ٢٤٢/١.

(٣) ديوان ابن الرومي: ٣٠١/٤.

(٤) ديوان البحتري: ١٣٤/٢.

(٥) هو أبو الفرج، عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي، القرشي، البغدادي: علامة عصره في التاريخ والحديث، كثير التصانيف. ولد ببغداد، وتوفي فيها سنة ٥٩٧هـ / ١٢٠١م. (وفيات الأعيان: ١٤٠/٣).

الحسين رضي الله عنه بكر بلاء ويزيد في دمشق فكيف ينسب قتله إليه؟ فقال: [من البسيط]
 سَهْمٌ أَصَابَ وَرَامِيهِ بِذِي سَلَمٍ مِّنْ بِالْعِرَاقِ لَقَدْ أَبْعَدَتْ مَرْمَاكَ
 البيت للشريف الرضي وقد أخذه ابن سناء الملك فقال: [من البسيط]
 رَمَيْتَ مِنْ مِصْرَ قَلْباً بِالشَّامِ فَمَا أَسْرَاكَ سَهْمًا إِلَى أَحْشَاءِ أَسْرَاكَ
 وقد تكلم الفقهاء فيمن رأى النبي ﷺ في المنام، وأمره بأمر هل يلزمه العمل
 به أو لا، قالوا: إن أمره بأمر يوافق أمره يقظةً ففيه خلاف، وإن أمره بما يخالف
 أمره يقظةً، فإن قلنا: إن من رآه ﷺ على الوجه المنقول عن صفته، فروياه حق فهذا
 من قبيل تعارض الدليل والعمل بأرجحهما. وما ثبت باليقظة أرجح فلا يلزمه العمل
 بأمره فيما يخالف أمره يقظة.

أورد ابن الأثير في المثل السائر قول بعضهم: [من البسيط]
 وَقَدْ أَشَقَّ الْحِجَابَ الصَّعْبَ بَادِيَةً دُونِي وَتَأْبَى وَلُوجاً فِيهِ إِنَّ طَرَقًا^(١)
 كَالطَّيْفِ يَأْبَى دُخُولَ الْجَفْنِ مُنْفَتِحًا وَلَيْسَ يَدْخُلُهُ إِلَّا إِذَا انْطَبَقَا
 ثم قال: ورأيت ابن حمدون البغدادي^(٢) صاحب «التذكرة» قد أورد هذين
 البيتين في كتابه، وقال: قد أغرب هذا الشاعر ولكنه خلط وجرى على عادة
 الشعراء، لأن الطيف لا يدخل الجفن، وإنما تتخيله النفس.
 قلت: وهذا كلام من لم يطعم من شجرة الفصاحة والبلاغة، وليس يماثله
 عندي إلا ما يحكى عن ملك الروم إذ أنشد عنده بيت المتنبي وهو^(٣): [من الوافر]
 كَأَنَّ الْعَيْسَ كَانَتْ فَوْقَ جَفْنِي مُنَاخَاتٍ فَلَمَّا تُرِّنَ سَالَا
 فسأل عن المعنى ففسر له. فقال: ما سمعت بكذب من هذا الشاعر، رأيت
 من أناخ الجمل على عينه ألا يهلكه؟

قلت: القوة المخيلة لا يختص فعلها باليقظة دون النوم، بل تفعل في النوم
 أقوى لأنها لا تحتاج إلى تحريك أعضاء البدن وإنما تستعمل عين الروح النفساني
 المتكوّن في البطن المقدم من الدماغ وهو لا يتحلل بالاستعمال، فلهذا القوة المخيلة

(١) الولوج: الدخول.

(٢) هو أبو المعالي، بهاء الدين، محمد بن الحسن بن محمد بن علي بن حمدون البغدادي: عالم
 بالأدب والأخبار من أهل بغداد. توفي محبوساً لدى المستنجد العباسي سنة ٥٦٢هـ / ١١٦٧م.
 (الأعلام: ٨٥/٦).

(٣) ديوان المتنبي: ٢٧٨/١.

قادرة على أفعالها في جميع الأحوال إلا أنها لا تتصوّر الأشياء باختيارها لأنها ليست قوّة إرادية وإنما في اليقظة كانت القوّة الإرادية تصرفها على حسب اختيارها. فإذا أتى النوم أتى أمرٌ آخر فاضطرّها إلى أفعالها وذلك الأمر لا يخلو من أحد أمورٍ أربعة: الأوّل: إرتسام صور المحسوسات التي أدركتها الحواس في ذلك اليوم في الخيال، فإذا نام الإنسان تصرّفت القوّة المخيلة في رسوم الصور لقرب عهدها بها، ويسمّى هذا اتصال الحسّ بالخيال وعكسه اتصال الخيال بالحس، كالأحلام وكمن يرى أنه يأكل شيئاً في النوم فيستيقظ وطعمه في فمه. والثاني: أن تنظر القوّة الفكرية في أمر من الأمور مثل سفر أو ملاقة صديق أو رجاء أو خوف واستخدام الخيال في إحضارها صورها وبقيت تلك الصور في النوم فتصرّفت القوّة فيها وفي معانيها ويسمى حديث النفس. وعدّه بعضهم ضرباً من الوسواس. والثالث: أن يتغير المزاج من الروح الذي هو محل القوة فتختلف أفعالها بحسب تغييره، فإن غلب على مزاجها الحرارة رأت الحمام والشمس والنيان وما أشبه ذلك، وهي طبيعة الصنفاء. وإن غلب على مزاجها البرودة رأت الأمطار والسيول والبحار والثلوج وما أشبه ذلك، وهي طبيعة البلغم. وإن غلب على مزاجها الحرارة المعتدلة رأت المطاعم الحلوة والألوان المصبغة والملاهي والحجامة والفصد وما أشبه ذلك، وهي طبيعة الدم. وإن غلب على مزاجها البرودة اليابسة رأت المخاوف والظلمات والسواد وما أشبه ذلك، وهي طبيعة السوداء. وإن غلب على مزاجها الخفة رأت الطيران والطفرة والعدو وما أشبه ذلك، وإن غلب على مزاجها الثقل رأت الأحمال الثقيلة والانحصار والانضغاط وما أشبه ذلك، وإن غلب على مزاجها عفونة الأخلاط رأت الأماكن القذرة والرائحة المنتنة وما أشبه ذلك، وإن غلب على مزاجها الاعتدال في الأخلاط رأت الرياض والرائحة الطيبة وما أشبه ذلك. وعلى الجملة: فإذا خرج مزاج الروح الحامل للقوّة المخيلة عن الاعتدال رأت المنامات المضطربة بغير نظام لأن المزاج لا يثبت على حالة واحدة، وهذه هي أضغاث الأحلام. فما تعلّق من الرؤيا بهذه الأضغاث لم يكن له تعبير وقلّ أن تصدق رؤيا الشعراء لأنهم يستعملون قوتهم المخيلة في اليقظة كثيراً لما يحاولونه في معاني التشبيه والاستعارة والكناية وغير ذلك. والرابع: ما يفيضه واهب الصور على القوّة المخيلة حال النوم بمثال تدركه النفس، وعلم تعبير الرؤيا هو معرفة تطبيق ذلك المثلي على ما قصد به، وربما ألقاه صريحاً بغير مثال فيستغني عن التأويل، ويسمى رؤية المثل بالمثل. (فمن ذلك): المرائي التي ذكرها جالينوس في كتاب «حيلة البرء»، ومنامات الشيخ محيي الدين بن عربي قدّس سرّه، التي ذكرها ضمن كتابه المسمى «بافتوحات

المكية»، وناهيك به من كتاب. وما أحسن قول القائل: [من الطويل]
 له أمرٌ بالرشدِ في يَقطّاتِهِ وفي النُّومِ يَهديه لخيرِ الطرائقِ
 فإنّ قامَ لم يدأبْ بغيرِ فضيلةٍ وإنّ نامَ لم يحلُمْ بغيرِ الحقائقِ
 وما أليق هذا بجناب النبي ﷺ، فإنه كان في مبدأ الأمر قبل النبوة لا يرى رؤيا إلا
 جاءت مثل فلق الصبح. واعلم أن القوة المخيلة لا تستقل بنفسها في رؤية المنام بل
 تفتقر إلى قوة الروية المفكرة والحافظة وسائر القوى العقلية. فمن رأى كأن أسداً تخطى
 إليه وتمطى ليفترسه، فالقوة المفكرة تدرك ماهية سبع ضار، والذاكرة تدرك افتراسه
 وبطشه، والحافظة تدرك حركاته وحياته، والمخيلة هي التي ارتسم فيها ذلك جميعه
 وتخيلته. واعلم أن المنامات التي تحتاج إلى التعبير هي الرؤيا التي تكون من الله تعالى
 إما بشارة أو نذارة لطفاً من الله تعالى لينبه الإنسان على ما يحدث له في المستقبل.
 ولهذا ورد عن النبي ﷺ أنه قال: لم يبق من الوحي إلا الرؤيا الصادقة. وقال ﷺ:
 الرؤيا الصادقة جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة، وفسر ذلك القاضي عياض بأن قال
 ما معناه: إن مدة ما كان النبي ﷺ يتعبّد بغار حراء قبل النبوة تكون قدر جزء من ستة
 وأربعين جزءاً من مدة النبوة وهي إحدى وعشرون أو ثلاث وعشرون أو خمس وعشرون
 سنة. قلت: قالوا: أصح الأقوال أنه عاش ﷺ ثلاثاً وستين سنة، وأنه نُبئ على رأس
 الأربعين سنة، فمدة النبوة ثلاث وعشرون سنة. وثبت أنه كان يوحى إليه مناماً قبل البعثة
 بستة أشهر وهي نصف سنة، فإذا نسبنا ستة أشهر من ثلاث وعشرين سنة كان جزءاً من
 ستة وأربعين، وهو كما جاء في أشهر الأقوال. واعلم أن السبب في تأخير تحقيق
 المنامات السارة، وسرعة تحقيق المنامات الضارة، هو أن القوة الإلهية المظهرة لهذه
 المنامات تعجل البشارة بالخيرات الكائنة قبل أوانها بمدة طويلة، لتكون مدة الفرح
 والسرور أطول. فتكون النفس منبسطة بالبشارة، مرتاحة بتوقع وصولها قبل حصولها،
 وفي الجهة الأخرى تظهر الإنذار بالشرور الكائنة في زمانٍ يقرب من حصولها ليقصر
 زمان الهمّ والغمّ، وكثيراً ما لا يشعر بالهمّ ولا ينذر به إذا لم يكن للإنسان منبه إشفاقاً
 عليه لئلا ينضاف إلى ذلك الشر الهمّ الحاصل من الشعور بحصوله، وليس حصول الشر
 سريعاً، وحصول الخير بطيئاً من القواعد المطردة. قيل لجعفر الصادق رضي الله عنه:
 كم تتأخر الرؤيا؟ فقال: رأى النبي ﷺ كلباً أبقع يلغ في دمه، فكان شمر بن ذي
 الجوشن قاتل الحسين وكان أبرص، وكان تأخير الرؤيا خمسين سنة. وقال بعضهم:
 تتأخر الرؤيا إلى عشرين سنة. فإن يوسف عليه السلام إنما رأى تأويل رؤياه بعد عشرين
 سنة. قال الرئيس أبو علي بن سينا في «الشفاء» في كتاب الحيوان: والصبي لا يحلم
 حلماً يعتدّ به إلى أربع سنين. ومن الناس من لم يحلم إلى أن يسن ومنهم من لم يحلم

البتة. ثم قال في أثناء الكتاب: ويضحك الصبي بعد أربعين يوماً، وذلك أول ما تفعل النفس الناطقة في بدنه، ويرى المنامات بعد شهرين فيما يظن به وينساها لأنه في مثل ذلك الوقت بالتقريب تختلف عنده المحسوسات، ويميّز بينها وترتسم في خياله. وقال أيضاً: كل حيوان دموي مشاء فإنه ينام ويستيقظ، وكل ذي جفن فإنه يطبقه عند النوم، وقد يحلم غير الإنسان من ذوات الأربع، يظهر ذلك من شمائلها وحركاتها وأصواتها.

ومن نوادر الخيال ما حكى أن بعضهم كتب إلى امرأة كان يهواها: مُري خيالك أن يلّم بي. فكتبت إليه: إبعث إليّ بدينار حتى أجيء إليك بنفسي في اليقظة. ومثل هذا ما حكى أن بعض البخلاء كتب إلى غلام يهواه: وضعت على الثرى خدي لترضى. فكتب إليه الغلام: إبعث إليّ بدينار حتى أدعك تضع خدك على خدي. وقيل: إن بعض المغفلين تعب في تحصيل من كان يهواه مدّة طويلة، فلما حصل عنده وضع العاشق رأسه ونام. فقال له: لأيّ شيء تفعل هذا؟ قال: من عشقي فيك أنام لعلّي أرى خيالك في المنام. وما أحسن قول السراج الورّاق ومن خطه نقلت: [من مخلع البسيط]

فَسَّرَ لِي عَابِرٌ مَنَاماً فَصَّلَ فِي قَوْلِهِ وَأَجْمَلَ
وَقَالَ لَا بَدَّ مِنْ طُلُوعٍ فَكَانَ ذَاكَ الطُّلُوعُ دُمْلَ

أنشدني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين محمد بن سيد الناس بالقاهرة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة قال: أنشدني لنفسه الحكيم شمس الدين مُحمّد بن دانيال الموصلي: [من مخلع البسيط]

كَمْ قِيلَ لِي إِذْ دُعِيتُ شَمْساً لَا بُدَّ لِلشَّمْسِ مِنْ طُلُوعٍ
فَكَانَ ذَاكَ الطُّلُوعُ دَاءً يَرْقَى إِلَى السَّطْحِ مِنْ ضُلُوعِي

وقال الشيخ تقي الدين السروجي: [من الخفيف]

بِي طُلُوعٌ أَنَا بِهِ فِي نُزُولٍ وَطُلُوعٌ بَلَا ارْتِفَاعٍ نُزُولُ
قِيلَ لَا بَدَّ أَنْ يَزُولَ سَرِيعاً قُلْتُ أَخْشَى أَزُولَ قَبْلَ يَزُولُ

وذكرت بما أوردته مما نقله ابن الأثير من البيتين اللذين أولهما «وقد أشق الحجاب الصعب» ما نقلته من خط ناصر الدين حسن بن النقيب: [من الطويل]

نَصَبْتُ جُفُونِي لِلْخِيَالِ حَبَائِلًا لَعَلَّ خِيَالًا فِي الْكَرَى مِنْهُ يَسْنَحُ^(١)
وَكَيْفَ إِذَا أَغْمَضْتَهُنَّ أَصِيدُهُ وَمِنْ عَادَةِ الْأَشْرَاكِ لِلصَّيْدِ تَفْتَحُ

(١) سَنَحَ الشَّيْءُ سُنُوحًا: عَرَضَ.

وهو مأخوذ من قول ابن سناء الملك: [من الطويل]

سَرَى طَيْفُهُ لَا بَلْ سَرَى بِي سَرَابُهُ وَقَدْ طَارَ مِنْ وَكْرِ الظَّلَامِ غُرَابُهُ
وَمَا كَانَ يَدْرِي الطَّيْفَ قَبْلَ طُرُوقِهِ بَأَنَّ انْفِتَاحَ الْجَفْنِ مَنِّي حِجَابُهُ^(١)

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين مُحَمَّد بن نُباتة: [من الطويل]
كَفَى حَزْناً أَنْ لَا أَرَأَيْتَ لِمَحَّةٍ وَلَا أَشْهَدَ اللَّذَاتِ إِلَّا تَخِيُّلاً
وَلَا أَسْتَزِيرَ الطَّيْفَ خَوْفَ فِرَاقِهِ لِمَا ذُقْتُ مِنْ طَعْمِ التَّفَرِّقِ أَوَّلًا
وَأَقْسَمُ لَوْ جَادَ الْخَيَالُ بِزُورَةٍ لَصَادَفَ بَابَ الْجَفْنِ بِالْفَتْحِ مُقْفَلًا^(٢)
رجع: ذكرت بقول الطغرائي: ويقنعني من الغنيمة بعد الكد بالقفل ما نظمته
أنا وهو: [من السريع]

قَنَعْتُ بِالْعَوْدِ إِلَى مَنْزِلِي وَذَلِكَ دَأْبُ الْمَرْءِ فِي خَيْبَتِهِ
كَالْحَجَرِ الْمُلْقَى إِلَى صَاعِدٍ لَيْسَ لَهُ هَمٌّ سِوَى عَوْدَتِهِ

اختلف أهل النظر في هذا الموضع فقال قوم: إنَّ السهم أو الحجر أو غيرهما
إذا رمى به صعوداً وتناهى صعوده كانت له في آخر صعوده لبثة ما ثم يتصوّب منحدرًا.
وقال آخرون: لا لبث هناك وإنما أوّل وقت حدوره عقيب آخر صعوده. قال ابن
جني: وهذا القول أشبه بسياق هذا الكلام على قول أبي الطيّب^(٣): [من الوافر]

وَمَا أَنَا غَيْرُ سَهْمٍ فِي هَوَاءٍ يَعُودُ فَلَمْ يَجِدْ فِيهِ امْتِسَاكًا

قلت: القول الأوّل: ذهب إليه الرئيس أبو علي بن سينا لأنه يقول: إمّا أن
يحصل بين الحركة الصاعدة والحركة الهابطة زمان أو لا. والثاني: محال وإلاّ لم
تتالي الآتات فيلزم من ذلك تركب الحركة الصاعدة والحركة الهابطة، من أجزاء لا
تتجزأ هذا خلف، فتعين الأوّل فالجسم ساكن في ذلك الزمان. هذا ملخص ما حكاه
أثير الدين الأبهري في كشف الحقائق ثم قال: وفيه نظر لأن الآن لا وجود له في
الأعيان، وإلاّ لكان في الحركة جزء لا يتجزأ، فيكون في الجسم جزء لا يتجزأ وهو
محال.

قلت: هذا مبني على إثبات الجوهر الفرد وهو الجزء الذي لا يتجزأ وهي
مسألة عظيمة تدور عليها قواعد كثيرة من علم الكلام، وإثباته يشقّ على من ناظر

(١) الطُروق: الإثباتُ ليلاً.

(٢) الزورة: الزيارة.

(٣) ديوان المتنبي: ٤١١/٢.

الفيلسوف . قال : الذي منع ثبوته كل جزء تفرضه فإن يمينه يتميز عن يساره ، ومتى كان كذلك قبل القسمة . وقال المتكلمون : لا بدّ أن ينتهي القول إلى إثبات جزء فاصل بين كل يمين ويسار فرضاً في قسمة الأجزاء وهو المطلوب .

(مسألة فرضية فيها إثبات الجوهر الفرد) : وهي : أختان اشترتا أمهما ، ثم إنَّ أمهما وأجنبياً اشتريا أباهما يعني أبا الأختين فماتت إحدى الأختين ولم تخلف إلا أختاً والأجنبي فلها النصف بالأخوة والباقي لمعتقي الأب وهما الأم والأجنبي والأم ميتة فنصيبها وهو الربع للأختين لأنهما معتقتاها وإحداهما ماتت فنصيبها وهو الثمن لمعتقي الأب وهما الأم والأجنبي ، والأم ميتة فنصيبها وهو نصف الثمن للأختين وواحدة ميتة فنصيبها وهو ربع الثمن للأم والأجنبي ، والأم ميتة فنصيبها وهو ثمن الثمن للأختين ، وهكذا إلى ما لا نهاية له . ويبقى شيء لا ينقسم على هذا النمط فتأمله يثبت لك الجوهر الفرد والله أعلم .

واحتال الفرضيون على قسمة هذا الميراث فقالوا : نحن رأينا هذا الثمن الدائر ثلثاه للأجنبي وثلثه للبنت الموجودة إذ لها نصف بالأخوة وثلث بالجر وثلث الثمن الدائر أيضاً بما قررناه ، وللأجنبي ربع وثلثا الدائرة فيكون للبنت الثلثان فتجعل من ستة ، ثلاثة للبنت بالأخوة والباقي ثلاثة ، سهمان منها للأجنبي وسهم واحد للبنت بالولاء الذي انجر إليها من المعتق فيكون للبنت أربعة أسهم وللأجنبي سهمان والله أعلم .

وبالغ أبو إسحاق النظام^(١) من المعتزلة في القول بعدم إثبات الجوهر الفرد . وما أحلى قول ابن سناء الملك : [من الطويل]

وَلَوْ عَايَنَ النَّظَامُ جَوْهَرَ تُغْرِهَا لِمَا شَكَّ فِيهِ أَنَّهُ الْجَوْهَرُ الْفَرْدُ
وقوله أيضاً : [من الطويل]

وَقَدْ حَرَّرَ النَّظَامُ جَوْهَرَ تُغْرِهِ أَلَسْتَ تَرَاهُ قَدْ تَقَسَّمَ بِالْفَلَجِ^(٢)

وما أحسن قول المعتزّد بن عبّاد يُضَمِّن قول أبي الطيب : [من الطويل]
وَمَا كُنْتُ بَعْدَ الْبَيْنِ إِلَّا مُوْطِنًا لِنَفْسِي عَلَى أَنْ لَا يَكُونَ إِيَابُ^(٣)
وَلَكِنَّكَ الدُّنْيَا إِلَيَّ حَبِيبَةً فَمَا عُنْكَ لِي إِلَّا إِلَيْكَ ذَهَابُ

(١) هو أبو إسحاق ، إبراهيم بن سيّار النظام البصري : شاعر ، أديب ، بليغ ، من أئمة المعتزلة ، توفي سنة ٢٣١هـ / ٨٤٥م . (طبقات ابن المعتز : ٢٤٨ ؛ تاريخ بغداد : ٩٧/٦) .

(٢) الْفَلَجُ : التباعد ما بين الأسنان .

(٣) وَطَّنَ النَّفْسَ عَلَى الشَّيْءِ : حملها عليه .

ومثل الأول قول ولده المعتمد: [من مجزوء الكامل]

مَا سِرْتُ قَطُّ إِلَى الْقِتَا لِ فَكَانَ مَنْ أَمَلِي الرُّجُوعُ
شَيْمُ الْأُولَى أَنَا مِنْهُمْ وَالْأَصْلُ تَتْبَعُهُ الْفُرُوعُ^(١)
وَالْأَصْلُ فِيهِ قَوْلُ قَيْسِ بْنِ الْخَطِيمِ^(٢): [من الطويل]

فَإِنِّي فِي الْحَرْبِ الضَّرُوسِ مُوَكَّلٌ بِتَقْدِيمِ نَفْسٍ لَا أُرِيدُ بَقَاَهَا
قَالَ أَبُو دَلَامَةَ^(٣): كُنْتُ فِي عَسْكَرِ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ^(٤) أَيَّامَ زَحْفٍ إِلَى
طَبْرُستان، فَخَرَجَ رَجُلٌ مِنْهُمْ يَنَادِي الْبَرَّازَ، فَمَا خَرَجَ إِلَيْهِ أَحَدٌ إِلَّا أَعْجَلَهُ، فَجَعَلَ
مَرْوَانُ يَنْدُبُ النَّاسَ عَلَى خَمْسَمِائَةِ دِرْهَمٍ، فَقَتَلَ أَصْحَابَ الْخَمْسَمِائَةِ، فَندبهم على
ألف ولم يزل إلى خمسة آلاف، فلما سمعت الخمسة آلاف اقتحمت الصف، فلما
نظر الخارجي إليّ برز وهو يقول: [من الرجز]

وَخَارِجٍ أَخْرَجَهُ حُبُّ الطَّمْعِ فَرَّ مِنَ الْمَوْتِ وَفِي الْمَوْتِ وَقَعُ
مَنْ كَانَ يَنْوِي أَهْلَهُ فَلَا رَجْعُ

قال: فلما وقعت في أذني وليّ هارباً ودخلت في غمار الناس. وكان أبو
دُلامة مع أبي مُسلم في بعض حروبه، فدعا رجلاً إلى البراز، فقال أبو مُسلم لأبي
دُلامة: أخرج إليه، فقال: [من الطويل]

أَلَا لَا تَلْمَنِي إِنْ هَرَبْتُ فَإِنِّي أَخَافُ عَلَى فَخَّارَتِي أَنْ تَحْطَمَا
فَلَوْ أَنَّنِي أَبْتَاعُ فِي السُّوقِ مِثْلَهَا وَجَدْتُكَ مَا بَالِيْتُ أَنْ أَتَقَدَّمَا
ولما خرج أبو دُلامة مع روح المهلب^(٥) لقتال الشُّرّة، وأمره بالمبارزة قال:

[من البسيط]

إِنِّي أَعُوذُ بِرُوحٍ أَنْ يُقَدِّمَنِي إِلَى الْقِتَالِ فَتُخْزَى بِي بَنُو أَسَدٍ

(١) الشَّيْمُ: الصفات أو الطباع.

(٢) هو أبو يزيد، قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي: شاعر مُكثر مُجيد، من شعراء المدينة في
الجاهلية. توفي سنة ٢٠٢ هـ/ ٦٢٠ م. (طبقات ابن سلام: ٢٢٨؛ الأغاني: ٣/٣).

(٣) هو أبو دلامة، زند الجون الأسدي بالولاء: شاعر مطبوع، من أهل الكوفة، انقطع إلى أوائل
ال خلفاء العباسيين ومدحهم. توفي سنة ١٦١ هـ/ ٧٧٨ م. (الشعر والشعراء: ٢/٦٦٠؛ طبقات
ابن المعتز: ٤٦).

(٤) هو أبو عبد الملك، مروان بن محمد بن مروان بن الحكم الأموي: آخر خلفاء بني أمية
المعروف بالجعدي، وبالحمار. توفي سنة ١٣٢ هـ/ ٧٥٠ م. (الأعلام: ٧/٢٠٨).

(٥) هو روح بن حاتم بن قبيصة بن المهلب الأزدي: أمير، جواد، مُمدِّح. توفي في أثناء ولايته
على القيروان سنة ١٧٤ هـ/ ٧٩١ م. (الأعلام: ٣/٣٤).

إِنَّ الْبِرَارَ إِلَى الْأَقْرَانِ أَعْلَمُهُ
قَدْ حَالَفْتُكَ الْمَنِيَا إِذْ صَمَدَتْ لَهَا
إِنْ الْمُهَلَّبَ حُبَّ الْمَوْتِ أَوْرَثَكُمْ
لَوْ أَنَّ لِي مُهْجَةً أُخْرَى لَجَدْتُ بِهَا
وقال ابن أبي قيس: [من البسيط]

قَامَتْ تُشْجِعُنِي ضَلًّا بِتَضْلِيلِ
هَاتِي شُجَاعًا بَغِيرَ الْقَتْلِ مِيتَتُهُ
لَمَّا رَأَيْتُ سَيْوْفَ الْقَتْلِ مُصَلَّتَةً
اللَّهُ سَلَّمَنِي مِنْهُمْ وَخَلَّصَنِي
وَاللَّهُ لَوْ أَنَّ جَبْرِيلًا تَضَمَّنَ لِي

قيل: إن بعض الجبناء ولّى هارباً عند التقاء الصفيين فقليل له: إن الأمير يغضب عليك لفرارك. فقال: غضبه عليّ وأنا حي خير لي من رضاه عليّ وأنا ميت.

وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمَحِ مُعْتَقِلٍ بِمِثْلِهِ غَيْرَ هَيَّابٍ وَلَا وَكَلٍ

(اللغة). ذي: بمعنى صاحب. (الشطاط): بالفتح والكسر اعتدال القامة. يقال: جارية شاطّة بينة الشطاط. (الاعتقال) هو أن يضع الفارس رمحه بين ساقه وركابه، واعتقلت الشاة إذا وضعت رجليها بين فخذيك. (هيّاب): رجل هيوّبة وهياّبة وهيّاب وهيّاب بتشديد الياء أي جبان وكذلك الهيوّب، وفي الحديث: الإيمان هيوّب، أي صاحبه يهاب المعاصي. (الوكّل): رجل وُكِّلَ بالتحريك ووكلة مثل همزة أي عاجز يكل أمره إلى غيره ويتكل عليه، وموكل مثل موحد وهو شاذ. (الإعراب): الواو واو رُبّ، قال الشيخ بدر الدين محمد بن مالك: ربّ: حرف تقليل وتستعمل في التكثير كما قال الشاعر: [من الخفيف]

رُبّ رِفْدٍ هَرَفْتُهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ مَ وَأَسْرَى مِنْ مَعْشَرٍ أَقْيَالٍ^(١)

وقال تعالى: ﴿رُبَّمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾ [الحجر: ٢] فَرُبَّ هُنَا معناها التكثير كما جاء في كلامهم وهو كثير مثل رُبّ ساع لقاعد، ورُبّ غافل ينتظره الموت. ثم قال بدر الدين: وتختص بالنكرات نحو ربّ رجل لقيته. قلت: لأن النكرة تدل على الشيوع فيجوز فيها التقليل لقبولها التقليل والتكثير. وأما

(١) الرُّفْدُ: المعونة. الأقيال: جمع القيل: الملك دون الملك الأعظم.

المعرفة فمعلومة المقدار فلا تحتمل قليلاً ولا كثيراً. ثم قال بدر الدين: وقد تدخل في السعة على المضمّر كما تدخل على المظهر مثل: دخول الكاف في الضرورة كقول العجاج: [من الرجز]

خَلَّى الزناباتِ شمالاً كَثَبَا وأَمَّ أوعالٍ كَهَا أو أَقْرَبَا
إلا أن الضمير بعد رُبَّ يلزم الأفراد والتذكير والتفسير بتميز بعده نحو: رُبُّه رجلاً عرفته، ورُبُّه امرأة لقيتها. أنشد أحمد بن يحيى: ورُبُّه عطباً أنقذت من عطبه.

قلت: قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس: اختلف في الضمير العائد إلى النكرة هل هو معرفة أو نكرة، فإن قلنا بأن ضمير النكرة نكرة، وبه قال السيرافي والزمخشري وجماعة، فلا إشكال في دخول رُبَّ على الضمير، وإن قلنا بأن ضمير النكرة معرفة، وبه قال أكثر النحاة وهو الصحيح، فإنما جاز دخول رُبَّ على الضمير لأنه لما أبهم من جهة تقديمه على المفسر ومن جهة وقوعه للمفرد والمثنى والمجموع بلفظ واحد، وشاع من جهة تفسيره بالنكرة صار فيه من الإبهام والشيوع ما قارب به النكرة فجاز دخول رُبَّ عليه. قال بدر الدين: وتجري رُبَّ مع إفادتها التقليل مجرى اللام المقوية للتعدية في دخولها على المفعول به وتختص بوجوب تصديرها ونعت مجرورها ومضي معادها وهو ما بعد النعت من فعل مفرع ظاهر أو مقدّر مثال الظاهر: رب رجل كريم عرفت. ومثال المقدّر: رُبَّ رجلٍ عَرَفْتُهُ، أي عرفت. وكذلك قولك: رب رجل رأيت، ورب رجل كريم رأيته.

قلت: قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس: لا بدّ للمخصوص بها أو بما ناب منابها من الصفة، وفي هذه المسألة خلاف وهو هل المجرور بربّ لازم الصفة أو لا، فمن الناس من قال بعدم اللزوم، ومنهم من قال باللزوم، كأبي علي، والزمخشري، وابن عصفور، ومن تبعهم. واحتجوا لذلك بأن الصّفة في النكرة للتخصيص فهي تفيد الموصوف قليلاً فيوافق المعنى المقصود في أنّ ربّ للتقليل. وقال الشيخ بهاء الدين أيضاً: إنما جاز رُبَّ رجل وأخيه ولم يجر رُبَّ أخيه لأن الثواني يجوز فيها ما لا يجوز في الأوائل بدليل قولهم: كل شاةٍ وسخلتها بدرهم، ومررتُ برجلٍ قائمٍ أبواه لا قاعدين. ولو قلت: كل سخلتها ومررتُ برجلٍ لا قاعدين أبواه لم يجر وإنما جاز في الثواني ما لم يجر في الأوائل من قبل أنه إذا كان ثانياً يكون ما قبله قد وفى الموضع حقه فيما يقتضيه فجاز التوسع في ثاني الأمر بخلاف ما لو أتينا بالتوسع في أول الأمر فإننا حينئذٍ لا نعطي الموضع شيئاً ممّا يستحقه، هذا إذا لم نقل إن المضاف إلى ضمير النكرة نكرة، فإن قلنا إنه نكرة كان الجواز أسوغ. قال: ولا يكون العامل فيها إلا بمعنى المضي، كقولك: رُبَّ رجلٍ

وعلاّمة جرّها الياء. (شطاط): مضاف إلى ذي وسيأتي الكلام على الإضافة فيما بعد. (كصدر): الكاف بمعنى مثل وهي في موضع جرّ لأنها صفة لذي المجرورة برّبّ وصدر مجرور بالإضافة. (الرمح): مجرور بالإضافة إلى صدر. (معتقل): مجرور على أنه صفة بعد صفة لذي. (بمثله): جار ومجرور والهاء في موضع جرّ بالإضافة وهي ترجع إلى الرمح والجار والمجرور في موضع نصب مفعول لاسم الفاعل وهو معتقل، كأنه قال معتقل مثله. (غير هيّاب): غير مجرور على أنها صفة لمعتقل فإن قلت: معتقل نكرة وغير هيّاب معرفة فكيف توصف النكرة بالمعرفة؟ قلت: غير لا تتعرف بالإضافة إلّا إذا وقعت بين متضادين وكانا معرفتين كما تقول عجبت من قيامك غير قعودك، أو عجبت من الحركة غير السكون. وهيّاب لم يصاد معتقلاً فغير نكرة هنا مع وجود الإضافة. ومن خواص غير أن لا تدخلها الألف واللام. (ولا وكل) الواو: عاطفة، ولا: حرف نفى، وغير للنفي فعطفت النفي على النفي، وוכל مجرور بالعطف على هيّاب.

(المعنى): وصاحب قامّة معتدلة مثل صدر الرمح معتقل برمح غير جبان ولا عاجز، أخذ يصف صاحبه ويعدّد ما هو عليه من كمال الخلق والخلق والصفات التي تطلب من رفاق السفر في الليل من الشجاعة والإقدام وغير ذلك. فقد التفت إلى هذا فاقتضب مما كان يشرحه ويوضحه من حاله ومقامه في بغداد وغربته، وفقره وعدم أصحابه، وعكس مقاصده وصف هذا الرفيق. والالتفات عادة البلغاء فيلتفتون من فنّ إلى فنّ ومن أسلوب إلى أسلوب، على عادة العرب في كلامهم. وأرى الاقتضاب نوعاً من الالتفات كقول أبي نواس في قصيدته النونية بينا يصف الخمر ويقول من ذلك^(١): [من المديد]

مَا اسْتَقَرَّتْ فِي فُؤَادِ فَتَى فَدَرَى مَا لَوْعَةُ الْحَزَنِ
إِذْ اقْتَضَبَ ذَلِكَ وَقَالَ بَعْدَهُ:

تَضَحَّكَ الدُّنْيَا إِلَى مَلِكٍ قَامَ بِالْآثَارِ وَالسُّنَنِ^(٢)

وكذلك الطغرائي بينا هو في ذكر حاله، وما هو عليه من شكوى الزمان، إذ اقتضب ذلك وأخذ في وصف الصاحب الذي ذكره، فهذا التفتات من نوع إلى نوع. وقول ابن الأثير في المعاني المبتدعة وتغليطه الناس في الالتفات، ومشاحة من أدخل في الالتفات ما ليس من شرطه، وهو أن الالتفات الرجوع من الخطاب إلى

(١) ديوان أبي نواس: ٤١٢.

(٢) في الديوان: «قام بالأحكام».

الغيبية أو بالعكس، تحكم منه، وإنما الالتفات هو الخروج من نوع إلى نوع، وسلوك سبيل بعد سبيل، حتى أن التخلّصات هي نوع من الالتفات، ولكن خروجها متّصل بمناسبة بين الغزل والوصف أو غير ذلك، وبين المدح. وأرباب البلاغة يسمون الالتفات شجاعة العربية، وهو ينقسم ثلاثة أقسام، الأول: الرجوع من الغيبة إلى الخطاب وبالعكس، فالأول كقوله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢]، ثم قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، انتقل من الغيبة إلى الخطاب. والثاني كقوله: ﴿أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] انتقل من الخطاب إلى الغيبة، وأقول: إنما عدل في الأول من الغيبة إلى الخطاب، لأن الحمد دون العبادة، ألا تراك، تحمد نظيرك ولا تعبد، فكان القارئ توسّل إلى الأعلى بالأدنى وإلى الخطاب بالغيبة، على سبيل التدرّج إلى الغاية ولم يخاطب الله من أوّل وهلة: [من الكامل]

قَدَّم يَدًا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْنِي يَدًا وَمَبْرَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ تُدْنِي فَمَا

فكأنه أثنى أولاً، ثم خاطبه ثانياً. وفي الثاني إنما عدل عن الخطاب إلى الغيبة لأن المقام مقام سؤال وتعطف وطلب هداية ورحمة من الله تعالى، فلو قال: غير الذين غضبت عليهم، لكان قد نسب الغضب إليه تعالى، وكان بمنزلة من يقول أنت تنعم وتنتقم، وتعفو وتؤاخذ، وفي هذا من المواجهة لمن يطلب إحسانه ورحمته وهدايته ما فيه، لأنك تذكره بما له عليك، أما إذا قلت: أنت المنعم الذي لا يغضب، والعفو الذي لا يؤاخذ، كنت قد أتيت بما زاده عطفاً عليك، وأغراه بالعفو عنك. وما أحسن قول القائل: [من الكامل]

حِجْجِي عَلَيْكَ إِذَا خَلَوْتَ كَثِيرَةً وَإِذَا حَضَرْتَ فَلِإِنِّي مَخْضُومٌ لَا أَسْتَطِيعُ أَقُولُ أَنْتَ ظَلَمْتَنِي وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَنِّي مَظْلُومٌ

والثاني من أقسام الالتفات الرجوع عن الفعل المستقبل إلى الأمر وعن الماضي إلى الأمر، فالأول كقوله تعالى: ﴿إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْرَبْنَا بِأَرْثِ الْغَنِيِّ﴾ [هود: ٥٤] انتقل من الاستقبال إلى الأمر، والثاني كقوله تعالى: ﴿قُلْ أَمَرَ رَبِّي بِالْقِسْطِ وَأَقِيمُوا وُجُوهَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩] أقول: إنما عدل في الآية الأولى عن المستقبل إلى الأمر، لثلا يساوي بين شهادة الله تعالى وشهادتهم، فلم يقل أشهد الله وأشهدكم، وإنما عدل في الآية الثانية عن الماضي إلى الأمر، لأن لفظ الأمر فيه العناية بما أمر به. فإذا قلت: أمرتك بالقيام وصلّ لله تعالى كان أبلغ من قولك: أمرتك بالقيام

والصلاة. والثالث: الإخبار عن الفعل الماضي بالمستقبل وبالعكس. فالأول كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا فَرَى الْوَدَّ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ الآية [الروم: ٤٨]، انتقل من الماضي إلى المستقبل. والثاني كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ نُفِخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ﴾ الآية [النمل: ٨٧]. انتقل من المستقبل إلى الماضي، وأقول: إنما عدل في الأول عن الماضي إلى المستقبل، طلباً لاستحضار حال تلك الصورة البديعة، كأن المستقبل في الانتظار والتوقع فيطلب بذلك التهيؤ والتطلع لوقوع الحال، بخلاف الماضي فإنه أمر فرغ منه وليس للنفوس إليه تطلع، وفي الثاني إنما عدل عن المستقبل إلى الماضي، لأن الماضي أمر وقع وصح وثبت وتحقق كونه. ولما كان الحشر وفزع أهل السموات والأرض أمراً مطلوباً ثبوته وتحققه، أخبر عنه بالماضي الذي وقع، وجزم العقل به بخلاف المستقبل، فإنه أمر مظنون يحتمل وقوعه وعدمه، فانظر إلى ما أعطى الالتفات في هذه المواضع من المعاني، وأفادها من الحكم، فتبارك الله الذي أنزل القرآن وجعله معجزاً نأت غايته عن البشر، وبعدت مرامي معانيه وحكمه عن المعارضة والإتيان بمثله، أو بسورة منه. تنزيل من حكيم حميد.

قال الزمخشري^(١): والالتفات من أسلوب إلى أسلوب تطريةً لنشاط السامع، وطلباً للإصغاء إليه. قلت: ألا ترى أن الطغرائي لما أخذ في وصف حاله وما هو فيه من النكد وضيق الحال، كأنه أطال على المخاطب في ذلك وأحس منه بالملل، فالتفت إلى وصف هذا الصاحب الذي رافقه، فأنشأ للسامع معنى غير الأول بعث له نشاطاً جديداً واستأنف له إصغاء آخر، وجدّد له تطلّعاً يتشوف معه إلى الوقوف على هذا الخبر الثاني، وهذا غير خافٍ، وصدر بيت الطغرائي هو بعينه صدر بيت الحريري في مقامته الرابعة والأربعين من قصيدته البائية لأنه قال: [من البسيط]

وَذِي شَطَاطٍ كَصَدْرِ الرُّمَحِ قَامَتُهُ صَادَفَتْهُ بِمَنْئَى يَشْكُو مِنَ الْجَدَبِ
ومثل هذا لا يعدّ سرقة لأن المعنى ليس ببديع، ولا لفظه بفظيع، ولا الطغرائي بعاجز عن الإتيان بمثله، بل جرى على لسانه ونسي أن هذا لغيره لعدم الاحتفال بأمره، إذ هو ليس بأمر كبير، وهذا كثير الوقوع للناس، لا يكاد يسلم الفحول منه. ولهذا قال أشياخ الأدب: ما حفظ المقامات أحد ونسيها إلا نظم ونثر. وقوله: كصدر الرمح معتقل بمثله من الإنجاز والاختصار، لأنه استغنى بمثله عن أن

(١) هو أبو القاسم، جار الله، محمود بن عمر بن محمد الخوارزمي، الزمخشري: من أئمة العلم بالدين والتفسير واللغة والآداب. توفي سنة ٥٣٨هـ / ١١٤٤م. (الأعلام: ١٧٨/٧).

يقول: برمح طويل قويّ معتل. وما أحسن المثل المشهور: يكفيك من القلادة ما أحاط بالعنق. وقال البحّري^(١): [من المنسرح]

والشعرُ لمَح كفت إشارته وليس بالهذر طوّلت خطبه

وأحسن ما ورد في الإنجاز قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَنَسَمَاءُ أَقْلَعِي وَغِيضَ الْمَاءِ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ [هود: ٤٤] وقد تكلم أرباب البلاغة في هذه الآية وأكثروا. قال ابن أبي الإصبع^(٢): وما رأيت فيما استغربت من الكلام كآية استخرجت منها أحداً وعشرين ضرباً من المحاسن، وذكرها ثم فسّر ذلك وشرحه، والكلام عليها يطول هاهنا. وهذه الآية مشهورة بين أرباب البلاغة بالإبداع، وأعظم ما فيها شرح شأن نوح عليه السلام في الطوفان، من أوله إلى آخره في هذه الألفاظ القلائل، ومن جملة إعجاز القرآن إنجازها، وهو مشحون بذلك، ومثل قول الطُّغرائي: «بمثله» في كلام الشعراء كثير كقول أبي تمام الطائي^(٣): [من الطويل]

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسْنَةِ عَرَسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غَيَاهِبُهُ^(٤)

فاستغنى بقوله: «على مثلها» عن أن يقول: على نوق كأطراف الأسنة. وما أحلى قول ابن الساعاتي: [من الخفيف]

يَا لَقَوْمِي وَقَدْ أَقَامَ فَرِيقٌ لَيْلَةَ النَّصْفِ وَاسْتَقَلَّ فَرِيقٌ كُلُّ قَدْ وَمِثْلُهُ لَكِنَّ الدَّا بَلُّ قَدْ وَالنَّاضِرُ الْمَمْشُوقُ

وقلت أنا في هذا النوع: [من الخفيف]

يَا لَقَوْمِي مِنْ سَطْوَةِ التَّرِكِ سَلُّوا بَيْضَ أَجْفَانِهِمْ لِحَزِّ النُّحُورِ كُلَّ لَحْظٍ وَمِثْلُهُ لَكِنَّ النَّصْ رَتْرَاهُ فِي الْحَرْبِ لِلْمَكْسُورِ

وقلت أيضاً: [من الخفيف]

رُبَّ يَوْمٍ تَقَابَلَ الْوَرْدُ فِيهِ بَيْنَ رَوْضٍ وَبَيْنَ خَدٍّ تَضَرَّجٍ

(١) ديوان البحّري: ٢٣٤/١.

(٢) هو عبد العظيم بن عبد الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العدواني، المصري: شاعر من العلماء بالأدب. ولد بمصر وتوفي فيها سنة ٦٥٤هـ / ١٢٥٦م. (الأعلام: ٣٠/٤).

(٣) ديوان أبي تمام: ١٥٣/١. والبيت من قصيدة يمدح بها أبا العباس عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب الخزاعي والي خراسان، المتوفى سنة ٢٣٠هـ / ٨٤٥م.

(٤) كأطراف الأسنة: أي في مضائهم ونفاذهم، أو في نحافتهم وهزالهم. عرسوا: نزلوا ليلاً. على مثلها: أي على ظهور إبلٍ مهزيلة هزلها السفر والتعب. غياهبه: ظلماته.

كُلُّ شَيْءٍ وَمِثْلُهُ لَكِنَّ الْأَحْـ سَنَ مَا كَانَ بِالْعَذَارِ مُسَيِّجُ

وقلت أيضاً: [من الطويل]

يُقَابِلُ بَدَرَ التَّمِّ مِنْهُ بِطَّلَعَةٍ هِيَ الْبَدْرُ لَكِنَّ حُسْنَهَا مِنْهُ أَشْهُرُ
وَفِي خَدِّهِ وَرَدٌّ وَفِي الرُّوْضِ مِثْلُهُ وَلَكِنَّ مَا تَحْتَ النُّوَاطِرِ أَنْضَرُ

وقريب من هذه المادة أعني قول الطغرائي وغيره قول أبي العتاهية^(١) فيما
أظن: [من الرمل]

حُلِقَتْ لِحْيَةُ مُوسَى بِاسْمِهِ وَبِهَارُونَ إِذَا مَا قُلِبَا

قوله باسمه أوقع في النفس من أن يقول حلقت لحية موسى بموسى لأن خفاء
التندير أحسن من وضوحه، وعلى ذكر موسى فما أحلى قول مجد الدين بن الظهير
الإربلي في القاضي شمس الدين أحمد بن خلّكان وولده موسى: [من السريع]

وَكَيْفَ يُؤْتَى رُشْدَهُ حَاكِمٌ حَكَمَ فِي لِحْيَتِهِ مُوسَى

كتب الشيخ جمال الدين الموقاني إلى جمال الدين موسى بن يغمور وقد
أهدى له موسى: [من الطويل]

وَأَهْدَيْتُ مُوسَى نَحْوَ مُوسَى وَإِنْ يَكُنْ قَدْ اشْتَرَكَا فِي الْأَسْمِ مَا أَخْطَأَ الْعَبْدُ
فَهَذَا لَهُ حَدٌّ وَلَا فَضْلَ عِنْدَهُ وَهَذَا لَهُ فَضْلٌ وَلَيْسَ لَهُ حَدٌّ

وقد اختلس قول أبي العتاهية المتقدم أبو الحسن علي بن عبد الغني الضرير
الحصري^(٢) وهو ابن أخت أبي إسحاق إبراهيم^(٣) صاحب «زهر الآداب» فقال: [من
الكامل]

يَا حِرْفَةَ الشُّعْرَاءِ إِنَّكَ مِنْهُمْ حَيْثُ ابْتَغَوْا رِزْقًا لِبِالْمِرْصَادِ

لَوْ حَلَّ بِالْوَادِي الْمَقْدَسِ رَكْبُهُمْ لَشَفَاءَ غَلَّتِهِمْ لَجَفَّ الْوَادِي

وَلَوْ ابْتَغَوْا حَلَقَ الرَّؤُوسِ بِمَكَّةٍ حَضَرَ الرَّشِيدُ بِهَا وَغَابَ الْهَادِي

يريد اسم الرشيد وهو هارون واسم أخيه الهادي وهو موسى. ومثل هذا قول

(١) لم يرد البيت في ديوان أبي العتاهية (دار الهلال).

(٢) هو أبو الحسن، علي بن عبد الغني الفهري الحصري: شاعر مشهور، ضريّر، من أهل القيروان. سكن الأندلس، وتوفي بطنجة سنة ٤٨٨هـ / ١٠٩٥م. (بغية الملتبس: ٣٩٥، الصلة: ٣٤٥).

(٣) هو أبو إسحاق، إبراهيم بن علي بن تميم الحصري الأنصاري، القيرواني: أديب، شاعر، ناقد. ولد في القيروان، وتوفي بالمنصورة سنة ٤٥٣هـ / ١٠٦١م. (تاريخ الأدب العربي، بروكلمان: ١٠٥/٥؛ معجم المؤلفين: ٦٤/١).

أَبِي بَكْرٍ مُحَمَّدَ بْنَ عَمَّارٍ^(١) وَقَدْ دَخَلَ حَمَامًا بِحَصْنِ شَقُورَةٍ، فَالْتَمَسَ نَوْرَةً يَطْلِي بِهَا عَوْرَتَهُ فَلَمْ يَجِدْ، فَاسْتَعْمَلَ الْمُوسَى بَدَلًا مِنْهَا فَقَالَ: [مِنَ الْمَجْثَثِ]

شَقُورَةٌ شَرُّ دَارٍ وَشَرُّهَا زَادَ بُوسًا
عَدِمْتُ هَارُونَ فِيهَا فَظَلْتُ أَطْلُبُ مُوسَى

وقول ابن عَمَّارٍ والحُصْرِي فِيهِ شَيْءٌ يُوَازِئَانِ بِهِ وَهُوَ إِنَّمَا أَرَادَ بِهَارُونَ قَلْبَ حُرُوفِهِ لِيَعُودَ نَوْرَةً وَلَيْسَ فِي اللَّفْظَيْنِ مَا يَدُلُّ عَلَى الْقَلْبِ وَإِنْ كَانَ يُمْكِنُ التَّأْوِيلُ لِلْحُصْرِي بِأَنَّهُ مَا أَرَادَ إِلَّا غِيْبَةَ مُوسَى الْهَادِي، وَحُضُورَ الرَّشِيدِ هَارُونَ لَا غَيْرَ وَلَكِنْ الْمَتَبَادِرُ إِلَى الذِّهْنِ ذَاكَ، فَعَلَى كُلِّ حَالٍ قَوْلُ أَبِي الْعَتَاهِيَةِ أَكْمَلُ. وَقُلْتُ أَنَا مَلْغَزًا فِي الْمَوْسَى: [مِنَ الْوَافِرِ]

وَمَا شَيْءٌ لَهُ حَدٌّ وَخَدٌّ يُكَلِّمُ مِنْ يُلَامِسُهُ بِحَقِّهِ
وَكُلُّ خَلْقِهِ مِنْ تَحْتِ رَأْسٍ وَهَذَا الرَّأْسُ يُصْبِحُ تَحْتَ خَلْقِهِ
أَنْشَدَنِي مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ الْمَوْلَى جَمَالُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ نُبَاتَةَ بِدَمْشَقِ الْمَحْرُوسَةِ
سَنَةَ تِسْعٍ وَعَشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ: [مِنَ مَخْلَعِ الْبَسِيطِ]

رَأَيْتُ فِي جَلَلٍ غَزَالًا تَحَارُّ فِي حُسْنِهِ الْعُيُونُ
فَقُلْتُ مَا الْأَسْمُ قَالَ مُوسَى قُلْتُ هِنَا تُحَلِّقُ الذَّقُونُ

وهذا النوع يسميه أرباب البديع القول بالموجب، وهو أن يقع في كلام المتكلم شيء يعني به نفسه فيثبته المتكلم لغيره من غير تصريح بشوته له ولا بنفيه، وقد جاء في القرآن العظيم منه قوله تعالى حكاية عن المنافقين: ﴿يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلُّ﴾ الآية [المنافقون: ٨]. فإنهم كانوا بالأعزّ عن فريقهم، وبالأذلّ عن المؤمنين، فأثبت الله عزّ وجلّ صفة العزّة لله ولرسوله وللمؤمنين من غير تعرّضٍ لثبوت حكم الإخراج بصفة العزّة ولا لنفيه، وهذا نوع عزيز الوقوع لا يطبع من يرومه لتوعّر مسلكه، ولا بأس بإيراد ما حضرني منه. قرأت على الشيخ الإمام الكاتب أبي الثناء محمود كتابه الذي وسمه «بحسن التوسّل إلى صناعة الترسل» وأورد فيه لنفسه قوله: [مِنَ الْمُتْقَارِبِ]

رَأْتَنِي وَقَدْ نَالَ مِنِّي النُّحُولُ وَفَاضَتْ دُمُوعِي عَلَى الْخَدِّ فَيُضَا

(١) هو أبو بكر؛ محمد بن عمار المهري الأندلسي الشّلبّي: وزير، وشاعر هجّاء، كان يُعرف بذي الوزارتين. توفي سنة ٤٧٧هـ/ ١٠٨٤م بإشبيلية.

(المطرب من أشعار المغرب: ٨٥؛ شذرات الذهب: ٣/٣٥٦؛ هدية العارفين: ٢/٧٤).

فَقَالَتْ بِعَيْنِي هَذَا السَّقَامُ فَقُلْتُ صَدَقْتَ وَبِالْخَضِرِ أَيْضًا

ثم قال: ومن أحسن ما سمعتُ فيه قول محاسن الشوّاء: [من الطويل]

وَلَمَّا أَتَانِي الْعَاذِلُونَ عَدِمْتُهُمْ وَمَا فِيهِمْ إِلَّا لِلْحَمِي قَارِضٌ^(١)
وَقَدْ بُهِتُوا لِمَا رَأَوْنِي شَاحِبًا وَقَالُوا بِهِ عَيْنٌ فَقُلْتُ وَعَارِضٌ^(٢)

قلت: ومن هنا أخذ ناصر الدين بن النقيب قوله: [من الطويل]

وَمَا بِي سِوَى عَيْنٍ نَظَرْتُ لِحَسَنِهَا وَذَاكَ لِجَهْلِي بِالْعُيُونِ وَغَرَّتِي^(٣)
وَقَالُوا بِهِ فِي الْحَبِّ عَيْنٌ وَنَظَرَةٌ لَقَدْ صَدَّقُوا عَيْنَ الْحَبِيبِ وَنَظَرَتِي

وأصل هذا المعنى قول الأوّل: [من الطويل]

وَجَاءُوا إِلَيْهِ بِالتَّعَاوِيزِ وَالرَّقَى وَصَبُّوا عَلَيْهِ الْمَاءَ مِنْ أَلَمِ النَّكْسِ^(٤)
وَقَالُوا بِهِ مِنْ أَعْيُنِ الْجِنِّ نَظَرَةٌ وَلَوْ صَدَّقُوا قَالُوا بِهِ نَظَرَةُ الْإِنْسِ

وأورد في حسن التوسّل قول الأرجاني: [من الرمل]

عَالِطْتَنِي إِذْ كَسَتْ جِسْمِي الضَّنَى كَسَوَةً أَغَرَّتْ مِنَ اللَّحْمِ الْعِظَامَا^(٥)
ثُمَّ قَالَتْ أَنْتَ عِنْدِي فِي الْهَوَى مِثْلُ عَيْنِي صَدَقْتَ لَكِنْ سَقَامَا

قلت: أخذه ابن نفادة أخذاً قبيحاً، واستحقّق به اللوم صريحاً، لأنه قال: [من

الرمل]

عَالِطْتَنِي حِينَ حَاكَى خَضَرَهَا جِسْمِي الْمُمْرِضَ وَجَدًا وَغَرَامَا
ثُمَّ قَالَتْ أَنْتَ عِنْدِي نَاطِرِي وَلَعُمْرِي صَدَقْتَ لَكِنْ سَقَامَا

وأخذه آخر فقال: [من الوافر]

شَكُوتُ صَبَابَتِي يَوْمًا إِلَيْهَا وَمَا قَاسَيْتُ مِنْ أَلَمِ الْغَرَامِ^(٦)
فَقَالَتْ: أَنْتَ عِنْدِي مِثْلُ عَيْنِي لَقَدْ صَدَقْتَ وَلَكِنْ فِي السَّقَامِ

وأورد في حسن التوسّل قول القائل: [من الخفيف]

قُلْتُ: ثَقُلْتُ إِذْ أَتَيْتُ مَرَارًا قَالَ: ثَقُلْتَ كَاهِلِي بِالْأَيَادِي
قُلْتُ: طَوَّلْتُ، قَالَ: لَا بِلَ تَطَوَّلَ تَ وَأَبْرَمْتُ، قُلْتُ: حَبْلٌ وَدَادِي

(٤) النَّكْسُ: عودة المريض بعد البرء.

(٥) الضَّنَى: المرض.

(٦) الصَّبَابَةُ: رقة الشوق وحرارته.

(١) قَارِضٌ: مَنْ قَرَضَ الشَّيْءَ: قَطَعَهُ.

(٢) بُهِتُوا: دُهِشُوا وَتَحَيَّرُوا.

(٣) الْغَرَّةُ: الْغَفْلَةُ أَوْ الْجَهْلُ بِالْأُمُورِ.

انتهى ما أورده في الكتاب المذكور . وما ألطف قول صدر الدين بن الوكيل :
[من الطويل]

وبي مَنْ قَسَا قَلْباً وَلَانَ مَعَاطِفاً إذا قَلْتُ أَدْنَانِي يُضَاعَفُ تَبْعِيدِي
أَقْرُبُ بِرَقِّي إِذْ أَقُولُ أَنَا لَهُ وَكَمْ قَالَهَا أَيْضاً وَلَكِنْ لِتَهْدِيدِي

ونقلت من خط السراج الوراق له : [من الطويل]

قالوا وَقَدْ ضَاعَتْ جَمِيعُ مَصَالِحِي لِهَمُّومِ نَفْسٍ لَيْتَ لَا حُمْلَتُهَا
قَدْ كَانَ عِنْدَكَ يَا فَلَانُ صَرِيمةً فَأَجَبْتَهُمْ بِعْتُ الْحِمَارَ وَبِعْتُهَا^(١)

ونقلت منه له : [من السريع]

وَسَائِلُ يَسْأَلُ عَنِّي وَقَدْ أَنشَدْتُ شِعْراً يُشَبِّهُ الشَّعْرَى
يَقُولُ لِي إِذْ كُنْتُ لَدَى مَعْشَرٍ قَدْ عَبَدُوا الْبَيْضَاءَ وَالصَّفْرَا
مَا حَاصِلَتْ دَائِرَةٌ بَيْنَهُمْ قُلْتُ نَعَمْ بَطِّيخَةٌ خَضْرَا

ونقلت منه له : [من مجزوء الكامل]

مُتَمَارِضُ جَعَلَ التَّغَا شَيْ مِنْ خَبَائِثِهِ سَبَبُ
وَيَقُولُ مَا أَنَا طَيِّبٌ صَدَقَ اللَّعِينُ وَمَا كَذِبُ

ونقلت منه له : [من المجث]

لَقَّنْتُهُ الْعِذْرَ عَنْ تَرُ كَهَ حَاجَتِي لَوْ تَصَوَّرُ
فَقُلْتُ أَنْسَيْتُهَا وَالنَّسْ يِئَانُ أَمْرٌ مُقَدَّرُ
فَقَالَ : لَسْتُ بِنَّاسٍ فَقُلْتُ : مَوْلَايَ أَخْبَرُ

ونقلت منه له : [من مجزوء الرمل]

أَطْعَمُوا الْعَلَقَةَ شَيْخاً ذَقْنُهُ كَالثَّلْجِ بَيْضَا
ثُمَّ قَالُوا خُذْ دَوَاءً يَسْتَغِيضُ الدَّاءَ غِيضَا
يَحْلِقُ السَّودَاءَ حَلْقاً قُلْتُ : وَالْبَيْضَاءَ أَيْضَا

ونقلت منه له : [من مجزوء الرمل]

قُلْتُ صَدَّقْ فِيكَ مَذْحِي وَثَنَاءً فَافْضَ فَيُضَا
قَالَ مَا صَدَّقْتُ عُمْرِي لَا وَلَا صَلَّيْتُ أَيْضَا

(١) الصريمة : إحكام الأمر والعزيمة فيه .

ونقلت منه له : [من مجزوء الكامل]

لَقُّنْتُهُ الْأَعْذَارَ عَنْ
وَصَّرَفْتُ لِلنَّسِيَانِ ذَا
فَأَجَابَ بَلْ أَنَا غَيْرُنَا

ونقلت منه له : [من الرمل]

كَمُلْتُ لِابْنِي بَنَاتٌ أَرْبَعُ
قَلْتُ قَدْ سَمَّيْتُهَا رَابِعَةً

ونقلت منه له : [من البسيط]

وَقَائِلٍ قَالَ لِي لَمَّا رَأَى قَلْقِي
عَوَاقِبُ الصَّبْرِ فِيمَا قَالَ أَكْثَرَهُم

ونقلت منه له : [من الكامل]

قَالَتْ جَمَعْتَ لِفَاقَةٍ كَسَالًا
فَأَجَبْتُ هَلْ تَدْرِيْنِ لِي سَبَبًا

وقال ابن سناء الملك : [من السريع]

لَهْفِي عَلَى عُشَاقِكَ الطَّرْشِ
عَاشِقَكَ الْقَشْ وَلَا غَرَوْ أَنْ
قَالُوا: لَقَدْ أَحْدَثَ مِنْ بَعْدِنَا

ونقلت من خط الشيخ مُحَمَّد التلمساني : [من مخلع البسيط]

اسْمَ حَبِيبِي وَمَا يُعَانِي
قَالُوا عَلَيَّ، فَقَلْتُ: قَدْرًا
قَدْ شَغَلَا خَاطِرِي وَلُبِّي
قَالُوا كَوَى فِي، فَقَلْتُ: قَلْبِي

وقال النور الأسعدي : [من المتقارب]

سَأَلْتُ الْوَزِيرَ أَتَهْوَى النَّسَا
فَقَالَ وَأَبْدَى الْخَلَاعَاتِ لِي
أَمْ الْمُرْدُ جَارُوا عَلَى مُهْجَتِكَ
كَذَا وَكَذَا قَلْتُ مِنْ زَوْجَتِكَ

وقال أيضاً عندما عمي في آخر عمره : [من الوافر]

سَأَلْتُ اللَّهَ يَخْتِمُ لِي بِخَيْرٍ
فَعَجَّلْ لِي وَلَكِنْ فِي عِيُونِي

وَعَدِ ثَنَاهُ عَنْهُ إِفْكَ
لَكَ وَقَلْتُ لَمْ يَكْ مِنْكَ تَرْكُ
سِ، قَلْتُ: مَا فِي ذَاكَ شَكُّ

وَالْتِي جَاءَتْ تَمَامُ الْخَاتَمِ
قَالَ إِيَّاكَ وَأُخْرَى طَارِمِ

لِطُولِ وَعْدٍ وَأَمَالٍ تُعْنِينَا
مَحْمُودَةً قَلْتُ أَخْشَى أَنْ تُخْرِينَا

فَانهَضُ وَقُمُ وَادَابُ لَهُمُ الْعَائِلُ
قَالَتْ وَلَا وَتَدَا وَهَذَا الْفَاصِلُ

الْعُمِّي فِي عِشْقِكَ لَا الْعُمَشِ
تَلْتَهَبُ النِّيرَانُ فِي الْقَشِ
مَا لَا يُرَى قَلْتُ عَلَى الْفُرْشِ

وقال أيضاً في مملوكٍ باعه: [من البسيط]

سَمَحْتُ بَيْعاً لِمَمْلُوكٍ يُمَانِعُنِي وَلَوْ أَرَادَ رِضَائِي مَا تَعَدَّانِي
قالوا: أَيْنَسِبُ لِلْعَلَّانِ قُلْتُ لَهُمْ مَا كُنْتُ بَائِعُهُ لَوْ كَانَ عَلَّانِي

أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين مُحَمَّد بن نُباتة: [من السريع]
مُبْقِلُ الْخَدِّ آدَارُ الطَّلَا فَقَالَ لِي فِي حُبِّهَا عَاتِبِي^(١)
عَنْ أَحْمَرِ الْمَشْرُوبِ مَا تَنْتَهِي قُلْتُ وَلَا عَنْ أَخْضَرِ الشَّارِبِ

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى شمس الدين مُحَمَّد بن الصائغ: [من السريع]
عَارِضُنِي الْعَدَّالَ فِي عَارِضٍ قالوا بِلُطْفٍ بَعْدَ مَا أَطْنَبُوا^(٢)
مَا آنَ بِالْعَارِضِ أَنْ تَنْتَهِي قُلْتُ وَلَا بِالشَّيْبِ لَا تَتَّعِبُوا

وقلت أيضاً: [من السريع]
وَصَاحِبٍ لِمَا أَتَاهُ الْغِنَى تَاهَ وَنَفْسُ الْمَرْءِ طَمَّاحُهُ
وَقِيلَ هَلْ أَبْصَرْتَ مِنْهُ يَدًا تَشْكُرُهَا قُلْتُ وَلَا رَاحَهُ^(٣)

وقلت أنا: [من الكامل]
وَلَقَدْ أَتَيْتُ لَصَاحِبٍ وَسَأَلْتُهُ فِي قَرْضٍ دِينَارٍ لِأَمْرِ كَانَا
فَأَجَابَنِي وَاللَّهِ دَارِي مَا حَوَتْ عَيْنًا فَقُلْتُ لَهُ وَلَا إِنْسَانًا^(٤)

وقلت أيضاً: [من المتقارب]
يَقُولُونَ لِمَا رَنَا وَأَنْثَنَى وَقَدْ أَخْجَلَ الْعُصْنَ وَالْجُودَرَا^(٥)
أَتَشْتَاقُ مِنْ طَرْفِهِ أَبْيَضًا فَقُلْتُ وَمِنْ قَدِّهِ أَسْمَرًا^(٦)

وقلت أيضاً: [من الطويل]
يَقُولُ لِي الْعَدَّالُ لِمَا عَشَقْتُهُ وَبَعْضُ جَوَابِ الصَّبِّ فِيهِ لَطَائِفُ^(٧)

(١) الطَّلَا: الخمر.

(٢) أطنب في الكلام ونحوه: أكثر وبالغ.

(٣) اليد: المعروف، الراحة: الكف، أو نقيض التعب.

(٤) إنسان العين: سوادها، ناظرها.

(٥) الجُودَر: ولد البقرة الوحشية.

(٦) الأبيض: السيف. الأسمر: الرُمح. شبه ناظره وقده بهما.

(٧) الصَّبُّ: العاشق المشتاق. اللطائف: جمع اللطيفة: من الكلام: ما غمضَ معناه وخفي، أو ما رَقَّ منه.

- أيسببك منه يا أخا الوجدِ ناظرٌ
وقلت أيضاً: [من الخفيف]
- قد سألت النسيمَ وهوَ خبيرٌ
قلتُ قل لي هل وردَ خديهِ غَضٌّ
- وقلت أيضاً: [من الوافر]
- بدا في الخدِّ عارضُهُ فأضحى
وحاولَ أن يَرى مِنِّي سلوًّا
- وقلت أيضاً: [من الوافر]
- سألتُ نسيمَ أرضِكَ حينَ وافى
فقال يَليَنُ قلتُ لِكُلِّ صدٌّ
- وقلتُ أيضاً: [من السريع]
- صدَّقَ خَلِّي نَسَماتِ الصبَا
وقالَ لا أخبرُ مِنها بِمَا
- وقلتُ أيضاً: [من السريع]
- يَقولُ صَحبِي إذ أتى مِنكُم
هل يَلتقي أَكرمَ مِن طِيِّهِ
- ولا بأس بقول من قال: [من المواليا]
- عبرَ على حَبِيبِي قلتُ كَلَمَنِي
فقالَ لي بِشِمازاً أو تجاوبني
- وبعضهم أراد أن يشتري جارية عرضت عليه فقال لها: كم دفعوا فيك؟
فقالت: وما يعلم جنود ربك إلا هو.

(١) يسبيك: يأسرك. المهند: السيف المصنوع في الهند، شبه ناظره به في شدة فتكه. السالف:

جانب العنق.

(٢) غَضٌّ: طَرِيٌّ ناضر. نَشْرُهُ: رائحته الطيبة.

(٣) يُغري بالشيء: يُحرِّض عليه.

(٤) السُّلُو: النسيان مع طيب نفس بالفراق.

وقيل: إن رجلاً رمى عصفوراً فأخطأه، فقال له آخر: أحسنت. فغضب وقال: أتتهزأ بي؟ قال: إنما قلت: أحسنت إلى العصفور.
ذكر أبو الحسن المدايني أن رجلاً من أهل الحجاز قال لابن شبرمة: العلم من عندنا خرج. فقال: صدقت إلا أنه لم يرجع إليكم.
لقي شيخ شيخاً آخر مثله فقال له: ماذا يصنع الشيخ النحس اليوم؟ فقال له: يشتمني.

وقال بعضهم لولد له: واللّه لا أفلحت. فقال له: واللّه يا أبي ولا أنا.
حكى أن صاحب جمال الدين بن مطروح قال يوماً لشهاب الدين القوسي: يا شهاب الدين أنت عندنا مثل الوالد. فقال: لا جرّم أني مطروح. وقال له بعض الرؤساء: أنت عندنا مثل الأب، وشدد الباء، فقال: لا جرّم أنكم تأكلوني.
أقول: لا يخفى ما في هذا التندير من اللطف لأن الأب مشدد الباء هو المرعى. وقال بعضهم: هو للدواب بمنزلة الخبز للإناسي، ومن يشدد الباء من الأب الذي هو الوالد لا يكون إلا دابة. وقيل: إن أبا الفرج بن الجوزي كان له ولد يدعى علياً، فدخل يوماً إلى البيت فرأى تحت سجادة الشيخ أربعة دنائير فأخذها. فلما أحس بمجيء الشيخ نام، فطلب الشيخ الدنائير فلم يجدها، فعرف أنه أخذها، فحرّكه وقال: ويك أكانت الدنائير بنجاً؟ قال: لا واللّه إلا جياداً. فضحك الشيخ وقال: خذها لا جعل الله لك فيها بركة.

حُلُوُّ الْفُكَاهَةِ مُرَّ الْجِدِّ قَدْ مُزِجَتْ بِشِدَّةِ الْبَاسِ مِنْهُ رِقَّةُ الْغَزَلِ
(اللغة): الحلو نقيض المرّ يقال: حلا يحلو حلاوة واحلولى افعول. وقد عدّاه حميد بن ثور^(١) في قوله: [من الطويل]

فَلَمَّا أَتَى عَامَانَ بَعْدَ انْفِصَالِهِ عَنِ الضَّرْعِ وَاحْلُولِي دِمَانَا يَرُودُهَا
ولم يجئ افعول متعدياً إلا هذا وحرف آخر وهو اعروريت الفرس، والطعوم تسعة وهي: الحلو، والمرّ، والحامض، والمز، والمالح، والحريف، والعفص، والدسم، والتفه، لأن الجسم إما أن يكون كثيفاً أو لطيفاً أو معتدلاً، والفاعل فيه إما الحرارة أو البرودة أو الاعتدال بينهما. فيعمل الحارّ في الكثيف مرارة، وفي اللطيف حرافة، وفي المعتدل ملوحة، وتعمل البرودة في الكثيف عفوصة، وفي اللطيف

(١) هو أبو المُثَنَّى، حميد بن ثور بن حزن الهلالي العامري: شاعر مخضرم، أسلم، وتوفي في خلافة عثمان، نحو ٣٠هـ/ نحو ٦٥٠م. (طبقات ابن سلام: ٥٨٤؛ الشعر والشعراء: ١/ ٣٠٦).

حموضة، وفي المعتدل قبضاً، ويعمل الاعتدال في الكثيف حلاوة، وفي اللطيف دسومة، وفي المعتدل تفاهة، وقد يجتمع طعمان كالمرارة والقبض في الحمض، ويسمى البشاعة، والمرارة والملوحة في السبخة، ويسمى الزعوقة. وبعضهم زعم أن أصول الطعوم أربعة: الحلاوة، والمرارة، والحموضة، والملوحة، وما عداها مرّكّب منها. أنشدني لنفسه المولى صفى الدين أبو المحاسن عبد العزيز بن سرايا الحلّي إجازة: [من السريع]

يَا قَابِضَ الْمَالِ الَّذِي لَمْ يَزَلْ طَرَفِي إِلَى بَهْجَتِهِ يَطْمَحُ
وَمَنْ إِذَا جَرَّحَنِي لِحْظُهُ غَدَاً بِلَحْظِي خَدَّهُ يَجْرَحُ
تَاللَّهِ لَا أَنْفَكُ مُسْتَهْزِئاً فَيْكَ بِأَشْعَارِي وَلَا أَبْرَحُ
يَعَذِّبُ لِي الْأَحْمَاضَ فِي قَابِضٍ حُلُوْ إِذَا مَا مَرَّ يُسْتَمْلِحُ
وما أَرشَق قول البدر يُوسف بن لؤلؤ الذهبي^(١) أنشدني الحاج لاجين الذهبي قال: أنشدني البدر يُوسف لنفسه: [من المجتث]

يَا عَاذَلِي فِي هَوَاهُ إِذَا بَدَا كَيْفَ أَسْلُو
يَمْرُؤِي كُلَّ وَقْتٍ وَكُلَّ مَا مَرَّ يَحْلُو

(فائدة). قولهم فلان يحب الحموضة معناه أنه يأتي الدبر لأن الأحماض في اللغة الانتقال من شيء إلى شيء لأن الإبل إذا ملت الخلّة اشتبهت الحمض فتحوّل إليه. وفي حديث الزهري: الأذن مجاجة وللنفس حمضة، أي شهوة للانتقال. فكأن اللائط انتقل من الأمر الطبيعي المعتاد إلى غيره. الفكاهة: بالضم المزاح وبالفتح مصدر فكه فهو فكه فكاهة إذا كان طيب النفس مزاحاً. الجدّ نقيض الهزل وهو الاجتهاد في الأمور، تقول: جدّ في الأمر يجدّ بالكسر والضم وأجد في الأمر مثله، قال الأصمعي: إن فلاناً لجادّ مجدّ باللغتين. المزج: الخلط. يقال: مزجت الشراب إذا خلطته بغيره. ورسم المزاج عند الحكماء بأنه حصول كيفية متشابهة عن تفاعل كيفيات متضادة موجودة في عناصر متصغرة الأجزاء متلاقية بأكثرها إذا وقف فعلها عند حدّ وقيل عليه إن هذا التفاعل إن كان في آني واحد كيف يمكن أن يكون الكاسر مكسوراً وإن كان على التعاقب كيف يصير المنكسر كاسراً بعد انكساره، ولا بدّ من انكسار سورة كل واحدٍ منهما لتحصيل الكيفية المتشابهة متوسطة بينهما. والجواب أن الحكماء بينوا أن الجسم مرّكّب من جزأين: قابل ومقبول، ويسمى القابل منهما

(١) هو بدر الدين، يوسف بن لؤلؤ بن عبد الله الدمشقي، الذهبي: من شعراء الدولة الناصرية بدمشق. توفي سنة ٦٨٠هـ/ ١٢٨١. (معجم المؤلفين: ٣٣٦/١٣؛ الأعلام: ٢٤٦/٨).

الهيولى والمادّة، ويسمى المقبول الصورة. فالفاعل في حال المزاج إنما هو الصورة بواسطة الكيفيات، والمنفعل إنما هو المادّة، فيكون التفاعل في آنٍ واحدٍ، ويقع انكسار السورات ولا يلزم كون الفاعل منفعلاً، وتقريب ذلك أن النار تفعل بواسطة كيفيتها التي هي الحرارة في مادّة الماء، والماء يفعل بواسطة كيفيته التي هي البرودة في مادّة النار. (رجع): الشدّة: ضدّ اللين، البأس: الشجاعة، الرقة: ضدّ الغلظ. الغزل: مغازلة النساء، وهي محادثتهن ومراودتهن، وتغزل إذا تكلف الغزل. وزعم بعض الأدباء أن الغزل في الذكور والتشبيب في الأنث. (الإعراب): حلو: صفة لذي في البيت الذي تقدّم. (الفكاهة): مجرور بالإضافة والإضافة تنقسم إلى قسمين: معنوية ولفظية، فالمعنوية هي التي لا يُنَوَى بها الانفصال، وتحدث بين المضاف والمضاف إليه تعلقاً لم يكن قبلها وتفيد الأوّل تعريفاً: كغلام زيد، وتخصيصاً: كغلام رجل، واللفظية هي التي في تقدير الانفصال ويكون بين المضاف والمضاف إليه تعلق من غير جهة الإضافة، ولا تفيد تخصيصاً ولا تعريفاً ولكن فائدتها التخفيف، والذي عمل في الثاني الجر تقدير حرف الجر، وهو إما من التي لبيان الجنس مثل خاتم فضة، وإما اللّام التي للملك أو الاختصاص بطريق الحقيقة أو المجاز، فإن كان المضاف بعض ما أضيف إليه وصالحاً لحمله عليه كما في خاتم فضة وثوب خزّ وباب ساج وخمسة دراهم، فالإضافة بمعنى من وإن لم يكن كذلك، كما في غلام زيد ولجام فرس وبعض القوم ورأس الشاة، فالإضافة بمعنى اللّام. ومن النحاة من ذهب إلى أنها تكون بمعنى في كقوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ يُؤَلُّونَ مِن نِّسَائِهِمْ رَبْعٌ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾ [البقرة: ٢٢٦] وقوله تعالى: ﴿يَصْدَحِي السَّجَنُ﴾ [يوسف: ٣٩] وقوله تعالى: ﴿بَلْ مَكْرٌ أَلِيلٌ وَالنَّهَارُ﴾ [سبا: ٣٣]، وهذا اختيار الشيخ جمال الدين محمد بن مالك، قال ولده بدر الدين في شرح الخلاصة: يعني أن الإضافة على ثلاثة أنواع، والضّابط فيها أن تعين تقديرها بمن لكون المضاف إليه اسماً للجنس الذي منه المضاف، فهي بمعنى من أو تقديرها بفي لكون المضاف إليه ظرفاً وقع فيه المضاف، فهي بمعنى في وإن لم يتعين تقديرها بهما فهي بمعنى اللّام. ثم قال بدر الدين: والذي عليه سيبويه، وأكثر المحققين أن الإضافة لا تعدو أن تكون بمعنى اللّام أو بمعنى من، وموهم الإضافة بمعنى في محمول على أنها فيه بمعنى اللّام على المجاز، ثم أخذ يستدلّ على ذلك بأمر فيها طول أضربت عن إثباتها خوف الإطالة. وعلى ذكر الإضافة أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نبّانة بدمشق سنة تسع وعشرين وسبعمائة: [من السريع]

يَا مَلِكاً يَجْبِرُ قَصَّادُهُ جَبْرَ آلِهِ اللَّهُ مُكَافٍ عَلَيْهِ

شُكراً لِهَذَا الْجُودِ مِنْ نِعْمَةٍ يَبْسُطُ ضَيْفَ الْبَابِ فِيهَا يَدِيهِ
إِذَا أَتَتْهُ وَهُوَ فِي ضُحْبَةٍ صَارَ مُضَافاً وَمُضَافاً إِلَيْهِ

وقال ابن سناء الملك: [من المتقارب]

تَجِيءُ الْمَلُوكُ لِأَبْوَابِهِ فَيَغْمِرُهُمْ جُودُهُ الشَّامِلُ
وَيَخْفِضُهُمْ إِنَّهُ كَالْمُضَافِ وَيَرْفَعُهُمْ إِنَّهُ الْفَاعِلُ

وظرف الشهاب محاسن الشواء في قوله: [من الوافر]

وَكُنَّا خَمْسَ عَشْرَةَ فِي التَّئَامِ عَلَى رُغْمِ الْحَسُودِ بغير آفِهِ
فَقَدْ أَصْبَحْتُ تَنَوِيناً وَأُضْحَى حَبِيبِي لَا تُفَارِقُهُ الْإِضَافَةُ

قلت: ويعجبني قول ابن هانئ الأندلسي من أبيات: [من الكامل]

عَلَّمْتَهُ بَابَ الْمُضَافِ تَفَاوُلاً وَرَقِيبَهُ يُغْرِيه بِالتَّنَوِينِ

(رجع): الإضافة في الفكاهة إضافة لفظية وليست بمعنى من، لأن من شرط ذلك أن يحسن وصف الأول بالثاني لكونه بعضاً له. ولا بمعنى اللام التي للملك لا بطريق الحقيقة، ولا المجاز إلا بتكلف، أعني تقدير اللام، ويحسن أن تكون بمعنى في ويكون التقدير حلو في الفكاهة. (مر الجد): صفة أخرى والجد مضاف إليه والكلام فيه كالكلام فيما تقدم ولك في هذه الصفات التي تعددت كلها الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف تقديره هو حلو الفكاهة، والنصب على أن العامل أعني مضمراً والجر على الصفة لذي وهو أقواها. وقد قرئ: «الحمد لله رب العالمين الرحمن الرحيم مالك» برفعها ونصبها وجرها لأن الصفات إذا تعددت جاز فيها ذلك وعليه أعرب قوله تعالى: ﴿وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ﴾ [النساء: ١٦٢]. وقول الخرنق^(١): [من الكامل]

لَا يَبْعَدُنْ قَوْمِي الَّذِينَ هُمْ سُمَّ الْعُدَاةِ وَآفَةُ الْجَزْرِ
النَّازِلِينَ بِكُلِّ مُعْتَرِكٍ وَالطَّيِّبُونَ مَعَاقِدَ الْأَزْرِ^(٢)

فمن قوله معتقل في البيت الأول إلى قوله في الثاني: مرّ الجد يجوز في

(١) هي الخرنق بنت بدر بن هفان بن مالك البكرية (أخت طرفة بن العبد): شاعرة جاهلية مطبوعة، توفيت سنة ٥٠ ق.هـ/ ٥٧٤م، (خزانة الأدب: ٥٥/٥؛ شعراء النصرانية: ٣٢١/١).

(٢) في شعراء النصرانية:

النازلون بكل مُعْتَرِكٍ والطيبين مَعَاقِدَ الْأَزْرِ

ويروى: النازلون... والطيبون.

الجميع الإعرابات الثلاثة إلا قوله: وكل، فإنه معطوف على هياب، وهو مجرور فلا يجوز فيه إلا الجر. (فارق بين الصفة والوصف): قالوا: الوصف ما يجوز انتقاله كحمرة الخجل، وصفرة الوجل، والصفة ما لا تتغير كالطول، والقصر، والسواد للزنجي، والبياض للصقلي. (قد مزجت) قد حرف يصحب الأفعال ويقرب الماضي من الحال وهي هنا لتحقيق الفعل، وسيأتي الكلام عليها في قوله: نؤم ناشئة بالجزع قد سقيت، مزجت فعل مغيّر لما لم يسم فاعله، والتاء علامة تأنيث الفاعل. (بشدة البأس): الباء حرف جر، وشدة مجرور بالباء، والبأس مضاف إليه، والإضافة هنا بمعنى اللام. (منه) جار ومجرور. (رقة): مرفوع على أنه مفعول ما لم يسم فاعله لمزجت وقد تقدم الكلام على مفعول ما لم يسم فاعله في قوله: ناء عن الأهل. البيت. (الغزل): مضاف إليه والإضافة بمعنى اللام وفيه تقديم وتأخير، تقديره قد مزجت رقة الغزل فيه بشدة البأس، والجملة كلها في موضع الجزّ على أنها صفة لذي والتقدير ممزوجة فيه رقة الغزل. (المعنى): إنه صاحب حلو المزاح، طيب الأخلاق، كرية الجد، وهذه صفة مدح لأن الشدة في الاجتهاد محمودّة، فهو قد مزجت فيه الحلاوة من رقة الغزل، بالمرارة من شدة البأس، وما أحق هذا الصاحب بقول القائل: [من الطويل]

وَكَاالسَّيْفِ إِنْ لَايُنْتَهُ لَأَنْ مَثْنُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خَاشَنْتَهُ خَشْنَانِ

وقد كان ﷺ يباسط أصحابه وجلساءه، ويمزح ويلين جانبه لمن حضره ويؤنسه، فإذا كانت الحرب، واحتد الجدّ، وحمي الوطيس، وخارت القوى، وزهلت^(١) الأبطال، تقدّم أصحابه والتقى بنفسه ﷺ. ومن خصائصه أنه كان ﷺ، إذا جرّد سيفاً لا يغمده حتى ينال به من عدوّه، ومنها تحريم الهزيمة عليه من العدو في الحرب، ولا شك في لطفه ورأفته ورقة قلبه وحنوّه على قومه، وهم به كافرون يؤذونه ويكذبونه، ويصدون عنه ويحاربونه، وهو يحلم عليهم ويشق عليه عنادهم. قال الله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨] وقال ﷺ يوم كسر سنّه: «اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون». حتى وصفه الله تعالى في كتابه، فقال: ﴿وَلَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] ثناء على صفاته الحميدة، وخلال له الجميلة، وكان أشدّ حياءً من العذراء في خدرها، ولا شك في أنه كان ﷺ من النجدة والشدة والبأس والإقدام ولقاء العدو في الغاية التي تكبو دونها سوابق الأبطال، وتبرقع الفرسان بغبارها، فإنه كان في حروب الكفّار أقرب الناس إلى العدو. قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: لقد رأيتني يوم بدر ونحن نلوذ بالنبي ﷺ، وهو أقربنا إلى العدو. وأبصر

(١) زهلت الأبطال: تباعدت.

رسول الله ﷺ يوم أحد ترقوة^(١) أبي بن خلف من فرجة من سابغة الدرع والبيضة وهو يقول: أين محمد؟ لا نجوت إن نجا. فطعنه ﷺ بحرْبته، فوقع أبي عن فرسه ولم يخرج من طعنته دم. قال سعيد بن المسيب: فكسر ضلعاً من أضلاعه فمات منها. ومع هذا فقد مزح ﷺ، ولم يقل إلا حقاً.

قرأت على الإمام الحافظ شمس الدين أبي عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي سيرة النبي ﷺ التي أودعها تاريخه، ومنها قال زيد بن أبي أوفى، عن ابن لهيعة، عن عمار بن غزية، عن عبد الله بن أبي طلحة، عن أنس، قال: كان النبي ﷺ من أفكه الناس، تفرد به ابن لهيعة، وضعفه معروف، وجاء من طريق آخر لابن لهيعة: كان النبي ﷺ من أفكه الناس مع صبي. انتهى. وجاءته امرأته فقالت: يا رسول الله، احملني على جمل. قال: أحملك على ولد الناقة. قالت: لا يطيقني. قال الناس: وهل الجمل إلا ولد الناقة؟ وجاءته امرأة فقالت: يا رسول الله إن زوجي مريض وهو يدعوك. فقال: لعل زوجك الذي في عينيه بياض. فرجعت وفتحت عين زوجها، فقال: مالك؟ فقالت: أخبرني رسول الله ﷺ أن في عينيك بياضاً. فقال: وهل أحد إلا وفي عينيه بياض؟ وقالت أخرى: يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة. قال: يا أم فلان إن الجنة لا يدخلها عجوز. فولت المرأة وهي تبكي. فقال عليه السلام: أخبروها أنها لا تدخل وهي عجوز، إن الله تعالى يقول: ﴿فَجَعَلْنَهُنَّ أَكْثَرًا عَرُبًا آثَرًا﴾ [الواقعة: ٣٦، ٣٧]، وبالجملة فصفاته وشمائله وما انطوى عليه أجل من أن يحيط بها وصف، وأشرف من أن يضم جواهرها نظم أو رصف، فلو جرى القلم إلى أن يحفى، وصرّ لسانه إلى أن يخفت ويخفى، ما جنى زهراً أنبتته حدائق تلك الحقائق، ولا التقط دراً ملاً حقائب هاتيك الخلائق، ولا اجتلى من ذلك الأفق الذي كله شمس وأفمار غير شبهة الخفية، ولا نال على ظمئه من ذلك البحر غير بقية، وكل موارد عذبة شهية، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم: [من الخفيف]

إِنَّ فِي الْمَوْجِ لِلْعَرِيقِ لَعُذْرًا وَاضِحاً أَنْ يَفُوتَهُ تَعْدَادُ
نعم قد دوّن الناس جملة من شمائله وصفاته، ووضعوا كتباً كأنها رياض تتأرجح بنسجات سماته، وأودعوها نكتاً بدورها في التمام، ورصعوها جواهر تروق في التأليف والانتظام: [من الكامل]

فِي بَطْنِ قِرْطَاسٍ رَخِيصٍ ضُمِّنَتْ أَحْشَاؤُهُ دُرَرُ الْكَلَامِ الْعَالِي

(١) الترقوة: عظمة مشرفة بين ثغرة النحر والعاتق.

وبوّبوا ورتّبوا، وهذّبوا وذهّبوا، وذكروا ونصّوا وخبروا وقصّوا، وحبروا ودبّجوا، وحكوا الصحيح وما روّجوا: [من الطويل]

وَعَاجُوا فَأَتْنُوا بِالَّذِي أَنْتَ أَهْلُهُ وَلَوْ سَكْتُوا أَثْنْتُ عَلَيْكَ الْحَقَائِبُ
فَمَا كِتَابُ الْقَاضِي عِيَاضُ، إِلَّا رِيَاضُ، وَلَا «الشَّمَائِلُ» إِلَّا خَمَائِلُ، وَلَا كِتَابُ
«الدَّلَائِلِ»، إِلَّا فَوَائِدُ جَلَائِلُ، وَلَا «الشَّهَابُ»، إِلَّا مَطْفِئُ التَّهَابِ: [من المنسرح]

أَسَامِيًّا لَمْ تَزِدْهُ مَعْرِفَةً وَإِنَّمَا لَذَّةُ ذِكْرِنَاهَا
ويعجبني أبيات العباس بن عبد المطلب^(١) رضي الله عنه، سمعت الشيخ
الإمام فتح الدين الحافظ محمد بن سيّد الناس اليعمري في شهر رمضان سنة
اثنين وثلاثين وسبعمائة بالديار المصرية وهو يقرأ علينا من لفظه كتابه الذي
وسمه «بمنح المدح». قال: روينا من طريق الطبراني، حدّثنا عبدان بن أحمد،
وأحمد بن عمرو البزار^(٢)، ومحمد بن موسى بن حمّاد اليزيدي، قالوا: حدّثنا
أبو السّكن زكريا بن يحيى، حدّثني عمّ أبي رخر بن حصن، عن جدّه حميد بن
منهّب، قال: قال خزيمة بن أوس: كنّا عند رسول الله ﷺ فقال له عمه
العبّاس: يا رسول الله إني أريد أن أمتدحك. فقال النبي ﷺ: «قل، لا يفضض
الله فاك». فأنشأ يقول: [من المنسرح]

مِنْ قَبْلِهَا طُبْتُ فِي الظَّلَالِ وَفِي
ثُمَّ هَبَطْتُ الْبِلَادَ لَا بَشِيرُ
بَلْ نَظْفَةُ تَرْكَبُ السَّفِينِ وَقَدْ
تَنْقُلُ مِنْ صَالِبٍ إِلَى رَحِمِ
حَتَّى احْتَوَى بَيْتَكَ الْمَهِيْمَنُ مِنْ
وَأَنْتَ لَمَّا وُلِدْتَ أَشْرَقْتَ الْأَر
فَنَحْنُ فِي ذَلِكَ الضِّيَاءِ وَفِي النَّدِ
مُسْتَوْدَعٌ حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ^(٣)
أَنْتَ وَلَا مُضْغَةٌ وَلَا عَلَقُ
أَلْجَمَ نَسْرًا وَأَهْلُهُ الْغَرَقُ
إِذَا مَضَى عَالَمٌ بَدَأَ طَبَقُ
خَنْدَقٍ عَلِيَاءَ تَحْتَهَا النُّطَقُ
ضُ وَضَاءَتْ بِئُورُكَ الْأَفَقُ
وَرِ وَسَبِيلِ الرِّشَادِ نَخْتَرِقُ

(١) هو أبو الفضل، العباس بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف، عمّ النبي ﷺ، وجدّ الخلفاء
العباسيين. عُرف بسداد الرأي، ورجاحة العقل، وكثرة إعتاقه للعبيد. توفي سنة ٣٢هـ / ٦٥٣م.
(الأعلام: ٢٦٢/٣).

(٢) هو أبو بكر، أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار: حافظ من العلماء بالحديث، من أهل
البصرة. توفي سنة ٢٩٢هـ / ٩٠٥م. (تاريخ بغداد: ٤/٣٣٤؛ شذرات الذهب: ٢/٢٠٩).

(٣) خَصَفَ العريان الورق على بدنه: أَلْصَقَهُ بِهِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿وَطَفِقًا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ
الْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢]. وقوله: «حَيْثُ يُخْصَفُ الْوَرَقُ»: أي الجَنَّة.

ونقلت من خط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر وهو من نظمه: [من السريع]

يا أحمد المبعوث فينا لقد بَلَّغَكَ المَجْدُ إلى مُنتَهَاهُ
كَمْ رُمْتُ أمداحك لو أنّ لي لَفْظاً يُوافي ذا المِثْلاني ثَنَاهُ
إني لا أُحصي ثَنَاءً على ذي خُلُقٍ أَثْنَى عَلَيْهِ الإلهُ
وما أحلى قوله: [من الطويل]

لَقَدْ قَالَ كَعْبٌ فِي النَّبِيِّ قَصِيدَةً وَقُلْنَا عَسَى فِي مَدْحِهِ نَتَشَارِكُ^(١)
فَإِنْ شَمَلْتَنَا بِالْجَوَائِزِ رَحْمَةً كَرَحْمَةِ كَعْبٍ فَهُوَ كَعْبٌ مُبَارَكُ
وله في غالب الظن: [من الطويل]

يَقُولُونَ لِمَ لَا تَمْتَدِّحُ سَيِّدَ الْوَرَى وَتُطَنِّبُ فِي تَعْظِيمِهِ وَامْتِدَاحِهِ^(٢)
فَقُلْتُ لَهُمْ جَبْرِيلُ جَاءَ بِمَدْحِهِ وَلَيْسَ مَدِيحِي رِيشَةً فِي جَنَاحِهِ

قلت: جزم الناظم الحاء في تمتدح وهي مرفوعة وهو لحن من توهم أن لم حرف جزم وإنما هي لم التي يستفهم بها والقاعدة حينئذٍ حذف الألف منها. وقد جمع الشيخ فتح الدين المشار إليه كتاباً في من مدح النبي ﷺ من الصحابة رضي الله عنهم وسمّاه «منح المدح»، وله قصائد على حروف المعجم سمّاه «بشرى اللبيب بذكرى الحبيب»، كلها في مدح رسول الله ﷺ، كتبت منها الجزء الأول، وسمّيته من مُصَنَّفِهِ إلى ترجمة ابن الزبيري، والباقي إجازة، والثاني: كتبتة وقرأته غير مرّة. ولشهاب الدين محمود قصائد طنانة في مدح النبي ﷺ كتبتها وقرأتها عليه رغبة في البركة وطلباً للدخول في زمرة من دوّن مدحه، وكتبه وقرأه ﷺ.

وممن جمع الشجاعة علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه. قال صَعُصُعة بن صوحان^(٣) وغيره من شيعته وصحابته: كان فينا كأحدنا لئن الجانب كثير التواضع سهل القياد، وكنا نهايه مهابة الأسير المربوط للسيّاف الواقف على رأسه. وقال معاوية رضي الله عنه لِقَيْسِ بن سَعْدٍ^(٤): رحم الله أبا الحسن فلقد كان

(١) كعب: هو كعب بن زهير المزني (صاحب البردة).

(٢) أطنب في الكلام: بالغ وأكثر.

(٣) هو صَعُصُعة بن صوحان بن حجر بن الحارث العبدي: من سادات عبد القيس، من أهل الكوفة، توفي فيها سنة ٥٦هـ / ٦٧٦م. شهد صفين مع علي، وكانت له مع معاوية مواقف. (الأعلام: ٣/ ٢٠٥).

(٤) هو قيس بن سعد بن عبادة بن دليم الأنصاري الخزرجي المدني: صحابي، من دهاة العرب، =

هشاً بشاً ذا فكاكة، فقال قيس: نعم كان رسول الله ﷺ يمزح ويتبسم إلى أصحابه، وأراك تسرّ في نفسك وتعيّب أبا الحسن بذلك، والله لقد كان مع تلك الفكاهة والطلاقة أهيب من ذي لبدين، قد مسّه الطوى، وتلك هي هيبة التقوى ليس كما يهابك طغام^(١) الشام. ولما عزم عمر بن الخطاب رضي الله عنه على استخلافه قال له: لله أبوك لولا دعاية فيك، وشجاعته أشهر من أن تذكر، وأغنى من أن تمدح أو تشكر. ولما دعا الإمام علي معاوية إلى البراز، قال له عمرو بن العاص: لقد أنصفتك. فقال له معاوية رضي الله عنه: ما غششتني منذ نصحتني إلا اليوم، أتأمرني بمبارزة أبي الحسن أراك طمعت في إمارة الشام بعدي.

عاد القول إلى معنى بيت الطغرائي: هذه الصفات التي ذكرها قلما تجتمع في إنسان إلا من اختصه الله بهذه الموهبة لأنها مع تضادها محمودة، ولا يتفق ذلك إلا من اعتدال المزاج، وقد اختلف الحكماء في وجوده وعدمه. قال الإمام فخر الدين في الطب الكبير الذي ذكره الشيخ في الشفاء يعني الرئيس ابن سينا، وساق كلاماً يدل على أن المركب المعتدل قد يكون موجوداً إلا أنه لا يستمر ولا يدوم. ثم قال بعد كلام طويل: وأما المعتدل الذي امتزج من العناصر على أكمل أحواله، فقد قالوا: لمّا كان الاعتدال الحقيقي ممتنعاً وجب أن يكون كلّما كان أقرب إليه أولى باسم الاعتدال.

قال الشيخ الإمام العلامة شمس الدين أبو عبد الله محمد بن إبراهيم بن ساعد الأنصاري: احتجوا على تعدّد وجود المعتدل بامتناع مكان يستحقّه لأن مكان الجسم المركّب هو مكان ما يغلب عليه من البسائط، وهذا بسائطه متعادلة فيجب أن لا يستحقّ مكاناً فيمتنع وجوده. وأقول في هذه الحجة نظر. وذلك إنّ عينا بالمعتدل ما تكافأت فيه الكيفيات، فهذا لا يجب أن لا تتكافأ فيه الكميات لأن الجزء اليسير من النار يقاوم بحرارته كثيراً من جوهري الماء والأرض، فعلى هذا يجوز وجود المعتدل باعتبار الكيفيات دون الكميات، ويكون مكانه الذي يستحقّه هو مكان ما غلب عليه من العناصر بكميته لا بكيفيته، لأن الاعتبار في المزاج إنما هو بالكيف فقط، والاعتبار في الجزء إنما هو بالكم والثقل والخفة. فالحجة المذكورة غير موجهة والمزاج لا يخلو من أن تتكافأ فيه الكيفيات الأربع الأول وهي: الحرارة والبرودة والرطوبة واليبوسة أو لا، فإن كان الأوّل فهو المعتدل، وإن

= كان يحمل راية الأنصار مع النبي ﷺ. وصحب عليّاً، وكان على مقدمته يوم صفين. توفي سنة ٦٠هـ / ٦٨٠م. (الأعلام: ٢٠٦/٥).

(١) الطغام: الأوغاد والأرذال.

كان الثاني فلا يخلو من أن تغلب فيه كيفية واحدة أو لا، والأوّل: هو الذي خروجه في كيفية بسيطة وأقسامه أربعة بعدد الكيفيات الأربع وهي: الحار، والبارد، والرطب، واليابس. والثاني: هو الذي خروجه في أكثر من كيفية واحدة، فلا تجتمع فيه كيفيتان متضادّتان غالبتان فبقي أن يكون إحدى الفاعلتين: أعني الحرارة والبرودة مع إحدى الانفعالتين أعني الرطوبة واليبوسة. فأقسامه أربعة: الحار الرطب، والحار اليابس، والبارد الرطب، والبارد اليابس. فجملة أنواع المزاج تسعة واحد منها معتدل وثمانية خارجة عن الاعتدال.

وقول الطغرائي رحمه الله تعالى يشبه قول أبي تمام الطائي وهو^(١): [من

الكامل]

الجدّ شيمته وفيه فكاهاة سَمَحٌ ولا جدّ لمن لم يَلْعَبِ^(٢)
شَرَسٌ وَيَتَبَعُ ذَاكَ لِيَنْ خَلِيقَةً لا خَيْرَ في الصهباءِ ما لم تقطِبِ^(٣)
ما أحسن قوله: لا خير في الصهباء ما لم تقطِبِ، لأن الخمرة إذا كانت صرفاً كانت حادّة لا يمكن استعمالها، فإذا مزجت بالماء وهو طبع بارد تولّد عنهما كيفية أخرى تقارب الاعتدال فأمكن استعمالها. وقول أبي تمام أيضاً^(٤): [من الكامل]

لا طائشٌ تَهْفُو خَلَائِقَهُ ولا خَشْنُ الوَقَارِ كَأَنَّهُ في مَحْفَلِ^(٥)
فَكَهُ يَجِدُ الجدّ أحياناً وقد يُنْضَى وَيُهْزَلُ عَيْشُ مَنْ لم يَهْزَلِ^(٦)

وقول أبي الحسين الجزار: [من الكامل]

أنت الكريمُ وجُلّ من قد أنبأت عَمَّنْ مَضَى في كُتُبِهَا الأخبارُ
خُلِقَ كَلِينِ الماءِ رَقٌّ لِشَارِبِ ظَامٍ وَعَزَمَ في التوقّدِ نارُ

وقول القائل: [من الكامل]

مَلِكٌ يَقِرُّ المُشْرِكُونَ ببأسِهِ فَتَقَرُّ بالإقرارِ عَيْنُ الدينِ

(١) ديوان أبي تمام: ١١٢/١.

(٢) الفكاهة: المزاح. وفي الديوان: «سُجَحٌ»: لَيِّنٌ.

(٣) الصهباء: الخمر. تُقَطَّبُ: تُمَزَجُ.

(٤) ديوانه: ١٩/٢. والبيتان من قصيدة يمدح بها الوزير الحسن بن وهب.

(٥) هفا فلان: سقط، أو زلّ وأخطأ، وهفا في المشي: خفّ وأسرع فيه.

(٦) يُنْضَى: يُنْخَلُ. يُهْزَلُ: من الهزال: النحول. لم يهزل: لم يمرح ويمرح.

وفي الديوان: «فَكَهُ يَجُمُّ الجدّ». يجمُّ الشيء: يتركه، استعاره من إجمام الفرس: تركه من غير ركوب.

فَعَلَى الْعُدَاةِ بِغِلْظَةٍ وَتَجَهُمِ وَعَلَى الْعُفَاةِ بِرَقَّةٍ وَبَلِينِ^(١)

وقول ابن أبي العرب المغربي: [من الكامل]

مِنْ كُلِّ مُشْتَمَلٍ بِمُنْصَلٍ عَزَمِهِ ذِي هَمَّةٍ تَطْأُ السَّمَاءَ هُمَامِ^(٢)
نَشْوَانٍ مِنْ حُمْرِ الْكَرَى صَاحِي النَّدَا رَيَّانٍ مِنْ مَاءِ الْمَحَامِدِ ظَامِي

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة: [من البسيط]

مَلِكٌ يُقَاسُ مُجَارِيهِ بِسُودِهِ إِذَا يُقَاسُ غَيْرَ الدَّارِ بِالْفَرَسِ^(٣)
مُظْفَرُ الْجَدِّ مَشَاءً عَلَى جَدِّ مِنْ حِلْمِهِ اللَّدْنُ أَوْ مِنْ حَرْبِهِ الشَّرْسِ^(٤)

ومن أحسن ما حضرني في صاحب جمع الأخلاق التي يعزّ وجودها في
شخص واحد قول القائل: [من الطويل]

تَلَطَّفْتُ الْأَيَّامَ حَتَّى تَفَضَّلْتُ عَلَيَّ بِنْدَمَانٍ كَرِيمِ الْخَلَائِقِ^(٥)
لَهُ سَمْتُ عَدْلٍ وَاسْتِكَانَةِ عَاشِقٍ وَهَمَّةُ جَبَّارٍ وَلُطْفُ الزِّنَادِقِ^(٦)

وما أحسن قول أبي الفتح البستي^(٧) في عبد الملك الثعالبي^(٨) صاحب
«اليتيمة»^(٩)، وغيرها: [من الطويل]

أَخْ لِي ذَكِيَّ النَّفْسِ وَالْأَصْلِ وَالْفَرْعِ يَحُلُّ مَحَلَّ الْعَيْنِ مَتِي وَالسَّمْعِ
تَمَسَّكَتُ مِنْهُ إِذْ بَلَوْتُ إِخَاءَهُ عَلَى حَالَتِي وَضَعِ النَوَائِبِ وَالرَّفْعِ^(١٠)

(١) العفاة: طالبو المعروف.

(٢) المُنْصَلُ: السيف. السَّمَاءُ: نجمٌ نَيَّرَ، وهما سماكان: الرامح والأعزل.

(٣) الْعَيْرُ: الجمار.

(٤) مَشَاءً: كثير المشي. الْجَدُّ: الأرض المستوية. اللَّدْنُ: اللَّيْنُ من الرماح. الشَّرْسُ: الشَّدِيد.

(٥) تَلَطَّفْتُ الْأَيَّامَ: رَقْتُ. تَفَضَّلْتُ: تَكَرَّمْتُ. النَّدْمَانُ: الصاحب على الشراب.

(٦) السَّمْتُ: الهيئة، أو السكينة والوقار. اللَّطْفُ: الرَقَّة.

(٧) هو أبو الفتح، علي بن محمد بن الحسين... البستي: شاعر مشهور، ولد في «بست» وكان من
كتاب الدولة السامانية في خراسان. توفي سنة ٤٠١هـ / ١٠١١م. (يتيمة الدهر: ٣٤٥/٤؛ البداية
والنهاية: ٢٦٩/١١).

(٨) هو أبو منصور، عبد الملك بن محمد بن إسماعيل الثعالبي، النيسابوري: من أئمة اللغة
والأدب. ولد بنيسابور، وتوفي سنة ٤٢٩هـ / ١٠٣٨م. (وفيات الأعيان: ١٧٨/٣؛ شذرات
الذهب: ٢٤٧/٣).

(٩) اليتيمة: أي كتاب «يتيمة الدهر في محاسن أهل العصر» - خمسة أجزاء -.

(١٠) بلوت: اختبرت.

بِأَوْعَظَ مَنْ عَقَلَ وَأَنَسَ مَنْ هَوَىٰ وَأَوْفَقَ مَنْ طَبَعَ وَأَنْفَعَ مَنْ شَرَعَ
 ذَكَرْتَ تَنْسِيقَ الصِّفَاتِ هُنَا مَا أَنْشَدْنِيهِ مِنْ لَفْظِهِ لِنَفْسِهِ الْقَاضِي جَمَالَ الدِّينِ
 عَبْدُ الْقَاهِرِ التَّبْرِيزِيِّ الْحَاكِمِ بِصَفْدِ سَنَةِ أَرْبَعٍ وَعَشْرِينَ وَسَبْعِمِائَةٍ يَصِفُ الشَّبَابَةَ وَهُوَ
 مَلِيحٌ: [مَنْ الْوَافِر]

وَنَاطَقَةٍ بِأَفْوَاهٍ ثَمَانٍ تَمِيلُ بِعَقْلِ ذِي اللَّبِّ الْعَفِيفِ
 لِكُلِّ فَمٍ لِسَانٌ مُسْتَعَارٌ يَخَالَفُ بَيْنَ تَقْطِيعِ الْحُرُوفِ
 تَخَاطُبُنَا بِلَفْظٍ لَا يَعِيهِ سِوَى مَنْ كَانَ ذَا طَبَعٍ لَطِيفِ
 نَصِيحَةٍ عَاشِقٍ وَنَدِيمٍ رَاعٍ وَعِزَّةٍ مَوْكِبٍ وَمُدَامٍ صُوفِيٍّ
 وَقَدْ أَحْسَنَ أَبُو بَكْرٍ الْخَوَارِزْمِيُّ^(١) حَيْثُ قَالَ فِي الْخُمْرَةِ: [مَنْ الطَّوِيل]

وَصَفَّرَاءُ كَالدِّينَارِ بَثَّتْ ثَلَاثَةٌ شِمَالٌ وَأَنْهَارٌ وَدَهْرٌ مُحَرَّمٌ
 مَسْرَّةٌ مُحْزُونٍ وَعَذْرٌ مُعْرَبِدٌ وَكَنْزٌ مَجُوسِيٍّ وَفِتْنَةٌ مُسْلِمٍ
 مَمَاتٌ لِأَحْيَاءٍ حَيَاةٌ لِمَيِّتٍ وَعُدْمٌ لِمَنْ أَثَرَى ثَرَاءٌ لِمُعْدَمٍ
 وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ شَهَابِ الدِّينِ الْعَزَازِيِّ مَلْغِزاً فِي الشَّبَابَةِ: [مَنْ الْوَافِر]

وَمَا صَفَّرَاءٌ شَاحِبَةٌ وَلَكِنْ يُزِينُهَا النِّضَارَةُ وَالشَّبَابُ
 مُكْتَبَةٌ وَلَيْسَ لَهَا بَنَانٌ مُنْقَبَةٌ وَلَيْسَ لَهَا نِقَابٌ
 تَصِيحُ لَهَا إِذَا قَبَّلَتْ فَاهَا أَحَادِيثًا تَلْدُ وَتُسْتَطَابُ
 وَيَحْلُو الْمَدْحُ وَالتَّشْبِيهُ فِيهَا وَمَا هِيَ لَا سُعَادُ وَلَا الرَّبَابُ
 قَوْلُهُ تَصِيحُ عِدَاهُ إِلَى أَحَادِيثٍ وَهُوَ غَيْرُ جَائِزٍ إِلَّا عَلَى تَأْوِيلٍ حَمَلَهُ عَلَى
 الْمَعْنَى، أَيْ تَسْمَعُ وَهُوَ ضَعِيفٌ. وَأَمَّا التَّشْبِيهُ فَهُوَ مَا خُوِذَ مِنْ قَوْلِ سَيْفِ الدِّينِ بْنِ
 الْمَشْدَدِ: [مَنْ الْكَامِل]

يَا مُطْرَباً أَغْنَى النَّدِيمَ غَنَاؤُهُ عَنْ طَيِّبٍ مَشْمُومٍ وَعَنْ مَشْرُوبٍ
 شَبَّبَ إِذَا غَنَّيْتَنِي بِحَدِيثِهِمْ إِنْ الْغِنَاءُ يَطِيبُ بِالتَّشْبِيهِ
 وَأَخَذَهُ الْقَاضِي مُحْيِي الدِّينِ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ الظَّاهِرِ فَنَقَلَهُ، وَقَصَرَهُ عَلَى الْحَسَنِ
 وَعَقَلَهُ، فَقَالَ: [مَنْ الطَّوِيل]

كَتَبْتُ لَكُمْ مِنْ أَعْيَنِ الْقُصْبِ الَّتِي جَرَى فِي نَوَاحِيهَا بِذِكْرِكُمْ طَرَبُ

(١) هو أبو بكر، محمد بن العباس الخوارزمي: من أئمة الكُتَّاب، وأحد الشعراء العلماء. ولد ونشأ في خوارزم، وتوفي بنيسابور سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م. (الأعلام: ٦/ ١٨٣).

فإنَّ أطربَ التشبيبِ فيها بذكرُكم فكَم أطربَ التشبيبِ مِنْ أعينِ القصبِ

وأنشدني الشيخ الأديب الكاتب شهاب الدين أبو الثناء محمود قال: أنشدني
من لفظه لنفسه القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر: [من الطويل]

وَنَاطِقَةٌ بِالنَّفَخِ مِنْ رُوحِ رَبِّهَا تَعْبُرُ عَمَّا عِنْدَنَا وَتَتَرَجَّمُ
سَكُنْنَا وَقَالَتْ لِلْقُلُوبِ فَأَسْمَعْتُ فَنَحْنُ سُكُوتٌ وَالْهَوَى يَتَكَلَّمُ

وقال محيي الدين بن فرناص في مליح مشبب: [من البسيط]

مُشَبَّبٌ بِجَفَاهُ رَاحَ يَقْتُلُنَا فَإِنْ تَدَارَكْنَا بِالنَّفَخِ أَحْيَانَا
هَوَيْتُ تَشْبِيبَهُ مِنْ قَبْلِ رُؤْيَيْهِ وَالْأُذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا^(١)

وله فيه أيضاً: [من الرجز]

عُلِّقَتْهُ مُشَبَّبًا مُهْفَهَفًا أَخْضَعُ فِي حَبِّي لَهُ فَيَسْمَخُ
لَا عَرَوْا إِنْ تَشَبَّ مِنْ تَشْبِيبِهِ نَارُ الْهَوَى أَمَا تَرَاهُ يَنْفَخُ

وأنشد يوماً بحضرة شرف الدين الحلاوي لغزاً وهو: [من الطويل]

وَنَاطِقَةٌ خَرَسَاءٌ بَادٍ شُجُونُهَا تَكْتَفِفُهَا عَشْرٌ وَعَنْهِنَّ تُخْبِرُ
يَلْدُ إِلَى الْأَسْمَاعِ رَجْعَ حَدِيثِهَا إِذَا سَدَّ مِنْهَا مَنْخَرٌ جَاشَ مَنْخَرُ

فأجاب في الحال: [من الطويل]

نَهَانِي النُّهَى وَالشَّيْبُ عَنْ وَضَلٍ مِثْلِهَا وَكَمْ مِثْلُهَا فَارَقَتْهَا وَهِيَ تَصْفَرُ

ما أحلى هذا الجواب وأبدعه حيث أجاب التضمين بتضمين مثله حل به
معناه، ونقله إلى الشبابة، وكلاهما من أبيات الحماسة لتأبّط شراً^(٢)، ومثله قول زين
الدين بن عبد الله: [من الطويل]

وَنَائِحَةٌ صَفْرَاءُ تَنْطِقُ عَنْ هَوَى فَتَعْرُبُ عَمَّا فِي الضَّمِيرِ وَتُخْبِرُ
بَرَاهَا الْهَوَى وَالْوَجْدُ حَتَّى أَعَادَهَا أَنْابِيْبَ فِي أَجْوَاهَا الرِّيحُ تَصْفَرُ

(١) عجز البيت من قول بشّار بن برد:

يَا قَوْمُ أَذْنِي لِبَعْضِ الْحَيِّ عَاشِقَةٌ وَالْأُذُنُ تَعَشَّقُ قَبْلَ الْعَيْنِ أَحْيَانَا

(ديوانه: ٤/١٨٣؛ الأغاني: ٣/٦٧؛ زهر الآداب: ١/١٤٠).

(٢) تأبّط شراً: هو ثابت بن جابر بن سفيان الفهمي، من مضر: شاعر عداء، من فُتّك العرب في
الجاهلية. توفي نحو ٨٠ق. هـ/ نحو ٥٤٠م. (الأعلام: ٢/٩٧).

وقول مجير الدين مُحَمَّد بن تميم: [من الطويل]

قِيَانٌ مَلاهيها يَلْدُ سَماعُها وَيُطربنا مِنْهنَّ عودٌ وَمِزهرٌ^(١)
وأكثر ما يُنشي لنا السّكر بيَنها أنابيبُ في أجوافها الرّيحُ تصفرُ
وقوله أيضاً: [من الطويل]

ولما حَضَرنا لِلسّماعِ وضربنا الـ مَلاهي، وكلُّ بِالجوى يَترنمُ
أَصَحُّنا إلى تشبيهِهم وَغنائهم فَنحنُ سَكوتٌ والهوى يَتكلمُ^(٢)
وأنشدني القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود لشمس الدين عبد الوهاب:
[من الطويل]

مُنقَبَةٌ مَهما خَلَتْ مع مُحَبَّها يُزودها لثَمًا وَيَنظرها شَزْرًا^(٣)
وَتَصحيفها في كَفٍّ من شِئتُ فَلتقلُ إذا شِئتُ في اليُمْنى وإن شِئتُ في اليُسرى
يعني أن الشبابة بالشين المعجمة تصحيفها سبابة بالمهملة، وقال سيف الدين
عليّ بن قزل المشدّ: [من البسيط]

وَمُطربٌ قَدْ رأينا في أنامله يراعةً لِسُرورِ النفسِ أَهَلْها
كَأَنما عاشقٌ وافَتْ حَبيبته فَضَمَّها بِيديهِ ثم قَبَّلها
وقال أيضاً: [من الطويل]

وَعارِيَةٍ مِنْ كُلِّ عَيْبٍ حَبيبَةٍ إلى كُلِّ قلبٍ ظَلٌّ بِالبينِ مَجروحًا
لَها جَسَدٌ مَيّتٌ يَعيشُ بِنَفْخَةٍ إذا دَخَلَتْهُ الرّيحُ صارتُ بِهِ رُوحًا
تُعِيدُ الذي يُلقي عَلَيها بِلَدَّةٍ تَزِيدُ فؤادَ الصَّبِّ وَجَدًا وَتَبْرِيحًا^(٤)
وَتَنطِقُ بالسّحرِ الحَلالِ عَنِ الهوى وَتُوحِي إلى الأسماعِ أَطيبَ ما يُوحى

قلت: غالب ما سقطته من المقاطيع مأخوذ من قول سيف الدين بن قزل المشدّ
حسبما تراه. ذكرت هنا قول السراج المحار^(٥) يهجو زامرة سوداء: [من الكامل]
وَلَرُبَّ زامِرَةٍ تَهيّجُ بِزَمَرها رِيحَ البَطونِ فَلَيَّتْها لَم تَزْمُرِ

(١) القيان: الجوّاري المُنغنيات. (٢) أَصَحُّنا: استمعنا.

(٣) نَظَرُ شَزْرٍ: فيه صَدٌّ وإِعراض. (٤) التبريح: الشدّة.

(٥) هو سراج الدين، عمر بن مسعود الكنانى الحلبى المعروف بالمحار: أديب، شاعر، كان في شبابه يمحّر الكتان، ثم اشتغل بالأدب ومهر فيه. توفي سنة ٧١١هـ / ١٣١١م. (فوات الوفيات، الكُنُبي: ١٤٦/٣، النجوم الزاهرة، ابن تغري بردي: ٢٢١/٩).

شَبَّهْتُ أَنْمُلَهَا عَلَى ضَرْبَاتِهَا وَقَبِيحٌ مَبْسُومُهَا الشَّنِيعِ الْأَبْخَرِ^(١)
بِخَنَافْسٍ قَصْدَتْ كَنِيفاً وَاعْتَدَتْ تَسْعَى إِلَيْهِ عَلَى خِيَارِ الشَّنْبَرِ
شَبَّهَ ثَلَاثَةً بِثَلَاثَةٍ فَأَبْدَعَ وَإِنْ كَانَ قَدْ لَمَحَهُ مِنْ قَوْلِ الْأَوَّلِ يَهْجُو زَامِراً أَسْوَدَ:
[من السريع]

كَأَنَّهَا فِي حَالَةِ الْعِيَانِ خَنَافْسٌ دَبَّتْ عَلَى ثُعْبَانٍ
وَعَلَى قَوْلِ السَّرَاجِ الْمَحَارِ يَلِيقُ قَوْلُ الْقَائِلِ أَبْصَرَ الْحَامِلَ وَالْمَحْمُولَ، وَدَارَ الْوَكَالَةَ
خَنَافْسٌ تَسْعَى عَلَى خِيَارِ الشَّنْبَرِ إِلَى الْكَنِيفِ. وَقَالَ آخِرُ يَمْدَحِ زَامِراً: [من السريع]
وَزَامِرٍ يَبْعَثُ فِي زَمْرِهِ إِلَى قُلُوبِ النَّاسِ أَفْرَاحاً
كَأَنَّ إِسْرَافِيلَ فِي نَايِهِ يَنْفُخُ فِي الْأَمْوَاتِ أَرْوَاحاً
وَقُلْتُ أَنَا فِي ذِمَّةٍ: [من السريع]

يَقُولُ فِي مَجْلَسِنَا زَامِرٌ لَمْ نَلَقَ مَا أَلْقَى بِإِصْغَاءٍ
مَا عِنْدَكُمْ مِيلٌ إِلَى حَاضِرٍ قُلْنَا وَلَا شَوْقٌ إِلَى نَاءٍ
رَجَعَ. وَفِي بَيْتِ الطُّغْرَائِيِّ مِنْ حَسَنِ الصَّنَاعَةِ مَا يَشْهَدُ لِقَائِهِ بِفَوْزِ قَدْحِهِ فِي
الْبَلَاغَةِ فَإِنَّهُ جَمَعَ فِيهِ بَيْنَ ثَمَانِيَةِ أَشْيَاءَ: الْحَلَاوَةِ، وَالْمَرَارَةِ، وَالْفُكَاهَةِ، وَالْمَزَجِ،
وَالْقَسْوَةِ، وَالرَّقَّةَ، وَالْبَاسَ، وَالْغَزَلَ، وَهِيَ ثَمَانِيَةٌ لَمْ تَجْتَمِعْ لغيره بهذا الانسجام
وَالْعَذُوبَةِ. وَأَرْبَابُ الْبَدِيعِ يَسَمُّونَ هَذَا النُّوعَ الْمُقَابِلَةَ، وَاسْتَشْهَدُوا عَلَيْهِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى:
﴿فَلَمَّا مَنَ أَعْطَى وَافَقَى وَصَدَقَ بِالْحُسْنَى﴾ [الليل: ٥، ٦] (الآيتين) ففِي كُلِّ آيَةٍ مَا يَقَابِلُ الْأُخْرَى.
هَكَذَا قَرَّرَهُ الْجَمِيعُ، وَأَقُولُ: إِنَّهُ فَاتَ فِيهِ ذَلِكَ. فَإِنْ لَفْظَةُ فَسْنِيسِرِهِ تَكَرَّرَتْ فِي
الْآيَتَيْنِ وَلَمْ يَخْتَلَفْ مَعْنَاهَا فَمَا تَمَّتِ الْمُقَابِلَةُ. وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ فَسْنِيسِرُهُ فِي مَعْنَى
فَسْنَعِسِرِهِ، لِأَنَّهُ إِذَا تَبَسَّرَ تَعْسِيرُهُ كَانَ مَعْسِراً، لَكِنْ ذَلِكَ غَيْرُ صَرِيحٍ. وَمِنْ أَحْسَنِ مَا
اسْتَشْهَدُوا بِهِ فِي هَذَا النُّوعِ مِنَ الشَّعْرِ قَوْلُ أَبِي الطَّيِّبِ^(٢): [من البسيط]

أَزُورُهُمْ وَسَوَادُ اللَّيْلِ يَشْفَعُ لِي وَأَنْشَنِي وَبَيَاضُ الصَّبْحِ يُغْرِي بِي
قَالُوا قَابِلٌ فِيهِ خَمْسَةٌ بِخَمْسَةٍ. كُنْتُ عِنْدَ الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْأَدِيبِ الْكَاتِبِ الْقَاضِي
شَهَابِ الدِّينِ أَبِي الثَّنَاءِ مُحَمَّدٍ أَقْرَأَ عَلَيْهِ كِتَابَهُ «حَسَنُ التَّوَسُّلِ»، فَجَاءَ هَذَا الْبَيْتُ فِي
أَثْنَاءِ الْقِرَاءَةِ فِي مَكَانِهِ، وَعِنْدَهُ جَمَاعَةٌ مِنَ الطُّلَبَةِ وَغَيْرِهِمْ. فَقَالَ: عَدَّوْا هَذِهِ الْخَمْسَةَ
الَّتِي ذَكَرَهَا أَرْبَابُ الْبَدِيعِ، فَكُلُّهُمْ قَالُوا: أَزُورُهُمْ يَقَابِلُ أَنْشَنِي. وَسَوَادُ: يَقَابِلُ بَيَاضَ.

(١) فَمَّ أَبْخَرُ: ذُو رَائِحَةٍ مُنْتَنَةٍ.

(٢) دِيوَانُ الْمُتَنَبِّي: ٢/٢٥١.

والليل: يقابل الصبح. ويشفع: يقابل يغري. ووقفوا. فقال: هذه أربعة لأربعة وبقي القسم الخامس، فلم ينتبهوا له. فقلت: لفظة لي تقابل لفظة بي لأن الشفاعة له تقابل الإغراء به كأنه قال: ذلك لي وهذا عليّ. قال الشاعر: [من المتقارب]

فَيَوْمٌ عَلَيْنَا وَيَوْمٌ لَنَا وَيَوْمٌ نُسَاءُ وَيَوْمٌ نُسَرُ

ألا تراه قابل ما عليهم بما لهم في ذلك من الإساءة والسرور فأعجبه ذلك، وقد أخذ بعضهم قول أبي الطيب أخذاً مليحاً فقال وقد أجاد: [من الكامل]

أُفْلِي النَّهَارِ إِذَا أَضَاءَ صَبَاحُهُ وَأُظِلَّ أَنْتَظَرُ الظَّلَامَ الدَّامِسَا^(١)

فالصبحُ يشمتُ بي فيقبلُ ضاحِكَاً والليلُ يرثي لي فيُدْبِرُ عَابِسَاً

وفيه مقابلة خمسة بخمسة. حكى لي الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين مُحَمَّد ابن سيد الناس اليعمري قال: كان شيخنا الإمام العلامة تقي الدين بن دقيق العيد يقول: قل لعلماء المعاني والبيان والبديع: أتحسنون أن تقولوا مثل أزورهم، فإذا قالوا: لا قل: لهم فأى فائدة فيما تصنعونه. يريد بهذا أن العلم غير العمل، والمباشرة دون الوصف، والطعن في الهيجاء غير الطعن في الميدان. وحكى أن بعض الوعاظ كان على منبره يتكلم في المحبسة وأمور العشق وأحواله، ومدّ أطناب الإطناب في ذلك، فقام إليه بعض الجماعة وقال^(٢): [من الوافر]

بَعِيشِكَ هَلْ ضَمَمْتَ إِلَيْكَ لَيْلَى قَبِيلَ الصَّبْحِ أَوْ قَبَّلْتَ فَاهَا^(٣)

وَهَلْ رُفَّتْ إِلَيْكَ فِرْعَوْنُ لَيْلَى زَفِيفَ الْأَقْحَوَانَةِ فِي نَدَاهَا^(٤)

فقال الواعظ: لا والله. فقال له: فافشر^(٥) ما شئت. وما أحسن قول

عبد الله بن سباط الكاتب القيرواني: [من مخلع السيط]

قَالَ الْخَلِيَّ الْهَوَى مِحَالٌ فَقُلْتُ لَوْ دُقْتُهِ عَرَفْتُهِ

فَقَالَ هَلْ غَيْرُ شُغْلٍ قَلْبٍ إِنَّ أَنْتَ لَمْ تَرْضَهُ صَرَفْتُهِ

(١) أفلّي: أبغض، أكره. ظلام دامس: شديد السواد.

(٢) الببتان لقيس ليلى (المجنون) الشاعر الأموي المتوفى سنة ٦٨هـ / ٦٨٨ م. وهما في ديوانه: ٢٦٢.

(٣) في الديوان: «برّبك هل...».

(٤) في الديوان: «وهل رُفَّتْ عليك... رَفِيفٌ».

رَفَّتْ: اضطربت وتحركت، ورَفَّ له، وإليه: هَشَّ واهتزَّ وارتاح. وَرَفَّ الشيء زَفِيفاً: أسرع، وَرَفَّ الطائر: رمى بنفسه وبسط جناحيه. وَرَفَّت العروس: نُقلت من بيت أبويها إلى بيت زوجها.

(٥) فَشَّرَ الرجل: كذب.

وَهَلْ سَوَى زَفَرَةٍ وَدَمْعٍ إِنَّ لَمْ تُرْدْ جَزِيَهُ كَفَفْتَهُ
فَقُلْتُ مَنْ بَعْدَ كُلِّ وَصْفٍ لَمْ تَعْرِفِ الْحَبَّ إِذْ وَصَفْتَهُ
وقال علماء الأدب: إن معنى بيت أبي الطيّب مسروق من قول ابن المعتز^(١):

[من البسيط]

لَا تَلْقَ إِلَّا بَلِيلَ مَنْ تُوَاصِلُهُ فَالشَّمْسُ نَمَامَةٌ وَاللَّيْلُ قَوَادٌ
ولبعضهم في المقابلة: [من الطويل]

عَذِيرِي مِنَ الْأَيَّامِ مَدَّتْ صُرُوفُهَا إِلَى وَجْهِ مَنْ أَهْوَى يَدَ النِّسْخِ وَالْمَحْوِ
وَأَبَدْتُ بِوَجْهِ طَالِعَاتٍ أَرَى بِهَا سِهَامَ أَبِي يَحْيَى يُسَدِّدُهَا نَحْوِي
فَذَاكَ سَوَادُ الْخَدِّ يَنْهَى عَنِ الْهَوَى وَهَذَا بَيَاضُ الْوَحْطِ يَأْمُرُ بِالصَّحْوِ

أبو يحيى كناية عن الموت، وفي المقابلة من هذه الأبيات نظر. وأحسن من هذا المعنى وأرشق قول الأرجاني: [من مخلع البسيط]

شِبْتُ أَنَا وَالتَّحَى حَبِيبِي حَتَّى بِرُغْمِي سَلَوْتُ عَنْهُ
وَابْيَضَ ذَاكَ السَّوَادُ مِنِّي وَاسْوَدَّ ذَاكَ الْبَيَاضُ مِنْهُ

ومن المقابلة قول أبي تمام الطائي^(٢): [من البسيط]

يَا أُمَّةً كَانَ قَبْحُ الْجَوْرِ يُسْخِطُهَا دَهْرًا فَأَصْبَحَ حَسَنُ الْعَدْلِ يُرْضِيهَا

حكى الشيخ العلامة غرس الدين أبو بكر الإربلي، صاحب كتاب «الألفية في الألغاز المخفية» أن صاحب شرف الدين مستوفي إربل أنشده لغيره: [من الطويل]

عَلَى رَأْسِ عَبْدٍ تَاجٌ عَزَّيْزِيْنُهُ وَفِي رِجْلِ حَرَقِيْدٍ ذُلٌّ يَشِينُهُ^(٣)

فقال غرس الدين المذكور بديهاً: [من الطويل]

تَسْرُلُئِيْمًا مَكْرَمَاتٍ تَعَزُّهُ وَتُبْكِي كَرِيْمًا حَادِثَاتٍ تَهِيْنُهُ

قلت: هذا أحسن في البديهة، ولكنه ناقص عن الأول من وجهين. الأول: أن الأول قابل ستة بسنة لا شك فيها، وهو قابل أربعة بأربعة. الثاني: أن المقابلة في قوله تحتاج إلى تأويل لأن السرور يقابله الحزن فكان ينبغي أن يقول: وتحنن، لكن لما كان الغالب أن البكاء إنما يكون من الحزن، أطلق البكاء هنا على الحزن. ولأن

(١) ديوان ابن المعتز: ٢٢٨.

(٢) لم يرد البيت في ديوان أبي تمام (دار صادر).

(٣) يَشِينُهُ: يعيبه.

المكرّمات لا تقابل الحادّثات إلا بتأويل أن المكرّمات تكون في الخير، والحادّثات تكون في الشرّ، وأكثر ما عدّ الناس في المقابلة بيت أبي الطيّب لأنّه قابل فيه بين خمسة، وهذا قابل فيه بين ستة، كما تراه، فهذا أبلغ ما يمكن أن ينظم في هذا المعنى، واللّه أعلم.

وما أحلى قول القاضي الفاضل: والقدوم على كريم ترتجى مبرّته، خير من المقام مع لئيم تخشى معرّته. وقال شرف الدين الحلّوي: [من الكامل]

وَبَدْتُ نِظَائِرُ ثَغْرِهِ فِي قُرْطِهِ فَتَشَابَهَا مُتَخَالِفَيْنِ فَأَشْكَالًا
فَرَأَيْتُ تَحْتَ الْبَدْرِ سَالِفَةَ الطَّلَا وَرَأَيْتُ فَوْقَ الدَّرِّ مُسْكِرَةَ الطَّلَا^(١)

قلت: لو اتفق له أن يقول سلافة الطّلا لكان أحسن، ولكن هذا من الجناس المعنوي، لأنّه أراد ذلك فلم يساعده الوزن فعدل إلى ما يرادف ذلك المعنى، وهذا النوع استدركه المتأخرون، وهو عندي باطل لأن هذا الباب إذا فتحناه كان غالب الشعر جناساً معنوياً. وقد أشبعت القول على هذا في مكانه من كتابي المسمى «جنان الجناس». ولم تتفق المقابلة في قول الحلّوي صريحة إلا في قوله: تحت وفوق. وأما البدر والدر فتأويل بعيد أي أن ذلك في كبد السماء والدر أصله من قعر البحر، وأما سلافة الطّلا ومسكرة الطّلا فليس من التقابل في شيء، وأي تقابل بين سلافة الغزال والخمرة.

حكى السراج الوراق قال: خرجنا إلى الدير وصحبنا جمال الدين أبو الحسين الجزار، ومعنا غلام مليح زامر، فلما اجتمعنا في مشرف الدير، حضر عندنا صبيّ راهب مليح، فشرّب معنا وأطعمتنا أنفسنا فيه، فأنكر الراهبان عليه، وأخذوه منا، وهرب الزامر: [من السريع]

فقلت:

فِي فَخْنَا لَمْ يَقْعِ الطَّائِرُ

فقال أبو الحسين الجزار:

لَا رَاهِبُ الدِّيرِ وَلَا الزَّامِرُ

فقلت:

فَالْقَلْبُ فِي أَثْرِهِمَا هَائِمٌ

(١) السالفة: صفحة العنق عند مُعلّق القرط، الجمع: سواف. الطّلا: ولد الظبي ساعة يُولد. الطّلا: الخمر.

فقال أبو الحسين:

والعقلُ من أجلهما حائرُ

فقلت:

فَسَعْدُنَا لَيْسَ لَهُ أَوَّلُ

فقال أبو الحسين:

وَنَحْسُنَا لَيْسَ لَهُ آخِرُ

ويعجبني قول القائل: [من المجتث]

الشعرُ خطةٌ خسفٍ لِكُلِّ طَالِبٍ عُرْفٍ^(١)

وقول الآخر: [من المجتث]

لِلشَّيْخِ عَيْبَةُ عَيْبٍ وَلِلْفَتَى ظَرْفٌ ظَرْفٍ^(٢)

ذكرت هنا واقعة عبد الجليل بن وهبون المرسى^(٣) مع خاله وإن لم تكن من باب المقابلة. قيل: إنه كان دون الحلم وهو إلى جانب خاله، وقد صنع له عريش، فانكسرت دعائمها ثم رفعت على أخشاب الجوز فانكسرت. فقال له خاله: أجز: «مال عليها العريش فانكسرت». فقال: «كأنها من سُلَافَةٍ^(٤) سَكَرَتْ»: [من المنسرح]

لَمْ تَرَ عَيْنِي وَلَا وَعَتْ أَذْنِي سُلَافَةً أَسْكَرَتْ وَمَا عَصِرَتْ

وكتاب «بدائع البداء» لابن ظافر، والدلائل عليه له في هذا الباب كتاب حسن يدل تأليفه على سعة باع مصنفه في الاطلاع، ومن المقابلة قول القائل في مأبون^(٥):

[من الكامل]

يَأْتِي إِلَى الْأَحْرَارِ يَجْلِسُ فَوْقَهُمْ وَيَنَامُ مِنْ تَحْتِ الْعَبِيدِ وَيُؤْتِي

ذكرت هنا قول الآخر: [من الطويل]

لَنَا عَالَمٌ يُؤْتَى فَيَأْتِي بِحَجَّةٍ عَلَى ذَاكَ مِنْ أَنْبَاءِ عِلْمٍ وَآيَاتٍ لِيُعْلَى فَقَالَ الْعِلْمُ يُؤْتَى وَلَا يَأْتِي فَقُلْنَا لَهُ الْإِسْلَامُ يَعْلُو وَلَمْ يَكُنْ

(١) الخطة: الحال والشأن. العُرف: المعروف.

(٢) الْعَيْبَةُ: الوعاء، أو القلب.

(٣) شاعر، أديب، من أهل مرسية بالأندلس. له ترجمة في: بغية الملتبس: ٣٥٩.

(٤) السُلَافَةُ: الخمر الخالصة.

(٥) الْمَأْبُون: الْمُتَّهَمُ بِالْفُحْشِ.

أنشدني لنفسه إجازة الشيخ الإمام شهاب الدين أبو الثناء محمود: [من السريع]
 ياراكباً يَفرِي جُيوبَ الفَلا على أُمونٍ جَسْرَةٍ أو جَوادُ^(١)
 يَسري فتبديهِ ظُهور الرُّبى طَوراً وتُخفيهِ بَطون الوهاذُ^(٢)

وهذا أرشق من قول عبد الصمد بن بابك: [من الطويل]

أَلوْحُ وأخفي والعيونُ رَواصدُ وَشمسُ الضّحي تَنأى مَنالاً وتقرُبُ^(٣)
 فَيضمِرُنِي جَوْ من الأرضِ غابِرُ وَيُطلَعُنِي حِقْفُ من الرَّمْلِ أجَدبُ^(٤)

قلت: كذا نقلته من خط ابن خروف النحوي، ولو قال بدل جَوْ: وهذ لكان أحسن، لأن الجَوْ لا يقابل الحقف وإنما يقابله الوهد، ولو قال بدل الأرض والرمل: السهل والحزن كان أبداع فإنه لا تضادّ بين الأرض والرمل فاعرفه. وقلت أنا: [من السريع]
 غَنى بِشعرٍ سَمراً فانثنى مُشبَّبُ الجَوْقةِ يَدْعولي
 وَقَالَ ما مَقْطوعه داخلُ لِذاكَ يُستخرجُ مَوْضولي
 أنشدني لنفسه إجازة المولى صفي الدين عبد العزيز بن سرايا الحلي: [من

مخلع البسيط]

جاءَ وفي قَدّه اعتدالُ مُهفَهِفٌ مالُهُ عَدِيلُ^(٥)
 قَدْ خَفَفْتُ عِطْفَهُ شَمالُ وَثَقَلْتُ جَفَنَهُ شَمولُ^(٦)
 ثُمَّ انثنى راقصاً بقَدِّ تَثْنِي إلى نحوهِ العُقُولُ
 يَجولُ ما بيننا بِوَجهِ فِيهِ مِياهُ الحِيا تَجولُ^(٧)
 وَرَنَحَ الرَقصُ مِنْهُ عِطْفاً حَفَّ بِهِ اللَّطْفُ والدخولُ^(٨)
 فَعِطْفُهُ داخلُ خَفيفُ وَرَدَفُهُ خَارِجُ ثَقِيلُ

(١) يفرى: يقطع. جيوب الفلا: مداخلها. أمون: مؤثقة الخلق يؤمن عثارها. الجسرة: العظيمة الشديدة.

(٢) الوهاذ: المنخفضات.

(٣) ألوح: أظهر، أبدو. رواصل: متربة.

(٤) يضمري: يخفي، يسترني. الحقف: ما اعوجّ من الرمل واستطال.

(٥) اعتدال: استقامة. عديل: مثيل أو نظير.

(٦) العطف: جانب الجسد من الرأس إلى الورك. الشمال: ريح الشمال. الشمول: الحمر.

(٧) الحيا: المطر. تجول: تطوف.

(٨) رنح: أمال وحرك.

وعلى ذكر ثقالة الردف فما أحلى قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني وأرشقه^(١): [من السريع]

تَلَاغُبُ الشَّعْرِ عَلَى رِدْفِهِ أَوْقَعَ قَلْبِي فِي الْعَرِيضِ الطَّوِيلِ
يَا رِدْفُهُ جُرْتَ عَلَى خَصْرِهِ رَفَقَابَهُ مَا أَنْتَ إِلَّا ثَقِيلُ
وَأَيْنَ هَذَا مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ: [من المجث]

يَا خَصْرَهُ كَمْ جَفَاءً تُبَدِي وَأَنْتَ نَحِيلُ
يَا رِدْفُهُ نَحَّ عَنِّي مَا أَنْتَ إِلَّا ثَقِيلُ

قلت: الأول أحسن وأرشق وأكمل من وجه. الأول أن المعنى كامل في بيت واحد وهنا في بيتين. الثاني: أنه أتى بالمثل خالياً من ثقل الإعراب كما هو جارٍ على ألسنة العوام ولم يأت به ملحوناً. الثالث: أن في قوله: نَحَّ عني ما لا يليق بالعشاق من الجفوة لأنه يطلب بعد الردف عنه. ألا تراهم عابوا على ابن بقي قوله في الأبيات القافية: [من الكامل]

حَتَّى إِذَا مَالَتْ بِهِ سَنَةُ الْكَرَى زَحَزَحَتْهُ شَيْئاً وَكَانَ مُعَانِقِي
أَبْعَدَتْهُ عَنْ أَضْلَعِ تَشْتَاقُهُ كَيْ لَا يَنَامَ عَلَى وَسَادٍ خَافِقِ

وَفَضَّلُوا عَلَيْهِ قَوْلَ الْحَكَمِ بْنِ عِيَالٍ: [من مخلع البسيط]

إِنْ كَانَ لَا بَدَّ مِنْ رُقَادٍ فَأَضْلَعِي هَاكَ عَنْ وَسَادٍ
وَنَمَّ عَلَى خَفَقِهَا هَدَوّاً كَالطِّفْلِ فِي نَهْنِهِ الْمَهَادِ

وقلت أنا راداً على ابن بقي في وزنه وَرَوِيَّه: [من الكامل]

أَبْعَدَتْ مِنْ زَحَزَحَتْهُ عَنْ أَضْلَعِ مَا أَنْتَ عِنْدَ ذَوِي الْغَرَامِ بَعَاشِقِ
هَذَا يَدُلُّ النَّاسَ مِنْكَ عَلَى الْجَفَا إِذْ لَيْسَ هَذَا فَعْلٌ صَبٌّ وَامِقِ^(٢)
إِنْ شئتَ قُلْ أَبْعَدْتُ عَنْهُ أَضَالَعِي لِيَكُونَ فَعْلُ الْمُسْتَهَامِ الصَّادِقِ
أَوْ قُلْ فَبَاتَ عَلَى اضْطِرَابِ جَوَانِحِي كَالطِّفْلِ مُضْطَجِعاً بِمَهْدٍ خَافِقِ

أنشدني لنفسه إجازة المولى صفي الدين الحلّي: [من الطويل]

مَلِيحٌ يَغَارُ الْغَصْنَ عِنْدَ اهْتِزَازِهِ وَيَخْجَلُ بَدْرَ التَّمِّ عِنْدَ شُرُوقِهِ
فَمَا فِيهِ مَعْنَى نَاقِصٌ غَيْرُ خَصْرِهِ وَمَا فِيهِ شَيْءٌ بَارِدٌ غَيْرُ رَيْقِهِ

(١) ديوانه: ٢٨٢.

(٢) الصَّبُّ: العاشق المشتاق. الوامِقُ: المُجِبُّ.

وما أحسن قول شمس الدين محمد بن التلمساني منقولاً من خطه^(١): [من الطويل]
فَكَمْ يَتَجَافَى خَضْرَاهُ وَهُوَ نَاجِلٌ وَكَمْ يَتَحَالَى ثَغْرُهُ وَهُوَ بَارِدٌ^(٢)
وَكَمْ يَدَّعِي صَوْنًا وَهَذَا جُفُونُهُ بِفَتْرَتِهَا لِلْعَاشِقِينَ تُوَاعِدُ^(٣)

قلت: هذا هو السحر الحلال الذي يلعب بالعقول، ويدع الإعجاب بحسنه
يقوم ويقول: أنشدني من لفظه لنفسه بالديار المصرية سنة تسع وعشرين وسبعمائة
شرف الدين عيسى الناسخ: [من الطويل]

شَكُوْتُ إِلَى ذَاكَ الْجَمَالِ صَبَابَةً تُكَلِّفُ جَفَنِي أَنَّهُ قَطُّ لَا يَغْفُو^(٤)
فَلَانْتُ لِي الْأَعْطَافِ وَالْخَصْرُ رَقٌّ لِي وَلَكِنْ تَجَافَى الشَّعْرُ وَأَثَاقِلُ الرَّدْفِ
قلت: لا أعرف يغفو إنما هو غفى يغفى وإن كان فهو لغة رديئة غير فصيحة،
لأن غفا يغفو لم يرد في كلام فصيح، والله أعلم.

طَرَدْتُ سَرَحَ الْكَرَى عَنْ وَرْدٍ مُقْلَتِهِ وَاللَّيْلُ أَغْرَى سَوَامَ النَّوْمِ بِالْمُقْلِ

(اللغة): الطرد: الإبعاد، وكذا الطرد بالتحريك، يقال: طردته فذهب. ولا
يقال منه انفعّل، ولا افتعل، إلّا في لغة رديئة والرجل مطرودٌ وطريد. السرح: المال
السائم. تقول: سرّحت الماشية وأنفشتها وأرحتها وأسمتها وأهملتها وسرحتها
سرّحاً، هذه وحدها بلا ألف. ومنه قوله تعالى: ﴿وَحِينَ سَرَّحْنَاهُ﴾ [النمل: ٦].
وسرحت هي بنفسها سروحاً يتعدّى ولا يتعدّى. تقول: سرحت بالغداة، وراحت
بالعشي، وسرّحت فلاناً إلى مكان كذا إذا أرسلته. الكرى: النعاس. تقول منه:
كري الرجل بالكسر يكرى كرى فهو كرى وامرأة كرية على فعيلة بكسر الراء وفتحها.
قال الشاعر: [من البسيط]

لَا يَسْتَمَلُّ وَلَا يَكْرَى مُجَالِسُهَا وَلَا يَمَلُّ مِنَ النَّجْوَى مُنَاجِيَهَا

وأصبح فلان كريان الغداة أي ناعساً. الورد: خلاف الصدر، وهو فعل القوم
الذين يأتون الماء ليردوه. المقلة: شحمة العين التي تجمع البياض والسواد وتجمع على
مقل، والحدقة السواد الأعظم، والناظر هو السواد الأصغر. والإنسان يكون في الناظر

(١) ديوانه: ١٢١.

(٢) في الديوان: «وكم يتحالى ريقه». جفا الشيء، وتجافى: بُعد، وغلظ، أو مال من جانب إلى
آخر، ولم يلزم مكانه.

(٣) صان عرضه صوناً وصيانة: وقاه مما يعيبه. الفترة من الجفون: الضعف والانكسار.

(٤) الصبابة: رقة الشوق وحرارته.

لأنه كالمرآة إذا استقبلتها رأيت شخصك فيها. قال أبو الطيب^(١): [من المنسرح]
جارية طالما خلوتُ بها تبصرُ في ناظري مُحَيَّاهَا
يصف شدة قربها منه. والعامّة تسمي الإنسان النؤنؤ، وذبابة العين مؤخرها،
واللحظ طرف العين مما يلي الصدغ، والموق طرفها مما يلي الأنف، والحملاق
باطن جفن العين، وشفر العين طرف الجفن الذي ينبت عليه الشعر، والحجاج
العظم المشرف على العين. ذكرت بالشفر ما أنشدني المولى جمال الدين محمد بن
محمد بن نباتة: [من الطويل]

يَقُولُونَ مِنْ وَطْئِ النِّسَاءِ خَفِ الْعَمَى فَقُلْتُ دَعُوا قَصْدِي فَمَا فِيهِ مِنْ شَيْنٍ^(٢)
إِذَا كَانَ شِفْرُ الْعَيْنِ دُونَ مَحَلِّهَا فَعِنْدِي أَنَّ الشَّفْرَ خَيْرٌ مِنَ الْعَيْنِ
قلت: هذا يشبه قولهم: تصدّقت ببصري على ذكرى. وقول نور الدين علي
الأسعدي: [من السريع]

يَا سَائِلِي لِمَا رَأَى حَالَتِي وَالطَّرْفُ مَنِّي لَيْسَ بِالْمَبْصَرِ
لَسْتُ أَحَاشِيكَ وَلَكِنِّي سَمَحْتُ بِالْعَيْنَيْنِ لِلْأَعْوَرِ

(رجع): الإغراء: ضد التحذير، السوام والسائمة بمعنى، وهو المال الراعي،
يقال: سامت الماشية تسوم سوماً أي رعت فهي سائمة. وجمع السائم والسائمة
سوائم. وأسمتها أنا: أخرجتها إلى الرعي. قال الله تعالى: ﴿فِيهِ شُيُمُونَ﴾ [النمل:
١٠]. النوم معروف وهو ضد اليقظة. يقال: نام ينام فهو نائم والجمع نيام وجمع
نائمة نوم على الأصل، ونيم على اللفظ، وسيأتي الكلام على تصريح ذلك في
الإعراب. (الإعراب) طردت: طرد فعل ماضٍ أدغمت الدال في التاء لقرب
المخرج، والتاء ضمير الفاعل. (سرح): مفعول به وتقدّم الكلام عليه، و(الكرى):
مجرور بالإضافة ولم يظهر الجرّ فيه لأنه مقصور، والإضافة هنا مقدّرة باللام التي
هي لشبه الملك. (عن ورد): عن حرف جر وورد مجرور به، وهو في موضع
نصب لأنه مفعول ثانٍ لطردت. وعن هنا للتجاوز وقد تقدّم الكلام على عن
وتقسيمها. (مقلته): مجرور بالإضافة وهي بمعنى باللام أيضاً، والهاء في موضع جر
بالإضافة وهي راجعة إلى ذي الذي تقدّم في قوله وذو شطاط. (والليل): الواو واو
الحال وهي التي للابتداء، والليل مرفوع على أنه مبتدأ. (أغرى): فعل ماضٍ سدّ

(١) ديوان المتنبي: ٣٦٦/٢؛ وفيه: «شاميةً طالما خلوتُ بها».

(٢) الشَّيْنُ: الْعَيْبُ.

مسدّ الخبر للمبتدأ، والفاعل فيه ضمير مستتر يرجع إلى الليل، والخبر إذا كان فعلاً وجب تأخيرُه لأنه لو تقدّم خرج عن باب المبتدأ والخبر إلى باب الفعل والفاعل، ومن المواطن التي يجب فيها تقديم المبتدأ وتأخير الخبر إذا كان المبتدأ يساوي الخبر في المعرفة والنكرة وليس هناك قرينة تدل على المحكوم عليه، ولا المحكوم به، كقولك: صديقي صديقك، وأفضل مني أفضل منك، فهنا استويا في المعرفة والنكرة، وليس ثم قرينة توضح المخبر به من المخبر عنه، وأحدهما يمتاز عن الآخر بالتقديم لأنه محكوم عليه فوجب حفظ المرتبة فقدم المبتدأ فأُي الجزأين قدّمت كان هو المبتدأ وهذا يطرد في باب الفاعل والمفعول إذا لم يكن ثم قرينة لا عقلية ولا لفظية، مثل: ضرب موسى عيسى فالمقدّم هو الفاعل لأنه تراعى له المرتبة وتحفظ في التقديم. (مسألة): قولهم: أبو يوسف أبو حنيفة هذا مبتدأ وخبر وقد استويا في التعريف ومع ذلك فلا تحفظ لهما المرتبة بل هما سواء، تأخر أحدهما أو تقدّم، لأن لنا قرينة عقلية تدل على أن أحدهما مخبر عنه والآخر مخبر به إذ الغرض تشبيه أبي يوسف بأبي حنيفة، وأبو يوسف محكوم عليه، وأبو حنيفة محكوم به عقلاً، فلا يضر التقديم والتأخير لفظاً. ومن هذا النوع قول الشاعر: [من المتقارب]

تُعَيِّرُنَا أَنَّنَا عَالَةٌ وَنَحْنُ صَعَالِيكَ أَنْتُمْ مَلُوكًا

هذا البيت سأل علي بن زيد الفصّيح أبي القاسم بن علي الحريري عن إعرابه فقال: تقديره تعيّرنا أننا عالة صعاليك ملوكاً. أنتم ونحن عالة: جمع عائل، صعاليك منصوب به، وملوكاً صفة لهم. وأبطل هذا الجواب علم الدين السخاوي^(١) وقال: الملوك لا تكون صفة للصعاليك، وفي تقديره صعاليك ملوكاً أنتم، ونحن لا معنى له، والصواب أن عالة من عالني الشيء بمعنى: أثقلني، أي تعيّرنا بأننا عالة ملوكاً في حالة التصعّك، فهو منصوب على الحال، ونحن أنتم: مبتدأ وخبره، أي نحن مثلكم.

ومن المواطن التي يجب فيها تقديم المبتدأ إذا كان الخبر محصوراً كقولك: إنما زيد شاعر وما عمرو إلا كاتب لمن يتوهم أن زيدا غير شاعر وعمراً غير كاتب، فهنا يجب حفظ المرتبة لهما، ومنها أن يكون الخبر مسنداً إلى مبتدأ مقرون بلام الابتداء، نحو لزيد قائم، ومنها أن يكون له صدر الكلام كقولك: من أبوك لأن الاستفهام له صدر الكلام. (سوام النوم): منصوب على أنه مفعول به، والنوم

(١) هو أبو الحسن، علي بن محمد بن عبد الصمد الهمداني، المصري، السخاوي، الشافعي: عالم بالقراءات والأصول واللغة والتفسير. أصله من «سخا» بمصر، وسكن دمشق، وتوفي فيها سنة ٦٤٣هـ / ١٢٤٥. (الأعلام: ٣٣٢/٤).

مضاف إليه، والإضافة هنا بمعنى اللّام التي هي أشبه الملك. (بالمقل): جار ومجرور موضعه النصب متعلق بأغرى، والباء هنا للتعدية، وقوله: والليل أغرى سوام النوم بالمقل في موضع النصب على الحال كأنه قال طردت الكرى عنه في حالة إغراء الليل سوام النوم بالمقل. (المعنى): منعه النوم بالمحادثة ونحن في ليل قد أقبل بالنوم على العيون وحبّبه إلى المقل واستعار الطرد للمنع كما استعار للكرى سرحاً إذ هو من متعلق السرح ولذلك أكدّه بالاستعارة الثانية لأنه أبدل السرح للنوم بالسوام وهما من باب واحد، وحسن الاستعارة هنا أن السرح السائم إذا ورد الماء كأنه يذهب بالشرب وإذا سام في النبات رعا، وأذهب ما فيه من العشب، وقد يكون فيه زهر يشبه العيون اليقظى فإذا ذهب بالرعي أشبه العين التي زال رونقها وغاب بياضها وسوادها بالنوم. وكذلك الماء المورد للّسرح يشبه العين اليقظى فإذا ذهب أشبه تغميضها، وقد ناكذ الطغرائي هذا الرفيق ومنعه نومه، فكان كما يقال لا ينام ولا يدع الناس ينامون. ولو كفاه شرّه لسرّه فإن الحلي لا يلزم بحال الشّجي، والوزير المغربي أنصف دونه إذ قال: [من الكامل]

لي كُلمّا ابتسمَ النَّهارُ تَعَلَّةً بِمُحَدِّثٍ مَا شَانَ قَلْبِي شَانُهُ^(١)
فإذا الدّجى وَافَى وأقبلَ جَنَحُهُ فَهَنَّاكَ يَدْرِي الهمَّ أين مَكَانُهُ^(٢)

وهو مأخوذ من قول مجنون بني عامر^(٣): [من الطويل]

أفْضي نَهاري بالحديثِ وبالمُنَى وَيَجْمَعُنِي والهمَّ بالليلِ جَامِعُ
نَهاري نَهَارُ الناسِ حتّى إذا بَدَا لي الليلُ هَزَّتْنِي إِلَيْكَ المَضَاجِعُ

ولمح المعنى فيه مُحَمَّد بن يَحْيَى بن حَزْم فقال: [من الطويل]

إذا طَلَعَتْ شَمْسٌ عَلَيَّ بِسَلْوَةٍ أَثَارَ الهَوَى بَيْنَ الضَّلْوَعِ غُرُوبَهَا

وقال المجنون أيضاً^(٤): [من الكامل]

وَشُغِلْتُ عَنْ فَهْمِ الحَدِيثِ سِوَى مَا كَانَ مِنْكَ وَحُبِّكُمْ شُغْلِي
وَأَدِيمُ نَحْوَ مُحَدِّثِي نَظْرِي أَنْ قَدْ فَهَمْتُ وَعِنْدَكُمْ عَقْلِي^(٥)

(١) التَّعَلَّةُ: ما يُتَلَهَّى به. شان الشيء: عابه.

(٢) جُنَحُ الليل: طائفة منه، أو ظلامه واختلاطه.

(٣) ديوان المجنون: ١٧٨.

(٤) ديوان المجنون: ٢١٦.

(٥) في الديوان: «وأديم نحو مُحَدِّثِي لِيَرَى».

ومن هنا أخذ أمين الدين جوبان قوله: [دوبيت]

لا أستمعُ الحديث عن غيركم من لذة فكري واشتغالي بكم
ألوي نظري كأنني أفهمه من قائله وخاطري عندكم
ولعمري إن هذه الاستعارات التي في كلام الطغرائي واقعة موقعها، وهي في
غاية الحسن. والاستعارة عند أرباب البيان، هي ادعاء معنى الحقيقة في الشيء
للمبالغة في التشبيه مع طرح ذكر المشبه من البيت لفظاً أو تقديرًا، ألا ترى أنه شبه
الليل وإرادة النوم على المقل بالراعي الذي يسوق الماشية إلى المرعى، وشبه منعه
النوم صاحبه وشغله عنه بالطرد، كالذي يطرد السرح عن ورود الماء. ولا شك أن
الاستعارة أبلغ من التشبيه وأوقع في النفس. وانظر إلى قوله تعالى: ﴿وَأَشْتَعَلَ الرَّأْسُ
شَيْبًا﴾ [مريم: ٤]. وإلى ما فيه من الطلاوة بخلاف ما إذا قيل: وشيب الرأس كالنار
يشتعل، فهو ادّعى أن حقيقة الاشتعال في الشيب دون النار ووجه المناسبة التي
حسنّت هذه الدعوى، أن الشيب لما كان بياضاً يأخذ في الشعر الأسود شيئاً فشيئاً
إلى أن يقوى ذلك ويشتدّ حتى يأتي على السواد جميعه فيذهب حسن ادعاء الحقيقة
هنا، كما أن النار تأخذ في الفحم شيئاً فشيئاً وتدب دبيب الشيب في الشعر حتى
تأتي على الفحم. ومن هنا عيب على القائل: [من الكامل]

والشيبُ ينهضُ في الشبابِ كأنه ليلٌ يصيحُ بجانبه نهارُ
فإن الصياح هنا لا مناسبة له ولا معنى. وقيل: إن بعضهم لمّا سمع قول أبي
تمام^(١): [من الكامل]

لا تسقني ماء الملام فإنني صبّ قد استعذبت ماء بكائي
جهّز له قدحاً وقال له: إبعث لي في هذا قليلاً من ماء الملام. فقال أبو تمام:
حتى تبعث لي ريشة من جناح الذل. وما ظلم من جهّز له القدح فإنه استعار قبيحاً
وليست استعارته كاستعارة جناح الذل في الآية، بل الاستعارة في الآية في غاية الحسن.
وما أحلى قول الحسن بن وهب^(٢): شربت الباردة على وجه الجوزاء فلما
انتبه الفجر نمت فما غفلت حتى لحقني قميص الشمس.

وما أحلى قول البدر الذهبي: [من مخلص البسيط]

مَا نَظَرْتُ مُقْلَتِي عَجِيباً كَاللَّوْزِ لَمَّا بَدَا نَوَارُهُ

(١) ديوان أبي تمام: ٨٦/١، والبيت من قصيدة يمدح بها محمد بن حسان الضبي.

(٢) هو أبو علي، الحسن بن وهب بن سعيد الحارثي: كاتب من الشعراء، كان معاصراً لأبي تمام، وله معه أخبار. توفي نحو ٢٥٠هـ/ نحو ٨٦٥م. (الأعلام: ٢/٢٢٦).

اشْتَعَلَ الرَّأْسُ مِنْهُ شَيْباً وَاخْضَرَّ مِنْ بَعْدِ ذَا عِذَارُهُ
سأل رجل عمرو بن قيس عن الحصاة يجدها الرجل في ثوبه أو في خفّه من
حصى المسجد، قال: إرم بها. فقال الرجل: زعموا أنها تصيح حتى تردّ إلى
المسجد. فقال: دعها تصيح حتى ينشف حلقها. فقال الرجل: سبحان الله أو لها
حلق. قال: فمن أين تصيح؟ ومثل هذا ما حكاه أشعب الطماع، قال: جاءت لي
جارية بدينار فقالت: أودعه لي عندك فقلت: ضعيه تحت المصلى، فلما راحت
وضعت إلى جانبه درهماً، فلما كان بعد جمعة جاءت تطلبه، وقالت: أين الدينار؟
قلت: محله، لكن انظري لعله ولد فإن كان ولد شيئاً فخذه. فنظرت إليه فقالت:
نعم هنا درهم. فقلت: ما دام هو تحت المصلى فهو يلد لك كل جمعة درهماً.
فأخذت الدرهم وتركت الدينار وانصرفت، وحضرت بعد جمعة وطلبت الدينار فلم
تجده، فسألت عنه، فقلت لها: مات في النفاس. فقالت: ويلى كيف يموت؟
فقلت: يا بطراء^(١) كيف تصدقين بولادته ولا تصدقين بموته في النفاس. وما أحسن
قول ابن خفاجة الأندلسي: [من الطويل]

وَقَدْ جَالَ مِنْ جَوْنِ الْغَمَامَةِ أَدْهَمٌ لَهُ الْبَرْقُ سَوَاطِئُ وَالشَّمَالُ عِنَانُ^(٢)
وَضَمَخَ دَرْعُ الشَّمْسِ نَحْرَ حَدِيقَةٍ عَلَيْهِ مِنَ الطَّلِّ السَّقِيطِ جُمَانُ^(٣)
وَنَمَّتْ بِأَسْرَارِ الرِّيَاضِ خَمِيلَةٌ لَهَا النُّورُ ثَغَرٌ وَالنَّسِيمُ لِسَانُ^(٤)

وقوله من أبيات: [من الكامل]

فِي خَضِرٍ عَوْرٍ بِالْأَرَاكِ مُوشَّحٍ أَوْ رَأْسٍ طَوْدٍ بِالْعَمَامِ مُعَمَّمٍ^(٥)
أَوْ نَحْرٍ نَهْرٍ بِالْحَبَابِ مُقْلَدٍ أَوْ وَجْهِ خَرَقٍ بِالضَّرِيبِ مُلْتَمِّمٍ

وقول محيي الدين بن قُرْنَص: [من الخفيف]

قَدْ أَتَيْنَا الرِّيَاضَ حِينَ تَجَلَّتْ وَتَحَلَّتْ مِنَ النَّدى بِجُمَانٍ
وَرَأَيْنَا خَوَاتِمَ الزَّهْرِ لَمَّا سَقَطَتْ مِنْ أَنْامِلِ الْأَغْصَانِ

ذكرت بعمامة الغمامة هنا قول القاضي الفاضل: ووصلنا حصن كوكب وهو

(١) البظراء: ذات البظر، وهو نتوء لحمي في فرجها.

(٢) جال: طاف ودار. الجون: الأسود. الأدهم: الشديد السواد. العنان: الزمام.

(٣) ضَمَخَ: طَلَعَ. الطَّلُ: المطر الخفيف.

(٤) نَمَّ بالسَّرِّ: أشاعه، وأذاعه.

(٥) الطَّوْدُ: الجبل العظيم.

نجم في سحاب، وعقاب في عقاب، وهامة لها الغمامة عمامة، وأنملة إذا خضبها الأصيل كان الهلال لها قُلامَة. قلت: ما أحسن هذا التخيّل، وألطف هذه الاستعارات، وقد عاب ضياء الدين بن الأثير هذا الفصل في المثل السائر، وأجبت عنه في كتابي المسمى «بنصرة الثائر، على المثل السائر». ويعجبني قول ابن خفاجة: [من الطويل]

أَلَا رَبُّ يَوْمَ حَثَّتِ الْكَأْسُ خَطْوَهُ فَطَارَ وَأَيَّامُ السُّرُورِ قِصَارُ
عَثَرْتُ بِذَيْلِ السُّكْرِ فِيهِ عَشِيَّةً وَلِلرَّيحِ فِي مَوْجِ الْخَلِيجِ غِبَارُ
وَقَدْ فَضَّضَ النَّوَّارُ كُلَّ رِبَاوَةٍ وَسَالَ عَلَيْهَا لِلْأَصِيلِ نُضَارُ

قلت: كل هذه الألفاظ في الأبيات فصيحة إلا قوله: رباوة، فإنه غير مستعمل، لأن في ربوة أربع لغات: تثليث الراء بالضم والفتح والكسر، والضم أفصحها، واللغة الرابعة رباوة، ولكنها غير مستعملة إلا فيما قل، ولغة القرآن أفصح، ولو قال: [من الطويل]

وَقَدْ فَضَّضْتُ جِيدَ الرَّوَابِي أَزَاهِرُ يَسِيلُ عَلَيْهَا لِلْأَصِيلِ نُضَارُ^(١)

لكان أعذب موقعاً في السمع من ذاك. وقول أبي نصر عبد العزيز بن نباتة السعدي: [من الطويل]

حَرَقْنَا بِأَطْرَافِ الْقَنَا لِظُّهُورِهِمْ عُيُونًا لَهَا وَقَعُ السُّيُوفِ حَوَاجِبُ
لَقَوْا نَبْلَنَا مُرْدَ الْعَوَارِضِ وَانْثَنُوا لِأَوْجُهُمْ مِنْهَا لِحَى وَشَوَارِبُ

وقول الشريف أبي الحسن علي العقيلي من أبيات: [من المتقارب]

وَفَرَّقَ تَيِّجَانِ نَوَارِهِ فَلَمْ يَنْسَ مِنْ غُصْنٍ مَفْرَقًا

وقوله أيضاً: [من الوافر]

إِذَا أَبْدَى مُؤَامِرَةَ التَّجْنِي أَقَمْتُ لَهُ وُجُوهَ الْإِحْتِمَالِ

وقوله أيضاً: [من السريع]

لَنَا أَخٌ يَحْسُنُ أَنْ يُحْسِنَا رِضَاهُ لِلْجَانَيْنِ عَذْبُ الْجَنَى^(٢)
قَدْ عَرَفْتَ رَوْضَةَ مَعْرُوفِهِ بِأَنَّهَا تَنْبِتُ زَهْرَ الْغِنَى
إِذَا تَبَدَّى وَجْهُ إِحْسَانِهِ تَنْزَهَتْ فِيهِ عُيُونُ الْمَنَى

(١) فَضَّضَ الشَّيْءُ: حَلَّاهُ بِالْفَضَّةِ، أَوْ طَلَّاهُ بِهَا. النُّضَارُ: الذَّهَبُ الْخَالِصُ.

(٢) الْجَنَى: مَا يُجْنَى مِنَ الثَّمَرِ.

وقوله أيضاً: [من الكامل]

حَلَّضْ بِجَاهِ الْوَصْلِ قَلْبَ مُتِمِّ

وقوله أيضاً: [من الخفيف]

كَلَّمَا لَاحَ وَجْهَهُ بِمَكَانٍ

وقوله أيضاً: [من المتقارب]

فَلَمَّا تَبَدَّى لَنَا وَجْهُهُ

وقوله أيضاً: [من المجتث]

الْغَرْبُ بِاللَّيْلِ مِسْكٌ

وَرَوْضَةُ الْجَامِ فِيهَا

فَاشْرَبَ عَلَى وَجْهِ أَرْضٍ

فَجِيءَ يَوْمُكَ فِيهِ

وقوله أيضاً: [من مجزوء الوافر]

إِلَى كَمْ ذَا تَرَدُّ الْغِي—

أَظَنَّ الْغِيثَ قَدْ تَمَّتْ

وقوله أيضاً: [من السريع]

قَدْ ضَاقَتْ الْحِيلَةُ بِي فِي رَشَا

مَا سِرْتُ بِالشَّكْوَى إِلَى سَمْعِهِ

وقوله أيضاً: [من الطويل]

وَأَوْحَشْتُ مِنْ رُؤْيَاكَ طَرْفِي فَلَمْ يَزَلْ

فَإِنْ كُنْتَ تَخْشَى مِنْ لِسَانِ بَكَائِهِ

وقول ابن الساعاتي: [من الطويل]

وَلَوْ لَا رُؤَاةٌ بَلْ وَشَاةٌ تَخَرَّصُوا

لثَمْنَا ثَغُورَ النُّورِ مِنْ شَنْبِ التَّدَى

عَمَزَ الصُّدُودَ عَلَيْهِ أَعْوَانَ الضَّنَى^(١)

كَثُرَتْ رَحْمَةُ الْعُيُونِ عَلَيْهِ

نَهَبْنَا مَحَاسِنَهُ بِالْعُيُونِ

وَالشَّرْقُ بِالْفَجْرِ نَدُّ^(٢)

مِنْ زَهْرَةِ الْإِرَاحِ وَرْدُ^(٣)

لَهُ مِنَ الْمَاءِ خَدُّ

مِنَ الْمَلَا حَةِ عَقْدُ

تَ لَا يَرُوي مِنَ الْعُذْرِ

عَلَيْهِ حِيلَةُ الْعَذْرِ

لَا يَقْبَلُ الرِّشْوَةَ مِنْ وَدِّ

قَطٍّ فَأَشْرَفْتُ عَلَى وَعْدِ

تُنْزُهُ فِي وَرْدِ وَجْنَتِكَ الْغَضِّ

فَمَا الرَّأْيُ إِلَّا أَنْ تُبْرِطَلَ بِالْعَمَضِ^(٤)

أَحَادِيثَ لَيْسَتْ فِي سَمَاعٍ وَلَا نَقْلِ^(٥)

خِلَالَ جَبِينِ النَّهْرِ فِي طُرْرِ الظِّلِّ

(٢) التَّدُّ: عودٌ طيب الرائحة يُتَبَخَّرُ به.

(٤) بَرَطَلَهُ: قَدَّمَ لَهُ رِشْوَةً.

(١) الضَّنَى: الْمَرَضُ.

(٣) الْجَامُ: إِنَاءٌ لِلطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، مِنْ فِضَّةٍ.

(٥) تَخَرَّصَ فُلَانٌ: تَكَذَّبَ بِالْبَاطِلِ.

وقول ابن النّبيه : [من الطويل]

تَبَسَّم ثَغْرُ الرُّوضِ عَنْ شَنْبِ الْقَطْرِ وَدَبَّ عِذَارُ الظِّلِّ فِي وَجْنَةِ النَّهْرِ^(١)
وقوله أيضاً : [من الكامل]

وَالنَّهْرُ خَدٌّ بِالشَّعَاعِ مُورِدٌ قَدْ دَبَّ فِيهِ عِذَارُ ظِلِّ الْبَانِ
وَالْمَاءُ فِي سُوقِ الْغُصُونِ خَلَاخِلٌ مِنْ فَضَّةٍ وَالزَّهْرُ كَالْتِيجَانِ
وقول محيي الدين بن قرناص : [من الوافر]

لَقَدْ عَقَدَ الرَّبِيعُ نِطَاقَ زَهْرٍ يَضُمُّ لِقَضْبِهِ خَصْرًا نَحِيلًا
وَدَبَّ مَعَ الْعِشِيِّ عِذَارُ ظِلٍّ عَلَى نَهْرٍ حَكَى خَدًّا أَسِيلًا^(٢)
وكلهم أخذوا الوجه والعذار من ابن خفاجة حيث قال : [من الطويل]

وَمَا الْأَنْسُ إِلَّا فِي مَجَاجِ زَجَاجَةٍ وَلَا الْعِيشُ إِلَّا فِي صَرِيرِ سَرِيرِ^(٣)
وَإِنِّي وَإِنْ جِئْتُ الْمَشِيبَ لَمُولِعٌ بِطَرَّةِ ظِلٍّ فَوْقَ وَجْهِ غَدِيرِ
وقول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت : [من البسيط]

وَلَيْلَةٌ بَتْ أُسْقَى فِي غِيَاهِبِهَا رَاحًا تَسْلُ شَبَابِي مِنْ يَدِ الْهَرَمِ^(٤)
مَا زِلْتُ أَشْرَبُهَا حَتَّى نَظَرْتُ إِلَى غَزَالَةِ الصَّبْحِ تَرَعَى نَرْجَسَ الظُّلَمِ^(٥)
وقول ابن قلاقس : [من الوافر]

جَرْتُ خَيْلَ النِّسِيمِ عَلَى الْغَدِيرِ وَرَدَّتْ تَحْتَ قَسْطَالِ الْعَبِيرِ^(٦)
وَوَغَابَ الصَّبْحُ فِي كَفِّ الثَّرِيَا وَكَانَ بِرَاحَةِ الْقَمَرِ الْمُنِيرِ
وما أحسن قول أمين الدين جوبان : [من الكامل]

أَصْغِي إِلَى قَوْلِ الْعَذُولِ بِجَمْلَتِي مُسْتَفْهِمًا مِنْهُ بِغَيْرِ مَلَالِ^(٧)
لِتَلْقُطِي زَهْرَاتٍ وَرَدِّ حَدِيثِكُمْ مِنْ بَيْنِ شَوْكِ مَلَامَةِ الْعَدَالِ
ويعجبني قول القائل وإن كان مشهوراً : [من الوافر]

مَجَرَّةُ جَدُولٍ وَسَمَاءُ آسٍ وَأَنْجَمُ نَرْجَسٍ وَشُمُوسُ وَرَدٍ
وَرَعْدُ مِثَالٍ وَسَحَابُ كَأْسٍ وَبَرْقُ مَدَامَةٍ وَضَبَابُ نَدٍّ

(١) الشَّنبُ: جمالُ الثَّغْرِ وصفاءُ الأسنان.

(٢) الأَسِيلُ: الأملس الناعم.

(٣) يريد: شرب الخمر، ومعاشرة النساء.

(٤) الغياهب: الظلمات. تَسْلُ: تنزع.

(٥) غَزَالَةُ الصَّبْحِ: الشمس.

(٦) القَسْطَالُ: الغبار.

(٧) بِجَمْلَتِي: بِكَلِمَتِي.

وقول ابن الساعاتي: [من البسيط]

وَكَمْ رَكِبْتُ بِهِيْمَ اللَّيْلِ فِي غَرَضٍ
وَوُرْدَةِ الْفَجْرِ فِي خَدِّيْ مَطَالَعِهِ

وقول ابن قلاقس: [من الطويل]

سَرَى وَجْبَيْنِ الْجَوِّ بِالْطَّلِّ يَرْشَحُ
وَفِي طَيِّ أِبْرَادِ النَّسِيمِ خَمِيلَةٌ
تُضَاحِكُ فِي مَسَرَى الْمَعَاطِفِ عَارِضًا
وَيُؤِيرِي بِهِ كَفَّ الصَّبَا زَنْدَ بَارِقٍ

وقال ابن رشيق^(١): [من السريع]

بَاكَرَ إِلَى اللَّذَاتِ وَارَكَبَ لَهَا
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَرَشَفَ شَمْسُ الضُّحَى

وقال ابن سناء الملك: [من الكامل]

قَدْ كَانَ لِي مِنْدِيلُ كَمْ سَابَغَ
فَاعْتَضْتُ مِنْهُ بِخَدِّ مَنْ أَحْبَبْتَهُ

وقال بعض المغاربة: [من السريع]

زَارَ وَقَدْ شَمَّرَ فَضَلَ الْإِزَارَ
وَرَوْضَةَ الْأَنْجَمِ قَدْ صَوَّحَتْ

قرأت على الشيخ الإمام الأديب الكاتب أبي الثناء محمود قصيدة له منها: [من

مجزوء الكامل]

يَا رَاكِبَ الْوَجْنَاءِ يَجْـ

مَذَّبَ فِي السَّرَى ذَيْلَ الذَّمِيلِ^(٦)

(١) ديوان ابن رشيق: ٥٨.

(٢) النجائب: جمع النجبية، المذكر: النجيب: الفاضل على مثله، النفيس من نوعه، ويقال: نجائب الإبل: خيارها، ونجائب الأشياء: لبابها وخالصها.

المراح: اسم للمرح، وهو شدة الفرح والنشاط، وهو أيضاً: العُجْبُ والاختيال.

(٣) الأقاح: جمع الأفتحوان: نبت زهره أصفر أو أبيض، ورقه مُؤَلَّلٌ كأَسنان المنشار. والغوادي: السُّحْبُ الصباحية.

(٤) السَّابِغُ: التَّامُّ.

(٥) صَوَّحَتْ: يَسْتُ حَتَّى تَشَقَّقَتْ.

(٦) الوجناء: الناقة الشديدة، أو العظيمة الوجنتين. الذميل: سيرٌ سريعٌ لَيِّنٌ.

يَخْتَالُ فِي حَبْرِ الشُّرُو قِ ضَحَىٰ وَفِي حُبِّكَ الْأَصِيلِ^(١)
وَيَحُومُ مِنْ نَهْرِ الْمَجْدِ رَّةً كَالنَّجُومِ عَلَى مَسِيلِ

وقرأت عليه من أخرى له: [من الخفيف]

أَيُّهَا السَّائِرُ الَّذِي فِي الْمِرَامِي بَاكَرَ السَّيْرِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا
يَكْحُلُ الْمُقْلَتَيْنِ مِنْ إِثْمِ اللَّيْلِ لِي فَيَفْنِي الْقِفَارَ مِيلًا فَمِيلًا

وقرأت عليه من أخرى له: [من البسيط]

أَعِدْ حَدِيثَ الْحَمَى فَالْرُكْبُ فِي طَرْبِ وَقُصَّ أَنْبَاءُ مَنْ بِالْجَزْعِ مِنْ عَرَبِ
كَرَّرْ حَدِيثَ الثَّنَايَا فَهُوَ أَعَذِبُ لِي عَلَى الظُّمَاءِ مِنْ رُضَابِ الْخُرْدِ الْعُرْبِ^(٢)
إِذَا الْكَرَى ذَرَّ فِي أَجْفَانِنَا سِنَّةً مِنَ النَّعَاسِ نَفْضَانَهَا مِنَ الْهُدْبِ^(٣)

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة: [من الطويل]

وَلَمَّا جَنَى طَرْفِي رِيَاضَ جَمَالِكُمْ جَعَلْتُمْ سُهَادِي فِي عُقُوبَةٍ مِنْ جَنَى
أَحْبَابِنَا إِنْ عَفْتُمْ السَّفْحَ مَنْزِلًا وَأَخْلَيْتُمْ مِنْ جَانِبِ الْجَزْعِ مَوْطِنًا^(٤)
فَقَدْ حَزَنْتُمْ دَمْعِي عَقِيقًا وَمُهْجَتِي غَضَىٰ وَسَلَكْتُمْ مِنْ ضُلُوعِي مُنْحَىٰ

وأنشدني أيضاً من لفظه لنفسه: [من الطويل]

وَقَدْ رَوْتُ عَنْ لَيْنِهِ وَاعْتِدَالِهِ صَحَاحُ الْعَوَالِي مُسْنَدًا بَعْدَ مُسْنَدِ^(٥)
إِذَا قَعَدْتُ أَرْدَافَهُ قَامَ عِطْفُهُ فَيَا طَوْلَ شَجْوِي مِنْ مُقِيمٍ وَمُقَعَدٍ

وأنشدني أيضاً من لفظه لنفسه: [من الطويل]

لَحَى اللَّهُ قَلْبًا كُلَّمَا جَرَّ طَرْفُهُ إِلَى الْحُسْنِ أَلْقَى عُرْوَةَ الْمَتَمَاسِكِ
تَأَبَّطَ شَرًّا مَنْ أَدَّى الْوَجْدَ وَأَثْنَى كَثِيرَ الْهَوَى شَتَى النَّوَى وَالْمَسَالِكِ

وأنشدني أيضاً من لفظه لنفسه: [من الكامل]

هَذِي الْحَمَائِمُ فِي مَنَابِرِ أَيْكِهَآ تَمْلِي الْغَنَاءَ وَالطَّلَّ يَكْتَبُ فِي الْوَرَقِ^(٦)

(١) الْحَبْرُ: جمع الحَبْرَةِ: ثوب من قطن أو كتان مُخَطَّط. الْحُبُّك: جمع محبوبكة (من الأثواب والأقمشة)؛ يقال: حَبَكِ الثوب: أجاد نسجه.

(٢) الثَّنَايَا: أسنان الفم الأمامية. الرُّضَاب: الريق المرشوف. الْخُرْدُ: جمع الخريدة: الفتاة الْبَكْر (العذراء).

(٣) ذَرَّ الشَّيْءَ: نَشَرَهُ وَفَرَّقَهُ. نَفَضَ الشَّيْءَ: حَرَّكَه لِيُزُولَ عَنْهُ مَا عَلِقَ بِهِ.

(٤) الْجَزْعُ: منعطف الوادي. (٥) العوالي: الرماح.

(٦) أَمْلَى عَلَيْهِ الْكِتَابَ: قَالَ لَهُ فَكُتِبَ عَنْهُ. الطَّلُّ: النَّدى، أو المطر الخفيف.

وَالْقُضْبُ تَخْفُضُ لِلْسَّلَامِ رُؤُوسَهَا وَالزَّهْرُ يَرْفَعُ زَائِرِيهِ عَلَى الْحَدَقِ

وهذا أحسن من قول مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت: [من الكامل]
إِنِّي لِأَشْهَدُ لِلْحَمَى بِفَضِيلَةٍ مَنْ أَجْلَهَا أَصْبَحْتُ مِنْ عُشَّاقِهِ
مَا زَارَهُ أَيَّامَ نَرْجَسِهِ فَتَّى إِلَّا وَأَجْلَسَهُ عَلَى أَحْدَاقِهِ
وقلت أنا من مقامة: [من الطويل]

وَمَا حَسَدْتُ نَفْسِي سِوَى نَفْسِ الصَّبَا وَلَا سَيِّمًا يَوْمَ قَطْعِنَاهُ بِالْحَمَى
فَكَمْ ضَمَّ عَطْفًا لِلْغُصُونِ مُرْتَحًا وَعَانَقَ قَدًّا لِلْقَضِيبِ مَقُومًا
وَقَبَّلَ خَدَّ الْوَرْدِ وَهُوَ مُضَرَّجٌ وَثَغَرَ الْأَقَاحِي فِي الرُّبَى إِذْ تَبَسَّمَا
وَكَمْ بَاتَ يَسْتَجْلِي عِذَارَ بَنَفْسَجٍ سَقَتَهُ الْغَوَادِي صَوْبَهَا فَتَنَمْنَمَا^(١)

وقلت أيضاً: [من الخفيف]

قُلْتُ إِذْ قِيلَ لِي تَسَلَّ فَهَذَا صُدَّغَهُ قَدْ دَجَا وَكَانَ يَنْيِرُ
هِيَ مَرَاةُ خَدِّهِ غَابَ مِنْهَا فِي غِلَافِ الْعِذَارِ شَيْءٌ يَسِيرُ

وقلت أيضاً: [من السريع]

لِقَدِّهَا إِذْ يَنْثَنِي صَوْلَةٌ مَعْرُوفَةٌ مَا بَيْنَ عُشَّاقِهَا^(٢)
قَدْ قَطَعْتَ ظَهَرَ غُصُونِ الرُّبَى وَجَرَّتِ الْوُرُقُ بِأَطْوَاقِهَا

وقلت أيضاً: [من الوافر]

وَحَقِّكَ لَوْ حَكَهَا غُصْنُ بَانٍ لَقَطَّعْتُ الْخَفَافَ عَلَى قَذَالِهِ^(٣)
وَلَمْ يَفْتَحْ لِعَيْنِ الزَّهْرِ جَفْنًا لِيَنْظُرَ فِي الْغَدِيرِ إِلَى خَيَالِهِ

وقلت أيضاً وإن كان فيه طول: [من السريع]

بِي غَادَةٌ لَمْ تَرْضَ بَذَرَ الدُّجَى يَبِيتُ فِي خِدْمَتِهَا يَسْرِي
إِذَا رَنَتْ أَقْسَمَ مِنْ خَوْفِهَا هَارُوتُ لَا عَادَ إِلَى السَّحْرِ^(٤)
وَفَرَقَهَا الْوَضَاحُ يَنْفِي الدُّجَى وَيَسْلُخُ اللَّيْلَ إِلَى الْفَجْرِ

(١) الغوادي: السُّحُبُ الصباحية. الصَّوْبُ: المطر.

(٢) الصَّوْلَةُ: السَّطْوَةُ فِي الْحَرْبِ وَنَحْوَهَا.

(٣) الْقَذَالُ: جَمَاعٌ مَوْخِرُ الرَّأْسِ.

(٤) رَنَتْ: أَدَامَتِ النَّظَرَ مَعَ سُكُونِ طَرَفٍ.

والبرقُ لَمَّا ابتسَمَتْ كَمُ غَدَا وَقَلْبُهُ يَخْفُقُ بِالذَّعْرِ
والظبي لَمَّا أَلْفَتَتْ جِيذَهَا هَجَّ عَلَى الْوَجْهِ إِلَى الْقَفْرِ^(١)
فَلَوْ تَثَنَّتْ قَطَّعَتْ خُفَّهَا عَلَى قَذَالِ الْغُصْنِ النَّضْرِ
وَأَدْخَلَتْهُ فِي حِزَامِ النَّقَا وَمَا اسْتَحْتِ مِنْ شَيْبَةِ الزَّهْرِ

وما أطرب لشيء كطربي لاستعارات القاضي الفاضل رحمه الله في مثل قوله:
وتلك الجبهة وإن كانت عربية فإنها مستودع الأنوار، وكنز دينار الشمس، ومصّب
أنهار النهار. وقوله: ونصبر حتى تنجلي هذه الغمرة، وحتى تجفّ مناديل الجفون،
فإنها كانت بالدموع عصرة. وقوله أيضاً من قصيدة مطوّلة: [من الوافر]

قَدْ اسْتَحْدَمْتُ بِالْأَفْكَارِ سَرِي وَمَا أَطْلَقْتُ لِي بِالْوَصْلِ أَجْرَهُ
وَلَمْ أَرَهُ عَلَى الْأَيَّامِ إِلَّا عَقَدْتُ مُحَبَّةً وَحَلَلْتُ صُرَّةً
وَلَا اسْتَمَطَرْتُ سُحْبَ الْعَيْنِ إِلَّا بَقِيتُ بِأَدْمَعِي فِي الشَّمْسِ عَصْرَهُ

وقوله: في ليلة جمد خمرها، وخمد جمرها، إلى يوم تودّ البصلة لو ازدادت
قميصاً إلى قمصها، والشمس لو جرّت النار إلى قرصها، وقوله: وأنتم يا بني أيوب
لو ملكتم الدهر لامتطيتم ليلاليه أداهم، وقلّدتهم أيامه صوارم، وأفنيتم شמושهم وأقماره
في لهبات دنائير ودراهم، وأيامكم أعراس وما تمّ فيها على الأموال مآتم، والوجود
في أيديكم خاتم ونفس حاتم في نقش ذلك الخاتم.

ونقلت من خط مجير الدين عبد الله بن عبد الظاهر، وما أحسن ما قال
القاضي الفاضل رحمه الله: وأما الجاحظ فما منّا معاشر الكتاب إلا من دخل من
كتبه الحارة، وشنّ الغارة، وخرج وعلى الكتف منها كارة، ولا يقول المملوك في
فوائد المولى تاج الدين ذلك، بل يقول ما منّا إلا من أدخله داره، وساهمه بداره
وأبداره، وأجلسه معه في الدارة، وأخلى له سريره وخلا سراره، ونزل من عنده
وبين يديه من فوائده الكواكب السيّارة، بل يقول: ما منّا إلا من استعار منه فأعاره،
واستكساه فحسن له الشارة، واستجناه فأجناه ثماره، وتركه وكل معنى مبتكر له،
كصاحب الجبّ وكل ذي استفادة منا يلتقطه كبعض السيارة.

قلت: كان ينبغي له أن يقدّم القول الثاني على الأوّل. وقول القاضي الفاضل:
وحالي في التفرّس إلى هذه الغاية، الأرض من ذوات المحارم ما وطئتها برجلي،
وطرقها ضاحية ما كسوتها ظلي، وقوله: وإن رأى المجلس أن يكون الجواب في

(١) القفّر: الأرض الخالية، لا ماء فيها ولا أنيس.

ظهر الكتاب، فجزء كل مفتخر أن يدفع في ظهره. وقوله أيضاً: واللّه يمنّ بطلوع نجمه نهائراً، وبقدوم وجهه الذي تسرّ أساريه أسراراً، فينعم بكتابه فإن الكتاب للقاء رديف، وفيه نجدة للصبر على الشوق والشوق قويّ والصبر ضعيف، وقوله: وإنما لسانه يبرز الإبريز، ولي لسان حجبته القلب فهو في الدهليز، وقوله: وعلى المتوفى ديون جلييلة والدين عشرة الصراط، والقبر على المطلوب سمّ الخياط، وقوله: وكيفما كتبت يد سيدنا نثرت الدرّ الثمين، واستدعت سطوره مصافحة شفاه اللائمين، وقوله: فإن الهمّ موت، والوهم صريخ ما له صوت، وقوله أيضاً: فلا أقرأ له كتاباً إلا كنت سابحاً في بحر كلّ درر، وقاطفاً من روض كلّ ثمر، وظللت منه بنهار كلّ غرر، وبتّ بليل كلّ سحر، مستمتعاً بحديث كلّ سمر، وارداً منه مورداً كلّ صفا على رغم أنف زمان كلّ كدر. وقوله: فطرقنا كلّها أسواق، والبراري عليها من المهابة أغلاق، وأيدي الولاة لأعتاق المفسدين أطواق، وقوله أيضاً: وما يوثر المملوك أن يفتح باب شكواه لدهره، ولا يعزّيه عن المصاب الذي لا يطيعه اللسان في ذكره، ولا أن يدلّ المولى على الأمر الجامع بين ترويح سره وتحصيل أجره، ولا أن يشير إلى أنّ الحي غريب في طريق عمره إلى أن يحصل في دار قبره، وقوله أيضاً: وأنا على دفع الأيام وهي تدفعني، ولباس الليالي وهي تخلعني، وعتاب الدهر ولكن ما أظنه يسمعني، وقوله فيما أظن: [من مجزوء الرمل]

نزلتي باللّه زولي وانزلي غير لهاتي^(١)
وانركي خلقي بحقي فهو دهليز حياتي

وقوله في ممسحة القلم: [من مجزوء الرجز]

ممسحة نهارها يجنّ ليل الظلم^(٢)
كأنّهم مذخلقّت منديل كم القلم

وقول نور الدين علي بن سعيد المغربي فيها: [من الطويل]

وممسحة لاحت كأفق تبدّت به قطع الظلماء والصبح طالع
ولما أطال الليل فيها وروده حكته وسدّت للصباح المطالع

وأنشدني لنفسه إجازة المولى ناصر الدين شافع بن عبد الظاهر: [من الوافر]
وممسحة تناهى الحسن فيها فأضحّت في الملاحة لا تبارى

(١) اللّهاء: اللحمة المشرفة على الحلق، أو الهنة المطبقة في أقصى سقف الفم.

(٢) يجنّ: يخفي، يستر.

فَلَا تَنْكَرُ عَلَى الْقَلَمِ الْمَوَافِي إِذَا فِي وَصْلِهَا خَلَعَ الْعِذَارَا
وَالرَّكْبُ مِيلٌ عَلَى الْأَكْوَارِ مِنْ طَرِبٍ صَاحٍ وَآخِرَ مِنْ خَمْرِ الْكَرَى ثَمَلٍ
(اللغة). الركب: تقدّم الكلام عليه. ميل: جمع أميل وهو الذي لا يستوي
على السرج. قال جرير^(١): [من البسيط]

لَمْ يَزْكَبُوا الْخَيْلَ إِلَّا بَعْدَ أَنْ هَرَمُوا فَهُمْ ثَقَالٌ عَلَى أَكْتافِهَا مِيلٌ
الأكوار: جمع كور وهو القتب. الطرب: خفة تلحق الإنسان لشدة حزن أو
سرور. تقول: طرب يطرب فهو طَرِبٌ. قال الشاعر: [من الرمل]

وَتَرَانِي طَرِباً فِي إِثْرِهِمْ طَرَبَ الْوَالِهَ أَوْ كَالْمُخْتَبِلِ^(٢)

فطرب اسم فاعل وهو هنا يحتمل أن يكون من الفرح وأن يكون من الحزن
ولكنه إلى الحزن أقرب لأنه في بيت الطغرائي جاء في سياق شدة السهر. صاح:
صحا يصحو من سكره فهو صاح إذا زال ما كان يجده من النشوة. خمر: قال ابن
الأعرابي: إنما سميت الخمرة خمرة لأنها تركت فاختمرت واختمارها تغير ريحها،
وقيل: لمخامرتها العقل أي تغطيتها. الكرى: تقدّم تفسيره. ثمل: تقول ثمل الرجل
بالكسر ثملاً إذا أخذ الشراب منه فهو ثمل أي نشوان. (الإعراب): والركب: الواو
للابتداء والركب مرفوع على أنه مبتدأ. (ميل): مرفوع على أنه خبر المبتدأ وهو
جمع أميل، كما تقول أبيض وبيض وكان أصله ميل بضم الميم كما تقول أحمر
وحمر، ولكنهم استثقلوا الضمة قبل حرف العلة وهو الياء، فقلّبوا الضمة إلى جنس
ما بعدها فكانت كسرة، كما في بيع وقيل وكما في ميزان وميعاد فالأصل ضم أوائل
هذه الأربعة ولكنهم فعلوا بها ما ذكرته لك. (على الأكوار): جار ومجرور متعلق
بميل. (من طرب): جار ومجرور، وطرب بكسر الراء اسم فاعل هنا وليس هو
مصدراً ففتح الراء لأنه لو كان مصدراً لفسد المعنى وكان الجار والمجرور مفعولاً
من أجله، وكان قوله وآخر من خمر الكرى معطوفاً على غير شيء، ولم يتعلق بما
يربطه، وهذا الجار والمجرور في موضع الحال، وإذا كان الجار والمجرور حالاً فلا
بُدَّ له من التعلق بمحذوف هو العامل فيه وتقديره هنا والركب ما يكون منقسمين.
(صاح): مجرور على أنه صفة لطرب تبعه في إفراده وتذكيره وتنكيره وجزّه.
(وآخر): الواو عاطفة عطفت آخر على طرب ولم ينجر لأنه غير منصرف فعلامة
الجرّ فيه فتحة وإنما قلنا إنه غير منصرف لأن فيه علتين فرعيتين من العلل التسع

(١) ديوان جرير: ٣٧٣.

(٢) الواله: الحائر، الزاهب العقل من عشق ونحوه. المختبل: الفاسد العقل.

وهما: العدل والصفة، والعدل فيه تحقيق لأن آخر من باب أفعل التفضيل، وهذا الباب شرطه أن لا يستعمل إلا مضافاً أو بالألف واللام أو بمن ولهذا لحنوا أبا نواس في قوله^(١): [من البسيط]

كَأَنَّ صُغْرَى وَكُبْرَى مِنْ فَوَاقِعِهَا حَصْبَاءُ دَرٍّ عَلَى أَرْضٍ مِنَ الذَّهَبِ^(٢)

لأنه استعمل أفعل التفضيل بغير شرطه. وأجاب ابن أبي الحديد راداً هذا القول على ابن الأثير في المثل السائر بأن قال: لا ينكر أن كثيراً من أئمة العربية طعن في هذا البيت ولكن انتصر له كثير منهم فقالوا: وجدنا فعلى أفعل في غير موضع واردة بغير لام ولا إضافة ولا من. مثل دنيا في قول الراجز: في سعي دنيا طالما قد مدّت. وقول الآخر: وإن دعوت إلى جلّي ومكرمة. وقول الآخر: لا تبخلنّ بدنيا وهي مقبلة. وقالوا: طوبى لك. وفي البيت وجه آخر، وهو أن تكون من في قوله من فواقها زائدة على مذهب أبي الحسن في زيادة من في الواجب فإنه يذهب إلى ذلك ويحتج بقوله تعالى: فيها من برد أي فيها برد. وهذا يرجح أن يكون كبرى وصغرى في البيت مضافتين وقد وقع الاتفاق على جوازه.

قلت: قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس: هذا عجيب من مثل هذا الرجل الفاضل، أما إirاده دنيا وأخواتها، فكل وجوها مذكورة في كتب النحاة بما يغني عن الإطالة بذكره بخلاف صغرى وكبرى. وأما قوله بزيادة من فكأنه يظنّ أن من إذا كانت زائدة كان الجر بالإضافة، أو كانت الإضافة باقية، وهذا لا وجه له وإنما الجر بحرف الجر لأن حروف الجر لا تعلق. وأما زيادة حرف الجر بين المضاف والمضاف إليه فلم يقل به إلا في مثل لا أبا لك على شذوذ وليس هذا منه، ولا يريد الأخفش بقوله: إن من تزداد في الواجب ما أراد ابن أبي الحديد.

قلت: قال النحاة: وربما استعملوا هذه الصفات استعمال الأسماء فحذفوا الألف واللام نحو قولهم دنيا لأنها وإن كانت صفة فقد غلبت وصارت بمنزلة الأسماء غير الصفات. ومثله جلّي وأنشدوا الأبيات التي أنشدها ابن أبي الحديد. وأما من قرأ: وقولوا للناس حسنى بغير تنوين، ومن أنشد: ولا يُجزون من حسنى يسوأي فليستا بتأنيث أحسن وأسوأ بل هما مصدران كالرجعى والبشرى، وقد اختلفت النحاة في الصرف ما هو فقال قوم: التنوين وحده، وقال آخرون: الجر والتنوين، واختار الأول جمال الدين محمد بن مالك، والدليل على أنه أقوى من أربعة أوجه. الأول: أنه

(١) ديوان أبي نواس: ٧٢.

(٢) الحصباء: الحصى.

مطابق لاشتقاق اسم الصرف فإنه مأخوذ من صريف ناب الإبل، والبكرة، والقلم، وهو الصوت الذي يسمع من هذه الأشياء، قال الشاعر: [من البسيط]

له صَرِيفٌ صَرِيفُ الْقَعْوِ بِالْمَسَدِ^(١)

يعني البكرة. الثاني: أن الاسم الذي لا ينصرف يدخله الجر مع الألف واللام والإضافة مع وجود مانع الصرف فيه. الثالث: أن الشاعر إذا اضطر إلى التنوين في المرفوع والمنصوب نَوَّن. ويقال: اضطر إلى ذلك ولا جر. الرابع: أنه إذا اضطر إلى التنوين في الجر جرَّ ونَوَّن، ولو كان الجر من الصرف لفتح ونَوَّن، وإنما كان باب ما لا ينصرف ممنوعاً من الجر والتنوين قياساً على الفعل إذ لا جرَّ فيه ولا تنوين لكون الفعل فرعاً على الاسم على الصحيح، والعلل المانعة من الصرف كلها تتفرع على ما سواها، فإذا دخلت على الاسم ألحقته بالفرعية وخلصته من الاسمية، إلّا بقية، فلهذا أعرب إعراب الفعل ومنع ما منع منه الفعل، فإذا أضيف أو دخلته الألف واللام أو من قويت الاسمية فيه وتمحّض فيها فدخل فيه الجرّ. وإنما قلت: إن العلل المانعة من الصرف فروع لأن العدل فرع على المعدول عنه، سواء كان تقديرية أو تحقيقية، والصفة فرع على الموصوف، والتأنيث فرع على التذكير، والمعرفة فرع على النكرة، والعجمة فرع على العربية، والجمع فرع على المفرد، والنون والألف الزائدتان فرعان على ما زيدتا عليه، ووزن الفعل فرع على وزن الاسم، فإذا حصل في الاسم عِلَّتَان من هذه شابه الفعل في الفرعية فأعطى ما أعطى ومنع ما منع، وإنما تبع التنوين الجر لأنه لو جرّ بغير تنوين لالتبس بالمضاف إلى النفس. وبالجمله، ففي باب ما لا ينصرف مباحث دقيقة استوفيتها في التعليقة على الحاجبية من أوّل الباب إلى آخره. (رجع) من خمر الكرى: جار ومجرور ومضاف إليه، ولم تظهر الكسرة في المضاف لأنه مقصور والإضافة بمعنى اللام التي للملك مجازاً والجار والمجرور متعلق بـثمل، ومن هنا لبيان الجنس. (ثمل): مجرور على أنه صفة لآخر البيت ومجموعه في موضع النصب على الحال كأنه قال: طردت سرح الكرى عن ورد مقلته، في حالة إغراء النوم بالمقل، وفي حالة ميل الركب على ظهور مطيهم.

(المعنى): نادمته وحادثته والرفاق قد مالوا على مطاياهم فهم ما بين صاح من النوم وما بين ثمل من الكرى، وهذا دليل على أنهم كانوا في أخريات الليل. وفي ذلك الوقت يكون بعضهم قد صحا من النوم، والآخر في نشوته يميل يميناً ويسرة.

(١) الصَّرِيفُ: الصوت. القَعْو: البكرة. الْمَسَدُ: حبلٌ من ليف، أو كلّ حبلٍ محكم الفتل.

قال ابن صَرْدَر^(١): [من المتقارب]

قَلْتُ وَهُمْ مِنْ نَشَوَاتِ الْكَرَى مَوَائِدُ كَالسُّجَّادِ الرُّكْعِ^(٢)
حُتُّوا مَطَايَاكُمْ فَكَمْ غَايَةٍ قَدْ فَنَيْتُ بِالْأَيْنِقِ الطُّلْعِ^(٣)

وقال بديع الزمان الهمذاني: [من الطويل]

لَكَ اللَّهُ مِنْ لَيْلٍ أَجُوبُ جُيُوبُهُ كَأَنِّي فِي أَجْفَانِ عَيْنِ الرَّدَى كُحْلُ
كَأَنَّ الدُّجَى نَقَعُ فِي الْجَوِّ حَوْمَةً كَوَاكِبُهَا جَنْدُ طَوَائِرِهَا رَسْلُ^(٤)
كَأَنَّ مَطَايَا سَمَاءٍ كَأَنَّا نُجُومٌ عَلَى أَقْتَابِهَا بُرْجُهَا الرَّحْلُ^(٥)
كَأَنَّ السَّرَى سَاقٍ كَأَنَّ الْكَرَى طِلًّا كَأَنَّا لَهَا شَرِبٌ كَأَنَّ الْمُنَى نَقْلُ^(٦)

أنشدني إجازة الشيخ الإمام الأديب الكاتب القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود قال: أنشدني لنفسه الشيخ الإمام مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر المعروف بابن الظهيري الإربلي الحنفي من أبيات: [من الطويل]

أَمَّا وَالْمَطَايَا فِي الْأَزْمَةِ تَمْرُحُ وَقَدْ شَفَّهَا طَوْلُ السَّرَى فَهِيَ رُزْخُ^(٧)
قِسِيَّ عَلَيْهَا كَالسَّهَامِ سَوَاهِمُ الْـ وَجُوهُهَا كَمَا أَمْسُوا عَلَى السَّوْقِ أَصْبَحُوا^(٨)
يَمِيلُ بِهِمْ سُكْرُ السَّهَادِ كَأَنَّمَا عَلَى كُلِّ كُورٍ غُصْنٌ بَانَ مُرْنَجُ^(٩)

وقرأت على القاضي أبي الثناء محمود قوله من قصيدة طويلة: [من الطويل]

كَأَنَّ غُصُونًا فِي الرَّمَالِ يَمِيلُهَا سُحِيرًا عَلَى الْأَنْضَاءِ مَرَّ صَبَاهَا^(١٠)
نَشَاوَى عَلَى الْأَكْوَارِ مِنْ حَمْرَةِ السَّرَى وَكَاسُ الْكَرَى قَدْ أَلْوِيَا بِطُلَاهَا

(١) هو أبو منصور، علي بن الحسن بن علي بن الفضل البغدادي: شاعر مجيد، من الكتّاب. توفي سنة ٤٦٥هـ/ ١٠٧٣م. (الأعلام: ٤/ ٢٧٢).

(٢) النشوة: الارتياح للأمر والنشاط له، أو أول السكر.

(٣) حُتُّوا: حُضُّوا. المطايا: جمع المطية: الدابة التي تمتطي: تُركب. الأينق: الثوق، الواحدة: ناقة.

(٤) التَّقْعُ: الغبار.

(٥) الأقتاب: جمع القتب: الرّحل الصغير على قَدَرِ السنام.

(٦) الطلا: الخمر. الثَّقْلُ: ما يُؤْكَلُ مع الشراب من فاكهة ونحوها.

(٧) شَفَّهَا: أنحلها وأهزلها. رُزْخٌ: من رزحت الإبل: سقطت إعياء أو هزالاً.

(٨) سواههم: من سَهِمَ الوجه: تَغَيَّرَ من لُفْحِ شَمْسٍ وغبار ونحو ذلك.

(٩) الكور: الرّحل. مُرْنَجٌ: متمايل.

(١٠) سحيراً: آخر الليل. الأنضاء: جمع النضو: المهزول من الحيوان.

وقرأت عليه أيضاً قوله: [من الخفيف]

لَا تَرُدُّهَا عَلَى جَوَاهَا وَدَعُّهَا الْآ
إِنَّ بَيْنَ الضَّلُوعِ مِنْهَا إِلَى الرِّيِّ
ضُمَّرَ كَالْقِيسِيِّ تَرَعَى بِشَعْبٍ
بَلْبَلَتْهُمْ كَأْسُ السَّرَى فَتَثْنُوا
ن تَهْوِي بَيْنَ الْوَهَادِ هَوِيًّا^(١)
بَعَيْنِ الزَّرْقَاءِ دَاءً دَوِيًّا^(٢)
فَوْقَهَا كَالسَّهَامِ مَرْمَى قَصِيًّا^(٣)
نَشْوَةً مَا سُقُوا بِهَا الْبَابِلِيًّا^(٤)

وقرأت عليه أيضاً قوله: [من البسيط]

كَرَّرَ حَدِيثَ الثَّنَايَا فَهُوَ أَعَذَبُ لِي
فَقَدْ سَرَتْ نَفْحَةٌ أَنْشَأَتْ نَسْمَتَهَا
عَلَى الظُّمَاءِ مِنْ رُضَابِ الْخُرْدِ الْعُرْبِ^(٥)
فِينَا فَمَلْنَا عَلَى الْأَكْوَارِ مِنْ طَرَبِ

وقرأت عليه أيضاً: [من الطويل]

بَرَانَا الْهَوَى حَتَّى تَوَهَّمَنَا الَّذِي
كَأَنَّا عَلَى الْأَكْوَارِ أَفْنَانُ دَوْحَةٍ
يَرَانَا خِيَالاً فِي الدُّجَى قَدْ سَرَى وَهْنًا^(٦)
يُمِيلُهَا مَرُّ الصَّبَا غُصْنًا غُصْنًا^(٧)

وقال ابن قلاؤس: [من الكامل]

وَلَرُبَّ خَرْقٍ جُبْتَهُ بِضَوَامِرٍ
خُوصٍ كَأَمْثَالِ السَّهَامِ نَحَافَةً
فِي فَتِيَةٍ بِيضِ الْوَجْهِ حَدِيثُهُمْ
عَبَثَ الْكَرَى بِرُؤُوسِهِمْ فَأَمَالَهَا
لُحِقَ الْأَيَاطِلِ قَادَهَا الْإِقْدَامُ^(٨)
فَإِذَا سَمَا خُطْبٌ فَهِنَّ سَهَامُ^(٩)
وَاللَّيْلُ دَاجٌ صَبْوَةٌ وَغَرَامُ^(١٠)
فَكَأَنَّهُمْ سَكْرَى وَلَيْسَ مُدَامُ^(١١)

(١) تهوي: تسقط. الوهاد: المنخفضات.

(٢) داءٌ دويٌّ: باطن، خفي.

(٣) ضُمَّرَ: جمع ضامر: هزيل، نحيل. القَصِيُّ: البعيد.

(٤) بلبلتهم: وسوستهم. البابليُّ: الخمر المصنوعة في بابل.

(٥) الثنايا: أسنان الفم الأمامية. الرضاب: الريق المرشوف، الخُرْد: جمع الخريدة: الفتاة البكر (العذراء). العُرْبُ: جمع العروب: المرأة المتحبة إلى زوجها.

(٦) برانا: أنحلنا. الوهنُ: أول الليل، أو طائفة منه.

(٧) الأفنان: الغصون، الواحد: فتن. الدوحة: الشجرة العظيمة.

(٨) الخَرْقُ: الأرض الواسعة تنخرق فيها الرياح. الضوامر: النوق النحيلة الهزيلة. لُحِقَ الأيَاطِلُ: لحق الفرس لحوقاً: ضم. الأيَاطِلُ: الخصور.

(٩) الخُوصُ: من خُوصٍ خوصاً: غارت عينه، أو من خوصت الشاة: اسودَّت إحدى عينيها وابيضت الأخرى. ويقال: خاوص فلان: غَضَّ بصره شيئاً، وهو في ذلك يحدِّق النظر كأنه يُقَوِّمُ سَهْمًا.

(١٠) داج: شديد الظلام.

(١١) المُدَامُ: الخمر.

وقال أيضاً: [من الوافر]

طَرَحْنَا الْعَجَزَ عَنْ أَعْجَازِ عِيسٍ نُوشِّحُهَا عَلَى الْحَزْمِ الْحَزَامَا
وَنَدْفَعُ بِالسَّرَى مِنْهَا قِسِيًّا فَتَقْذِفُ بِالتَّوَى مِنْهَا سِيَهَامَا

وقال ابن خفاجة: [من الطويل]

وَقَدِّمًا بَرَّتْ مِنْهَا قِسِيًّا يَدِ السَّرَى وَفَوْقَ مِنْهَا فَوْقَهَا الْمَجْدُ أُسْهَمَا^(١)

وقال ابن الساعاتي: [من الكامل]

وَلَكَمْ رَمَيْتُ حَشَا الْفَلَاحِ بِأَسْهَمٍ بَعَثْتُ حَنَايَا أَيْنَقٍ وَرَكَائِبٍ
مِنْ كُلِّ مُنْتَصِبٍ وَآخِرِ سَاجِدٍ وَسِنًا كَمَا اخْتَلَفَتْ أَنْامِلُ حَاسِبٍ^(٢)

قلت: هذا التشبيه في غاية الحسن، لأن أنامل الحاسب واحدة ترتفع وأخرى تنخفض، وكذا الركب في وقت السرى إذا غلب عليهم النعاس. ترى هذا قد هوى بعدما ارتفع، وهذا قد انتصب بعدما هوى، وقال الشريف الرضي: [من الكامل]

هُنَّ الْقِسِيُّ مِنَ التَّحُولِ فَإِنْ سَمَا طَلَبَ فَهِنَّ مِنَ النَّجَاءِ الْأَسْهَمِ^(٣)

قال الثعالبي: هذا ما أراه سبق إليه لأنه جمع بين القسي والأسهم. ويعجبني

قول ابن حمديس الصقلي: [من الطويل]

قِلَاصٌ حَنَاهِنَّ الْهَزَالُ كَأَنَّهَا حَنِيَّاتٌ نَبُعُ فِي أَكْفٍ جَوَادِبِ^(٤)
إِذَا أوردتْ مِنْ زَرْقَةِ الْمَاءِ أَعِينًا وَقَعْنَ عَلَى أَرْجَائِهَا كَالْحَوَاجِبِ

أخذه الآخر فقال: [من الطويل]

وَقَفَّرَ شَكَا فِيهِ جَوَادِي مِنَ الظُّمَا وَلَمْ أَلَقَ فِيهِ مَنَهْلًا غَيْرَ نَاضِبِ^(٥)
كَأَنَّ الْفِيَّافِي أَقْسَمْتُ لَا تَدُلُّهُ عَلَى عَيْنِ مَاءٍ أَوْ تَرَى مِثْلَ حَاجِبِ^(٦)

وقال التهامي: [من الكامل]

وَعِصَابَةٌ مَالِ الْكَرَى بِرُؤُوسِهِمْ مَيْلَ الصَّبَا بِذَوَائِبِ الْأَغْصَانِ^(٧)

(١) فَوْقَ السَّهْمِ: عمل له فَوْقًا، وهو من السهم حيث يثبت الوتر.

(٢) الْوَسِينُ: الذي غلبه النعاس.

(٣) سَمَا الشَّيْءُ: علا وارتفع. النجاء: السَّرعَة.

(٤) الْقِلَاصُ: جمع القلوص: الناقة الفتية. الحنية: القوس. النبع: ضرب من الشجر، ينبت في أعالي الجبال، تُتخذ منه القسيّ والسهام.

(٥) المنهل: المشرب. الناضب: الذي نضب ماؤه: جفّ أو غار.

(٦) الفيافي: الفلوات. (٧) الصَّبَا: ريح باردة ناعمة تهبّ من الشرق.

قلت: ما أحلى قوله عصابة ورؤوس وذوائب، تكاد ترقص بهذا المعنى الألفاظ والسطور، وتحلّى بدرره الترائب^(١) من الغواني والنحور، وما أعلم مثله في بديع صناعته غير قول أبي الطيب^(٢): [من الطويل]

على سَابِح مَوْجِ المَنَايا بِنَحْرِهِ عَدَاة كَأَنَّ النِّبْلَ فِي صَدْرِهِ وَبُلُ^(٣)
فإنه ناسب فيه بين السابح والموج والوبل، ثم إن سابحاً هنا مثل قول التهامي: وعصابة في أن كلاً من اللفظين يخدم في معنيين، أما عصابة فأحد معنيها في البيت: الرفقة مع قطع النظر عن بقية البيت، وإذا لمح الرؤوس والذوائب كان معناها الثاني: ما يشدّ به الرأس، وكذلك سابح أحد معنييه: الفرس، والثاني: اسم فاعل من سبح. ولقد تعجبت من هذين البيتين وحسنهما وإتقان البديع فيهما وهما اللذان أمتنا أن يعززا بثالث، لا ما ادعاه الحريري فيما رواه عن الحارث، والبيتان اللذان للحريري هما قوله: [من السريع]

سَمِ سِمَةً تُحْمَدُ آثَارُهَا وَاشْكُرْ لِمَنْ أَعْطَى وَلَوْ سِمَسِمَةً
وَالْمَكْرُ مَهُمَا اسْطَغَتْ لَا تَأْتِيهِ لِتَقْتَنِي السَّوْدَدَ وَالْمَكْرُمَةَ

ولقد رأيت عدّة مقاطيع قد نظمها الشعراء في هذا النمط لما ادعى الحريري هذه الدعوى فيهما، ومن أحسن ما علق بذهني من تلك المقاطيع قول القائل: [من السريع]

مَلَامَةُ الْوَقْعَاءِ يَوْمَ الْوَعَى أَحْسَنُ مِنْ حَرٍّ أَتَى مُلْئِمَهُ
فَمُهُ إِذَا اسْتَجْدِيتَ عَنْ قَوْلٍ لَا فَالْحَرُّ لَا يَمَلَأُ مِنْهَا فَمَهُ

وقول الآخر: [من السريع]

وَالْمِسْ لِمَهْوَى الضَّيْفِ جَزَلُ الْقَرَى وَاصْفَحْ عَنِ الْمُسْلِمِ وَالْمُسْلِمَةِ^(٤)
وَالْمَهْرُ مَهُمَا اسْطَغَتْ لَا تُغْلِيهِ فَإِنَّهُ مَهُمَا عَلَا مَهْرَمَهُ

وللصاغاني مجلدة في معارضة البيتين رواها الشيخ شرف الدين الدميّاطي عنه. (رجع): وفي بيت الطغرائي من البديع الجمع مع التقسيم لأنه جمعهم في ميل على الأكوار ثم قسمهم فقال: منهم من مال من التعب، ومنهم من مال من النعاس. ومن أمثلة هذا النوع قول أبي الطيب^(٥): [من البسيط]

حَتَّى أَقَامَ عَلَى أَرْبَاضٍ خَرُشْنَةٍ تَشْقَى بِهِ الرُّومُ وَالصُّلْبَانُ وَالْبَيْعُ^(٦)

(١) الترائب: موضع القلادة من الصدر. (٢) ديوان المتنبّي: ١/ ١٦٠.

(٣) السابح: الجواد. الوبل: المطر الشديد.

(٤) الْجَزَلُ: الكثير. القرى: ما يُقدَّم للضيف من طعام وشراب.

(٥) ديوان المتنبّي: ٢/ ٧٠. (٦) الأرباض: الأسوار. خرشنة: بلدة في بلاد الروم.

لِلْسَبِي مَا نَكَحُوا وَالْقَتْلِ مَا وَلَدُوا وَالنَّهْبِ مَا جَمَعُوا وَالنَّارِ مَا زَرَعُوا
وأحسن من هذا قوله عليه السلام: ليس لك من مالك إلا ما أكلت فأفנית، أو لبست
فأبليت، أو تصدّقت فأمضيت، وقيل: فأبقيت. ووقف أعرابي على حلقة الحسن
رضي الله عنه فقال: رحم الله من تصدّق من فضل، أو واسبى من كفاف، أو أثر من
قوت. فقال الحسن: ما ترك الرجل منكم أحداً حتى عمّه بالمسألة. ومن المجون
قول من قال: [من الخفيف]

وَبَدِيعِ الْجَمَالِ مُعْتَدِلُ الْقَا مِةً كَالْغُصْنِ حَنَّ قَلْبِي إِلَيْهِ
أَشْتَهِي أَنْ يَكُونَ عِنْدِي وَفِي بَيْتِي وَبَعْضِي فِيهِ وَكُلِّي عَلَيْهِ^(١)
وقرأت على القاضي شهاب الدين أبي الشناء محمود رحمه الله قوله في كتابه:
«حسن التوسل»: [من المتقارب]

وَإِنِّي لَفِي نَظْرِي نَحْوَهَا وَقَدْ وَدَّعْتَنِي فُبَيْلِ الْفِرَاقِ
وَلَا صَبْرَ لِي فَأَطِيقُ النَّوَى وَلَا طَمَعٌ إِنْ نَأَتْ فِي اللَّحَاقِ
وَلَا أَمَلٌ يُرْتَجَى فِي الرَّجْوِ وَلَا حُكْمٌ فِي رَدِّ تِلْكَ النِّيَاقِ
كَمْضُنِّي يُوَدِّعُ رَوْحاً غَدَتْ يَرَاهَا عَلَى رُغْمِهِ فِي السِّيَاقِ^(٢)
وقال أبو تمام في الإفشين لما أحرق^(٣): [من الكامل]

نَارٌ يُسَاوِرُ جِسْمَهُ مِنْ حَرِّهَا لَهَبٌ كَمَا عَصَفَرَتْ شَقٌّ إِزَارِ^(٤)
طَارَتْ لَهُ شَعْلٌ يُهْدِمُ لَفْحُهَا أَرْكَانَهُ هَدْمًا بِغَيْرِ غُبَارِ^(٥)
فَصَلَنَ مِنْهُ كُلَّ مَجْمَعٍ مَفْصِلِ وَفَعَلَنَ فَاقِرَةً بِكُلِّ فَقَارِ^(٦)
صَلَّى لَهَا حَيًّا وَكَانَ وَقُودَهَا مَيِّتًا وَيَدْخُلُهَا مَعَ الْفَجَارِ
وَكَذَاكَ أَهْلُ النَّارِ فِي الدُّنْيَا هُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ جُلُّ أَهْلِ النَّارِ^(٧)

(١) يصرح باشتهائه للمحبوب، ورغبته في الاتصال الجسدي به.

(٢) المضمي: المريض. السباق: الاحتضار، النزاع.

(٣) ديوان أبي تمام: ٣٣٩/١.

(٤) في الديوان: «ناراً يساور»: عطف بيان على قبلها في البيت السابق. يساور: يواكب. عصفت: صبغت بالعصفر.

(٥) لفحها: إهراقها. بغير غبار: أي من غير أن يثير تهديمها غباراً.

(٦) الفاقة: الداهية تكسر الفقار، وهي خرزات الظهر.

(٧) أهل النار في الدنيا: المجوس، لأنهم يعبدونها. جُلُّهم: أكثرهم.

الشاهد في قوله صلّى لها: البيت. قلت: هذا الإفشين كان أيام الخليفة المعتصم قائد الجيوش وله صولة عظيمة عند المعتصم، ثم إنه شق العصا وخرج عليه وعلى الإسلام، وكان موصوفاً بالنجدة والشجاعة والرأي والخبرة. ولمّا قبض عليه وعلى مازيار وموبدان السغد، أحضروا بين يدي الوزير ابن الزيات، وأحضر رجلاً عرياناً، فإذا جنوبهما عارية من اللحم، وكان اسم الإفشين خيذر، والإفشين لقب لكل من ملك أشروسنة. فقال له الوزير: يا خيذر أتعرف هذين؟ قال: نعم هذا مؤذن وهذا إمام مسجد بنياه بأشروسنة، ضربت كلّاً منهما ألف سوط لأنه كان بيني وبين ملوك السغد عهد أن أترك كل قوم على دينهم، وكنا قد وثبنا على بيت أصنام فأخرجناها منه وعملاه مسجداً. فقال له الوزير: فما الكتاب الذي عندك قد زخرفته ورصّعته بالجواهر وجعلته في الديباج وفيه الكفر بالله؟ قال: هذا كتاب ورثته عن آبائي فيه آداب وحكم من نمط «كليلة ودمنة»، أخذ منه الآداب وأدع ما سواه. فقال للموبدان: ما تقول في هذا؟ قال: هذا يأكل المخنوقة ويأمرني بها ويقول: لحمها أرطب من المذبوحة، وقال: إني قد دخلت لهؤلاء القوم في كل ما أكره حتى أكلت الزيت، وركبت الجمل، ولبست النعل، غير أنني إلى هذا العام لم يسقط عني شعر يعني عانته. ثم إن الموبدان بعد هذا أسلم على يد المتوكل، ثم قال له الموبدان: يا إفشين، كيف يكتب إليك أهل مملكتك؟ قال: كما كانوا يكتبون إلى أبي وجدي ما تفسیره بالعربية إلى إله الآلهة من عبده. قال ابن الزيات: ما أبقيت لفرعون؟ قال: خفت أن يفسدوا عليّ بتغيير ما عهدوه. وقُدّم مازيار فقالوا للإفشين: هل كاتبت هذا؟ قال: لا. قال مازيار: كتب إليّ أخوه على لسانه: إنه لم يكن ينصر هذا الدين الأبيض غيري وغيرك وغير بابك، فأما بابك فقد قتل نفسه بحمقه، فإن خالفت لم يكن للخليفة من يقوم بحربك غيري، ومعني الفرسان وأهل النجدة، فإن وجهت إليك لم يبق أحد يحاربنا إلّا ثلاثة: العرب، والمغاربة، والأتراك. أما العرب، فكالكلب، اطرح له كسرة ثم اضربه بالدبوس. وأما المغاربة الذئاب، فإنهم أكلة رؤوس غنم. وأما الأتراك فإنما هي ساعة حتى تنفذ سهامهم، ثم تجول عليهم جولة فتأتي على آخرهم، ويعود الدين إلى ما لم يزل عليه أيام العجم. فقال الإفشين: هذا يدعي على أخي، ولو كنت كتبت إليه لم أنكره لأنني إذا نصرت أمير المؤمنين بيدي كنت أنصره بالحيلة أخرى لأخذ برقبة هذا. فزجره ابن أبي دؤاد وقال: أمختون أنت؟ قال: لا. قال: ما منعك؟ قال: خفت التلف. قال: أتلتقى الحروب وتخاف من قطع قلفتك؟^(١) قال: تلك ضرورة أتصبر عليها وأما

(١) القلفة: الجلد التي يقطعها الخائن من ذكر الصبي.

الْقُلْفَةُ فَلَا، وَلَا أَخْرَجَ بِهَا مِنَ الْإِسْلَامِ. فَقَالَ الْقَاضِي: قَدْ بَانَ لَكُمْ أَمْرُهُ، فَرُدَّ إِلَى الْحَبْسِ وَمَنَعَ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ، إِلَى أَنْ مَاتَ، وَصَلَبَ وَأُحْرِقَ بِالنَّارِ. وَهَذَا اللَّعِينُ أَخْزَاهُ اللَّهُ تَعَالَى أَخَذَ بَغْتَةً بَغِيرَ تَعَبٍ، وَيَلِيقُ بِهِ أَنْ يَدْخُلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرٍ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمِ الْمَسْكِينِ وَكُنَّا نَحُوسُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نَكْذِبُ يَوْمَ الَّذِينَ﴾ [المدثر: ٤٢-٤٦]. بَلْ هُوَ أَشَدَّ حَالَةً مِنْ أَصْحَابِ سَقَرٍ فَإِنَّهُ ضَرَبَ مِنْ عَمَرٍ مَسْجُوداً وَأَذَنَ وَصَلَّى أَلْفَ سَوْطٍ، وَشَقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ وَغَدَرَ بِمَنْ وَثِقَ بِهِ وَخَانَ الْعُيُودَ وَالْأَيَّامَ، وَنَكَثَ بِمَنْ خَوَّلَهُ النِّعَمَ وَحَكَّمَهُ عَلَى الْبِلَادِ وَالْجِيُوشِ، وَأَرَادَ إِطْفَاءَ نُورِ الْإِسْلَامِ، وَإِظْهَارَ عِبَادَةِ النَّارِ، وَخَوَطَبَ بِالْأُلُوهِيَةِ: [مَنْ الرِّجْزُ]

الرُّودِرَ أَوْ زِيٍّ لَمْ تُلْوَمْهُ وَمَا أَتَى فِي فِعْلِهِ بِبَدْعِهِ هَلْ نَاكَ إِلَّا أَمَّهُ فِي دُبْرِهَا فِي الظَّهْرِ مِنْ رَمَضَانَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَوْ اتَّفَقَ لِهَذَا النَّازِمُ أَنْ يَذْكَرَ أَنَّ وَقُوعَ الْفِعْلِ كَانَ فِي مَكَّةَ شَرَفَهَا اللَّهُ تَعَالَى، لَمَا كَانَ فَاتَ ذَلِكَ شَيْءٌ مِنَ الْخِزْيِ.

قِيلَ: إِنْ بَعْضُهُمْ كَانَ وَاقِفًا بِعَرَفَةَ، فَرَأَى إِنْسَانًا يَتَضَرَّعُ وَيَتَنَحَّبُ وَيُبَالِغُ فِي الدُّعَاءِ وَيَقُولُ بِتَحَرُّقٍ وَتَوَجُّعٍ: اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي. فَقَالَ لَهُ: يَا أَخِي إِنْ اللَّهُ تَعَالَى قَدْ مَنَّ عَلَى عِبَادِهِ فِي هَذَا الْيَوْمِ وَغَفَرَ لِأَهْلِ عَرَفَةَ. فَقَالَ: يَا أَخِي دَعْنِي فَإِنَّ ذَنْبِي عَظِيمٌ. فَقَالَ لَهُ: هَلْ قَتَلْتَ أَحَدًا وَالِدِيكَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: هَلْ وَطِئْتَ أَحَدًا مِنْ مُحَارِمِكَ؟ قَالَ: لَا. قَالَ: فَهَلْ كَفَرْتَ؟ قَالَ: لَا. هَلْ دَلَلْتَ عَلَى سِرِيَةٍ مِنْ سَرَايَا الْمُسْلِمِينَ؟ قَالَ: لَا. وَأَخَذَ يَعْدِدُ عَلَيْهِ كِبَائِرَ الذُّنُوبِ وَهُوَ يَقُولُ: لَا. قَالَ: فَمَا الَّذِي أَتَيْتَ؟ قَالَ: نَكْتُ خَنْزِيرَةً. قَالَ: الْأَمْرُ سَهْلٌ، إِنْ اللَّهُ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، وَلَكِنْ أَخْبَرَنِي كَيْفَ وَقَفْتَ لَكَ حَتَّى فَعَلْتَ؟ قَالَ: كَانَتْ مَيِّتَةً. قَالَ: فَكَيْفَ قَامَ عَلَيْكَ؟ قَالَ: مَصَبَّتْ لِسَانَهَا. فَقَالَ: لَا غَفَرَ اللَّهُ لَكَ وَلَا تَجَاوِزَ عَنْكَ يَا أَنْحَسَ الْعَالَمِ.

وَهَذَا الْإِفْشِينُ كَانَ الْمَعْتَصِمُ قَدْ جَهَّزَهُ لِمُحَارَبَةِ بَابِكِ الْخُرْمِيِّ لِأَنَّهُ أَخَافَ الْإِسْلَامَ، وَتَغَلَّبَ عَلَى أَذْرَبِيْجَانَ، وَأَرَادَ إِظْهَارَ مَلَّةِ الْمَجُوسِ، وَظَهَرَ فِي أَيَّامِهِ مَازِيَارَ الْمَذْكُورِ الْقَائِمَ بِمَلَّةِ الْمَجُوسِ بِطَبْرِسْتَانَ، فَعَظُمَ شَأْنُهُ، وَكَانَ الْمَعْتَصِمُ قَدْ بَعَثَ إِلَيْهِ فِي أَوَّلِ سَنَةِ اثْنَتَيْنِ وَعَشْرِينَ وَمِائَتَيْنِ الْقَوَادِ قَائِدًا بَعْدَ قَائِدٍ، وَفِي كُلِّ ذَلِكَ يَهْزِمُ بَابِكِ الْجِيُوشَ وَيَقْتُلُ الْأَبْطَالَ حَتَّى بَعَثَ إِلَيْهِ بِالْإِفْشِينِ، وَأَطْلَقَ يَدَهُ فِي الْوَلَايَاتِ، وَعَقَدَ لَهُ لُؤَاءَ عَلَى أَرْمِينِيَّةٍ وَمَا فَتَحَهُ مِنَ الْبِلَادِ، فَاخْتَارَ الْإِفْشِينُ مِنَ الْجُنْدِ مَا أَرَادَ وَلَمْ يَزَلْ يَدْبِرُ عَلَى بَابِكِ الْحِيلَةَ وَيَطَاوِلُهُ، حَتَّى أَمَكَّنَتْهُ الْفُرْصَةُ فَهَرَبَ بَابِكُ وَأَخَذَ أَخُوهُ وَقَرَابَتَهُ، وَكَانَ بَابِكُ قَدْ اخْتَفَى بَعْدَ هُرُوبِهِ فِي غِيْضَةٍ ثُمَّ خَرَجَ مِنْهَا، فَالتَقَى بِسَهْلِ الْبَطْرِيْقِ فُخْبَاهُ عِنْدَهُ، وَبَعَثَ إِلَى الْإِفْشِينِ يَخْبِرُهُ فَجَاءَ أَصْحَابُهُ إِلَيْهِ وَأَحَدُ قَوَادِهِ وَأَخَذُوهُ. وَكَانَ

المعتصم قد جعل لمن أحضره حيّاً ألفي ألف درهم ولمن أحضره ميتاً ألف ألف درهم. فأمر لسهل بألفي ألف درهم وحطّ عنه خراج عشرين سنة. ولمّا أحضر ليلاً ما أمكن المعتصم الصبر إلى باكر النهار فاختم في لباس غريب وتوجّه إليه حتى أبصره، وكان من شدّة تطلّعه إلى أخباره قد رتبّ البريد في منازل قريبة حتى كانت تأتية الأخبار من مسيرة شهر ونصف في يوم ونصف، ثم إن المعتصم أمر سنة ثلاث بقتل بابك وأخيه وإحراقهما، فأركبوا بابك فيلاً مخضوباً بالحناء، وألبسوه قباء ديباج وقلنسوة سمور، مثل الشربوش وطافوا به، ثم قطعت أربعته، ثم رأسه. ولما قطعت يده ذلك بدمها وجهه، فقيل له: لأي شيء فعلت هذا؟ قال: حتى لا ترّوا وجهي مصفراً إذا نزع دمّي فيظنّ أنّي خفت من الموت. فقال المعتصم: لولا أن جنايته لا توجب الصنيعة لكان أهلاً للاستبقاء. وقال له أخوه: يا بابك فعلت ما لم يفعله أحد، فاصبر صبراً لم يصبره أحد. فقال: سوف ترى، وفعل ما فعل بهما ثم أحرقا فلم يتأوها قط.

قيل: إنه قتل مائة وخمسين ألفاً.

قلت: رحم الله المعتصم، فلقد كان ذا عزم ومروءة وعصية لهذا الدين القيم؛ بلغه وهو في مجلس شرابه أن امرأة هاشمية عند بعض نصارى عمورية وأن نصرانياً من البطارقة لطمها على وجهها. فقالت: وامعتصماه. فقال النصراني: ما يجيء إليك إلّا على الأبلق، فيقال: إنه ختم الكأس التي كانت في يده وأقسم لا يشربها حتى يفك الهاشمية من الأسر، ونادى في عسكره أن يجتهدوا في ركوب الخيل البلق. فيقال: إنه توجه إلى عمورية في سبعين ألف أبلق ولم يزل بجده واجتهاده حتى فتح عمورية وتطلب تلك الهاشمية بعينها، فلما حضرت قال لها: لبيك لبيك، وطلب تلك الكأس المختومة وشربها، وصار ركوب الأبلق مثلاً. وما أحسن قول كمال الدين بن النبيه في زجل يمدح به الأشرف موسى من جملته:

هَاتِ يَا سَاقِي الحَمِيَّ	إِنَّ نَجْمَ اللَّيْلِ غَرَبَ ^(١)
مَنْ يَكُونُ البَدْرُ سَاقِيهِ	كَيْفَ لَا يَشْرَبُ وَيَطْرُبُ
أَنْتَ وَالْأَوْتَارُ وَالْكَأْسُ	لِلْهَمِّ دَوَا مَجْرَبُ
لَا تَخَافِ الصَّبْحَ يَهْجُمُ	دَغْ يَجِي وَيَرْكَبُ أْبْلَقُ ^(٢)

(١) الحُمَيَّا: الحَمُرُ.

(٢) الأبلق: الفرس فيه سواد وبياض.

ونقلت أنا هذا إلى العذار فقلت من جملة زَجَل :

يا فؤادي لا تحوّل عن هوى ذا الطّبيّ الأحرور
 إيّاك أن يطغيك لائم قال كنك بو تعذر
 مناترى كافور خدو وعليه الخال عنبر
 لا تخف صولة عذارو دع يجي ويركب أبلق
 فقلت أدعوك للجلى لتنصّرني وأنت تخذلني في الحادث الجلل

(اللغة): دعوت فلاناً إذا صحت به . الجلى : الأمر العظيم وجمعها جلل مثل كبرى وكبر ، قال جرير^(١) : [من البسيط]

وإن دعوت إلى جلى ومكرمة يوماً كراماً من الأقسام فاذعينا
 النصر: ضد الخذلان في الحروب وغيرها وهي الإعانة على ما أهم . وفي الحديث: أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً ، وسيأتي الكلام على ذلك . خذلته أخذه خذلاناً: إذا تركت عونه ونصرتّه . الحادث الجلل : الواقع العظيم من الدهر . قال الشاعر : [من الكامل]

ولئن عفوت لأعفون جلاً ولئن سطوت لموهن عظمي
 والجلل أيضاً: الهين فهو من الأضداد . قال امرؤ القيس لما قتل أبوه: ألا كل شيء ما سواه جلل . والمراد به هنا في كلام الطغرائي: الواقع العظيم . ومن الأضداد غابر للذهاب والآتي ، والجون للأبيض والأسود ، والبين للبعيد والقريب ، والصريم لليل والنهار ، والناصع للأبيض والأسود ، والأمم للعظيم واليسير ، والناهل للريان والظمان ، ووراء بمعنى قدام وخلف ، وبعث الشيء إذا بعته من غيرك وبعته اشتريته ، وشعبت الشيء أصلحته وشققته ، والصارخ للمستغيث والمغيث ، والهاجد للمصلي بالليل والنائم ، والوهدة للارتفاع والانحدار ، والتعزيز للإكرام والإهانة ، والتقريط للمدح والذم ، وترب للغني والفقير ، والإهماد للسرعة في السير والإقامة ، والخناديد للخصيان والفحول ، وعسّس إذا أقبل وإذا أدبر ، والقرء للحيض والطهر ، ومذهب الشافعي أنه للطهر فقط . روي ذلك عن ابن عمر وزيد وعائشة والفقهاء السبعة ومالك وربيعه وأحمد رضي الله عنهم ، وقال عليّ وعمر وابن مسعود وأبو حنيفة والثوري والأوزاعي وابن أبي ليلى وابن شبرمة وإسحاق رضي الله عنهم أنه الحيض . وثمرة معرفة هذا الخلاف أن مدة العدة عند الشافعي رضي الله عنه ومن

(١) لم يرد البيت في ديوان جرير (دار صادر).

تابعه أقصر، وعند الباقي أطول، حتى لو طَلَّقها في حال الطهر حسبت بقية الطهر قرءاً، وإن حاضت عقبه في الحال. فإذا شرعت في الحيضة الثالثة انقضت عدَّتْها وإن طَلَّقها في حال الحيض. فإذا شرعت في الحيضة الرابعة انقضت عدَّتْها، وعند أبي حنيفة ومن تابعه ما لم تطهر من الحيضة الثالثة. ومن الحيضة الرابعة إن كان الطلاق في حال الحيض لا يحكم بانقضاء عدَّتْها، ثم إن قالت طهرت لأكثر الحيض، تنقضي عدَّتْها قبل الغسل وإن طهرت لأقل الحيض لم تنقض عدَّتْها حتى تغتسل أو تتيمم عند عدم الماء أو يمضي عليها وقت الصلاة.

ومن حجج الشافعي على مذهبه أن الطلاق في زمن الحيض منهي عنه فوجب أن يكون زمان العدة غير زمان الحيض. وقول عائشة رضي الله عنها: أتدرون ما الأقراء؟ الأقراء الأطهار، ولأن الأصل أن لا يكون لأحد على أحد منع من التصرفات، فإذا جاء أمر بخلاف الأصل كان الزمن الأقل أولى من الأطول، والإطهار أقل، فالقول بأن القرء هو الطهر أولى.

ومن حجج أبي حنيفة على مذهبه قوله ﷺ: «دعي الصلاة أيام أقرائك». وقوله ﷺ: «طلاق الأمة تطليقتان»، وعدَّتْها حيضتان، وأجمعوا على أن عدة الأمة نصف عدة الحرّة فوجب أن الحرّة تعتدّ بالحيضيات، والإجماع على أن استبراء الرحم في الجوّاري المشتريات بالحيضة، فكذلك العدة للحرّة لأن شرع العدة لاستبراء الرحم. وأهل اللغة مختلفون في القرء ما هو. قال أبو عبيدة: قيل هو من الأضداد، وقيل: إنّه حقيقة فيهما كالشفق: اسم للحمرة والبياض، وقال قوم: هو حقيقة في الحيض مجاز في الطهر، وقال آخرون بالعكس، وقال آخرون هو موضوع بحسب معنى واحد مشترك بين الحيضة والطهر، والقائلون بهذا القول اختلفوا على ثلاثة أقوال. الأوّل: أن القرء هو الاجتماع ثم في وقت الطهر يجتمع الدم في البدن، وهو قول الأصمعي والأخفش والفراء والكسائي. والقول الثاني: قول أبي عبيدة: إنه عبارة عن الانتقال من حالة إلى حالة. والثالث: وهو قول أبي عمرو بن العلاء أن القرء هو الوقت. يقال: أقرأت النجوم إذا طلعت، وأقرأت إذا أفلت، ويقال: هذا قرء الرياح لوقت هبوبها، فإذا ثبت أن القرء هو الوقت، دخل فيه الحيض والطهر، لأن لكل واحدٍ منهما وقتاً معيناً، وما في ربع العبادات أصعب من مسائل باب الحيض والتيمم.

ولما اجتاز نجم الدين البادراني بالموصل رسولاً إلى حلب سنة سبع وأربعين وستمئة سأل الفقهاء الذين بها عن هذه المسألة نظماً: [من الطويل]
أيأُفقهَاءُ العَصْرِ هَلْ مِنْ مُخْبِرٍ عَنْ امْرَأَةٍ حَلَّتْ لِصَاحِبِهَا عَقْدًا

إذا طَلَّقت بعد الدَّخول تَرَبَّصْتُ ثَلَاثَةَ أَقْرَاءٍ حُدِّدْنَ لَهَا حَدًّا^(١)
وإن مَاتَ عَنْهَا زَوْجُهَا فاعتدَادُهَا بِقِرْءٍ مِنَ الْأَقْرَاءِ تَأْتِي بِهِ فَرْدًا

فأجاب عن ذلك تاج الدين بن يونس بقوله: [من الطويل]

وَكُنَّا عَهْدَنَا النِّجْمَ يَهْدِي بِنُورِهِ فَمَا بِالْهُ قَدْ أَبْهَمَ الْعِلْمَ الْفَرْدَا
سَأَلْتُ فَخَذْتُ عَنِّي فَتْلِكَ لِقَيْطَةً أَقَرَّتْ بَرْقٌ بَعْدَ أَنْ تُكْحِتَ عَمْدَا

(الإعراب). فقلت: الفاء للتعقيب أي عقت طرد الكرى عنه بقولي، والمعنى فالتفت إليّ فقلت له، أو فلم يلتفت إليّ فقلت له. وما أحسن الفاء التي تكرّرت في قول الشنفرى^(٢): [من الطويل]

بِعَيْنِي مَنْ أُمِسْتُ فَبَاتَتْ فَأَصْبَحْتُ فَقَضَّتُ أُمُورًا فَاسْتَقَلَّتْ فَوَلَّتْ^(٣)

وأبيات أبي ذؤيب الهذلي^(٤) التي يصف فيها حمر الوحش، والصائد على حرف العين المرفوعة أيضاً في هذا الباب مليحة إلى الغاية^(٥). ومن ألطف ما وجدته في هذا الباب قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني^(٦): [من البسيط]

لِلْعَاشِقِينَ بِأَحْكَامِ الْغَرَامِ رِضًى فَلَا تَكُنْ يَا فَتًى بِالْعَدْلِ مُعْتَرِضَا
رُوحِي الْفِدَاءَ لِأَحْبَابِي وَإِنْ نَقَضُوا عَهْدَ الْوَفَى الَّذِي لِلْعَهْدِ مَا نَقَضَا^(٧)
قِفْ وَاسْتَمِعْ رَاحِمًا أَخْبَارَ مَنْ قَتَلُوا فَمَاتَ فِي حُبِّهِمْ لَمْ يَبْلُغِ الْغَرَضَا^(٨)

(١) تَرَبَّصْتُ: انتظرت.

(٢) هو عمرو بن مالك الأزدي، المعروف بالشنفرى: شاعر جاهلي، فاتك، عدّاء، من الصعاليك. توفي نحو ٧٠هـ/ ٥٢٥م. (الأغاني: ٢١/٢٠١؛ خزنة الأدب (صادر): ١٦/٢).

(٣) ديوان الصعاليك: ١٦.

(٤) هو أبو ذؤيب، خويلد بن خالد بن محرث، من بني هذيل بن مدركة، من مضر: شاعر فحل مخضرم، أدرك الإسلام، وأسلم، وسكن المدينة، واشترك في الغزو والفتوح. توفي نحو ٢٧هـ/ ٦٤٨م. (طبقات ابن سلام: ١٣١؛ الشعر والشعراء: ٢/٥٤٧).

(٥) منها قوله:

والدهر لا يبقي على حَدَثَانِهِ شَبَبٌ أَفْزَتْهُ الْكِلَابُ مُرَوِّعُ
شَعَفَ الضَّرَاءُ الدَّاجِنَاتِ فَوَادُهُ فَإِذَا يَرَى الصَّبْحَ الْمَصْدَقَ يَفْزَعُ
يرمي بعينه الغيوب وطرفه مُغْضٍ يَصْدُقُ طَرَفُهُ مَا يَسْمَعُ

(جمهرة أشعار العرب: ٢/١٩١).

(٦) ديوانه: ١٩٦.

(٧) في الديوان: «عَهْدَ الْمُحِبِّ».

(٨) في الديوان: «قِفْ وَاسْتَمِعْ سِيرَةَ الصَّبِّ الَّذِي قَتَلُوا».

رَأَى فَحَبَّ فَرَامَ الْوَصْلَ فَامْتَنَعُوا فَسَامَ صَبْرًا فَأَعْيَى نَيْلُهُ فَقَضَى^(١)

وظرف نور الدين الأسعدي في قوله: [من الكامل]

وَأَغْنُ كَمْ فِي جَفْنِهِ مِنْ قَاضٍ وَقَوَامُهُ فِي لَيْنِهِ كَقَضِيْبٍ^(٢)
لَاقِيَتُهُ مُتَبَسِّمًا مِنْ بَعْدِ مَا قَدْ كُنْتُ لَا الْقَاءُ غَيْرَ قُطُوبٍ^(٣)
أَسْقِيَتُهُ رَاحِي فَنَامَ فَنِكَتُهُ وَالْفَاءُ فِي الْحَالِيْنَ لِلتَّعْقِيْبِ

أورد ابن الأثير في المثل السائر، قوله تعالى: ﴿فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ﴾ الآيتين [مريم: ٢٢]. وقال: في هاتين الآيتين دليل على أن حملها به ووضعها إياه كانا متقاربين، لأنه عطف الحمل والانتباز إلى المكان الذي مضت إليه، والمخاض الذي هو الطلق بالفاء وهي للفور، ولو كانت كغيرها من النساء، لعطف بثم التي للتراخي والمهلة، ألا ترى أنه قد جاء في الآي الآخر: ﴿قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ مِنْ أَشْيَءِ خَلْقِهِ مِنْ نُطْقَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَرَهُ ثُمَّ السَّبِيلَ يَسِّرُهُ﴾ [عبس: ١٧- ٢٠]، فلما كان بين تقديره في البطن وإخراجه منه مدة متراخية عطف ذلك بثم.

قال ابن أبي الحديد^(٤) في «الفلک الدائر»: الفاء ليست للفور بل هي للتعقيب على حسب ما يصح إقماً عقلاً أو عادةً، ولهذا صح أن يقال دخلت البصرة فبغداد وإن كان بينهما زمان كثير، لكن تعقب دخول هذه دخول تلك على ما يمكن، بمعنى أنه لم يمكث بواسط مثلاً سنة أو مدة طويلة، بل طوى المنازل بعد البصرة ولم يقيم بواحدة منها إقامة يخرج بها عن حد السفر، إلى أن دخل بغداد. وهذا الذي يقوله أهل اللغة وأهل الأصول. وليست الفاء للفور الحقيقي الذي معناه حصول هذا بعد هذا بغير فصل ولا زمان، كما توهمه هذا الرجل. ألا ترى إلى قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُمْ بِعَذَابٍ﴾ [طه: ٦١] فإن العذاب متراح عن الافتراء فلا يدل قوله تعالى في قصة مريم على أن الحمل والمخاض كانا في يوم واحد.

قلت: بحث ابن أبي الحديد متجه، والذي قاله ابن الأثير ضعيف. وقد اختلف المفسرون في مدة حملها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: تسعة أشهر كما في سائر النساء، وقال عطاء، وأبو العالية، والضحاك: سبعة أشهر. وقال

(١) ورد في الديوان «رام» في موضع «سام».

(٢) أَعْنُ: في صوته غَنَّةٌ. قَاضٍ: قاطع.

(٣) قطوب: شديد العبوس.

(٤) هو أبو حامد، عبد الحميد بن هبة الله بن أبي الحديد: عالم بالأدب، من أعيان المعتزلة. توفي سنة ٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م. (الأعلام: ٢٨٩/٣).

غيرهم: ثمانية أشهر، ولم يعيش مولود يوضع لثمانية أشهر إلا عيسى عليه السلام. وقال آخرون: ستة أشهر. وقال آخرون: ثلاث ساعات، حملته في ساعة، وصوّر في ساعة، ووضعت في ساعة. وروى ابن عباس رضي الله عنهما: أن مدة الحمل كانت ساعة. قال الإمام فخر الدين الرازي: ويمكن الاستدلال له بوجهين، وذكر في الأول ما قاله ابن الأثير وذكر في الثاني أن الله تعالى قال في وصفه: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران: ٥٩] فثبت أن عيسى عليه السلام لما قال الله له: كن، كان. وهذا مما لا يتصور فيه مدة الحمل، إنما تعقل تلك المدة في حق من يتولد من النطفة.

وقال الإمام فخر الدين في «الطب الكبير»: قد عرفت أن الشهر السابع أوّل شهر يولد فيه الجنين الذي تكون خلقته قوية، وزمان تكوينه سريعاً، وزمان طلبه للخروج سريعاً، وكثيراً ما يموت المولود في هذه المدة لأنهم يقاسون حركات شديدة في ضعف من الخلقة. فإن مثل هذا المولود وإن كان قوياً في الأصل لكنه قريب العهد بالتكون. فأما المولود في الشهر الثامن فهو أكثر المولودين هلاكاً وبقاؤه حياً نادر جداً. فإن كان أنثى فبقاؤها أندر، فإن كان في البلاد الحارة فأندر، والسبب فيه أنه لا يخلو حالهم إما أن يكونوا تأخروا في تمام الخلق وطلب الانفصال إلى هذا الوقت. فهذا يدل على أن قوتهم ما كانت قوية في الأصل. فلما حاولوا حركة الانفصال في أول عهد الاستتمام وقبل كماله ضعفوا أكثر من ضعف من يحاول الانفصال في آخر عهد الاستتمام. وكانت قوته قوية في الأصل كالمولودين في السابع، فإن لم يكونوا كذلك كانت خلقتهم قوية وحركتهم سريعة وطلبهم الانفصال من الأم سريعاً فيكون مثل هذا الجنين قد رام الانفصال في الشهر السابع وعجز عنه، فحينئذٍ عرض له ما يعرض للضعيف الذي حاول الحركات المخلصة ثم عجز عنها من الإعياء والضعف، فيمرض لا محالة وتضعف قوته وتنحل. فإذا ولد في الشهر الثامن فقد توالى عليه سببان موجبان للضعف، فلا جرم أنه يموت. وأما إذا ولد في الشهر التاسع، فقد تخلله بين هذين الزمانين زمان طويل زال عنه فيه أثر الضعف، فلا جرم أنه يعيش. واعلم أن كثيراً ممن يولد في العاشر يكون قد عرض له محاولة الانفصال في التاسع فلم يتيسّر له وعرض له ما يعرض في الثامن، وقليل ما يتفق طلب الانفصال في التاسع ثم يمتد الانتعاش إلى العاشر. وأما المنجمون فقالوا: الجنين يكون في الشهر الأوّل في تدبير زحل، وفي الثاني في تدبير المشتري وهكذا حتى يكون في السابع في تدبير القمر، فإن ولد فيه عاش لأن خلقته قد تمت واستوفت طبائع الكواكب وقواها، وأما الشهر الثامن فإن زحل يتولاه ثانياً فيستولي عليه البرد والجمود والضعف، فإن ولد فيه مات. وأما التاسع فيتولاه المشتري

فيكسب المولود قوّة وحرارة وصلاح حال، فإذا وُلد عاش، وأما العاشر فيتولاه المريح فلا جرم أن يكون الأمر كما ذكرناه.

قلت: كل من الطبيعيين والمنجمين علّلوا عدم حياة المولود في الثامن بما ذكروه على ما هو جارٍ على قواعدهم المقرّرة عندهم، وأما كونه تحرّك في هذا الوقت المخصوص دون غيره وطلب الانفصال، فلم يعلّله ولكن هذا من الأدلة على القول بأن الفاعل المختار سبحانه وتعالى فعّال لما يريد. وفي قوله تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدُكُمْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا خَلَقَ أَنْفُسَهُمْ﴾ [الكهف: ٥١] ردّ عظيم على الطبيعيين وأرباب الهيئة والمنجمين. ومذهب الشافعية أن أكثر مدّة الحمل أربع سنين وأقلّه ستة أشهر، وقد ولد الضحاك بن مزاحم لسته عشر شهراً، وشعبة ولد لسنين، وهرم بن سنان ولد لأربع سنين. ولذلك سمي هرماً، ومالك بن أنس حمل به أكثر من ثلاث سنين، والحجاج بن يوسف ولد لثلاثين شهراً، يقال: إنه كان يقول: أذكر ليلة ميلادي. ويقال: إن عبد الملك بن مروان حمل به ستة أشهر، والشافعي حمل به أربع سنين أو أقل. والحنفية يقولون للشافعية في بسطهم: ما جسر إمامكم أن يظهر إلى الوجود حتى توفي إمامنا. ويحييهم الشافعية بقولهم: بل إمامكم ما ثبت لظهور إمامنا.

يحكى عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه أنه أتى إليه رجل وقال: إني تزوّجت جارية بكرة ولم أر بها ربية ثم إنها أتت بولدٍ لسته أشهر، فقال: الولد لك، قال الله تعالى: ﴿وَحَمْلُهُ وَفَصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا﴾ [الأحقاف: ١٥] وقال تعالى: ﴿وَالْوَلَدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].

وعن عمر رضي الله عنه أنه جيء له بامرأة وضعت لسته أشهر فشاور في رجمها، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: إن خاصمتكم بكتاب الله خصمتكم ثم ذكر هاتين الآيتين فكأنما أيقظهم.

(رجع): والفاء أصل وضعها للترتيب المتصل والترتيب على ضربين ترتيب في المعنى وترتيب في الذكر، والمراد بالترتيب في المعنى أن يكون المعطوف بها لاحقاً متصلاً بلا مهلة كقوله تعالى: ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ﴾ والأكثر كون المعطوف بها متسبباً عما قبله، كقولك: أملتة فمال وأقمتة فقام، وأما الترتيب في الذكر فنوعان: أحدهما عطف مفصل على مجمل هو هو في المعنى، كقولك توضاً فغسل وجهه ويديه ومسح رأسه ورجليه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ [هود: ٤٥]. والثاني عطف لمجرد المشاركة في الحكم بحيث يحسن بالواو كقول

امريّ القيس^(١): بين الدّخولِ فحوملٍ . وتختصّ الفاء بعطف ما لا يصلح ، كونه صلة على ما هو صلة ، كقولك : الذي يطير فيغضب زيد الذباب . فلو جعلت موضع الفاء واواً أو غيرها فقلت : الذي يطير ويغضب زيد أو ثم يغضب زيد الذباب لم تجز المسألة لأن يغضب زيد جملة لا عائد فيها على الذي ، فلا يصلح أن يعطف على الصلة لأن شرط ما يعطف على الصلة أن يصلح وقوعه صلة ، فإن كان العطف بالفاء لم يشترط ذلك لأنها تجعل ما بعدها مع ما قبلها في حكم جملة واحدة لإشعارها بالسببية ، كأنما قلت : الذي إن يطر يغضب زيد الذباب . وقد تقع ثم موقع الفاء كقول الشاعر : [من المتقارب]

كَهَزُ الرُّدَيْنِيِّ تَحْتَ الْعَجَاجِ جَرَى فِي الْأَنْبَابِ ثُمَّ اضْطَرَبُ^(٢)
وقد يعطف بالفاء متراحياً كقوله تعالى : ﴿وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَىٰ فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى : ١٩] إمّا لتقدير متصل قبله ، وإما لحمل الفاء على ثم . كلام بدر الدين بن مالك . قال الشيخ بهاء الدين بن النحاس وقد أورد على كون الفاء للتعقيب والترتيب قوله تعالى : ﴿وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَبَاءََهَا بَأْسُنَا﴾ [الأعراف : ٤] . وقوله تعالى : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [النحل : ٩٨] . وبهذه الآية أخذ داود الظاهري في كون الاستعاذة بعد الفراغ من القراءة ولا دليل في ذلك لأن تقدير الكلام واللّه أعلم : فإذا أردت القراءة فاستعذ باللّه ، وأما الجواب عن الآية الأولى فيجوز أن تكون الإرادة محذوفة فيها أيضاً كما كانت محذوفة في الأخرى ، وتقديره واللّه أعلم : وكَمْ من قرية أردنا إهلاكها ، وقد أجيب بجواب آخر وهو أن معنى قوله : ﴿فَبَاءََهَا بَأْسُنَا﴾ حكم بمجيء البأس ، فالحكم متأخر عن الإهلاك فالفاء على بابها .

قلت : قد تحذف الفاء مع المعطوف بها إذا أمن اللبس وكذلك الواو ، فمن حذف الفاء قوله تعالى : ﴿فَتُوبُوا إِلَىٰ بَارِيكُمْ فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِنْدَ بَارِيكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة : ٥٤] التقدير فامتثلتم فتاب عليكم . وقوله تعالى : ﴿فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ [البقرة : ١٨٤] معناه فأفطر فعليه عدّة ، ومن هذا الباب هذا البيت لأنه يقدر طردت عنه الكرى فلم يلتفت إليّ فقلت له : أدعوك . وهذه الفاء العاطفة على الجواب المحذوف يسميها أرباب المعاني الفاء الفصيحة .

(١) البيت بتمامه :

قَفَا نَبُكُ مِنْ ذُكْرَى حَبِيبٍ وَمَنْزِلٍ بِسْفَطِ اللَّوَىٰ بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلٍ

(ديوانه : ١٩) .

(٢) الرُّدَيْنِي : الرمح المنسوب إلى ردينة ، وهي امرأة اشتهرت بصناعة الرماح وتقويمها . العجاج : غُبار المعارك .

قال صاحب «الكشاف» في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا وَقَالَا الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [النمل: ١٥]. تقديره فعلاً به وعرفاً حق النعمة فيه والفضيلة، وقالوا الحمد لله. وقال صاحب «المفتاح»: هو إخبار عما صنع بهما وعما قالاه كأنه قيل: نحن فعلنا الإيتاء وهما فعلاً الحمد. وهذا الباب كثير في القرآن وهو من جملة فصاحته، ولهذا سمّاها أرباب المعاني الفاء الفصيحة.

(رجع) قلت: فعل ماض والتاء ضمير الفاعل. (أدعوك): فعل مضارع والكاف ضمير المفعول وأصله أدعوك فحذف همزة الاستفهام كقول الشاعر: [من الطويل]
فَوَاللَّهِ مَا أَذْرِي وَإِنْ كُنْتُ دَارِيًّا بِسَبْعِ رَمِيْنِ الْجَمْرِ أَمْ بِثَمَانٍ^(١)

تقديره أبسبع رمين أم بثمان، فحذف الهمزة للضرورة. والمحذوفة إما التي للاستفهام أو الأصلية على خلاف في ذلك هرباً من استثقال الجمع بين الهمزتين. يقال: إن بعض النحاة قال للطبيب: يا حكيم أفؤادي يوجعني. فقال له: أبطل هذه الهمزة وقد عوفيت من هذا الألم. فكيف لو قال له: أدعوك. (للجلى): جار ومجرور واللام للتعدية وعلامة الجر كسرة مقدرة على الألف لأنه مقصور وموضعه نصب على المفعولية. (لتنصرنى): اللام لام كي فهي تنصب الفعل المضارع، وتنصرنى فعل مضارع منصوب بلام كي والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول. وما أحلى قول شرف الدين بن الفارض: [من الرمل]

نَصَبًا أَكْسَبَنِي الشُّوقُ كَمَا تُكْسِبُ الْأَفْعَالُ نَصَبًا لَامٌ كَيِّ
وأحسن منه قول شمس الدين محمد بن العفيف التلمساني ومن خطه نقلت^(٢): [من المتقارب]

وَمُسْتَتِرٍ مِنْ سَنَا وَجْهِهِ بِشَمْسٍ لَهَا ذَلِكَ الصُّدْغُ فِي
كَوَى الْقَلْبِ مِنِّي بِلَامِ الْعِذَارِ فَعَرَّفَنِي أَنَّهَا لَامٌ كَيِّ

(وَأنت): الواو واو الابتداء، وأنت اسم مضمر في موضع رفع بالابتداء، والضمائر كلها مبنية لأنها أشبهت الحرف في الوضع لأن الأصل في الأسماء أن توضع على ثلاثة أحرف فما فوقها ولا يرد باب يد ودم وأخ وأب إذ الأصل يدي ودمو وأخو وأبو، وأن يكون الحرف الصناعي على حرف كباء الجر ولامه. هذا هو الأصل في وضع الأسماء والحروف، وقد يخرج الاسم عن هذا الأصل فيوضع على

(١) المراد: رمي الجمرات بمئى، وهو من مناسك الحج، وسنة الرمي أن يكون بسبع حصيات.

(٢) ديوانه: ٣٥١.

حرفٍ واحدٍ وهو الضمائر مثل الهاء والكاف والياء، فإذا كان كذلك فقد شابه الاسم الحرف في الوضع فيعطي حينئذٍ حكمه فيبنى. فإن قلت: إذا قررت ما قررت فبأقبي الضمائر مثل أنا وفروعه وهو وفروعه على أزيد من حرف. قلت: كما أن الحرف خرج عن أصله فكان منه ما هو على حرفين مثل: من وعن وفي ما هو على ثلاثة أحرف مثل على وإلى، وما هو على أربعة أحرف مثل حتى ولكن العاطفة، وما هو على خمسة أحرف مثل لكنّ من أخوات إن، كذلك خرج الضمير عن وضعه فكان على حرفين مثل هو وبابه، وعلى ثلاثة مثل أنا وأنت، فلذا اعتبر الأصل في وضع الحرف أولاً ولا اعتبار بما طرأ عليه، واعتبر الضمير في أصله ولا اعتبار بما تجدد له. فإن قلت: فمن أين لك أن الأصل في الضمائر أن تكون على حرفٍ واحدٍ، قلت: لأن الأصل في وضع الضمائر طلب الاختصار وكونها على حرفٍ واحدٍ أخصر من غيره، ولذلك لا يؤتى بالمنفصل مع إمكان الإتيان بالمتصل فلا تقول: أعطيتك إياه موضع أعطيتكه. والضمائر كلها تسعون ضميراً تداخل منها تسعة وعشرون، وبقي منها أحد وستون ضميراً أصلها خمسة وهي الياء للمتكلم فقط، والتاء للمتكلم والمخاطب، والكاف للمخاطب فقط، والهاء للغائب، والميم للجمع المذكورين، وتخلفها النون للجمع المؤنثين، والدليل على أنها تسعون أن الضمير إمّا مرفوع أو منصوب أو مجرور، فالأولان يكونان متصلين ومنفصلين، والثالث لا يكون إلا متصلاً فذلك خمسة تضرب في ثلاثة تكلم وخطاب وغيبة فتلك خمسة عشر تضرب في ثلاثة مفرد ومثنى ومجموع، فتلك خمسة وأربعون تضرب في اثنين: مذكر ومؤنث، فتلك تسعون. سمع المازنيّ قرقرة من بطن إنسان فقال: هذه ضربة مضمرة.

(رجع) تخذلني: فعل مضارع مرفوع لخلوّه من الناصب والجازم ورفع ضمّة اللام والنون نون الوقاية والياء ضمير المفعول والجملة في موضع الخبر لأنّ. (في الحادث): جار ومجرور في موضع نصب لأنّه ظرف لتخذلني تقديره تخذلني وقت الحادث. (الجلل): مجرور على أنّه صفة للحادث وقد تبعه في إفراده وتذكيره وتعريفه وجوّه، وقوله أدعوك إلى آخر البيت في موضع نصب بقلت.

(المعنى): فقلت له مستفهماً: أدعوك للأمر العظيم طالباً نصرتك وأنت تخذلني في مثل هذا الحادث العظيم، وهذا استفهام ومعناه التوبيخ. كقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَعْيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ﴾ الآية [المائدة: ١١٦]، لكن الاستفهام هنا للمسيح صلوات الله عليه والتوبيخ للنصارى، والاستفهام هنا من المسيح أبلغ من الاستفهام من النصارى لأنه يحتمل أنهم يقولون: نعم كذا قال. فيرجع إلى المسيح صلوات الله وسلامه عليه

ويستفهم منه، فابتدئ بالاستفهام منه في أول الأمر: [من المتقارب]
يَرَى الْأَمْرَ يُفْضِي إِلَى آخِرٍ فَيَجْعَلُ آخِرَهُ أَوَّلًا
وفي الاستفهام منه فائدة أخرى وهي أنه عليه الصلاة والسلام قال: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ﴾ [المائدة: ١١٧] فكان أبلغ في توبيخهم في الموقف بين العالمين.
وفي قوله: ما قلت لهم إلا ما أمرتني به فائدة لأنه لو قال: لم أقل لهم ذلك، لاحتيج أن يقال له فما الذي قلت لهم، فعلم المقصود وأجاب عما يقال له فيما بعد. ومثله قوله ﷺ وقد سئل عن ماء البحر: هو الطهور ماؤه الحل ميتته، علماً بأنه ﷺ يسأل فيما بعد عن ذلك السمك. وفي قوله: «إلا ما أمرتني به» دون ما قلت لهم إلا أن اعبدوا الله دليل على اعترافه بالعبودية، وأنه مأمور في أقواله وأفعاله لئلا يتوهم أنه فعل ذلك وقاله تبرّعاً. ويفهم هذا من قوله: ربي وربكم، فإنه اعترف على نفسه لله تعالى بالربوبية قبلهم. وفي قوله تعالى: ﴿وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧] حكمة أخرى ترفع وهم من يتوهم أنه كان الشهيد عليهم لما كان بين ظهرائهم دون الله تعالى، وأنه لما غاب عنهم تولى الله الشهادة عليهم فقال: وأنت على كل شيء شهيد أي في الحالتين حالة وجودي بين ظهرائهم وحال غيبتني عنهم. وبالجملّة فهذه القصة يحتمل الكلام عليها مجلداً لطيفاً، فإنها قد تضمنت من البلاغة والحكم ما يعجز المتكلمون عن استغراق ذلك، واستخراج جواهره، واستنباط معانيه، ﴿قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِزَادًا لِّكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَنْ نَنْفِدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا﴾ [الكهف: ١٠٩] فسبحان من أنزله هدىً ورحمة.

(رجع إلى قول الطغرائي): أقول: قد جبلت النفوس الأبية على تحقيق الظنون بها، وتصديق الأمل فيها، والرجاء فيما يطلب منها من نصرة وإعانة، وإزالة ضرورة، وسدّ خلّة، وإيواء وذبح وغير ذلك. والنفوس اللثيمة بخلاف ذلك تكذب الظنون فيها، وحسن الظن بالله أمر واجب. قال رسول الله ﷺ حاكياً عن ربه عز وجل: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي خيراً». وقال ﷺ: «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى». ونقل عن أحد أهل البيت رضي الله عنهم أنه لما احتضر قال لولده: يا بني اقرأ عليّ الرخص لأموت وأنا حسن الظن بالله تعالى. وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: حسن الظن بالله أن لا ترجو إلا الله تعالى ولا تخاف إلا ذنبك.

أنشدني لنفسه إجازة الشيخ الإمام الأديب الكاتب القاضي شهاب الدين أبو الثناء محمود ومن خطه نقلت: [من مجزوء الرمل]

قِيلَ مَا أَعْدَدْتُ لِلْحَتِّ فِ فَقَدْ جِئْتَ مَحَلَّهُ
قُلْتُ أَعْدَدْتُ مَعَ التَّو حِيدِ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ

وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس: [من البسيط]

فَقْرِي لِمَعْرُوفِكَ الْمَعْرُوفِ يُغْنِينِي يَا مَنْ أَرْجِيهِ وَالتَّقْصِيرُ يُرْجِينِي
إِنْ أَوْثَقْتَنِي الْخَطَايَا عَنْ مَدَى شَرَفٍ نَجَا بِإِدْرَاكِهِ النَّاجُونَ مِنْ دُونِي
أَوْ غَضَّ مَنْ أَمْلِي مَا سَاءَ مِنْ عَمَلِي فَإِنَّ لِي حُسْنَ ظَنٍّ فِيكَ يَكْفِينِي
وَيَتَعَيَّنْ عَلَى ذَوِي الْمَرَوِّاتِ احْتِمَالُ الْأَذَى وَالضَّرَرُ فِي تَصَدِيقِ أَمَلِ الْأَمَلِ،
وَتَحْقِيقِ رَجَائِهِ، وَإِيصَالِهِ إِلَى مَأْرَبِهِ، وَتَبْلِيغِهِ مَقَاصِدِهِ. قَالَ أَبُو الطَّيِّبِ الْمَتْنَبِيُّ^(١):
[من البسيط]

لَوْلَا الْمَشَقَّةُ سَادَ النَّاسُ كُلَّهُمْ الْجُودُ يَفْقَرُ وَالْإِقْدَامُ قَتَّالٌ
قِيلَ: إِنَّ الصَّاحِبَ جَمَالَ الدِّينِ بْنِ مَطْرُوحٍ كَتَبَ إِلَى بَعْضِ الرُّؤَسَاءِ رَقْعَةً عَلَى يَدِ
صَدِيقٍ لَهُ يَشْفَعُ فِيهَا عِنْدَهُ، فَكَتَبَ لَهُ ذَلِكَ الرَّئِيسُ: هَذَا الْأَمْرُ عَلَيَّ فِيهِ مَشَقَّةٌ. فَكَتَبَ ابْنُ
مَطْرُوحٍ جَوَابَهُ: لَوْلَا الْمَشَقَّةُ. فَلَمَّا وَقَفَ عَلَيْهَا ذَلِكَ الرَّئِيسُ فَهَمَّ الْإِشَارَةَ إِلَى قَوْلِ الْمَتْنَبِيِّ
وَقَضَى الْمَصْلَحَةَ. وَسَأَلَ أَبُو الْأَسْوَدَ الدَّوْلِيَّ^(٢) مَعَاوِيَةَ فِي أَمْرٍ، فَوَضَعَ مَعَاوِيَةُ يَدَهُ عَلَى
أَنْفِهِ، فَضَرَبَ أَبُو الْأَسْوَدَ يَدَهُ وَقَالَ: وَاللَّهِ لَا تَسُودُ فِينَا حَتَّى تَصْبِرَ عَلَى مُحَادَثَةِ الشَّيْخِ
الْبَخْرِ. وَفِي مَعْنَى قَوْلِ أَبِي الطَّيِّبِ قَوْلُ مُسْلِمِ بْنِ الْوَلِيدِ: [من الطويل]

أَبَا سَهْلٍ إِنَّ الْجُودَ خَيْرٌ مَغَبَّةٍ وَأَكْرَمُ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَوْلُ وَالْفِعْلُ
وَمَا الْفَضْلُ وَالْمَعْرُوفُ فِيمَا هَوَيْتُهُ وَلَكِنَّهُ فِيمَا كَرِهْتَ هُوَ الْفَضْلُ
وَقَوْلُ مَهْيَارِ الدَّيْلَمِيِّ: [من الوافر]

وَأَكْرَهُ كُلَّ مُعْتَذِرِ الْمَسَاعِي إِلَى التَّقْصِيرِ نَالَ فَمَا أَنَا لَا
إِذَا نَشَأَتْ سَحَائِبُهُ بِوَعْدٍ أَهَبَّ قُنُوطُهُ رِيحاً شَمَالاً
وَلَيْسَ أَخْوَكُ إِلَّا مَنْ تَحَطَّ الْأَ مَوْرُ بِهِ فَيَحْمِلُهَا ثِقَالاً

وَمِنَ الْكَلِمِ النَّوَاعِجُ: مُحْكُ الْمَوَدَّةِ وَالْإِخَاءِ، حَالُ الشَّدَّةِ لَا الرِّخَاءِ، وَلِهَذَا
قِيلَ: [من الكامل]

دَعَاؤُ الْإِخَاءِ عَلَى الرِّخَاءِ كَثِيرٌ وَمَعَ الشَّدَائِدِ تُعْرَفُ الْإِخْوَانُ

(١) ديوان المتنبي: ٣٠٦/٢.

(٢) هو أبو الأسود، ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الدؤلي: نحوي، فقيه، شاعر، فارس، من سادات التابعين. وهو أول من وضع علم النحو. توفي سنة ٦٩هـ / ٦٨٨م. (المؤتلف والمختلف: ٢٢٤).

قيل: إن يوسف عليه السلام كتب على باب السجن لَمَّا خرج منه: هذا قبر الأحياء، وشماتة الأعداء، وتجربة الأصدقاء. ولله درّ يزيد بن المهلب^(١) من ذي مروءة وسخاء وتصديق أمل، فإنه كان في حبس الحجاج^(٢) يُعَذَّبُ، فدخل عليه يزيد بن الحكم^(٣)، وقد حُلَّ نجمٌ مما كان عليه، وكانت نجومه في كل أسبوع ستة عشر ألف درهم فقال له: [من المنسرح]

أصبحَ في قَيْدِكَ السَّمَا حَةُ والجو دُ وفضلُ السلاح والحَسَبُ
لا بطر إن تتابعَتِ نِعَمٌ وصَابرٌ في البلاء مُحْتَسِبُ
أحرزتَ سبقَ الجيادِ في مَهْلٍ وقصرتَ دونَ سَعِيكَ العَرَبُ

فالتفت يزيد إلى مولى له وقال له: أعطه نجم هذا الأسبوع ونصبر على العذاب إلى السبت الآخر. وقد روى صاحب الأغاني هذه الأبيات لحمزة بن بيض^(٤) مع يزيد المذكور وقال: فقال له يزيد: واللّه يا حمزة لقد أسأت إذ نوّهت باسمي في غير وقته، ولا يترك لك، ثم رفع مصلاه ورمى إليه بخرقه مصرورة وعليه صاحب خبر واقف وقال: خذ هذا الدينار واللّه ما أملك ذهباً غيره، فأخذه حمزة وأراد أن يرده، فقال له سرّاً: خذه ولا تخدع فيه، واللّه ما بدينار، قال: فخرجت فقال لي صاحب الخبر: ما أعطاك يزيد؟ فقلت: أعطاني ديناراً وأردت أن أردّه عليه فاستحييت، فلمّا صرت إلى منزلي حللت الصرّة فإذا فصّ ياقوت كأنه سقط زند. فخرجت إلى خراسان فبعته من رجل يهودي بثلاثين ألفاً، فلما بعته وقبضت المال وصار في يدي قال: واللّه لو أبيت إلا بخمسين ألفاً لأخذته. ثم إنه دفع إليّ مائة دينار زيادة، على أن الإنسان يتعيّن عليه التفرّس أولاً والتكهّن ليختار لحاجته من ينهض بحملها ويقوم بكلها حتى تنزل من جانبه بالرحب، ويتلقاها بالبشر، ويكون بها كفيلاً. قال أبو الطيب^(٥): [من الطويل]

ولم أرُجْ إلا أهلَ ذاك ومن يُرد مَواطِر من غيرِ السحائبِ يظلم

(١) هو أبو خالد، يزيد بن المهلب بن أبي صفرة الأزدي: أمير، قائد، شجاع. استعمله الأمويون، ثم ثار عليهم، فقتلوه سنة ١٠٢هـ / ٧٢٠م. (الأعلام: ٨/ ١٨٩).

(٢) هو الحجاج بن يوسف الثقفي، القائد، الداهية، الخطيب، المتوفى سنة ٩٥هـ / ٧١٤م. (الأعلام: ٢/ ١٦٨).

(٣) هو يزيد بن الحكم بن أبي العاص بن بشر بن عبد بن دهمان الثقفي: شاعر مجيد، من أعيان العصر الأموي، من أهل الطائف. توفي نحو ١٠٥هـ / نحو ٧٢٣م. (الأعلام: ٨/ ١٨١).

(٤) هو حمزة بن بيض بن نمر بن عبد الله بن شمر الحنفي: شاعر مجيد، كثير المجون، من أهل الكوفة. كان منقطعاً إلى المهلب بن أبي صفرة وولده. توفي سنة ١١٦هـ / ٧٣٤م. (الأعلام: ٢/ ٢٧٧).

(٥) ديوان المتنبي: ٢/ ٢٦٧.

وإلا فيكون قد أخطأ في التأميل قبل التأمل، وأضاع الفراسة قبل الافتراس،
والناس يختلفون في الهمم، ويتفاوتون في القيم.

قال أبو الطيب^(١): [من الكامل]

ما كُلُّ مَنْ طَلَبَ المعالي نَاقِداً فيها ولا كلَّ الرّجال فُحولاً

وقال الآخر: [من السريع]

أَمَلْتَهُمْ ثُمَّ تَأَمَّلْتَهُمْ فَلَاحَ لي أَنْ لَيْسَ فِيهِمْ فَلاَحَ

وقال ابن نباتة السعدي من أبيات: [من الطويل]

وَلَكِنَّمَا سَامَرْتَ أَحْلَامَ نَائِمٍ وَخَاوَرْتَ وَشَنَاناً يَنَامُ وَأَسْهَرُ
يُفَكِّرُ لَمَّا جِئْتُ مُسْتَصْرِخاً بِهِ وَلَا يُضْرَحُ الْمَكْرُوبُ مَنْ يَتَفَكَّرُ

وقد أخذ المعنى في الأصل من قول الحماسي: [من البسيط]

لَا يَسْأَلُونَ أَخَاهُمْ حِينَ يَنْدُبُهُمْ فِي النَّائِبَاتِ عَلَى مَا قَالَ بُرْهَانًا^(٢)

وما يبعد قول الطغرائي من قول الأرجاني: [من الطويل]

فَإِنْ يَكُ أَعْدَائِي عَلَيَّ تَنَاصَرُوا فَمَا هُوَ إِلَّا مَنْ تَخَاذَلَ إِخْوَانِي
وَلَمْ أَدْعُ لِلْجَلِيِّ صَدِيقاً أَجَابَنِي وَلَمْ أَرْضِ خِلاًلًا لِلدُّوَادِ فَأَرْضَانِي^(٣)

وقال أبو عبد الله محمد بن أحمد الخياط: [من الطويل]

أَعِينَا عَلَى وَجْدِي فَلَيْسَ بِنَافِعٍ إِخَاؤُكُمْ خَلًّا إِذَا لَمْ تُعِينَاهُ
أَمَّا سُبَّةٌ أَنْ تَخْذَلَا ذَا صَبَابَةٍ دَعَا وَجْدُهُ الشُّوقَ الْقَدِيمَ فَلَبَّاهُ^(٤)

وقال الآخر: [من الوافر]

وَإِخْوَانٍ تَخَذْتَهُمْ دُرُوعاً فَكَانُواهَا وَلَكِنْ لِأَعَادِي
وَخَلْتَهُمْ سِهَاماً صَائِبَاتٍ فَكَانُواهَا وَلَكِنْ فِي فُؤَادِي
وَقَالُوا قَدْ صَفَتْ مَنَاقِلُوبٌ نَعَمْ صَدَقُوا وَلَكِنْ مِنْ وَدَادِي
وَقَالُوا قَدْ سَعِينَا كُلَّ سَعِيٍّ لَقَدْ صَدَقُوا وَلَكِنْ فِي فَسَادِي

(١) ديوان المتنبي: ٢٩١/١.

(٢) يَنْدُبُهُمْ: يدعوهم لنجدته.

(٣) الْجَلِيُّ: الأمر الجلل: العظيم الشديد.

(٤) السُّبَّةُ: العار. الصَّبَابَةُ: رقة الشوق وحرارته.

وقال ابن الرومي^(١): [من الطويل]

تَخَذْتُكُمْ دِرْعاً حَصِيناً لِتُدْفَعُوا
وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو مِنْكُمْ خَيْرَ نَاصِرٍ
فَإِنْ كُنْتُمْ لَمْ تَحْفَظُوا لِمَوَدَّتِي
قِفُوا وَقِفَةَ الْمَعْذُورِ عَنِّي بِمَعْزِلٍ

وقال آخر^(٥): [من المتقارب]

وَكُنْتُ أَخِي بِإِخَاءِ الزَّمَانِ
وَكُنْتُ أَعْدُكَ لِلنَّائِبَاتِ

وقال آخر: [من الوافر]

أَيَا مَوْلَايَ صِرْتُ قَذَى لِعَيْنِي
وَكُنْتُ مِنَ الْحَوَادِثِ لِي عِيَاذاً

وقال الأرجاني: [من الرمل]

تَرْجِعُ الْأَيَّامُ فِيمَا وَهَبْتَ
كَمْ أَنَاسٍ خَلَّتْهُمْ لِي جُنَّةٌ

كتب المعتمد بن عباد إلى ابن عمّار الأندلسي^(٦): [من الطويل]

وَرَهَّدَنِي فِي النَّاسِ مَعْرِفَتِي بِهِمْ
فَلَمْ تُرْنِي الْأَيَّامُ خِلاً تَسْرَنِي

سِهَامِ الْعِدَى عَنِّي فَكُنْتُمْ نِصَالَهَا^(٢)
عَلَى حِينِ خِذْلَانِ الْيَمِينِ شِمَالَهَا
ذِمَاماً فَكُونُوا لَا عَلَيْهَا وَلَا لَهَا^(٣)
وَخَلُّوا نِبَالِي لِلْعِدَى وَنِبَالَهَا^(٤)

فَلَمَّا انْقَضَى صِرْتُ حَرْباً عَوَانَا
فَهَا أَنَا أَطْلُبُ مِنْكَ الْأَمَانَا

وَسِثْرًا بَيْنَ جَفْنِي وَالْمَنَامِ
فَصِرْتُ مِنَ الْمَصِيبَاتِ الْعِظَامِ

لُؤْمَ طَبَعَ وَمَتَى كَانَتْ كِرَامَا
يَوْمَ رَفَعَ فَعَدُوا فِي سَهَامَا

وطول اختباري صاحباً بعد صاحبٍ
مباديه إلا ساءني في العواقبِ

(١) ديوان ابن الرومي: ٩٧/٥.

(٢) في الديوان:

«تخذتكم درعاً وترساً لتدفعوا نبال العدى.....»

(٣) في الديوان: «فإن أنتم لم تحفظوا».

(٤) في الديوان: «قفوا موقف المعذور».

(٥) هو إبراهيم بن العباس الصولي: كاتب العراق في عصره. نشأ وتأدب ببغداد، وتوفي في «سرّ من رأى» سنة ٢٤٣هـ / ٨٥٧م. (الأغاني: ٤٣/١٠؛ تاريخ بغداد: ١١٧/٦). والبيتان في العمدة: ١٦٦/٢.

(٦) هو أبو بكر، محمد بن عمار المهري الأندلسي الشلبي: وزير، شاعرٌ هجاء، يُعرف بذي الوزارتين. قرّبهُ المعتمد بن عباد واستوزره، ثم سخط عليه وقتله سنة ٤٧٧هـ / ١٠٨٤م. (المعجب في تلخيص أخبار المغرب: ٨٥).

ولا قلت أرجوه لدفع مُلَمّةٍ من الدهر إلا كان إحدى النوائبِ

فأجابه ابن عمار: [من الطويل]

فديتك لا تزهد فثم بقيّة فأتبق على الخُلصان إن لديهم
وَلَوْلَمَعَتْ لِي مِنْ سَمَائِكَ بَرَقَةٌ رَكِبْتُ إِلَى مَغْنَاكَ هُوجَ السَّحَابِ
فَقَبَّلْتُ مِنْ يُمْنَاكَ أَعَذَبَ مَوْرِدٍ وَقَضَيْتُ مِنْ لُقْيَاكَ أَكْدَ وَاجِبِ
سَتَرْتُ فِيهَا عِنْدَ وَقْعِ الْمَصَائِبِ عَلَى الْبَدءِ كَرَّاتٍ بِحَسَنِ الْعَوَاقِبِ^(١)

ذكرت بقول المعتمد فلم ترني الأيام «البيت» قول بعض أهل العصر في الشيخ
صدر الدين بن الوكيل فإنه كان يقبل أوّل الأمر في الصحبة ثم يستحيل في الآخر:
[من الوافر]

وإذا ابن الوكيل له شبيهه بلبادين خلق في المسالك
فأولاه حلي ثم طيب وآخره زجاج مع لوالك

ويشبه هذا قول الآخر في هجو شريف: [من البسيط]

يا مُشبه الكشك أجداد مطهرة ويستحيل إلى داء وتخليط
ما أنت إلا كبس التمر أوله عذب وآخره يدعى بقلوط

يقال: إن جالينوس قال في الكشك: أبوان كريمان أنتجا لئماً. وما أحسن
قول الآخر يهجو من أبوه شريف: [من المجتث]

إن فاتني بأبيه فلم يفتني بأمه
أورام هجوي ظلماً سكّ عن نصف شتمه

وهو مأخوذ من قول عنترة العبسي^(٢): [من الكامل]

إنني امرؤ من خير عبس منصباً نصفني وأخمي سائري بالمنصل
وهذا البيت يؤيد قول من لحن الناس في إطلاقهم سائراً على معنى الجميع
وإنما هو بمعنى الباقي فمن قال: قدم سائر الحاج ويريد جميعهم فقد لحن. وأنشد
الحريري في «درّة الغواص» شاهداً على هذه الدعوى قول الشاعر: [من الطويل]
تري الثور فيها يدخل الظل رأسه وسائره باد على الشمس أجمع

(١) الخُلصان: جمع الخُلص: الخِذن.

(٢) لم يرد البيت في ديوانه (دار صادر).

وغالب الناس لا يكاد يسلم من هذا اللحن على أن صاحب «الصحاح» قال: وسائر الناس: جميعهم. وتسأب شريف هو وآخر فقال الشريف: ما تقول فيّ وأنت لا تتم صلاتك إلا بالصلاة عليّ وعلى آبائي وأجدادي؟ فقال له: والله إنني أسلك من بينهم كما تُسلّ الشعرة من العجين لأنّي أقول: اللهم صلّ على محمدٍ وعلى آل محمد الطيبين الطاهرين.

(رجع). قال علقمة بن لبّيد العطاردي لابنه: يا بني إن نزلت بك إلى صحبة الرجال حاجة فاصحب مَنْ إن صحبته رَأَيْتُكَ، وإن أصابتك خَصَاصَةٌ مَأْنُكَ^(١)، وإن قلت سدّد قولك، وإن صلت شدّد صولك، وإن مددت يدك بفضل مدّها، وإن بدت منك ثلّة سدّها، وإن رأى منك حسنة عدّها، وإن سألته أعطاك، وإن سكّته عنه ابتدّاك، وإن نزلت بك إحدى الملمات واساك، من لا تأتيك منه البوائق^(٢)، ولا تختلف عليك منه الطرائق، ولا يخذلك عند الحقائق.

ذكر صاحب الأغاني في أخبار علوية أن من جملتها: أنه دخل على المأمون وعنده جملة من المغنين وهو يرقص ويصفق ويغني ويقول: [من الطويل] عَذِيرِي مِنَ الْإِنْسَانِ لَا إِنْ جَفَوْتُهُ صَفَالِي وَلَا إِنْ صِرْتُ طَوْعَ يَدِيهِ وَإِنِّي لَمَشْتَاقٌ إِلَى ظِلِّ صَاحِبٍ يَرُوقُ وَيَصْفُو إِنْ كَدَرْتُ عَلَيْهِ فسمع المغنون والمأمون منه ما لم يعرفوه واستظرفه المأمون وقال: أدن يا علوية وردّده، فردّده عليه سبع مرات. فقال المأمون في الآخرة: يا علوية خذ الخلافة واعطني هذا الصاحب.

قلت: وما صاحب يبذل فيه الخلافة المأمون في سعة الملك وأبهته وصفاء الوقت من الأكدار إلا أعز من الكبريت الأحمر بل ما خلقه الله ولا أوجده. ذكرت بوصية علقمة لولده قول الفضل بن عبد الرحمن لرقبة بنت عتبة بن أبي لهب: أنظري لي امرأة معروفة النسب، كريمة الحسب، فائقة الجمال، مليحة الدلال، إن قعدت أشرفت، وإن قامت أضعفت، وإن مشت ترقرت، تروع من بعيد، وتفتن من قريب، تسرّ من عاشرت، وتكرم من جاورت، وتبذّ من فاخرت، ودوداً ولوداً لا تعرف أهلها، ولا تسرّ إلا بعلمها. فقالت له: يا ابن العم أخطب هذه من ربك في الآخرة فإنك لا تجدها في الدنيا.

وقال أبو موسى المكفوف لنخاس: أطلب لي حماراً ليس بالصغير المحتقر،

(١) مَأْنُكَ: احتمال مؤونتك، أو قام بكفائتك.

(٢) البوائق: الدواهي والشُرور.

ولا بالكبير المشتهر، إن خلا الطريق تدفّق، وإن كثر الزحام ترفّق، لا يصدم بي السواري، ولا يدخلني تحت البواري، إن أكثرت علفه شكر، وإن قللته صبر، وإن ركبته هام، وإن ركبه غيري نام. فقال له النخاس: إصبر أعزّك الله عسى أن يمسخ الله القاضي حماراً فتصيب حاجتك.

رجع: وعلى الصحيح فالكمال معدوم إلّا في الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم، ولا بد في الإنسان من لو ولولا. ومن كانت ماهيته متضادة فالنقص فيه أولى، والاعتدال بعيد من المركب، وما سلك الصواب صديق إلا وينكب، فلا تغتر وأي الرجال المهذب^(١): [من الطويل]

وَمَنْ ذَا الَّذِي تُرْضَى سَجَايَاهُ كُلُّهَا كَفَى الْمَرْءُ نُبَلَاءً أَنْ تَعَدَّ مَعَايِبُهُ
قال الحريري: [من مجزوء الكامل]

وَلَوْ ائْتَقَدْتَ بَنِي الزَّمَانِ نِ وَجَدْتَ أَكْثَرَهُمْ سَقَطُ
قال بعضهم: لو أنصف الحريري لقال: كلهم. فالبس أخاك على علاته، واغتفر لبعض صوابه جلّ زلاته، وقد هوّن الأمر في الصحبة مؤيد الدين الطغرائي في قوله: [من الوافر]

أَخَاكَ أَخَاكَ فَهُوَ أَجَلْ ذَخِرٍ إِذَا نَابَتْكَ نَائِبَةُ الزَّمَانِ
وإن زادت إساءته فهبها لما فيه من الشيم الحسان
تريد مهذباً لا عيب فيه وهل عودٌ يفوح بلا دخان
وقال أيضاً وإن لم يكن من الباب: [من البسيط]

غَائِظُ صَدِيقِكَ تَكْشِفُ عَنْ ضَمَائِرِهِ وَتَهْتِكُ السُّتَرَ عَنْ مَخْجُوبِ أَسْرَارِهِ
فَالْعُودُ يُنْبِئُكَ عَنْ مَكْنُونِ بَاطِنِهِ دُخَانُهُ حِينَ تُلْقِيهِ عَلَى النَّارِ
وقلت أنا في شرط الصحبة: [من المتقارب]

صَدِيقُكَ مَهْمَا جَنَى غَطُّهُ وَلَا تُخَفِ شَيْئاً إِذَا أَحْسَنَّا
وَكُنْ كَالظَّلَامِ مَعَ النَّارِ إِذْ يُوَارِي الدُّخَانَ وَيَبْدِي السَّنَا
وكأني بالطغرائي وقد جرّ هذا الصاحب فانجزم، وطلب إقباله على النصرة له فانهزم، وسامه الوقوع على المساعدة فتعلّى، ورام النجدة منه فقرأ عبس وتولى.

(١) البيت ليزيد بن محمد المهلب، الشاعر، المتوفى سنة ٢٥٩هـ / ٨٧٣م. (لباب الآداب: ٣٥٠).

سأل أبو جعفر المنصور^(١) بعض الخوارج فقال: أخبرني أي أصحابي كان أشدّ إقداماً في مبارزتك؟ فقال: ما أعرف وجوهم ولكن أعرف أقفاءهم، فقلّ لهم يُدبروا أعرفك بهم. وأخذ ابن الرومي هذا المعنى وزاده وزناً فقال^(٢): [من المنسرح]

قرنٌ سُليمان قد أضرب به شوقٌ إلى وجهه سيُتلفه^(٣)
كَم يَعِدُ القرنُ باللقاءِ وكم يكذبُ في وعده ويُخلفه^(٤)
لا يعرفُ القرنُ وجهه ويرى قفاه من فرسخٍ فيعرفه
ذكرت بالقفا قول أبي الفضل الميكالي^(٥): [من مخلع البسيط]

لنا صديقٌ تُجيدُ لقماً راحتنا في أذى قفاه
ما ذاق من كسبه ولكن أذى قفاه أذاق فاه
وذكرت بالصفع هنا ما حكى عن شرف الدين بن الشيرجي وكان ألحى، وشهاب الدين التلعفري^(٦)، من أنهما اجتمعا في ليلة أنس عند الناصر، فاتفق أن قام شرف الدين إلى الطهارة، وعاد فأمره الناصر بالإشارة أن يصفع التلعفري. فلما صفعه أمسك التلعفري بذقن شرف الدين وأنشد ويده في ذقنه لم يفلتها: [من الخفيف]

قد صفعنا في ذا المحلّ الشريف وهو إن كنت ترتضي تشريفي
فأزث للعبد من مصيف صفاع ياربيع الندي والإخريف

قلت: تأمل هذا النظم ما ألطفه، وأحسن مقدمه ومصرفه، وهذه التورية التي اتفقت له بديها، وساعده اللطف الزائد فيها، وكأنني بذقن الشيرجي وهي في يد ذلك الحريف، وقد ذكر الربيع والمصيف وختم بالإخريف، هذا وكونه قال في وسكت، أحلى ما سمع من النكت، ولو كمل ما بقي له هذه الحلاوة. والإشارة أبلغ عند ذي

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن العباس، أبو جعفر، المنصور: ثاني خلفاء بني العباس، المتوفى سنة ١٥٨هـ / ٧٧٥م. (تاريخ بغداد: ١٠ / ٥٣).

(٢) ديوان ابن الرومي: ٢٠٥ / ٤.

(٣) في الديوان: «سَيُدْنِفُهُ»، أي: سَيُمرِضُهُ.

(٤) القرن: الكُفء والنظير في الشجاعة والقتال.

(٥) هو أبو الفضل، عبيد الله بن أحمد بن علي الميكالي: أمير، من الكتّاب الشعراء، من أهل خراسان. توفي سنة ٤٣٦هـ / ١٠٤٥م. (يتيمة الدهر: ٤٠٧ - ٤٣٨).

(٦) هو أبو عبد الله، محمد بن يوسف بن مسعود الشيباني، شهاب الدين التلعفري: شاعر نسبته إلى «تل أعفر» بين سنجار والموصل. توفي في حماة سنة ٦٧٥هـ / ١٢٧٧م. (الأعلام: ٧ / ١٥١).

اللب من العبارة لذي الغباوة فارعها السمع واضحك إلى أن تشرق العين بالدمع فما كل من ندب ندر، ولا كل من خبر خبر.

وقد رأيت البيتين في ديوان الأسعردي؛ ومثل هذه الإشارة قول الآخر:
[من المتقارب]

أَبَا جَعْفَرٍ لَسْتَ بِالْمَنْصَفِ وَمِثْلُكَ مِنْ قَالَ قَوْلًا يَفِي
فَلِإِنْ أَنْتَ أَنْجَزْتَ مَوْعِدِي وَإِلَّا هَجَوْتُ وَأَدْخَلْتُ فِي
وَقَدْ عَلِمَ النَّاسُ مَا بَعْدَهُ فَغَطَّ الْحَدِيثَ وَلَا تَكْشِفِ

وقد ذكر بعضهم إيضاحاً لمجرور في هذا البيت: [من المتقارب]
مَكَانٌ أَقَمْتَ بِهِ تِسْعَةً وَأَخْرَجْتَ مِنْهُ بِلُطْفٍ خَفِي
وعلى ذكر الصفح قيل: إِنَّ صَبِيًّا قَالَ لِيَهُودِي: قَفْ يَا عَمِّي حَتَّى أَصْفَعَكَ.
فَقَالَ لَهُ الْيَهُودِي: أَنَا مُسْتَعَجِلٌ وَلَكِنْ أَصْفَعُ أَخِي عَنِّي. أَنَشِدُنِي لِنَفْسِهِ الشَّيْخُ إِبْرَاهِيمُ
ابن غلام النوري المعمار^(١): [من السريع]

سَأَلْتُهُ فِي صَفْعَةٍ قَالَ لِي جَنَائَةُ الصَّفْعَةِ مَا مِنْهُ بَدْ
صَاعٌ مِنَ التَّمْرِ أَحْلَى بِهِ قُلْتُ نَعَمْ أَعْطَيْكَ صَاعًا وَمَدَّ
وقال أيضاً: [من مجزوء الكامل]

وَمُفَتِّنِ يَهْوَى الصَّفْعَ وَلَمْ يَكُنْ إِذْ ذَاكَ فَتِّي
سَلَّمَتْهُ عُنْقِي الدَّقِيقَ فَرَاخٌ يَنْخُلُهُ بِعَجْنِ
مَا إِنْ أَذْنَتْ لَهُ رِضَى لَكِنَّهُ مِنْ خَلْفِ أَذْنِي
لَوْلَا يَدٌ سَبَقَتْ لَهُ لِأَمْرَتِهِ بِالْكَفِّ عَنِّي

وَأَنَشِدُنِي أَيْضًا لِنَفْسِهِ: [من السريع]
وَصَاحِبِ أَنْزَلَ بِي صَفْعَةً فَاعْتَظْتُ إِذْ ضَيَّعَ لِي حُرْمَتِي
وَقَالَ فِي ظَهْرِكَ جَاءَتْ يَدِي فَقُلْتُ لَا وَالْعَهْدُ فِي رُقْبَتِي

(١) هو إبراهيم بن علي المعمار الحائك، وقيل: الحجار، المعروف بـ«غلام النوري»: شاعر عامي مطبوع، كان يشتغل بالحياكة، وعرف بالمجون والتهكم والسخرية في شعره. توفي سنة ٧٤٩هـ/ ١٣٤٨م.

(الأدب العامي في مصر، أحمد صادق الجمال: ١٨٥؛ الأدب في العصر المملوكي، زغلول سلام: ٣٣٦/١).

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب: [من المنسرح]

يحتاجُ ذا التاج مَنْ يُرْصَعُهُ بدرّة تحتّ ذالها كسُره
فَمَنْ يَرى عُنقه الطويلَ ولا ينزلُ فيه يموتُ بالحُسره

وقال ابن دانيال في البرهان وقد صفع وهو أرمَد: [من المحدث]

صَفَعَ البرهانُ وما رُحِمَا فبَكَى من بَعْدِ الدَمْعِ دَمَا
قَدْ كَانَ شَكَارَ مَدَا صَعْبَا فازدادَ بِذَاكَ الصَّفْعِ عَمَى
نَزَلُوا سَحَرًا فِي سَاحِلِهِ فَرَأَى الإصباحَ بِهِمْ ظُلَمَا
مِنْ كُلِّ فَتَى بِالصَّفْعِ بَدَا مِثْلَ القِصَّارِ إِذَا اخْتَزَمَا
فَسَقَاهُ بِهَا صِرْفًا سَبْعَا وَسَقَاهُ بِهَا سَبْعِينَ بِمَا

وقال ناصر الدين حسن بن النقيب أيضاً: [من الوافر]

وَمَا أَنْسَاهُ فِي التَّيروزِ لَمَّا تَأَمَّرَ والإِمَارَةُ فِيهِ تَكْفِي
وَقَدْ أُوْمِتْ إِلَيْهِ كُلُّ كَفٍّ رَأَتْ ذَاكَ القِذَالُ بِكُلِّ خُفٍّ^(١)
فَطَرَّرَ عُنْقَهُ بِالصَّفْعِ مَنَّا وَمَا أَنْمُوذَجَ التَّطَرِيزَ مَخْفِي
وما استعمل التطريز أحد أحسن من هذا خصوصاً وقد رشحه بقوله: مخفي.

وقلت أنا في ذلك: [من الطويل]

وَرُبَّ صَدِيقٍ عَآظِهِ حِينَ جَاءَهُ مِنْ القَوْمِ صَفْعٌ دَائِمُ الهُطْلِ بِالنُّطْلِ^(٢)
فَقُلْتُ لَهُ تَأْبَى المُرُوءَةُ أَنَّنَا نُخْلِيكَ يَا بَسْتَانُ فِينَا بِلا نَخْلِ

كان بمصر شاعر يقال له أبو المكارم بن وزير، بلغ ابن سناء الملك أنّه هجاه فأدّبه وشتّمه. فكتب إليه ابن المنجم الشاعر يقول: [من البسيط]

قُلْ لِلسَّعِيدِ أَدَامَ اللّهُ مُنْتَقِمًا مِنْهُ وَمِنْ بَعْدِ هَذَا ظَلَّتْ تَشْتِمُهُ
هَجَوُ بِهِجُو وَهَذَا الصَّفْعُ فِيهِ رَبًّا وَالشَّرْعُ لَا يَقْتَضِيهِ بَلْ يُحَرِّمُهُ
فَإِنْ تَقُلْ مَا لِهَجْوٍ عِنْدَهُ أَثَرُ فَالصَّفْعُ وَاللّهُ أَيْضًا لَيْسَ يُؤْلِمُهُ

وسمعت أنا امرأة تسأل من في رقبته دمّل: ما هذا؟ فقال لها: طلوع. فقالت: أشتهي واللّه أن أنزل في هذا الطلوع. وأنشدني القاضي شهاب الدين محمود لنفسه

(١) القَذَالُ: جماع مؤخر الرأس.

(٢) النُّطْلُ: خُثارة الشراب.

إجازة فيمن صفع وقال لكمت ودفعت قوله: [من مجزوء الرمل]

يَا مُسَمِّي الصَّفْعَ لَكُمَا وَمُعِيدَ الدَّالِ عَيْنَا
قُلْ لِمَنْ يَخْتَارُ مَا اخْتَر تَ فَلَانَا قَدْ رَأَيْنَا

وما أظرف قول القائل: [من الطويل]

حَبَاهَا بِإِكْرَامٍ وَقَامَ مُبَادِرًا إِلَى وَتَدِ الْمَقْيَادِ عَلَّقَ خُفَّهَا
وَكَانَ إِذَا مَا رَابَهُ سُوءٌ فَعَلَهَا يَبْلُ قَفَاهُ ثُمَّ يَصْفَعُ كَفَّهَا

وقال ابن دانيال في السراج الحوراني: [من الطويل]

رَأَيْتُ سِرَاجَ الدِّينِ لِلصَّفْعِ صَالِحًا وَلَكِنَّهُ فِي عِلْمِهِ فَاسِدُ الدَّهْنِ
أَسْتَرَهُ بِالْكَفِّ خَوْفَ أَنْطِفَائِهِ وَأَفْتَهُ مِنْ طَفْنِهِ كَثْرَةُ الدَّهْنِ

وما أحسن قول القائل: [من المتقارب]

أَرَى الصَّفْعَ وَرَدَّ مِنْهُ الْقَذَالَا وَأَوْسَعَ فِي أَخْدَعِيهِ الْمَجَالَا^(١)
وَأَسْلَاهُ عَنْ حُبِّ ذَاتِ اللَّامِي وَإِنْ هِيَ فَاقَتْ وَرَاقَتْ جَمَالَا^(٢)
لَئِنْ كَانَ قَدْ حَالَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْحَبِيبَةِ صَفْعٌ تَوَالِي
فَقَدْ يَحْدُثُ الظَّرْفُ بَيْنَ الْمُضَافِ وَبَيْنَ الْمُضَافِ إِلَيْهِ انْفِصَالَا

ما أحسن ذكر الظرف ههنا، ومن شواهد فصل المضاف من المضاف إليه قول

الشاعر: [من الوافر]

كَمَا خُطَّ الْكِتَابُ بِكَفِّ يَوْمًا يَهُودِيٌّ يُقَارِبُ أَوْ يُزِيلُ
فَكَفَّ مُضَافٌ إِلَى يَهُودِيٍّ وَلَكِنِ الظَّرْفُ فَصْلٌ بَيْنَهُمَا وَهُوَ يَوْمًا. وما أحسن قول
ابن سكرة الهاشمي^(٣) أَوْ ابْنِ حَجَّاجٍ^(٤): [من المنسرح]

قَالَ غَلَامِي وَمُقَلَّتَاهُ تَكِفُّ وَجِسْمُهُ ظَاهِرُ السَّقَامِ دَنِفُ^(٥)

(١) الأخدعان: عرقان في جانبي العنق.

(٢) اللمي: سُمرة في الشفة تُستحسن.

(٣) هو أبو الحسن، محمد بن عبد الله بن محمد الهاشمي، المعروف بابن سكرة، من ولد علي بن المهدي العباسي: شاعر كبير من أهل بغداد. توفي سنة ٣٨٥هـ / ٩٩٥م. (تاريخ بغداد: ٥/ ٤٦٥).

(٤) هو أبو عبد الله، حسين بن أحمد بن محمد بن جعفر بن محمد بن الحجاج البغدادي: شاعر فحل، من كتّاب العصر البويهّي، غلب عليه الهزل. توفي سنة ٣٩١هـ / ١٠٠١م. (تاريخ بغداد: ١٤/ ٨).

(٥) تَكِفُّ: تسيل. الدَّنِفُ: المريض.

خَدَمْتَنَا هَذِهِ الَّتِي كَثُرَ الْإِزْجَافُ فِي أَمْرِهَا فَلَيْسَ يَقْفُ^(١)
قَدْ عَزَلُونَا عَنْهَا فَقُلْتُ نَعَمْ وَصَادَفَا عَيْنَ وَأَوْنُونَ أَلْفُ
تَنَامُ عَنِّي وَعَيْنُ النَّجْمِ سَاهِرَةٌ وَتَسْتَحِيلُ وَصَبَغُ اللَّيْلِ لَمْ يَحُلْ

اللغة. النوم: معروف وهو ضد اليقظة. العين: حاسة الإبصار وهي مؤنثة والجمع أعين وعيون وأعيان. قال الشاعر: كأعيان الجراد المنظم. وتصغيرها عيينة ومنه قيل للجاسوس: ذو العينين. النجم: الكوكب، ومتى أطلق فالمراد به الثريا فإن أخرجت منه الألف واللام تنكر. ساهرة: السهر ضد النوم. وقد سهر بالكسر فهو سهران وساهر وأسهره غيره. وتستحيل: الاستحالة التغيّر وحالت القوس واستحالت بمعنى إذا انقلبت عن حالها التي عمرت عليها وحصل فيها اعوجاج. الصبغ: اللون، تقول: صبغت الثوب أصبغه وأصبغه صبغاً بالفتح وبالكسر: ما يصبغ به، فعلى هذا اللفظ الصحيح في البيت صبغ بالفتح. الليل: ضد النهار وهو من لدن غروب الشمس إلى وقت طلوعها وهو الليل الطبيعي، والليل الشرعي من لدن إقبال الظلام في الشرق إلى وقت الفجر الثاني. وأما سليمان الأعمش فقال: النهار الشرعي من أول بزوغ الشمس محتجاً بقوله ﷺ: «صلاتا النهار عجموان، أي لا يجهر فيهما، ولعمري إن ما قاله لجيد وإن كان الصحيح خلافه، فإن رسول الله ﷺ قرّر أن صلاة النهار عجماء، فعلم من هذا أن صلاة الليل غير عجماء وهي المجهور فيها، والله تعالى قال: ﴿إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨] أي مجهوراً به وما يجهر فيه يكون حكمه داخلاً في الليل. ويقال: إنه قيل لأبي حنيفة: ألا تمضي إلى الأعمش^(٢) تسلم عليه؟ قال: كيف أسلم على من لم يصم رمضان قط. وقال وكيع: سمعت الأعمش يقول: لولا الشهرة لصليت الفجر ثم تسخّرت. قال الشيخ الإمام الحافظ شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي: كان هذا مذهب الأعمش وهو على الذي روى النسائي من حديث عاصم عن زرعة عن حذيفة^(٣) قال: تسحرنا مع رسول الله ﷺ وكان ضوء النهار، إلا أن الشمس لم تطلع، ذكر ذلك في تاريخه الكبير الذي قرأته عليه حوادث وأجازنيه تراجم.

(١) الإرجاف: الخبر الكاذب المثير للفتن والاضطراب.

(٢) هو أبو محمد، سليمان بن مهران الأسدي بالولاء، المعروف بالأعمش: تابعي مشهور. نشأ بالكوفة، وتوفي فيها سنة ١٤٨هـ/ ٧٦٥م. (تاريخ بغداد: ٣/٩).

(٣) هو أبو عبد الله، حذيفة بن حسل بن جابر العبسي، واليمان لقب حسل: صحابي، من الولاة الشجعان الفاتحين، كان صاحب سرّ النبي ﷺ في المنافقين، لم يعلمهم أحد غيره. توفي سنة ٣٦هـ/ ٦٥٦م. (الأعلام: ١٧١/٢).

قلت: وأكّد الإمام فخر الدين مذهب الأعمش ونصره ببحث قال منه: لو بحثنا عن حقيقة الليل في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٩٨] وجدناها عبارة عن زمان غيبة الشمس، بدليل أن الله تعالى سمى ما بعد المغرب ليلاً مع بقاء الضوء فيه فثبت أن يكون الأمر من الطرف الأول من النهار كذلك، فيكون ما قبل طلوع الشمس ليلاً وإن لا يوجد النهار إلا عند طلوع القرص.

قلت: الآية الكريمة قد بيّنت حرمة أكل الصائم في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَبَيِّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧]، فقد أبانت غاية الأكل بحثي فهذا نص صريح في غاية مدة أكل الصائم في الليل والخيط الأبيض هو الفجر الثاني الذي يستطيل في الأفق من القبلة إلى الشمال وليس الفجر الكاذب الذي يأخذ أولاً من ذيل الأفق إلى قريب من ثلثه طولاً وهو المسمى بذنب السرحان، وهذا الفجر الكاذب من الأدلة القوية على الفاعل المختار لأن تعليله يشق على الحكيم، إذ لا سبب له غير الشمس لكونه أولاً يبدأ أخذاً إلى فوق ثم يذهب ويأخذ بعد قليل في الأفق عرضاً من اليمين إلى الشمال فإن كان ذلك بواسطة الشمس فكان ينبغي أن يكون في الغرب مثله عند العشاء الأخيرة، فإذا غاب الشفق يظهر بعد قليل بياض مستطيل شبيه بذنب السرحان، وقد قال بعض الحمقى أن في جبل قاف طاقة إذا حادثها الشمس خرج الضوء من تلك الطاقة، فإذا بعدت المحاذاة بطل الضوء، فإذا قاربت الشمس الظهر بدا الضوء الثاني، فحصل الفجران وهذا من خرافات العقول، وأكاذيب الأوهام، وأباطيل الحدس، وقد ذكر شهاب الدين أحمد بن إدريس المالكي القرافي في كتابه «الاستبصار فيما تدركه الأبصار» تعليل ذلك وفيه نظر.

(الإعراب). تنام: مضارع نام فهو نائم والجمع نيام وجمع نائمة نوّم على الأصل ونيم على اللفظ. وتقول: نمت وأصله نومت بكسر الواو، فلما سكنت سقطت لاجتماع الساكنين ونقلت حركتها إلى ما قبلها وكان حق النون أن تضم لتدل على الواو الساقطة كما ضمت القاف من قلت، إلا أنهم كسروها للفرق بين المضموم والمفتوح، وأما أكلت فإنما كسروها لتدل على الياء الساقطة. وأما على مذهب الكسائي فالقياس يستمر لأنه يقول أصل قال قول بضم الواو وأصل كال كِيل بكسر الياء، والأمر منه نم بفتح النون وكذلك بناء المستقبل لأن الواو المنقلبة ألفاً سقطت لاجتماع الساكنين. وهنا أيضاً حذفت الهمزة التي للاستفهام لأن أصله أتنام عني وحذفها جائز في ضرورة كما تقدم. (عتي): جار ومجرور، أصله من الجارة، ودخلت نون الوقاية على النون الأصلية فلهذا شددت في اللفظ وكتبت بنون واحدة والياء ضمير المتكلم فهو مجرور بعن، ومن العرب من لا يدخل نون الوقاية على

عن ولا على من ويقول عني ومني بنون واحدة مخففة، وعن هنا معناها التجاوز أي تتجاوز أمري وتنام، وتقدّم الكلام على تقسيم عن في أول القصيدة. (وعين النجم): الواو للابتداء وعين مرفوع على أنه مبتدأ والنجم مجرور بالإضافة، والإضافة هنا معنوية وهي مقدّرة باللام. (ساهرة): مرفوع على أنه خبر المبتدأ والأحسن أن تكون ساهرة منصوبة على الحال والخبر محذوف، كما قرئ: ونحن عُصبةً بالنصب معناه: ونحن نرى عصبةً فكذا يقدر هنا وعين النجم ترى ساهرة، إذ المعنى أتنام عني وهذه عين النجم ترى ساهرةً لأجلّي وتستحيل علي، وهذا صبغ الليل يرى غير حائل. وفي تقديره هكذا توبيخ له لكونه من ذوي الحواسّ وقد نام عنه واستحال عليه وهذان غير حاسّين. ومع ذلك فقد سهرت عين النجم ورُئيت في حال غير نائمة ولم يستحل صبغ الليل رحمةً ووفاءً. وإذا جعلت ساهرة خبراً لعين النجم وصبغ مبتدأ ولم يحل الخبر وكانت الجملة في الموضعين في تقدير الحال ذهب معنى التقرّيع والتوبيخ الذي تقرّر، ويعود المعنى: أتنام عني والحال من النجم والليل كذا وكذا. وإن شئت قدرت عين النجم خبراً والمبتدأ محذوف تقديره: وهذه عين النجم ساهرة، ويكون فيه معنى زائد في التوبيخ، لأنك إذا قلت: أيخفى عليك ما أردت وهذا الطفل قد فهمه فيه معنى زائد على قولك: أيخفى عليك ما أردت والطفل قد فهمه. (وتستحيل): الواو عاطفة الجملة الفعلية على مثلها وهما تستحيل وتنام. تستحيل: فعل مضارع مرفوع لخلوّه من الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه كما تنام. (وصبغ): الواو للابتداء، وصبغ مرفوع إمّا على أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره يرى أو على أنه خبر مبتدأ محذوف تقديره وهذا صبغ الليل على ما تقدّم. (الليل): مجرور بالإضافة المعنوية وهي مقدّرة باللام. (لم): حرف يجزم الفعل المضارع وهي من خصائصه وعملت فيه الجزم لأنها دخلت عليه فنقلته من الاستقبال إلى الماضي فاختصّت به لهذا المعنى وكان عملها الجزم قياساً على أن الشرطية لأنها تدخل على الماضي فتنقله من الماضي إلى الاستقبال وهي مع ذلك تقتضي شرطاً وجزاءً وهما جملتان فطال ما اقتضته وكان لا بدّ من العمل فناسب أن يكون الجزم ليقابل طول ما اقتضته بهذه الخفة. (يحل): فعل مضارع مجزوم بلم وكان أصله يحول فاجتمع ساكنان وهما الواو واللام آخر الفعل لدخول الجازم، والأوّل حرف علة فحذف وبقي آخر الفعل ساكناً ثم اضطر الشاعر إلى حركة الساكن فكسره، إذ القاعدة في الساكن أنه إذا حرك كسر لأنهما أخوان في أن كل واحدٍ منهما مختص بنوع من الكلم فالجر بالأسماء والجزم بالأفعال. وما أحسن قول من قال: دخول لم على المضارع كدخول الدواء المسهل على الجسد إن وجد فضلة

أزالها وإلا أضعف البدن، وكذا إن كان المضارع فيه علّة متوسطة أو متطرفة أذهبها وإن كان صحيحاً أضعفه لأنه ينقله من الحركة إلى السكون، ولو أن جالينوس كان يعلّل نحو العرب ما أتى بأحسن من هذه المناسبة، وقد قيل: إنه كان يعرف النحو اليوناني. بقي في البيت سؤال، وهو أن مفعول تستحيل ما هو، لأنّ تستحيل من الاستحالة وهي استفعال من الإحالة، تقول: استحال زيد على عمرو، فالجواب أنه محذوف تقديره عليّ، وحسن حذفه كونه معلوماً من السياق لأنه إذ قال: تنام عني علم أن معنى قوله: وتستحيل أي عليّ فهو جار ومجرور موضعه نصب على المفعولية.

(المعنى): أتنام عني وهذه عين النجم تراها ساهرة لما أفاسيه وأكابده من الفكر. وتستحيل عليّ وصبح الليل كما تراه لم يحل ولم يتغيّر، وفي هذا إدماج لأنه أدمج في هذه العبارة أن الليل طويل عليه لم ينسلخ من سواده إلى الفجر. وما أحسن قول ابن الساعاتي: [من الخفيف]

نَمْتُمْ عَنْ سَهَادِ جَفْنِي وَلَا يَعْلَمُ مَا ضَرَّ سَاهِرًا مَنْ يَنَامُ
مَا رَعَيْتُمْ حَقَّ الْجَوَارِ وَإِنْ كَا نَ بَادَتْ لِي الْجَوَارِ يُرَعَى الزَّمَامُ

وقال الأرجاني: [من الطويل]

فَلَا تُنْكِرُوا حَقَّ الْمَشُوقِ فَإِنَّمَا لَنَا وَعَلَيْكُمْ أَنْجُمُ اللَّيْلِ تَشْهَدُ
أَبَيْتُ نَجِيَّ الْهَمِّ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ كَأَنَّ بِهَا طَرْفِي طِرَافٌ مُمَدَّدُ

وقال ابن الهبارية^(١): [من المتقارب]

لَقَدْ سَاهَرْتَنِي عُيُونُ الدَّجَى وَقَدْ نِمْنَ عَنِّي عُيُونُ الْمَلَحِ
إِذَا مَا شَكَ اللَّيْلُ هَجَرَ الصَّبَاحِ شَكُوْتُ إِلَى اللَّيْلِ هَجَرَ الصَّبَاحِ

وقال ابن خفاجة: [من الكامل]

لَا تَسْأَلُوا عَنِّي الْخِيَالَ فَإِنَّهُ مَا زَارَنِي عَنْكُمْ فَيَعْلَمُ مَا بِي
وَاسْتَخْبَرُوا لَيْلًا رَعَيْتُ نُجُومَهُ فَتَضَا وَلَمْ يَنْصُلْ دُجَاهُ خَضَابِي^(٢)
سَهَرْتُ كَوَاكِبَهُ مَعِيَ وَرَقَدْتُمْ أَنْتُمْ كَوَاكِبُهُ وَهَنَ صَحَابِي

(١) هو أبو يعلى، محمد بن محمد بن صالح العباسي، المعروف بابن الهبارية: شاعر هجاء، ولد في بغداد، وأقام مدةً بأصبهان، وتوفي في كرمان سنة ٥٠٩هـ / ١١١٥. (شذرات الذهب: ٢٤/٤).

(٢) تَضَا اللون نضوا: نَصَلَ، وَنَضَا الشيء: نَزَعَهُ وَأَلْقَاهُ، وَنَضَا المكان: جَاوَزَهُ وَخَلَّفَهُ. نَصَلَ اللون نضولاً: زال، ونصل الشعر أو الثوب: زال عنه خضابه أو لونه.

وقلت أنا في هذه المادّة: [من السريع]

أشكو إلى البدر ليالي الجفا وليس يذري ما بمُضْنَاكِ^(١)
فهو سَمِيرِي أتسلّى به وإنّما البدر مُحْيَاكِ

وما أحسن قول القائل في طول الليل: [من الطويل]

كأنّ الثريا راحة تُشبر الدجى لتعلم طال الليل أم قد تعرّضا
فليل تراه بين شرق ومغرب يُقاس بشبر كيف يُرجى له انقضا

وأخذه الشيخ صدر الدين بن الوكيل وزاده فقال: [من الطويل]

بكف الثريا وهي جذماً تقاس لي شقاق دجى مدّت من الشرق للغرب
ولو دَرعوها بالذراع لما انقضت فما تنقضي يا ليل أو ينقضي نحبي

وقال شرف الدين أحمد بن نصير بن كامل بن علي بن منقذ: [من الكامل]
ولرب ليل تاه فيه نجمه قَطَعْتُهُ سَهْراً فطال وعَسَعَسَا^(٢)
وسألتُه عن صُبحه فأجابني لو كان في قيد الحياة تنفّسا

ومثله قول الآخر: [من المجتث]

مات الظلام بـليل أحييته حين عَسَعَسَ
لو كان لليل صُبح يعيش كان تنفّس

وقال شرف الدين أحمد المذكور: [من الكامل]

لمّا رأيت النجم ساه طرفه والقطب قد ألقى عليه سُبَاتَا
وبنات نعش في الحداد سوافراً أيقنت أنّ صباحه قد مَاتَا

وما أحسن اعتذار الأرجاني عن طول الليل: [من الكامل]

لا أدعي جور الزمان ولا أرى ليلى يزيد على الليالي طولا
لكنّ مرآة الصباح تنفسي لهم أضدا وجهها المصقولا

وما أرشق قول خالد الكاتب: [من المتقارب]

رقدت ولم تَرِثِ للسّاهر وليل المحب بلا آخر

(١) المُضْنَى: المريض المُتَعَبُ.

(٢) عَسَعَسَ الليل: أقبل بظلامه.

وأنصف من قال: [من الطويل]

وَمَالِيلُنَا إِلَّا سَوَاءٌ وَإِنَّمَا تَفَاوُتُهُ أَنَا سَهْرُنَا وَنَمْتُمْ

وقال زكي الدين بن أبي الإصبع: [من الطويل]

وَسَاقٍ إِذَا مَا ضَا حَكَ الْكَاسَ قَابَلْتُ فَوَاقِعُهَا مِنْ ثَغْرِهَ اللَّوْلُؤَ الرَّطْبَا
خَشِيتُ وَقَدْ أَمْسَى نَدِيمِي عَلَى الدَّجَى فَأَسْدَلْتُ دُونَ الصَّبْحِ مِنْ شَعْرِهِ الْحُجْبَا
وَقَسَمْتُ شَمْسَ الطَّاسِ بِالْكَاسِ أَنْجَمًا فَيَا طَوَّلَ لَيْلٍ قُسِمَتْ شَمْسُهُ شُهْبَا

أخذ الأصل من قول القائل: [من المتقارب]

تَرَى الشَّمْسَ قَدْ مُسِخَتْ كَوْكَبًا وَقَدْ طَلَعَتْ فِي عَدَادِ النُّجُومِ

(رجع): وأين صاحب الطغرائي من قول أبي الطيّب^(١): [من البسيط]

لَا أَسْتَزِيدُكَ فِيمَا فِيكَ مِنْ كَرَمٍ أَنَا الَّذِي نَامَ إِذْ نَبَّهْتُ يَقْظَانَا

وهو مأخوذ من قول بشار بن برد^(٢): [من المتقارب]

إِذَا أَيْقَظْتُكَ حُرُوبَ الْعِدَى فَنَبَّهَ لَهَا عَمَرًا ثَمَّ نَمَ

وله عذر في نومه واستحالته على الطغرائي لأن هذا الصاحب سائر على مطايا الراحة والأمن، والطغرائي قد اقتعد في ذروة القلق والجدة والروع والطلب، وهيئات بينهما فرق بعيد وبون، وقد ضلّ من اعتقد أن الصاحب له في الشدائد عون، ويا ويل الشجي من الخلي، وهان على الأملس ما لاقى الدبر، ومن هذا قول ابن قلاقس الإسكندري: [من السريع]

يُغَيِّظُنِي وَهُوَ عَلَى رِسْلِهِ وَالْمَرْءُ فِي غَيْظٍ سِوَاهُ حَلِيمٍ

يقال: إن أبا أيوب المرزباني وزير المنصور كان إذا دعاه المنصور يصفرّ لونه ويرعد فإذا خرج من عنده تراجع له لونه، ف قيل له: إنّنا نراك مع كثرة دخولك إلى أمير المؤمنين وأنسه بك تتغير إذا دخلت إليه. فقال: مثلي ومثلكم في هذا مثل بازي وديك تناظرا، فقال البازي للديك: ما أعرف أقلّ وفاء منك لأصحابك قال: وكيف ذلك؟ قال: تؤخذ بيضة فيحضنك أهلك وتخرج على أيديهم فيطعمونك بأكفهم حتى إذا كبرت صرت لا يدنو منك أحد إلّا طرت من هنا إلى هناك وصحت، وإن علوت حائط دار كنت فيها سنين طرت منها وتركتها وصرت إلى غيرها، وأما أنا فأؤخذ من

(١) ديوان المتنبي: ٣٣٧/١.

(٢) ديوان بشار بن برد: ١٦٠/٤.

الجبّال وقد كبر سني فتخاط عيني، وأطعم الشيء اليسير، وأساهر فأمنع من النوم، وأونس اليوم واليومين ثم أطلق على الصيد فأطير وحدي وآخذه وأجّيء به إلى صاحبي. فقال له الديك: ذهبت عنك الحجة أما لو رأيت بازين في سفود ما عدت إليهم أبداً، وأنا في كل وقت أرى السفافيد مملوءة ديوكاً، فلا تكن حليماً عند غضب غيرك. وأنتم لو عرفتم من المنصور ما أعرفه لكتنتم أسوأ حالاً مني عند طلبه لكم.

قلت: وكأنّ أبا أيوب كان قد استشعر إيقاع المنصور به فإنه أوقع به فيما بعد وعذّبه وأخذ أمواله، وكانت أموالاً عظيمة. وما أفاده الدهن الذي ضرب به المثل شيئاً فإن في أفواه العوام دهن أبي أيوب. قيل: إنه كان يدهن حاجبيه بدهن يسحر فيه المنصور إذا رآه فلا يتمكن منه.

(رجع): واستعارة العين للنجم في بيت الطغرائي من أحسن ما يكون. قال ابن نباتة السعدي: [من الطويل]

وَحِطَّةٌ ضَيِّمٌ قَدْ أَبَيْتُ وَلَيْلَةً سَرِيْتُ فَكَانَ الْمَجْدُ مَا أَنَا صَانِعُ
هَتَكَتْ دُجَاهَا وَالنَّجُومُ كَأَنَّهَا عُيُونٌ لَهَا ثَوْبُ السَّمَاءِ بَرَّاقِعُ

وقال الأرجاني: [من الخفيف]

ثُمَّ خَافَتْ لَمَّا رَأَتْ أَنْجَمَ اللَّيْلِ لِي شَبِيهَاتِ أَعْيُنِ الرُّقَبَاءِ
وهو مأخوذ من قول ابن المعتز^(١): [من الكامل]

مَا رَاعَنَا تَحْتَ الدُّجَى شَيْءٌ سِوَى شِبْهِ النَّجُومِ بِأَعْيُنِ الرُّقَبَاءِ
ومن الألغاز في السماء والنجوم: [من المتقارب]

وَحَسْنَاءُ خَرَسَاءٌ لَا تَنْطِقُ يَرُوقُكَ مَلَبَسُهَا الْأَزْرَقُ
وَأَحْسَنُ مِنْ كُلِّ مُسْتَحْسَنِ عُيُونٌ لَهَا فِي الدُّجَى تَبْرُقُ

وقال ابن طباطبا العلوي^(٢): [من الطويل]

وَقَدْ لَاحَتِ الشَّعْرَى الْعَبُورُ كَأَنَّهَا طَرَفٌ تَقْلَبُ بِالْذُّمُوعِ هُمُوعُ

(١) ديوان ابن المعتز: ١٩.

(٢) هو أبو الحسن، محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم العلوي، المعروف بابن طباطبا: عالم، أديب، شاعر. ولد بأصبهان، وتوفي فيها سنة ٣٢٢هـ / ٩٣٤م. (معجم الشعراء، المرزباني: ٤٢٧؛ معجم المؤلفين: ٣١٢/٨).

وقال أيضاً: [من الخفيف]

وَكَأَنَّ النُّجُومَ لَمَّا تَدَانَى الصُّبْحُ أَجْفَانُ مُسْتَهَامٍ كَثِيبٍ
شَاحَصَاتٍ إِلَى السَّمَاءِ فَمَا تَطَّ رَفُ أَجْفَانُهَا مِنْ التَّغْرِيبِ
زَاهِرَاتٍ كَأَنَّهَا زَمَنُ الْجَا هَلِ فِي حِنْدُسٍ كَدَّهَرِ الْأَدِيبِ^(١)

وما أحسن هذا الثالث وألطف تخيله . وقد استعمل أبو العلاء المعري دهر الأديب أيضاً فقال^(٢): [من الخفيف]

خَبَّرَنِي مَاذَا كَرِهْتَ مِنَ الشَّيْبِ يَبِ فَلَا عِلْمَ لِي بِذَنْبِ الْمَشِيبِ
أَضْيَاءَ النَّهَارِ أَمْ وَضَحَ اللَّوْلُؤِ أَمْ كَوْنُهُ كَثُغَرِ الْحَبِيبِ
وَإِذْ كَرِي لِي فَضْلُ الشَّبَابِ وَمَا يَجِدُ مَعُ مِنْ مَنْظَرِ يَرُوقُ وَطِيبِ
عَدْرُهُ بِالْخَلِيلِ أَمْ حُبُّهُ لِلْغِيِّ أَمْ أَنَّهُ كَدَّهَرِ الْأَدِيبِ^(٣)

وهذا هو تشبيه المعقول بالمحسوس وهو أعلى مراتب التشبيه طبقة لأنه ينشأ عن لطف ذوق وسلامة فطرة وصحة تخيل فهو صعب على من يرومه متقاعس عمّن جذب زمامه لأن العلوم العقلية تستفاد من الحواس في المقادير والألوان والطعوم والرائحة وطيب النغم ونعومة الملمس وخشونته، ولهذا قالوا: من فقد حاسة فقد علماً، وإذا كان كذلك فالمحسوس أصل والمعقول فرع، وتشبيه المعقول بالمحسوس من باب ردّ الفرع أصلاً والأصل فرعاً، وأحسن ما جاء فيه قول القائل: [من الخفيف]

وَكَأَنَّ النُّجُومَ بَيْنَ دُجَاهَا سُنَنٌ لَاحَ بَيْنَهُنَّ ابْتِدَاعُ
وقول الآخر: [من الوافر]

كَأَنَّ الْقَلْبَ وَالسَّلْوَانَ ذَهَنٌ يَحُومُ عَلَيْهِ مَعْنَى مُسْتَحِيلُ
وقول الآخر: [من الطويل]

كَأَنَّ انْتِضَاءَ الْبَدْرِ تَحْتَ غَمَامَةٍ نَجَاةٌ مِنَ الْبَأْسَاءِ بَعْدَ وَقُوعِ
وقول أبي طالب الرقي^(٤): [من الكامل]

وَلَقَدْ ذَكَرْتُكَ وَالظَّلَامُ كَأَنَّهُ يَوْمُ النَّوَى وَفُؤَادُ مَنْ لَمْ يَعْشَقِ

(١) الحِنْدُسُ: الظلمة. (٢) سقط الزند: ٢٥٠.

(٣) في سقط الزند: «كَدَّهَرِ الْأَرِيبِ». الأريب: العاقل.

(٤) البيت في خزنة الأدب، الحموي: ٣٩٦/١.

وقول جَحْظَةَ الْبَرْمَكِيِّ^(١): [من الوافر]

وَرَقَّ الْجَوُّ حَتَّى قِيلَ هَذَا عِتَابٌ بَيْنَ جَحْظَةِ وَالزَّمَانِ
قَرَأْتُ عَلَى الشَّيْخِ الْإِمَامِ الْأَدِيبِ الْكَاتِبِ شَهَابِ الدِّينِ أَبِي الثَّنَاءِ مُحَمَّدٍ قَوْلَهُ
فِي كِتَابِهِ «حَسَنَ التَّوَسُّلِ» يَصِفُ حَصْنًا: [من البسيط]

كَأَنَّهُ وَكَأَنَّ الْجَوَّ يَكْنُفُهُ وَهُمْ تُمَثِّلُهُ فِي طَيِّهَا الْفِكْرُ
وقول ابن الهبارية: [من البسيط]

كَمْ لَيْلَةٍ بَتُّ مَطْوِيًّا عَلَى حُرْقٍ أَشْكُو إِلَى النَّجْمِ حَتَّى كَادَ يَشْكُونِي
وَالصَّبْحُ قَدْ مَطَّلَ الشَّرْقَ الْعُبُورَ بِهِ كَأَنَّهُ حَاجَةٌ فِي نَفْسِ مِسْكِينٍ

وقول أبو القاسم سعد بن إبراهيم: [من الكامل]

تَتَنَفَّسُ الصَّهْبَاءُ فِي لَهَوَاتِهِ كَتَنَفُّسِ الرِّيحَانِ فِي الْأَصَالِ^(٢)
وَكَأَنَّمَا الْخِيْلَانُ فِي وَجَنَاتِهِ سَاعَاتُ هَجْرٍ فِي زَمَانٍ وَصَالٍ^(٣)

وهو مأخوذ برمّته من قول الآخر: [من السريع]

أَسْفَرَ ضَوْءُ الصَّبْحِ مِنْ وَجْهِهِ فَقَامَ خَالُ الْخَدِّ فِيهِ بِلَالُ
كَأَنَّمَا الْخَالُ عَلَى خَدِّهِ سَاعَةٌ هَجْرٍ فِي زَمَانٍ الْوِصَالُ

وأخذه الشهاب ابن المعمار فقال في خَالٍ قَبِيحٍ عَلَى خَدِّ مَلِيحٍ: [من مجزوء الرمل]

وَجْهِكَ الزَّاهِرُ نَوَّرَ فِيهِ خَالٌ غَيْرَ حَالٍ
سَاعَةٌ مِنْ لَيْلٍ هَجْرٍ فِي نَهَارٍ مِنْ وَصَالٍ

وكلاهما أخذ المعنى من المعتمد بن عباد حيث قال: [من الكامل]

أَكْثَرْتَ هَجْرَكَ غَيْرَ أَنَّكَ رُبَّمَا عَظَفْتُكَ أَحْيَانًا عَلَيَّ أُمُورُ
فَكَأَنَّمَا زَمَنُ التَّهَاجُرِ بَيْنَنَا لَيْلٌ وَسَاعَاتُ الْوِصَالِ بُدُورُ

وقول الآخر: [من الطويل]

وَلِي سَنَةٌ لَمْ أَدْرِ مَا سِنَةُ الْكَرَى كَأَنَّ جُفُونِي مَسْمَعِي وَالْكَرَى الْعَذْلُ

(١) هو أبو الحسن، أحمد بن جعفر بن موسى ابن الوزير يحيى بن خالد بن برمك: نديم، أديب، مُعَنَّ، من بقايا البرامكة، من أهل بغداد. توفي سنة ٣٢٤هـ / ٩٣٦م. (تاريخ بغداد: ٦٥/٤).

(٢) الصهباء: الخمر. اللهوات: جمع اللهاة: اللحمة المشرفة على الحلق.

(٣) الخيلان: جمع الخال: الشامة.

وما أحلى قول أبي حفص عمر بن علي المَطوعي^(١): [من مجزوء الكامل]
 قُمْ هَاتِ دَهْقَانِيَّةً وَعَلَيْكَ بِالكَاسِ الدِّهَاقِ^(٢)
 أَوْ مَا تَرَى نُورَ الْخِلَا فِ كَأَنَّهُ نُورُ الْوِفَاقِ
 وقوله أيضاً: [من الكامل]

أَوْ مَا تَرَى نُورَ الْخِلَافِ كَأَنَّهُ لَمَّا بَدَا لِلْعَيْنِ نُورُ وَفَاقِ
 أَوْ كَفَّ سِنُّورٍ وَلَكِنْ نَشْرُهُ يَسْعَى بِفَارِ الْمَسْكِ فِي الْآفَاقِ
 وعلى ذكر الفار حكي أن فخر القضاة ابن بُصَاقَة أمسك له فارة بيضاء فصنع
 لها قفصاً وكتب عليه من نظمه: [من السريع]

وَفَارَةٌ بِيَضَاءٍ لَمْ تُمْتَهِنْ يَوْمًا بِإِطْعَامِ السَّنَانِيرِ
 إِذْ فَارَةُ الْمَسْكِ سَمِعْنَا بِهَا وَهَذِهِ فَارَةٌ كَافُورِ
 ومما يستغرب أنه وجد في ذخائر سلطان الدولة ابن بهاء الدولة ابن بويه نملة
 في عنقها سلسلة تأكل كل يوم رطلي لحم بالبغدادي.

فَهَلْ تُعِينُ عَلَى غِيٍّ هَمَمْتُ بِهِ وَالْغِيُّ يَزْجُرُ أَحْيَانًا عَنِ الْفَشْلِ
 (اللغة) الإعانة: المساعدة في الخير والشر. الغي: الضلال، تقول غوى
 بالفتح يغوى غيًّا وغواية فهو غاوٍ وغوٍ. وأغواه غيره فهو غويٌّ على فاعل؛ قال
 الأصمعي: لا يقال غيره، وأنشد قول المرقش^(٣): [من الطويل]

فَمَنْ يَلْقَ خَيْرًا يَحْمَدُ النَّاسُ أَمْرَهُ وَمَنْ يَغْوُ لَا يَعْدُمُ عَلَى الْغِيِّ لَأَمَّا
 سأل بعض المغفلين إنساناً فاضلاً فقال له: كيف تنسب إلى اللغة؟ فقال:
 لُغوي. فقال: أخطأت في ضم اللام إنما الصحيح ما جاء في القرآن قال الله تعالى:
 ﴿إِنَّكَ لَغَوِيٌّ مُبِينٌ﴾ [القصص: ١٨]. الزجر: المنع والنهي. يقال: زجره وأزجره
 فانزجر وأزدجر. أحياناً: الحين الوقت وجمعه أحيان. الفشل: الجبن يقال: فشل
 بالكسر فشلاً إذا جبن. (الإعراب) فهل: الفاء قد تقدّم الكلام عليها وهل حرف

(١) أديب، شاعر، من أهل نيسابور. خدم في شبابه الأمير أبي الفضل الميكالي. توفي نحو ٤٤٠هـ/
 نحو ١٠٤٨م. (الأعلام: ٥٥/٥).

(٢) الدهقانية: الخمر المنسوبة إلى الدهقان، وهو تاجر الخمر. كأس دهاق: مُترعة، ممتلئة.

(٣) هو المرقش الأصغر، ربيعة بن سفيان بن سعد بن مالك بن ضبيعة، عمّ طرفة بن العبد: شاعر
 جاهلي، كان من أجمل الناس وجهاً. توفي نحو ٥٠ق.هـ/ نحو ٥٧٠م. (الأغاني: ٦/١٢٩).
 والبيت في الأغاني: ٦/١٣٢، منسوب إليه ضمن أبيات.

استفهام وهي أخت الهمزة ولها صدر الكلام، تقول: أزيد قائم؟ وأقام زيد؟ وهل زيد قائم؟ وهل قام زيد؟ وإنما كان الاستفهام له صدر الكلام لأنه طلب الفهم، وقيل: لأنه طريق إلى الفهم، وقيل: لأنه قسم من أقسام الكلام فوجب أن يتميز عن غيره من أول مرة، وقيل: لأن أداة الاستفهام تنقل معنى الجملة من الخبر إلى الاستخبار فأشبهه النفي والتمني وغيرهما، ولما كانت الهمزة وهل غير مختصتين كانتا غير عاملتين والهمزة أعم من هل لأنك تقول: أزيداً ضربت أم عمراً؟ وهل لا تقع هنا لأن أم المتصلة لا تقع بعد هل فحيث وجدت هل وجد الفصل أي الانقطاع، وأيضاً فإن قولك: أزيداً ضربت، قد فصلت فيه بين همزة الاستفهام وبين الفعل بالمفعول، ولا يجوز ذلك في هل، فلا تقول: هل زيداً ضربت؟ وتقول: أتضرب زيداً وهو أخوك؟ ولا تقول: هل تضرب زيداً وهو أخوك؟ لأنك في الهمزة تدعي أن الضرب واقع به وأنت توبخه، وفي هل لا تدعي ذلك بل تستفهم عنه فقط. وقد تجيء هل بمعنى قد كقوله تعالى: ﴿وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ﴾ [ص: ٢١] وقوله تعالى: ﴿هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١] وقد تجيء أيضاً بمعنى ما كقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَن يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ٢١٠] (تعين): فعل مضارع من أعان يعين إعانة مرفوع لخلوه عن الناصب والجازم وفاعله ضمير مستتر فيه تقديره أنت. (على غي): جار ومجرور وعلى تكون للاستعلاء حساً مثل: ركبت على الفرس، أو معنى نحو تكبر عليه وفلان علينا أمير وقوله تعالى: ﴿وَلِئَا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَّ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] وفيه لطيفة وذلك أنه أتى بعلى للهدى وبفي للضلال، لأن صاحب الهدى والحق كأنه مستعل على ما هو عليه كالجواد يركض به كيف شاء، وصاحب الضلال والباطل كأنه منغمس فيما هو فيه ورأسه منخفض لا يدري أين يتوجه. وهذا من لطائف القرآن وغوامض معانيه؛ ألا ترى إلى لفظ الهدى كيف وقع بعلى في قوله تعالى: ﴿عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ﴾ [البقرة: ٥] وإلى لفظ الضلال كيف وقع بفي في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْكَدِيمِ﴾ [يوسف: ٩٥] وقد تكون بمعنى في التي للظرفية نحو قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعُوا مَا تَنَلُوا الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مَلِكٍ سُلَيْمَنٌ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَنُ﴾ [البقرة: ١٠٢] ﴿وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ [القصص: ١٥] وقد تكون بمعنى عن كقول الشاعر: [من الوافر]

إِذَا رَضِيَتْ عَلَيَّ بَنُو قَشِيرٍ لَعَمْرُ اللَّهِ أَعْجَبَنِي رِضَاهَا

وقد تكون إسماءً وذلك إذا دخل عليها حرف الجر نحو نزلت من عليه، أي من فوقه، والقول فيها بأنها اسم كالقول في من، وفي على لغات تقول: جاء السيل من علٍ ومن علو بضم الواو وفتحها وكسرها مع سكون اللام، ومن علي ومن علوه ومن

علا بكسر اللام مع الياء وضمها مع الواو وفتحها مع الألف ومن عال فهذه ثمان لغات، وأما ما أنشده البغداديون لابن ثروان من قوله: [من الرجز] **يَا رَبِّ يَوْمَ لِي لَا أَطَائِلُهُ أَرْمَضَ مَنْ تَحْتَ وَأُضْحَى مِنْ عَلَيْهِ** فقال أبو علي: الهاء فيه مشكلة وأبطل أن تكون ضميراً أو هاء سكت. (رجع هممت: فعل ماض تقول: همّ يهّم، وإنما يفك الإدغام عند اتصال الفعل بضمير الرفع، وأما إذا دخل الجازم على المضارع من هذا المشدّد فأت مخيّر بين الفك والإدغام والفك لغة القرآن وهي للحجازيين، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ﴾ [البقرة: ٢١٧] ﴿وَمَنْ يَحْلِلْ عَلَيْهِ غَضَبِي﴾ [طه: ٨١] ﴿وَلَا تَمَنَّ سِتْكِي﴾ [المدثر: ٦] ﴿وَاعْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ﴾ [لقمان: ١٩] والإدغام لغة بني تميم وعليها قوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ﴾ [الحشر: ٤] ولك أن تقول: حُلّ وأحلّل ومُدّ وامدّد وعُضّ واعضّض، والتاء ضمير الفاعل وهو المتكلم. (به): جار ومجرور والباء هنا يحتمل أن تكون للالتصاق، وقد تقدم الكلام عليها، وهممت وما بعده صفة لغويّ في موضع جرّ. (والغويّ): الواو للابتداء والغويّ مرفوع على أنه مبتدأ. (يزجر): فعل مضارع من زجر يزجر وارتفع لخلوه عن الناصب والجازم، وفاعله ضمير مستتر فيه يرجع إلى المبتدأ الذي هو الغويّ والجملة من الفعل والفاعل في موضع رفع على أنها خبر الغويّ. (أحياناً): منصوب على أنه ظرف زمان والعامل فيه يزجر. (عن الفشل): جار ومجرور وعن هنا للمجاوزة ومفعول يزجر محذوف للعلم به لأن التقدير يزجر الإنسان عن الفشل. وعن الفشل في موضع نصب لتعلقه بالفعل وهو يزجر. (المعنى): يقول لصاحبه أتنام عني وتستحيل عليّ فهل لك في أن تعين صاحبك على غيّ همّ به، وسيأتي تفسير ذلك الغيّ فيما بعد فإن الغيّ يمنع الإنسان في بعض الأوقات عن الجبن، وإعانة المرء صاحبه في الحق أمر مندوب إليه. قال الله تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٢] وهذا في الواجبات. وقال ﷺ: «والله في عون العبد ما دام العبد في عون أخيه» وهذا في الأمور المباحة فأما المحظورة فلا، ومن فعل فقد شارك وصار له كفل منه. وورد عن رسول الله ﷺ أنه قال: «أنصر أخاك ظالماً أو مظلوماً». فقليل له: يا رسول الله أنصره مظلوماً فكيف أنصره ظالماً؟ قال: تحجبه عن الظلم فذلك نصرك إياه.

وحدّث عَمْرُو بْنُ سَعِيدٍ بْنُ سَالِمٍ الْبَاهِلِيُّ قَالَ: كُنْتُ مِنْ حَرَسِ الْمَأْمُونِ بِحُلُوانَ حِينَ خَرَجَ مِنْ خِرَاسَانَ بَعْدَ قَتْلِ الْأَمِينِ وَاسْتِثْاقِ الْخِلَافَةِ لَهُ، فَخَرَجَ لِيَنْظُرَ إِلَى الْعَسْكَرِ فِي بَعْضِ اللَّيْلِ فَعَرَفْتَهُ وَلَمْ يَعْرِفْنِي فَأَغْفَلْتَهُ. وَجَاءَ مِنْ وَرَائِي حَتَّى وَضَعَ يَدَهُ عَلَى كَتْفِي فَقَالَ: مَنْ أَنْتَ؟ قُلْتُ: أَنَا عَمْرُو عَمْرٍكَ اللَّهُ ابْنُ سَعِيدٍ أَسْعَدَكَ اللَّهُ

ابن سَالم سلّمك الله. فقال: أنت الذي كنت تكلّونا في هذه الليلة؟ فقلت: الله يكلّوك يا أمير المؤمنين. فأنشأ المأمون يقول: [من الرجز]
 إِنَّ أَخَاكَ الْحَقَّ مَنْ كَانَ مَعَكَ وَمَنْ يَضُرُّ نَفْسَهُ لِيَنْفَعَكَ
 وَمَنْ إِذَا رَيْبُ الزَّمَانِ صَدَّعَكَ شَتَّتَ فِيكَ شَمْلَهُ لِيَجْمَعَكَ
 ثم قال: يا غلام أعطه لكل بيت ألف دينار. فوددت أن تكون الأبيات طالت فأجد الغنى. فقلت: يا أمير المؤمنين وأزيدك بيتاً، فقال لي: هات. فقلت: وإنْ غَدَوْتَ ظَالِماً غَدَا مَعَكَ. فقال: يا غلام أعطه لهذا البيت ألف دينار. فما برحت من موضعي حتى أخذت خمسة آلاف دينار.

قلت: ما فهم المأمون من هذا البيت الأخير إلا ما فسّره رسول الله ﷺ في تمام حديثه المتقدم. وأما الجبن فأمر مذموم؛ قال ﷺ: لا تمنّوا لقاء العدو وإذا لقيتموهم فاصبروا. وفي رواية: فاثبتوا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف. وفي كتاب أبي بكر الصديق رضي الله عنه إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه: إحرص على الموت توهب لك الحياة. وقال عمر رضي الله عنه: الجرأة والجبن من الغرائز التي يضعها الله حيث شاء، فالجبان يفرّ عن أهله وولده، والجريء يقاتل عمن لا يؤوب إلى رحله. وقال خالد بن الوليد عند موته: لقد لقيت كذا وكذا زحفاً وما في جسدي موضع قيس شبر إلا وفيه طعنة أو ضربة أو رمية ثم ها أنا أموت على فراشي حتف أنفي فلا نامت عيون الجبناء. ووقع في أبي فراس الحارث بن حمدان نصل نشاب أقام في بدنه ثلاثين شهراً حتى خرج فقال فيه^(١): [من الطويل]

فَلَا تَصِفَنَّ الْحَرْبَ عِنْدِي فَإِنَّهَا طَعَامِي مُذْبَعْتُ الصِّبَا وَشَرَابِي
 وَقَدْ عَرَفْتُ وَقَعَ الْمَسَامِيرِ مُهْجَتِي وَشُقِّقَ عَنْ زُرْقِ النَّصُولِ إِهَابِي^(٢)
 وَلَجَجْتُ فِي حُلُوِّ الزَّمَانِ وَمُرّه وَأَنْفَقْتُ مِنْ عُمْرِي بَغِيرِ حِسَابٍ^(٣)

وقال أبو الطيب^(٤): [من الوافر]

رَمَانِي الدَّهْرُ بِالْأَرْزَاءِ حَتَّى فُؤَادِي فِي غِشَاءٍ مِنْ نَبَالٍ^(٥)
 فَصِرْتُ إِذَا أَصَابَتْنِي سِهَامٌ تَكَسَّرَتِ النَّصَالُ عَلَى النَّصَالِ

(١) ديوان أبي فراس: ٣٣.

(٢) الإهاب: الجلد.

(٣) لَجَجْتُ: خُضْتُ اللَّجَّةَ، وهي معظم الماء.

(٤) ديوان المتنبي: ١٥/٢.

(٥) الأرزاء: المصائب.

وَهَا أَنَا لَا أَبَالِي بِالرَّزَايَا لَأَنِّي مَا انْتَفَعْتُ بِأَنْ أَبَالِي
(رجع). ويدخل في قول الطغرائي إغراء المحبين من يألّفونه ويحبونه بالإقدام
على الزيارة وركوب الأخطار وتهوين الخطوب في الوصال، ويتوصلون إلى ذلك
بأنواع من سحر الكلام والمغالط التي يستعملها البلغاء في الإغراء والتحذير. ويسمي
أرباب المعقول هذا النوع الخطابة، ومن أحسن ما جاء في ذلك قول القائل: [من
مجزوء الرمل]

قُمْ بِنَا تَفْدِيكَ نَفْسِي نَجْعَلُ الشَّكَّ يَقِينَا
فَالِى كَمْ يَا حَبِيبِي يَأْتُمُ الْقَائِلُ فِينَا

وهو مأخوذ من قول الآخر: [من المنسرح]

إِنْ أَنَسَ لَا أَنَسَ قَوْلَهَا بِمَنْى: وَيَحْكُ إِنَّ الْوُشَاةَ قَدْ عَلِمُوا
وَنَمَّ وَاشٍ بِنَا فَقُلْتُ لَهَا: هَلْ لَكَ يَا هِنْدُ فِي الَّذِي رَعَمُوا
قَالَتْ: لِمَاذَا تَرَى، فَقُلْتُ لَهَا: كَيْ لَا تَضِيعَ الظُّنُونُ وَالتَّهْمُ

وقلت أنا كأني حاضر أسمع مخاطبتهما: [من المنسرح]

هَذَا مُحِبٌّ وَمَا يُخْلَصُهُ فِي دِينِهِ إِنَّ وَشَاتِهِ أَثَمُوا
فَوَاصِلِيهِ وَاضْغِي لِمَغْلَطَةٍ يَقْبَلُهَا مِنْ طِبَاعِهِ الْكَرْمُ
يَا وَيْحَ وَصَلِ أَتَى بِحِيلَتِهِ إِنْ كُنْتَ لَمْ تُرَعْ عِنْدَكَ الدَّمُّ

وأنشدني من لفظه الشيخ العلامة أثير الدين أبو حيّان بالقاهرة سنة تسعمائة
وثمان وعشرين قال: أنشدني أبو عبد الله فتح الدين البكري، قال: أنشدني الجمال
الكاتب محمد بن أبي العزّ المكرم لأبيه: [من البسيط]

النَّاسُ قَدْ أَثَمُوا فِينَا بِظَنِّهِمْ وَصَدَّقُوا بِالَّذِي أَذْرِي وَتَذَرِينَا
مَاذَا يَضُرُّكَ فِي تَحْقِيقِ ظَنِّهِمْ بِأَنْ نُحَقِّقَ مَا فِينَا يَظُنُّونَا
حَمْلِي وَحَمْلُكَ ذَنْباً وَاحِداً ثَقَةً بِالْعَفْوِ أَجْمَلُ مِنْ إِثْمِ الْوَرَى فِينَا

ذكرت بالمغلطة هنا مغالط المنطق، فمنها قولك: الفول يغذو^(١) الحمام،
والحمام يغذو البازي، يلزم من ذلك أن تكون النتيجة الفول يغذو البازي، وهي
كاذبة مع صدق المقدمتين، وقد ذكرها الشيخ شهاب الدين أحمد بن إدريس القرافي
في «أنوار البروق» من جملة عشر مغالط وهي أحسنها لأنني امتحنت بها جماعة من

(١) غذا الرُّجُلُ بالطعام: أعطاه إياه وقَدَّمه له، وغذا الطعام الصبي: نجع فيه وكفاه.

الأذكىاء الفضلاء فلم يتنبهوا لمكان الغلط في ذلك ووجهه أن الضرب الأول من الشكل الأول شرط إنتاجه أن يكون الحدّ الأوسط محمولاً في الصغرى موضوعاً في الكبرى كقولك: العالم متغير، وكل متغير حادث، فالنتيجة: العالم حادث. فلما كان هنا نفس محمول الصغرى موضوعاً في الكبرى أنتج صدقاً بخلاف المسألة الأولى لأن المحمول في الصغرى إنما هو لفظة يغذو، وليس هو الموضوع في الكبرى وإنما الموضوع فيها مفعول يغذو وهو الحمام فلم يتحد الحدّ الأوسط، وهذا نظير قولك: زيد مكرم عمرواً وعمرو مكرم خالدأ. فإنه لا ينتج صدقاً أن زيداً مكرم خالدأ. نعم لو قلت: إن زيداً مكرم عمرواً ومكرم عمرو مكرم خالد، أنتج أن زيداً مكرم خالدأ. فاعرف ذلك فإنك تركب من هذه القاعدة مغالط كثيرة. ومن مغالط شهاب الدين القرافي قولك: الود في الحائط والحائط في الأرض فيلزم منه إنتاج الود في الأرض وهو كاذب بخلاف قولك: الدراهم في الكيس والكيس في الصندوق. فالنتيجة الدراهم في الصندوق، وهي صادقة وإنما صدق الإنتاج هنا وفي الأولى كذب لأن الحائط في الأولى لم يغب بمجموعه في الأرض كما غاب الكيس بمجموعه في الصندوق. ومن مغالطه أيضاً وهو مشهور بين أرباب المنطق في الاستدلال على أن السارية ذهب، أو الجبل ذهب، أو ما وقعت عينك عليه ذهب. قولك مثلاً: هذا الجبل ذهب، لأن كل من قال: إنه ذهب قال: إنه جسم، وكل من قال: إنه جسم صادق. فينتج كل من قال: إنه ذهب صادق ووجه الغلط أن صحة المقدمات غير مسلمة، لأن منها أنه قال: إنه ذهب، وهذا كذب. ومنها كل من قال: إنه ذهب قال: إنه جسم، وبعض هذه المقدمة ممنوع وإذا كذبت إحدى المقدمتين أو بعض المقدمة تبعته النتيجة في الكذب. وما أحسن ما أنشدته بحلب سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة لنجم الدين الوارسي وهو: [من الكامل]

لَا تَخْطِبَنَّ سِوَى كَرِيمَةٍ مَعْشَرٍ فَالْعِرْقُ دَسَّاسٌ مِنَ الطَّرْفَيْنِ
أَوَّلَسْتَ تَنْظُرُ فِي النَتِيجَةِ أَنَّهَا تَبَعُ الْأَخْسَ مِنَ الْمُقَدِّمَتَيْنِ

وهذا في غاية الحسن، وهذه المغلطة عظيمة يمكن الذكي أن يرتب عليها أنواع المحالات، ويستدل على سائر الأجسام أنها ياقوت أو ذهب أو غير ذلك. وأنشدني الشيخ الإمام الأديب الكاتب شهاب الدين أبو الشاء محمود قال: أنشدني لنفسه الشيخ الإمام مجد الدين بن الظهير الإربلي أبياتاً كتبها من نظمه على «الجزولية» في النحو: [من الطويل]

مُقَدِّمَةٌ فِي النَّحْوِ ذَاتُ نَتِيجَةٍ تَنَاهَتْ فَأَغْنَتْ عَنْ مُقَدِّمَةٍ أُخْرَى
حَبَانَا بِهَا بَحْرٌ مِنَ الْعِلْمِ زَاخِرٌ وَلَا عَجَبٌ لِلْبَحْرِ أَنْ يَفْزِفَ الدَّرَا

وَأَوْضَحَهَا بِالْإِشْرَاحِ صَدْرُ زَمَانِهِ وَلَمْ نَرِ شَرْحاً غَيْرَهُ يَشْرُحُ الصَّدْرَا
إِنِّي أُرِيدُ طُرُوقَ الْحَيِّ مِنْ إِضْمٍ وَقَدْ حَمَاهُ رُمَاءٌ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ

اللغة: الطروق: هو المجيء بليل. يقال: أتانا فلان طروقاً وقد طرق يطرق فهو طارق. قال ابن الجواليقي في التكملة: الصواب أن يقال: طوارق الليل وجوارح النهار لأن أبا زيد حكى عن العرب: جرحته نهراً وطرقته ليلاً. قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ﴾ [الأنعام: ٦٠]. وقال الجوهري: جرح واجترح أي اكتسب. وذكرت هنا أبياتاً نظمها أحمد الأمشاطي من أهل العصر وذلك في سنة ست وعشرين وسبعمائة وهي: [من الوافر]

وَفَتَّكَ اللَّوَاظِ بِعَدَ هَجْرٍ حَبَا كَرَمًا وَأَنْعَمَ بِالْمَزَارِ
وَوَظَلَ نَهَارَهُ يَرْمِي بِقَلْبِي سِهَامًا مِنْ جُفُونٍ كَالشَّفَارِ
وَعِنْدَ النَّوْمِ قُلْتُ لِمُقْلَتِيهِ وَحُكْمُ النَّوْمِ فِي الْأَجْفَانِ جَارِي
تَبَارَكَ مَنْ تَوَفَّاكُم بِلَيْلٍ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ

الحي: واحد أحياء العرب وهم القوم النازلون بمكان، وإضم بكسر الهمزة: جبل بأرض المدينة. قال الشاعر: شبت بأعلى عائد من إضم. حماء: منعه. رماء: جمع رام. ثعل: أبو حي من طي وهو ثعل بن عمرو أخو نبهان، وهم الذين عناهم امرؤ القيس بقوله^(١): [من المديد]

رُبَّ رَامٍ مِنْ بَنِي ثَعْلٍ مُخْرَجَ كَفِّهِ مِنْ سُتْرِهِ^(٢)
وبنو ثعل مشهورون بإتقان الرمي. وقد أكثر الشعراء من نسبة ذلك إليهم. قال ابن قلاقس: [من الوافر]

وَحَيٍّ مِنْ كِنَانَةٍ قَدْ رَمَوْنِي بِمَا حَوَتْ الْكِنَانَةُ مِنْ سِهَامٍ
إِذَا انْتَضَلُوا وَمَا تُعَلُّ أَبْوَهُمْ رَمَوْكَ بِكُلِّ رَامِيَةٍ وَرَامٍ^(٣)

ومن هذه القبيلة عمرو بن المشيخ الثعلبي الذي قدم على النبي ﷺ في وفود العرب فأسلم وهو ابن مائة وخمسين سنة، وكان أرمى العرب بالسهم وإياه عنى امرؤ القيس بقوله: رُبَّ رَامٍ (البيت)، وهذا من جملة ما استشهد به ابن قتيبة في

(١) ديوان امرؤ القيس: ٧٨.

(٢) في الديوان: «مُتَلَجِّ كَفِّهِ فِي قُتْرِهِ». المُتَلَج: المُدْخَل. القُتْر: جمع الفترة: بيت الصائد يكمن فيه للوحش.

(٣) انتضل القوم: استبقوا في الرمي.

كتاب «طبقات الشعراء» على قرب زمن امرئ القيس من زمن النبي ﷺ وأنه كان قبله بمقدار أربعين سنة.

(الإعراب) إني: إن حرف ينصب الاسم ويرفع الخبر وإنما عملت هذا العمل لأنها وأخواتها أشبهت الفعل ووجه الشبه أنّ معنى إنّ أكدت وحققت. وكأنّ شبهت، ولكن استدركت، وليت تمنيت، ولعلّ ترجيت، ولأنّها مفتوحات الآخر كما انفتح آخر الفعل، ولأنّها تدخلها نون الوقاية كالفعل، فأعطي هذا الباب أحسن حالات العمل وأقواها وهو تقدّم المفعول على الفاعل فشبه اسمها بالمفعول وخبرها بالفاعل، فإن قلت: أحسن الحالات للفعل تقديم الفاعل. قلت: إنما منع ليكون للأصل مزية وتعلم فرعية إن وبابها في العمل. وقد أحسن محاسن الشواء حيث قال في جارية زرقاء العيون: [من السريع]

وَعَادَةٍ قَلْتُ لَهَا أَلَا رَعَيْتِ فِي الْحَبِّ لَنَا إِلَّا (١)
وَطَرْفُكَ الْأَزْرَقُ مَا بِالْهُ يُحَدِّثُ فِينَا لَحْظُهُ الْقَتْلَا
قَالَتْ أَلَا يَقْتُلُ طَرْفُ حَكِي لَوْنَ سِنَانِ الرَّمَحِ وَالشُّكْلَا
قَدْ عَمِلْتُ إِنَّ عَلَى أَنَّهَا حَرْفٌ وَقَدْ أَشْبَهَتْ الْفِعْلَا

وقيل: إنما قدم المنصوب على المرفوع ولم يعكس لأن كان تقدمت هذا النوع وفازت بذلك العمل، وإنما قلنا بتقديم كان وأخواتها لأنها مُختلف في حرفيتها. فقوم قالوا: إنها أفعال سلبت الدلالة على مصادرها، وقوم قالوا: بحرفيتها، فلما تقدمت كان وأخواتها اختصت بذلك العمل، وجاءت هذه بعد فاختصت بهذا العمل فرقا بين العاملين. ومنهم من قال: إنها نصبت الاسم لا غير. والخبر مرفوع بما كان عليه أولاً. لأنّ إنّ إنما تدخل على المبتدأ والخبر وليس بشيء لأن المبتدأ أولى بأن يبقى على حاله، والكلام في هذا الباب متسع فلذا اختصرت منه على ما ذكر. وإنّ تكسر في مواطن ستة، الأول: أن تقع مبتدأة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ [الكوثر: ١]. الثاني: أن تكون أول الصلة كقولك: جاءني الذي إنه شجاع، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَيُّنَّهُ مِنَ الْكُؤُوزِ مَا إِنَّ مَفَاحِيهُ لَنُؤُوءٌ بِالْعُصْبَةِ﴾ [القصص: ٧٦] واحترزنا بأول الصلة من مثل: جاءني الذي عندك أنه كريم لأنها تفتح. الثالث: أن يتلقى بها القسم كقوله تعالى: ﴿حَمْدٌ وَلَكْتُبِ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ﴾ [الدخان: ١-٣]. الرابع: أن تحكي بقول مجرد من معنى الظن، كقوله تعالى: ﴿قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ﴾ [مريم: ٣٠] واحترز بمجرد من معنى الظن من نحو قولك:

(١) الإل: العهد.

أقول أنك فاضل، فهنا تفتح. الخامس: أن تحل محل الحال نحو زرت زيداً وإنني ذو محبة فيه. وكقوله تعالى: ﴿كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ﴾ [الأنفال: ٥]. السادس: أن تقع بعد فعل معلق باللام نحو قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ﴾ [المنافقون: ١]، فهذه هي المواطن التي يجب الكسر فيها، ولها أماكن أخر تكسر فيها وأماكن أخر يجوز فيها الفتح والكسر، منها أن تقع بعد إذا التي للمفاجأة، كقولك: خرجت فإذا أنه واقف، ومنها أن تقع بعد قسم وليس مع أحد معموليها اللام، كقولك: حلفت أنك ذو تعب. ومنها أن تقع بعد فاء الجزاء نحو: من يأتني فإني أكرمه. ومنها أن تقع خبراً عن قول وفاعل القولين واحد نحو قولي: إني أحمد الله، وما عدا هذه المواضع فإنها تكون فيها مفتوحة. وتدخل اللام على خبر المكسورة إذا قصد المبالغة في التوكيد، وإنما أدخلوا اللام على الخبر دون الاسم كراهية الجمع بين أداتي التوكيد ودخولها على الخبر مشروط بأن لا يتقدّم معموله نحو: إن زيداً لطعامك أكل، ولا يكون منفيّاً نحو: إن زيداً لا يقوم، ولا ماضياً متصرفاً خالياً من قد نحو: إن زيداً قام، فتدخل على المفرد نحو: إن زيداً لقاتم. وعلى المجرور نحو: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] وعلى الجملة الإسمية نحو: إن زيداً لأبوه قائم. وعلى الفعل المضارع نحو: إن زيداً لعسى أن يفعل، وعلى الماضي المتصرف المقرون بقد نحو: إن زيداً لقد أتى، وتدخل على معمول الخبر نحو: إن زيداً لطعامك أكل وإن عبد الله لفيك راغب، وعلى ضمير الفصل، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ﴾ [آل عمران: ٦٢] وعلى اسم إن إذا تأخر عن الخبر الظرف نحو إن عندك لزيداً أو الجار والمجرور نحو إن في الدار لزيداً، ولها أحكام أخر منها أنها إذا خففت يقل عملها، وقد تعمل مع لزوم اللام في خبرها. ومنه قراءة ابن كثير: ﴿وَإِنَّ كُلًّا لَمَّا لِيُؤْفِقَهُمُ رَبُّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ [هود: ١١١] والإهمال أكثر نحو: ﴿وَإِنْ كُلُّ لَمَّا جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٣٢] وإذا دخلت عليها ما كفتها عن العمل وقد تحذف نون الوقاية معها وهو الأكثر فيقال: إني، والأصل إني وكذا باقي أدوات الباب تقول: ليتني وهو الكثير، وتقول: ليتي وهو القليل، وتقول: لكنني ولكنني وهما متساويان ولعلني وكأني وكأني.

رجع: والباء في إنني في موضع النصب على اسمية إن ولم يظهر الإعراب لأن الضمائر مبنية. (أريد): فعل مضارع ماضيه أراد رفع لخلوّه عن الناصب والجازم وفاعله مستتر فيه تقديره أنا والجملة في موضع رفع لأنها خبر إن. (طروق الحي): طروق منصوب على المفعولية لأريد، والحي مضاف إليه والإضافة معنوية مقدّرة باللام. (من إضم): جار ومجرور، ومن هنا لبيان الجنس. (وقد حماه): الواو واو

الحال، وقد حرف تحقيق، حمّاه فعل ماضٍ والهاء في موضع نصب على المفعولية وهي ترجع إلى الحي. (رمّة): مرفوع على أنه فاعل حمّاه. (من بني): من هنا لبيان الجنس. و(ثعل): اسم مجرور بالإضافة وهو ممنوع من الصرف لأن فيه العلمية والعدل التقديري أي قدر فيه أنه معدول عن ثاعل، فإن قلت: لأي شيء كان هو معدولاً عن ثاعل ولم يكن ثاعل معدولاً عنه؛ قلت: لأن الأصل في صيغة اسم الفاعل هذا الوزن وذلك معدول عنها وإنما صرف هنا للضرورة على قول، أو للتناسب على قول، وقوله: وقد حمّاه إلى آخر البيت في موضع النصب على الحال. وذكرت بالعدل والمعرفة هنا قول شرف الدين بن عُنين: [من المتقارب]

شَكَابْنُ الْمُؤَيَّدِ مَنْ عَزَلَهُ ذَمُّ الزَّمَانِ وَأَبْدَى السَّفَهَ^(١)
فَقُلْتُ لَهُ لَا تَذَمُّ الزَّمَانَ فَتَظْلِمُ أَيَّامَهُ الْمُنْصِفَهُ
وَلَا تَعْجِبَنَّ إِذَا مَا صُرِفْتَ فَلَا عَدْلَ فِيكَ وَلَا مَعْرِفَهُ

وقول نور الدين الأسعدي في بعض مدرّسي العجم: [من الطويل]

يَقُولُونَ إِنَّ الْمَجْدَ بِالْقَصْفِ مُوَلَّعٌ فَقُلْتُ لَهُمْ مَا اعْتَادَ شَيْئاً سِوَى الْقَصْفِ^(٢)
فَقَالُوا أَسَا عِلْماً وَلَفْظاً بِمَجْلِسٍ فَلِمَ مَنَعُوا عَنْ صَرْفِهِ رَاغِمِ الْأَنْفِ
فَقُلْتُ لِتَأْنِيثٍ بِهِ وَلِعُجْمَةٍ فَقَالُوا وَقَدْ تُلْجِي الضَّرُورَةُ لِلصَّرْفِ^(٣)
وَلَا بَدَّ مَنْ تَقْطِيعُهُ عِنْدَ قَبْضِهِ فَقَدْ زَادَ بَسْطَ الْكَفِّ فِي جِهَةِ الْوَقْفِ

قلت: لا يخفى ما في البيت الثالث من محاسن باب ما لا ينصرف. وما في الرابع من محاسن العروض. وما أحسن ما أنشدني من لفظه المولى القاضي شرف الدين أبو عبد الله الحسين بن رِيَّان: [من البسيط]

أَتَيْتُ حَانَةَ خَمَّارٍ وَصَاحِبُهَا مُحَارَفٌ مُتَقَنَّ لِلنَّحْوِ ذُو لَسَنِ^(٤)
وَحَوْلُهُ كُلُّ هَيْفَاءٍ مُنْعَمَةٍ وَكُلُّ عِلْقٍ رَشِيقٍ أَهْيَفٍ حَسَنِ^(٥)
فَقَالَ لِي إِذْ رَأَى عَيْنِي قَدْ انْصَرَفَتْ إِلَى النَّسَاءِ كَلَامَ الْحَاذِقِ الْفَطْنِ
أَنْتَ وَرَكْبٌ وَصِفٌ وَاعْدِلْ بِمَعْرِفَةٍ وَاجْمَعْ وَزِدْ وَاسْتَرْخِ مِنْ عُجْمَةٍ وَزَنِ

(١) السَّفَهَةُ: الخِفَّةُ والطَّيْشُ.

(٢) الْقَصْفُ: اللُّهُو واللُّعْب والافتنان بالطعام والشراب.

(٣) تُلْجِي: تُلْجِي.

(٤) مُحَارَفٌ: من حارف فلاناً: عامله في حرفته. اللَّسَنُ: الفصاحة والبلاغة.

(٥) الْهَيْفَاءُ: الدَّقِيقَةُ الْخَصْرُ، الضَّامِرَةُ الْبَطْنِ. الْعِلْقُ: الْفَيْسُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ.

وظرف من قال: [من المتقارب]

وَذِي أَدَبٍ بَارِعٍ نَكَّتَهُ وَأُولَجْتُ فِيهِ قُمْدًا عَنِفًا^(١)
فَقُلْتُ فَدَيْتُكَ أَغْصَرَ عَلَيَّ هَ فَفِيهِ اللَّذَاذَةُ لَوْ تَعْتَرَفُ
فَقَالَ أَجَدْتُ وَلَكِنْ لَحَنْتُ لِقَوْلِكَ أَغْصَرَ بِفَتْحِ الْأَلْفِ
فَقُلْتُ لَكَ الْوَيْلُ مِنْ أَحْمَقٍ فَقَالَ: وَأَحْمَقُ لَا يَنْصَرِفُ

قيل: إن بعض السُّؤال^(٢) وقف على باب نحوي فقرعه، فقال النحوي: من
بالباب؟ فقال: سائل. فقال: انصرف. قال: اسمي أحمد. قال النحوي لغلامه:
أعط سيوييه كِسْرَةَ. وحكي أن جماعة من النحاة اختلفوا في بناء سراويل وهل هو
منصرف، فدخل البرقي عليهم فقال: فيم أنتم؟ قالوا: في بناء سراويل فما عندك
فيه. قال: مثل ذراع البكر أو أشد. وقال رجل نحوي لبعض العوام: إسماعيل
ينصرف أو لا؟ فقال: إذا صُلِّيَ العشاء فما قعوده. ومدح شاعر طَلْحَةَ صاحب البريد
بأضْبَهَان، فلم يُثَبِّه فقال: [من البسيط]

لَوْ كُنْتُ أَقْنَعُ مِنْ مَدْحِي بِلَا صَفْدٍ لَأَكْتَلْتُ مِنْ طَلْحَةِ كُرَيْنٍ مِنْ خُبَزٍ^(٣)

فقال له طلحة: لحت لأنك صرفت طلحة، فقال الشاعر: إنما طلحة الذي لا
ينصرف هو طَلْحَةُ الطَّلَحَاتِ^(٤)، فأما أنت فإِنَّكَ تبلغ الصين بنفخة واحدة. (المعنى)
يقول لصاحبه: الغي الذي طلبت إعانتك عليه هو أنني أريد طروق الحي، أي النزول
على «إضم» ليلاً وقد حماه رماة من بني ثعل وهم المقيمون في الحي، فهل لك في
الإعانة على المسير إليهم؟ وقد نهى النبي ﷺ عن طروق الرجل أهله ليلاً، وفي
النهى فوائده، منها: أن أهله لم يكن استعددن له كما هي عادة المرأة مع בעلها،
فيراها على حال يكرهها، ومنها أن يحصل لهم في ذلك الوقت إزعاج بقدمه وهم
في وقت يسكنون فيه ويجدون الدعة، فيحصل منه استئثار، ومنها أن يشوش على
جيرانه بحركته في ذلك الوقت، ومنها غير ذلك، وهذه الحالة أعني كون الرماة
يحمون الحي مما لا يهابه العشاق ولا يصدّهم عن زيارة أحبابهم ولا يمنعهم عن
الوصول إليهم لأنه قيل: [من البسيط]

عَلَامَةُ الْحَبِّ أَنْ يُسْتَضْعَرَ الْخَطَرُ وَأَنْ تَزُورَ وَنَارُ الْحَرْبِ تَسْتَعْرِ

(١) أولجت: أدخلت. القُمْدُ: الشديد الغليظ، والمراد: الذكر.

(٢) السُّؤال: جمع السائل: طالب الحاجة. (٣) الكُرُ: مكيال مقداره أربعون إردباً.

(٤) طلحة الطلحات: هو طلحة بن عبد الله بن خلف الخزاعي: أحد الأجواد المقدمين، من أهل
البصرة. توفي بسمرقند وهو والٍ عليها نحو ٦٥هـ/ نحو ٦٨٥م. (الأعلام: ٣/ ٢٢٩).

وما أحسن قول القائل : [من الطويل]

وإن نذرت فيك العشيّة قتلتني
ومن عجب الأشياء خوفي من العدى
وقال أبو الطيب^(١) : [من الطويل]

يهون على مثلي إذا رام حاجة
وقال ابن الساعاتي : [من الوافر]

رعاك الله يا سلمى رعاك
أخاف سيوف قومك من معد
ودارك باللوى ذات الأراك^(٣)
وما كانت بأقتل من هواك

وأنشدني جمال الدين المعروف بالحافي قال : أنشدني عفيف الدين التلمساني^(٤) لنفسه : [من الطويل]

أسير ولو أن الصباح موابك
وأغشى بيوت الحي لا مترقباً
إذا لم يكن للصب إقدام صبوة
فليس له بين المحبين رحلة
وأشري ولو أن الظلام قتام^(٥)
وأطرق ليلى والوشاة نيام
تحلّ تلاف النفس وهو حرام
ولا بين هاتيك الخيام مقام

وأول هذه الأبيات مأخوذ من قول يوسف بن عبد الصمد : [من الكامل]

فأطعن ولو أن الثريا ثغرة
وافتح ولو أن السماء معاقل
واضرب ولو أن السماك وريد^(٦)
واهزم ولو أن النجوم جنود^(٧)

(١) ديوان المتنبي : ٣٨٨ / ١.

(٢) العوالي : جمع العالية : صدر الرمح مما يلي السنان . القواضب : السيوف الفاطمة .

(٣) اللوى موضع . الأراك : شجر طيب العيدان ، تُتخذ منها المساويك .

(٤) هو عفيف الدين ، سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكومي التلمساني : شاعر من قبيلة «كومة» . سكن دمشق ، وكان يتصوّف على طريقة ابن العربي . توفي في دمشق سنة ٦٩٠هـ /

١٢٩١م . (الأعلام : ٣ / ١٣٠) .

(٥) القتام : الغبار .

(٦) الثغرة : ثُقرة النحر . السماك : نجم نير ، وهما سيمان أحدهما في الشمال وهو السماك الرامح ، والآخر في الجنوب ، وهو السماك الأعزل .

(٧) المعازل : الملاجئ ، الحصون .

بل مأخوذ من قول أبي العلاء المعري^(١): [من الطويل]

أَسِيرٌ وَلَوْ أَنَّ الصَّبَاحَ صَوَارِمٌ وَأُسْرِي وَلَوْ أَنَّ الظَّلامَ جَحَافِلُ^(٢)
إلا أنه غير الصوارم والجحافل بالمواكب والقتام. ومن هذه المادة قول أبي
العلاء أيضاً^(٣): [من الكامل]

وَكَأَنَّ حُبَّكَ قَدْرُ حَظِّكَ فِي السُّرَى قَالَطُمُ بِأَيْدِي الْعِيسِ وَجَهَ السَّبَسَبِ^(٤)
وَاهْجُمُ عَلَى جُنْحِ الدَّجَى وَلَوَ أَنَّهُ أَسْدٌ يَصُولُ مِنَ الْهَيْلَالِ بِمُخْلِيبِ^(٥)
وقال أبو طالب المأموني^(٦): [من الطويل]

إِذَا مَا طَمَى لُجُ الْمَنَى بَيْنَ أَضْلَعِي تَعَشَّيْتُ لُجَاً مِنْ دُجَى اللَّيْلِ طَامِيَا
فَأُمْسِي شَجَى فِي ثَغْرَةِ اللَّيْلِ رَائِحَا وَأُضْحِي قَذَى فِي مُقْلَةِ الصَّبَحِ غَادِيَا
وقول أبي فراس بن حمدان^(٧): [من الطويل]

لَقَيْتُ نَجُومَ الْأَفَقِ وَهِيَ صَوَارِمٌ وَخُضْتُ سَوَادَ اللَّيْلِ وَهُوَ خِيُولُ
وَلَمْ أَرَ لِّلنَّفْسِ الْكَرِيمَةِ نَحْلَةً عَشِيَّةً لَمْ يَعْطِفْ عَلَيَّ خَلِيلُ^(٨)
وَلَكِنْ لَقَيْتُ الْمَوْتَ حَتَّى تَرَكْتُهَا وَفِيهَا وَفِي حَدِّ الْحَسَامِ فُلُولُ
وَمَنْ لَمْ يُبَقِّ اللَّهَ فَهُوَ مُمَزَّقٌ وَمَنْ لَمْ يُعِزَّ اللَّهَ فَهُوَ ذَلِيلُ

وما أحسن قول الأرجاني: [من البسيط]

سَحَبْتُ ذَيْلَ الدَّجَى حَتَّى طَرَقْتَهُمْ بِسَحْرَةٍ وَقَمِيصُ اللَّيْلِ أَطْمَارُ^(٩)
أَزُورَهُمْ وَسِنَانُ الرَّمْحِ مِنْ بُعْدٍ إِلَيَّ بِالْمُثْقَلَةِ الزَّرْقَاءِ نَظَارُ
وقوله أيضاً: [من الكامل]

لَمَّا طَرَقْتُ الْحَيَّ قَالَتْ خَيْفَةً لَا أَنْتَ إِنْ عَلِمَ الْغَيُورُ وَلَا أَنَا

(١) سقط الزند: ١٨١. (٢) في سقط الزند: «وأعدو ولو أن الصباح».

(٣) سقط الزند: ٢١٦.

(٤) في سقط الزند: «وكأن حبك قال: حظك في السرى».

(٥) الجُنْحُ من الليل: طائفة منه، أو ظلامه واختلاطه.

(٦) هو أبو طالب، عبد السلام بن الحسين المأموني: شاعر، من العلماء بالأدب، يتصل نسبه بالمأمون العباسي. توفي سنة ٣٨٣هـ / ٩٩٣م. (الأعلام: ٥/٤).

(٧) ديوان أبي فراس: ٢٣٢.

(٨) في الديوان: «للنفس الكريمة خلّة».

(٩) الأطمار: جمع الطمر: الثوب الخلق البالي.

فَدَنَوْتُ طَوْعَ مَقَالِهَا مُتَخَفِّياً ورَأَيْتُ خُطْبَ الْقَوْمِ عِنْدِي أَهْوَنَا
ونقلت من خط السراج الوراق له: [من الكامل]

أَغْنَتْهُمْ تِلْكَ الْقُدُودُ عَنِ الْقَنَّا وَنَضُّوا عَنِ الْبَيْضِ الصَّفَاحِ الْأَعْيَنَا^(١)
وَحَمَّوْا طُرُوقَ الْحَيِّ حَتَّى لَمْ يَكُنْ مَسْرَى الْخِيَالِ إِلَيْهِ أَمْرًا مُمَكَّنَا

ولا أرى أن الحالة تشق في الزيارة إلا عند العود ولهذا قيل: [من السريع]

يَا لَيْلُ مَا جِئْتُمْ زَائِرًا إِلَّا وَجَدْتُ الْأَرْضَ تُطْوَى لِي
وَلَا انْثَنَى عَزْمِي عَنْ بَابِكُمْ إِلَّا تَعَثَّرْتُ بِأَذْيَالِي
يَحْمُونَ بِالْبَيْضِ وَالسُّمْرِ اللَّدَانِ بِهِ سُودَ الْغَدَائِرِ حُمْرِ الْحَلِيِّ وَالْحُلَلِ

(اللغة). يحمون: يمنعون. البيض: جمع أبيض وهو السيف. السمر: جمع أسمر وهو الرمح. اللدان: جمع لدن وهو اللين. الغدائر: صفائر الشعر واحدها غديرة. الحلي: ما تتحلى به المرأة من خاتم وسوار وقلادة وغير ذلك. الحلل: جمع حلة وهي البردة اليمانية والحلة إزار ورداء، ولا تسمى حلة حتى تكون ثوبين. (الإعراب) يحمون: فعل مضارع من حمى يحمي، والواو ضمير الفاعلين، والنون علامة الرفع للفعل المضارع، والفرق بين الواو والنون اللتين تكونان في زيدون، جمع المذكر السالم، هو أن الواو التي في جمع المذكر السالم علامة الرفع، والنون نون الجمع، والواو التي في الفعل المضارع مثل: يفعلون ضمير الفاعلين، والنون علامة الرفع للفعل المضارع فهما هنا عكس تينك هناك، وتقدم الكلام على موجب إعراب الفعل المضارع في قوله: أريد بسطة كف. والواو هنا في يحمون ضمير يرجع إلى رمة الحي. (بالبيض): جار ومجرور والباء هنا للاستعانة وقد تقدم الكلام عليها. (والسمر): الواو واو العطف وقد عطفت اسماً على اسم وقد تقدم الكلام على تقسيمها في أول القصيدة، ولا بأس بالكلام على حكمها في العطف. فأقول: إن الواو للجمع المطلق ولا تقتضي الترتيب بدليل قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي﴾ [القمر: ١٦] والنذارة قبل العذاب بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا﴾ [الإسراء: ١٥] وقوله تعالى حكاية عن منكري البعث: ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الحاثية: ٢٤] وإنما يريدون نحيا ونموت، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] وقد تقدم الكلام على هذه الآية، وقول الشاعر: [من الكامل]

حَتَّى إِذَا رَجَبٌ تَوَلَّى وَانْقَضَى وَجَمَادَيَانِ وَجَاءَ شَهْرٌ مُقْبِلٌ

(١) نضى الشيء عن الشيء: نزعه وألقاه، ونضى السيف: أخرجه من غمده. البيض الصفاح: السيوف.

والأدلة على عدم ترتيبها كثيرة. وذهب قُطْرُبُ والرّبعي إلى أنها مرتّبة، مستدلّين على ذلك بقوله تعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ﴾ [آل عمران: ١٨]، والجواب أن الذكر هنا بالشرف لا بالترتيب كما تقول: جاء الخليفة والسلطان والوزير والأمراء.

مسألة: من نسب للشافعي أنه فهم الترتيب في الوضوء من الواو فقد غلط، وإنما أخذ الترتيب من السنّة ومن سياق النظم وتأليفه وذلك أن الله تعالى ذكر الوجوه ووزنها فعول كرؤوس وذكر الأيدي ووزنها أفعل كأرجل وأدخل ممسوحاً بين مغسولين وقطع النظير عن النظير. فلولا أن الحكمة في ذلك التنبيه على الترتيب لكان الأحسن بالبلاغة أن يقال: وأيديكم وأرجلكم وامسحوا برؤوسكم، كما يقال: رأيت زيدا وعمراً ودخلت الحمام، ولا يقال: رأيت زيدا ودخلت الحمام ورأيت عمراً، ولو قيل ذلك لكان هجئة في الكلام. ومن أحسن من الله قليلاً. فإن قلت: لم يقطع النظير عن النظير بل عطف مغسولاً على مغسول وممسوحاً على ممسوح، ويحتج لهذا بشيء.

يُروى عن عليّ وابن عبّاس رضي الله عنهم وبالقراءة الظاهرة وهي جرّ أرجلكم في قراءة ابن كثير وحمزة وأبي عمرو وعاصم في رواية أبي بكر عنه عطفاً على مسح الرؤوس، وقراءة النصب لنافع وابن عامر والكسائي وعاصم في رواية حفص عنه ليست عطفاً على الأيدي بل هي عطف على موضع الرؤوس كما قال الشاعر: [من الوافر]

مُعَاوِي إِنَّنَا بَشَرٌ فَأَسْجَحُ فَلَسْنَا بِالْجِبَالِ وَلَا الْحَدِيدِ^(١)

- قلت: هذا خلاف قول الجماعة، ونقل الثقة عن علي: الغسل. وقد ذكر ابن ماجه في سننه حديثاً لأبي حية عن علي في باب غسل القدمين وحديث المقداد بن معدي كرب، وحديث الربيع، وكذلك كل من وصف وضوء رسول الله ﷺ. قال عبد الرحمن بن أبي ليلى: أجمع أصحاب النبي ﷺ على غسل القدمين. قال أبو إسحاق: ولقد لقي عبد الرحمن مائة وعشرين صحابياً، وقال أبو إسحاق أيضاً: قال عطاء بن أبي رباح: وقد لقيت عشرة من الصحابة ولم أر أحداً منهم يمسح على القدمين. قال أبو إسحاق: هذا مذهب الشافعي، وبه قال من الصحابة أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعلي، وابن مسعود، وابن عباس، وابن عمر، وحذيفة، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وتميم الداري،

(١) أَسْجَحَ الرجل: أحسن العَفْو.

وسلمة بن الأكوع، وعائشة رضي الله عنهم، ثم قال: وهو مذهب الشعبي، والحكم، والحسن، وابن سيرين، والزهري، وعكرمة، ومحمد بن علي بن الحسين، وجعفر بن محمد، وعطاء الخراساني. وقول مالك، والليث، والأوزاعي، والثوري، وأبي حنيفة وأصحابه، وأحمد، وأبي إسحاق، وأبي ثور، وأبي عيينة، والحسن بن صالح، وداود بن علي، وأبو إسحاق هذا هو الفيروزبادي^(١) صاحب «التنبيه» في الفقه.

وأما ابن أبي شيبة فقد ذكر في مصنفه بأسانيد صحيحة عن الشعبي وعكرمة والحسن أن مذهبهم المسح. وما أدري من أين لأبي إسحاق هذا النقل عنهم. ورواية الجمهور والمشاهير تصلح أن تكون تفسيراً لكتاب الله تعالى، وإنما القفال نقل في تفسيره عن ابن عباس، وأنس، وعكرمة، والشعبي، وأبي جعفر محمد بن علي الباقر، أن الواجب فيهما المسح. وهذا مذهب الإمامية وهو باطل لأن قراءة الجِرِّ عارضناها بقراءة النصب والأخبار الكثيرة وردت بالغسل، والغسل يشمل المسح ولا ينعكس، فالغاسل مسح وزيادة، وليس الماسح غاسلاً. فالغسل أقرب إلى الاحتياط وأيضاً فرض الغسل محدود كما في اليدين إلى المرفقين، وغسل الرجلين محدود إلى الكعبين، والمسح غير محدود كما في الرأس فالرجلان مغسولتان. فإن قلت الكعب عبارة عن العظم الذي تحت مفصل القدم. وقال الأصمعي ومحمد بن الحسن: الكعب عبارة عن عظم مستدير مثل عظم البقر والغنم موضوع تحت عظم الساق والقدم، وعلى هذا يجوز مسح ظاهر القدم إلى هذا الموضع.

قلت: قال صاحب^(٢) «الصحاح»: الكعب العظم الناشز عند ملتقى الساق والقدم، وأنكر الأصمعي قول الناس أنه في ظهر القدم، وأيضاً فلو كان الكعب على ما ذكره الإمامية لكان الحاصل في كل رجل كعب واحد، فكان ينبغي أن يقال وأرجلكم إلى الكعاب، كما أنه لما كان الحاصل في كل يد مرفق واحد لا جرم قال وأيديكم إلى المرفاق، وأيضاً فالذي قاله الإمامية والأصمعي: عظم خفي لا يعرفه إلا من نظر في علم التشريح والعظمان الناتئان عند مفصل الساق والقدم معلومان لكل واحد. ومناط التكليف العام يكون أمراً ظاهراً لا خفياً. وأيضاً روي عن

(١) هو أبو إسحاق، جمال الدين، إبراهيم بن علي بن يوسف الفيروزبادي: فقيه، صوفي. ولد بفيروزباد، وسكن البصرة، وبغداد، وتوفي سنة ٤٧٦هـ / ١٠٨٣م. (معجم المؤلفين: ٦٨/١).

(٢) هو أبو نصر، إسماعيل بن حماد الجوهري الفارابي، المتوفى سنة ٣٩٣هـ / ١٠٠٣م. (كشف الظنون: ١٠٧١).

النبي ﷺ أنه قال: أَلْصَقُوا الْكَعَابَ وَلَا يَكُونِ الْإِلْصَاقُ إِلَّا فِيمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الْجُمْهُورُ وَهُمَا الْعِظْمَانِ النَّاشِزَانِ، وَمِنْهُ قِيلَ لِلْمَرْأَةِ كَاعِبٌ، وَهِيَ الَّتِي نَهَدَتْهَا. وَقَوْلُهُمْ فِي النَّصَبِ إِنَّهُ عَطَفَ عَلَى الْمَوْضِعِ فَبَابِهِ الضَّرُورَةُ وَلَا ضَرُورَةَ فِي الْقُرْآنِ، فَإِنَّ الْقُرْآنَ عَلَى أَكْمَلِ الْوُجُوهِ، وَيَكْفِي هَذَا الْقَدْرُ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ. وَذَكَرْتُ بِالْعَطْفِ عَلَى الْمَوْضِعِ قَوْلَ شَهَابِ الدِّينِ بْنِ مُحَاسِنِ الشَّوَاءِ: [مَنْ السَّرِيعُ]

هَاتِيكَ يَا صَاحِبَ رَبِّي لَعَلَّعَ نَاشِدُتُكَ اللَّهُ فَعَرَّجَ مَعِيَ^(١)
وَأَنْزَلَ بَنَاتِ بَيْنَ بَيُوتِ النِّقَا فَقَدْ غَدَتْ أَهْلَةَ الْمَرْبَعِ
حَتَّى نُطِيلَ الْيَوْمَ وَقِفًا عَلَى الْـ سَاكِنِ أَوْ عَطَفًا عَلَى الْمَوْضِعِ
(رجع). السمر: مجرور لأنه عطف على البيض. (اللدان): صفة السمر لأنه

تبعه في جمعه وتعريفه وتأنينه وجره. (به): جار ومجرور والضمير يعود إلى الحي والباء هنا ظرفية بمعنى في والتقدير يحمون سود الغدائر حمر الحلي والحلل، بالبيض والسمر اللدان في الحي، أو يحمون في الحي سود الغدائر. (سود): جمع أسود وهو منصوب على أنه مفعول به ليحمون. (الغدائر): مجرور بالإضافة إلى سود وسود هنا ليس مفعولاً في الحقيقة بل هو صفة للمفعول وهو من باب حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه تقديره يحمون الرماة بالبيض والسمر التي بالحي أبكاراً سود الغدائر أو ملاحاً أو نساءً كيف أردت. وهذا كثير في الكلام. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ لَمْ يُصِيبْكَ وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢٦٥] أي مطر وابل والإضافة هنا لفظية. (حمر): صفة لسود بل صفة ثانية للمحذوف المقدر وهو المفعول حقيقة على ما تقرّر. و(الحلي): مضاف إليه وإن أردت جعلته بدل الكل من الكل أعني حمر الحلي بدل كل من سود الغدائر. (والحلل): معطوف على الحلي.

(المعنى): هؤلاء الرماة الذين هم من بني ثعل يحمون بالبيض التي هي السيوف والسمر اللينة أي الرماح في الحي أبكاراً سود الضفائر حمر الحلي والبرود، يعني أن حليهن من الذهب الأحمر، ولباسهن من الحرير الأحمر. قال أبو الطيب^(٢): [مَنْ الْبَسِيطُ]
مِنْ الْجَاذِرِ فِي زِيِّ الْأَعَارِيِبِ حُمُرُ الْحُلَى وَالْمَطَايَا وَالْجَلَابِيْبِ^(٣)

وقال أيضاً^(٤): [مَنْ الطَّوِيلُ]

بِكُلِّ فَلَاةٍ تُنَكِّرُ الْإِنْسَ أَرْضُهَا طَعَائِنُ حُمُرِ الْحَلِيِّ حُمُرُ الْأَيَانِقِ^(٥)

(١) عَرَّجَ عَلَى الْمَكَانِ: مَالٌ، وَعَرَّجَ بِهِ: نَزَلَ. (٢) ديوان المتنبي: ٢/٢٥٠.

(٣) الْجَاذِرُ: جَمْعُ الْجَوْدَرِ. وَلَدُ الْبَقَرَةِ الْوَحْشِيَّةِ.

(٤) ديوان المتنبي: ٢/١٧٧. (٥) الْأَيَانِقُ: جَمْعُ الْأَيْنِقِ، وَالْمَفْرَدُ: نَاقَةٌ.

ومن قول الطغرائي أخذ ابن الساعاتي قوله: [من البسيط]

مِنَ الظَّبَاءِ اللّوَاتِي لَا ذِمَامَ لَهَا مِنْ أَيْنَ يَعْرِفْنَ رَعِيَّ الْعَهْدِ وَالذَّمَّ
بِیضِ التَّرَائِبِ سُمْرِ الْخَطِّ يَحْجِبُهَا سُودُ الذَّوَائِبِ حُمْرُ الْحَلِيِّ وَالنَّعَمِ^(١)
ولا شك أن اللباس الأحمر يزيد الحسن رونقاً، ويفيده روعةً وبهاءً آخر، قال
أبو حنيفة وهب بن عبد الله السّوائي: ما رأيت ذا لَمَّةٍ سوداء في حلّة حمراء أحسن
من رسول الله ﷺ، وأما قول الشاعر: [من الطويل]

هَجَانٌ عَلَيْهِا حُمْرَةٌ فِي بَيَاضِهَا تَرُوقُ بِهِ الْعَيْنِينَ وَالْحُسْنَ أَحْمَرُ^(٢)
فإنه عني به الحُسن في حمرة اللون مع البياض دون غيره من الألوان. وقال
الحريري في «درة الغواص»: أما قولهم الحسن أحمر فمعناه أنه لا يكتسب ما فيه
الجمال إلا بتحمّل مشقة يحمرّ منها الوجه كما قالوا للسنة المجدبة حمراء، وكنوا
عن الأمر المستصعب بالموت الأحمر.

قلت: ويحتمل أن يكون المراد بقولهم الموت الأحمر أنه القتل الذي يرى فيه
سفك الدم، وقول الطغرائي من قول أبي الطيب^(٣): [من الطويل]

دِيَارِ اللّوَاتِي دَارَهْنَ عَزِيزَةً بِسُمْرِ الْقَنَا يُحْمِينُ لَا بِالْتَّمَائِمِ
وقول أبي إسحاق الغزي: [من الوافر]

وَبُورِكَ فِي خِيَامِ قَبِيلِ سَلَمَى وَفِي تِلْكَ الْمَضَارِبِ وَالْحِجَالِ^(٤)
فَمَا أَوْتَادَهُنَّ سِوَى الْمَوَاضِي وَلَا أَطْنَابَهُنَّ سِوَى الْعَوَالِي^(٥)
وقال الأرجاني: [من الكامل]

وَقَفَا لِصَائِدَةِ الْفَوَادِ بِدَلِّهَا وَخَفَا جَنَائِدَ عَيْنِهَا الْحَوَارِ^(٦)
وَتَحَدَّثَا سِرّاً فَحَوْلَ خَبَائِهَا سُمْرُ الرِّمَاحِ يَمْلُنُ لِلْإِصْغَاءِ
وقال ابن قلاقس الإسكندري: [من السريع]

فِي سُنْدُسِ الْكَلَّةِ حُورِيَّةٌ تَسْكُنُ قَلْبِي وَهُوَ النَّارُ^(٧)

(١) الترائب: جمع التريبة: عظام الصدر مما يلي الترقوتين، أو موضع القلادة من العنق.
(٢) الهجان: البياض. (٣) ديوان المتنبي: ٣٨٢ / ١. وفيه: «بَطُولَى الْقَنَا يُحْفَظْنَ».
(٤) المضارب: الخيام. الحجال: جمع الحجلة: سِتْرٌ يُضْرَبُ لِلْعُرُوسِ داخل البيت.
(٥) المواضي: السيوف. الأطناب: الحبال. العوالي: الرماح.
(٦) عين حوراء: أن يجتمع فيها شدة البياض مع شدة السواد.
(٧) السندس: ضرب من رقيق الديباج. الكلة: سِتْرٌ رقيقٌ مُثَقَّبٌ، يُتَوَقَّى به من البعوض وغيره.
حورية: حسناء كالحورية.

أَحَدَقَتِ السُّمُرُ بِهَا مِثْلَ مَا تُحَدِّقُ بِالْمَقْلَةِ أَشْفَارُ
وقد أخذه من قول أبي الطيب^(١): [من الطويل]
مَضَى بَعْدَمَا تَفَّ الرَّمَاحَانِ حَوْلَهُ كَمَا يَتَلَقَّى الْهُدْبُ فِي الرَّقْدَةِ الْهُدْبَا
وقال السراج الوراق: [من الطويل]
من البيضِ تمشي البيضُ حولَ خبائها شبيهة نومي لئس يأوي إلى جفني
غزالة أنس والرماحُ كناسُها ومن حوله قومٌ يُخالون كالجن^(٢)
لهم غيرةٌ قد ساء بالطيفِ ظنُّها فضنُّوا عليها بالكري خيفة الظنِّ
وقال أيضاً: [من الطويل]
وَمَحْجُوبَةٌ أَمَّا الدُّجَى فَعَدَائِرُ عَلَيْهَا وَأَمَّا الصُّبْحُ فَهُوَ جَبِيئُهَا
عَجِبْتُ لِمَسْرَى الطيفِ لي من كناسها ومن حوله أسدُ الشرى وعرينُها^(٣)
وأنشدني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ أثير الدين أبو حيان قال: أنشدني
لنفسه الشيخ تقي الدين السروجي: [من الكامل]
وَأَرَى لَيْلَى الْعَامِرِيَّةَ مَنزَلًا بِالْجُودِ يُعْرِفُ وَالنَّدَى أَصْحَابُهُ
فيه الأمانُ لمن يخافُ من الردى والخيرُ قد طُفِرَتْ بِهِ طُلَّابُهُ
قَدْ أَشْرَعَتْ بَيْضُ الصَّوَارِمِ وَالْقَنَا مِنْ حَوْلِهِ فَهُوَ الْمَنِيعُ حِجَابُهُ
وَعَلَى حِمَاهُ جَلَالَةٌ مِنْ أَهْلِهِ فَلِذَاكَ طَارِقَةُ الْعَيُونِ تَهَابُهُ
كَمْ قُلِّبْتُ فِيهِ الْخُدُودُ عَلَى الشرى شَوْقًا إِلَيْهِ وَقَبَّلْتُ أَعْتَابُهُ
قَدْ أَخْضَبَتْ مِنْهُ الْأَبَاطِحُ وَالرُّبَى لِلزَّائِرِينَ وَقَتَّحَتْ أَبْوَابُهُ
وقال ابن سناء الملك: [من الطويل]
أَلَا فَارْفَعِي ذَا الشَّعْرِ عَنَّا فَإِنَّا نَغَارُ عَلَيْهِ مِنْ مُلَاعِبَةِ الْحَجَلِ
عَجِبْتُ لَهُ إِذْ يَطْمئنُّ مُعَانِقًا أَمَا أَذْهَلَ الْخُلْخَالَ خَوْفُ بَنِي ذُهَلِ
بِشَوْكِ الْقَنَا يَحْمُونَ شَهْدَ رِضَابِهَا وَلَا بَدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ^(٤)

(١) ديوان المتنبي: ٨٩/٢.

(٢) الكناس: بيت الظبي.

(٣) الشرى: موضع اشتهر بكثرة الأسود وشِدَّتْهَا.

(٤) الرضاب: الرقيق المرشوف. وعجز البيت من قول المتنبي:

ثُرَيْدِينَ إِدْرَاكَ الْمَعَالِي رَخِيصَةً فَلَا بَدَّ دُونَ الشَّهْدِ مِنْ إِبْرِ النَّحْلِ
(ديوان المتنبي: ٣٣٩/٢).

قال شرف الدين بن جبارة بعد أن أورد على البيت الأول والثاني ما أورده من فساد المعنى ونقصه، أراد أن يمدحهم فهجاهم بالمثل المضمّن آخر بيته الذي جعله كفن ميتة، لأنه جعل طعن رماحهم كإبر النحل، وإبرة النحل لا أثر لها ولا ألم يحصل منها، ولو أنّ كل عاشق إنما يمنعه من معشوقه ويحجزه عنه لسع الزنابير ولدغها، لَسَهْلٌ عليه صعبها وذلّ له منعها، ولله در المجنون إذ يقول كما نقل عنه^(١): [من الطويل]

وَحَقِّكُمْ لَا زُرْتُكُمْ فِي دُجْنَةٍ من الليل تُخْفِينِي كَأَنِّي سَارِقُ^(٢)
وَلَا زُرْتُ إِلَّا وَالسَّيُوفُ هَوَاتِفُ إِلَيَّ وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ عَوَاشِقُ
ولأبي عبد الله عثمان المعروف بابن الحدّاد الأندلسي: [من الكامل]

إِنِّي أَرَاكَ لَهُمْ وَبَيْنَ جَوَانِحِي شَوْقُ يَهُونَ خَطْبَهُمْ فَيَهُونُ
أَوْ هَلْ يَهَابُ ضِرَابَهُمْ وَطَعَانَهُمْ صَبٌّ بِالْحَاطِظِ الْعُيُونِ طَعِينُ
وَكَأَنَّمَا بِيضُ الصَّفَاحِ جَدَاوِلُ وَكَأَنَّمَا سَمَرُ الرِّمَاحِ غُصُونُ

ثم ذكر أشياء غير ذلك وقال: لولا وقوع هذا الشاعر في شعره، وقلة معرفته، وقصور فكره، لما قال: بشوك القنا يحمون شهّد رضابها. وكيف يُحمى الشهد بالشوك، ولو اتفق له أن يقول جنى رضابها لكان أسوغ وأبلغ. ثم قال في أول البيت شهّد وفي آخره شهّد وإنما الأحسن أن يأتي بالمثل بالمعنى لا باللفظ لأنه إذا كرّر بلفظه فكأنه هو وإنما القصد أن يكشف المعنى بلفظ موجز، وقول مجموع معجز، وإذا تَوَمَّلَ أكثر الشعر المضمن للأمثال وجد على هذا المثال، وهذه العلوم تدق عن فهمه، ويخفى غرضها عن مرمى سهمه.

قلت: أما كونه يدّعي أنه لا ألم في إبر النحل، ولا ضرر في الزنابير، فهذا مما لا يسمع وهو تحامل. أليس أن في إبر النحل والزنابير سمّاً يمنع القرب منه والدنو إليه، وغالب الناس يهاب ذلك ولا يقدم عليه، ومن مسائل النحاة: كنت أظن العقرب أشد لسعاً من الزنبور فإذا هو هي، أو فإذا هو إياها، الأوّل مذهب سيبويه، والثاني مذهب الكسائي، وليس بشيء لأن مذهب الكسائي: خرجت فإذا زيد واقف. وهذه المسألة تعرف بالزنبورية وقد ذكرها الشيخ بهاء الدين بن النحاس في التعليقة على «المقرب»، والشيخ علم الدين السخاوي ذكرها مستوفاة في «سفر السعادة»، ولعلّ بعض الناس لسعه زنبور فتورّم منه ومات. وبالجملّة ففي إبر النحل

(١) لم يرد البيتان في ديوانه (دار الهلال).

(٢) الدجّة: السّود، الظلمة.

سَمَّ تعاف النفوس من الإقدام عليه، وهو ما أراد أن طعن قومها مثل لسع إبر النحل كما قال المعري^(١): [من البسيط]

وَأَضْعَفَ الرُّعْبُ أَيْدِيَهُمْ فَطَعْنَهُمْ بِالسَّمْهَرِيَّةِ دُونَ الْوَخَزِ بِالْإِبْرِ^(٢)
لأنه ما أتى بمثل ولا بكاف التشبيه بل نبّه بالمثل الذي ذكره على أن حلاوة ريقها لا تنال إلا بعد مشقّة وعناء وأهوال، كما أن الشاهد من دونه إبر النحل وكل لذيذ محفوف بآلم، فالجئة حُقّت بالمكارة، وهذا غير وارد عليه. وأما إنكاره شوك القنا فهو استعارة حسنة، والتشبيه مطابق، لأن الأسنة أشكال مستدقة ملسنة حادة كما هو الشوك، وأتى بها ليطابق الكلام المثل في قوله: ولا بدّ دون الشاهد من إبر النحل. فقوله: شوك يناسب إبر النحل. وقد شبه الشعراء القنا بالشوك. قال الأرجاني: [من الكامل]

وَرَدُّ الْخُدُودِ وَدُونَهُ شَوْكُ الْقَنَا فَمِنْ الْمُحَدِّثِ نَفْسُهُ أَنْ يَجْتَنِي

وقال ابن خفاجة: [من الكامل]

وَالْخَيْلُ تَعَثِّرُ فِي شَبَا شَوْكِ الْقَنَا وَتَظَلُّ تَسْبَحُ فِي الدَّمِ الْمَوَارِ^(٣)

وما أعجبني شيء مما أورده عليه غير إنكاره تكرار الشاهد، وكان الأحسن لو قال: بشوك القنا يحمون رشف رضاها، حتى إذا جاء المثل فسّر ما تقدّم. وإخراج الكلام مبهمًا ثم مفسرًا أوقع في النفوس وأبلغ. ألا ترى ما أحلى قول مجير الدين محمد بن تميم في مליح يشرب من بركة: [من الكامل]

أَفَدِيَ الَّذِي أَهْوَى بِفِيهِ شَارِبًا مِنْ بَرَكَةِ رَقَّتْ وَرَاقَتْ مَشْرَعًا^(٤)
أَبَدْتُ لِعَيْنِي وَجْهَهُ وَخَيَالَهُ فَأَرْتَنِي الْقَمْرَيْنِ فِي وَقْتٍ مَعَا

فلو قال: أبدت لعيني قمر وجهه وقمر خياله لما كان له هذه الדיباجة فاعرف ذلك. وبيت الطغرائي فيه من البديع التدبيج وهو تفعيل من الدبج وهو النقش والتزيين، وأصل الديباج فارسي معرّب، فالتدبيج في البديع - أن يذكر الشاعر في مدح أو ذمّ أو وصف ألفاظاً تدلّ على ألوان مختلفة كقول ابن حيوس: [من الخفيف]
إِنْ تُرِدْ عِلْمَ حَالِهِمْ عَنْ يَقِينٍ فَالْقَهُمْ يَوْمَ نَائِلٍ أَوْ نِزَالٍ^(٥)

(١) سقط الزند: ٧٠.

(٢) السمهريّة: الرماح السمهريّة: نسبة إلى سمهر، وهو رجلٌ اشتهر بصناعة الرماح وتثقيفها.

(٣) الشّبا: جمع الشّباة، وهي من السيف ونحوه: حدّ طرفه. الموار: السائل على وجه الأرض، أو المتحرّك المتدافع.

(٤) المشرع: مورد الماء الذي يُستقى منه بلا رشاء.

(٥) النائل: العطاء. النزال: الحرب، القتال.

تَلَقَّ بِيضَ الْوَجْهِ سُودَ مِثَارِ النَّـ قَعَ خُضَرَ الْأَكْنَافِ حُمْرَ النَّصَالِ^(١)

وأخذه ابن النبيه فقصر عنه في قوله: [من السريع]

لَهُ بَنَانٌ طَافَحٌ بِالنَّدَى فَهِنَّ إِمَّادِيْمٌ أَوْ بَحَارُ^(٢)

بِيضُ الْأَيْدِي خُضْرُ رَوْضِ الرِّضَا حُمْرُ الْمَوَاضِي فِي الْعَجَاجِ الْمِثَارِ

والطغرائي ذكر في بيته البيض والسمر والسود والحمرة. وما أحسن قول

القاتل: [من الكامل]

الْغَصْنُ فَوْقَ الْمَاءِ تَحْتَ شَقَائِي مِثْلُ الْأَسْنَةِ خُضِبَتْ بِدَمَاءِ

كَالصَّعْدَةِ السَّمَرَاءِ تَحْتَ الرَّايَةِ الـ حَمْرَاءِ فَوْقَ اللَّامَةِ الْخَضْرَاءِ^(٣)

وقلت أنا: [من الكامل]

مَا أَبْصَرْتُ عَيْنَاكَ أَحْسَنَ مَنَظَرًا فِيمَا يُرَى مِنْ سَائِرِ الْأَشْيَاءِ

كَالشَّامَةِ الْخَضْرَاءِ فَوْقَ الْوَجْنَةِ الـ حَمْرَاءِ تَحْتَ الْمُقْلَةِ السَّوْدَاءِ

وقال ابن النبيه: [من الطويل]

وَفِي الْكِلَّةِ الْحَمْرَاءِ بِيضَاءُ طِفْلَةٍ بَزْرَقَ عُيُونِ السَّمَرِ يُحْمَى اخْوَارُهَا

أَثَارَ لَهَا نَقْعُ الْجِيَادِ سُرَادِقًا بِهِ دُونَ سِتْرِ الْخِذْرِ عَنَّا اسْتَارُهَا^(٤)

وقال عماد الدين بن ديق من أبيات: [من المتقارب]

أَرَى الْعَقْدَ فِي ثَغْرِهِ مُحْكَمًا يُرِينَا الصَّحَاحَ مِنَ الْجَوْهَرِ

وَتَكْمِلَةُ الْحَسَنِ إِضَاحَهَا رَوَيْنَاهُ عَنْ وَجْهِكَ الْأَزْهَرِ

وَمَنْشُورَ دَمْعِي غَدَا أَحْمَرًا عَلَى آسٍ عَارِضِكَ الْأَخْضَرِ

وَبَعْتُ رَشَادِي بِغَيِّ الْهَوَى لِأَجْلِكَ يَا طَلْعَةَ الْمُشْتَرِي

ولبعض الكتّاب: وأوردنا طباء الحديد الأخضر ماء الوريد الأحمر، من عدو

الدين الأزرق من بني الأصفر.

وقال القاضي الفاضل من رسالة يصف فيها كتاباً ورد عليه: وقبضته، وكم

(١) النقع: الغبار. الأكناف: النواحي. النصال: السيوف.

(٢) طافح: ممتلئ، طام. الندى: الجود والكرم. الديم: السحب الثقيلة بالماء.

(٣) الصعدة: القناة، الرمح. اللامة: الدرع.

(٤) السرداق: كل ما أحاط بشيء من حائط أو مضرب، وقيل: الفسطاط يجتمع فيه الناس لعرس أو مأتم، أو غير ذلك.

لفحني منه شرارة بعد شرارة، وفضضته، فإذا جبال النور منه مستعارة، كأن شراره الجمالات الصفرة أو القصور الحمر، أو النصال الزرق، أو الليالي السود، أو البروق البيض. والعلم المشهور في هذا قول الحريري في المقامة الثالثة عشرة: فمذ اغبرّ العيش الأخضر وازورّ المحبوب الأصفر، اسودّ يومي الأبيض، وابيضّ فودي الأسود حتى رئي لي العدو الأزرق، فحبذا الموت الأحمر.

- وأخبرني الإمام شهاب الدين أبو الثناء محمود أن القاضي الفاضل شرع في إنشاء مقامات، فكان يعارض كلّ فصل من كل مقامة للحريري بفصل من كلامه، فلما انتهى إلى هذا الفصل، قال: من أين يأتي المتكلم بمثل هذا، وأبطل ما عمله من المقامات. والحديث المدبّج عند علماء الحديث هو الذي يروي فيه الأقران بعضهم عن بعض، وهم المتقاربون في السنّ والإسناد، وربما اكتفى الحاكم أبو عبد الله فيه بالتقارب في الإسناد إن لم يوجد التقارب في السنّ، وأعلاه ما روى فيه الصحابي عن الصحابي مثل عائشة وأبي هريرة، وبعده التابعي عن التابعي، مثل مالك عن الأوزاعي وعكسه، وبعده تابع التابعين عن تابع التابعين، مثل أحمد بن حنبل عن عليّ بن المدائني وعكسه، وبعده رواية الأشياخ عن الأشياخ. وقد جمع الحافظ عبد الغني، والحافظ ابن عساكر، والحافظ جمال الدين الرهاوي، وغيرهم، أجزاء في الرباعي، أي الحديث الذي اجتمع فيه أربعة من الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين.

فَسِرْ بِنَا فِي ذِمَامِ اللَّيْلِ مُعْتَسِفًا فَنَفْحَةُ الطَّيْبِ تَهْدِينًا إِلَى الْحَلَلِ

(اللغة). الذّمّام: الحرمة والاعتساف: افتعال من العسف وهو الأخذ بغير دليل، فالذي يعتسف في السير يمشي على غير طريق. نفحة الطيب: رائحته، يقال: نفح الطيب ينفح إذا فاح نشره. تهدينا: ترشدنا إلى مقصدنا. الحلل: بكسر الحاء جمع حلّة وهي بيوت القوم.

(الإعراب). فَسِرْ: الفاء للتعقيب، أي عقب كلامه بقوله فسر، وسر فعل أمر من السير مجزوم لكونه أمراً. وذكرت هنا بيتين من أبيات المعاني وهما: [من الوافر]

سَأَلْتُ وَنَحْنُ فِي الْبِدَاءِ عَمْرًا عَلَى عَجَلٍ وَنَحْنُ نَسِيرُ سَيْرًا
فَجَادَ بِهِ وَلَمْ يَبْخُلْ عَلَيْنَا فَقُلْتُ لَهُ جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا

ولا يظهر في بادىء الرأي أنه جادله بشيء لأن الذهن يتبادر إلى أن سيراً مفعول مطلق مثل ضربت ضرباً وإنما هو مفعول به لسألت وتقدير الكلام سألت ونحن في البداء عمراً سيراً فجاد بالسير.

رجع: الأمر ينقسم إلى قسمين لغوي وهو طلب إيجاد الفاعل الفعل في الخارج على سبيل الاستعلاء، وقيل: اقتضاء فعل غير كفّ على جهة الاستعلاء. والمراد بالاقتضاء ما يقوم بالنفس من الطلب لأنه الأمر في الحقيقة وتسمية الصيغة به مجاز. وقيل غير كفّ ليقع الاحتراز من النهي، وعلى جهة الاستعلاء ليقع الاحتراز من الدعاء وأورد على طرده كفّ. لأنه اقتضاء فعل هو كفّ فلا يكون هذا أمراً، لكنه أمر فلا يكون مطرداً، وعلى عكسه لا تكفّ لأنه اقتضاء فعل غير كفّ فيكون أمراً لكنه ليس يأمر فلا يكون منعكساً، وصناعي وهو ما حصل به ذلك أي طلب إيجاد الفعل والذي حصل به ذلك هو الصيغة التي يطلب بها الفعل من الفاعل، وفعل الأمر بني على السكون لأنه الأصل في البناء وصيغته مأخوذة من المضارع فإذا أردت أن تصوغ فعل أمر حذفت حرف المضارعة ونظرت إلى ما يليه، فإن كان متحركاً صغت مثال الأمر على صيغته وحركته فتقول مثلاً: من يُشْمَرُ شَمْرٌ، ومن يُدَحْرَجُ دَحْرَجٌ، ومن يَثْبُثُ ثَبٌّ، ومن يَصِلُ صِلٌ، وإن كان الذي يلي حرف المضارعة ساكناً اجتلبت له همزة وصل ليتوصل إلى النطق بأول الفعل ساكناً فتقول من مثل: يَضْرِبُ اضْرِبْ ومن مثل يَنْطَلِقُ انْطَلِقْ ومن مثل يَسْتَخْرِجُ اسْتَخْرِجْ لأن الابتداء بالسكان في النطق مستحيل. وما أحسن قول السراج الوراق: [من الكامل]

يَا سَاكِنًا قَلْبِي ذَكَرْتُكَ قَبْلَهُ أَرَأَيْتَ قَبْلِي مَنْ بَدَا بِالسَّاكِنِ
وَجَعَلْتُهُ وَقْفًا عَلَيْكَ وَقَدْ عَدَا مُتَحَرِّكًا بِخِلَافِ قَلْبِ الْأَمْنِ
وَبِذَا جَرَى الْإِغْرَابُ فِي نَحْوِ الْهَوَى فَإِلَيْكَ مَعَذرتي فَلَسْتُ بِلَا حِنِ

وسواء كان الفعل ثلاثياً أو خماسياً أو سداسياً، وشذ من هذه القاعدة فعلان فلا تدخل عليهما همزة وهما خذُ وكُلْ، وجُوزَ في فعلين: إلحاق الهمزة وحذفها، وهما مُرٌ وسلٌ. وقد نطق القرآن الكريم بهما فقال تعالى: ﴿سَلِّ بَنِي إِسْرَءِيلَ﴾ [البقرة: ٢١١]. وقال تعالى: ﴿وَسَلِّ الْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]. وتقول: مُرُهُ بكذا وأمرُهُ بكذا، فأما حركة الهمزة المجتلبة فإن كان الماضي رباعياً فإنها مفتوحة في الأمر تقول: من أَكْرَمَ أَكْرِمٌ، وإذا كان ثالث المضارع مضموماً فإنها مضمومة في الأمر. تقول في الأمر من يَقْتُلُ أَقْتُلْ، وما عدا ذلك فإنها مكسورة.

(رجع). سر: كان أصله سير لأن مضارعه يسير فاجتمع فيه ساكنان، وأحدهما حرف علة فحذف، والفاعل فيه ضمير مستتر تقديره أنت. (بنا): جار ومجرور ولم يظهر الجرّ لأنّ الضمائر كلها مبنية والباء للتعدية. (في ذمام الليل): في حرف جر وذمام مجرور بها والليل مضاف إليه، وهي إضافة مقدّرة باللام وموضع الجار والمجرور النصب على الظرف. (معتسفاً): اسم فاعل من اعتسف وهو

منصوب على الحال، والحال صاحبها هو الضمير المستتر المقدّر في سر وهو أنت،
والعامل فيها سر وإفرادها هنا متعيّن. فإن قلت لأي شيء لم يقل معتسفين لأنهم
جماعة أو معتسفين لأنهما اثنان قد شملهما السير؛ قلت: كأنه قال لصاحبه تقدّم
أنت وسر بنا إماماً واعتسف الأرض ودعني مشغولاً بما أنا فيه من الفكر وحديث
النفس، ولا تخف فنفحة الطيب التي تتضوّع من أهل الحي تهديك وتدلّك على
الطريق إليهم. (نفحة الطيب): الفاء هنا سببية ونفحة مرفوع على الابتداء والطيب
مجرور بالإضافة وهي مقدّرة باللام أو بمن. (تهدينا): فعل مضارع من هدى يهدي
فهو ثلاثي مفتوح الأوّل وعلامة رفعه ضمّة مقدّرة على الياء لأنه معتل مثل يرمي،
والنون والألف ضمير في محل نصب بتهدي والفاعل يرجع إلى النفحة. (إلى
الحلل): جار ومجرور في موضع نصب لتعلقه بتهدينا. وإلى تأتي في العربية
لمعان. فتأتي لانتفاء الغاية لأنها تقابل من في الابتداء. تقول: جئت إليك من البلد
الفلاني أي انتهى مجيئي إليك. قال الله تعالى: ﴿أَنْظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ﴾ [الأنعام:
٩٩] أي الثمر غاية النظر، وتأتي بمعنى مع وهو قليل. قال بعضهم في قوله تعالى:
﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ﴾ [النساء: ٢] يعني مع أموالكم وليس بشيء لأنها لو كانت
بمعنى مع لأمكن أن تقدّر بمعنى مع في كل مواطنها كما تقدّر ابتداء الغاية في من
في كل مواردّها ولا يمكن ذلك في إلى، فلا تقول في سرت إليك إن إلى بمعنى
مع، وأما الآية الكريمة فلما كان الأكل بمعنى الجمع والضم وليس بمعنى البلع
والمضغ عدّه إلى أي لا تضموا أموالهم إلى أموالكم لأن الضمّ سبب في الأكل،
فأقام المسبب مقام السبب كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ﴾ [البقرة: ١٨٨]
وقوله تعالى: ﴿مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ﴾ [الصف: ١٤] قيل: المعنى مع الله. وليس كذلك
بل من أنصاري إلى أن يتم أمر الله. وتأتي بمعنى في كقول النابغة^(١): [من الطويل]
فَلَا تَشْرُكْنِي بِالْوَعِيدِ كَأَنِّي إِلَى النَّاسِ مَطْلِيٌّ بِهِ الْقَارُ أَجْرَبُ^(٢)

واختلف فيما بعدها ف قيل: إن كان ما بعدها داخلاً في مسمى ما قبلها دخل
وإلا فلا. فعلى هذا يدخل المرفق في الغسل لأن المرفق داخل في مسمى اليد لأن
اليـد من رأس الأنامل إلى الإبط، وهذا ينتقض بقولك: نمت البارحة إلى نصفها.
ولا يجوز أن يقال: إنه نام البارحة كلها. وقال الجمهور: بغسل المرفقين مع
اليدين. وقال مالك وزفر: لا يجب غسل المرفقين، وهذا الخلاف أيضاً في
الكعبين. حجة زفر أن إلى لانتفاء الغاية والمنتهى غير النهاية، فلا يتعيّن غسل

(١) ديوان النابغة الذبياني: ١٨.

(٢) الوعيد: التهديد. القار: القطران.

النهاية. والجواب من وجهين: الأوّل: مذهب الزجاج، سلمنا أن المرفق لا يجب غسله لكن المرفق اسم لما جاوز طرف العظم فإنه هو المكان الذي يرتفق به أي يُتَكَأ عليه، ولا نزاع في أنّ ما وراء طرف العظم لا يجب غسله. الثاني: أن حدّ الشيء قد يكون منفصلاً عن المحدود كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ﴾ [البقرة: ١٨٧] فإنّ النهار منفصل عن الليل في الحسّ، وقد لا يكون منفصلاً كقولك: بعثك هذا الثوب من هنا إلى هنا فهذا الحد غير منفصل، ولا شك أن امتياز المرفق عن الساعد ليس منفصلاً معيناً. وإذا كان كذلك فليس إيجاب الغسل إلى جزء أولى من إيجابه إلى جزء آخر فوجب القول بغسل كل المرفق. وقال بعضهم: النهاية غير المتناهية وغسل المرفق لم يفهم من الآية الكريمة إنما فهم من فعله ﷺ، فعلى هذا لو قلت: بعثك من هذه الشجرة إلى هذه الشجرة، لم تدخل الغاية ههنا، وإذا قلت: بعثك هذا البستان من هذا الحائط إلى هذا الحائط، دخل الحائطان في المبيع، والفرق بينهما أن الغاية في الأولى من جنس ما دخلت فيه فهي خارجة عنه، وكذلك المرفق من جنس اليد فهو خارج عن الغسل. وفي الثانية أن الغاية خارجة عن المغيا لأن الحائط ليس من جنس البستان فلهذا دخل الحائطان في المبيع. ألا ترى أن قوله: ثُمَّ أَتَمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ لما كان الليل من غير جنس النهار واعتبر دخول أوّل الليل. قال ﷺ: إذا أدبر النهار من ههنا، وأقبل الليل من ههنا، فقد أظفر الصائم فاعتبر دخول الليل لأنه خارج عن النهار.

(المعنى): فسر بنا في ذمّة الليل فإنه يسترنا واعتسف السير ولا تخش الضلال عن طريق الحي فإنّ له نفحة طيب من أهله ترشدك إلى الحلّة التي هم بها نزول. وهذا معنى لطيف، وتركيب رقيق، وقد جرت عادة الشعراء أن يذكروا أن مواطن الحبيب وأماكنه وما جاورها تتضوع بأنواع الطيب، وتتأرجح النسمات بنفحاته العطرة، وقال محمد بن عبد الله النميري^(١) في زينب أخت الحجاج بن يوسف الثقفي من قصيدة^(٢): [من الطويل]

تَضَوّعُ مِسْكَاً بَطْنُ نَعْمَانَ إِذْ مَشَتْ بِهِ زَيْنَبٌ فِي نِسْوَةِ خَفَرَاتٍ^(٣)
لَهُ أَرْجٌ مِنْ مَجْمَرِ الْهِنْدِ سَاطِعٌ تَطْلُعُ رِيَاهُ مِنَ الْحُجَرَاتِ^(٤)

(١) شاعر غزليّ، من شعراء العصر الأموي. وُلِدَ ونشأ بالطائف، وتوفي فيها نحو ٩٠هـ/ نحو ٧٠٨م. (الأعلام: ٦/ ٢٢٠؛ الأغاني: ٦/ ١٨٠).

(٢) الأغاني: ٦/ ١٨٢.

(٣) بطن نعمان: موضع. تَضَوّعُ مِسْكَاً: انتشرت فيه رائحة المسك.

(٤) الأرج: الريح الطيبة. من مجمر الهند: من عيدانها الطيبة الرائحة التي يُتَبَخَّرُ بها. ساطع: مُنتشر. الرّيا: الرائحة الطيبة. الحُجرات: العُرف؛ وفي الأغاني: «من الكفرات». الكفرات: جمع الكفر: العظيم من الجبال.

ومنها:

يُخَمَّرْنَ أَطْرَافَ الْبَنَانِ مِنَ الثُّقَى وَيَظْلَعْنَ شَطْرَ اللَّيْلِ مُعْتَجِرَاتٍ^(١)
وروى: ويقتلن بالألحاظ مُقْتَدِرَاتٍ.

ومنها:

وَلَمَّا رَأَتْ رَكَبَ الثُّمِيرِيَّ أَعْرَضَتْ وَكُنَّ مِنَ اللَّقِيَالِ حَذِرَاتٍ^(٢)
ولما بلغ الحجاج أن الثُميري تغزل بأخته تهدده وقال: لولا أن يقول قائل لقطعت لسانه، فهرب إلى اليمن، ثم إنه استجار بعبد الملك بن مروان فأجاره، وكتب له إلى الحجاج فأمنه واستنشده الأبيات فأنشدها، حتى بلغ قوله ولما رأت ركب النُميري، فقال له: وما كان ركبك؟ قال: أربعة أحمرّة لي كنت أجلب عليها القطران وثلاثة أحمرّة لصاحبي تحمل البعر، فضحك عند ذلك وخلى سبيله. ويشبه هذا ما حكى عن الشريف المرتضى أنه كان جالساً في عليّة له تشرف على الطريق فمرّ تحته ابن المطرزي الشاعر يجرّ نعلًا له بالية وهي تثير الغبار فأمر بإحضاره، فلما حضر قال له: أنشدني أبياتك التي تقول فيها: [من الطويل]

إِذَا لَمْ تُبَلِّغْنِي إِلَيْكُمْ رَكَائِبِي فَلَا وَرَدْتُ مَاءً وَلَا رَعَتِ الْعُشْبَا
فأنشده إياها، فلما انتهى إلى هذا البيت أشار الشريف إلى نعله البالية وقال له: أهذه كانت من ركائبك. فأطرق المطرزي ساعة ثم قال له: لما عادت هَبَات سيدنا الشريف أيده الله إلى مثل قوله: [من الخفيف]

وَحُذِ النَّوْمُ مِنْ جُفُونِي فَلِئَنِّي قَدْ خَلَعْتُ الْكَرَى عَلَى الْعُشَّاقِ
عادت ركائبني إلى مثل ما ترى لأنك خلعت ما لا تملكه على من لا يقبل، فاستحى الشريف منه. وكان الشيخ صدر الدين بن الوكيل يقول: واللّه إن قول المطرزي عندي أحسن من قول الشريف.

(رجع). وذكرت بقول الطغرائي قول أبي العلاء المعري^(٣): [من البسيط]

المُوقِدُونَ بِنَجْدٍ نَارَ بَادِيَةٍ لَا يَحْضُرُونَ وَفَقْدُ الْعَزِّ فِي الْحَضَرِ^(٤)

(١) يُخَمَّرْنَ: يُعْطَيْنَ. وفي الأغاني: «يُخَبَّرْنَ». يقال: لم تكن امرأة من الطائف لتخرج من دارها إلاّ وعلى يديها قفّازان. معتجرات: يقال: اعتجرت المرأة: اختمرت بالخمير.

(٢) في الأغاني:

ولما رأت ركب الثُميري راعها وَكُنَّ مَنْ أَنْ يَلْقَيْنَهُ حَذِرَاتٍ

(٣) ديوان أبي العلاء: ٦٩.

(٤) نجد: قسم من الجزيرة العربية بين العراق والحجاز، أكثر الشعراء من القول في طيب ترابه، وجودة هوائه، وحسن نباته. يحضرون: يقيمون في الحضر.

إِذَا هَمَى الْقَطْرُ شَبَّتَهَا عَبِيدُهُمْ تَحْتَ الْغَمَائِمِ لِلْسَّارِينَ بِالْقَطْرِ^(١)
 القَطْرُ هو العود ومعناه: أن هؤلاء الممدوحين يوقدون النار في الليل ليهتدي
 الضيف بها إليهم، فإذا كان الغمام، ونزل القطر، وأطفأ النار، أمروا عبيدهم أن
 يوقدوها بالطيب ليشم الساري الرائحة فيهتدي إليهم، وهذا معنى غريب مليح،
 وعليه اعتمد ابن عياد في قوله: على أنه ما فارق المغنى، ولا خالف المعنى، وهو:
 [من الكامل]

الْمُكْثَرِينَ مِنَ الْبُكَاءِ لِنَارِهِمْ لَا يُوقِدُونَ بَعْضُهُ لِّلْسَّارِي^(٢)
 ومن قول الطغرائي قول التهامي: [من الكامل]

يَتْرُكُنْ حَيْثُ حَلَلْنَ زَهْرَ لَطِيمَةٍ مِمَّا يُثْرَنَ بِهِ الْعَبِيرَ وَطَاحَا^(٣)
 يَهْدِي ثَرَاهُ إِلَى الْبِلَادِ وَرَبَّما حَيْثُ بِرْيَاهُ الرِّيحُ رِيَا حَا
 وقول الأرجاني: [من الخفيف]

بَلَّغَانِي مَنَازِلَ الْحَيِّ أَسْأَلُ هَمَاتِي فَارَقْتُ رُبَاهَا الْغِيدَا
 وَاسْتَدَلَّا عَلَى الْحِمَى نَشْرَ مِسْكِ مِنْ مَجَرِّ الْحَسَانِ فِيهِ بُرُودَا^(٤)
 والأصل في هذا كله قول أبي الطيب^(٥): [من الكامل]

وَيَفُوحُ مِنْ طَيْبِ الثَّنَاءِ رَوَائِحُ لَهُمْ بِكُلِّ مَكَانَةٍ تُسْتَنْشَقُ
 وقول الآخر: [من الطويل]

وَلَوْ أَنَّ رَكْبًا يَمُوكَ لَقَادَهُمْ نَسِيمُكَ حَتَّى يَسْتَدِلَّ بِهِ الرُّكْبُ^(٦)
 وقول ابن النبيه: [من السريع]

رَاحَ تَطِيرُ النَّارُ مِنْ دَثِّهَا كَأَنَّمَا بَازَلُهَا قَادِحُ^(٧)
 أَنْكَرَهَا الْخَمَارُ ضَنْبًا بِهَا حَتَّى هَدَانَا نَشْرُهَا الْفَائِحُ^(٨)

(١) هَمَى: سال، انصب. القَطْرُ: المطر. شَبَّتَهَا: أوقدتها. القَطْرُ: عود يُتَبَخَّرُ به.

(٢) السَّارِي: السائر بالليل.

(٣) اللطيمة: وعاء المسك.

(٤) النَّشْرُ: الرائحة الطيبة. الْمَجَرُّ (هنا): حيث تمشي الحسان فَتَجَرُّ بُرُودَهَا.

(٥) ديوان المتنبي: ١/١٤٢.

(٦) يَمُوكَ: قَصْدُوكَ.

(٧) الدَّنُّ: وعاء الخمر. بازَلُها: يقال: بَزَلَ الشراب: ثَقَبَ إِنَاءَهُ لِيَسِيلَ، أَوْ صَفَّاهُ.

(٨) ضَنْبًا بها: بُخْلًا بها. الْفَائِحُ: الْمُنتَشِرُ.

وقوله: [من السريع]

إِنْ جَاءَ مَنْ يَبْغِي لَهُمْ مَنَزْلاً فَقُلْ لَهُ يَمْشِي وَيَسْتَنْشِقُ

وقول مسلم بن الوليد: [من الطويل]

أَرَادُوا لِيُخَفُوا قَبْرَهُ عَنْ عَدُوِّهِ فَطِيبُ ثَرَابِ الْقَبْرِ دَلَّ عَلَى الْقَبْرِ

وقول ابن الرومي^(١): [من الكامل]

أَعْقَبَتْهُ مِنْ طِيبِ ذِكْرِكَ نَفْحَةٌ كَادَتْ تَكُونُ ثَنَاءَكَ الْمَسْمُوعَا^(٢)

وقال آخر: [من الطويل]

وَلَيْسَ نَسِيمُ الْمِسْكِ مَا تَجِدُونَهُ وَلَكِنَّهُ ذَاكَ الثَّنَاءُ الْمُخْلَقُ

وقال آخر: [من الكامل]

لَوْ كَانَ يُوجَدُ رِيحُ مِسْكِ فَائِحًا لَوَجَدْتُهُ مِنْهُمْ عَلَى أُمِّيَالٍ

إن قلت هذا المعنى مختل لأن ريح المسك يوجد فائحاً فكان ينبغي أن يوجد منهم على أميالٍ لأن الشرط إذا صدق صدق المشروط؛ قلت: فيه تقديم وتأخير تقديره لو كان يوجد ريح مسك على أميال لوجدته منهم، ولكن لم يوجد ريح مسك على أميال فلا يوجد منهم، ورواه بعضهم لو كان يوجد ريح مجدٍ، وعلى هذه الرواية فلا حاجة إلى الإيراد والجواب. وقرأت على الشيخ القاضي شهاب الدين أبي الثناء محمود قوله من أبيات: [من الطويل]

إِذَا هَبَطُوا أَرْضاً وَأَوْمَضَ بَارِقٌ تَرَوُّضَ مِنْ سَحِّ الدَّمْعِ ثَرَاهَا^(٣)

يَظُنُّونَهُ نَارَ الْفَرِيقِ عَلَى الْحِمَى تَبَدَّتْ لَهُمْ وَهْنًا وَلَا حَ سَنَاهَا^(٤)

وَيَعْتَسِفُونَ الْبَيْدَ يُرْشِدُهُمْ بِهَا إِلَى الدَّارِ إِنْ ضَلُّوا الطَّرِيقَ شَذَاهَا^(٥)

وَتَهْدِيهِمْ أَنْوَارُهَا لَا كَوَاكِبَ الـ سَمَاءٍ إِذَا حَارُوا وَلَا قَمَرَاهَا^(٦)

إِذَا عَايَنُوا أَعْلَامَهَا وَضَعُوا لَهَا خُدُوداً عَلَى وَجْهِ الثَّرَى وَجَبَاهَا

(١) ديوان ابن الرومي: ١٢١/٤.

(٢) في الديوان: «أعقبته».

(٣) تَرَوُّضَ المكان: صار روضةً.

(٤) الوهن: نحو نصف الليل، أو بعد ساعةٍ منه. لاح: ظهر.

(٥) يعتسفون البيد: يسرون فيها على غير هُدًى.

(٦) حاروا: تَرَدَّدوا، أو رجعوا.

وقرأت عليه أيضاً قوله: [من البسيط]

عَنِّي بِذِكْرِ الْحَمَى فَارْتاحَ كُلُّ شَجٍ وَخاضَ بالدمعِ حادي الرّكبِ في لُجَجِ^(١)
وَاسْتَرْخَصَ السَّيْرَ إِذْ أَدْنَى تَوَاصِلِهِ مِنَ الْأَحَبَّةِ بِالْغَالِي مِنَ الْمُهْجِ
وَلَدَّ قَطْعُ الدُّجَى إِذْ كَانَ يُسْفِرُ عَنْ صَباحِ يَوْمِ بَنُورِ الوَصْلِ مُنْبِلِجِ^(٢)
وَاسْتَرشدَ الرّكْبُ إِذْ حَارَ الدَّلِيلُ بِهِمْ بِمَا تَلَقَّوهُ دُونَ الْحَيِّ مِنْ أَرْجِ^(٣)

وأنشدني أيضاً إجازة، قال: أنشدني الشيخ الإمام الفاضل شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المعروف بابن الخيمي لنفسه، وكذلك أنشدني الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري قال: أنشدني لنفسه شهاب الدين محمد بن عبد المنعم المذكور إجازة إن لم يكن سماعاً وفي غالب الظن أنه سماع قصيدته البائية التي أولها: [من البسيط]

يَا مَطْلَباً لَيْسَ لِي فِي غَيْرِهِ أَرْبُ إِلَيْكَ آلَ التَّقْصِي وانْتَهَى الطَّلَبُ^(٤)
ومنها:

بِاللَّهِ إِنْ جُزْتَ كُثْبَاناً بِذِي سَلَمٍ قَفْ بِي عَلَيْهَا وَقُلْ لِي هَذِهِ الْكُثْبُ^(٥)
لِيَقْضِيَ الْخَدُّ مِنْ جَرَعَائِهَا وَطَرّاً مِنْ تُرْبِهَا وَيُؤَدِّي بَعْضَ مَا يَجِبُ^(٦)
وَحُذْ يَمِيناً لِمَغْنَى تَهْتَدِي بِشَذَا نَسِيمِهِ الرُّطْبِ إِنْ ضَلَّتْ بِهِ النُّجْبُ^(٧)

وحكى ابن رشيقي في «الأنموذج» أن عبد الرحمن بن محمد القرشي جلس مع بعض شيوخ تونس، وكان هذا الشيخ نهاية في المجون، فاجتاز بهم رجل يسأل عن دار ابن عبدونة، فأقبل الشيخ عليه وقال: هي في ذلك المكان في تلك الناحية حيث يقوم أيرك. فقال القرشي: واللّه لأنظمنّ هذا المعنى فما رأيت مثله، وأنشأ يقول من وقته: [من السريع]

إِنْ شِئْتَ أَنْ تَعْرِفَ عَنْ صِحَّةٍ دَارَ الَّذِي يُعْزَى لِعَبْدُونِهِ
فَامْشِ فَإِنْ أَيْرَكَ أَبْصَرْتَهُ قَامَ فَإِنَّ الْبَابَ مِنْ دُونِهِ

(١) الشجي: الحزين.

(٢) الدُّجَى: ظلمة الليل. مُنْبِلِجٌ: مُسْفِرٌ.

(٣) الأرج: الريح الطيبة.

(٤) آل الشيء إليه: رجع أو صار.

(٥) جُزْتَ: قطعت. الكُثْبَان: تلال الرمل. ذو سلم: موضع.

(٦) الجرعاء: الأرض ذات الحزونة تُشاكل الرمل. الوطر: الحاجة فيها مأرب.

(٧) المَعْنَى: المنزل الذي غني به أهله. النُّجْبُ: جمع النجيب: الجواد الكريم.

وقد عكست أنا هذا المعنى فقلت: [من الوافر]

أقول لمن يُسائل عن محلي تقدّم و أمش من خلف السّواري^(١)
ومرّ فحيثما تلقّ احتكاكاً بسرّمك لا تعدّ فثمّ داري^(٢)
فالحبّ حيث العدى والأسد رابضة حول الكناس لها غاب من الأسل

(اللغة): الحب بالضم المحبة وبالكسر الحبيب نفسه. قال الأنباري: الحب: الحبيب يقال للمذكر والمؤنث بلفظ واحد. وحكي عن بعض العرب أنهم يقولون: فلانة حبتي، وسيأتي الكلام على الحب في قوله: يقتلن أنضاء حب. العدى بكسر العين: الأعداء وهو جمع لا نظير له، قال ابن السكيت: لم يأت فعل من النعوت إلا حرف واحد، يقال هؤلاء قوم عدى، وأنشد: [من الطويل]

إذا كنت في قوم عدى لست منهم فكل ما ملته من خبيث وطيب

ويقال قوم عدى وعدى بالكسر والضم مثل سوى وسوى. الأسد: جمع أسد، وأسد يجمع على أسود وأسد مقصور منه وأسد مخفف، وأسد وآساد مثل جبل وأجبال. رابضة: الربوض للبقرة والغنم والفرس والكلب مثل البروك للإبل والجنوم للطائر. يقال: ربضت تربض ربوضاً فهي رابضة. حول: يقال قعدت حوله وحواله وحواليه وحوليه، ولا تقل حواليه بكسر اللام. وحول الشيء: ما يحاذيه من كل جانب. الكناس: موضع الظبي الذي يكنسه. تقول: كنس يكنس بالكسر. الغاب: الآجام والغابة الأجمة وهي مكان الأسد. الأسل: الرماح وهي المرادة هنا، وأصل الأسل نبات طويل له شوك، ومنه أسلة اللسان والذراع وهو ما استدق منهما.

(الإعراب). فالحب: مبتدأ والخبر محذوف تقديره مستقر. حيث: ظرف مكان وهو مبني على الضم وإنما بني لأنه أشبه الحرف من حيث الاستعمال إذ كان يحتاج إلى صلة مثل الذي ويوصل بالجملة الاسمية كقولك: جلست حيث زيد جالس، وبالجملة الفعلية كقولك: جلست حيث يجلس زيد. وكان البناء ضمّاً لوقوعها موقع الغاية والغاية هي الخبر والخبر مرفوع وكذلك قبل وبعد إذا وقعا غاية. وما أحسن قول محاسن الشواء: [من مخلع البسيط]

لنا صديق له خلال تُعرب عن أصله الأخس^(٣)

(١) السّواري: جمع السارية: الأسطوانة، أو السحابة المسائية، أو المطرة بالليل. وسارية العلم: قائمه.

(٢) السرّم: طَرَفُ المَعَى المستقيم.

(٣) الخلال: الطَّبَاعُ. الأخس: الأكثر خِسَّةً، أي دناءة وضعّة.

أَضَحَتْ لَهُ مِثْلَ حَيْثُ كَفٌّ وَدَدْتُ لَوْ أَنَّهَا كَأَمْسٍ
وَأَنشَدَنِي الْمَوْلَى شَمْسُ الدِّينِ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِيكَ السَّرُوجِي، قَالَ:
أَنشَدَنِي لِنَفْسِهِ الْقَاضِي زَيْنُ الدِّينِ عُمَرُ الْمَعْرُوفُ بَابُنِ الْوَرْدِيِّ الشَّافِعِيِّ بِحَلَبَ،
وَأَنشَدَنِيهِ أَيْضاً فِيمَا بَعْدَ لِنَفْسِهِ وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ: [مِنْ الرَّجْزِ]

قُلْتُ لِنَحْوِي إِذْ أَعْرَضَا لَهُ بِأَوَقَاتِ الرِّضَا أَعْرَضَا^(١)
يَا حَيْثُ لَوْ أَصْبَحَ بَابُ الرِّضَا كَيْفَ لَمَا كُنْتَ كَأَمْسٍ مَضَى

قلت: معناه يا مضموم لو أن باب الرضا مفتوح لما كنت مكسوراً، وفي حيث لغات الضمّ وهو الأفصح والفتح لأنه أخف والكسر لأن الأصل في البناء السكون وإذا حرّك الساكن كُسِرَ، وجاءت لغة رابعة وهي حوث. (رجع): وحيث في موضع نصب لأنه ظرف والعامل فيه مستقر وقد سدّ مسدّد الخبر. (العدى): مبتدأ ولم يظهر فيه الرفع لأنه مقصور. (والأسد): معطوف عليه وهو عطف نسق. (رابضة): خبر عن المبتدأ المعطوف وسد هذا الخبر عن الأول لأن العدى في الشدة والبأس كالأسد. (حول): منصوب على الظرفية والعامل فيه رابضة. و(الكناس) مضاف إليه والإضافة ههنا معنوية. (لها): جار ومجرور ولم يظهر الجر لأن الضمائر مبنية وهو خبر مقدّم لأن المبتدأ نكرة. (غاب): مبتدأ تقدّم خبره في الجار والمجرور، ولا يجوز الابتداء بالنكرة لأن الغالب فيها أن لا يفيد الإخبار عنها فإن أفادت ابتدء بها. والنحاة في الغالب عدّوا لها ستة مواطن، أولها: أن يكون المبتدأ نكرة محضة والخبر جار ومجرور ومقدّم كما في هذا البيت أو ظرف نحو عندي درهم. وثانيها: أن تعتمد النكرة على استفهام نحو هل رجل في الدار أو على نفي نحو ما أحد خير منك. وثالثها: أن تخصص النكرة وتقرب من المعرفة إمّا بوصف نحو قوله تعالى: ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّنْ مُّشْرِكٍ﴾ [البقرة: ٢٢١] أو بإضافة نحو: خمس صلوات كتبهنّ الله على العباد. ورابعها أن يكون فيها معنى الدعاء نحو سلام عليكم. وخامسها: أن يكون فيها معنى التعجب كقول الشاعر: [مِنْ الْكَامِلِ]

عَجَبٌ لِّتِلْكَ قَضِيَّةٍ وَإِقَامَتِي فَيَكُمُ عَلَى تِلْكَ الْقَضِيَّةِ أَعْجَبُ

وسادسها: أن يكون لها صدر الكلام كقولك من أبوك وكم غلام لك.

قال الشيخ بهاء الدين بن النّحاس: تنكير المبتدأ اختلفت فيه عبارات النحاة فقال ابن السراج: المعتبر في المبتدأ حصول الفائدة فمتى حصلت الفائدة جاز

(١) أعرض: صدّ ومال بؤده.

الابتداء بالنكرة. وقال الجرجاني: يجوز الإخبار عن النكرة بكل أمرٍ لا تشترك النفوس في معرفته نحو رجل من بني تميم شاعر، فالمُجَوِّز عنده شيء واحد وهو جهالة بعض النفوس. وقال شيخنا جمال الدين محمد بن عمرون: الضابط في جواز الابتداء بالنكرة قربها من المعرفة لا غير. وفُسِّرَ قربها من المعرفة بأحد شيئين إمّا باختصاصها كالنكرة الموصوفة أو بكونها في غاية العموم كقولنا ثمرة خير من جرادة. فعلى هذا لا حاجة إلى تعداد الأماكن التي يجوز فيها الابتداء بالنكرة بل يعتبر كل ما يرد فإن كان جارياً على الضابط أجزأه وإلاّ منعناه، ثم قال الشيخ بهاء الدين فيما بعد: والأماكن التي يجوز فيها الابتداء بالنكرة تزيد على ثلاثين، ولم أجد أحداً من الثّحاة غيره زاد على أربعة وعشرين فيما علمته، وقد ذكر هذه الأماكن التي عدّها في تعليقه على المقرب وأضربت أنا عنها خشية التّطويل.

(رجع): من الأسْل: جار ومجرور، ومن هنا لبيان الجنس، وقوله: لها غاب من الأسْل في موضع رفع صفة للأسد.

(المعنى): حبيبي مكانه حيث الأعادي والأسود رابضة حول كناسه، وللأسود غاب من الرماح، ولو كان لي في البيت حكم لقلت: فالحب حيث العدى كالأسد رابضة، لأنه ينتهي إلى أن يقول: حول الكناس لها غاب من الأسْل. والأسْل هي الرماح التي أرادها في البيت والرماح مما يختص بالأناسي لا بالأسود، وأيضاً الأسود ليس من شأنها الإلفة بالناس حتى تكون حولهم. فإن قلت: أراد بالأسود العدى وذلك أنهم في البأس كالأسد فأطلق ذلك عليهم مجازاً؛ قلت: لا يتأتى له ذلك، وقد عطف الأسد على العدى والعطف يدل على المغايرة فإذا الأسد غير العدى، وأيضاً هو قطع الكلام عن العدى وما ذكر لهم متعلقاً ووصف المحبوب بأن الأعادي محيطون به وحولهم الأسْل، وهو أبلغ في المنع والتحصن من الأسود لأن الإنسان أبلغ في الحرس والاحتراز من الأسد لأنه ذو عقل وتفكر ووهم وليس للأسد غير البطش، وعلى الجملة فقد وصف محبوبه بأنه مصون محجّب لا سبيل إلى الوصول إليه والحالة هذه، وما أحسن قول أبي عبد الله محمد بن أحمد الخياط الدمشقي: [من الطويل]

وَمُحْتَجِبٌ بَيْنَ الْأَسِنَّةِ مُعْرِضٍ وَفِي الْقَلْبِ مِنْ إِعْرَاضِهِ مِثْلُ حَجَبِهِ

وقول ابن قلاقس: [من الكامل]

إِرْجَعْ عَنِ الْوَادِي فَإِنَّ مِيَاهَهُ مِمَّا يَشْبُ بِهِ غَلِيلُ الْهَيْمِ^(١)

(١) يَشْبُ: يشتعل. الغليل: شدّة العطش وحرارته. الهيم: العطاش.

وَبَشْعَبَ رَامَةً مَعْرَكٌ يَغْدُو بِهِ قَلْبُ الْهَزْبُرِ أَسِيرٌ لِحِظِ الرِّيمِ^(١)
 مَدَّ الْكِمَاءُ مِنَ الْأَسْنَةِ فَوْقَهُ ظِلًّا وَذَاكَ الظِّلُّ مَنْ يَحْمُومُ^(٢)
 حَيْثُ التَّفْتُ إِلَى مَطَالَعِ شَمْسِهِ أَلْفَيْتَهَا مَحْجُوبَةً بِغُيُومِ^(٣)

وقول ابن القيسراني ومن خطه نقلت: [من الطويل]

وَفَوْقَ مُرَادِي مِنْ مُرَادٍ عَقَائِلُ تَبَيْتُ الْمَذَاكِي الْقَبَّ سَجَفَ قَبَابِهَا^(٤)
 وَدُونُ الْخُدُورِ السَّابِرِيَّةِ عَثْرَةٌ تَهَزَّ كَعُوبِ الرِّمَحِ دُونَ كَعَابِهَا^(٥)

وقول ابن خفاجة: [من الطويل]

لَقَدْ جُبْتُ دُونَ الْحَيِّ كُلِّ تَنُوفَةٍ يَحُومُ بِهَا نَسْرُ السَّمَاءِ عَلَى وَكْرِ^(٦)
 وَخُضْتُ ظِلَامَ اللَّيْلِ يَسُودُ فَحْمُهُ وَدُسْتُ عَرِينَ اللَّيْلِ يَنْظُرُ عَنْ جَمْرِ
 وَجِئْتُ دِيَارَ الْحَيِّ وَاللَّيْلِ مُطَرَفُ مُنَمْنِمُ ثَوْبِ الْأَفْقِ بِالْأَنْجَمِ الزَّهْرِ
 أَشِيمُ بِهَا بَرْقَ الْحَدِيدِ وَرُبَّمَا عَثَرْتُ بِأَطْرَافِ الْمُثَقَفَةِ السَّمْرِ^(٧)
 فَلَمْ أَلْقَ إِلَّا ضَعْدَةً فَوْقَ لَامَةٍ فَقُلْتُ قَضِيبٌ قَدْ أَطْلَ عَلَى نَهْرِ^(٨)
 وَلَا شِمْتُ إِلَّا غَرَّةً فَوْقَ أَشْقَرِ فَقُلْتُ حَبَابٌ يَسْتَدِيرُ عَلَى خَمْرِ
 فَسِرْتُ وَقَلْبُ الْبَرْقِ يَخْفِقُ غَيْرَةً هُنَاكَ وَعَيْنُ النِّجْمِ تَنْظُرُ عَنْ شَرْزِ^(٩)

قلت: هذا هو النظم الذي تخجل منه درر العقود، ويستحي من طرسه رقم البرود، وقد جمع الإنسجام والجزالة، وأضاف إلى الاستعارة حسن التخيّل، فقلت هذا البدر ضمن هالة، وأبرز في صورة تفرق منها الضراغم، وتنوح على من تلبس بتلك الحالة ساجعات الحمائم، فإذا حاول محاكاتها ناظم، وجدها كالحديد ملمسًا،

(١) الهزْبُرُ: الأسد. الرِّيم: الرئم: الظبي الخالص البياض.

(٢) الكِماء: الأبطال المدججون بالسلاح. الِحموم: الشديد الحرارة، أو الدخان الأسود الحار؛ قال تعالى: ﴿وَقُلْ مَنْ يَحْمُومٌ لَا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٌ﴾ [الواقعة: ٤٣].

(٣) أَلْفَيْتَهَا: وجدتتها.

(٤) العَقَائِلُ: جمع العقيلة: السيِّدة المُخَدَّرَة، أو الزوجة الكريمة. السَّجَف: السَّتر.

(٥) السَّابِرِيَّةُ من الأقمشة والثياب: الرقيق الجيّد. العَثْرَةُ: الرهط والعشيرة. كَعُوبُ الرِّمَحِ: عُقْدَه.

الكعاب: الفتاة التي نهذ ثديها، أي ارتفع وبرز.

(٦) جُبْتُ: طُفْتُ أو قُطِعْتُ. التَنُوفَةُ: الفلاة.

(٧) شام البرق (في الأصل): نظر إليه يرقب أين يكون مطره. المَثَقَفَةُ السَّمْرِ: الرماح المُقَوِّمَة.

(٨) الضَّعْدَةُ: الفتاة (الرمح). اللَّامَةُ: الدرع.

(٩) نَظَرُ شَرْزٍ: فيه إعراض.

وكالحرير ملبساً، وأين الثريّا من يد المتناول، وقوله أيضاً: [من الطويل]
 وَلَيْلٌ طَرَقَتْ الْمَالِكِيَّةَ تَحْتَهُ أَجْدُ عَلَى حُكْمِ الشَّابِّ مَزَارًا
 فَخَالَطَتْ أَطْرَافَ الْأَسْنَةِ أَنْجَمًا وَدُسْتُ لِهَالَاتِ الْبُدُورِ دِيَارًا^(١)
 وقول ابن صرّدر: [من الكامل]

وَطَرَقْتُ أَرْضَهُمْ وَتَحْتَ سَمَائِهَا عَدَدُ النُّجُومِ أَسْنَةُ الْمَرَّانِ^(٢)
 أَرْضٌ جَدَاوِلُهَا السُّيُوفُ وَنَبْتُهَا نَبْعٌ وَمَا رَكَزُوا مِنَ الْخُرْصَانِ^(٣)

قلت: ما أحسن الجداول هنا والنبع بعدها. وقول ابن نفادة: [من الطويل]
 أَظُنُّ الصَّبَا مِنْ أَرْضِ نَجْدٍ هُبُوبُهَا فَمَنْ نَشَرَ لَيْلَى قَدْ تَضَوَّعَ طَيْبُهَا
 وَمَنْ عَجِبَ إِنْ صَافَحْتُهَا وَسَلَّمْتُ عَلَيْهَا وَلَمْ يَشْعُرْ بِذَاكَ رَقِيبُهَا
 وَلَوْ أَنَّهَا مِمَّا يَرَى كَأَنَّ صَدَّهَا الْغَيُورَ وَلَمْ يَبْلُغْ إِلَيَّ هُبُوبُهَا
 وقوله أيضاً: [من السريع]

قَدْ حَجَّبُوا الْبَيْضَ بَبِيضِ الصَّفَاخِ وَمَتَّعُوا السُّمَرَ بِسُمْرِ الرِّمَاحِ
 وَأَطْبَقُوا أَحْدَاقَ أَسْجَافِهِمْ فَمَا تَرَى شَمْسُ الصَّبَاحِ الصَّبَاحِ^(٤)
 غَارُوا مِنَ النَّكْبَاءِ تَسْرِي فَهُمْ لَوْ رَقَدُوا سَدَّوْا مَهَبَّ الرِّيحِ^(٥)

وقول ابن قلاقس: [من المديد]
 وَابْلَائِي مِنْ مُخْدَرَةٍ دُونَهَا سُورٌ وَجُودَانُ
 وَأَسُودٍ خَافَ سَطْوَتَهَا كُلٌّ مِنْ حَازَتِهِ أَجْفَانُ
 وَرَقِيبٍ لَوْ يُلَاحِظُهَا لَتَثْنَى وَهُوَ غَيْرَانُ

قال ابن الأثير في «المثل السائر»: سافرت إلى الشام سنة سبع وخمسمائة،
 ودخلت مدينة دمشق فوجدت جماعة من أدبائها يلهجون ببيتٍ من الشعر لابن
 الخياط وهو: [من الطويل]

أَغَارُ إِذَا آنَسْتُ فِي الْحَيِّ أَنَّهُ حِذَارًا وَخَوْفًا أَنْ تَكُونَ لِحَبِّهِ

(١) الهالات: جمع الهالة: دائرة القمر.

(٢) المرَّان: الرِّمَاح الصُّلْبَةُ اللَّدْنَةُ.

(٣) رَكَزَ الشَّيْءُ: أَقْرَهُ وَأَثْبَتَهُ، وَرَكَزَ السَّهْمُ فِي الْأَرْضِ: غَرَزَهُ. الخرصان: الرماح، أو السهام.

(٤) الأسجاف: الستور.

(٥) النكباء: ريح انحرفت فكانت بين ريحين كالصَّبا والشَّمال.

فقلت لهم: هذا البيت مأخوذ من قول أبي الطيب المتنبي^(١): [من الكامل]
لَوْ قُلْتُ لِلدَّنْفِ الْمَشُوقِ فَدَيْتُهُ مِمَّا بِهِ لَأَعَذَّتْهُ بِفِدَائِهِ
وأنشدني الشيخ الإمام القاضي شهاب الدين محمود قال: أنشدني شيخنا
الإمام مجد الدين محمد بن أحمد بن عمر الظهير الإربلي الحنفي^(٢) لنفسه من
أبيات: [من الطويل]

أَوَاصِلُ فِيهِ لَوْعَتِي وَهُوَ هَاجِرٌ وَيُؤْنَسُنِي تَذَكَارُهُ وَهُوَ نَافِرٌ
عَزَالَ مَنِيعُ الْخِذْرِ دُونَ مَازَارِهِ مُظَلَّلَةٌ بِالْبَيْضِ مِنْهُ الْجَادِرُ^(٣)
وقرأت عليه أيضاً قوله من قصيدة: [من الوافر]

وَمَنْ طَلَبَ الْأَحَبَّةَ كَانَ أَسْحَى بِبَدَلِ النَّفْسِ مِنْ كَعْبِ بْنِ مَامَةَ^(٤)
وَمَنْ طَلَبَ الْغَنَائِمَ لَمْ يَهَبْ مَنْ نَضَا مَنْ دُونَ مَطْلَبِهِ حُسَامَةَ^(٥)

وأنشدني لنفسه إجازة ومن خطه نقلت: [من الكامل]
وَعَلَى الْحَمَى حَيٌّ تَخَالُ ظُبَاءُهُ أَخَذْتُ سَطَا الْفَتَكَاتِ عَنْ آسَادِهِ
جَعَلُوا الْقَنَا رَصَدَ الْقَبَابِ فَمَنْ ثَنَى طَرَفًا لَهُ رَمَقَتْهُ زُرْقٌ صِعَادِهِ^(٦)
يَحْمِي نَزِيلَهُمْ وَيَأْمَنُ جَارَهُمْ إِلَّا عَلَى أَحَشَائِهِ وَرُقَادِهِ
فَإِذَا تَزَوَّدَ نَظْرَةً مِنْ عَيْنِهِمْ قَبْلَ الرِّحِيلِ فَحَتَفُهُ فِي زَادِهِ^(٧)
وأنشدني له أيضاً إجازة: [من الكامل]

وَلَقَدْ عَهِدْتُ رِمَاحَهُمْ تَصْغِي إِلَى مَرِّ الصَّبَا خَوْفًا عَلَى أَسْرَارِهِمْ

(١) ديوان المتنبي: ١٢١/٢. وفيه: «للدنف الحزين»، و«لأغرته».

(٢) هو مجد الدين، محمد بن أحمد بن عمر بن أبي شاعر الإربلي، المعروف بابن الظهير: شاعر، أديب، من الفقهاء. ولد بإربل، وتنقل في العراق والشام، وتوفي في دمشق سنة ٦٧٧هـ/ ١٢٧٨. (الأعلام: ٣٢٣/٥).

(٣) البيض: السيوف. الجاذر: جمع الجؤذر: ولد البقرة الوحشية.

(٤) هو أبو دؤاد، كعب بن مامة بن عمرو بن ثعلبة الإيادي: أحد أجواد العرب في الجاهلية، كان يُضرب به المثل في حسن الجوار، فكان يقال: «أجود من كعب بن مامة»، و«جار كجار أبي دؤاد». (الأعلام: ٢٢٩/٥).

(٥) نضا السيف: أخرجه من غمده.

(٦) الصَّعاد: جمع الصَّعدة: القناة تنبت مستوية فلا تحتاج إلى تثقيف.

(٧) العَيْنُ: النساء المشبهات ببقر الوحش في سعة العيون وجمالها.

وَرَأَيْتُ مَعَ بَذْلِ النِّوَالِ حُمَاتِهِمْ وَالْوَهْمُ يَفْرُقُ أَنْ يُرَى بِمَزَارِهِمْ^(١)
وَأُنْشِدُنِي إِجَازَةً لِنَفْسِهِ الْمَوْلَى صَفِي الدِّينِ الْحَلِيِّ وَمِنْ خَطِّهِ نَقَلْتُ: [مِن الطَّوِيلِ]
وَسَرَبُ ظَبَاءٍ مُّشْرِقَاتٍ شُمُوسُهُ عَلَى حَلَّةٍ عَدَّ النُّجُومُ بُدُورَهَا
يَمَانَعُ عَمَّا فِي الْكِنَاسِ أُسُودَهَا وَيَحْرُسُ مَا تَحْوِي الْقُصُورُ صُقُورَهَا
يَغَارُ مِنَ الطَّيِّفِ الْمَلَمِّ حُمَاتِهَا وَيَغْضَبُ مِنْ مَرِّ النَّسِيمِ غَيُورَهَا
إِذَا مَا رَأَى فِي النَّوْمِ طَيْفًا يَرُودَهَا تَوَهَّمَهُ فِي الْيَوْمِ ضَيْفًا يَزُورَهَا
نَظَرْنَا فَأَعَدْتْنَا السَّقَامَ عُيُونُهَا وَلُذْنَا فَأَوْلَتْنَا التَّحَوُّلَ خُصُورَهَا
وَزُرْنَا وَأَسْدُ الْحَيِّ تُذَكِّي لِحَاظِهَا وَيَسْمَعُ فِي غَابِ الرِّمَاحِ زَيْرَهَا
فِيَا سَاعِدَ اللَّهِ الْمَحَبِّ فَإِنَّهُ يَرَى غَمَرَاتِ الْمَوْتِ ثَمَّ يَزُورَهَا

قلت: هذا تضمن حسن ولكن القافية تكرّرت معه في يزورها. وما وصف أحد رقيقه بأبلغ من قول ابن قلاقس المتقدم وهو قوله: رقيب لو يلاحظها (البيت) وهو أنه يغار حتى من نفسه، وهذه حالة زائدة عن الرقباء، فإن الرقيب قد يكون يريد الصون، وأن العاشق لا يلم بالمعشوق ولا يداني مكاناً يضمّه، فأما إذا انضاف إلى هذه الغيرة أنه يغار عليه من نفسه كان المحب أشق عليه إلى الغاية. وأين غيرة هذا الرقيب من عدم غيرة عبد المحسن الصوري على محبوبه حيث قال: [مِن الطَّوِيلِ]

تَعَلَّقْتُهُ سَكَرَانٍ مِنْ خَمْرَةِ الصَّبَا بِهِ غَفْلَةٌ عَنْ لَوْعَتِي وَنَحْيَبِي
وَشَارَكْنِي فِي حَبِّهِ كُلِّ مَا جِدِ يُشَارِكُنِي فِي مُهْجَتِي بِنَصِيبِ^(٢)
فَلَا تُلْزِمُونِي غَيْرَةً مَا أَلْفَتْهَا فَإِنَّ حَبِيبِي مَنْ أَحَبَّ حَبِيبِي

وبالغ الآخر فقال يتبجح بالقيادة: [مِن الطَّوِيلِ]

أَقُودُ بِحَمْدِ اللَّهِ لَا عَنْ كِرَاهَةٍ وَغَيْرِي قَوَادٍ عَلَى رُغْمِ أَنْفِهِ
وَمَا أَحْلَى قَوْلَ مُجِيرِ الدِّينِ بْنِ قِرْنَاصٍ: [مِن الْكَامِلِ]

لِي صَاحِبٌ كَمَلْتُ جَمِيعُ صِفَاتِهِ قَدْ عَمَّنِي بِغَرَائِبِ الْإِحْسَانِ
لَوْ لَمْ يَكُنْ مِثْلَ النَّسِيمِ لَطَافَةً مَا بَاتَ يَعْطِفُ لِي غُصُونُ الْبَانِ

وقال الوجيه الدوري: [مِن الْكَامِلِ]

لَا تَبْعَثُوا بِسَوَى الْمَهْدَبِ جَعْفَرٍ فَالْشَيْخُ فِي كُلِّ الْأُمُورِ مُهْدَبٌ

(١) النوال: العطاء.

(٢) المآجد: الشّريفُ الحَيُّ.

طَوْرًا يُغَنِّي بِالرِّبَابِ وَتَارَةً تَأْتِي عَلَى يَدِهِ الرِّبَابُ وَزَيْنَبُ^(١)

وقال السراج الوراق ومن خطه نقلت: [من الخفيف]

جَاءَ فِي الْبَرْزِ وَاحِدَ الْعَصْرِ وَالْقَوَادِ أَيْضًا فِي ذَاتِهِ مَقْبُولٌ
وَهُوَ مَعَ مَا فِيهِ مِنَ الْبَرْزِ وَالْفَتْحِ لَمْ يُخْلَى مِنْ دِينِهِ مَحْلُولٌ

وقال ابن سناء الملك: [من السريع]

لِي صَاحِبٌ أَفْدِيهِ مَنْ صَاحِبٍ لَوْ شَاءَ مَنْ رَقَّةِ الْفَاطَةِ
حُلُو التَّانِي حَسَنَ الْاِحْتِيَالِ أَلْفَ مَا بَيْنَ الْهُدَى وَالضَّلَالِ
يَكْفِيكَ مِنْهُ أَنَّهُ رُبَّمَا قَدْ قَادَ لِلْمَهْجُورِ طَيْفَ الْخِيَالِ

وقال آخر: [من الوافر]

يُسَهِّلُ كُلَّ مَمْتَنَعٍ شَدِيدٍ وَيَأْتِي بِالْمَرَادِ عَلَى اقْتِصَادٍ
فَلَوْ كَلَّفْتَهُ تَحْصِيلَ طَيْفِ الْخِيَالِ ضُحَى لَزَارَ بِلَا رُقَادٍ

وقال مجير الدين محمد بن تميم ومن خطه نقلت: [من الوافر]

وَقَوَادٍ يُعِيدُ الْهَجْرَ وَضَلًّا وَطُولَ الْبُعْدِ قُرْبًا وَاتِّفَاقًا
يَكَادُ بِحِكْمَةٍ فِيهِ وَحِذْقٍ يَقُودُ بِلَا أَزْمَتِهَا التِّيَاقَا

وقال عبد العزيز الأمدى فيمن له ابن يدعى سراجاً: [من الكامل]

لَكَ زَوْجَةٌ وَابْنٌ هَمَّا لَكَ رَوْضَتَا زَهْرٍ وَفِي يَوْمِ الْلِقَاءِ حَجَاجُ
لَا تَخْشَى فِي طَرَقِ الْقِيَادَةِ ظُلْمَةً لَكَ مِنْهُمَا طَوَافَةٌ وَسِرَاجُ

قيل: إن أبا الحسين الجزّار حضر إلى بيت الزين المارديني الشاعر ومعه مليم فأطال الزين الجلوس، فكتب الجزّار بيتين في ورقة ودفعها إليه وهما: [من الخفيف]

لَيْسَ فِي الْبَيْتِ مَا تَخَافُ عَلَيْهِ وَعَلَيَّ الضَّمَانُ حَتَّى تَعُودَا
فَتَصَدَّقَ وَقَدْ عَلَيَّ فَلَا بُدَّ إِذَا جِئْتَ مَنَزَلِي أَنْ أَقُودَا

وقال أبو الحسين الجزّار من أبيات: [من الخفيف]

لَيْتَ شِعْرِي مَاذَا تَقُولُ إِذَا مَا رُمْتَ شَتْمِي قُلْ لِي بِأَيِّ طَرِيقٍ
عَلِمَ اللَّهُ مَا مَضَيْتُ رَسُولًا قَطُّ مِنْ عِنْدِ ابْنَتِي لِعَشِيقٍ

(١) الرباب (الأولى): آلة من آلات الطرب. الرباب (الثانية): اسم امرأة.

لا ولا جئْتُ بالرجالِ إلى بَيْـ تي وكاسَرْتُ عَنْهُمْ في السَّوْقِ
وكتب أيضاً إلى السراج الوراق من أبيات: [من الخفيف]
ولئن كنتَ قد عُلِقْتَ حَبِيباً مَوْصِلياً فَأَنْتَ بِالْعِلْقِ أَعْلَقُ
فأجابه السراج بأبيات منها: [من الخفيف]

ما نرى كيده وقد جاء بالقـ فِ رَوِيّاً فَجِئْتُ بِالْقَلْبِ أَعْلَقُ
قُلْتُ دعه فالشيخُ أَقُولُ مِتْنا قال بالبدال قلتُ قولك أَصْدَقُ
وقال ابن دانيال في الكمال العواد: [من مخلع البسيط]

عَيْنُ الكَمالِ العَوادِ قَافٌ وَهُوَ شُويخٌ رَدَّ قَواقِي
سَـرْتُ قِـيادَاتِه إلى أن قَادَ بِمِصرٍ على عِراقِي
وحكى لي الشيخ الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري
أن الشيخ بهاء الدين بن النحاس دخل إلى الجامع الأزهر فوجد أبا الحسين الجزار
جالساً وإلى جانبه مليح ففرّق بينهما وصلى ركعتين ولما فرغ قال لأبي الحسين: ما
أردت إلا قول ابن سناء الملك. فقال أبو الحسين: ما تفاءلت أنا إلا بقول صاحبنا
السراج الوراق.

قلت: أما مراد الشيخ بهاء الدين بن النحاس من قول ابن سناء الملك فهو:
[من مجزوء الرمل]

أنا في مَقْعَدِ صِدْقٍ بَيْنَ قَوادٍ وَعِلْقٍ
وأما مراد أبي الحسين الجزار من قول السراج الوراق فهو: [من مجزوء الكامل]
وَمُهَذَّبٍ راضٍ الأبيِّ فَقَدْ أَدَّهُ سَلَسَ القِـيادُ
لَمَّا تَوَسَّطَ بَيْنَنا جَرَّتِ الأُمُورُ على السِّدادِ

وقد تسابَّ كلُّ منهما مع خصمه ولم يشعر بمرادهما أحد. وقريب من هذا ما
حكاه ابن الجوزي في كتاب «الأذكياء»، قال: روى رفيقنا عبد الكريم بن منصور،
قال: سمعت المبارك بن أحمد بن الأفوه يقول: خرج رجل من بغداد على سبيل
الفرجة، فقعده على الجسر فأقبلت امرأة من جهة الرصافة متوجهة إلى الجانب
الغربي، فاستقبلها شاب فقال: رحم الله علي بن الجهم^(١). فقالت المرأة: رحم

(١) هو أبو الحسن، علي بن الجهم بن بدر القرشي السامي: شاعر مفلق مطبوع، من أهل بغداد.
عاصر أبا تمام، واختص بالمتوكل العباسي. توفي سنة ٢٤٩هـ / ٨٦٣م. (طبقات ابن المعتز:
٢٩١؛ الأغاني: ١٠/٢١٥؛ معجم الشعراء، المرزباني: ١٤٠).

اللّه أبا العلاء المعريّ. وما وقفاً، بل مرّ الرجل مشرقاً، ومرت المرأة مغربيةً، فتبعت المرأة وقلت: إن لم تقولي لي ما أراد وما أردت وإلا فضحتك، فضحكت وقالت: أراد الشاب بقوله رحم الله علي بن الجهم قوله: [من الطويل]

عُيُونُ الْمَهَا بَيْنَ الرِّصَافَةِ وَالْجِسْرِ جَلْبَنَ الْهَوَى مِنْ حَيْثُ أَذْرِي وَلَا أَذْرِي^(١)
وأردت أنا بقولي رحم الله أبا العلاء المعري قوله^(٢): [من الطويل]

فَيَا دَارَهَا بِالْخَيْفِ إِنَّ مَزَارَهَا قَرِيبٌ وَلَكِنْ دُونَ ذَلِكَ أَهْوَالُ^(٣)

ومثل هذا ما ذكره صاحب الأغاني، قال^(٤): هَوِي مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى الْجَعْفَرِيُّ جَارِيَةً مَغْنِيَةً إِسْمُهَا بَصِيصٌ، وَطَالَ عَلَيْهِ ذَلِكَ فَقَالَ لَصَدِيقٍ لَهُ: لَقَدْ شَغَلَنِي حُبُّ هَذِهِ عَنْ صَنْعَتِي وَكُلِّ أَمْرِي، وَقَدْ وَجَدْتُ مَسَّ السَّلْوَةِ عَنْهَا، فَازْهَبْ بِنَا حَتَّى أَكْشِفَهَا فَاسْتَرِيحَ. فَأَتَيْاهَا، فَلَمَّا غَنَّتْ لَهَا قَالَتْ لَهَا مُحَمَّدُ بْنُ عَيْسَى أَتَغْنِينَ: [من الوافر]

وَكُنْتُ أَحَبَّكُمْ فَسَلَوْتُ عَنْكُمْ عَلَيَّكُمْ فِي دِيَارِكُمُ السَّلَامُ
فَقَالَتْ: لَا وَلَكِنِّي أَغْنِي: [من الوافر]

تَحْمَلُ أَهْلُهَا عَنْهَا قَبَانُوا عَلَى آثَارٍ مَنْ ذَهَبَ الْعَفَاءُ

قال فاستحي وزاد بها كلفاً وأطرق ثم قال أنغنين: [من الطويل]
وَاخْضَعُ بِالْعُتْبَى إِذَا كُنْتُ مُذْنِباً وَإِنْ أَذْنِبْتُ كُنْتُ الَّذِي أَتَنْصَلُ^(٥)

قالت: نعم وأغني أحسن منه: [من الطويل]
فَإِنْ تَقْبَلُوا بِالْوَدِّ نَقِيلُ بِمَثَلِهِ وَنُنْزِلُكُمْ مِثْلًا بِأَقْرَبِ مَنْزِلٍ
قال: فتقاطعا في بيتين وتواصلا في بيتين وما شعر بهما أحد.

قلت: وبصيص هذه من مولدات المدينة، حلوة الوجه، حسنة الغناء، وهي جارية يحيى بن نفيس، يقال: إن المهدي اشتراها وهو ولي العهد سراً من أبيه بسبعة عشر ألف دينار فولدت منه عُلَيَّة بنت المهدي^(٦).

(١) البيت في تاريخ الأدب العربي، فروخ: ٢٩٢/٢، وهو مطلع قصيدة قالها في مدح الخليفة المتوكل.
الرصافة: الجانب الشرقي من بغداد. الجسر: هو الجسر الذي يصل الرصافة بالكرخ (الجانب الغربي).

(٢) سقط الزند: ٢٢٠.

(٣) الحزن: الأرض الصلبة الغليظة. الأهوال: الشدائد.

(٤) الأغاني: ٢٩/١٥. (٥) تنصل من الذنب: تبرأ.

(٦) أديبة، شاعرة، تحسن صناعة الغناء، من أجمل النساء، وأظرفهن، وأكملهن فضلاً وعقلاً وصيانةً. توفيت سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م. (شذرات الذهب: ٣١١/١).

(رجع): والأصل في غالب ما تقدّم من القيادة قول عُمر بن أبي ربيعة المخزومي من أبيات^(١): [من الرمل]

فَأَتَتْهَا طَبَّةٌ عَالِمَةٌ تَمْزُجُ الْجَدَّ مِرَاراً بِاللَّعِبِ^(٢)
تُغْلِظُ الْقَوْلَ إِذَا لَانَتْ لَهَا وَتُرَاحِي عِنْدَ سَوَرَاتِ الْغَضَبِ^(٣)

قيل: إنّ ابن عتيق^(٤) لما سمع ذلك قال لِعُمر: ما أحوج المسلمين إلى خليفة يدير أمرهم مثل قوادتك هذه. وأخذ هذا المعنى الوأواء الدمشقي^(٥) فقال هذه الأبيات: [من البسيط]

بِاللَّهِ رَبِّكُمَا عُوْجَا عَلَى سَكْنِي وَعَرَضَا بِي وَقُولَا فِي حَدِيثِكُمَا
فَإِنْ تَبَسَّمْ قَوْلَا فِي مُلَاطِفَةٍ وَإِنْ بَدَا لَكُمَا فِي وَجْهِهِ غَضَبٌ
ومنه قول الآخر: [من الطويل]

أَلَا يَا نَسِيمَ الرِّيحِ بَلَّغْ رِسَالَتِي فَإِنْ أَعْرَضْتَ عَنِّي فَمَوْهُ مُغَالِطَاً
وقال الآخر: [دوبيت]

بِالْطَّفِ إِذَا لَقِيتَ مَنْ أَهْوَاهُ عَاتِبَهُ وَقُلْ لَهُ الَّذِي أَلْقَاهُ
إِنْ أَغْضَبَهُ الْوَصَالَ غَالِطُهُ بِهِ أَوْ رَقَّ فَقُلْ عَبْدُكَ لَا تَنْسَاهُ
وقلت أنا من أبيات: [من البسيط]

وَبَا رَسُولِي إِلَيْهِمْ صِفْ لَهُمْ أَرْقِي وَأَنْ طَرَفِي لِطَيْفِ الضَّيْفِ مُرْتَقِبُ
عَرَضْ بِذِكْرِي فَإِنْ قَالُوا أَتَعْرِفُهُ فَاسْأَلْ لِي الْوَصْلَ وَأُنْكَرْنِي إِذَا عَضِبُوا
وقال بعضهم: دخلت مدينة فرأيت بها غلاماً حسناً فراودته عن نفسه فأجاب.

(١) ديوان عمر بن أبي ربيعة: ٤٤/١.

(٢) في الديوان: «فَبَعَثْنَا طَبَّةً مُحْتَالَةً». الطَّبَّة: الخبيرة المُجَرَّبَة. المحتالة: الماكرة التي تُحسن التصرف.

(٣) في الديوان: «تَرْفَعُ الصَّوْت». سورة الغضب: حَدَّثَهُ وَشِدَّتُهُ.

(٤) بعض أخباره في الأغاني: ١٥٢/١٢.

(٥) هو أبو الفرج، محمد بن أحمد الغساني الدمشقي، المعروف بالوأواء: شاعر مطبوع رقيق المعاني والألفاظ. توفي نحو ٣٨٥هـ/ نحو ٩٩٥م. (الأعلام: ٣١٢/٥).

فلما خلونا ذكرت الله وانصرفت عما هممت به، فلما خرجنا قال: إُدفع لي شيئاً. فقلت: ما جرى بيننا ما يوجب العطاء، فتنازعنا وطال اللجاج، فبينما نحن كذلك إذ مرّ بنا رجل فناديناه وتحاكمنا إليه وحكىنا له الصورة، فقال: حدّثني أبي عن جدّي عن المزني عن الشافعي أنه قال: إذا أغلق الباب وأسدل الستر فقد وجب المهر، فأعطه حقه، فدفعت إلى الأمرد درهمين وقلت لذلك الرجل: أعيذك بالله من قواد فما رأيت من يقود على مذهب الشافعي بسند متصل غيرك، وفي المثل: أقود من ظلمة. قال بعضهم: أظنه من قولهم: الليل أخفى للويل أو من قولهم: فإنما الليل نهار الأديب، أو من قولهم: فالشمس نامة والليل قواد. وليس بشيء وإنما أصل المثل أنه كانت في هذيل امرأة تدعى ظلمة زنت ستين سنة، وقادت أربعين سنة، فلما عجزت عن ذلك اتخذت تيساً وعنزاً، وكانت تنزي التيس على العنز، ف قيل لها: لم تفعلين هذا؟ قالت: حتى أشاهد أنس الجماع فألذ به.

أقول: فما كان أحقها بأن يقال في حقها: [من الوافر]

عَجُوزٌ قَدْ زَنَتْ سِتِّينَ عَامًا وَقَادَتْ بَعْدَ ذَلِكَ أَرْبَعِينَ
وَقَامَتْ فَاشْتَرَتْ تَيْسًا وَعَنْزًا لَتَنْظُرَ لَذَّةَ الْمُتَنَائِكِينَ

وبقول بعضهم: [من الخفيف]

شَيْخَةُ الْفَسَقِ لَا تَحُولُ عَنِ الْعَهْدِ كَمَا تَسْتَبِيحُ مَا لَنْ يَجُوزًا
سَاحَقَتْ طِفْلَةً وَلَيْطَتْ فَتَاةً وَزَنَتْ كَهْلَةً وَقَادَتْ عَجُوزًا^(١)

قلت: وما رأيت من استعمل هذه المادّة من الصغر إلى الكبر إلا الذي قال:

[من الكامل]

حَاشَا لِمِثْلِي عَنْ هَوَاهُ يَثُوبُ هُوَ دُونَ كُلِّ الْعَالَمِينَ حَبِيبُ
أَهْوَاهُ طِفْلًا فِي الْقِمَاطِ وَأَمْرَدًا وَبِلَحْيَةٍ وَإِذَا عَلَاهُ مَشِيبُ^(٢)

وأخذه الآخر فقال: [مواليا]

هَوَيْتَ شَيْخَ أَسْمَرٍ أَكْحَلَ مَا لَهُ عَائِبُ إِلَّا مَشِيبُوا وَمَا قَلْبِي بِذَا تَائِبُ
يَجِي عَلَى كُلِّ حَالِهِ مَا يَرُوحُ خَائِبُ أَمْرَدٌ مَعْدَرٌ مِنْكَرٍشٍ مِلْتَحِي شَائِبُ

(رجع) إلى ذكر الرقيب: وأما الرقيب فملازمته أمر يضني ومرض يفري الحشا ويفني، والمحبون ابتلوا به حديثاً وقديماً، ورعوا به روض المحبة هشيماً، وأرى

(١) السُّحَاقُ: أن تأتي الأنثى مثيلتها. ليطت المرأة: أتيت في دبرها.

(٢) القِمَاطُ: ما يُلْفُ به المولود ساعة يُولد.

الرقيب هو المبتلى، وصاحب السهر والتعب على أنه ما عشق ولا سلا، وذلك لأن العاشق يجد في الغرام لذة عليه عائدة، والرقيب أضاع زمانه وأذاب فؤاده بلا فائدة. ولهذا قال ابن رشيق^(١): [من الطويل]

تَأْذَى بِلَحْظِي مَنْ أَحَبَّ وَقَالَ لِي أَخَافُ مِنَ الْجَلَّاسِ أَنْ يَفْطِنُوا بِنَا
وَقَالَ إِذَا كَرَّرْتَ لَحْظَكَ دُونَهُمْ إِلَيَّ فَمَا يَخْفَى دَلِيلَ مُرِيبِنَا
فَقُلْتُ بُلِينَا بِالرَّقِيبِ فَقَالَ مَا بُلِينَا وَلَكِنَّ الرَّقِيبَ بُلِي بِنَا

وما أطف قول ابن المعتز^(٢): [من الخفيف]

وَابِلَائِي فِي مَحْضَرٍ وَمَغِيبٍ مِنْ حَبِيبٍ مَتَّى بَعِيدٍ قَرِيبٍ
لَمْ تَرُدْ مَاءَ وَجْهِهِ الْعَيْنِ إِلَّا شَرِقتُ قَبْلَ رِيِّهَا بِرَّقِيبٍ^(٣)

قلت: ما أحلى استعارته الشرق والورد والريّ لماء الوجه فهكذا يكون الشعر، وأظن أن ابن بابك أخذ من هنا قوله: [من البسيط]

تَكَادُ عَيْنِي إِذَا خَاضَتْ مَحَاسِنَهُ إِلَيْهِ تَشْرِبُهُ مِنْ رِقَّةِ الْبَشَرِ
وَتَلَطَّفَ ابْنُ الْمُعْتَزِ أَيْضاً حَيْثُ قَالَ^(٤): [من المنسرح]

وَكَمْ عِنَاقٍ لَنَا وَكَمْ قُبُلٍ مُخْتَلَسَاتٍ حِذَارَ مُرْتَقِبٍ^(٥)
نَقَرَ الْعَصَافِيرَ وَهِيَ خَائِفَةٌ مِنَ النَّوَاطِيرِ يَانِعِ الرُّطْبِ

وما أحسن قول سيف الدين بن حمدان: [من مجزوء الوافر]

أَقْبَلَهُ عَلَى جَزَعٍ كَشْرَبِ الطَّائِرِ الْفَزَعِ
رَأَى مَاءً فَأَوْقَعَهُ وَخَافَ عَوَاقِبَ الطَّمَعِ
وَصَادَفَ خِلْسَةً قَدَنًا وَلَمْ يَلْتَذَّ بِالْجَرَعِ

وأبلغ من هذا قول الحارث بن خالد^(٦): [من البسيط]

تُدْنِيكَ شَيْئاً قَلِيلاً وَهِيَ خَائِفَةٌ كَمَا يَمَسُّ بِظَهْرِ الْحَيَّةِ الْفَرْقُ

(١) ديوان ابن رشيق: ١٥١.

(٢) لم يرد البيتان في ديوان ابن المعتز (دار الجيل).

(٣) شَرِقتُ: غَضَّتْ. (٤) ديوان ابن المعتز: ١١٥.

(٥) مُخْتَلَسَاتٍ: مَسْرُوقَاتٍ.

(٦) هو الحارث بن خالد بن العاص بن هشام المخزومي: شاعر غَزَلٍ، من أهل مكة. توفي نحو

٨٠هـ/ نحو ٧٠٠م. (الأعلام: ١٥٤/٢).

وتلطفَ الصاحب بن عباد رحمه الله حيث شبه الرقيب بالصلة والمحجوب بالذي لشدة اتصالهما وعدم خلو الذي من الصلة فقال: [من الكامل]
 وَمُهْفَهْفٍ ذِي وَجْنَةٍ كَالْجَنْبِذِ أَلْحَاضُهُ مِثْلُ السَّهَامِ النُّقْذِ^(١)
 قَدْ نِلْتُ مِنْهُ مُرَادَ قَلْبِي فِي الْهَوَى وَمَلَكَتُهُ لَوْلَمْ يَكُنْ صِلَةَ الَّذِي
 وبالعُ القائل في ملازمة الرقيب فقال: [من الخفيف]

أنا والحبُّ ما خَلَوْنَا وَلَا طَ رَفَةُ عَيْنٍ إِلَّا عَلَيْنَا رَقِيبُ
 ما اجتمعنا بحيثُ إنَّ لم يُمكن الـ دَهْرُ بَأْنِي أَقُولُ أَنْتَ الْحَبِيبُ
 بَلْ خَلَوْنَا بِقَدْرٍ مَا قُلْتُ أَنْتَ الـ ح فَوَافِي فَقُلْتُ كَيْمَ الطَّبِيبُ
 وما ترك هذا الشاعر في الظرف غاية لمن بعده. وقريب من هذه المادّة ما ذكره
 الحريري في «درة الغواص»، قال: حكى لي أبو الفتح عبدوس بن محمد الهمداني حين
 قدم البصرة حاجاً في سنة نيفٍ وستين وأربعمائة أن الصاحب أبا القاسم بن عباد رأى
 أحدَ ندمائه متغيّر السحنة فقال له: ما الذي بك؟ قال: حُمَّى. فقال له الصاحب: قه،
 فقال له النديم: وه، فاستحسن الصاحب ذلك وخلع عليه. وقيل: إن بعض الظرفاء
 سمع امرأة حسناء تقول وقد أتت إلى جانب نهر: يا جارية أين أضع رجلي؟ فقال لها
 ذلك الظريف: على كتفي، فقالت: بخفي، فقال لها: رقة زوجك، فقالت له: من أين
 خرجت؟ فقال لها: من بيتك، فقالت: مصفوع، فقال لها: على تهمة بك، فقالت:
 وأنت عنها بريء، فانقطع. ونقلت من خط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في
 ترجمة ضياء الدين موسى الكاتب من نوادره، أنه قال له الرضى الحلاوي الشاعر: أنا في
 لحيتي حاصة^(٢)، فقال الضياء موسى: لي. وقال الحلاوي يوماً: أنا أشعر شعراً حسناً
 وما يعوزني إلا حلق، فقال له موسى: لحية.

قلت: أما النادرة الأولى فلا بدّ فيها من مسامحة ما لأن التنديب إذا كان جواباً
 اغتفر فيه السرعة ما لا يغتفر في غيره إذ الحصة التي هي بمعنى النصيب وهو مراد
 الضياء موسى بغير ألف. وأما الداء الذي يتناثر منه شعر الذقن وهو مراد الحلاوي
 إنما هو حاصة. والحصص قلة الشعر فاعرفه. وعلى قول الضياء في الثانية ذكرت ما
 قلته أنا قديماً: [من السريع]

قُلْتُ لَهُ إِذْ هَزَلِي دَقْنُهُ وَلَا م فِي مَنْ دُبْتُ فِي عَشْقَهَا
 تَذَكَّرْتُ إِذْ غَنَّتْ فَنَادَى نَعَمْ فَقُلْتُ وَأَشَوْقَا إِلَى حَلْقِهَا

(١) المُهْفَهْف: الضَّامُّ البطن، الدَّقِيقُ الحَصْر. الجُنْبَذَة: ما ارتفع من الشيء واستدار كالقبة.

(٢) الحاصة: داءٌ يتناثر منه شعر الذقن.

نَوْمٌ نَاشِئَةٌ بِالْجَزْعِ قَدْ سُقِيَتْ نَصَالُهَا بِمِيَاهِ الْغُنْجِ وَالْكَحْلِ (اللغة). الأَمُّ: القصد. يقال: أُمُّهُ وَأُمَمُهُ وتَأَمَّمَهُ إذا قصده. ناشئة: مؤنث ناشئ، وناشئ اسم فاعل من نشأ ينشأ فهو ناشئ. الجَزْع بالكسر: منعطف الوادي. النصال: جمع نصل وهو حديدة السيف والسهم ويجمع على نصول. مياه: جمع ماء ويجمع على أمواه في القلة ومياه في الكثرة والهمزة في ماء مبدلة من الهاء في موضع اللام إذ أصله مَوّه بالتحريك لأنه يجمع على أمواه كما تقدّم. الغنج: بالسكون والغنج بالتحريك الشكل، وقد غنجت الجارية وتغنّجت فهي غنجة والغنج هو الدلّ. الكحل: سواد يعلو جفون العين مثل الكحل من غير اكتحال، ورجل كحل وامرأة كحلاء.

(الإعراب). نَوْمٌ: فعل مضارع مرفوع لخلوّه من الناصب والجازم، وقد تقدّم الكلام عليه والفاعل ضمير مستتر فيه تقديره نحن. (ناشئة): مفعول به وهو صفة لموصوف محذوف تقديره فتاة ناشئة أو فتيات ناشئة وهذا جائز، ونطق به القرآن به كثيراً كقوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَرْوِيهِ بَرِيئًا﴾ [النساء: ١١٢] أي شخصاً بريئاً. و(الجزع): جار ومجرور في موضع نصب بما في ناشئة من معنى الفعل والباء هنا ظرفية. (قد): حرف توقع لاقتترانه بالأفعال المتوقعة في الحال والمسؤول عنها ومنه قد قامت الصلاة لأن المصلين ينتظرون قيامها. وقال الجوهري: ولا تدخل إلّا على الأفعال وهي جواب لقولك لما تفعل. وزعم الخليل أنك تقول قد مات فلان لمنتظر الخبر ولو أخبرت شخصاً لا ينتظره لا تقل قد مات، ولكن تقول مات فلان وأصلها التقريب فتقرب الماضي من الحال، تقول: كنت أتمنى الحج وقد حججت أي في زمن قريب من إخباري ولكونها تفيد التقريب في زمن الحال تلزم الفعل الماضي إذا وقع حالاً نحو جاء زيد وقد ركب، ومعناها في المضارع التقليل وهي فيه بمنزلة رُبّ في الأسماء لأن التقريب لا يناسب التقليل ومعنى تقليلها تقريبها الفعل من الحال، ومنه قوله تعالى: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٨] أي تحقّق علم ذلك عند الله تعالى. وأما قولهم قد يصدق الكذب فمعناه أن الصدق يقل منه، ويحتمل أن يكون المراد أن الصدق قد يتحقق من الكذب. وقيل: إنها إذا دخلت على المضارع أدّت منه معنى الماضي. وقد تكون زائدة في نحو: لو قد جاءني لأكرمته. وقد تخرج عن بابها وتجيء من قبيل الأسماء بمعنى حسب. تقول: قدك أي حسبك. قال أبو تمام الطائي^(١): [من الكامل]

قَدْكَ أَتَيْتُ أَرْبَيْتَ فِي الْغُلُوءِ كَمْ تَعْدِلُونَ وَأَنْتُمْ سُجَرَاءُ^(٢)

(١) ديوان أبي تمام: ٨٦/١.

(٢) قَدْكَ: حَسْبُكَ. أَتَيْتُ: اسْتَح. أَرْبَيْتُ: أَسْرَفْتُ. الْغُلُوءُ: الزيادة في القول أو الفعل، وغُلُوء الشباب حَدَّثَهُ وَسَوَّرْتُهُ. السُّجَرَاءُ: الأصدقاء.

ومن أبيات المعاني قول الفقيه أبي الحسن الطوسي: [من مجزوء الكامل]

مَتَّيْنَنِي حِينَأَ فَلَمَّ — أُنْ مَلَلْتُ مِنْ التَّمَنِّي
عَرَّضَنَ لِي بِالْوَصْلِ حَتَّى — قُلْتُ قَدْ أَعْرَضَنَ عَنِّي

وظاهره مشكل لعدم انتظام الكلام، فإذا حملت قد على معنى حسب صح المعنى. (سقيت): فعل مغير لما لم يسم فاعله وقد تقدّم الكلام على هذه الصيغة والتاء علامة التأنيث المفعول. (نصالتها): مفعول ما لم يسم فاعله والضمير في موضع جر بالإضافة، وقد تقدّم الكلام على رفع ذلك المفعول.

قلت: ومن مشكل هذا النوع قراءة ابن كثير وعاصم: ﴿يَسْبَحُ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوِّ وَالْأَصَالِ رَجَالٌ لَا تُلْهِمُهُمْ يَحْرَهُ وَلَا يَبْعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧] بضم الياء في يسبح وفتح الباء على بناء ما لم يسم فاعله. قال بعض العلماء: حذف الفاعل هنا وإبهامه على السامع مدح عظيم لأنه إذا حذف الفاعل اقتضى أن الذين يسبحون الإنس والجن والملائكة والخلق أجمعون. كما قال تعالى: ﴿وَأَن مِّن شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ﴾ [الإسراء: ٤٤] على أحد الأقوال ثم أنه تعالى خصصهم بالذكر في قوله رجال لا تلهيهم أي صفتهم ما ذكر من المدح تشريفاً لهم وعنايةً بهم فكان السامع تشوّق إلى أن يعلم من هم المسبحون فعقبه بقوله: رجال. الآية. والوقف في هذه القراءة على الأصال وابتدئ بقوله: رجال، ولو وقف على رجال لكان كفراً. ويحكى أن بعض الأفاضل صلّى تحت منبر يوم الجمعة وكان الخطيب عامياً فقال: الحمد لله المسبح بكسر الباء، فقال له الفاضل: ذاك أنا الذي أصبح باللغات المختلفة. ومثل هذا ما سألته بعض العوام وقد رأى جنازة فقال: من المتوفّى؟ بكسر الفاء، فقال له رجل فاضل: الله تعالى، فأنكر العامي قوله. فقال له الفاضل: الله يتوفى الأنفس حين موتها والميت متوفّى بفتح الفاء. وحكى أن بعض العميان سمع بعضهم يقول: يا من يرى ولا يرى بضم الياء في الكلمة الأولى وفتحها في الثانية، فقال له الأعشى لبّيك ذاك أنا. وحكى بعضهم أنه سمع بعض السوّال يقول: من يعطيني فلساً وأحيله على من يرى ولا يرى. فقال له بعض أهل المجون: فإذا أعطيتك من هو المطالب. فائدة قوله تعالى: ﴿لَا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣] هذه الآية الكريمة أقوى دلائل المعتزلة في الأدلة السمعية على أن الله تعالى لا يرى لأنها صريحة، والجواب أن الآية الأخرى تناقضها وهي قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]. وحديث عائشة رضي الله عنها: إنكم لترون ربكم يوم القيامة. الحديث. وأما شبهتهم في قوله تعالى: لا تدركه الأبصار، فقد أجاب الأشاعرة عنها بأن قالوا قوله تعالى: لا تدركه الأبصار نقيض لقولنا تدركه الأبصار، وقوله لا تدركه

الأبصار يقتضي أن كل أحد لا يبصره لأن الألف واللام إذا دخلتا على الجمع أفادت الاستغراق، ونقيض السالبة الكلية، الموجبة الجزئية، فكأن معنى قوله تعالى: لا تدركه الأبصار لا تدركه كل الأبصار، ونحن نقول بموجبه فإن جميع الأبصار لا تراه ولا يراه إلا المؤمنون. وهذه النكتة هي معنى قولهم سلب العموم لا يفيد عموم السلب. ومن حجج المعتزلة بالأدلة السمعية أيضاً قوله تعالى لموسى: ﴿لَنْ تَرَنِى﴾ [الأعراف: ١٤٣]. ولفظة لن تقتضي التأييد. والجواب عن ذلك أنها لا تقتضيه بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَنْ يَمَمْتُوهُ أَبَدًا﴾ [البقرة: ٩٥]، فأخبر أنهم لن يتمنوا الموت. وذكر لفظة أبداً وأيضاً فقد تمنوه في قوله تعالى: ﴿وَنَادُوا يَكْمَلُكَ لِقَضِّ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف: ٧٧]، ومن حجج الأشاعرة قول الإمام فخر الدين الرازي: رؤية الله تعالى معلقة على شرط جائز وكل ما علق على شرط جائز فهو جائز، فرؤية الله جائزة لأن الرؤية علق على شرط استقرار الجبل وهو جائز لقوله تعالى: ﴿فَإِنْ أَسْتَقَرَّ مَكَانُهُ فَسَوْفَ تَرَانِي﴾ [الأعراف: ١٤٣] وإنما قلنا بجوازه، لأن الجبل جسم، وكل جسم يمكن أن يكون ساكناً. وإنما قلنا أن المعلق على الجائز جائز لأن بتقدير وقوع ذلك الشرط إن لم يحصل المشروط لزم الكذب في إخبار الله تعالى، وهو محال. وإن حصل كان الجواز قبله حاصلًا وهذه نكتة حسنة. والأدلة السمعية على رؤية الله تعالى في الدار الآخرة كثيرة، منها قراءة من قرأ: وإذا رأيت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً بفتح الميم وكسر اللام، ولا جائز أن يكون ذلك الملك إلا الله تعالى. وروى الجمهور أنه ﷺ قرأ قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] فقال الحسنى هي الجنة والزيادة هي النظر إلى وجه الله تعالى. وأول المعتزلة قوله تعالى: ﴿وَجُوهٌ نَّاضِرَةٌ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] بأن المراد بناظرة: منتظرة، واستشهدوا بقوله تعالى: ﴿فَنَاطِرَةٌ يَمِ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ﴾ [النمل: ٣٥] واستشهدوا أيضاً بالشعر وغيره، والذي يقال في جوابهم أن انتظرت في اللغة يتعدى بغير حرف الجر وأما نظرت إلى كذا بحرف الجر فلم يرد إلا في معنى البصر، ولئن سلمنا أن الانتظار يتعدى بحرف الجر فنقول: إن الانتظار كان حاصلًا من المؤمنين في الدنيا فلا فائدة في ذكره يوم القيامة، فلا بد من شيء زائد على ما كان حاصلًا قبل، وهو النظر إلى وجه الله الكريم، جعلنا الله بفضل من يؤهل لذلك المقام، ويخص بذلك الإنعام العام. وأورد الزمخشري في تفسيره هذين البيتين وهما قول بعض العدلية: [من الكامل]

لجماعة سَمَّوْا هَوَاهُمْ سُنَّةً وجماعة حُمِرَ لَعَمْرِي مُوَكَّفُهُ^(١)

(١) مُوَكَّفُهُ: من وَكَّفَ وَكَّفًا: وقع في عيب أو مأثم، ومنه: وَكَّفَ عقله أو رأيه: فَسَدَ، وأوكف فلاناً: أوقعه في الإثم.

قَدْ شَبَّهَوْهُ بِخَلْقِهِ وَتَخَوَّفُوا شُعَ الْوَرَى فَتَسْتَرُوا بِالْبَلْكَفَةِ^(١)

وأجاب عنهما بعض أهل السنة بقوله: [من الكامل]

عَجَباً لِقَوْمٍ ظَالِمِينَ تَلَقَّبُوا بِالْعَدْلِ مَا فِيهِمْ لَعْمَرِي مَعْرِفَهُ
قَدْ جَاءَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَدْرُونَهُ تَعْطِيلُ ذَاتِ اللَّهِ مَعَ نَفْيِ الصِّفَةِ

وعلى ذكر قوله تعالى: ﴿يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ﴾ [النور: ٣٦] قرأ بعض المغفلين في بيوت أذن الله أن ترفع برفع بيوت فقال له آخر: يا أخي إنما القراءة في بيوت بالجر، فقال له: يا مغفل إذا كان الله تعالى يقول: في بيوت أذن الله أن ترفع تجربها أنت. ومن نوع الآية الكريمة قول الشاعر: [من الطويل]

لَيْبِكُ يَزِيدُ ضَارِعٌ لَخُصُومِهِ وَمُخْتَبِطٌ مِمَّا تَطْيِخُ الطَّوَائِحُ^(٢)

(رجع). بمياه: جار ومجرور متعلق بسقيت، والباء هنا زائدة. كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] وأتت زائدة مع المفعول لأن سقى يتعدى بنفسه. تقول: سقاه وأسقاه بمعنى. و(الغنج): مضاف إلى مياه والإضافة معنوية مقدرة باللام. (والكحل): معطوف على الغنج، والجملة من قوله سقيت إلخ في موضع النصب على الصفة لناشئة.

(المعنى): نقصد فتاة أو فتيات ناشئة بمنعطف الوادي ونصالها التي تحميها قد سقيت بمياه الغنج والكحل. وهذا معنى قد أولع الشعراء به، وأكثروا منه، وهو أشهر من أن يستشهد له، ولا بدّ من لمعة منه. قال ابن الساعاتي: [من الرمل]

حَالٌ مِنْ دُونِكَ يَا أَخْتَ الْكِلِّ مُقَلُّ الْحَيِّ وَفُرْسَانُ الْأَسْلِ
وَمَوَاضٍ مُرْهَفَاتٌ فَتَكْتُ بِي وَحَاشَاكَ وَلَا مِثْلُ الْكَحْلِ^(٣)

وقال أبو الشيص^(٤): [من الكامل]

يَرْمِينِ أَلْبَابَ الرِّجَالِ بِأَسْهُمٍ قَدْ رَاشَهُنَّ الْكُحْلُ وَالتَّهْدِيبُ^(٥)

(١) شَنَعَ فلاناً شَنْعاً: عابه وقَبَّحه، واستشنع الأمر: عدّه قبيحاً.

(٢) مُخْتَبِطٌ: من اختبط الليل: سار فيه على غير هُدًى. طَوَّحَ فلاناً، وأطاحه: ضَيَّعه وتَوَّهه، أو أفناه وأذهبه، أو بعثه إلى أرض لا يرجع منها.

(٣) مواضٍ مرهفات: سيوف رقيقة.

(٤) هو أبو جعفر، محمد بن عبد الله بن رزين بن سليمان بن تميم الخزاعي، المعروف بأبي الشيص: شاعر مطبوع سريع الخاطر، وهو ابن عمّ دِعلب الخزاعي. توفي سنة ١٩٦هـ / ٨١١م. (طبقات ابن المعتز: ٦٤؛ البداية والنهاية: ١٠ / ٢٤٩).

(٥) راش السَّهم: علّق عليه الرِّيش. التهذيب: من هدبت العين: طال هدبها.

وما أحسن قول عُمَر بن أبي ربيعة^(١): [من الرمل]

تُنْكِرُ الْإِثْمَ مَا تَعْرِفُهُ غَيْرَ أَنْ تَسْمَعَ مِنْهُ بِخَبْرٍ^(٢)
يعني أنها تستغني عنه بالكحل الذي في أجفانها، وهذا يشبه قول المجنون^(٣):
[من الكامل]

مَوْسُومَةٌ بِالْحُسْنِ ذَاتُ حَوَاسِدٍ إِنَّ الْجَمَالَ مَظْنَّةٌ لِلْحُسْدِ^(٤)
وَتَرَى مَدَامِعَهَا تُرْفِرُقُ مُقْلَةً سَوْدَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَوَادِ الْإِثْمِ
ومن هنا أخذ ابن النبيه قوله: [من السريع]

بَيْضَاءُ كَحَلَاءٍ لَهَا نَاطِرٌ مُنْزَعٌ عَنْ لَوْثَةِ الْمِرْوَدِ^(٥)
وقوله منزّه أبلغ من قول المجنون ترغّب وأحسن في الذوق. وقال ابن سناء
الملك: [من البسيط]

تَخْطُو وَتَخْطُرُ فِي حَلِيٍّ وَفِي حُلٍّ وَتَنْثُرُ السَّحَرَ بَيْنَ الْكُحْلِ وَالْكَحَلِ^(٦)
كَحَلَاءٍ مَا اكْتَحَلَتْ بِالْمِيلِ عَابَثَةً إِلَّا لِتُنْهَضَ جَفْنِيهَا مِنَ الْكَسَلِ^(٧)
وقال أيضاً من أبيات: [من البسيط]

لَهَا نَاطِرٌ يَا حَيْرَةَ الظَّبِيِّ إِذْ رَنَّا بِهِ كَحَلٌ نَادَاهُ يَا خَجَلَةَ الْكَحَلِ^(٨)
وَأَثْقَلَهَا الْحُسْنُ الَّذِي قَدْ تَكَاثَرَتْ مَلَا حَتُّهُ حَتَّى تَثْنَتْ مِنَ الثَّقَلِ
قال ابن جبارة: قوله: لها ناظر تحققنا ذلك، ثم قال: يا حيرة الظبي، ولم
يحار مع وجود المقاربة وعدم المباينة، ثم جعل العلة في حيرته وجود الكحل. إن
هذه قريحة قريحة، وفكرة غير صحيحة، وهذا إن سلم ممن يأخذ عليه على
المجازاة بإذ وليست من حروف المجازاة، وهل ينبغي أن يقول قائل: إذ يقوم زيد
قام عمرو ويريد بذلك التعليق، وإنما أراد سبك مثل المتنبي^(٩): [من البسيط]

لَيْسَ التَّكْحَلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ^(١٠)

(١) لم يرد في ديوان عمر بن أبي ربيعة (عالم الكتب).

(٢) الإثم: مادة يُكْتَحَلُ بها. (٣) ديوان قيس بن المُلَوِّح (المجنون): ١١٧.

(٤) في الديوان: «إِنَّ الْحَسَانَ مَظْنَّةٌ لِلْحُسْدِ». مَوْسُومَةٌ: مُعْلَمَةٌ. مَظْنَّةُ الشَّيْءِ: مَوْضِعُهُ.

(٥) الْمِرْوَدُ: أَلَةٌ يُكْتَحَلُ بِهَا. (٦) الْكَحَلُ: اسوداد الجفنين خَلْقَةً.

(٧) الْمِيلُ: الْمِرْوَدُ. (٨) رَنَّا: أَدَامَ النَّظَرَ مَعَ سَكُونِ طَرَفٍ.

(٩) ديوان المتنبي: ١٠٨/٢.

(١٠) البيت بتمامه:

لَأَنَّ حِلْمَكَ حِلْمٌ لَا تَكَلِّفُهُ لَيْسَ التَّكْحَلُ فِي الْعَيْنَيْنِ كَالْكَحَلِ

ومن أحسن ما نقلته في التكحل والكحل قول بعضهم: [من الكامل]
 زَادَتْ عَلَى كَحَلِ الْجَفُونِ تَكْحُلًا وَيَسْمُ نَصْلُ السَّيْفِ وَهُوَ قَتُولُ
 وقال بعد كلام ساقه على البيت: وقوله: وأثقلها الحسن، هذا قلب المعنى
 الذي ليس بمعنى، وذلك أن الحسن فيما يظهر هو رونق يكون على محيّا شخص
 فيستحسن به، والملاحه هي وإن كانت البياض في الأصل فهي في الاستعمال صفة
 صورة الذات من الحاجب والعين والأنف والفم، ولهذا يقال: في العرف: مליح
 حسن، يعني أن الذات مكملّة بالملاحه في صورة مستحسنة عند تأملها لبلوغ الأمل.
 ثم قال: ولا ينبغي أن يقال: هو حسن مليح لأنه يجعل الوصف الذاتي تبعاً لغيره
 وكان الصواب أن يقول: أثقلتها الملاحه التي تكاثر حسنّها. ثم قال: حتى تثت من
 الثقل، لو رفع ثاء الثقل لكان أليق بالبيت وبصنعه، فلا يقال له أهويت، ولا
 أهيت، وهل يتثنى الإنسان من الثقل؟ وإنما يمشی قطعة واحدة في حال الثقل. ثم
 قال: وقد وكلت شرح هذا البيت لعجزي عن معناه إلى عريف الحماليين فعساه
 يعرف معناه. ولقد أحسن الأعشى^(١) حيث يقول^(٢): [من البسيط]

كَأَنَّ مَشْيَتَهَا مِنْ بَيْتِ جَارَتِهَا مَشْيُ السَّحَابَةِ لَا رَيْثٌ وَلَا عَجَلُ^(٣)
 وقال بشار بن برد^(٤): [من الوافر]

إِذَا قَامَتْ لِحَاجَتِهَا تَثَنَّتْ كَأَنَّ عِظَامَهَا مِنْ خَيْزُرَانِ^(٥)
 قلت: هذا لعمرى نقد حسن، وسبيل ألقى إليه العنان والرسن، ولو كان لي
 في البيت الأول حكم لقلت: لها ناظر يا حيرة الطّبي عنده وخلصت من إذ وعدم
 وضعها للمجازاة، وأما قوله: وأثقلها الحسن، فابن جبارة معذور فيه لأن حسناً يثقل
 صاحبه سمج بارد غث، لأن الحسن إنما يفيد الخفة والحركة والنشاط. وما مدح
 شيء بالثقل غير الأرداف وما يتركها الشعراء بل يقرنونها بخفة الخصر ورشاقة القد.
 ومنه قول شمسة الموصليّة: [من الكامل]

هَيْفَاءُ إِنْ قَالَ الشَّبَابُ لَهَا أَنْهَضِي قَالَتْ رَوَدِفُهَا أَقْعُدِي وَتَمَهَّلِي

(١) هو أبو بصير، ميمون بن قيس بن جندل، المعروف بالأعشى الأكبر: شاعر جاهلي من الطبقة الأولى. ولد بمنفوحة باليمامة، وتوفي فيها سنة ٧هـ / ٦٢٩م. (الشعر والشعراء: ١/ ١٧٨؛ الأغاني: ٩/ ١٠٤؛ المؤتلف والمختلف: ١٠).

(٢) ديوان الأعشى (المكتب الإسلامي): ٣٠٠.

(٣) في الديوان: «مَرُّ السَّحَابَةِ». الرَّيْثُ: البطء. العَجَلُ: العجالة (السرعة).

(٤) ديوان بشار بن برد: ٤/ ١٩٥؛ الأغاني: ٣/ ٢٨.

(٥) في الديوان: (إِذَا قَامَتْ لِمَشْيَتِهَا).

وقول الآخر وهو في غاية الحسن: [من الكامل]

هَيْفَاءُ إِنْ خَطَرْتُ لِحَاجَتِهَا عَجَلَ الْقَضِيبُ وَأَبْطَأَ الدَّعْصُ^(١)

وقول ابن رشيق^(٢): [من السريع]

أَحْمَلُ أَثْقَالِي عَلَى رِدْفِهِ وَأَمْسِكُ الْخَصَرَ لئَلَّا يَضِيعَ

وأنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة: [من الطويل]

سَأَلْتُ النِّقَا وَالْبَانَ يَحْكِي لِنَاطِرِي رَوَادِفَ أَوْ أَعْطَافَ مَنْ طَالَ صَدُّهَا

فَقَالَ كَثِيبُ الرَّمْلِ مَا أَنَا حِمْلُهَا وَقَالَ قَضِيبُ الْبَانِ مَا أَنَا قَدُّهَا

فلما أصبحت أنشدته في معناه: [من المجث]

يَقُولُ رِدْفُ حَبِيبِي وَعِطْفُهُ الْمُتَأَنِّي

مَا أَنْتَ يَا غُصْنُ قَدِّي وَلَا كَثِيبُكَ وَزْنِي

فقال: ما أشبه نظمي ونظمك إلا بشار بن برد وسلم الخاسر^(٣).

قلت: يريد بذلك قول بشار بن برد^(٤): [من البسيط]

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ لَمْ يَظْفَرْ بِحَاجَتِهِ وَفَارَزَ بِالطَّيِّبَاتِ الْفَاتِكُ اللَّهْجُ^(٥)

فأخذه منه سلم الخاسر وقال^(٦): [من مخلع البسيط]

مَنْ رَاقِبَ النَّاسَ مَاتَ غَمًّا وَفَارَزَ بِاللَّذَّةِ الْجَسُورُ^(٧)

والخفة أمر يطلب في كل شيء ويستحسن. ألا تراهم يصفون الكؤوس بها إذا

ملئت مداماً، ولهذا قال الشاعر: [من الكامل]

ثَقُلْتُ زُجَاجَاتٍ أَتَتْنا فُرْعَا حَتَّى إِذَا مُلِئْتُ بِصَرْفِ الرَّاحِ

خَفَّتْ فَكَادَتْ أَنْ تَطِيرَ بِمَا حَوَتْ وَكَذَا الْجُسُومُ تَخَفُّ بِالْأَزْوَاحِ

(١) الدَّعْصُ: كَثِيبُ الرَّمْلِ الْمُجْتَمِعِ، والمراد به: الرِّدْفُ، العجيزة. القَضِيبُ: القُدُّ، القوام.

(٢) ديوان ابن رشيق: ٩٤.

(٣) هو سالم بن عمرو بن حماد، الشهير بسلم الخاسر: شاعر خليع ماجن، من أهل البصرة. سُمِّيَ بالخاسر لأنه باع مصحفاً واشترى بثمانه طنبراً. توفي سنة ١٨٦هـ/ ٨٠٢م. (طبقات ابن المعتز: ٩٠؛ تاريخ بغداد: ١٣٦/٩).

(٤) ديوان بشار بن برد: ٧٢/٢.

(٥) الفاتك: القاتل، استعير للجريء الذي لا يعبأ بلوم الناس. اللَّهْجُ: الْمُغَرَّى بالشيء المثابر عليه.

(٦) لباب الآداب، الثعالبي: ٣٣٣.

(٧) الجَسُورُ: الجريء.

وقال ابن حمديس: [من الكامل]

وَيَخَفُّ مَلَانًا وَيَثْقُلُ فَارِغًا كَالْجِسْمِ تُغْدَمُ رُوحُهُ أَوْ تُوجَدُ

وقال أيضاً: [من البسيط]

تَخَفُّ مَلَأَى وَتُعْطَى الثَّقْلَ فَارِغَةً كَالْجِسْمِ عِنْدَ وُجُودِ الرُّوحِ أَوْ لَامَةً

وذكرت بقوله: لا يعرفه إلا عريف الحماليين ما دار بين الصاحب جمال الدين بن مطروح وبين معين الدين بن لؤلؤ، وقد دخل عليه يوماً فأنشده الصاحب وقال: أنظر ما أحسن هذا النظم: [من الكامل]

مَا زِلْتُ أَضْمُمُهُ إِلَى أَحْشَائِي حَتَّى وَهَتْ مِنْ ضَمِّهِ أَعْضَائِي^(١)

فقال له معين الدين: الله الله يا مولانا الصاحب قتلت هذا المسكين، بالله أرفق به، فاغتاظ الصاحب منه، وقال: أليس هذا أحسن من شعرك الذي للتراسين حيث تقول: إِيَّاكَ إِيَّاكَ مِنْهُ وَالْغَرَامُ بِهِ. فقال: يا مولانا الصاحب ما أردت أن تقول إلا كما قال بعضهم: [من الوافر]

أَعَانِقُهُ وَإِشْفَاقِي عَلَيْهِ يُنْفَسُ عَنْهُ مِنْ ضَيْقِ الْخِنَاقِ

فاعترف له بالإحسان. وأما قول بشار بن برد: إذا قامت لحاجتها تثنت «البيت» فقد حكي أن بشاراً لما سمع قول كثير عزة^(٢): [من الطويل]

أَلَا إِنَّمَا لَيْلَى عَصَا خَيْرُ رَانَةٍ إِذَا غَمَزُوهَا بِالْأَكْفِ تَلِينُ^(٣)

قال: قاتل الله أبا صخر يزعم أنها عصا، ويعتذر بأنها خيزرانة، والله لو قال عصا مخ أو عصا زبد لكان قد هجته. ذكر العصا هلاً قال كما قلت^(٤): [من الوافر]

وَبَيْضَاءِ الْمَحَاجِرِ مِنْ مَعْدٍ كَأَنَّ حَدِيثَهَا تَمَرُ الْجِنَانِ^(٥)

إذا قامت لحاجتها «البيت». وأنشدني الشيخ الإمام الحافظ العلامة أثير الدين

(١) وَهَتْ: ضَعُفَتْ.

(٢) هو أبو صخر، كثير بن عبد الرحمن بن الأسود بن عامر الخزاعي: شاعر فحل، من أهل المدينة. أحب عزة بنت جميل، فُنُسِبَ إليها. توفي سنة ١٠٥هـ/ ٧٢٣م. (طبقات ابن سلام: ٥٤٠، الشعر والشعراء: ٤١٠/١).

(٣) لم يرد البيت في ديوان كثير (دار صادر).

(٤) ديوان بشار بن برد: ١٩٥/٤.

(٥) في الديوان: «ودعجاء المحاجر». الدَّعْجُ: شِدَّةُ سَوَادِ سَوَادِ الْعَيْنِ مَعَ سَعَتِهَا.

أبو حيان قال: أنشدني الشيخ علاء الدين عليّ بن خطاب الباجي الأصولي لنفسه:
[من الوافر]

رَأَى لِي عُذْلِي إِذْ عَايَنُونِي وَسُحِبْ مَدَامَعِي مِثْلَ الْعُيُونِ
وَرَامُوا كُحْلَ عَيْنِي قُلْتُ كُفُّوا فَأَصْلُ بَلِيَّتِي كُحْلُ الْجَفُونِ

وأنشدني الشيخ الإمام الأديب الكاتب شهاب الدين أبو الثناء محمود إجازة،
قال: أنشدني لنفسه شيخنا الإمام مجد الدين محمد بن الظهير الإربلي الحنفي أبياتاً
أولها: [من الكامل]

غَشُّ الْمَفْنُنْدِ كَامِنٌ فِي نُصْحِهِ فَأَطْلُ وَقُوفِكَ بِالْغُويرِ وَسَفْحِهِ^(١)
ومنها:

وَبَيِّ الَّذِي يُغْنِيهِ فَاتِرُ طَرْفِهِ عَنْ سَيْفِهِ وَقَوَائِمُهُ عَنْ رُمُحِهِ
طَبِيٍّ يُؤَنِّسُ بِالْغَرَامِ نَفَارُهُ وَيَجِدُّ فِي نَهَبِ الْقُلُوبِ بِمَزْحِهِ
ذُو وَجَنَةٍ شَرَقَتْ بِمَاءِ نَعِيمِهَا كَالْوَرْدِ أَشْرَقَهُ نَدَاهُ بِرَشْحِهِ
وَكَأَنَّ طَرْفَتَهُ وَضُوءَ جَبِينِهِ لَيْلٌ تَأَلَّقَ فِيهِ بَارِقُ صُبْحِهِ^(٢)
يَا شَاهِراً مَنْ جَفَنِهِ عَضْباً غَدَاً مَاءَ الْمَنِيَّةِ بَادِئاً فِي صَفْحِهِ^(٣)
قَلْبِي وَطَرْفِي ذَا يَسِيلُ دَمًا وَذَا دُونَ الْوَرَى أَنْتَ الْعَلِيمُ بِقَرْحِهِ^(٤)
وَهُمَا بِحَبِّكَ شَاهِدَانِ وَإِنَّمَا تَعْدِيلُ كُلِّ مِنْهُمَا فِي جَرْحِهِ^(٥)
وَالْقَلْبُ مَنْزِلَكَ الْقَدِيمُ فَإِنْ تَجَدُّ فِيهِ سِوَاكَ مِنَ الْأَنَامِ فَنَحْهِ^(٦)

وإنما أثبت هذه الأبيات وإن كان أكثرها ليس له علاقة ببيت الطغرائي لحسن
نظمها وانسجام لفظها، وانظر إلى قافية البيت الأخير وتمكنها في محلها كأنها
الشمس في الحمل، أو الدرة التي تم بها حسن العقد وكمل. والقافية روح والبيت
جسد، فمتى قلقت فيه ضعف تركيبه وفسد. وتمكن القوافي دليل على قوة الناظم
في فنه، وقلقها أدل على وقوف قريحته وجمود ذهنه. وقال التهامي: [من الكامل]

طَرَفْتُهُ فِي أَتْرَابِهَا فَجَلْتُ لَهُ وَهَنًا مِنَ الْغُرَرِ الصَّبَاحِ صَبَاحًا^(٧)

(١) الْمُفْنُنْدُ: الْمُكَذَّبُ. الغوير: اسم جبل.

(٢) الطَّرَّةُ: الْقُصَّةُ: ما تطره المرأة من الشعر المُوفِي على جبهتها وتُصَفِّفُهُ.

(٣) الْعَضْبُ: السيف القاطع. (٤) الْقَرْحُ: الْجُرْحُ.

(٥) عَدَلُ الشَّاهِدِ: زَكَاة. جرح الشاهد: طعن فيه وَرَدَ قوله.

(٦) نَحَاهُ: أَبْعَدَهُ. (٧) الْوَهْنُ: نحو نصف الليل أو بعد ساعة منه.

أَبْرَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْعُيُونِ أَسِنَّةً وَهَزَزْنَ مِنْ تِلْكَ الْقُدُودِ رِمَاحًا
يَا حَبِّذَا ذَاكَ السَّلَاحَ وَحَبِّذَا وَقَتَّ يَكُونُ الْحَسَنُ فِيهِ سِلَاحًا

وفي بيت الطغرائي من أنواع البديع الكناية وهي أبلغ من التصريح وأوقع في النفوس، ألا ترى أن قولك: بعيدة مهوى القرط، أبلغ من قولك: طويلة العنق، وقول امرئ القيس^(١): [من الطويل]

وَيُضْحِي فَتِيْتُ الْمِسْكِ مِنْ فَوْقِ فُرْشِهَا نَوْوُمُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفْضُلِ^(٢)

أبلغ من قوله: منعمة ذات خدم وجوار يخدمونها، فهي تنام الضحى ولم تشد وسطها بنطاق الخدمة، وامرؤ القيس أبدع الناس في الكناية لأن الناس كانوا يقولون: أسيلة الخد، حتى جاء هو فقال: أسيلة مجرى الدمع، وكانوا يقولون: طويلة القامة وتامة العنق، حتى قال: بعيدة مهوى القرط، وكانوا يقولون في الفرس السابق: يلحق الغزال والظليم^(٣) وما أشبه ذلك، حتى قال: قيّد الأوابد. وعلى ذكر مهوى القرط أقول: قد أنشدني شيخنا العلامة شهاب الدين أبو الثناء محمود قال: أنشدني لنفسه شيخنا مجد الدين بن الظهير الإربلي من أبيات: [من الطويل]

حَكَى قَرَطُهَا قَلْبِي خُفُوقًا فَهَلْ رَأَى لَهُ أَوْ عَرَاهُ الْوَجْدُ أَوْ رَاعَهُ الْهَوَى^(٤)
وهو في غاية الحسن لأنه استوفى أقسام الأسباب الموجبة لاضطراب القرط.

وما أحسن قول ابن سناء الملك: [من الوافر]

أَمَّا وَاللَّهِ لَوْلَا خَوْفُ سُخْطِكَ لَهَانَ عَلَيَّ مَا أَلْقَى بِرَهْطِكَ^(٥)
مَلَكَتِ الْخَافَقِينَ فَتَهْتُ عُجْبًا وَلَيْسَ هُمَا سِوَى قَلْبِي وَقَرَطِكَ

وأخذه البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبي فقصر عنه إذ قال: [من الوافر]

وَأَحْوَى فَاتِرِ الْأَجْفَانِ أَلْمَى رَشِيقِي قَدَّه رَخْصَ الْبَنَانِ^(٦)

(١) ديوان امرئ القيس: ٢٨.

(٢) فتيت المسك: ما تفتت منه. نؤوم الضحى: أي لها من يكفيها من الخدم، فهي تنام ولا تهتم لشيء. الانتطاق: الانتظار للعمل.

(٣) الظليم: الذكر من النعام.

(٤) الخفوق: الحركة والاضطراب. عراه: أصابه.

(٥) الرهط: الأهل والعشيرة.

(٦) الأحوى: الذي ضرب لون شفته من الحمرة إلى السواد. الألمي: الذي ببطن شفته سواد. الرخص: الناعم اللين.

تَمَلَّكَ قُرْطُهُ وَالْقَلْبَ مِثِّي فَصَارَ لَهُ بِذَلِكَ الْخَافِقَانِ

وقال ابن الساعاتي: [من الطويل]

يَزُولُ زَوَالُ الظِّلِّ صَبْرِي وَعَهْدُهَا وَيَخْفِقُ خَفَقَ الآلِ قَلْبِي وَقُرْطُهَا

وما ألطف ما اعتذر به الورّاق الخطيري عن خفق الفؤاد عند رؤية المحبوب

في قوله: [من المجث]

يَقُولُ لِي حِينَ وَافَى قَدْ نِلْتَ مَا تَرْتَجِيهِ

فَمَا لِقَلْبِكَ أَضْحَى بِخَفَقَةٍ تَعْتَرِيهِ

فَقُلْتُ وَضَلْتُكَ عُرْسُ وَالْقَلْبُ يَرْقُصُ فِيهِ

ومنه قول الآخر: [من مجزوء الكامل]

لَا تُنْكِرُوا خَفَقَانَ قَلْبِي وَالْحَبِيبُ لَدَيَّ حَاضِرُ

مَا الْقَلْبُ إِلَّا دَارُهُ دُقْتُ لَهُ فِيهَا الْبَشَائِرُ

وما أحسن قول ابن سناء الملك: [من الكامل]

أَوْسَعْتُ فِيهِ الدَّهْرَ عَتَبًا مُؤَلِّمًا فَأَجَابَنِي بِالْإِفْكِ وَالْبُهْتَانِ^(١)

قَلْبِي يُحَاسِبُنِي عَلَى إِجْرَامِهِ وَيَعُدُّهَا بِأَنَامِلِ الْخَفَقَانِ

وقول القاضي الفاضل: [من الطويل]

وَقَدْ خَفَقْتُ رَايَاتَهُ فَكَأَنَّهَا أَنْامِلُ فِي عُمُرِ الْعَدُوِّ تُحَاسِبُهُ

وقول معين الدين بن لؤلؤ: [من الكامل]

لَمْ أَنْسَهُ إِذْ قَالَ أَيْنَ تُجِلَّنِي حَذراً عَلَيَّ مِنَ الْخِيَالِ الطَّارِقِ

فَأَجَبْتُهُ قَلْبِي فَقَالَ تَعْجَباً أَرَأَيْتَ عُمْرَكَ سَاكناً فِي خَافِقِ

على أنه أخذه من قول الآخر: [من مجزوء الكامل]

وَسَكَنْتَ قَلْباً خَافِقاً يَا سَاكناً فِي غَيْرِ سَاكِنِ

قَدْ زَادَ طَيْبُ أَحَادِيثِ الْكِرَامِ بِهَا مَا بِالْكَرَائِمِ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ بَخَلِ

(اللغة): أحاديث جمع حديث على غير قياس، قال الفرّاء: يرى أن واحد

الأحاديث أحدىثة ثم جعلوه جمعاً للحديث. الكرام: جمع كريم ويجمع أيضاً على

(١) عَتَبَ عَلَيْهِ عَتَبًا، وَعَتَبَابًا، وَتَعَتَبَابًا، وَمَعْتَبًا، وَمَعْتَبَةً: لَامَهُ وَخَاطَبَهُ مَخَاطَبَةً الْإِدْلَالَ طَالِبًا حُسْنَ

مراجعتة ومذكراً إياه بما كرهه منه. الإفك: الكذب والافتراء. البهتان: الكذب المُفْتَرَى.

كرماء والكريم ضد البخيل . تقول: قد كرم بالضم فهو كريم وهو أيضاً ضد اللئيم لأن الكريم هو الذي يجمع الصفات الحميدة وهذا المعنى هو المراد في البيت ، وما أحسن ما أنشدني من لفظه لنفسه المولى جمال الدين مُحَمَّد بن نباتة : [من السريع]

بالروح أفدي مُعرضاً لم أزل في كُلِّ وادٍ مِنْ هَواهُ أَهيمُ^(١)
مُبَحِّلٌ يُشبههُ ريمَ القَلا واطولَ شَجوي مِنْ بخيلِ كَريم

ونقلت من خط علاء الدين الوداعي له : [من الكامل]

ما أنتَ أوَّلَ سَائِلٍ مَحرومٍ مِنْ بَاخِلٍ بَادِي النِّفارِ كَريم^(٢)

وأخذ الوداعي من نور الدين الأسعدي فإنه قال في غلام مغنٍ : [من الخفيف]

وَعَزَالٍ أَغَنَّ غَنَّى فَأَغْرَى إِذْ شَدَا بِالْغَرَامِ كُلِّ مُلِيمٍ^(٣)
قُلْتُ جُدْ لِي بِقَبْلَةٍ قَالَ خُذْهَا وَارْتَشِفْ مِنْ لَمَائِ بَنَاتِ الْكُرومِ^(٤)
لَسْتُ أَبْغِي مَا عِشْتُ عَنْهُ سُلُوءاً كَيْفَ أَسْلَوْا عَنْ حَبِّ شَادِ كَريم

وحاولت أنا نظم شيء في هذه المادّة ففتح علي فقلت : [من المجث]

كَفَلْتُ حَمَلٌ غَرَامِي لَهُ بِفَرْطٍ نُحُولِي
فَهَلْ سَمِعْتُمْ بِغَيْرِي فِي السَّقَمِ مُضْنِي كَفِيل

وقلت أيضاً : [من الوافر]

وَإِخْوَانٍ وَثَقْتُ بِهِمْ فَأُضْحَى أَذَاهُمْ يَغْتَرِينِي كُلَّ حِينٍ
وَلَمَّا أَنْ أَسَأْتُ الظَّنَّ كَفُّوا فَوَاعَجَبَاهُ مِنْ ظَنِّ يَقِينِ

(رجع) : الكرائم : جمع كريمة ، الجبن ضد الشجاعة ، وما أحسن قول ابن

النقيب فيما أظن : [من الطويل]

أَقُولُ وَقَدْ شَنُّوا إِلَى الْحَرْبِ غَارَةً دَعُونِي فَإِنِّي آكُلُ الْخَبْزَ بِالْجُبْنِ

(١) هام فلان هَيْمًا ، وَهَيْمَانًا : خرج على وجهه في الأرض لا يدري أين يتوجه ؛ وهام بالأمر : تحير واضطرب وذهب كلّ مذهب .

وفي البيت اقتباس من قول الله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ . وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴾ . [الشعراء : ٢٢٥ ، ٢٢٦] .

(٢) النِّفَارُ : الجِرَان (الصد والإعراض) .

(٣) الْأَغْنُ : الذي في صوته غُنَّة .

(٤) رَشَفَ الرِّيقَ وارتشفه : مَصَّهُ . اللَّمَى : سُمِرَةً مُحِبَّةً في باطن الشِّفَةِ .

وكتب القاضي محيي الدين عبد الله بن عبد الظاهر كتاباً لما التقى الملك الظاهر مع زيتون الفرنجي قريباً من عكا، وهرب زيتون، وأسر غالب من كان معه من الفرنج فجاء من جملة الكتاب: وفرّ زيتون من الجبن، قيل: إن الظاهر لما سمعها أعجبته وخلع عليه، والجبن الذي هو ضد الشجاعة مخفف، والذي يؤكل مشدّد النون وقد تخفّف وتقول في الأوّل قد جبن بكسر الباء وضمها فهو جبان. البخل: بضم الباء وسكون الخاء، وعن الكسائي بتحريك الخاء مضمومة وهو ضد الكرم. (الإعراب). قد: تقدّم الكلام عليها. (زاد): فعل ماضٍ وإنما بني الماضي على الفتح لأنه أخفّ الحركات. (طيب): مفعول به وقد تقدم الكلام على المفعول به. (أحاديث): مجرور بالإضافة وهي بمعنى اللام ويجوز أن تكون بمعنى في. (الكرام): مضاف إلى أحاديث بالإضافة بمعنى اللام أيضاً. (بها): جار ومجرور ولم يظهر الجرّ لأنه ضمير وهو راجع إلى ناشئة والباء هنا تصلح أن تكون بمعنى عن كقوله تعالى: ﴿سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج: ١] وإنما قلت: إنها بمعنى عن لأنك تقول: حدثت عنه ويحتمل غير ذلك. (ما): اسم ناقص بمعنى الذي ولا يتم إلا بصلة وعائد وموضعها من الإعراب الرفع على أنها فاعل زاد ومفعولها طيب الذي تقدّم، وما تأتي في الكلام لمعان. منها: أن تكون للتعجب، كقولك: ما أحسن زيداً. ومنها: أن تكون للنفي كقولك: ما قام زيد. ومنها: أن تكون للاستفهام عمّا لا يعقل وعن صفات من يعقل فإذا قلت: ما عندك؟ قيل: فرس. وإذا قلت: ما زيد؟ قيل: عالم. وهنا تنبيه وهو أنها في هذه المواطن لا تحتاج إلى صلة ولا صفة لأنها أمكنة إبهام. ومنها أن تكون للشرط كقوله تعالى: ﴿وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ يَعْلَمْهُ اللَّهُ﴾ [البقرة: ١٩٧] ومنها أن تكون مصدرية، كقولك: أعجبني ما عملت، أي عملك، وكقوله تعالى: ﴿بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ١٠] أي بتكذيبهم. ومنها: أن تكون بمعنى الذي، فهي تحتاج حينئذٍ إلى صلة وعائد. كقوله تعالى: ﴿فَأَصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ﴾ [الحجر: ٩٤] أي بالذي تؤمر بالصدع به، فحذفت الباء فاجتمعت الألف واللام والإضافة فحذفنا فبقي بصدعه ثم حذف المضاف فبقي به، ثم حذف الجار فبقي تؤمره، ثم حذف الهاء العائدة وهو الكثير. قال الأصفهاني في شرح اللّمع: لم يأت في القرآن إثبات العائد إلا في ثلاث آيات. وهي: ﴿الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥] و﴿كَالَّذِي أَسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ﴾ [الأنعام: ٧١] ﴿وَأَتْلَوْا عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا﴾ [الأعراف: ١٧٥] وعلى ذكر ما الموصولة أنشدني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ أبو الفتح محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري قال: أنشدني والذي أبو عمرو محمد قال: أنشدني والذي أبو بكر محمد قال: أنشدني ابن عروة القيسي

قال: أنشدني أبو عبد الله محمد بن أبي محمد بن علي بن سعيد بن حزم الظاهري لنفسه: [من الطويل]

تَجَنَّبَ صَدِيقاً مِثْلَ مَا وَاحَذَرَ الَّذِي تَرَاهُ كَعَمْرٍو بَيْنَ عَرَبٍ وَأَعْجَمٍ
فَإِنَّ صَدِيقَ السَّوِّ يَزْرِي وَشَاهِدِي كَمَا شَرِقتُ صَدْرَ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

قلت قوله: مثل ما أي صديقاً يحتاج إلى ما يكمله كاحتياج ما الموصولة إلى الصلة والعائد، واحذر الذي تراه كعمرو أي صديقاً فيه زيادة لا حاجة إليها، كالواو التي في آخر عمرو لأن صديق السوء يزري بصاحبه كما أن المؤنث إذا جاور المذكر أكسبه التأنيث كقولهم: ذهبت بعض أصابعه، وكقول الأعشى^(١): [من الطويل]

وَتَشْرِقُ بِالقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَدْعَتْهُ كَمَا شَرِقتُ صَدْرَ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ
لأن صدر الذي هو مذكر لما أضيف إلى القناة أنث فعله وهو شرقت،

والتأنيث سوء بالنسبة إلى التذكير، قال الله تعالى: ﴿قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ﴾ [آل عمران: ٣٦] وهذا البيت مما أنشده سيويه، وأهل الكوفة يستشهدون به، وساقه ابن السكيت في كتاب المذكر والمؤنث له، ويحتمل أن يكون أراد بالذي كعمرو، عمراً الذي في قول الشاعر: [من البسيط]

المُسْتَجِيرُ بِعَمْرٍو عِنْدَ كُرْبَتِهِ كَالْمُسْتَجِيرِ مِنَ الرَّمْضَاءِ بِالنَّارِ^(٢)

والأول أليق وأحسن، وما أحسن قول أمين الدين المحلي: [من الطويل]

عَلَيْكَ بِأَرْبَابِ الصُّدُورِ فَمَنْ عَدَا مُضَافاً لِأَرْبَابِ الصُّدُورِ تَصَدَّرَا
وَيَاكَ أَنْ تَرْضَى بِصُحْبَةِ نَاقِصٍ فَتَنْحَطَّ قَدْرًا عَنْ عُلاكَ وَتَحْقُرَا
فَرَفَعَ أَبُو مَنْ ثُمَّ خَفَضَ مُزْمَلٍ يُحَقِّقُ قَوْلِي مُغْرِباً وَمُحَذِّراً

قلت: قد تركت هذا المعنى غفلاً ولم أوضح لك معناه لتعمل قريحتك، وتشحد ذهنك في استخراج النكتة منه، فإنه إذا ظهر لك هز عطفك، وكاد يطير بلبك.

(رجع): ومنها أن تكون نكرة موصوفة كقول الشاعر: [من الخفيف]

رُبَّمَا تَكْرَهُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ رَلَهُ فُرْجَةً كَحُلِّ الْعِقَالِ

أي رب شيء مكروه، ومنها أن تكون زائدة كقوله تعالى: ﴿فِيمَا رَحِمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ

(١) ديوان الأعشى: ١٨٣.

(٢) الرَّمْضَاءُ: شِدَّةُ الْحَرِّ.

لَهُمْ ﴿آل عمران: ١٥٩﴾، وعمّا قليل، ومنها أن تكون كAFFة وهي التي تدخل على إنَّ وأخواتها وعلى رُب فتكف الجميع عن العمل كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١]، ومن العرب مَنْ يقول إنما زيداً قائمٌ بنصب زيد وإبقاء عمل إنَّ، وقد جمع بعضهم هذه الأنواع التسعة في بيت واحد فقال: [من الطويل]

تَجِبَ بما أَشْرَطَ زد صل أنكره واصفاً وتستفهم أنف المصدرية واكففا
وقد تكون ما بمعنى ليس، فتعمل عملها فترفع الاسم وتنصب الخبر. وسألت الشيخ الإمام أنير الدين أبا حيان في كم موضع من القرآن وردت ما بمعنى ليس، فقال في ثلاثة مواضع أحدها: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، والثاني: ﴿فَمَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَكِيمٌ﴾ [الحاقة: ٤٧]. وزعم بعضهم أن حاجزين صفة لأحد وليس بشيء لأن الصِّفَة يُستغنى عنها والخبر محط الفائدة. والثالث: ﴿مَا هُتِ أُمّهَاتِهِمْ﴾ [المجادلة: ٢]. وهذه لغة الحجاز. فأما بنو تميم فإنهم يرفعون معها الجزأين فيقولون: ما زيد قائمٌ، ومنه قول القائل: [من الكامل]

وَمُهَفَّهٍ الْأَعْطَافِ قُلْتُ لَهُ أَنْتَسِبَ فأجاب ما قَتَلَ الْمُحِبَّ حَرَامٌ^(١)
يعني أجاب بأنه من بني تميم لأنه نطق بلغتهم.

(رجع). بالكرائم: جار ومجرور، والباء هنا للإلصاق وهذا الجمع لا يقع بهذه الصيغة إلّا للمؤنث، وشذّ منه ثلاثة جموع وهي: فوارس، وهوالك، ونواكس، أمّا فوارس فلأنه لا يكون إلّا في الذكور ولا يكون في الإناث فأمن فيه اللبس. وأمّا هوالك فإنما جاء في المثل: هالك في الهوالك جرياً على الأصل، والأمثال يجيء فيها ما لا يجيء في غيرها. وأمّا نواكس: فما جاء إلّا في ضرورة الشعر، والجوابان الأخيران ليس فيهما تعليل يعتمد عليه، والجار والمجرور متعلق بمحذوف لازم إضماره لوقوع الجار والمجرور صلة الموصول، وهو ما الذي تقدّمت في قوله ما بالكرائم، تقديره قد زاد طيب أحاديث الكرام بها الذي استقر بالكرائم، أو الذي يكون بالكرائم. (قاعدة): كل جار ليس بزائدٍ ومجرورٍ أو ظرفٍ لا بدّ وأن يتعلّق بفعلٍ أو بما فيه معنى الفعل، وما فيه معنى الفعل الأسماء التي تعمل عمل الفعل والجار والمجرور والظرف إذا تعلّقوا باستقرار محذوف فالجار والمجرور مثل: زيد في الدار أي مستقر في الدار والظرف مثل: زيد عندك أي مستقر عندك. والمتعلّق إمّا أن يكون ملفوظاً به أو مقدّراً والمقدّر إمّا أن يكون لازم الإضمار أو لا، ولازم الإضمار له أربعة مواضع. الأوّل: أن يقع خبراً لذي خبر. الثاني: أن

(١) المُهَفَّهُ: الضامر البطن الدقيق الخصر. الأعطاف: جوانب الجسد.

يقع صفة لموصوف. الثالث: أن يقع صلة لموصول. الرابع: أن يقع حالاً لذي حال. ففي الصلة لا يقدر إلا بالفعل لأن الصلة لا تكون إلا جملة، وفي البواقي بالفعل وغيره، وغير لازم الإضمار كقولك: بزيد، في جواب من قال: بمن مررت؟ (رجع): من جبن: جار ومجرور، ومن هنا لبيان الجنس. (ومن بخل): معطوف عليه.

(المعنى): قد زاد طيب الأحاديث بين الكرام إذا تسامروا ما يوجد في النساء الكرائم من الجبن والبخل، وهاتان الصفتان محمودتان في النساء مذمومتان في الرجال لأن المرأة إذا كان فيها شجاعة ربما كرهت بعلمها فأوقعت به فعلاً أدى إلى هلاكه أو تمكنت من الخروج من مكانها على ما تراه لأنها لا عقل لها يمنعها مما تحاوله، وإنما يصدّها عما يقتضيه عقلها الجبن الذي عندها والخوف، فإذا لم يكن لها مانع من الجبن أقدمت على كل قبيح، وتعاطت ما تختاره إقداماً منها على ما يأمرها به عقلها. وقصة شرحبيل بن الخريت مع زوجته مية بنت عمرو بن مسعود مشهورة، وملخصها: أنها كانت نائمة إلى جانبه في الفراش فأقبل أسود سالخ^(١) فاتحاً فاه لينهشه والسراج يزهر^(٢) فأخذت بحلقه وخنقته إلى أن مات وتركته تحت الفراش. فلما أصبح جاء أبواه إليه ليصحباه وكانا يفعلان ذلك كل يوم تعظيماً له فأخرجت السالخ إليهما ميتاً. فقالوا: من قتل هذا؟ قالت: أنا ولو كان أشد منه لقتلته. فقال أبوه: يا شرحبيل خلّ عنها فهي للرجال أقتل. فطلقها مكرهاً.

وفي كتاب «الفرج بعد الشدة»، حكاية غريبة جرت لبعض الغرباء مع ابنة القاضي بمدينة الرملة لما أمسكها بالليل بالجبانة، وهي تنبش القبور، وكانت بكرةً فضربها فقطع يدها وهربت منه، فلما أصبح ورأى كفاها ملقى وفيه النقش والخواتم، علم أنها امرأة، فتنبّع الدم إلى أن رآه قد دخل بيت القاضي فما زال حتى تزوّجها. ولما كان بعض الليالي لم يشعر بها إلا وهي على صدره ويدها خنجر، فما زالت به حتى حلف لها بطلاقها على أنه يخرج من هذه البلدة ولا يعود إليها أبداً. وإذا كانت المرأة سمحة جادت بما في بيتها، فأضرّ ذلك بحال زوجها. ومتى علم منها الجود بما يطلب منها ربما حصل الطمع فيها بأمر آخر وراء ذلك. ولهذا جاء في القرآن العظيم: ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾ [الأحزاب: ٣٢] ولأن المرأة ربما جادت بالشيء في غير موضعه قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ﴾ [النساء: ٥].

(١) سلخت الحية سلوحاً: انكشفت عن جلدها، والسالخ من الحيات: الأسود الشديد السواد.

(٢) يزهر: يتلألأ.

قيل: النساء والصبيان، وبالجملة، فما حمد أحد من العقلاء كرم المرأة ولا شجاعتها. وما أحسن قول أبي إسحاق الغزي: [من البسيط]

غَرِيرَةٌ تَخْطِفُ الْأَبْصَارَ شَاخِصَةً مِنْ حَوْلِهَا بِبُرُوقِ الْبَيْضِ وَالْأَسْلِ^(١)
تُنَمِّي إِلَى الْقَوْمِ جَادُوا وَهِيَ بَاخِلَةٌ وَالْجُودُ فِي الْخُودِ مِثْلُ الشَّحِّ فِي الرَّجْلِ^(٢)
وانظر ما أحسن هذا النصف الثاني من البيت الثاني فإنّ فيه مع إرسال المثل
الجناس بين الجود والخود وهو جناس التصحيف. وقال أيضاً: [من الكامل]

مِنْ ضَنْئِهَا بِالطَّيْفِ تُوعِدُنَا لِيَطِيرَ طَيْبُ النُّومِ بِالْمُقَلِّ^(٣)
دَعَّهَا فَلَوْ سَمَحَتْ بِهِ سَمَّجَتْ جُودُ النَّسَاءِ يُعَدُّ فِي الْبُخْلِ^(٤)
وكذا اتفق له في هذا البيت الثاني الجناس المصحّف في سمحت وسمجت
وهو مأخوذ من قول عليّة بنت المهدي^(٥): [من الرمل]

بُنِيَ الْحَبُّ عَلَى الْجَوْرِ فَلَوْ أَنْصَفَ الْمَحْبُوبُ فِيهِ لَسَمَّجَ^(٦)
وما أحسن قول ابن الرومي^(٧): [من البسيط]

مَا لِلْحَسَنِاتِ مُسَيِّئَاتٍ بِنَا وَلَنَا إِلَى الْمُسَيِّئَاتِ طُولَ الدَّهْرِ إِحْسَانُ^(٨)
فَإِنْ تُبْعِنَ بِعَهْدِ قُلْنَ مَعَذَرَةً إِنَّا نَسِينَا وَفِي النَّسْوَانِ نُسْيَانُ
لَا نُلْزِمُ الذِّكْرَ إِنَّا لَمْ نُسَمِّ بِهِ وَلَا مُنَحْنَاهُ بَلْ لِلذِّكْرِ ذِكْرَانُ
فَضَّلُ الرِّجَالِ عَلَيْنَا أَنَّ شِيَمَتَهُمْ جُودٌ وَبَأْسٌ وَأَحْلَامٌ وَأَذْهَانُ
وَأَنَّ فِيهِمْ وَفَاءً لَا نَقُومُ بِهِ وَهَلْ يَقُومُ مَعَ النِّقْصَانِ رُجْحَانُ^(٩)

وقال ابن نباتة السعدي: [من الكامل]

كَسَلَى تَزُورُ مَعَ الظَّلَامِ لَهَا طَيْفٌ فَأَعْدَى طَيْفُهَا الْكَسَلُ
بَخِلْتُ بِمَا جَادَ الرِّقَادُ بِهِ وَمِنَ الْعَوَانِي يَحْسُنُ الْبُخْلُ

(١) الغريزة: الصبية القليلة التجربة.

(٢) الخُودُ: الفتاة الفتية الحسنة الناعمة. (٣) الضَّنُّ: البخل.

(٤) سَمَّجَتْ: قَبَحَتْ.

(٥) هي عليّة بنت المهدي بن المنصور العباسية: أخت هارون الرشيد، أديبة شاعرة ظريفة. توفيت سنة ٢١٠هـ/ ٨٢٥م. (شذرات الذهب: ٣١١/١؛ تاريخ الأدب العربي، فروخ: ١٨٦/٢).

(٦) في زهر الآداب (٣٤/١):

وَضَعَ الْحُبُّ عَلَى الْجَوْرِ فَلَوْ أَنْصَفَ الْمَعْشُوقُ فِيهِ لَسَمَّجَ

(٧) ديوان ابن الرومي: ١٧٥/٦.

(٨) في الديوان: «طول الدهر تحنان». (٩) في الديوان: «ولن يكون».

وما أحسن قول ابن الهبارية يهجو: [من السريع]

يا وَاَسْطِیونِ ثِقُوا اَنّی بهَجَوُکُم بین الِوَرَى مُوَلِّعُ
ما فِیکُم کُلُّکُم واحدٌ یُعْطِی ولا وَاَحِدَة تمنعُ
تَبیتُ نارُ الهَوَى مِنْهُنَّ فی کَبَدٍ حَرَى ونارُ القَرَى مِنْهُم على القُللِ

(اللغة): تبيت: أي تسمي. النار: معروفة وهي هنا مجاز. وفي قوله: نار القرى حقيقة. والنار عنصر مضيء مركزه فوق الهواء لأنها حارة يابسة، والهواء حار رطب، فنزل عنها والهواء مركزه فوق الماء لأن الماء بارد رطب، فنزل عن الهواء، والماء مركزه فوق الأرض لأنها باردة يابسة. فالنار والهواء يطلبان فوق، والماء والأرض يطلبان أسفل، لأنك إذا نكست الشعلة إلى أسفل انقلبت إلى فوق وإذا ملأت زجاجاً مثلاً هواء وقسرتة على المكث في الماء ورفعت القاسر طلب الزق جهة فوق وعلا الماء، وإذا تحيَّلت على صعود الماء إلى فوق بالفوّارات والزرقات بلغ غاية الرفع ثم أخذ في الهبوط، وإذا حذفت الحجر إلى فوق بلغ غايته ثم تصوب منحدرًا. وترتيب النار أولاً والهواء ثانياً والماء ثالثاً والأرض رابعاً هو الصحيح. ومنهم من قال: إن الأرض في وسط العالم، ومنهم من قال: إنها أول العناصر ثم تلطف الماء عنها ثم تلطف الهواء عنه ثم تلطف النار عنه، ومنهم من قال: إن الماء هو أصل الأربعة والأرض كثيفة والذي علاها لطيف، ومنهم من قال: الهواء الأصل فالنار لطيفة والذي سفّل عنه كثيف، والصحيح الأول على ما تقرر في الطبيعي لأن حدوث النار مسبب عن اصطكاك أجرام الأفلاك. والكلام في هذا يطول وهو مستقصى في أماكنه من كتب الحكمة. وقول إبليس: ﴿خَلَقْنِي مِنْ نَّارٍ وَخَلَقْتَ مِنْ طِينٍ﴾ [الأعراف: ١٢] افتخار بعنصر النار لأنه مضيء مشرق فاعل الحرارة التي هي سبب النمو والنشوء ومركزه فوق، ويعارض بأن الأرض مركز الحياة، والنشوء للحيوان والنبات بخلاف النار، فإنها إذا استولت على شيء من ذلك أفسدته، وهي مفرطة الكيفية والأرض معتدلة، وإن كانت النار حسنة اللون في الحسّ الباصر فإنها مضرّة بحسّ اللمس، والأرض لا تؤذي باللمس فثبت أن النار ليست أشرف من الأرض خلافاً لبشار بن برد فإنه قال في ذلك^(١): [من الكامل]

إِبْلِيسُ خَيْرٌ مِنْ أْبِيكُمْ آدَمُ فَتَنَّبَهُوا يا مَعْشَرَ الْفُجَّارِ
النَّارُ جَوْهَرَةٌ وَأَدَمُ طِينَةٌ وَالطِّينُ لَا يَسْمُو سُمُو النَّارِ^(٢)

(١) ديوان بشار بن برد: ٨٣/٤.

(٢) في الديوان:

إِبْلِيسُ مِنْ نَّارٍ وَأَدَمُ طِينَةٌ وَالْأَرْضُ لَا تَسْمُو سُمُو النَّارِ

وقال بعضهم: النار عند العرب أربعة عشر ناراً وهي: نار المزدلفة: توقد حتى يراها من دفع من عرفة، وأول من أوقدها قصي بن كلاب، ونار الاستسقاء: كانوا في الجاهلية إذا تتابعت عليهم السنون جمعوا ما قدروا عليه من البقر وعلّقوا في عراقيبها وأذناها العشر والسلع ثم صعدوا بها في جبل وعر وأضرموا فيها النار وعجّوا بالدعاء، يزعمون أنهم يمطرون بذلك. ونار التحالف: كانوا لا يعقدون الحلف إلا عليها وبطرحون فيها الملح والكبريت، فإذا استشاطت قالوا هذه النار قد تهددتك. ونار الغدر: كانوا إذا غدر الرجل بجاره أوقدوا له ناراً بمنى أيام الحج، ثم صاحوا هذه غدره فلان. ونار السلامة: توقد للقادم من سفره سالماً غانماً. ونار الزائر والمسافر: وذلك أنهم كانوا إذا لم يحبّوا أن يرجع الزائر أو المسافر أوقدوا خلفه ناراً وقالوا أبعد الله وأسحقه. ونار الحرب: وتسمى نار الأهبة يوقدون على بقاع إعلاماً لمن بُعد عنهم. ونار الصيد: يوقدون للظباء لتغشى أبصارهم. ونار الأسد: كانوا يوقدون إذا خافوه لأنه إذا رآها أحرق إليها وتأمّلها. ونار السليم: توقد للملدوغ إذا سهر، والمجروح إذا نزع، ومن الكلب الكلب يوقدون حتى لا يناموا. ونار الفداء: كانت ملوكهم إذا سبوا قبيلة وطلب منهم الفداء كرهوا أن يعرضوا النساء نهراً لئلاً يفتضحن. ونار الوسم: التي يسمون بها الإبل لتعرف إبل الملوك فترد الماء أولاً. ونار القرى: وهي أعظم النيران. ونار الحرّتين: وهي التي أطفأها الله بخالد بن سنان العبسي احتفر لها بئراً ثم أدخلها فيها والناس يرونه، ثم اقتحم فيها حتى غيبتها وخرج منها.

(رجع). الهوى: مقصور ميل النفس وجمعه أهواء، الكبد: واحدة الأكباد وفيها لغتان: كبد بالتحريك والسكون. وحرى: مؤنث حارّ. القرى: الضيافة. القلل: جمع قلة وهي أعلى الجبل وقلة كل شيء أعلاه.

(الإعراب): تبيت: فعل مضارع تقول: بات يبيت وبيات بيتوتة وبياتاً وهو مرفوع لخلوّه عن الناصب والجازم، ويات من أخوات كان. (نار): مرفوع على أنه اسم بات. و(الهوى): مضاف إليه والإضافة معنوية بمعنى اللام ولم يظهر الجر لأنه مقصور. (منهنّ): جار ومجرور ولم يظهر الجر لأنه ضمير والضمائر كلها مبنية وهنّ ضمير جماعة. المؤنث يرجع إلى فتيات الحي ونسائه اللاتي تقدّم ذكرهنّ. (في كبد): جار ومجرور وفي هنا ظرفية تتعلق بمحذوف، وهذا الجار والمجرور سدّ مسدّ الخبر الذي لبات لأنها من أخوات كان ترفع الاسم وتنصب الخبر تقديره تبيت نار الهوى منهنّ مستقرّة في كبد. (حرى): مجرور على الصفة لكبد، وقد وافق الموصوف في الأفراد والتأنيث والتنكير والجر، لأن الكبد مؤنثة، وحرى لا

ينصرف لأنه مؤنث بالألف المقصورة لأنّ ألف التأنيث سواء كانت ممدودة أو مقصورة تمنع الاسم من الصرف وهي علة مستقلة بمنع الصرف بخلاف التاء وإنما كان كذلك لأن مطلق التأنيث فرع، ولزومه كتأنيث آخر، والألف بهذه المنزلة لأنها لازمة مع الكلمة من أوّل الأمر والتاء تنفك في المذكر ولأنّ الألف تستمر في الجمع ولا تفارق في مثل حبلَى وحبالَى. وأما التأنيث بالتاء فيفارق مثل مسلمة ومسلمات ولهذا لم يدخل حرى التنوين. وحرى يكتب بالياء. (ونار): الواو عاطفة عطفت الاسم على الاسم، والنار هنا حقيقة. وفي الأوّل مجاز وهو مرفوع على أنه اسم ثانٍ لتبيت. (القرى): مجرور بالإضافة وهي هنا معنوية بمعنى اللام ولم يظهر الجرّ لأنه مقصور، والهوى والقرى يكتبان بالياء أيضاً لأنهما من هويت وقرت. (منهم): إعرابه كإعراب منهنّ و(على القل) جار ومجرور متعلق بمحذوف كما قلنا في كبد، وعلى هنا للاستعلاء. وقال في النار الأولى منهنّ: لأن الضمير يعود إلى نساء الحي، وفي النار الثانية منهم: لأن الضمير يعود إلى رجاله الذين جعلهم عدى كالأسود.

(المعنى): إنّ هذا الحي الذي أريد طروقه له ناران: نار لنسائه تبيت في كبد حرّى، ونار لرجالها تبيت للقرى مضرمة على القل، وهذا في غاية المدح لهذا الحي لأن نساءه حسان ورجالها كرام. وفي قوله كبد حرّى منكرّاً نكتة كأنه قال: نار نسائه في كبد واحدة وهي كبدي لأنهنّ غير مبتذلات لمن يراهنّ فما يشاركني في محبتهنّ أحد. ونار قراهم على القل تبدو لكل ناظر، وقد جمع بين وصف النساء ووصف الرجال في بيت واحد وهو من البلاغة. ومن هذا قول ابن الساعاتي: [من الكامل]

يَا دُمِيَّةَ الْحَيِّ الْحَسَانَ جِفَانَهُ لَلَّهِ مَا صَنَعْتَ بِنَا جِفْنَاكَ
أَغْنَتْ لِحَاضِكَ عَنْ طُبَاتِ سُيُوفِهِمْ فَبَهَا بَلَّغْتَ مِنَ الْقُلُوبِ مُنَاكَ^(١)
أَمْضَى رِمَاحِهِمْ قَوَامُكَ إِنْ يَكُنْ حَرْبٌ وَخَيْرُ سُيُوفِهِمْ عَيْنَاكَ

وقوله أيضاً: [من الكامل]

وَأَبِي الْهَوَى لَوْ كُنْتُ أَمْلِكُ قُوَّةَ تَذُرُّ الْوَشِيحَ بَرَامَتَيْنِ مُكَسَّرَا^(٢)
لَطَرَقْتُ دُونَ الْحَيِّ غَيْرَ مُرَاقِبٍ ذَاكَ الْكِنَاسَ وَرَعْتُ ذَاكَ الْجُؤُذَرَا^(٣)

(١) الطُّبَاتُ: جمع الطبة: حَدُّ السيف ونحوه.

(٢) الوشيح: ما نبت من القنا والقصب مُلتفّاً، والمراد امرأة قوامها معتدل يهتز لبناً كالرمح. رامتان: اسم موضع.

(٣) الكناس: مأوى الطي. الجؤذر: ولد البقرة الوحشية، والمراد المحبوب.

وَلَزَزْتُ بِيضَاءَ الْمَضَارِبِ صَالِيًا إِمَّا بِنَارِ الْحَرْبِ أَوْ نَارِ الْقَرَى^(١)
 يَا دُمِيَّةَ الْحَيِّ الْمُقَدَّسِ تُرْبُهُ فَكَأَنَّمَا يَطْئُونَ مِسْكَاً أَذْفَرًا^(٢)
 أَنَسْتُ نَارَكَ فِي التَّهَائِمِ دُونَهَا جَمَرَاتِ قَوْمِكَ فِي الذَّوَائِبِ وَالذَّرَى^(٣)
 وَيَبْظُنُّ غَاشٍ أَنَهَا مَا أَضْرَمْتُ مِنْ فَحْمَةِ الظُّلْمَاءِ إِلَّا عَنَبَرًا^(٤)

وأنشدني الشيخ الإمام شهاب الدين محمود قال: أنشدني الشيخ مجد الدين محمد بن الظهير الإربلي لنفسه إجازة: [من الكامل]

حَيْثُ الْأَرَاكَةُ وَالكَثِيبُ الْأَوْعَسُ وَادٍ يَهِيمُ بِهِ الْفَوَازُ مُقَدَّسُ^(٥)
 وَبِكُلِّ خِدْرٍ مِنْهُ لَيْثٌ خَادِرٌ أَفْغَابَةٌ ذَاكَ الْجَمَى أَمْ مَكْنَسُ^(٦)
 يَا جِيرَةَ الْحَيِّ الْمَظْلَلِ بِالْقَنَا هَلْ نَارُكُمْ بِسَوَى الْأَضَالِعِ تَقْبَسُ^(٧)
 أَضْرَمْتُموها لِلنَّزِيلِ وَدُونَهَا غَيْرَانُ فَتَاكَ الْحَفِيطَةِ أَشْرَسُ

وما أحلى قول أبي طاهر بن حيدر البغدادي: [من الكامل]

خَطَرْتُ فَكَادَ الْوُورُكَ تَسْجَعُ فَوْقَهَا إِنَّ الْحَمَامَ لَمُعْرَمٌ بِالْبَانَ^(٨)
 مِنْ مَعَشِرٍ نَشَرُوا عَلَى بَابِ الرُّبَى لِلطَّارِقِينَ ذَوَائِبَ النِّيرَانِ

وهذه الاستعارة في غاية الحسن وهو مأخوذ من قول الأول: [من الطويل]

يَبِيتُونَ فِي الْمَشْتَى خِمَاصاً وَعِنْدَهُمْ مِنَ الزَّادِ فَضْلَاتٌ تُعَدُّ لِمَنْ يُقَرَى^(٩)
 إِذَا ضَلَّ عَنْهُمْ طَارِقٌ رَفَعُوا لَهُ مِنَ النَّارِ فِي الظُّلْمَاءِ أَلْوِيَةَ حُمْرَا

(١) صلي النار، وبها صلي، وصلياً: احترق فيها، وصلي الأمر، وبه: عانى تعبته وشدته؛ قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ [الصفات: ١٦٣].

(٢) مسكٌ أذفر: جيدٌ إلى الغاية.

(٣) آنس الشيء: أحس به، أو أبصره؛ قال تعالى: ﴿آنستُ ناراً﴾ [طه: ١٠].

الذرى: القمم.

(٤) غاش: من غشي القوم: نزل بهم.

(٥) الكثيب: التلُّ من الرمل. الأوعس: السهل اللين من الرمل.

(٦) الخدر: أجمة الأسد. المكنس: مأوى الطي.

(٧) قبس النار قبساً: أوقدها، أو طلبها.

(٨) خطرْتُ في مشيها: اهتزَّت وتبخترت. الورق: الحمام. تسجع: تُردَّد صوته. البان: شجر البان، يُشَبَّه قوام الحسان بعيدانه.

(٩) الخِمَاصُ: جمع الخميمص: الضامر البطن؛ يقال: خَمَصَ البطنَ خَمَصاً، وخُموصاً، ومَخْمَصَةً: خلا وضمُر.

وقال ابن صردر: [من الكامل]

قَوْمٌ إِذَا حَيَّى الضِّيُوفُ جِفَانَهُمْ رَدَّتْ عَلَيْهِمُ أَلْسُنُ النَّيرانِ^(١)

وهذه استعارة أخرى وهي أكمل لأن في النار من اللسان شيئين وهما الشكل الشبيه باللسان والزفير الشبيه بالتصويت، وفي الاستعارة الأولى الشكل لا غير ومن هنا قول التهامي: [من الكامل]

نَادَتْهُ نَارُكَ وَهِيَ غَيْرُ فَصِيحَةٍ وَهَنَّا بِخَفَقِ ذَوَائِبِ النَّيرانِ^(٢)

وقال أبو إسحاق إبراهيم الغزي: [من البسيط]

إِذَا سَجَا اللَّيْلُ فِي اللَّأْوَاءِ وَاحْتَجَبَتْ زُهْرُ النَّجُومِ فَضَلَّ الْحَافِرُ الْوَقْعُ^(٣)

دَعَتْهُ نَارُ مَقَارِبِهِمْ بِالسَّنَةِ فَوْقَ الْفَضَا مِنْ شُدُوقِ الْأَكْمِ تَنْدَلَعُ^(٤)

وهذه استعارة حسنة في الشدوق للأكام. وقال ابن قلايس: [من الطويل]

عَصَائِبُ لَمْ يَفْرُقْ بِهَا الْخَطْبُ لَأْنُ مَفَارِقِ لَمْ يَعَصِبْ بِهَا الدَّمُ لَأْنُ^(٥)

إِمَاءِ الْقُدُورِ الرَّاسِيَاتِ لَدَيْهِمْ بِنَارِ الْقَرَى فِي كُلِّ يَوْمٍ طَوَامُ^(٦)

انظر إلى هذه الاستعارة في قوله إماء القدور الراسيات، إذ شبه القدور بالجواري السود وفيه نقص من وجوه. الأول: أنه لا مناسبة في ذلك لأنه ليس كل أمة سوداء. الثاني: أن هذا الشكل مخالف لذلك الشكل لأن هذه مستديرة وتلك مستطيلة. الثالث: عدم الإحساس ولكن لما رشح التشبيه بأن النار بمنزلة دم الحيض لهم حسنت الاستعارة وصارت غاية في البلاغة، وقد بالغ مهيار الديلمي في قوله: [من الكامل]

ضَرَبُوا بِمَدْرَجَةِ الطَّرِيقِ قِبَابَهُمْ يَتَقَارِعُونَ عَلَى قَرَى الضَّيْفَانِ^(٧)

(١) الجفان: جمع الجفنة: القصعة: وعاء ضخّم للطعام.

(٢) الوهن: نحو نصف الليل، أو بعد ساعة منه.

(٣) سَجَا الليل: سكن. اللَّأْوَاءُ: ضيق المعيشة، أو الشدة.

(٤) المقاري: جمع المقرى: الذي يقري الضيف، والمقاري: جمع المقرى: رأس الأكمة. الشدوق: جمع الشدق: جانب الفم مما تحت الخد.

(٥) العصائب: الجماعات. لَأْنُ: مُلتجئ. عصب الشيء عصباً: طواه ولواه، وعصب الدم أو الريق: يبس وجف. لَأْنُ: من لاث الشيء: لَفَّه وعصبه، أو لاث الشيء بالشيء: خلطه به ومرسه.

(٦) الطوامث: اللواتي أدركهن دم الحيض.

(٧) مَدْرَجَةُ الطَّرِيقِ: مُعْظَمُهُ، أو مَمَرُ الْأَشْيَاءِ عَلَيْهِ، والمدرجة: الطريق نفسه. يتقارعون: يضربون القرعة، أو يتضاربون بالسيف.

وَيَكَادُ مَوْقِدَهُمْ يَجُودُ بِنَفْسِهِ حَبَّ الْقِرَى حَطْباً عَلَى النِّيرَانِ
وما أحسن قول الأسعد بن مماتي: [من الطويل]

لِنِيرَانِهِ فِي الْحَيِّ أَيَّ تَحْرِقٍ عَلَى الضَّيْفِ إِنْ أَبْطَأَ وَأَيَّ تَلْهَبٍ
تَوَقَّدَ لِي بِشَرًّا وَجَادَتْ يَمِينُهُ فَحَقَّقْتُ أَنَّ الْمَاءَ مِنْ نَوْءِ كَوْكَبٍ
وتعجبني أبيات الحطيئة^(١) وإن كان فيها طول: [من الطويل]

وطاوي ثلاثٌ عاصب البطن مُرْمَلٍ بِيَدَاءٍ لَمْ يَعْرِفْ لَهَا سَاكِنٌ رَسْمًا^(٢)
أَخِي جَفْوَةٌ فِيهِ مِنَ الْأَنْسِ وَحَشَّةٌ تَرَى الْبُؤْسَ فِيهَا مِنْ شَرَّاسْتِهِ نُعْمَى^(٣)
تَفَرَّدَ فِي شِعْبٍ عَجُوزاً إِزَاءَهَا ثَلَاثَةُ أَشْبَاحٍ تَخَالَهُمْ بَهْمًا^(٤)
حُفَاءَ عِرَاءٍ مَا اغْتَذَوْا خَبْزَ مَلَّةٍ وَلَا عَرَفُوا لِلْبُرِّ مَذْ خُلِقُوا طَعْمًا^(٥)
رَأَى شَبَحًا عِنْدَ الْعِشَاءِ فَرَاعُهُ فَلَمَّا رَأَى ضَيْفًا تَسَوَّرَ وَاهْتَمَّا^(٦)
وَقَالَ هِيََا رَبَّاهُ ضَيْفًا وَلَا قِرَى بِحَقِّكَ لَا تَحْرِمُهُ ذِي اللَّيْلَةِ اللَّحْمَا
فَقَالَ ابْنُهُ لَمَّا رَأَاهُ بِحَيْرَةٍ أَيَا أَبَتِ اذْبَحْنِي وَيَسِّرْ لَهُ طُعْمًا
وَلَا تَعْتَذِرْ بِالْعُدْمِ عِلَّ الَّذِي طَرَا يَظُنُّ لَنَا مَا لَا فَيُوسِعُنَا ذِمًّا
فَرَوَى قَلِيلًا ثُمَّ أَحْجَمَ بُرْهَةً وَإِنْ هُوَ لَمْ يَذْبَحْ فَتَاهُ فَقَدْ هَمَّا^(٧)
فَبَيْنَا هُمْ عَثَّتْ عَلَى الْبَعْدِ عَانَةٌ قَدْ انْتَضَمَتْ مِنْ خَلْفٍ مِسْحَلُهَا نَظْمًا^(٨)
ظِمَاءٌ تَرِيدُ الْمَاءَ فَاَنْسَابَ نَحْوَهَا عَلَى أَنَّهُ مِنْهَا إِلَى دِمَها أَظْمًا
فَأَمْهَلَهَا حَتَّى تَرَوْتَ عِطَاشُهَا وَأَرْسَلَ فِيهَا مِنْ كِنَانَتِهِ سَهْمًا
فَخَرَّتْ بِحَوْضِ ذَاتِ جَحْشٍ فَتِيَّةٌ قَدْ اِكْتَنَزَتْ لِحْمًا وَقَدْ طَبَّقَتْ شَحْمًا
فَيَا بِشْرَهُ إِذْ جَرَّهَا نَحْوَ قَوْمِهِ وَيَا بِشْرَهُمْ لَمَّا رَأَوْا كَلْمَهَا يَدْمَى^(٩)

(١) هو أبو مليكة، جرول بن أوس بن مالك العبسي، المعروف بالحطيئة: شائر مقدّم مخضرم هجاء. توفي نحو ٤٥هـ/ نحو ٦٦٥م. (طبقات ابن سلام: ١٠٤؛ الشعر والشعراء: ٢٣٨/١).

(٢) الطاوي: الجائع. المرمّل: الذي نفذ زاده. البيداء. الصحراء. الرسم: أثر الدار.

(٣) الجفوة: الغلظة. الشراسة: الشدة.

(٤) البهْم: جمع البهمة: الصغير من الضأن.

(٥) المَلَّةُ: الجَمْرُ يُخْبَرُ عَلَيْهِ أَوْ فِيهِ. الْبُرُّ: الْقَمْحُ.

(٦) راعه: أفزعه. تسوّر: غَصِبَ. اهْتَمَّ: اغْتَمَّ.

(٧) رَوَى: تَمَهَّلَ. أَحْجَمَ: كَفَّ وَنَكَصَ. هَمَّ: عَزَمَ.

(٨) عَثَّتْ: ظهرت. العانة: القطيع من حُمُرِ الوحش. المِسْحَلُ: اللجام.

(٩) الْكَلْمُ: الجرح.

وَبَاتُوا كِرَاماً قَدْ قَضُوا حَقَّ ضَيْفِهِمْ وَمَا غَرَمُوا غَرماً وَقَدْ غَنَمُوا غَنماً
وَبَاتَ أَبُوهُمْ مِنْ بَشَاشَتِهِ أَباً لَضَيْفِهِمْ وَالْأُمُّ مِنْ بَشَرِهَا أُمّاً

وسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه متمم بن نويرة^(١) عن حزنه على أخيه مالك فقال: والله إني ما أنام الليل، وما رأيت ناراً رُفعت بليل، إلا ظننت أن نفسي ستخرج، لأنني أذكر بها نار أخيه فإنه كان يأمر بالنار فتوقد حتى يصبح مخافة أن يبيت ضيف قريباً منه، فمتى رأى النار يأوي إليها. وذكر المبرد في «الكامل» فصلاً طويلاً في قصة مالك بن نويرة وقتله ومراثي أخيه متمم فيه، وقد احتج الناس لخالد بن الوليد رضي الله عنه في قتله مالكاً بأنه قتله على رذته، فإنه لما وقف بين يديه كان يقول في مخاطبته: قال صاحبك وتوفي صاحبك (يعني رسول الله ﷺ). فقال له خالد: أوليس هو صاحبك يا عدو الله ثم قتله. واحتجوا له أيضاً بقول أخيه متمم لما قال له عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقد سمعه ينشد مراثي أخيه مالك: وددت لو رثيت أخِي زيداً بما رثيت به أخاك، فقال: والله لو علمت أن أخِي صار إلى ما صار إليه أخوك لم أرته ولم أحزن عليه.

قيل: إن الجاحظ لما قيل له إن الأصمعي كان يقول في مرثية متمم لأخيه مالك بقصيدته العينية التي منها^(٢): [من الطويل]

وَكُنَّا كَنَدِمَانِي جَذِيمة حِقْبَةً مَن الدَّهْر حَتَّى قِيلَ لَن يَتَصَدَّعَا^(٣)

هذه أم المراثي، قال الجاحظ: لم يسمع الأصمعي: [من البسيط]

أَيُّ الْقُلُوبِ عَلَيْكُمْ لَيْسَ يَنْصَدُعُ وَأَيُّ نَوْمٍ عَلَيْكُمْ لَيْسَ يَمْتَنِعُ^(٤)

قلت: هذه من مراثي أبي تمام الطائي في بني حميد.

(رجع): وما هجا أحد قوماً بمنع الضيف من القرى، وعدم الأُنس به والبشاشة له، بمثل ما هجا القطامي^(٥) به امرأة من محارب في قصيدته البائية

(١) هو أبو نهشل، متمم بن نويرة: شاعر فحل مخضرم. توفي سنة ٣٠هـ/٦٥٠م. (طبقات ابن سلام: ٢٠٤؛ الشعر والشعراء: ١/٢٥٤).

(٢) القصيدة في جمهرة أشعار العرب، باب المراثي: ٢/٢٣٥-٢٤٤.

(٣) ندمانا جذيمة: مالك، وعقيل من بلقين بن جسر بن قضاة، نادما جذيمة بن الأبرش حين ردّا عليه ابن أخته عمرو بن عدي.

(٤) ديوان أبي تمام: ٣٠٦/٢. ينصدع: يئنس.

(٥) هو أبو سعيد، عُمر بن شَيْم التُّغْلِي، والقطامي لقب غلب عليه: شاعر مجيد، جعله ابن سلام في الطبقة الثانية من الإسلاميين. توفي نحو ١٣٠هـ/ نحو ٧٤٧م. (طبقات ابن سلام: ٥٣٥؛ الشعر والشعراء: ٢/٦٠٩).

فإنه أخبث هجاء وهي مشهورة، منها: [من الطويل]

إلى حيزيون تُوقدُ النَّارَ بَعْدَمَا تَلْفَعَتِ الظُّلُمَاءُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ^(١)
فَمَا رَاعَهَا إِلَّا بَغَامٌ مَطِيَّتِي تَرِيحُ بِمَحْسُورٍ مِنَ الصَّوْتِ لَاغِبٍ^(٢)
فَجُنْتُ جَنُوناً مِنْ دَلَاثِ مَنَاخَةٍ وَمِنْ رَجُلٍ عَارِي الْأَشْجَاعِ شَاكِ^(٣)
سَرَى فِي جَلِيدِ اللَّيْلِ حَتَّى كَأَنَّمَا يَحْزُمُ بِالْأَطْرَافِ شَوْكُ الْعُقَارِبِ
تَقُولُ وَقَدْ قَرَّبْتُ كُورِي وَنَاقَتِي إِلَيْكَ فَلَا تَذْعُرْ عَلَيَّ رِكَائِبِي
فَسَلَّمْتُ وَالتَّسْلِيمُ لَيْسَ يَسْرَهَا وَلَكِنَّهُ حَقٌّ عَلَى كُلِّ جَانِبٍ
فَرَدَّتْ سَلاماً كَارِهاً ثُمَّ أَعْرَضَتْ كَمَا انْحَازَتِ الْأَفْعَى مَخَافَةَ ضَارِبٍ
فَلَمَّا تَنَازَعْنَا الْحَدِيثَ سَأَلْتُهَا مِنَ الْقَوْمِ قَالَتْ مَعْشَرٌ مِنْ مُحَارِبٍ
وَلَمَّا بَدَأَ كُرْهَانَهَا الضَّيْفَ لَمْ يَكُنْ عَلَيَّ مَبِيتُ السَّوْءِ ضَرْبَةً لَا زَبٍ^(٤)
أَلَا إِنَّمَا نِيرَانُ قَيْسٍ إِذَا شَتَا لِطَارِقٍ لَيْلٍ مِثْلُ نَارِ الْحُبَّاحِبِ^(٥)

وقد أسقطت من غرضونها أبياتاً خوف الإطالة. وإلى هذه العجوز أشار عبد الصمد بن المعدل^(٦) في أخيه أحمد حيث يقول: [من مجزوء الخفيف]

لَيْتَ لِي مِنْكَ يَا أَخِي جَارَةٌ مِنْ مُحَارِبٍ
نَارُهَا كُلُّ شَتْوَةٍ مِثْلُ نَارِ الْحُبَّاحِبِ

وعبد الصمد هذا كان صاحب مجون، شديد الإقدام على الأعراض، رديء السيرة، خبيث الهجاء، ولكن كان يؤانس على علّاته لظرفه وطيب مجلسه، وكان أخوه أحمد بالضد من حاله، فكان صاحب زهدٍ وورعٍ وعبادةٍ وانقطاعٍ عن الناس،

(١) الحيزبون: العجوز.

تَلْفَعَتِ الظُّلُمَاءُ الْمَكَانَ: شَمِلَتْهُ، غَشِيَتْهُ.

(٢) بَغَامُ الْمَطِيَّةِ: صَوْتُهَا. اللَّاغِبُ: مَنْ لَغِبَ لَغْباً، وَلُغِبَ: تَعَبَ وَأَعْيَا.

(٣) الدَّلَاثُ: السَّرِيعَةُ مِنَ الْإِبِلِ؛ يُقَالُ: دَلَتْ دَلِيثاً: أَسْرَعَ خَطْوَهُ فِي تَقَارُبٍ، وَانْدَلَتْ: تَقَدَّمَ مِنْ غَيْرِ تَرَوٍّ. الْأَشْجَاعُ: عُرُوقُ ظَاهِرِ الْكَفِّ، وَعَارِي الْأَشْجَاعِ: هَزِيلٌ، نَحِيلٌ. شَاكِ: مُتَغَيِّرُ اللَّوْنِ مِنْ طَوْلِ السَّفَرِ، وَمُكَابِدَةُ الْحَرِّ وَالْغُبَارِ وَالتَّعَبِ.

(٤) لَا زَبٍ: ثَابِتٌ، مِنْ لَزَبَ الشَّيْءَ لَزَوْباً: ثَبَتَ، وَمِنْهُ يُقَالُ: صَارَ الْأَمْرُ ضَرْبَةً لَا زَبٍ: ثَابِتٌ.

(٥) شَتَا: دَخَلُوا فِي الشِّتَاءِ. الْحُبَّاحِبُ: ذَبَابٌ يَطِيرُ بِاللَّيْلِ، يُضِيءُ ذَنْبَهُ؛ وَنَارُ الْحُبَّاحِبِ: مَا تَطَايَرُ مِنْ شَرِّ النَّارِ فِي الْهَوَاءِ.

(٦) هُوَ أَبُو الْقَاسِمِ، عَبْدِ الصَّمَدِ بْنِ الْمَعْدِلِ بْنِ غِيلَانَ بْنِ الْحَكَمِ الْعَبْدِيِّ: شَاعِرٌ، وَلَدَ وَنَشَأَ فِي الْبَصْرَةِ، وَتُوفِيَ نَحْوَ ٢٤٠هـ/ نَحْوَ ٨٥٤م. (الأعلام: ١١/٤).

وتقدّم في الاعتزال. وحكي أنه كان في مكانٍ وتحتَه عبد الصمد في جماعة من أصحابه وقد انهمكوا على شرابهم وعكفوا على لذتهم فعلت أصواتهم وجلبتهم بما هم فيه من صوت الملاهي والغناء وغير ذلك، فشوّشوا على أحمد في تعبده فناده: يا عبد الصمد أأمنت أن يحلّ بك وبهؤلاء عذاب من الله؟ فرفع عبد الصمد رأسه إليه وقال: وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم. ولأحمد بن المعدل هجو ظريف في أخيه عبد الصمد وهو قوله: [من الرمل]

قال لي أنت أخو الكلب وفي ظنه أن قد هجاني واجتهد
أحمد الله تعالى أنه ما درى أنني أخو عبد الصمد
وهذا الهجو في غاية الأذى مع ما فيه من اللطافة، ويقال: إن أهجى بيت قالته العرب هو قول الأخطل^(١): [من البسيط]

قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم قالوا لأُمهم بُولي على النار
وقد اشتمل هذا البيت على معائب: أولها: أنهم قليلون حتى تنصت الأضياف لنباح كلابهم. ثانيها: أنها نار قليلة لفقرهم، فهي تطفأ ببول امرأة. ثالثها: أن أمهم هي التي تخدمهم فليس لهم خدم غيرها. رابعها: أنهم كسالى عن مباشرة أمورهم حتى تقوم بها أمهم. خامسها: عقوبتهم لوالدتهم حيث أنهم يمتهنونها في الخدمة. سادسها: عدم أدبهم لأنهم يخاطبون أمهم بهذه المخاطبة التي يستحي الكرام من التفوّه بها. سابعها: أنهم لا يتركون أمهم تبیت عند مراقدهم لأنهم قالوا لها بولي ولم يقولوا لها قومي إلى النار. ثامنها: أنهم جنّاء لا يرقدون لأنهم مستيقظون يستمعون الصوت الخفي من البعد. تاسعها: قذارتهم لأنهم لا يبالون بما يصعد من رائحة البول إذا وقع في النار. عاشرها إلزام والدتهم بأن لا تبول وأن تدّخر ذلك إلى وقت الحاجة إليه وإلا فما كلّ وقت يطلب الإنسان الإراقة يجدها فتجد لذلك ألماً ومشقة من احتباس البول. حادي عشرها: إفراطهم في البخل إلى غاية يشفقون معها على الماء أن يطفأ به النار فيروح مجاناً. ثاني عشرها: أنه تأكد بهذا القول عداوة المجوس للعرب، لأن الفرس يعبدونها وأولئك يبولون عليها فيتأكد بذلك الحقد.
قلت: قد سمعت من أفواه الأدباء بعض هذه الأقسام وتكلفت أنا الكثير.

واجتمع الفرزدق والأخطل ليلة على الشراب وتناشدا إلى أن قال الأخطل:
والله إنك وإياي لأشعر من جرير، ولكنه أوتي من سير الشعر ما لم نؤته، قلت أنا بيتاً وما أعلم أن أحداً قال أهجى منه وهو: قوم إذا استنبح الأضياف كلبهم

(١) ديوان الأخطل: ١٤٨. والبيت من قصيدة يهجو بها جريراً وقومه.

«البيت» فلم يروه إلا حكماء الشعر . وقال هو^(١) : [من الكامل]
 والتغلبى إذا تَنَحَنَحَ لِلْقَرَى حَكَ اسْتَهْ وَتَمَثَّلَ الْأَمْثَالَا
 فلم يبقَ ثَقَاةٌ وَلَا سَوَقَةٌ إِلَّا رَوَاهُ .

وقال المنصور لعمر بن عبيد^(٢) : ما بلغك في الكلب؟ قال : ما ورد عن
 لسان رسول الله ﷺ : «من اقتنى كلباً لغير حراسةٍ أو صيدٍ نقص من أجره كل يوم
 قيراطان» . قال : ولم ذلك؟ قال : كذا جاء في الحديث . فقال المنصور : خذها
 بحقها وذلك لأنه ينبج الضيف ، ويروّع السائل . وذكر أصحاب الخواص أن الكلب
 إذا نبج إنساناً وخاف ضرره فليلتفت إليه وليجلس إلى الأرض فإنه يرجع عنه .

مسألة : من علم المناظرة تتعلّق بالنار ، إن قال قائل : لم كانت النار يراها الإنسان
 من بعد أكبر ما يراها إذا وقف عندها أو قريباً منها ، فالجواب : أن الهواء المحيط
 بالأجسام يتكيّف بكيفية النار ، ويتّحد بجرمها ، فتُرى أكبر منها لعسر التمييز على الحس
 بواسطة البعد . ومن أوصاف النار قول ابن المعتز وقد تقدّم في المقدمة^(٣) : [من الطويل]

مُشْهَرَةٌ لَا يَحْجُبُ الْبَخْلُ ضَوْءَهَا كَأَنَّ سُيُوفاً بَيْنَ عِيدَانِهَا تُجَلَّى
 يُفَرِّقُ أَغْصَانُ الْوَرُودِ اضْطِرَامَهَا كَمَا شَقَّتِ الشَّقَرَاءُ عَنْ مَتْنِهَا جُلّاً^(٤)

وقول ابن خفاجة : [من الكامل]

حَمَرَاءُ نَازَعَتِ الرِّيحُ رِدَاءَهَا وَهَنَاءُ وَزَاحَمَتِ السَّمَاءُ بِمُنْكَبِ
 صَرِبَتْ سَمَاءٌ مِنْ دُخَانٍ فَوْقَهَا لَمْ تَدْرِ فِيهَا شُعْلَةٌ مِنْ كَوْكَبِ
 وَتَنَسَّمْتُ مِنْ كُلِّ نَفْحَةٍ جَمْرَةً بَاتَتْ لَهَا رِيحُ الشَّمَالِ بِمَرْقَبِ
 قَدْ أَلْهَبَتْ فَتَذَهَبَتْ فَكَأَنَّهَا شَقَرَاءُ تَمْرُحُ فِي عَجَاجِ أَكْهَبِ^(٥)

وقول محمد بن عطية بن حسان الكاتب من شعراء المغرب : [من السريع]

بِتَنَا نَدِيرُ الرَّاحِ فِي شَاهِقٍ لَيْلًا عَلَى نَغْمَةٍ عَوْدِينَ^(٦)

(١) ديوان جرير : ٣٦٢ .

(٢) هو أبو عثمان ، عمرو بن عبيد التيمي ، البصري : شيخ المعتزلة في عصره ، وأحد الزهاد المشهورين . توفي سنة ١٤٤هـ / ٧٦١م . (الأعلام : ٨١ / ٥) .

(٣) ديوان ابن المعتز : ٥٨١ .

(٤) في الديوان : «تُفَرِّجُ أَغْصَانُ الْوَقُودِ إِذَا التَّقَتْ» . تُفَرِّجُ : الشَّقَرَاءُ : الفرس الشقراء . الجُلُّ : السرج الذي يوضع على ظهر الفرس .

(٥) تَذَهَبَتْ : صارت بلون الذهب . العجاج : الغبار . الأكهب : المُشْرَبُ بِسَوَادٍ ؛ يقال : كهب لونه كَهَبًا ، وَكُهْبَةً : علته غُبْرَةٌ مُشْرَبَةٌ بِسَوَادٍ .

(٦) الشاهق : الجبل العظيم الارتفاع .

والنارُ في الأرضِ التي دُوننا مثلُ نجومِ الجوّ في العينِ
فياله مِنْ مَنْظَرٍ مُونِقٍ كأنّنا بينَ سماءين^(١)

وقول مجير الدين محمد بن تميم: [من الكامل]

وكأنّما النارُ التي أوقدتْ ما بيننا ولهبُها يتضرّمُ
سوداءُ أُحرقَ قلبُها فليسأنّها بسفاهةٍ للحاضرينَ يكلمُ^(٢)

وقول الآخر: [من الطويل]

وَفَحِمَ كأيامِ الوصالِ فعالُهُ وَمَنْظَرُهُ في العينِ ليلُ صُدودِ
كَأنَّ لهيبَ النارِ بينَ خلاله بوارقُ لاحَتْ في غمائمِ سودِ

وقول الآخر: [من الكامل]

كانونُ يُطفئُ بردهُ كانواُنّا ما بينَ ساداتِ كرامِ حُدّقِ^(٣)
بأراقمِ حُمِرِ البطونِ ظُهورُها سُودٌ تَنْضَضُ باللسانِ الأزرقِ^(٤)

وقول مجير الدين محمد بن تميم: [من المنسرح]

كأنّما نارنا وَقَدْ خَمَدَتْ وَجَمُرُها بِالرَّمَادِ مَسْتُورُ
دَمٌ جَرى مِنْ فَوَاحِشٍ ذُبَحَتْ مِنْ فَوْقِها ريشهنَّ مَنثورُ^(٥)

وقوله أيضاً: [من المنسرح]

كأنّما النارُ في تَلْهَبِها والفَحِمُ مِنْ فَوْقِها يُغْطِيا
زَنْجِيَّةٌ شَبَكَتْ أُناملَها مِنْ فَوْقِ نارِنجَةٍ لِتُخْفِيا

وقول الآخر: [من مخلع البسيط]

كَأَنَّ كانواُنّا سَماءَ والجَمُرُ في وَسْطِهِ نُجومُ
وَنَحْنُ جِنٌّ بِحَافَتِيهِ والشَّرُّ الطَّائِرُ الرُّجومُ

وقول أبي الفرج الببغاء^(٦): [من الخفيف]

فَحَمّا قَدَمَ الغَلامُ فَأَدْنَى في كَوانينهِ حَياةُ التُّفوسِ

(١) مُونِقٌ: مُعْجَبٌ. (٢) السَّفاهةُ: الخفة والطيش.

(٣) كانون (الأولى): الشهر المعروف. كانون (الثانية): موقد النار.

(٤) الأراقم: أخبث الحيّات. والمراد هنا: الجمر المحمّر باطنه المُسودُّ ظاهره. نضض لسانه: ألقاه وحرّكه وأداره في فمه.

(٥) الفواخت: جمع الفاخنة: ضرب من الحمام المُطَوَّق.

(٦) هو أبو الفرج، عبد الواحد بن نصر بن محمد المخزومي، المعروف بالببغاء، شاعر، كاتب، =

كَانَ كَالْأَبْنُسِ غَيْرَ مُحَلَّى فَعْدَا وَهُوَ مُذْهَبُ الْأَبْنُسِ
لَقِيَ النَّارَ فِي ثِيَابٍ تَكَالَى فَكَسَتْهُ مُصْبَغَاتِ عَرُوسِ
وقلت أنا: [من الكامل]

لَا كُنْتُ يَا فَضْلَ الشِّتَاءِ فَإِنَّا لَمْ تَأْتِ إِلَّا نُضْرَمُ النِّيرَانَا
فَإِذَا تَطَارَدَ فِيكَ خَيْلُ شَرَارِهَا رَجَعْتُ بِحَدِّتِهَا بِنَا خِيَلَانَا
ومن كلام القاضي الفاضل من جملة كتاب: وإن البرج وطيس الحرب، وقد أحتمته إلى أن أحرقت، وصرح الشوك قد خاضته إلى أن أغرقته، وإن الخندق بركة والبرج لها فوارة، وإن الله أعدّ للعدى ناراً في الآخرة وأحرقهم في الدنيا بشرارة، وإن العدو تحصّن في البرج بكثيب بنفسج أحرقه الله بجلّنة. ومن كلامه أيضاً: وبات الناس مطيفين بالحصن والنيران به وعليهم مشتملة، وعذبات ألسنتها على وجهه منسدلة ومن خلفه مسيلة، ولفحاتها جهنمية وقودها الناس والحجارة، والبلاء ينادي طبرية بلسان مصابها إياك أعني واسمعي يا جارة، فولجت النار موالج تضيق عنها الفكر، وتعجز عنها الإبر، وخولف المثل في أن السعادة تلحظ الحجر، وأغنى ضوء نهارها سواد كل بقعة أن يسأل هذا وذا ما الخبر، إلى أن بدا الصباح وكأنه منها أمتار وانشقّ الشرقت وكأنه من عصفرها صبغ الإزار، وسرى داء النقوب إلى المعازل، ودبّ سكرها بين المفاصل، وغدت الجدران قائمة والبلى سار في أعقابها، متجلدة والنار تحت ثيابها.

وقال آخر: [من الطويل]

كَأَنَّ نُضِيدَ الْفَحْمِ خَوْفَ شَرَارِهِ إِذِ النَّارُ مَسَّتْ جِلْدَهُ فَتَلَوَّنَا^(١)
تَذَكَّرَ أَيَّامَ السَّحَابِ الَّتِي جَرَتْ بِمَنْبَتِهِ لَمَّا تَأَوَّدَ أَغْصَنَا^(٢)
فَأُثْبِتَ مِنْهُ الْأَبْنُسُ بِنَفْسِجَا وَأُثْمَرَ عَنَاباً وَأُورِقَ سَوْسَنَا^(٣)

قلت: وأظن الجوبان القواس سام هذا المرعى، ولمح هذا المعنى فنقله إلى الراووق اقتداراً وصنعاً فقال: [من الطويل]

وَلَمَّا حَكَى الرَّاوُوقُ فِي الْعَيْنِ شَكْلَهُ وَقَدْ عُلِقَ الْعُنُقُودُ فِي سَالِفِ الدَّهْرِ^(٤)

= مترسل، من أهل نصيبين. اتصل بسيف الدولة، وأقام بالموصل، وبغداد، ونادم المملوك والرؤساء. توفي سنة ٣٩٨هـ / ١٠٠٨م. (تاريخ بغداد: ١١/١١).

(١) النضيد: المنضود: من نَضَدَ الشيء: ضَمَّ بعضه إلى بعض مُتَّسِقاً.

(٢) تَأَوَّدَ: تمايل وثَنَّى. (٣) اُثْبِتَ: انقطع.

(٤) الراووق: المصفاة، أو الباطية، أو الكأس.

تَذْكَرَ عَهْدًا بِالْكُرُومِ فَكَلَّهَ عَيُونٌ عَلَى أَيَّامِ عَصْرِ الصَّبَا تَجْرِي
قلت: قلّ من يحسن أن ينشده معرباً لعدم تصوّر معناه، والوجه في إعرابه أن
يكون العنقود منصوباً على أنه مفعول حكى وشكله مرفوع على أنه بدل من المرفوع
الذي هو فاعل حكى، ونائب فاعل علق ضمير مستتر يعود على العنقود، ففيه تقديم
وتأخير، وتقديره: ولما حكى شكل الراوق العنقود في العين وقد علق هو في
سالف الدهر، ومثل هذا كثير في شعر العرب كقوله: [من الكامل]

إِنَّ الْفَرَزْدَقَ صَخْرَةٌ مَلُومَةٌ طَالَتْ فَلَيْسَ تَنَالُهَا الْأَوْعَالُ^(١)
وقول الآخر: [من الوافر]

نَزَلْنَا الْقَادِسِيَّةَ فَاسْتَقَيْنَا مِنَ الْبَيْرِ الَّتِي حَفَرَ الْأَمِيرُ
وقول الآخر: [من الخفيف]

مِنْ بَنَاتِ الْكُرُومِ جَاءَتْ سُلَافًا لَمْ يَدُسُّهَا بِرِجْلِهِ الْعَصَّارُ^(٢)
وقول الآخر: [من الطويل]

فَمِنْ قَبْلُ صَدَقْنَا وَقَدْ كَانَ قَوْمُنَا يُصَلُّونَ لِلْأَوْثَانِ قَبْلَ مُحَمَّدًا
التقدير: طالت الأوعال واستقينا الأمير وجاءت العصائر وصدقنا محمداً ﷺ.

يَقْتُلْنَ أَنْضَاءَ حُبِّ لَاحِرَاكِ بِهِمْ وَيَنْحَرُونَ كِرَامَ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ

(اللغة): أنضاء جمع نضو وقد تقدّم في قوله: وضج من لغب نضوي، وأراد
بالأنضاء جماعة العشاق الذين أسقمهم الهوى وأنحلهم، ولهذا أضافهم إلى الحب،
والحب معروف. يقال: أحبه فهو محب وحبّه يحبه بالكسر فهو محبوب، وإذا أفرط
الحب سمّي عشقاً، فالعشق محبة مفرطة، وليس بإفراط المحبة كما قاله بعضهم
فيكون أخص من المحبة لأن كلّ عشق محبة من غير عكس. قال صاحب «الريحان
والريهان»: الحب أوله الهوى، ثم العلاقة، ثم الكلف، ثم الوجد، ثم العشق، وهو
مقرون بالشهوة والحب، والمقة في الله تعالى. والعشق اسم لما فضل عن المقدار
الذي هو الحب، ثم الشغف، وهو إحراق القلب بالحب مع لذة يجدها وكذلك
اللوعة، والألاعج، والغرام، ثم الجوى وهو الهوى الباطن، والتثيم، والتبتّل،
والهيام، وهو شبه الجنون. والعشق عند الأطباء من جملة أنواع المايخوليا، وهي
تغير الظنون والفكر عن المجرى الطبيعي إلى الفساد. وقد رسموا العشق بأنه مرض

(١) الأوعال: تيوس الجبل.

(٢) السلاف: الخمر الخالصة.

وسواسي يجلبه المرء إلى نفسه بتسليط فكرته على استحسان بعض الصور والشمائل، وقال أرسطو: العشق عبارة عن عمى العاشق عن عيوب المعشوق، وهذه خاصية من خواص العشق. والتحقيق أن العشق أعم من ذلك لأن الرئيس أبا علي بن سينا في رسالته في العشق ذكر أنه سار في جميع الموجودات من الفلكيات والعنصریات والمعدنيات والنباتات والحيوانات، حتى أن أرباب الرياضي ذكروا فيه الأعداد المتحابّة، واستدركوا ذلك على إقليدس وقالوا: فاته ذلك ولم يذكره وهي المائتان والعشرون، فإنها عدد زائد أجزاؤه أكثر منه، وإذا جمعت كانت مائتين وأربعة وثمانين بغير زيادة ولا نقصان، والمائتان والأربعة والثمانون عدد ناقص أجزاؤه أقل منه، وإذا جمعت كانت جملتها مائتين وعشرين. فكلّ من العددين المتحابّين أجزاؤه مثل الآخر، وبيان ذلك أن العدد التامّ هو ما إذا اجتمعت أجزاؤه كانت مثله وهو ستة فإن أجزاءها البسيطة الصحيحة إنما هي النصف وهو ثلاثة، والثالث وهو اثنان، والسدس وهو واحد، ومجموع ذلك ستة. والعدد الناقص هو ما إذا اجتمعت أجزاؤه البسيطة الصحيحة كانت جملتها أقل منه وهو ثمانية، فإنّ أجزاءها إنما هي النصف وهو أربعة، والربع وهو اثنان، والثلث وهو واحد، ومجموع ذلك سبعة، وهي أقل من العدد المذكور، والعدد الزائد هو ما إذا اجتمعت أجزاؤه زادت عليه وهو اثنا عشر فإن له النصف وهو ستة، والثالث وهو أربعة، والربع وهو ثلاثة، والسدس وهو اثنان، ونصف السدس وهو واحد، ومجموع ذلك ستة عشر وهو يزيد على الأصل الذي هو اثنا عشر، فالمائتان والعشرون لها نصف، وهو مائة وعشرة، وربع، وهو خمسة وخمسون، وخمس، وهو أربعة وأربعون، وعُشر، وهو اثنان وعشرون، ونصف عُشر، وهو أحد عشر، وجزء من أحد عشر جزءاً وهو عشرون، وجزء من اثنين وعشرين جزءاً، وهو عشرة، وجزء من أربعة وأربعين جزءاً، وهو خمسة، وجزء من خمسة وخمسين جزءاً، وهو أربعة، وجزء من مائة وعشرة أجزاء، وهو اثنان، وجزء من مائتين وعشرين جزءاً، وهو واحد، وجملة ذلك من الأجزاء البسيطة الصحيحة مائتان وأربعة وثمانون، وهي ليس لها إلا نصف، وهو مائة واثنان وأربعون، وربع، وهو أحد وسبعون، وجزء من أحد وسبعين جزءاً، وهو أربعة، وجزء من مائة واثنين وأربعين جزءاً، وهو اثنان، وجزء من مائتين وأربعة وثمانين، وهو واحد. فقد ظهر بهذا المثال تحابّ العددين. وأصحاب الخواص يزعمون أن لذلك خاصية عجيبة في المحبة ويقولون: إذا جعل هذا العدد الأقل والعدد الأكثر في شيء من المأكول وأكل المحب الأكثر وأطعم الأقل لمن يريد محبته، فإن المحبوب يحبه أكثر مما كان ذاك يحبه، ويجمع هذين

العدددين قولك: فرد كر. وكنت قد بخلت بهذه الفائدة أن أودعها هذا الكتاب، ثم بدأ لي إثباتها لما تذكرت قوله ﷺ: «من علم علماً وكتمه ألجم يوم القيامة بلجام من نار». فإن قلت: ذاك في العلوم الدينية؛ قلت: والتحباب أيضاً من الأمور الدينية. قال ﷺ: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنوا حتى تحابُّوا»، وتألّف القلوب أمر مرغوب فيه، وقد حضّ الشارع عليه الصلاة والسلام عليه، ومن صرف هذا في غير أمر شرعي فإنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرئ ما نوى.

(رجع): قال أفلاطون^(١): العشق قوّة غريزية متولدة من وساوس الطمع وأشباح التخيل نامية باتصال الهيكل الطبيعي، والعشق يحدث للشجاع جنناً وللجبان شجاعة فيكسو كل إنسان عكس طباعه حتى يبلغ به المرض النفساني والجنون الشوقي فيؤدّيان إلى الداء العضال الذي لا دواء له.

قال الإسكندر^(٢): العشق نور شعشعاني أوجده واجب الوجود في اللطائف القدسية مؤلفاً بين المتنافيين لبقاء سرّه الخفي في تناسبها إذ التنافي مؤدّ إلى الشتات، والشتات مؤدّ إلى الانفراد، والانفراد مؤدّ إلى الوحدة، والوحدة مؤدية إلى العجز، والعجز مؤدّ إلى العدم، وهو مع ضيائه جارٍ مجرى ظلمة الشهوة التي ركبها الله تعالى لبقاء معاني الأجسام إذ لا سبيل إلى بقاء أعيانها.

وقال سقراط^(٣): العشق صفة من صفات علة العلل خلطها بماء العزة، وقسمها في جميع المركّبات، ولم يدل عليها إلا نور العقل إذا ظفر بها ظن أن هي هو، فجرى تحت أوامرها صاغراً، وخضع لذلك المعنى القدسي حكمة من الله تعالى لئلا تستديم إمرته، فيسهو عن تلك الأفلاك، فيستحيل جهلاً بالبيان فينقطع سلك النظام فينبو عنها.

وقال أبو معشر: العشق اتصال نبات أرضي لحظ أوجبته الكواكب الفلكية من الأجسام الطبيعية والمواليد الزمانية في عالم الكون والفساد، إذ هي فاعلة في الطبائع

(١) فيلسوف يوناني مثالي، تتلمذ على سقراط، وأسس المثالية الموضوعية، وله أكثر من ثلاثين محاورة فلسفية. ولمّا اغتيل سقراط قام مقامه، وجلس على كرسيه. (الملل والنحل، الشهرستاني: ٩/٢).

(٢) هو ذو القرنين الملك. ولد في السنة الثالثة عشرة من ملك دارا الأكبر، وسلّمه أبوه إلى أرسطوطاليس الحكيم، فأقام عنده خمس سنين يتعلم الحكمة والأدب. ثم عاد إلى أبيه واستلم الحكم بعد وفاته. (الملل والنحل: ١٦٤/٢).

(٣) ولد في أثينا حوالي سنة ٤٧٠ ق.م لأب يحترف صناعة التماثيل، وأمّ قابلة. اتخذ الفلسفة رسالةً ومشتغلاً. اتهم بإفساد عقول الشباب، فقتل بالسّم، وهو في السبعين من عمره. (الملل والنحل: ١٠٣/٢).

إذ العالم العلوي فاعل في العالم السفلي، كما أن فلك الأدميين فاعل في فلك الحيوان، وفلك الحيوان فاعل في فلك النبات، وفلك النبات فاعل في فلك المعادن، فاستدللنا بذلك على أن سببه نجومى وقرانه زمانى .

وقال أقليدس^(١): العشق وفق هندسى، وجزء معنوى، لقي شكله فطابقه، وصادف مخالفه فنافاه، وذلك أن مركّب الأشباح اللاهوتية والأشكال الناسوتية اقتضت حكمته سبحانه أن يكسوها كيفاً وكمّاً لتتفاضل وتتمازج على جنوس الزمان، فأبى التثام وافق شخصين سمّى ذلك الالتئام عشقاً كتركيبك خمسة أعداد على خمسة أعداد، وثمانية أمثال على ثمانية أمثال، ولا يعتد بتنافي الألوان والأطوال فإنه قد يقاوم السطح المستطيل المثلث المستدير فيعدله في المثلث وقد تزن شجاعة النحيف كثافة الجبان .

وقال طمطم: العشق مغناطيس روحاني أودع في سرائر الأنفس لخفائها عن الإدراك لاجتذاب معاني لطائف كرائم المطبوعات المستترة، فلأجل ذلك إذا سئل العاشق لم وقع منك ذلك لم يعلم حجة يبرهن بها عن نفسه، كما لو سئل أعلم الخلق بعلم الطبيعة عن السبب الكامن في الحجر الذي أوجب اجتذاب الجرم المعدني لم يكن جوابه إلا الصمت أو الخاصية هذا مع صفاء ذهنه وجودة خاطره .

وقال الجنيد^(٢): العشق إلفة رحمانية، وإلهام شوقى، أوجبهما كرم الله على كل ذي روح، لتحصل به اللذة العظمى التي لا يقدر على مثلها إلا بتلك الإلفة، وهي موجودة في الأنفس مقدرة مرآئها عند أربابها فما أحد إلا عاشق لأمر يستدل به على قدر طبقة من الخلق، ولأجل ذلك كان أشرف المراتب في الدنيا مراتب الذين زهدوا فيها مع كونها معانية، ومالوا إلى الآخرة مع كونها مغيبة عنهم مخبراً لهم عنها بصورة لفظاً .

وأما ما ذكر من أخبار المتيمين في «مصارع العشاق» و«طوق الحمامة» لابن حزم^(٣) وغيرهما، فذلك مقصور على عشق الفتيان والفتيات، وما اتفق في ذلك من

(١) رياضى يونانى مشهور . من مؤلفاته كتاب «المبادئ» الذى كان نمطاً من أنماط العلم الاستنباطى . وشكلت هندسته أساساً للاستنتاجات الفلسفية عن طبيعة المكان . (الملل والنحل: ١٣٩) .

(٢) هو أبو القاسم، الجنيد بن محمد البغدادي الخزاز: صوفى، من العلماء بالدين . ولد ونشأ ببغداد، وتوفي فيها سنة ٢٩٧هـ / ٩١٠م . (تاريخ بغداد: ٢٤١/٧) .

(٣) هو أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم بن غالب، الفارسى، الأندلسى، القرطبى، الظاهرى: فقيه، أديب، شارك في أنواع من العلوم . ولد بقرطبة، وتوفي في بادية «لبلة» سنة ٤٥٦هـ / ١٠٦٤م . (البداية والنهاية: ٩٨/١٢؛ وفيات الأعيان: ٣/٣٢٥؛ طوق الحمامة، المقدمة - ص ٩) .

غرائب الأخبار ولطائف الأشعار، والذي يظهر من موت المدنف من العشاق عشقاً، إنما هو سبب دق يعتريه بسبب سهره، وتقليل طعامه وشرابه، واستعمال الفكر والوسواس، وقد وصف الله تعالى نفسه بالحب، فقال تعالى: ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]. وأما العشق فلم يرد في لسان الشرع. وما أظرف قول بعض الأدباء: العشق عبارة عن طلب ذلك الفعل من شخص مخصوص. وقول الأطباء يجلبه المرء إلى نفسه ليس بصحيح، لأن الغالب في العشاق أنهم اضطروا إلى محبة من يهوونه. وقال الفضيل بن عياض^(١) فيما أظن: لو رزقني الله تعالى دعوةً مجابةً لدعوته تعالى أن يغفر للعشاق لأن حركاتهم اضطرارية لا اختيارية. وما أحسن قول أبي فراس^(٢): [من الوافر]

وَكَمْ فِي النَّاسِ مِنْ حَسَنٍ وَلَكِنْ عَلَيْكَ لِشِقْوَتِي وَقَعِ اخْتِيَارِي
يقال إنَّ بعض العرب قال لرجل من بني عذرة: ما لأحدكم يموت عشقاً في
هوى امرأة ألفها وليس ذلك إلا ضعف نفس أو حَوْر^(٣) تجدونه فيكم يا بني عذرة،
فقال: أما والله لو رأيتم الحواجب الزُّجَّ^(٤)، فوق النواظر الدَّعَجِ^(٥)، تحتها المباسم
الفلج^(٦)، لاتخذتموها اللات والعزى.

وقلت أنا: [من الخفيف]

وَالْهَوَى لَوْ مَلَكْتُ أَمْرًا مُطَاعًا فِي الْهَوَى تَقْتَفِي هُدَاهُ الْعُقُولُ
لَأَمَرْتُ الْعَيُونَ تَرْنُو وَدُرَّ الثُّغْرُ رِيْفَتُرُ وَالْقَوَامَ يَمِيلُ^(٧)
ثُمَّ أَدْعُو الْعِذَالَ إِذْ ذَاكَ حَتَّى إِنَّ رَأَوْا عِنْدَهُمْ فُضُولاً يَقُولُوا

(رجع): لا حراك بهم: الحركة ضد السكون. يقال: ما به حراك أي حركة،
وينحرون: يذبحون. كرام الخيل والإبل: يعني الأصائل من هذه وتلك، والخيّل هنا

(١) هو أبو علي، الفضيل بن عياض بن مسعود التميمي، البربوعي: شيخ الحرم المكي، من أكابر
العُباد الصُّلحاء. كان ثقةً في الحديث، أخذ عنه الإمام الشافعي. توفي بمكة سنة ١٨٧هـ/
٨٠٣م. (الأعلام: ٥/١٥٣).

(٢) لم يرد في ديوان أبي فراس.

(٣) الحَوْر: الضعف والوهن.

(٤) حاجب أزج: دقيق في طول واستواء.

(٥) الدَّعَجُ في العين: أن تتسع، ويشتد سوادها وبياضها.

(٦) مَبَاسْمُ فُلَجٍ: متباعدة الأسنان خلقة.

(٧) ترنو: تديم النظر مع سكون طرف.

هي الأفراس والإبل اسم للجمال لا واحد له من لفظه وربما قالوا: إبل بسكون الباء، والجمع آبال.

(الإعراب): يقتلن: فعل مضارع والنون نون الإناء، والفعل المضارع إذا اتصلت به هذه النون أو إحدى نوني التأكيد بني ولكن على السكون إن كان المتصل نون الإناء وعلى الفتح إن كان المتصل نون التوكيد، فيقال: هنّ يقمن، ولا تفعلنّ، ولا تفعلا، لأن الفعل حينئذ قد تركّب مع النون تركيب خمسة عشر فبني بناء، ولهذا لو حال بين النون والفعل ألف الاثنين أو واو الجمع أو ياء الخطاب نحو: هل تضربانّ وهل تضربنّ لم يحكم عليه بالبناء لتعذر الحكم عليه بالتركيب إذ لم تركب العرب ثلاثة أشياء وأصل تضربانّ تضربانن فاستثقلت النونات فحذفت نون الرفع تخفيفاً وبقي الفعل مقدّر الإعراب. وحكى لنا الشيخ الإمام نجم الدين أبو محمد الحسن بن كمال الدين محمد القرشي الصفدي: أن الشيخ تاج الدين الكندي حضرت إليه من بغداد فتيا في إعراب قوله تعالى: ﴿فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانَّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يونس: ٨٩]، وأن جماعة من أهل دمشق خبطوا فيها وما أجابوا بشيء، ونسيت هل قال لي أن الشيخ تاج الدين الكندي أجاب أو لا.

قلت: ليست هذه المسألة مما تخفى على مثل الشيخ تاج الدين مع جلالة قدره؛ والذي ظهر لي من إعرابها أنّ لا حرف نهى والنهي يجزم، وهنا غير جازم لأن الجزم إعراب، لأنه إذا أدخلت نون الإناء أو إحدى نوني التوكيد على المضارع بني كما تقدم وتتبعان فعل مضارع والألف ضمير الفاعلين، ونون التثنية محذوفة، وثبوتها دليل الإعراب، وهذه الثانية ليست للتثنية، وإنما هي نون التأكيد الثقيلة، على أن الشيخ تاج الدين الكندي كان ممتحناً بهذه السؤالات. ورأيت بخط علاء الدين الكندي الوداعي ما معناه: أنه حضرت إليه فتيا من مصر في قول القائل: اللهم أني أسألك وخير ما سألت العبد ربّه، هل ينتصب ربه أو يرتفع؟ فكتب الجواب: ينتصب. وكان الشيخ علم الدين السخاوي حاضراً فرأى ما كتب وخاف أن يخرج الجواب عن الشيخ بالخطأ فقال: يا مولانا تثبت في ذلك وحقّق الجواب. فقال له الشيخ: إنه النصب. فقال: علام رفعت خير؟ فقال: على الابتداء. فقال له: أين الخبر؟ ففطن للجواب فكتب: يرتفع.

(رجع): انضاء: منصوب على أنه مفعول يقتلن، والفاعل ضمير مستتر فيه يرجع إلى نساء الحي. (حب): مجرور بالإضافة المعنوية المقدّرة باللام. (لا حراك): لا هذه لنفي الجنس، وحراك اسمها وقد تقدّم الكلام على لا واسمها في قوله فلا صديق. (بهم): جار ومجرور ولم يظهر الجرّ في الضمير لأنه مبني

والضمير راجع إلى الأنشاء والجملة من لا واسمها وما بعد ذلك في موضع نصب صفة لأنشاء، كأنه قال يقتلن أنشاء حب غير متحركين. (وينحرون): الواو عاطفة عطفت الجملة الفعلية على مثلها، ينحرون فعل مضارع، والواو ضمير الفاعلين يرجع إلى رجال الحي والنون علامة الرفع للفعل لخلوّه عن الناصب والجازم. (كرام): منصوب على أنه مفعول ينحرون. و(الخیل): مجرور بالإضافة، والإضافة معنوية بمعنى اللآم، والألف واللام هنا للجنس. ولا بأس بالكلام هنا على أداة التعريف، فأقول: قال الشيخ جمال الدين بن مالك في «شرح التسهيل» بعدما رجّح مذهب الخليل بن أحمد على مذهب سيويه: فإن عهد مدلول مصحوبها بحضور حسي أو علمي فهي عهدية وإلا فجنسية. ثم قال: أشرت بالحضور الحسي إلى حضور ما ذكر قوله تعالى: ﴿كَأَمْزَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ﴾ [المزمل: ١٥]، وإلى حضور ما أبصر كقولك لمن سدّد سهم القرتاس واللّه، وبالحضور العلمي إلى مثل قوله تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] و﴿إِذْ هُمْ فِي الْأَفْكَارِ﴾ [التوبة: ٤٠] و﴿إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْقُدْسِ طُوًى﴾ [النازعات: ١٦] و﴿إِذْ يَبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾ [الفتح: ١٨] ثم قال: وقولي: وإلا فجنسية أي إذا لم يكن المدلول عليها بمصحوب الأداة معهوداً بأحد الحضورين المبينين، فالأداة جنسية فإن خلفها كل دون تجوز فهي للشمول مطلقاً، ويستثنى من مصحوبها وإذا أفرد فاعتبار لفظه فيما له من نعتٍ وغيره أولى، فإن خلفها كل تجوزاً فهي لشمول خصائص الجنس على سبيل المبالغة مثال التي يخلفها كل دون تجوز قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨] والمراد بكون الشمول مطلقاً عموم الأفراد والخصائص بخلاف التي يخلفها كل على سبيل التجوّز كقولك زيد الرجل بمعنى الكامل في الرجوليّة الجامع لخصائصها، فإن هذا تجوز لأجل المبالغة. ويستعملون كلاّ بهذا المعنى تابعاً وغير تابع فيقولون: زيد كل الرجل وكل الرجل زيد. وحكى الفراء عن العرب أطمعنا شاة كل شاة، والشمول الحقيقي هو الأصل ولذلك استغنى عن قرينة ولم يستغن الثاني عنها. ومثال الاستثناء من مصحوبها قوله تعالى: ﴿وَالْعَصْرُ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُ خَسِرٌ إِلَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾ [العصر: ١-٣] فلولا أن أداة التعريف اقتضت شمول الحقيقة والإحاطة بأفرادها لم يستثن الذين آمنوا من المعرف بها وهو الإنسان، والأكثر في مصحوب الإحاطة وغيره موافقة اللفظ كقوله تعالى: ﴿وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَالْجَارِ الْجُنُبِ﴾ [النساء: ٣٦] وقوله تعالى: ﴿لَا يَصْلَاهَا إِلَّا الْأَشْقَى الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ وَسَيَجْزِيهَا الْآلُفَى الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَرَكَّى﴾ [الليل: ١٥-١٨] وموافقة المعنى دون اللفظ قليلة كقوله تعالى: ﴿أَوِ الْطِفْلِ الَّذِي لَمْ يَطْهَرُوا عَلَىٰ عَوْرَتِ الْمَيْمَنَةِ﴾ [النور: ٣١]. وحكى الأخفش: أهلك

الناس الدينار الحمر، والدرهم البيض، ومن موافقة المعنى دون اللفظ: ما هو من
الأحد أي من الناس، وأنشدوا: [من البسيط]

وَلَيْسَ يَظْلِمُنِي فِي وَصْلِ غَانِيَةٍ إِلَّا كَعَمُرٍ وَمَا عَمُرٌ مِنَ الْأَحَدِ
قال الجامي: ولو قلت زيد ما هو من الإنسان أصبت. انتهى.

قلت: وإذا لم تخلف الألف واللام كل مثل قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ
شَيْءٍ حَيٍّ﴾ [الأنبياء: ٣٠] فهي لبيان الحقيقة. ذكر ذلك ولده بدر الدين في شرح
الخلاصة، ونبّه عليه في التسهيل والده جمال الدين، ولم أقف عليه في نسختي،
ولعله سقط منها لنسيان الناسخ، وقد تزداد الألف واللام في معرفة بدونها، والزيادة
تكون لازمة وعارضة، فاللازمة نحو: اللات والعزى، ونحو: الذين واللاتي فإنهما
معرفتان بالصلة والأداة زائدة فيهما. والعارضة إمّا للضرورة كقوله: [من الكامل]

وَلَقَدْ جَنَيْتُكَ أَكْمَوْا وَعَسَاقِلًا وَلَقَدْ نَهَيْتُكَ عَنْ بَنَاتِ الْأَوْبَرِ^(١)
أراد بنات أوبر وهو ضرب رديء من الكمأة، وإمّا للمح الصفة كالفضل
والحارث والنعمان، لأن الأصل التجريد وإنما أدخلوها للمح الصفة فيها، وقد تزداد
في الحال مثل أرسلها العراك أي معتركة، وقراءة من قرأ ليخرجن الأعز منها الأذل
بفتح الياء وضم الراء أي ذليلاً. وكقول بعض العرب: أدخلوا الأول فالأول أي
مترتين. وقد تزداد في التمييز كقول الشاعر: [من الطويل]

رَأَيْتُكَ لَمَّا أَنْ عَرَفْتَ وُجُوهَنَا صَدَدْتَ وَطَبْتَ النَّفْسَ يَا قَيْسُ عَنْ عَمُرٍ
أي وطبت نفساً. وقد تزداد على ما يصير علماً أو تغلب عليه العلمية كالبيت لمكة
والمدينة لمدينة رسول الله ﷺ، والعقبة لعقبة أيلة، والكتاب لكتاب سيبويه، والصعق
لخويلد بن نفيل، والنجم للثريا، لأن كلاً من هذه قد اشتهر اشتهاراً تاماً متى أطلق لفظه
فهم معناه. وقد تخلف الميم اللام في التعريف فيقال أمر جل، ومنه الحديث ليس من
امبر امصيام في امسفر، أي ليس من البر الصيام في السفر. قال الشاعر: [من المنسرح]

ذَاكَ خَلِيلِي وَذُو يَوَاصِلُنِي يَزْمِي وَرَائِي بِأَمْسِهِمْ وَأَمْسِلِمَهُ
وهي لغة تميم. وما أحسن قول شمس الدين محمد بن دانيال في المعنى
حيث قال: [من الطويل]

أَرَى لَكَ وَجْهًا إِنْ لَعْنَتُكَ جَائِزًا فَأَنْتَ بِتَحْقِيقِ الْكَلَامِ قَمِينٌ^(٢)

(١) الأكمو: جمع كمء، مؤنثه كمأة: نبات يقال له: شحم الأرض، مثل القلقاس، لا ساق له ولا
عرق. العساقيل: السراب.

(٢) قمين: خليقٌ وجدير.

إِذَا كَانَ مَعْنَى اللَّامِ وَالْمِيمِ وَاحِدًا بِرَأْيِ تَمِيمٍ فَالْمُعَيْنُ لَعَيْنُ (رجع) والإبل: الواو عاطفة عطفت الاسم على الاسم والإبل مجرور لأنه عطف على مجرور والمعطوف في حكم المعطوف عليه، فكأنه قال: وينحرون كرام الخيل وكرام الإبل وأنت الضمير في يقتلن. وذكره في ينحرون لأنه في الأول ضمير نساء الحي. وفي الثاني ضمير رجاله كما قال: منهنّ ومنهم في البيت الأول.

(المعنى): أن هذا الحي نساؤه يقتلن العشاق الذين أسقمهم الهوى، وأنحلهم فما لهم حركة البتة ورجاله ينحرون للأضياف كرام الخيل وكرام الإبل فمعناه معنى البيت الذي تقدّم وهو بليغ لأنه جمع في البيت الواحد بين مدح النساء ومدح الرجال على ما تقدّم أولاً وقدّم الخيل لأنها أشرف من الإبل، وقد وصف أهل هذا الحي بما هو أعلى صفات المدح لأن الحسن كلما كان بارعاً زاد المحب هلاكاً، والكرم غايته أن ينحر المضيف الخيل والإبل، بخلاف من ينحر ما دون ذلك من الضأن والمعز. وأما الضيف فقد أوجب رسول الله ﷺ حقه فقال: ليلة الضيف حق واجب. وقال ﷺ: «من كان يؤمن بالله واليوم الآخر فليكرم ضيفه جائزته يومه وليلته والضيافة ثلاثة أيام وما زاد فهو صدقة». ولا يحلّ له أن يثوي عنده حتى يخرجه، وفي رواية حتى يؤثمه. قالوا: يا رسول الله وكيف يؤثمه؟ قال: «يقيم عنده ولا شيء له يقريه به». وفي رواية: إن نزلتم بقوم فأمرؤا لكم بما ينبغي للضيف فاقبلوا وإن لم يأمرؤا فخذوا منهم حق الضيف الذي ينبغي لهم. قال الشيخ محيي الدين النووي في شرح مسلم: هذه الأحاديث متظافرة على الأمر بالضيافة والاهتمام بها وعظم موقعها. وقد أجمع المسلمون على الضيافة وأنها من متأكدات الإسلام. قال الشافعي ومالك وأبو حنيفة والجمهور: هي سنّة وليست بواجبة. وقال الليث وأحمد: هي واجبة يوماً وليلة على أهل البادية والقرى دون أهل المدن، وتأويل الجمهور هذه الأحاديث وأشباهها على الاستحباب كحديث: غسل الجمعة واجب على كل محتلم، أي متأكد الاستحباب. وقالوا: معنى يؤثمه: يقيم عنده بعد الثلاث حتى يوقعه في الإثم. لأنه قد يغتابه لطول مقامه أو يعرض له بما يؤذيه، أو يظن به ما لا يجوز.

ويحكي عن الأبرش الكلبي أنه كان عنده ضيف، فقام ليصلح المصباح فقال له صاحب المجلس: مه إنه ليس من المروءة أن يستخدم الرجل ضيفه. وروي أنه قال: لا تتخذوا الإخوان خولاً.

وقال بعض السلف لابن عمر بن عبد العزيز: ما رأيت رجلاً أكرم من أبيك، سهرت عنده ذات ليلة فحقق المصباح فقام إليه فأصلحه فقلت: يا أمير المؤمنين هلاً

أمرت بإصلاحه، فقال: قمت وأنا عمر بن عبد العزيز، ورجعت وأنا عمر بن عبد العزيز.

وأما استخدام الضيف فقد حكى أن بعضهم أضاف بعض الكسالى، فلما أتى باللحم قال له: قطع اللحم حتى أوقد النار، فقال الضيف: لا أحسن ذلك، فقال له: نق هذا الأرز إلى أن اشتغل أنا بأمر اللحم على النار، فقال: لا أحسن ذلك، فلما استوى الطعام قال له: مدّ الخوان، فقال: لا أحسن ذلك، فقال له: قم فكل، فقال له: والله لقد استحييت من كثرة خلافي لك، وتقدّم فأكل.

وأما تأنيب الضيف: فقد حكى عن الفرزدق أنه قيل له: ما أقرب عهدك بالذنوب؟ قال: ليلة الدير، قيل له: ما ليلة الدير؟ قال: نزلت على دير راهبة ضيفاً فأكلت عندها طعاماً بلحم خنزير، وشربت نبيذها، وزنيت بها، وسرقت كساءها عند الانصراف وخرجت وأنشدت: [من الوافر]

وَكُنْتُ إِذَا نَزَلْتُ بِدَارِ قَوْمٍ رَحَلْتُ بِخَزِيَةٍ وَتَرَكْتُ عَارًا

وقيل للأوزاعي^(١): ما تقول في رجل قدّم إلى ضيفه الكامخ والزيتون وعنده اللحم والعسل والسمن؟ فقال: هذا لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر. والعرب قديماً وحديثاً ما كان لهم ما يفتخرون به إلا الضيف والسيف والبلاغة فكانوا يحتفلون بالضيف إذا مرّ بهم ويهتمون به. ألا ترى إلى قول مرة بن محكان السعدي^(٢) يخاطب امرأته وقد نزل به ضيف: [من البسيط]

أَقُولُ وَالضَّيْفُ مَخْشِي دِمَامَتُهُ عَلَى الْكَرِيمِ وَحَقَّ الضَّيْفِ قَدْ وَجَبَا^(٣)
يَا رَبَّةَ الْبَيْتِ قُومِي غَيْرَ صَاغِرَةٍ ضَمِّي إِلَيْكَ رِجَالِ الْحَيِّ وَالْقُرْبَا^(٤)
فِي لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أَنْدِيَةِ لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ مِنْ ظُلُمَائِهَا الطَّنْبَا^(٥)
لَا يَنْبُحُ الْكَلْبُ فِيهَا غَيْرَ وَاحِدَةٍ حَتَّى يَلْفَ عَلَى خَيْشُومِهِ الدَّنْبَا

(١) هو أبو عمرو، عبد الرحمن بن عمرو بن يحمّد الأوزاعي: إمام الديار الشامية في الفقه والزهد، وأحد الكتّاب المترسلين. ولد في بعلبك، وسكن بيروت، وتوفي فيها سنة ١٥٧هـ / ٧٧٤م. (الأعلام: ٢٢٠/٣).

(٢) هو أبو الأضياف، مرة بن محكان الربيعي، السعدي، التميمي: شاعر مُقلِّد. عاصر الفرزدق، وتوفي سنة ٧٠هـ / ٦٩٠م. (الأعلام: ٢٠٦/٧).

(٣) الدمامة: من دَمَّ فلاناً: عابه.

(٤) الصاغرة: الذليلة.

(٥) الطَّنْبُ: الحبل.

أندية هنا أراد به جمع ندى فهو شاذ عن القياس لأن القاعدة في جمع المقصور أن يكون على أفعال مثل حشى وأحشاء وقفا وأقفاء وطلا وأطلاء وفي الممدود أن يكون على أفعلة مثل غطاء وأغطية وهواء وأهوية لما في الجوّ ورشاء وأرشية فثبت أن ندى جمعه أنداء، وتأوله بعضهم فقال: أندية جمع ناد وهو المجلس. يعني أنهم كانوا يجلسون في الأندية يصطلون وليس بشيء لأن سياق الكلام يدل على أنه أراد جمع ندى لا ناد، ويظهر هذا لمن له ذوق. وذكر بالأبيات هنا ما حكاه لي الشيخ الإمام الحافظ فتح الدين محمد بن محمد بن سيد الناس اليعمري، قال: اجتمع تاج الدين بن الأثير وفخر الدين بن لقمان في بعض البياكير في ليلة مظلمة على تل العجوز وكان لابن لقمان مملوك يدعى الطنبا فجعل يدعوه باسمه والطنب يجيبه وهو لا يراه لشدة الظلمة، فيكرر ندائه ويقول: أين أنت يا طنّب فإني لا أراك، فقال تاج الدين بن الأثير: [من البسيط]

في لَيْلَةٍ مِنْ جُمَادَى ذَاتِ أُنْدِيَةٍ لَا يُبْصِرُ الْكَلْبُ مِنْ ظُلُمَائِهَا الطُّنْبَا
وهذا من لطيف الاستشهاد وحسنه، وقال ابن سناء الملك من قصيدة مدح بها القاضي الفاضل: [من الكامل]

وَإِذَا سَأَلْتَ مِنَ الْكَرِيمِ فَإِنَّهُ عَبْدُ الرَّحِيمِ لِأَنَّهُ مَوْلَى الْوَرَى
يَخْتَارُ أَنْ يَهَبَ الْخَرِيدَةَ كَاعِبًا وَالطَّرْفَ أَجْرَدَ وَالْحُسَامَ مُجَوَّهَرًا^(١)
يَقْرِي الضِّيُوفَ شُعَاعَ تَبْرِ أَحْمَرٍ فَشِعَاعُ ذَاكَ التَّبْرِ نِيرَانُ الْقَرَى
وتعنت ابن جبارة عليه في هذه الأبيات، فمما قال في هذا الثالث ألم أولاً بقول ابن عمار: [من الرجز]

قَدْ حُزِنَ زَنَادُ الْمَجْدِ لَا يَنْفَكُ مِنْ نَارِ الْوَعَى إِلَّا إِلَى نَارِ الْقَرَى
وزاحم فيه أبا الطيب في قوله^(٢): [من الكامل]

تَرَكْتُ دُخَانَ الرُّمِّثِ فِي أَوْطَانِهَا طَلِبًا لِقَوْمٍ يُوقِدُونَ الْعَنْبَرَا^(٣)
وقوله يقري الضيوف شعاع تبر أحمر، والتبر لا يكون إلا كذلك، وإنما قصد المبالغة وشبه ذلك بشعاع النار التي توقد على البقاع ليهتدي بها الحيران، وتهتدي

(١) الخريدة: الفتاة الحسناء العذراء. الكاعب: التي نهذ ثديها: ارتفع وبرز. الطرف: الجواد الكريم. الأجرد: القصير الشعر.

(٢) ديوان المتنبي: ٢/٣٥٠.

(٣) الرُّمِّثُ: نبات يُوقَدُ به.

إلى موضعها الضيفان، وقد جعله يدفع إلى الضيوف صلة الإنعام ويمنعهم من الطعام، وكم من ضيفٍ يمتنع من أخذ ذلك ويعده عيباً شنيعاً، قلت: هذا تعتت زائد، وليس للبيت علاقة بما قاله ابن عمار ولا بقول أبي الطيب، نعم لو قال نظر إلى قول أبي الطيب^(١): [من الكامل]

وَمَلَلْتُ نَحْرَ عَشَارَهَا فَأُضَافَنِي مَنْ يَنْحَرُ الْبَذْرَ التُّضَارَ لِمَنْ قَرَى

لكان فيه بعض سرقة، وأما قوله: التبر لا يكون إلا أحمر لا نسلم له هذه الدعوى، لأنّ التبر ما كان من الذهب غير مضروب، والشاعر هنا ما أراد إلا الذهب المضروب، ولكنه قال تبراً مجازاً، والذهب منه ما يكون أحمر، ومنه ما يكون أخضر، ومنه ما يكون أصفر، وهذا أمر يشاهده الحسّ. ولولا أنّ ذلك لازم لما قيل في بعض المواطن الذهب الأحمر كما يقال: الثلج الأبيض. وما بقي له من النقد عليه إلا قوله: إن الأضياف فيهم من لا يقبل الإنعام. وهذا نقد حسن فإن الضيف قد يكون أكبر قدراً ممّن أضافه وأجلّ نعمة وأشرف همة، ولا كذلك العفاة فإنهم لا يكونون إلا دون من يسألونه ويستعطفونه، فلو قال: يقري العفاة لزال الإيراد مع أنّ فيه نظراً من إثبات القرى. ويمكن أن يجاب بأنه خصّص هذا القرى بالأضياف الذين يسألونه ويستعطفونه. وما أحسن ما نقلته من خط القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر من نظمه: [من الخفيف]

سَلَفْتَنَا عَلَى الْعُقُولِ السُّلَافَةِ فَتَقَاضَتْ دُيُونُهَا بِلَطَافِهِ

ضَيَّفْتَنَا بِالْبَشْرِ وَالْتَشْرِ وَالْيُسْرِ رِأْلاً هَكَذَا تَكُونُ الضِّيَافَةُ

قوله: بالبشر بالباء. ويعني ابتسامها بالحباب. وما أحلى قول صدر الدين بن الوكيل: [من البسيط]

وَإِنْ أَقْطَبَ وَجْهِي حِينَ تَبَسُّمٍ لِي فَعِنْدَ بَسْطِ الْمَوَالِي يُحْفَظُ الْأَدَبُ

وقول عز الدين بن أبي الحديد: [من مجزوء الكامل]

لَا تَلْقَهَا إِلَّا بِشْـ رِكَ فَالْقُطُوبُ مِنَ الدَّنَسِ

مَا أَنْصَفَ الْكَاسَاتِ مَنْ ضَحِكَتْ إِلَيْهِ وَقَدْ عَبَسَ

وأنشدني من لفظه الشيخ الإمام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان قال: أنشدني لنفسه الشيخ شرف الدين محمد بن موسى المقدسي: [من البسيط]

الْيَوْمُ يَوْمٌ سُرُورٍ لَا شُرُورَ بِهِ فَزَوْجِ ابْنِ سَحَابٍ بَابِنَةِ الْعَنَبِ

ما أنصفَ الكأس من أبدى القُطوبَ لها وَثَغَرُهَا بِاسْمٍ عَنْ لَوْلُؤِ الْحَبِّ

ومن هذه المادة قول ابن قلاقس: [من مجزوء الكامل]

لَا تَقْتُلَاهَا بِالْمَزَا جَ عَدَاةٍ أَشْرَبُهَا شِفَاهَا

مَا فِي الْمَرْوَةِ أَنَّهَا تَحْيِي السَّرورَ وَتَقْتُلَاهَا

وقول محيي الدين بن قرناص: [من الكامل]

قَدْ قُلْتُ إِذْ أَضْحَى يُعَبِّسُ كُلَّمَا دَارَتْ عَلَيْهِ بِالْمَدَامِ الْأَكُوسُ

تَاللَّهِ مَا أَنْصَفْتَهَا يَا مَالِكِي تَأْتِيكَ بِاسْمَةٍ وَأَنْتَ تُعَبِّسُ

وما أحسن قول ابن رشيق^(١): [من الوافر]

أَحَبُّ أَخِي وَإِنْ أَعْرَضْتُ عَنْهُ وَقَلَّ عَلَى مَسَامِعِهِ كَلَامِي

وَلِي فِي وَجْهِهِ تَقْطِيبُ رَاضٍ كَمَا قَطَّبْتَ فِي وَجْهِ الْمُدَامِ

وَرُبَّ تَقْطُوبٍ مِنْ غَيْرِ بَغْضٍ وَبُغْضٍ كَامِنٍ تَحْتَ ابْتِسَامِ

وقول الشيخ صدر الدين: فعند بسط الموالي يُحفظ الأدب، ينظر إلى قول أبي

الطيب^(٢): [من البسيط]

إِنْ يَقْبَحُ الْحَسَنُ إِلَّا عِنْدَ طَلْعَتِهِ فَالْعَبْدُ يَقْبُحُ إِلَّا عِنْدَ سَيِّدِهِ

وتكلم ابن جني على هذا البيت، ومثله بقول الآخر: [من الخفيف]

وَإِذَا الدَّرَزَانُ حُسْنٌ وَجُوهٍ كَانَ لِلدَّرِّ حُسْنٌ وَجْهٌ زَيْنَا

وليس منه، وأما قول محيي الدين بن عبد الظاهر بالنشر بالنون يعني به نكهتها

كما قال أبو نواس^(٣): [من الكامل]

فَتَنَفَّسْتُ فِي الْبَيْتِ إِذْ مُزِجَتْ كَتَنَفُّسِ الرِّيحَانِ فِي الْأَنْفِ

وقوله: واليسر بالباء والسين يريد أن شاربها يزول همه وتبسط آماله.

قال بعض الأعراب^(٤): [من مجزوء الكامل]

وَإِذَا سَكَّرْتُ فَلِإِنِّي رَبُّ الْخَوْرَنْقِ وَالسَّديرِ^(٥)

(١) ديوان ابن رشيق: ١٤٥.

(٢) ديوان المتنبي: ١٢٣/١.

(٣) ديوان أبي نواس: ٦٦.

(٤) هو المنخل اليشكري: شاعر جاهلي، كان ينادم النعمان بن المنذر. والبيتان في الأغاني: ١١/

١٤، من قصيدة قالها في هند بنت عمرو بن هند. توفي نحو ٢٠ ق.هـ/ نحو ٦٠٣ م. (الأغاني:

١٣/١١؛ الأعلام: ٢٩١/٧).

(٥) الخورنق والسدير: قصران كانا للنعمان بن المنذر في الحيرة.

وَإِذَا صَحَوْتُ فَأَتْنِي رَبُّ الشَّوِيهَةِ وَالْبَعِيرِ^(١)

وما أحسن قول النصير الحمّامي^(٢) : [من مجزوء الرمل]

أَصْبَحْتُ مِنْ أَغْنَى الْوَرَى مُسْتَبْشِراً بِالْفَرَحِ
عُنْدِي خَمْرٌ ذَهَبٌ أَكْتَالُهُ بِالْقَدَحِ

لا يخفى حسن هذا النظم ولطف هذا المعنى، وقول ابن قلاقس: [من البسيط]

فَظَلْتُ بِالْكَأْسِ أَغْنَى النَّاسِ كُلَّهُمْ فَالْخَمْرُ مِنْ عَسَجِدٍ وَالْمَاءُ مِنْ وَرَقٍ^(٣)

وما أحسن قول القاضي الفاضل: [من الطويل]

لَهَا مِنْ تَصْفُو عَلَى الشَّرْبِ أَرْبَعٌ وَوَاحِدَةٌ لَوْلَا سَمَاحَتُهَا تَكْفِي
سُرُورٌ إِلَى قَلْبٍ وَتَبَرٌّ إِلَى يَدٍ وَنُورٌ إِلَى عَيْنٍ وَعَطَرٌ إِلَى أَنْفٍ
وَلَمَّا رَأَيْنَا يَاسْمِينَ حَبَابَهَا مَدَدْنَا يَمِينَ الْقُطْفِ قَبْلَ فَمِ الرَّشْفِ

وما أحسن ما قال ابن المعتز^(٤): [من الوافر]

شَرِبْتُ الرَّاحَ فِي الْحَانَاتِ صِرْفاً لَهَا أَرْجٌ يَجْلُ عَنْ الصِّفَاتِ
عَجِبْتُ لِعَاصِرِيهَا كَيْفَ مَاتُوا وَقَدْ عَصَرُوا لِنَامَاءِ الْحَيَاةِ
يُشْفَى لَدَيْغِ الْعَوَالِي فِي بُيُوتِهِمْ بِنَهْلَةٍ مِنْ غَدِيرِ الْخَمْرِ وَالْعَسَلِ

(اللغة): لدغته العقرب تلدغه لدغاً وتلدغاً فهو ملدوغ ولدغ ويقال: لدغه بكلمة أي قرعه بها، فاللدغ للعقرب حقيقة وفي غيرها مجاز. العوالي: الرماح. وقال صاحب الكفاية: العامل ما تحت السنان إلى مقدار ذراعين ثم العالية، وجمعها عوال. بنهلة: النهلة الشربة الواحدة، والمنهل المورد، وهو الماء ترده الإبل، والشربة الثانية يقال لها العلل. الغدير: القطعة من الماء يغادرها السيل وهو فعيل بمعنى مفاعل من غادره، أو مفعّل من أغدره، وقيل: بمعنى فاعل لأنه يغدر بأهله عند الحاجة إليه، قال الكميّ: [من المتقارب]

وَمِنْ غَدْرِهِ نَبَزَ الْأَوَّلُونَ بِأَنْ لَقَّبُوهُ الْعَدِيرَ الْعَدِيرَا

(١) الشويهة: تصغير الشاة.

(٢) هو نصير الدين بن أحمد بن علي الحمّامي، المناوي، المصري: شاعر مصري حرفي، كان يعمل باكتراء الحمامات واستقبال الناس فيها. توفي سنة ٧١١هـ/١٣١٢م. (فوات الوفيات: ٤/ ٢٠٥؛ الدرر الكامنة: ٤/ ٣٩٣).

(٣) العسجد: الذهب. الورق: الفضة.

(٤) لم يرد البيتان في ديوان ابن المعتز (دار الجيل).

الخمير: معروف وهي ما خامر العقل، وإنّما سمّيت خميراً لأنها تركت فاختمرت أي تغيّر ريحها والعسل يذكّر ويؤنّث. تقول: منه عسلت الطعام أعسله وأعسله بالضم والكسر إذا عملته بالعسل، والعسل مجاج النحل.

(الإعراب): يشفي: فعل مضارع معيّر لما لم يسم فاعله، وقد تقدّم الكلام عليه في قوله: كالسيف عرّي متناه، ويكتب بالياء لأنه من شفيت. (لديغ): مرفوع على أنه مفعول لما لم يسم فاعله وهو هنا بمعنى مفعول. وهو كثير في كلامهم، ومنه قتيل بمعنى مقتول، وجريح، وطريد، ومسيح في أحد الأقوال. (العوالي): جمع عالية وهو في موضع جر بالإضافة والجر فيه مقدّر لأنه منقوص لا يظهر فيه إعراب غير النصب. تقول: هذه عوالٍ ومررت بعوالٍ ورأيت عوالي. (في بيوتهم): جار ومجرور والضمير يعود إلى رجال الحي وهو في موضع جرّ بالإضافة. وفي هنا للظرف المكاني وتعلق بلديغ. (بنهلة): الباء هنا للاستعانة والجار والمجرور متعلّق بيشفي. ويصح أن يكون حالاً تقديره يشفي اللديغ في بيوتهم ناهلاً. (من غدير): من هنا لبيان الجنس وتكون للتبويض، وغدير هنا بمعنى مفعول لأنه يغادر من السيل في الأودية. و(الخمير): مجرور بالإضافة إلى غدير، والإضافة بمعنى اللأم. (والعسل): معطوف عليه والألف واللام هنا للجنس.

(المعنى): إن هؤلاء القوم من وصفهم أن لديغ العوالي الذي طعن يشفي بشرية واحدة من غدير الخمير والعسل. وقوله: بشرية من غدير الخمير والعسل، كناية عن رشف رضاب الفتيات اللاتي تقدّم ذكرهنّ فشبه ريقهنّ بالخمير والعسل وإلا لو حمل على حقيقته كذبّه الحسّ لأنّ الذي يطعن بالرمح لا يشفي بشرب العسل ولا الخمير، فما بقي إلا ردّ ذلك بالتأويل إلى ما ذكرته. واعلم أن للشعراء ألفاظاً صارت بينهم حقائق عرفية وإن كانت في الأصل مجازاً لكثرة دورها في كلامهم وتعاطيهم استعمالها لأنهم ألفوا ذلك من تداولها وتكرارها على مسامعهم، من ذلك: الغصن إذا أطلقوه فهم منه القوام، والكثيب إذا أطلقوه فهم منه الرّدف، والورد إذا أطلقوه فهم منه الوجنة، والأقاح إذا أطلقوه فهم منه الثغر، والراح إذا أطلقوه فهم منه الريق، والنرجس إذا أطلقوه فهم منه العيون، وكذلك السيف والسهم والسحر، وإذا أطلقوا الآس أو البنفسج أو الريحان فهم منه العذار، فكلّ هذه الأشياء انتقلت عن وضعها الأصلي وصارت حقائق عرفية نقلها الاصطلاح إلى هذه الأشياء.

قال أبو نواس^(١): [من السريع]

يَا قَمْرًا أَبْصَرْتُ فِي مَاتِمٍ يَنْدُبُ شَجَوًّا بَيْنَ أَتْرَابٍ^(٢)

(١) ديوان أبي نواس: ٢٤٢.

(٢) في الديوان: «يا قمرًا أبرزه مَاتِم». الأتراب: جمع الترب: المثل في السن.

يَبْكِي فَيَذَرِي الدَّرَّ مِنْ نَرْجِسٍ وَيَلْطُمُ الْوَرْدَ بِعَتَابٍ

وقال ابن المعتز فيما أظن^(١): [من الكامل]

وَمُهْفَهْفِ الْحَاضِظُ وَعِذَارُهُ يَتَعَاضِدَانِ عَلَى قِتَالِ النَّاسِ^(٢)

سَفَكَ الدَّمَاءَ بِصَارِمٍ مِنْ نَرْجِسٍ كَانَتْ حَمَائِلُ غَمْدِهِ مِنْ آسٍ

وقال ابن إسرائيل: [من الوافر]

وَأَسْمَرَ عَسْجَدِي اللَّوْنِ تَحْكِي مِعَاطِفُ قَدِّهِ سُمَرِ الْعَوَالِي^(٣)

يُدِيرُ عَلَى الشَّقِيقِ عِذَارَ آسٍ وَيَبْسُمُ بِالْعَقِيقِ عَنِ اللَّالِي

قلت: لو قال لئام آسٍ لكان أصنع وأحسن. وقال الجلال الصفّار: [من السريع]

مَا بَرَحْتُ يَوْمَ وَدَاعِي لَهَا تَضُمَّنِي ضَمَّةُ مُسْتَأْنَسٍ

حَتَّى تَثْنَى الْغُصْنَ فَوْقَ الثَّقَا وَانْتَشَرَ الطَّلُّ عَلَى التَّرْجِسِ^(٤)

وقال آخر: [من الوافر]

وَلَيْلَةَ بَثُّهَا مِنْ ثَغْرِ حَبِّي وَمِنْ كَاسِي إِلَى فَلَقِ الصَّبَاحِ^(٥)

أَقْبَلَ أَفْحُوَانَا فِي شَقِيقٍ وَأَشْرَبُهَا شَقِيقَا فِي أَقَاحٍ

وهو مأخوذ من قول المطوعي: [من الوافر]

وَمَعْشُوقِ الشَّمَائِلِ قَامَ يَسْعَى وَفِي يَدِهِ رَحِيقٌ كَالْحَرِيقِ

فَأَسْقَانِي عَقِيقَا حَشَوْدَرٍّ وَنَقَّلَنِي بِدُرٍّ فِي عَقِيقِ^(٦)

وقال ابن النّبيه: [من الطويل]

رُضَابُكَ رَاحِي آسٍ صُدْغِكَ رِيحَانِي شَقِيقِي جَنَى خَدَّيْكَ جِيدُكَ سَوْسَانِي

وَبَيْنَ الثَّقَا وَالرَّمْلِ تَهْتَزُّ بَانَةٌ لَهَا ثَمَرٌ مِنْ جُلْنَارٍ وَرُمَانٍ^(٧)

وذكر الطغرائي الشفاء بالخمير والعسل لوجهين: الأول: ما جاء في الخمر من قوله

(١) لم يرد البيتان في ديوانه (دار الجيل).

(٢) يتعاضدان: يُقَوِّي أحدهما الآخر ويساعده.

(٣) عَسْجَدِي: ذهبي. العوالي: الرماح.

(٤) الطَّلُّ: المطر الخفيف، والمراد: الدموع. وأراد بالترجس: العيون.

(٥) فَلَقُ الصَّبَاحِ: انسفاره.

(٦) نَقَّلَنِي: قَدَّم لي نقلاً، وهو ما يُتَفَكَّهُ به مع الشراب.

(٧) الجلنار: زهر الرمان.

تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: ٢١٩]. قال أصحاب التفسير: إنّ العرب كانت إذا غلبت في الميسر تتصدّق بكل ما خرج لها على الفقراء والمحتاجين، ويعيبون على من لا يفعل ذلك منهم ويسّمونه البرم، وما رأيت من تكلم على قداح الميسر وأسمائها وأحكامها مثل علم الدين السخاوي في كتابه «سفر السعادة»، ومذهب الشافعي أن التداوي بالخمّر لا يجوز تمسكاً بقوله ﷺ: «إن الله لم يجعل شفاء أمتي فيما حرّم عليها»، ولم يرخص إلّا للشرق إذا غص باللقمة فله أن يسيغها بجرعة من الخمر إذا لم يجد ماء في الوقت، وخاف الهلاك. وإذا كان التداوي بها عنده لا يجوز فمنع استعمالها للطرب واللذة بالطريق الأولى. ولا فرق في مذهبه بين قليلها وكثيرها وبين عصير العنب وغيره من المسكرات، لأنّه قال: كل شراب مسكر حرام. وقال أبو حنيفة: الخمر عبارة عن عصير العنب المشتد الذي قذف بالزبد. وحجّة الشافعي ما روى أبو داود في سننه عن الشعبي عن ابن عمر رضي الله عنهما، قال: نزل تحريم الخمر يوم نزل وهي خمسة: من العنب، والتمر، والحنطة، والشعير، والذرة، والخمر ما خامر العقل. وقد روى أبو داود في سننه من هذا النوع جملة عن نافع عن ابن عمر وعن عائشة وعن جابر وعن القاسم وعن شهر بن حوشب، عن أم سلمة رضي الله عنهم. ولا شك أن ابن عمر رضي الله عنه كان عالماً باللغة وبالمراد من الآية لما نزلت، وقد قال: نزل تحريم الخمر يوم نزل إلخ. وهو صريح في تناول الحرمة لأنواع الخمسة. وحجّة أبي حنيفة قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ﴾ الآية [النحل: ٦٧]. قال: من الله تعالى باتخاذ السكر والرزق الحسن والمنّة لا تكون إلّا بمباح. ورواية ابن عباس قال: لما أتى النبي ﷺ السقاية عام حجّة الوداع استند إليها وقال: أسقوني فقال العباس: ألا نسقيك مما نبذته في بيوتنا. فقال: ما سقي الناس، فجاءه بقدر من نبيذ فشمه وقطب وجهه وردّه. فقال العباس: يا رسول الله أفسدت على أهل مكة شرابهم. فقال: ردوا عليّ القدر فرددناه عليه فدعا بماء من زمزم فصب عليه وشرب، وقال: إذا اغتلمت عليكم هذه الأشربة فاقطعوا متونها بالماء. قال: والتقطيب لا يكون إلّا من الشديد. والجواب أن آية السكر والرزق الحسن نزلت قبل الآيات الدالّة على الحرمة، فهي إمّا ناسخة أو مخصّصة. وأما الحديث فلعل ذلك النبيذ كان ماء نبذت فيه تمرات يسيرة ليحلوا طعمه، وأما التقطيب فلا أنّه ﷺ كان في غاية اللطافة فلم يحتمل طبعه الكريم ذلك الطعم. وكل فقهاء الكوفة أفتوا بشرب النبيذ وأما الخمر فلا. وقد قال بعض أصحاب أبي حنيفة: لأن أقول في النبيذ مراراً كثيرة هو حلال، خير من أن أقول فيه مرّة واحدة هو حرام. ولأن آخر من السماء فتقطعني الرياح خير لي من أن أشرب منه قطرة.

قلت: الأوّل: بما أدّى إليه اجتهاده، والثاني: تورّع منه رضي الله عنه، وقد ظرف من قال: [من الوافر]

لَعَمْرُكَ مَا شَرَبْتُ الرَّاحَ جَهْلًا وَلَكِنْ بِالْأَدْلَةِ وَالْفَتَاوِي
فَلِإِنِّي قَدْ مَرَضْتُ بِدَاءِ هَمٍّ فَأَشْرَبُهَا حَلَالًا لِتَدَاوِي

والثاني: ما جاء في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بَطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩] قال مجاهد: المراد بقوله فيه شفاء للناس (القرآن) والصحيح أن المراد به العسل لأن الضمير يعود إلى أقرب مذكور وهو الشراب.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: أن العسل شفاء من كل داء والقرآن شفاء لما في الصدور.

وروى أبو سعيد الخدري^(١) رضي الله عنه، قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: إن أخي استطلق بطنه^(٢). فقال رسول الله ﷺ: «إسقه عسلاً»، فسقاه ثم جاء فقال: إني سقيته عسلاً فلم يزد إلا استطلاقاً فقال له ثلاث مرات ثم جاءه الرابعة فقال: «إسقه عسلاً». فقال: سقيته فلم يزد إلا استطلاقاً. فقال رسول الله ﷺ: «صدق الله وكذب بطن أخيك». فسقاه فبرئ. وحملوا قوله ﷺ صدق الله على قوله تعالى: ﴿فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾ [النحل: ٦٩]. وقوله ﷺ: «كذب بطن أخيك» على أنه علم بنور الوحي أن ذلك العسل سيظهر نفعه، فلمّا لم يظهر في الحال، كان على بينة من شفاؤه فقال: كذب بطن أخيك. وقد روي عن ابن عمر رضي الله عنه أنه كان لا يشكو شيئاً إلا تداوى بالعسل، حتى إنه كان يدهن به الدمل والقرصة ويقرأ: فيه شفاء للناس. فإن قيل: كيف يكون العسل فيه شفاء للناس وهو مضرّ بالصفراء مهيج للمرة، فالجواب: أنه تعالى لم يقل فيه شفاء لكل الناس، بل قال: شفاء للناس. ويكفي فيه أن كل معجون مرّ لم يكن تمامه إلا بالعسل، والأشربة المتخذة منه للأمراض البلغمية عظيمة النفع، فقد حصل فيه شفاء للناس. وذهب قوم من أهل الجهالة إلى أن المراد بهذه الآية: أهل البيت، وبنو هاشم، وأنهم النحل، وأن الشراب: القرآن والحكمة، وذكر هذا بعضهم في مجلس أبي جعفر المنصور، فقال رجل من الحاضرين: جعل الله طعامك وشرابك مما يخرج من بطون بني هاشم، فأضحك من في المجلس.

(١) هو أبو سعيد، سعد بن مالك بن سنان الخدري الأنصاري، الخزرجي: صحابي، روى عن النبي ﷺ، وغزا معه. توفي سنة ٧٤هـ / ٦٩٣م. (الأعلام: ٨٧/٣).

(٢) استطلق بطنه: مشى، أصابه إسهال.

وأخبرني الشيخ الإمام الحافظ علاء الدين مغلطاي شيخ الحديث بالمدرسة الظاهرية بين القصرين بالقاهرة، قال: جاء رجل إلى الشيخ شهاب الدين الحنبلي صاحب التعبير فقال له: رأيت في منامي كأن قاتلاً يقول لي: اشرب شراب الهكاري، فقال له: أيوجعك فؤادك؟ قال: نعم، قال: اذهب فاشرب عسلاً تبرأ بإذن الله تعالى، فقليل له: من أين لك هذا؟ قال: لأنني فكرت فلم أعرف شراباً منسوباً إلى الهكاري فرجعت إلى الحروف فوجدتها شراب الهك أرى، والأرى هو العسل وتذكرت حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، فعلمت أن فؤاده يوجعه فوصفت له العسل.

قلت: وقد حكى لي غير واحدٍ من الثقة عن الشيخ شهاب الدين المذكور غرائب كهذه المادة لم تسمع عن غيره من المعبرين الغابرين.

(رجع): وهذا المعنى الذي في بيت الطغرائي لطيف كأنه يقول: إن الذي يطعن بالرماح متى ارتشف شربة واحدة من ريق هؤلاء الفتيات اللّاتي في الحي شفي وذهب عنه الألم إما بلذة يجدها في رشف ريقهنّ، وإما بالخاصية التي في العسل، والمعنى الأول أغزل وأشعر، وقد اشتهر تشبيه الريق عند الشعراء بالراح والعسل، قال عرقلة^(١): [من الخفيف]

بَابِلِيّ اللَّحَاظِ فِي كُلِّ عُضْوٍ لِي مِنْ قَوْسٍ حَاجِبِيهِ سِهَامٌ
حَرَمُوا رِيْقَهُ عَلَيَّ وَلَكِنْ صَدَقَ الشَّرْعُ مَا تَحَلَّ الْمُدَامُ

وقال أبو إسحاق الصابي: [من الخفيف]

بِأَبِي مَبْسَمٍ إِذَا لَاحَ أَهْدَى بُرْدًا يَنْفَعُ الْجَوَانِحَ بَرْدًا
شَهِدَ اللَّثْمُ صَادِقًا وَهُوَ عَدْلٌ أَنَّ فِي ثَغْرِهَا رَحِيقًا وَشَهِدَا

وقال حرمله بن مقاتل: [من الطويل]

وَمَا ضَرَبْتُ فِي رَأْسِ صَعْبٍ مُمَرِّدٍ بِتِيهَانِهِ يَسْتَنْزِلُ الْعُصْمَ نَيْقُهَا
بِأَطْيَبَ مِنْ فِيهَا لِمَنْ ذَاقَ طَعْمَهُ وَقَدْ جَفَّ بَعْدَ النُّومِ لِلصَّبِّ رَيْقُهَا
إِذَا اعْتَلَّتِ الْأَفْوَاهُ وَاسْتَمَكَّنَ الْكَرَى وَقَدْ حَانَ مِنْ نَجْمِ الثَّرِيَّا خُفُوقُهَا
وَمَا ذَقْتُ فَاهَا غَيْرَ حَالٍ رَجَوْتُهُ أَلَا رَبُّ رَاجٍ شَرْبَةً لَا يَذُوقُهَا

(١) هو أبو الندى، حسان بن نمير بن عجل الكلبي، المعروف بعرقلة الأعور: شاعر من الندماء، كان من سكان دمشق. توفي سنة ٥٦٧هـ / ١١٧م. (الأعلام: ٢/ ١٧٧).

وأول من فتح الباب في هذا المعنى النابغة الذبياني حيث قال يصف المتجرّدة امرأة النعمان^(١): [من الكامل]

تَجَلَوْ بِقَادِمَتِي حَمَامَةً أَيَكَةِ بَرَدًا أُسِفَ لِسَائِهِ بِالْإِثْمِ^(٢)
كَالْأَقْحَوَانِ غَدَاةَ غَبِّ سَمَائِهِ جَقَّتْ أَعَالِيهِ وَأَسْفَلُهُ نَدِي^(٣)
زَعَمَ الْهَمَامُ وَلَمْ أَذْقُهُ بَأَنَّهُ يُشْفَى بَرِيًّا رِيْقَهَا الْعَطَشُ الصَّدِي^(٤)

وتزاحم الناس بعد النابغة على هذا الباب أفواجاً ووردوه عذباً فراتاً لا ملحاً أجاجاً. وما أحسن قول بعضهم: [من الوافر]

وَعِنْدِي مَنْ مَعَاظِفَهَا حَدِيثٌ يَخْبِرُ أَنْ رِيْقَتِهَا مُدَامٌ
وَفِي الْحَاظِهَا السَّكْرَى دَلِيلٌ وَمَا ذُقْنَا وَلَا زَعَمَ الْهَمَامُ

وقال المتوكل الليثي^(٥): [من الوافر]

كَأَنَّ مُدَامَةً صَهْبَاءَ صِرْفًا تَرْقُرُقُ بَيْنَ رَاووقٍ وَدَنْ^(٦)
تُعَلُّ بِهِ الثَّنَايَا مِنْ سُلَيْمَى فَرَاةٌ مُقْلَتِي وَصَحِيحُ ظَنِّي^(٧)

وقال ابن صَعْتَرَةَ البولاني: [من الطويل]

فَمَا نُطْفَةِ مَنْ حَبِّ مُزْنٍ تَقَاذَفْتُ بِهِ جَنْبَتَا الْوَادِي وَاللَّيْلُ دَامِسُ^(٨)
فَلَمَّا أَقْرَتُهُ الصَّبَاءُ تَنَفَّسْتُ شِمَالٌ لِأَعْلَى مَائِهِ فَهُوَ قَارِسُ
بَاطِيْبٌ مِنْ فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ وَلَكِنِّي فِيهَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسُ^(٩)

(١) ديوان النابغة الذبياني: ٤٠.

(٢) تجلو: تكشف. القوادم: الريش في مُقَدِّم جناح الطائر. اللثا: مغرز الأسنان.

(٣) الأقحوان: نور أبيض، وأشد ما يكون صفاؤه غب المطر، إذ يزول ما عليه من الغبار بالماء.

(٤) الرّيا: الرائحة الطيبة. الصدي: العطشان.

(٥) هو أبو جهمة، المتوكل بن عبد الله بن نهشل الليثي: من شعراء الحماسة، من أهل الكوفة.

عاصر معاوية وابنه يزيد، ومدحهما. توفي بعد ٦٤هـ/ بعد ٦٨٣م.

(المؤتلف والمختلف: ٢٧٢؛ معجم الشعراء، المرزباني: ٣٣٩).

(٦) المدامة، والصهباء: من أسماء الخمر. الصرف: الخالصة. الراووق: المصفاة، أو الباطية، أو الكأس. الدن: وعاء ضخم للخمر وغيرها.

(٧) أعل الرجل: سقاه تباعاً، مرّة بعد أخرى. الثنايا: أسنان الفم الأمامية.

(٨) المؤن: الغمام يحمل المطر. ليل دامس: شديد الظلام.

(٩) فارس: من فرس الأمر فراسة: أدرك باطنه بالظن الصائب.

وقال امرؤ القيس^(١): [من المتقارب]

وَتَغَرُّ لَهَا طَيِّبٌ وَاضِحٌ لَذِيذُ الْمُقَبَّلِ وَالْمُبْتَسِمِ
وما ذقتَه غيرَ ظَنِّي بهِ وما الظنَّ يقضي على ما كَتَمِ

وقال ابن الرومي من أبيات^(٢): [من الطويل]

وَمَا ذُقْتُهُ إِلَّا بِشِيمِ ابْتِسَامِهَا وَكَمْ مَخْبِرٍ يَبْدِيهِ لِلْعَيْنِ مَنَظَرُ^(٣)
بَدَا لِي وَمِضُّ شَاهِدٌ أَنَّ صَوْبَهُ عَرِيضٌ وَمَا عِنْدِي سِوَى ذَلِكَ مُخْبِرُ^(٤)

ومما أورده صاحب الأغاني في أخبار مجنون ليلي، ثم قال إنهما لنصيب^(٥)

قوله: [من الطويل]

كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا الْخَمْرُ شَجَّهَا بِمَاءِ النَّدى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ غَابِقُ^(٦)
وَمَا ذُقْتُهُ إِلَّا بِعَيْنِي تَفَرَّسًا كَمَا شِيمَ فِي أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ^(٧)

وقال بشار بن برد^(٨): [من البسيط]

يَا أَطِيبَ النَّاسِ رِيقًا غَيْرَ مُخْتَبِرٍ إِلَّا شَهَادَةَ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ^(٩)
قَدْ زُرْتَنَا مَرَّةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً عُودِي وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيْضَةَ الدَّيْكِ^(١٠)

وقال التهامي: [من الوافر]

وَأَقْسَمُ مَا مُشْعِشَةٌ شَمُولٌ ثَوْتُ فِي الدَّنِّ عَامًا بَعْدَ عَامٍ^(١١)

(١) لم يرد البيتان في ديوانه (دار الهلال).

(٢) ديوان ابن الرومي: ١٥/٣.

(٣) شام الشيء شيماً: حزره وقدره؛ وشام مخايل الشيء: تطلّع إليها مترقّباً.

(٤) في الديوان: «بدا لي وميضٌ مخبرٌ».

(٥) هو أبو محجن، نصيب بن رباح، مولى عبد العزيز بن مروان: شاعر مقدم في النسب والمديح. عُرف بعفة اللسان والنفس. توفي نحو ١٠٨هـ/ نحو ٧٢٦م. (الأغاني: ١/٣٠٥؛ تاريخ الأدب العربي، بروكلمان: ١/٢٤٧).

(٦) شجّ الخمر: مزجها بالماء. الغابق: شارب الغبوق: شراب العشي.

(٧) شام البرق: نظر إليه يترقّبه أين يكون مطره.

(٨) ديوان بشار بن برد: ١٢٩/٤.

(٩) المساويك: جمع المساوك: العود الذي يُستاك به، من أراك أو بشام. غير مختبر: أي لم يذقه.

(١٠) بيضة الديك: يزعم العامة أن الديك يبيض في عمره بيضة صغيرة لا قشر لها، فإذا باضها لم يبيض مرةً أخرى، فَضُرِبَ بها المثل في الشيء لا يحدث إلا مرةً واحدة.

(١١) مُشْعِشَةٌ: ممزوجة. شمولٌ: ضربتها ريح الشمال الباردة. «ثوت في الدن عاماً بعد عام»: كناية عن قدمها.

- إذا ما شاربُ القومِ احتَسَاها
بأطيبَ من مُجَاجَتِهِنَّ طَعْمًا
وَلَمْ أَشْهَدْ لَهُنَّ جَنَى وَلَكِنْ
وقال ابن حمديس: [من المتقارب]
وما قهوةٌ خالطتْ مِسْكَةً
بأطيبَ مِنْهَا جَنَى نَكْهَةٍ
وَمَا ذَقْتُ فَاهَا وَلَكِنِّي
وقال البهاء زهير: [من الطويل]
فَتِنْتُ بِهِ حُلُوءًا مَلِيحًا فَحَدَّثُوا
وَقَدْ شَهِدَ الْمِسْوَاكُ عِنْدِي بِطَيْبِهِ
وقال ابن الساعاتي: [من الطويل]
وَبِي زَائِرٌ تَكْبُو الْمُنَى دُونَ وَصْلِهِ
يُخْبِرُ عَنْ لَثَمِ السُّلَافِ لِثَامُهُ
وقال أيضاً: [من الكامل]
ضَاهَى مُقْبَلُهُ فَرِيدَ عُقُودِهِ
أَبْدًا يُشْتَتِ لَوْعَتِي تَشْتِيَتُهُ
كَالْمِسْكِ نَشْرًا وَالسُّلَافِ مَذَاقَةً
أَحْسَّ لَهَا دَبِيبًا فِي الْعِظَامِ
إِذَا اسْتَيْقَظْنَ مِنْ سِنَةِ الْمَنَامِ^(١)
شَهِدْنَ بِذَلِكَ أَعْوَادُ الْبِشَامِ^(٢)
فَبَيْنَهُمَا لِالْأَرِيحِ اسْتِيرَاكُ^(٣)
وَقَدْ رَكَزَ اللَّيْلُ رَمَحَ السَّمَاءِ^(٤)
نَقَلْتُ شَهَادَةَ عُودِ الْأَرَاكِ^(٥)
بَأَعْجَبَ شَيْءٍ كَيْفَ يَحْلُو وَيَمْلُحُ^(٦)
وَلَمْ أَرْ عَدْلًا وَهُوَ سَكْرَانٌ يَطْفَحُ^(٧)
وَيَعَثُرُ جَارِي الدَّمْعِ فِي لَيْلِ صَدِّهِ
وَتَشْهَدُ أَطْرَافُ الْأَرَاكِ بِشَهِدِهِ^(٨)
فِي مَنَعِهِ وَضِيَائِهِ وَنَظَامِهِ^(٩)
وَيَزِيدُنِي ظِمًا مَدَارُ مُدَامِهِ^(١٠)
وَالْقَوْلُ مِثْلُ أَرَاكِهِ وَبِشَامِهِ

(١) المجاجة: الريق.

(٢) البشام: ضرب من الشجر تُتَّخَذُ مِنْهُ الْمَسَاوِيكُ.

(٣) القهوة: الخمر.

(٤) رَكَزَ الشَّيْءُ: أَقَرَّهُ وَأَثْبَتَهُ. السَّمَاءُ: نَجْمٌ نَبَّزَ فِي السَّمَاءِ، وَهُمَا سَمَاكَانُ: الرَّامِحُ، وَالْأَعْزَلُ.

(٥) الْأَرَاكِ: ضرب من الشجر تُتَّخَذُ مِنْهُ الْمَسَاوِيكُ.

(٦) المليح: الجميل الحسن. يملح: يحسن، أو ضَدَّ يَحْلُو.

(٧) العدل: يقال: رجل عدل: ثَقَّةٌ يُؤْخَذُ بِشَهِادَتِهِ.

(٨) السُّلَافُ: الخمر الخالصة. الشَّهْدُ: الْعَسَلُ قَبْلَ أَنْ يُعْصَرَ.

(٩) ضَاهَى: مَاتَل، شَابَهَ.

(١٠) يُشْتَتُ: يُفَرِّقُ.

وقال أيضاً: [من الكامل]

قَبَّلْتُهَا وَرَشَفْتُ خَمْرَ رَيْقِهَا فَوَجَدْتُ نَارَ صَبَابَةٍ فِي كَوْثَرِ^(١)
وَدَخَلْتُ جَنَّةَ وَجْهِهَا فَأَبَاحَنِي رِضْوَانُهَا الْمَرْجُو شَرْبَ الْمُسْكِرِ

وقال أيضاً: [من الطويل]

حُدِّدْتُ بِجَفْنِيهَا عَلَى رَشْفِ رَيْقِهَا وَمَنْ شَرِبَ الصَّهْبَاءَ يُلْزَمُ بِالْحَدِّ
فِيَا قَلْبُ صَبْرًا عَنْ شَهْيِ رِضَابِهَا فَإِنْ وَجِيَءَ السَّمِّ مِنْ ذَلِكَ الشَّهْدِ^(٢)

قلت: في هذه المقاطيع الثلاث نظر، أما قوله: أبداً يشئت لوعتي تشتيته، فإنه خطأ لأن اللوعة إذا تشئت تفرقت أجزاؤها وضعفت وليس هذا من شكوى المحبة في شيء، وكان الأليق أن يقول: أبداً يجمع لوعتي، أو يضم صابتي ولكن الجناس أذهله. وأما قوله: فأباحني رضوانها المرجو شرب المسكر، فهو أيضاً خطأ لأن خمور الجنة مُنَزَّهَةٌ عن السكر بل هي لذّة الشاربين، وفسر قوله تعالى: ﴿لَا فِيهَا عُوقٌ﴾ [الصفات: ٤٧] بأن معناه لا تغتال العقل بالسكر كخمور الدنيا. وأما قوله: حددت بجفنيها إلى آخره ففيه عيبان: الأوّل من جهة المعنى، فإنّ قوله حددت بجفنيها لا معنى له لأنه إن كان قد أراد الحد الذي يقام على السكر فبعيد أن تستعار السّيّاط للجفون ولم يُستَعر لها إلّا السيوف أو السّهام، ومن أين يفهم عدد الثمانين. وما أحلى قول القائل: [من السريع]

شَرِبْتُ مِنْ أَكْؤُسِ خَمْرِ الصَّبَا فَحَدَّكَ الدَّهْرُ ثَمَانِينَ^(٣)

وإن كان قد أراد الحد لغة وهو المنع فما للنصف الثاني من البيت تعلّق بالأوّل لأنه قال: من شرب الصهباء يلزم بالحدّ فدّل على أنه يريد إقامة الحدّ، والثاني: أنه لم يجزم جواب الشرط في يلزم وإن كان قد جاء في الضرورة ولكن الأفصح الجزم. وقلت أنا في معنى قول النابغة: [من المتقارب]

تَبَسَّمَ فَارْتَحْتُ مِنْ سُكْرَتِي وَقُلْتُ هَذَا الْقَرْقَفُ الْمُنْتَخَبُ^(٤)
وَمَا ذُقْتُ فَاهُ وَلَكِنِّي حَكَمْتُ عَلَى تَعْرِهِ بِالْحَبَبِ^(٥)

(١) رشف الريق: مَصَّهُ. الصبابة: رقة الشوق وحرارته. الكوثر: النهر.

(٢) الرّضاب: الريق المرشوف.

(٣) أي: أقام عليك الحدّ، وهو ثمانين جلدة.

(٤) القَرْقَفُ: الخمر.

(٥) الحَبَبُ: الحَبَابُ: طرائق تظهر على وجه الماء والشراب.

وقال سعد الدين محمد بن عربي: [من الطويل]

سَبَانِي ثَغْرٌ مِنْكَ كَالدَّرِ نَظْمُهُ فَيَا مَنْ رَأَى دَرًّا يُشَبَّهُ بِالْدَّرِ
أَشَاهِدُ رِيقًا مِنْكَ كَالشَّهْدِ طَعْمُهُ وَمَا ذُقْتُهُ يَوْمًا وَلَكِنِّي أَذْرِي

وما أحلى قول ناصر الدين حسن بن النقيب: [من مخلع البسيط]

قَالُوا فَلَا نَاصُوحٌ كَذِبًا يَكْسُوهُ مَنْ لَفْظُهُ طَلَاوَةٌ^(١)
حُلُوٌ حَدِيثٌ فَقُلْتُ مَنْ لِي لَوْ أَنَّهُ صَادِقُ الْحَلَاوَةِ

ونقله المولى جمال الدين محمد بن نبّاة فقال: [من مخلع البسيط]

إِنْ جَادَ لِي هَاجِرِي بِوَعْدٍ كَالشَّهْدِ فِي الطَّيْبِ وَالطَّلَاوَةِ
فَلَا تُكَذِّبْ حَدِيثَ فِيهِ فَإِنَّهُ صَادِقُ الْحَلَاوَةِ

وقلت في المعاني المتقدمة: [من الكامل]

عَلِمَ الْوِشَاءُ بَأَنَّ رِيقَ مُعَذِّبِي رَاحَ تُعِيدُ الصَّبَّ بَعْدَ هَلَاكِهِ
أَمَّا أَنَا لَمْ يَبْدُ هَذَا مِنْ قَمِي لَكِنْ هَذَا مِنْ فُضُولِ سَوَاكِهِ

وقلت أيضاً: [من مجزوء الخفيف]

بِئْسَ مَنْ وَرَدَ خَدَّهِ وَلَمَّا هُ الْمُعْطَرِ^(٢)
بَيْنَ وَرْدٍ مُفْتَتِحٍ وَشَرَابٍ مُسَكَّرٍ

وقلت أيضاً: [من الكامل]

يَا أَمْرِي بِالصَّبْرِ عَمَّنْ شَقَّنِي سُقْمًا وَفِي فِيهِ شِفَاءٌ عَلِيلِي^(٣)
مَنْ يَسْتَطِيعُ الصَّبْرَ أَوْ يَرْضَى بِهِ عَنْ مِثْلِ ذَاكَ الْمَرَشَفِ الْمَعْسُولِ^(٤)

وقلت أيضاً: [من مخلع البسيط]

لَا تَلْخُ قَلْبَ الشَّجِي تُقَابِلَ مَعْرُوفَ أَهْلِ الْهَوَى بِمُنْكَرِ
فَلَوْ تَرَشَّفْتَ رِيقَ فِيهِ كُنْتَ يَقِينًا يَا صَاحِ تَسْكَرِ

وقلت أيضاً: [من مجزوء الكامل]

يَا قَلْبُ إِنْ زَادَ الظَّمَا فَأَقْصِدْ مَرَاشِفَهُ الشَّهِيَّةَ^(٥)

(١) الطلاوة: الحُسْنُ والروثق. (٢) اللَّمَى: سُمْرَةٌ فِي بَاطِنِ الشَّفَةِ مُسْتَحْسَنَةٌ.

(٣) شَقَّنِي: أَنَحَلْنِي وَأَهْزَلْنِي. الْغَلِيلُ: الظَّمَا. (٤) الْمَرَشَفُ: مَوْضِعُ الرَّشْفِ: التَّغْرِ.

(٥) الْمَرَاشِفُ: الشَّفَاهُ.

إِنِّي لَأَعْرِفُ مَنُهَا ^(١) يَشْفِي الْجَوَى خَلْفَ الثَّنِيَّةِ

وقلت أيضاً: [من الخفيف]

وَعَزَالِ غَزَا فُؤَادِي بِسَهْمِ ^(٢) وَسِنَانٍ مِنْ طَرْفِهِ الْوَسْنَانِ
كَمْ سَقَانِي مِنْ ثَغْرِهِ كَاسَ خَمْرٍ ^(٢) فَرَشَفْتُ السَّلَافَ مِنْ أَقْحُوَانِ

تم بحمده تعالى طبع الجزء الأول ويليه الجزء الثاني إن شاء الله .

(١) المَنْهَلُ: المَشْرَبُ. الْجَوَى: حرقه الشوق والْحُبُّ. الثنية: واحدة الثنايا: أسنان الفم الأمامية.

(٢) الْوَسْنَانُ: النَّعْسَانُ.